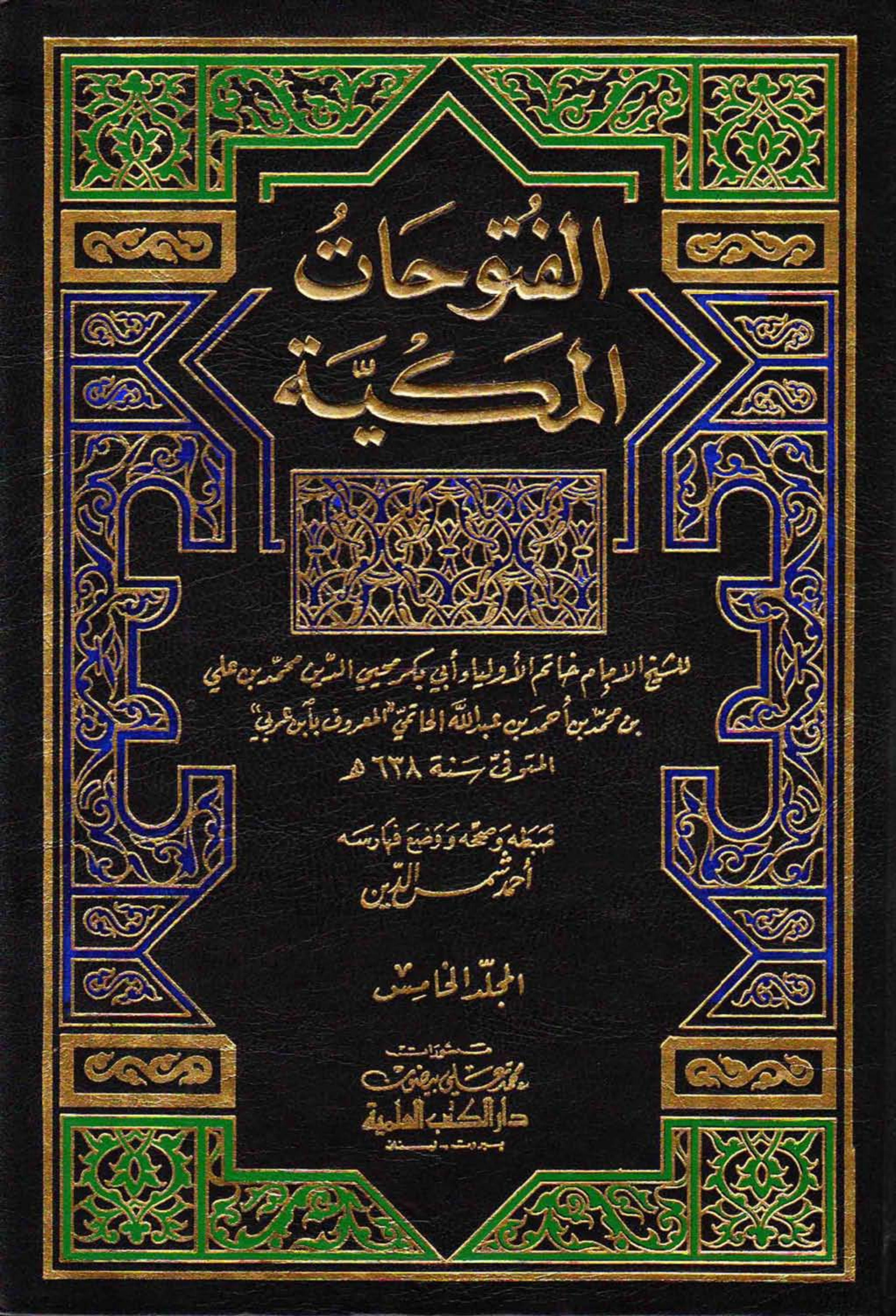

الفتوحات المكية
للشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين محمد بن علي
بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي "المعروف بابن عربي"
المتوفى سنة ٦٣٨ هـ
ضبطه وصححه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدين
المجلد الخامس
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي

المعروف بابن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه ووضع فهارسه

أحمد شمس الدين

الجزء الخامس

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الباب الموفي ثلاثمائة
في معرفة منزل انقسام العالم العلوي من الحضرة المحمدية

[البسيط]

حَمَلَ المحقّقُ ما يُلْقيه خالقُهُ ... فيه ليُظْهِرَ ما في الغيب من خبَرِ
تمتدُّ منه إلى قلبي رقائقُه ... مِثْلَ امتداد شُعاع الشمس للبَصَرِ
فالضَّمُّ واللّثْمُ والتعنيقُ يجمعُنا ... مِثْلَ العرائس كالأُنْثى مع الذَّكَرِ
على الدوام فلا صُبْحٌ يفرِّقنا ... مُنَزَّهين عن الآصال والبُكَ
من بيننا تظهر الأسرارُ في حُجُبِ الْ ... آفاقِ طالعة شمساً بلا غِيَرِ
لا شَرْقَ يُظْهرها لا غَرْبَ يستُرُها ... لا عَيْنَ تُدْركها من أعْيُنِ البَشَرِ
زمانُها الآن لا ماض فتَفْقِدُهُ ... ولا بمُسْتقلٍّ يأتي على قَدَرِ
فيا أُولي الفِكْرِ والألباب قاطبةً ... لا تَعْجَبُوا إنها نتيجةُ العُمُرِ
إني لَحَيٌّ بحيٍّ لا حياةَ له ... ولا حياة لنا في عالم السُّوَرِ
إنّ الحياة التي تجري إلى أَمَدٍ ... هي الحياة التي في عالم الصُّوَرِ

اعلم أن هذا المنزل يتضمن شرف الجماد على الإنسان، وشرف الجنّ من المؤمنين في استماع القرآن على المؤمنين من الإنس لمعنى خلقهم الله عليه وخلقه فيهم، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] أترى هذا الكبر في الجرم وعظم الكمية هيهات لا والله فإن ذلك معلوم بالحس، وإنما ذلك لمعنى أوجده فيهم لم يكن ذلك للإنسان يعطيه العلم بالمراتب ومقادير الأشياء عند الله تعالى، فننزل كل موجود منزلته التي أنزله الله فيها من مخلوق وأسماء إلهية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] أترى ذلك لجهلهم لا والله بل الحمل للأمانة كان لمجرّد الجهل من الحامل، وهل نعت الله بالجهل على المبالغة فيه وبالظلم لنفسه فيها ولغيره إلا الحامل لها وهو الإنسان فعلمت الأرض ومن ذكر قدر الأمانة وأن حاملها على خطر، فإنه ليس على يقين من الله أن يوفقه لأدائها إلى أهلها، وعلمت مراد الله بالعرض أنه يريد ميزان العقل، فكان عقل الأرض والجبال والسماء أوفر من عقل الإنسان حيث لم يدخلوا أنفسهم فيما لم يوجب الله عليهم؛ فإنه كان عرضاً لا أمراً، فتتعين عليهم الإجابة طوعاً أو كرهاً أي على مشقة لمعرفتهم تعظيم ما أوجب الله عليهم، فأتوا طائعين حين قال لهما: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ

كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] أي تهيآ لقبول ما يلقى فيكما، فلما أتيا طائعين وتهيآ لقبول ما شاء الحق أن يجعل فيهما مستسلمين خائفين، فقدر في الأرض أقواتها وجعلها أمانة عندها حملها إياها جبراً لا اختياراً ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] وجعل ذلك أمانة بيدها تؤدّيها إلى أهلها، حملها إياها جبراً لا اختياراً.

ومن معرفتهم أيضاً بما يعطيه حمل الأمانة بالعرض والاختيار من ظلم الحامل إياها لنفسه حيث عرض بها إلى أمر عظيم، وإذا لم يوفق لأدائها كان ظالماً لغيره ولنفسه، وجهل الإنسان ذلك من نفسه ومن قدرها، وإن كان عالماً بقدرها فما هو عالم بما في علم الله فيه من التوفيق إلى أدائها بل هو جهول كما شهد الله فيه، فكان قبول الإنسان الأمانة اختياراً لا جبراً فخان فيها لأنه وكل إلى نفسه، وكان حمل الأرض والسماء لها جبراً لا اختياراً فوفقهما الله إلى أدائها إلى أهلها وعصما من الخيانة وخذل الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الإِمَارَةَ وُكِّلَ إِلَيْهَا وَمَنْ أُعْطِيَهَا مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ بَعَثَ الله أَوْ وَكَّلَ الله بِهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ**» ومن شرف الأرض والسماء والجبال على الإنسان قول الله فيهم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] أترى ذلك لجهله بما نزل عليه؟ لا والله إلا بقوة علمه بذلك وقدره، ألا تراه عز وجل يقول لنا في هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] فإنهم إذا تفكروا في ذلك علموا شرف غيرهم عليهم، فإن شهادة الله بمقدار المشهود له بالتعظيم كالواقع منه لأنه قول حق، وعلموا إذا تفكروا جهلهم بقدر القرآن حيث لم تظهر منهم هذه الصفة التي شهد الله بها للجبل.

خرّج أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة: أن الله بعث جبريل عليه السلام إلى نبيه ﷺ بشجرة فيها كوكري طائر فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله ﷺ في الآخر وصعدت بهما الشجرة فلما قربا من السماء تدلى لهما أمر شبه الرفرف دراً وياقوتاً، فأما جبريل فغشي عليه حين رآه، وأما النبي ﷺ فما غشي عليه، ثم قال ﷺ: «**فَعَلِمْتُ فَضْلَ جِبْرِيلَ عَلَيَّ فِي العِلْمِ لأَنَّهُ عَلِمَ مَا هُوَ ذَلِكَ فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَمَا عَلِمْتُ**» فاعترف ﷺ، فلو علم الإنسان قدر القرآن وما حمله لما كانت حالته هكذا، فانظر إلى ما كان يقاسي ﷺ في باطنه من حمله القرآن لمعرفته به، وما أبقى الله عليه جسده وعصم ظاهره من أن يتصدع كالجبل لو أنزل عليه القرآن إلا لكون الله تعالى قد قضى بتبليغه إلينا على لسانه، فلا بد أن يبقي صورته الظاهرة على حالها حتى نأخذه منه، وكذلك بقاء صورة جبريل النازل به، وإنما الكرم فينا ومن شرف من ذكرناه على الإنسان وشرف الإنسان إذا مات وصار مثل الأرض في الجمادية على حاله حياً في الإنسانية قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١] يعني لكان هذا القرآن، فحذف الجواب لدلالة الكلام عليه، ومعنى ذلك لو أنزلناه على من ذكرناه لسارت الجبال وتقطعت الأرض وأجاب الميت وما ظهر شيء من ذلك فينا وقد كلمنا به.

ومن شرف الجن علينا أن النبي ﷺ حين تلا على أصحابه سورة الرحمن وهم يسمعون

فقال لهم: «**لَقَدْ تَلَوْتُهَا عَلَىٰ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ اسْتِمَاعاً لَهَا مِنْكُمْ**»، وذكر الحديث وفيه: «**فَمَا قُلْتُ لَهُمْ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلاَّ قَالُوا: وَلاَ بِشَيْءٍ مِنْ آلاَئِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ**» فانظر ما أعلمهم بحقائق ما خوطبوا كيف أجابوا بنفس ما خوطبوا به حتى بالاسم الرب ولم يقولوا يا إلهنا ولا غير ذلك، ولم يقولوا ولا بشيء منها وإنما قالوا من آلائك كما قيل لهم لاحتمال أن يكون الضمير يعود على نعمة مخصوصة في تلك الآية وهم يريدون جميع الآلاء حتى يعم التصديق، فيلحق الإنسان بهؤلاء كلهم من حيث طبيعته لا من حيث لطيفته بما هي مدبرة لهذا الجسم ومتولدة عنه فيدخل عليها الخلل من نشأتها، فجسده كله من حيث طبيعته طائع لله مشفق، وما من جارحة منه إذا أرسلها العبد جبراً في مخالفة أمر إلهيّ إلا وهي تناديه: لا تفعل لا ترسلني فيما حرّم عليك إرسالي إني شاهدة عليك لا تتبع شهوتك وتبرأ إلى الله من فعله بها، وكل قوة وجارحة فيه بهذه المثابة، وهم مجبورون تحت قهر النفس المدبرة لهم وتسخيرها فينجيهم الله تعالى دونه من عذاب يوم أليم إذا آخذه الله يوم القيامة وجعله في النار، فأما المؤمنون الذين يخرجون إلى الجنة بعد هذا فيميتهم الله فيها إماتة كرامة للجوارح حيث كانت مجبورة فيما قادها إلى فعله فلا تحس بالألم وتعذب النفس وحدها في تلك الموتة، كما يعذب النائم فيما يراه في نومه وجسده في سريره وفرشه على أحسن الحالات وأما أهل النار الذين قيل فيهم لا يموتون فيها ولا يحيون فإن جوارحهم أيضاً بهذه المثابة ألا تراها تشهد عليهم يوم القيامة؟ فأنفسهم لا تموت في النار لتذوق العذاب، وأجسامهم لا تحيا في النار حتى لا تذوق العذاب، فعذابهم نفسي في صورة حسية من تبديل الجلود، وما وصف الله من عذابهم كل ذلك تقاسيه أنفسهم فإنه قد زالت الحياة من جوارحهم فهم ينضجون كما ينضج اللحم في القدر، أتراه يحس بذلك؟ بل له نعيم به إذا كان ثم حياة يجعل الله في ذلك نعيماً وإلا ما تحمله النفوس، كشخص يرى بعينه نهب ماله وخراب ملكه وإهانته، فالملك مستريح بيد من صار إليه، والأمير يعذب بخرابه وإن كان بدنه سالماً من العلل والأمراض الحسية ولكن هو أشد الناس عذاباً حتى أنه يتمنى الموت ولا يرى ما رآه، وجميع ما ذكرناه إنما أخبرنا الله به لنتفكر ونتذكر ونرجع إليه سبحانه ونسأله أن يجعلنا في معاملته كمن هذه صفته فنلحق بهم وهو قد ضمن الإجابة لمن اضطر في سؤاله فيكون من الفائزين فأي شرف أعظم من شرف شخص قامت به صفة الله إياها أسعده بها وجعل من خلقه على صورته يسأله تعالى أن يلحق بهم في تلك الصفة، فقد علمت قدر كبره على خلق الناس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

فكن يا أخي بما أعلمتك ونبهتك عليه من القليل الذي يعلم ذلك جعلنا الله منهم آمين بعزته.

ومما يتضمن هذا المنزل السماع الإلهي وهو أوّل مراتب الكون وبه يقع الختام، فأوّل وجود الكون بالسماع، وآخر انتهائه من الحق السماع، ويستمر النعيم في أهل النعيم والعذاب في أهل العذاب. فأما في ابتداء كون كل مكوّن فإنما ظهر عن قول ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠]

فأسمعه الله فامتثل فظهر عينه في الوجود وكان عدماً، فسبحان العالم بحال من قال له كن فكان، فأوّل شيء ناله الممكن مرتبة السماع الإلهي، فإن ﴿كُن﴾ صفة قول قال تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ [النحل: ٤٠] والسماع متعلقه القول. وأما في الانتهاء في حق الكفار: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فخاطبهم وهم يسمعون. وأما في حق أهل الجنة فبعد الرؤية والتجلي الذي هو أعظم النعم عندهم في علمهم فيقول: هل بقي لكم شيء؟ فيقولون: يا ربنا وأيّ شيء بقي لنا نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة وملكتنا هذا الملك ورفعت الحجب بيننا وبينك فرأيناك، وأي شيء بقي يكون عندنا أعظم مما نلناه؟ فيقول سبحانه: رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً، فأخبرهم بالرضا ودوامه وهم يسمعون، قال: فذلك أعظم نعيم وجدوه، فختم بالسماع كما بدأ، ثم استصحبهم السماع دائماً ما بين بدايتهم وغاية مراتب نعيمهم، فطوبى لمن كانت له أذن واعية لما يورده الحق في خطابه، فالعارف المحقق في سماع أبداً إذ لا متكلم عنده إلا الله بكل وجه، فمن خاطبه من المخلوقين يجعل العارف ذلك مثل خطاب الرسول عن الحق، فيتأهب لقبول ما خاطبه به ذلك الشخص، وينظر ما حكمه عند الله الذي قرره شرعاً فيأخذه على ذلك الحد، قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] والمتكلم به إنما كان رسول الله ﷺ، فليس أحد من خلق الله يجوز أن يخبر عن نفسه ولا عن غيره وإنما إخبار الجميع عن الله. فإنه سبحانه هو الذي يخلق فيهم بكل ما يخبرون به، فالكل كلماته، فليس للعبد على الحقيقة إلا السماع وكلام المخلوق سماع، فلا يرمي العارف ولا يهمل شيئاً من كلام المخلوقين، وينزله منزلته خبيثاً ومنكراً وزوراً، كان ذلك القول في حكم الشرع أو طيباً ومعروفاً وحقاً، فالعارف يقبله وينزله في المنزلة التي عينها الله على لسان الشرع والحكمة لذلك القول.

ومن علوم هذا المنزل الغمام الذي يقع الإتيان فيه في تجلي القهر والرحمة، وهو حين تشقق السماء بالغمام أي بسبب الغمام أي لتكون غماماً فتفتح أبواباً كلها فتصير غماماً وقد كان الملائكة عمارها وهي سماء فيكونون فيها وهي غمام، وفيها يأتون يوم القيامة إلى الحشر التقديري والملائكة في ظلل من الغمام والظلل أبوابها يقول الله في ذلك: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩] وقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وهو إتيانهم في ذلك الغمام لإتيان الله للقضاء والفصل بين عباده يوم القيامة، فالعارف إذا شقت سماؤه بالغمام وتنزلت قواه في ذلك الغمام وأتى الله للفصل والقضاء في وجوده في دار دنياه فقد قامت قيامته واستعجل حسابه، فيأتي يوم القيامة آمناً لا خوف عليه ولا يحزن لا في الحال ولا في المستقبل، ولهذا أتى سبحانه بفعل الحال في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] فإن هذا الفعل يرفع الحزن في الحال والاستقبال، بخلاف الفعل الماضي والمخلص للاستقبال بالسين أو سوف.

واعلم أن الأرض في كل نفس لها ثلاثة أحوال: قبول الولد والمخاض والولادة ما لم تقم القيامة، والإنسان من حيث طبيعته مثل الأرض فينبغي له أن يعرف في كل نفس ما يلقي

إليه فيه ربّه وما يخرج منه إلى ربه، وما هو فيه مما ألقي فيه، ولم يخرج منه مع تهيئه للخروج، فإنه مأمور بمراقبة أحواله مع الله في هذه الثلاث المراتب والأحوال، وإلقاء الله إليه تارة بالوسائط وتارة بترك الوسائط، والوسطة تارة تكون محمودة، وتارة مذمومة، وتارة لا محمودة ولا مذمومة، وإن كانت تؤدي هذه الحالة إلى الندم والغبن، فالمحقق يسمع ويأخذ ويعرف ممن يسمع وممن يأخذ وما يلد، ومن يقبل ولده إذا ولد، ومن يربيه؟ هل يربيه ربه أو غير ربه؟ كما ورد في الخبر الصحيح: «**إنَّ الصَّدَقَةَ وَهِيَ مِمَّا يَلِدُها العَبْدُ تَقَعُ بِيَدِ الرَّحْمٰنِ فَالرَّحْمٰنُ قَابِلُها فَيُرَبِّيها كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**» ولم يقل كما يربي أحدكم ولده فإن الولد قد لا ينتفع به إذا كان ولد سوء، فالنفع بالولد غير محقق، بل ربما يطرأ عليه منه من الضرر بحيث أن يتمنى أن الله لم يخلقه، والفلو والفصيل ليس كذلك فإن المنفعة بهما محققة، ولا بد إما بركوبه أو بما يحمل عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله إن احتاج إليه، فشبهه سبحانه بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المصدق أنه ينتفع بصدقته ولا بدّ، وأوّل الانتفاع بها أنها تظله يوم القيامة من حرّ الشمس حتى يقضى بين الناس ومما يلده الإنسان الكلمة الطيبة وقد قال ﷺ: «**إنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ صَدَقَةٌ**» فتربى أيضاً له ويتولى الحق بنفسه تربية كل ما يلده العبد من النكاح لا من السفاح، وإذا كان الملك يتولى تربية ولد عبده بنفسه هل يقدر ما يصل إليه من الخير من جهة ولده؟ فأول ذلك أن الولد يعرف منزلة أبيه من الملك وأنه ما رباه الملك وأكرمه بذلك إلا لعلوّ رتبة أبيه عنده فيرى المنة لأبيه عليه بذلك، فيكون باراً به محسناً إليه بنفسه إعظاماً لمرتبة الملك وعنايته بأبيه، وعلى هذا تجري أفعال العارفين من عباده، وكل ما تكلمنا فيه من هذا المنزل فهو من خارج بابه لم نتعرّض لما يحوي عليه لضيق الوقت وطلب الاختصار، وما اتفق لي مثل هذا في العبارة عن غيره من المنازل لأني وجدت عند باب هذا المنزل صور علم ما ذكرته ولم نستوف جميع ما رأيته على بابه، فكان هذا القدر مما في هذا المنزل كالغلمان والحدادين والحجاب الذين على باب الملك.

وأمّا فهرست ما يتضمنه هذا المنزل فهو معرفة العالم العلوي والسفلي بين الدارين، وعلم إبراز الغيوب من خلف الحجب ولماذا حجبت؟ ولماذا أخرجت؟ وما أخرج منها وما بقي؟ وما ينتظر إخراجه من ذلك؟ وما لا يصح إخراجه مما هو ممكن أن يخرج فمنعه مانع فما ذلك المانع؟ وهل يخرج عن سماع أو عن غير سماع؟ وإذا كان عن سماع فعن كراهة أو عن محبة وسرور؟ أو ينقسم إلى هذا وإلى هذا بحسب الأحوال التي تعطيها الأوقات.

ومن علوم هذا المنزل أيضاً علم الزيادة في الشيء من نفسه لا من غيره كنشر المطوي وبسط المقبوض وعلم إخراج الكنوز المحسوسة بالأسماء وما تعطيه من الخواص في ذلك بحيث أن يقف العارف بذلك على موضع الكنز فيتكلم بالاسم فيشق الأرض عن المال المكنوز فيها كما تنشق الكمامة عن الزهرة فإذا أبصرها تكلم باسم آخر فيخرج المال بتلك الخاصية، كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس حتى لا يبقى من ذلك المال في ذلك الموضع شيء، ويتضمن علم الأعمال المشروعة وأين مآلها وما يلقاه منها، ويتضمن علم السعادة

والشقاء بالعلامات، ويتضمن علم الجهات ولماذا ترجع، واتصاف الحق بالفوقية هل هي فوقية جهة أو فوقية رتبة؟ ويتضمن معرفة أحوال الناس في منازلهم التي ينزلونها في الدار الآخرة وما سبب تلك الأحوال التي يتقلبون فيها في تلك المنازل؟ وهل تتكرّر عليهم بأعيانها في أزمنتها التي كانت فيها أم لا؟ ويتضمن رؤية الله عباده لأية نسبة ترجع، ويتضمن شرف الكواكب والزمان من غير مفاضلة، ويتضمن علم نفي الإيمان مع وجود العلم وهذا من أقلق الأمور عند المحقق وفيها علم البشرى وأنها لا تختص بالسعداء في الظاهر وإن كانت مختصة بالخير فقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] والكلام على هذه البشرى لغة وعرفاً، فأمّا البشرى من طريق العرف فالمفهوم منها الخير ولا بد، ولما كان هذا الشقيّ ينتظر البشرى في زعمه لكونه يتخيل أنه على الحق قيل «بشره» لانتظاره البشرى ولكن كانت البشرى له بعذاب أليم وأما من طريق اللغة فهو أن يقال له ما يؤثر في بشرته، فإنه إذا قيل له خير أثر في بشرته بَسْطَ وجه وضحكاً وفرحاً واهتزازاً وطرباً، وإذا قيل له شرّ أثر في بشرته قبضاً وبكاء وحزناً وكمداً واغبراراً وتعبيساً ولذلك قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس ٣٨ ـ ٤١] فذكر ما أثر في بشرتهم، فلهذا كانت البشرى تنطلق على الخير والشرّ لغة، وأما في العرف فلا، ولهذا أطلقها الله تعالى ولم يقيدها فقال في حق المؤمنين: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] ولم يقل بماذا فإن العرف يعطي أن ذلك بالخير وقرينة الحال. وفيه العلم بالأبد ولماذا يرجع؟ وهل الأبد زماني أو هو عين الزمان؟ وبماذا يبقى الزمان؟ هل يبقى بنفسه أو يبقى بغيره يكون له ذلك الغير كهو معنا ظرفاً لبقائه ودوامه، أو هو أمر متوهم ليس له وجود حقيقيّ عيني؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد وثلاثمائة

في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم وأهل العذاب

[البسيط]

إن المُقَرَّبَ من كانت سَجيَّتُهُ	سَجيَّةَ البرِّ والأبرارُ تجهلُهُ
القربُ منزل من لا شيء يشبهه	عيناً قد أنزله فيه منزلهُ
إجماله قد علا قُدُساً ومَنْزِلَةً	ولا لسانَ لمخلوق يُفَصِّلُهُ
إن العوالمَ بالميزان تُدْرِكُها	فلا تُفَرّطْ ولا تُفْرِطْ فتُهْمِلُهُ
القربُ أمر إضافيّ فرُبَّ أذى	يكون قُوتاً لنفس منه تسألُهُ
فَلْيُعْطِهِ سُؤْلَهُ إن كان ذا كَرَم	ولْيَتَّقِ الشُّحَّ إنَّ الشُّحَّ يقتلُهُ
إنَّ العَذَابَ الذي يأتيك من كَثَبٍ	قد كُنْتَ بالغير في دنياك تُنْزِلُهُ
ومن أتاه الذي قد كان يفعله	فكيف يُنْكره أم كيف يَجْهَلُهُ

قال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٢] على أي قلب ينزل ﴿خَلَقَ

﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ [الرحمن: ٣] فعين له الصنف المنزل عليه ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] أي نزل عليه القرآن فأبان عن المراد الذي في الغيب ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] ميزان حركات الأفلاك ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] لهذا الميزان أي من أجل هذ الميزان فمنه ذو ساق وهو الشجر ومنه ما لا ساق له وهو النجم فاختلفت السجدتان ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٧] وهي قبة الميزان ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] ليزن به الثقلان ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨] بالإفراط والتفريط من أجل الخسران ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩] مثل اعتدال نشأة الإنسان إذ الإنسان لسان الميزان ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] أي لا تفرطوا بترجيح إحدى الكفتين إلا بالفضل، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فاعلم أنه ما من صنعة ولا مرتبة ولا حال ولا مقام إلا والوزن حاكم عليه علماً وعملاً، فللمعاني ميزان بيد العقل يسمى المنطق يحوي على كفتين تسمى المقدمتين، وللكلام ميزان يسمى النحو يوزن به الألفاظ لتحقيق المعاني التي تدل عليه ألفاظ ذلك اللسان، ولكل ذي لسان ميزان وهو المقدار المعلوم الذي قرنه الله بإنزال الأرزاق فقال: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحج: ٢١] ولكن ينزل بقدر ما يشاء، وقد خلق جسد الإنسان على صورة الميزان، وجعل كفتيه يمينه وشماله، وجعل لسانه قائمة ذاته، فهو لأيّ جانب مال، وقرن الله السعادة باليمين، وقرن الشقاء بالشمال، وجعل الميزان يوزن به الأعمال على شكل القبان، ولهذا وصف بالثقل والخفة ليجمع بين الميزان العددي وهو قوله تعالى: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] وبين ما يوزن بالرطل وذلك لا يكون إلا في القبان فلذلك لم يعين الكفتين بل قال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦] في حق السعداء ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨] في حق الأشقياء، ولو كان ميزان الكفتين لقال: وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا، وأما من ثقلت كفة سيئاته فهو كذا، وإنما جعل ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة كصورة القبان، ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيئات بالثقل أيضاً إذا رجحت على الحسنات، وما وصفها قط إلا بالخفة، فعرفنا أن الميزان على شكل القبان، ومن الميزان الإلهيّ قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠] وقال ﷺ: «**وُزِنْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتُ وَوُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بالأُمَّةِ فَرَجَحَهَا**».

واعلم أن الأمر محصور في علم وعمل، والعمل على قسمين: حسي وقلبي. والعلم على قسمين: عقلي وشرعي، وكل قسم فعلى وزن معلوم عند الله في إعطائه وطلب من العبد لما كلفه أن يقيم الوزن بالقسط فلا يطغى فيه ولا يخسره فقال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧] وهو معنى ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨] ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩] فطلب العدل من عباده في معاملتهم مع الله ومع كل ما سوى الله من أنفسهم وغيرهم، فإذا وفق الله العبد لإقامة الوزن فما أبقى له خيراً إلا أعطاه إياه، فإن الله قد جعل الصحة والعافية في اعتدال الطبائع وأن لا يترجح إحداهن على الأخرى، وجعل العلل والأمراض والموت بترجيح بعضهن على بعض، فالاعتدال سبب البقاء، والانحراف سبب الهلاك والفناء، وترجيح الميزان في موطنه هو إقامته، وخفة الميزان

في موطنه إقامته فهو بحسب المقامات، وإذا كان الأمر على ما قرّرناه فاعلم أن المحقق هو الذي يقيم هذا الميزان في كل حضرة من علم وعمل على حسب ما يقتضيه من الرجحان والخفة في الموزون بالفضل في موضعه والاستحقاق، فإن النبي ﷺ ندب في قضاء الدين وقبض الثمن إلى الترجيح فقال: « أرْجِحْ له » حين وزن له فما أعطاه خارجاً عن استحقاقه بعين الميزان فهو فضل لا يدخل الميزان إذ الوزن في أصل وضعه إنما وضع للعدل لا للترجيح، وكل رجحان يدخله فإنما هو من باب الفضل وإن الله لم يشرع قط الترجيح في الشرع جملة واحدة وإنما قال: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ولم يقل أرجح منها وقال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ولم يقل بأرجح ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فرجح في الإنعام.

وما ندب الله عباده إلى فضيلة وكريم خلق إلا وكان الجناب الإلهي الأعلى أحق بذاك، وهذا من سبق رحمته غضبه، فالنار ينزل فيها أهلها بالعدل من غير زيادة، والجنة ينزل فيها أهلها بالفضل فيرون ما لا تقتضيه أعمالهم من النعيم، ولا يرى أهل النار من العذاب إلا قدر أعمالهم من غير زيادة ولا رجحان إلى أن يفعل الله بهم ما يريد بعد ذلك، ولذلك قال في عذابهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:٧] وما يعلم أحد من خلق الله حكم إرادة الله في خلقه إلا بتعريفه، ألا تراه في حق السعداء يقول عطاء ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] والصورة واحدة والمدة واحدة؟ ولم يقل في العذاب إنه غير مجذوذ لكن يقطع بأنهم غير خارجين من النار ولا يعرف حالتهم فيها في حال الاستثناء ما يفعل الله فيهم فلا يقضي في ذلك بشيء مع علمنا بأن رحمته سبقت غضبه، وعلمنا بأن الله يجزي كل نفس بما عملت، وقد قام الدليل على الفضل في أهل السعادة وما جاء مثل ذلك في الأشقياء وهذه مسألة يقف عندها صاحب الفكر أو يحكم بغلبة الظن لا بالقطع إلا صاحب الكشف فإنه يعلم بما أعلمه الله من ذلك، غير أن ابن قسي وهو من أهل هذا الشأن قال: لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله، وهذا كلام مجمل، فلا أدري هل قاله عن كشف أو عن اعتبار وفكر؟ وهذا الكلام من وجه ينافي قوله تعالى: « سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبي »، ومن وجه لا ينافيه، فإن الحقائق تعطي أن الفضل لا يحكم في العدل وأن العدل لا يحكم في الفضل، فإنه ليس كل واحد من النعتين محلاً لحكم الآخر، وإن محل حكم الصفة إنما هو في المفضول عليه أو المعدول فيه، وإنا قد علمنا من الله تعالى أن الله يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرّ ولم يقم عليهم ميزان العدل ولا آخذهم بعدله وإنما حكم فيهم بفضله، ولا يقال في مثل هذا إنه حكم فضله في عدله وهو الذي يليق بابن قسي رحمه الله أنه أنبأ عن حقيقة كما هو الأمر عليه في نفسه، وإذا خالف الكشف الذي لنا كشف الأنبياء عليهم السلام كان الرجوع إلى كشف الأنبياء عليهم السلام، وعلمنا أن صاحب ذلك الكشف قد طرأ عليه خلل بكونه زاد على كشفه نوعاً من التأويل بكفره فلم يقف مع كشفه كصاحب الرؤيا فإن كشفه صحيح وأخبر عما

رأى، ويقع الخطأ في التعبير لا في نفس ما رأى، فالكشف لا يخطىء أبداً، والمتكلم في مدلوله يخطىء ويصيب إلا أن يخبر عن الله في ذلك.

فأما ميزان العلم العقليّ فهو على قسمين: قسم يدركه العقل بفكره وهو المسمى بالمنطق في المعاني وبالنحو في الألفاظ وهذا ليس هو طريق أهل هذا الشأن أعني علم ما اصطلحوا عليه من الألفاظ المؤدية إلى العلم به من البرهان الوجودي والجدلي والخطابي والكلية والجزئية والموجبة والسالبة والشرطية وغير الشرطية وإن اجتمعنا معهم في المعاني ولا بد من الاجتماع فيها، ولكن لا يلزم من الاجتماع في المعنى أن لا يكون ذلك إلا من طريق هذه الألفاظ، وكذلك لا يلزمنا معرفة المبتدأ أو الابتداء، والفاعل والمفعول، والمضاف والمصدر والإضافة واسم كان واسم إن والإعراب والبناء وإن علمنا المعاني، ولكن لا يلزم أن نعرف هذه الألفاظ، فصاحب الكشف على بصيرة من ربه فيما يدعو إليه خلقه، ولكن للعقل قبول كما له فكر، ولذلك القبول في الكشف ميزان قد عرفه فيقيمه في كل معلوم يستقل العقل بإدراكه لكن لا يعلمه هذا الولي من طريق الفكر وميزان المنطق، فالذي دخل في طريقنا من ميزان العلم العقلي هو إذا ورد العلم الذي يحصل عقيب التقوى من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ومن قوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] فالعارف عند ذلك ينظر في تقواه وما اتقى الله فيه من الأمور وما كان عليه من العمل، وينظر في ذلك العلم، ويناسب بينه وبين تقواه في العمل الذي كان عليه فإن موازين المناسبات لا تخطىء، فإذا رأى المناسبة محققة بين العلم المفتوح عليه به وبين ذلك العمل ورأى أن ذلك العمل يطلبه فذلك العلم مكتسب له بعمله، فإذا رآه خارجاً عن الميزان وترتفع المناسبة أو يكون ما زاد من جنس ما حصل ولكن لا يقتضيه قوّة عمله لضعف أو نقص كان في عمله، فما زاد على هذا المقدار فهو من علوم الوهب، وإن كان له أصل في الكسب فيتعين عليه أن يشكر الله سبحانه على ما منحه، فيكون ذلك الشكر يجبر له ما نقص من العمل الذي لو عمله نتج له هذا الذي وهب له، فهذا مسبب قد تقدم سببه بل عاد سبباً لما كان ينبغي أن يكون مسبباً عنه ويزيده الله لذلك الشكر فتحاً في قلبه على الحد الذي ذكرناه، وتؤخذ جميع الأعمال على ذاكم فهذا حد الميزان العقلي في الطريق.

واختلفنا فيما يستقل العقل بإدراكه إذا أخذه الولي من طريق الكشف والفتح هل يفتح له مع دليله أم لا؟ فذهبنا نحن إلى أنه قد يفتح له فيه ولا يفتح له في دليله وقد ذقناه، وذهب بعضهم منهم صاحبنا الشيخ الإمام أبو عبد الله الكتاني بمدينة فاس سمعته يقول: لا بد أن يفتح له في الدليل من غير فكر ويرى ارتباطه بمدلوله، فعلمت أن الله ما فتح عليه في مثل هذا العلم إلا على هذا الحد فقال أيضاً ذوقه فإخباره أنه كذا رآه صحيح، وحكمه أنه لا يكون إلا هكذا باطل، فإن حكمه كان عن نظره لا عن كشفه، فإنه ما أخبر عن الله أنه قال له هكذا أفعله وأن غير هذا الرجل من أهل هذا الشأن قد أدرك ما ذهبنا إليه ولم يعرف دليله العقلي، فأخبر كل واحد بما رآه وصدق في إخباره، وما يقع الخطأ قط في هذا الطريق من جهة الكشف

ولكن يقع من جهة التفقه فيه فيما كشف إذا كان كشف حروف أو صور.

وأما الميزان الشرعي فهو أن الله إذا أعطاك علماً من العلوم الإلهية لا من غيرها فإنا لا نعتبر الغير في هذا الميزان الخاص فننظر في الشرع إن كنا عالمين به وإلا سألنا المحدّثين من علماء الشرائع لا نسأل أهل الرأي فنقول لهم: هل رويتم عن أحد من الرسل أنه قال عن الله كذا وكذا؟ فإن قالوا نعم فوازنه بما علمت وبما قيل لك، واعلم أنك وارث ذلك النبي في تلك المسألة أو ينظر هل يدل عليها القرآن وهو قول الجنيد «علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فهو الميزان»، وليس يلزم في هذا الميزان عين المسألة أن تكون مذكورة في الكتاب أو السنة، وإنما الذي يطلب عليه القوم أن يجمعهما أصل واحد في الشرع المنزل من كتاب أو سنة على أي لسان نبيّ كان من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، فإن أموراً كثيرة ترد في الكشف على الأولياء وفي التعريف الإلهيّ لا تقبلها العقول وترمي بها، فإذا قالها الرسول أو النبيّ عليه السلام قبلت إيماناً وتأويلاً ولا تقبل من غيره وذلك لعدم الإنصاف، فإن الأولياء إذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة الإلهية نفحات جود إلهيّ كشف لهم من أعيان تلك الأمور الإلهية التي قبلت من الأنبياء عليهم السلام ما شاء الله، فإذا جاء بها هذا الولي كفر، والذي يكفره يؤمن بها إذا جاء بها الرسول فما أعمى بصيرة هذا الشخص، وأقل الأمور أن يقول له: إن كان ما تقوله حق أنك خوطبت بهذا أو كشف لك فتأويله كذا وكذا إن كان ذلك من أهل التأويل، وإن كان ظاهرياً يقول له: قد ورد في الخبر النبوي ما يشبه هذا فإن ذلك ليس هو من شرط النبوّة ولا حجره الشارع لا في كتاب ولا سنة.

ومن هذا الباب في هذا المنزل يعلم الإنسان ميزانه من الحضرة الإلهية في قوله: «إن الله خلق آدم على صورته» فقد أدخله الجود الإلهيّ في الميزان فيوازن بصورته حضرة موجده ذاتاً وصفة وفعلاً، ولا يلزم من الوزن الاشتراك في حقيقة الموزونين، فإن الذي يوزن به الذهب المسكوك هو صنجة حديد فليس يشبهه في ذاته ولا صفته ولا عدده، فيعلم أنه لا يوزن بالصورة الإنسانية إلا ما تطلبه الصورة بجميع ما تحوي عليه بالأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاده وأظهرت آثارها فيه، وكما لم تكن صنجة الحديد توازن الذهب في حد ولا حقيقة ولا صورة عين كذلك العبد وإن خلقه الله على صورته فلا يجتمع معه في حدّ ولا حقيقة إذ لا حد لذاته والإنسان محدود بحد ذاتي لا رسمي ولا لفظي، وكل مخلوق على هذا الحد، والإنسان أكمل المخلوقات وأجمعها من حيث نشأته ومرتبته، فإذا وقفت على حقيقة هذا الميزان زال عنك ما توهمته في الصورة من أنه ذات وأنت ذات وأنك موصوف بالحيّ العالم وسائر الصفات وهو كذلك، وتبين لك بهذا الميزان أن الصورة ليس المراد بها هذا، ولهذا جمع في صورة واحدة خلق الإنسان ووضع الميزان وأمرك أن تقيمه من غير طغيان ولا خسران وما له إقامة إلا على حد ما ذكرت لك فإنه الله الخالق وأنت العبد المخلوق، وكيف للصنعة أن تكون تعلم صانعها وإنما تطلب الصنعة من الصانع صورة علمه بها لا صورة ذاته وأنت صنعة خالقك، فصورتك مطابقة لصورة علمه بك وهكذا كل مخلوق، ولو لم يكن

الأمر كذلك وكان يجمعكما حد وحقيقة كما يجمع زيداً وعمراً لكنت أنت إلهاً أو يكون هو مألوهاً حتى يجمعكما حد واحد والأمر على خلاف ذلك، فاعلم بأي ميزان تزن نفسك مع ربك ولا تعجب بنفسك، واعلم أنك صنجة حديد وزن بها ياقوته يتيمة لا أخت لها، وإن اجتمعت معها في المقدار فما اجتمعت معها في القدر ولا في الذات ولا في الخاصية تعالى الله، فالزم عبوديتك واعرف قدرك واعلم أنّ الله قد جعل من مخلوقاته من هو أكبر منك وإن كان خلقه من أجلك، ولكن لا يلزم إذا خلق شيئاً من أجلك أن تكون أنت أكبر منه، فإنّ السكين عمل من أجل أمور منها قطع يد السارق، والنار خلقت من أجل عذاب الإنسان، فالإنسان أشرف من النار لأنها خلقت من أجله، فهذا الفصل لا يطرد فلا تدخله ميزانك فأنت أنت وهو هو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦] ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فبهذا قد أعلمتك بالميزان العلمي المشروع والمعقول وما يحتاج إليه من ذلك، فلنبين لك ميزان العمل فاعلم أن العمل منه حسي وقلبي وميزانه من جنسه، فميزان العمل أن ينظر إلى الشرع وكيف أقام صور الأعمال على أكمل غاياتها قلبياً كان ذلك العمل أو حسياً أو مركباً من حس وقلب كالنية والصلاة من الحركات الحسية فقد أقام الشرع لها صورة روحانية يمسكها عقلك، فإذا شرعت في العمل فلتكن عينك في ذلك المثال الذي أخذته من الشارع، واعمل ما أمرت بعمله في إقامة تلك الصورة، فإذا فرغت منها قابلها بتلك الصورة الروحانية المعبر عنه بالمثال الذي حصلته من الشارع عضواً عضواً ومفصلاً مفصلاً، ظاهراً وباطناً؛ فإن جاءت الصورة فيها بحكم المطابقة من غير نقصان ولا زيادة فقد أقمت الوزن بالقسط ولم تطغ فيه ولم تخسره فإن الزيادة في الحد عين النقص في المحدود، فإذا وزنت عملك مثل هذا الوزن كانت صورة عملك مقداراً للجزاء الذي عينه الحق لك عليه، سواء كان ذلك العمل محموداً أو مذموماً، فإن الشرع أيضاً كما أقام لك صورة العمل المحمود لتعمله وبينه لك لتعرفه كذلك أقام لك صورة العمل المذموم لتعرفه وتميزه من المحمود ونهاك أن تعمل عليه صورة تطابقه، فإن خالفت وعملت صورة تطابق تلك الصورة طلبت تلك الصورة موازنتها من الجزاء، فإن اتفق أن يدخلها الحق في الميزان بالجزاء فإنه لا يزيد عليها في المقدار وزن ذرّة أصلاً، هذا إذا أقام الوزن عليه بالجزاء وكان عذابه في النار جزاء على قدر عمله لا يزيد ولا ينقص لا في العمل ولا في مقدار الزمان. والإصرار من الأعمال المنهي عن عملها ولا يزيله إلا التوبة، فإن مات عليه خيف عليه ولم يقطع، وإذا أدخل الحق صورة العمل الصالح الميزان ووزنه بصورة الجزاء رجحت عليه صورة الجزاء أضعافاً مضاعفة وخرجت عن الحد والمقدار منة من الله وفضلاً وهو قوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ [غافر: ٤٠] كما ذكرناه. وقال في الأخرى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦١] ولم يجعل للتضعيف في الخير مقداراً يوقف عنده بل

وصف نفسه بالسعة فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢] وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وغضبه شيء فقد وسعته الرحمة وحصرته وحكمت عليه فلا يتصرّف إلا بحكمها، فترسله إذا شاءت وفيه رائحة الرحمة من أجل المنزل وتمسكه إذا شاءت، ولهذا ليس في البسملة شيء من أسماء القهر ظاهراً بل هو الله الرحمن الرحيم وإن كان يتضمن الاسم الله القهر فكذلك يتضمن الرحمة، فما فيه من أسماء القهر والغلبة والشدة يقابله بما فيه من الرحمة والمغفرة والعفو والصفح وزناً بوزن في الاسم الله من البسملة، ويبقى لنا فضل زائد على ما قابلنا به الأسماء في الاسم الله وهو قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فأظهر عين الرحمن وعين الرحيم خارجاً زائداً على ما في الاسم الله منه فزاد في الوزن فرجع فكأن الله عرّفنا بما يحكمه في خلقه، وأن الرحمة بما هي في الاسم الله الجامع من البسملة هي رحمته بالبواطن، وبما هي ظاهرة في الرحمن الرحيم هي رحمته بالظواهر فعمت فعظم الرجاء للجميع. وما من سورة من سور القرآن إلا والبسملة في أوّلها فأولناها أنها إعلام من الله بالمآل إلى الرحمة فإنه جعلها ثلاثاً: الرحمة المبطونة في الاسم الله والرحمن الرحيم ولم يجعل للقهر سوى المبطون في الاسم الله فلا عين له موجودة كالكناية في الطلاق ينوي فيه الإنسان بخلاف الصريح فافهم. وأما سورة التوبة فاختلف الناس فيها هل هي سورة مستقلة كسائر سور القرآن؟ أو هل هي وسورة الأنفال سورة واحدة؟ فإنهم كانوا لا يعرفون كمال السورة إلا بالفصل بالبسملة ولم يجيء هنا فدل أنها من سورة الأنفال وهو الأوجه وإن كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري، ولكن ما لهذا الوجه تلك القوّة بل هو وجه ضعيف، وسبب ضعفه أنه في الاسم الله المنعوت بجميع الأسماء ما هو في اسم خاص يقتضي المؤاخذة والبراءة إنما هي من الشريك، وإذا تبرأ من المشرك فلكونه مشركاً لأن متعلقه العدم، فإن الخالق لا يتبرأ من المخلوق، ولو تبرأ منه من كان يحفظ عليه وجوده ولا وجود للشريك فالشريك معدوم فلا شركة في نفس الأمر، فإذا صحت البراءة من الشريك فهي صفة وتبرئه تبرئة لله من الشريك وللرسول من اعتقاد الجهل ووجه آخر في ضعف هذا التأويل الذي ذكرناه وهو أن البسملة موجودة في كل سورة أوّلها ويل وأين الرحمة من الويل؟ ولهذا كان للقراء في مثل هذه السورة مذهب مستحسن فيمن يثبت البسملة من القراء، وفيمن يتركها كقراءة حمزة، وفيمن يخير فيها كقراءة ورش، والبسملة إثباتها عنده أرجح فأثبتناها عند قراءتنا بحرف حمزة في هذين الموضعين لما فيهما من قبح الوصل بالقراءة وهو أن يقول: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١] فبسملوا هنا وأمّا مذهبنا فيه فهو أن يقف على آخر السورة ويقف على آخر البسملة ويبتدىء بالسورة من غير وصل.

والقراء في هذا الفصل على أربعة مذاهب: المذهب الواحد لا يرونه أصلاً وهو أن يصل آخر السورة بالبسملة ويقف ويبتدىء بالسورة هذا لا يرتضيه أحد من القراء العلماء منهم، وقد رأيت الأعاجم من الفرس يفعلون مثل هذا مما لا يرتضيه علماء الأداء من القراء،

والمذهب الحسن الذي ارتضاه الجميع ولا أعرف لهم مخالفاً من القراء الوقوف على آخر السورة ووصل البسملة بأوّل السورة التي يستقبلها، والمذهبان الآخران وهما دون هذا في الاستحسان أن يقطع في الجميع أو يصل في الجميع، وأجمع الكل أن يبتدىء بالتعوذ والبسملة عند الابتداء بالقراءة في أوّل السورة، وأجمع على قراءة البسملة في الفاتحة جماعة القراء بلا خلاف، واختلفوا في سائر سور القرآن ما لم يبتدىء أحد منهم بالسورة، فمنهم من خير في ذلك كورش، ومنهم من ترك كحمزة ومنهم من بسمل ولم يخير كسائر القراء، ولوجه التخيير والترك وعدم الترك لهذه البسملة حكم عجيبة لا يسع الوقت لذكرها ولأنها خارجة عن مقصود هذا الباب وهي آية حيثما وقعت إلا في سورة النمل في كتاب سليمان عليه السلام فإنها بعض آية ولا أعلم فيها خلافاً.

فهكذا قد أبنت لك عن الميزان العمليّ والعلميّ على التقريب والاختصار، فلنبين لك ما يتضمنه هذا المنزل من الأمور التي لم نذكرها مخافة التطويل: فاعلم أن هذا المنزل يتضمن علم علل هذه الموازين التي ذكرناها، وفيه علم ما يستحقه الرب من التعظيم، وفيه علم الآخرة الذي بين الدنيا ونزول الناس في منازلهم من الجنة والنار، وفيه علم البعث، وفيه علم بعض منازل الأشقياء والسعداء، وفيه علم الستور، وفيه علم الاصطلام، وفيه علم مراتب العالم العلوي والسفلي والطبيعيّ والروحانيّ، وفيه منزل القربة ولنا فيه جزء لطيف، وفيه علم المفاضلة، وفيه علم موازنة الجزاء، وفيه علم التخليص والامتزاج، وفيه معرفة الوصف الذي لا ينبغي أن يتصف به نبي وعصمة الولي من ذلك وهو عزيز، وفيه علم ما يكره في الدنيا ويمقت فاعله وهو محبوب في الآخرة وهو ذلك الفعل بعينه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني وثلاثمائة

في معرفة منزل ذهاب العالم الأعلى ووجود العالم الأسفل من الحضرة المحمدية والموسوية والعيسوية

[مجزوء الرجز]

مَنْزِلُ تَلْقينِ الحُجَجْ ... مَنْزِلُ مَنْ كان دَرَجْ
فلا تَكُنْ كمِثْلِ مَنْ ... إنْ فُتِحَ البابُ خَرَجْ
والزمْ وكُنْ كمِثْلِ مَنْ ... إن فُتِحَ البابُ وَلَجْ
مَنْ لاذَ بالله احْتَمَى ... ومن أَلَحَّ يَنْدَرِجْ
في كل ما تسألُهُ ... مِنْ كلِّ ضِيقٍ وفَرَجْ
قد قيل ذا في مَثَلِ ... بأنَّ مَنْ أَدْلَجَ حَجْ
في مثل هذا يا أخي ... تَفْنَى النفوسُ والمُهَجْ
كم من لَبِيبٍ هالكٍ ... في بَحْره وَسْطَ اللُّجَجْ
وما على نفس تَرَى ... فيه الهلاكَ مِنْ حَرَجْ

اعلم أن الغيب ظرف لعالم الشهادة وعالم الشهادة هنا كل موجود سوى الله تعالى مما وجد ولم يوجد أو وجد ثم ردّ إلى الغيب كالصور والأعراض وهو مشهود لله تعالى، ولهذا قلنا إنه عالم الشهادة ولا يزال الحق سبحانه يخرج العالم من الغيب شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهى عدداً من أشخاص الأجناس والأنواع، ومنها ما يردّه إلى غيبه، ومنها ما لا يرده أبداً، فالذي لا يردّه أبداً إلى الغيب كل ذات قائمة بنفسها وليس إلا الجواهر خاصة، وكل ما عدا الجواهر من الأجسام والأعراض الكونية واللونية فإنها تردّ إلى الغيب ويبرز أمثالها، والله يخرجها من الغيب إلى شهادتها أنفسها فهو ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [التوبة: ١٠٥] والأشياء في الغيب لا كمية لها إذ الكمية تقتضي الحصر فيقال: كم كذا وكذا؟ وهذا لا ينطلق عليها في الغيب فإنها غير متناهية، فكم وكيف والأين والزمان والوضع والإضافة والعرض وأن يفعل وأن ينفعل كل ذلك نسب لا أعيان لها فيظهر حكمها بظهور الجوهر لنفسه إذا أبرزه الحق من غيبه، فإذا ظهرت أعين الجواهر تبعتها هذه النسب فقيل: كم عين ظهرت؟ فقيل: عشرة أو أكثر أو أقل، فقيل: كيف هي؟ فقيل: مؤلفة فعرض لها الجسمية فصحت الكيفية بالجسمية وحلول الكون واللون، فقيل: أين؟ فقيل في الحيز أو المكان، فقيل: متى؟ فقيل: حين كان كذا في صورة كذا؟ فقيل: ما لسانه؟ فقيل: أعجمي أو عربيّ، فقيل: ما دينه؟ فقيل: شريعة كذا فقيل هل ظهر منه ما يكون من ظهور آباء كما ظهر هو من غيره؟ فقيل: هو ابن فلان، قيل: ما فعل؟ قيل: أكل، قيل: ما انفعل عن أكله؟ قيل: شبع. فهذه جملة النسب التي تعرض للجواهر إذا أخرجها الله من غيبه، فليس في الوجود المحدث إلا أعيان الجوهر والنسب التي تتبعه، فكان الغيب بما فيه كأنه يحوي على صورة مطابقة لعالمه، إذ كان علمه بنفسه علمه بالعالم، فبرز العالم على صورة العالم من كونه عالماً به فصورته من الجوهر ذاته، ومن الكم عدد أسمائه، ومن الكيف قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأمثال هذا فيما أخبر به عن نفسه كثير والأين كان الله في عماء وهو الله في السماء والزمان، كان الله في الأزل والوضع ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجميع الشرائع وضعه والإضافة خالق الخلق مالك الملك، وأن يفعل بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه، وأن ينفعل يدعى فيجيب، ويسأل فيعطي، ويستغفر فيغفر، وهذه كلها صورة العالم، ولك ما سوى الله قد ظهر على صورة موجده فما أظهر إلا نفسه، فالعالم مظهر الحق على الكمال فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ ليس أكمل من الحق تعالى، فلو كان في الإمكان أكمل من هذا العالم لكان ثم من هو أكمل من موجده وما ثم إلا الله، فليس في الإمكان إلا مثل ما ظهر لا أكمل منه فتدبر ما قلته فهو لباب المعرفة بالله.

ثم إن الله اختصر من هذا العالم مختصراً مجموعاً يحوي على معانيه كلها من أكمل الوجوه سماه آدم، وقال إنه خلقه على صورته، فالإنسان مجموع العالم وهو الإنسان الصغير، والعالم الإنسان الكبير أو سمِّ الإنسان العالم الصغير كيفما شئت إذا عرفت الأمر كما هو عليه

في نفسه وعينه فانسب إليه واصطلح كما تريد، فلا فضل للإنسان على العالم بجملته، والعالم أفضل من الإنسان لأنه يزيد عليه درجة وهي أن الإنسان وجد عن العالم الكبير فله عليه درجة السببية لأنه عنه تولد، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأن حوّاء صدرت من آدم فلم تزل الدرجة تصحبه عليها في الذكورة على الأنوثة، وإن كانت الأم سبباً في وجود الابن فابنها يزيد عليها بدرجة الذكورة لأنه أشبه أباه من جميع الوجوه، فوجب على الإنسان تعظيم أبويه، فأمه العالم بأسره وأبوه معروف غير منكور والنكاح التوجه فخرج الولد على صورة أبويه، ولما كان الولد لا يدعى إلا لأبيه ولا ينسب إلى أمه لأن الأب له الدرجة وله العلوّ فينسب إلى الأشرف، ولما لم يتمكن لعيسى عليه السلام أن ينسب إلى من وهبه لها بشراً سوياً أعطيت أمه الكمال وهو المقام الأشرف فنسب عيسى إليها فقيل عيسى ابن مريم، فكان لها هذا الشرف بالكمال مقام الدرجة التي شرف بها الرجال على النساء، فنسب الابن إلى أبيه لأجلها، وكمال مريم شهد لها بذلك رسول الله ﷺ ولآسية امرأة فرعون فأما كمال آسية فلشرف المقام الذي ادعاه فرعون فلم يكن ينبغي لذلك المقام أن يكون العرش الذي يستوي عليه إلا موصوفاً بالكمال فحصل لآسية الكمال بشرف المقام الذي شقي به فرعون ولحق بالخسران المبين وفازت امرأته بالسعادة، ولشرف المقام الذي حصل لها به الكمال قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] فما أنطقها إلا قوة المقام بعندك ولم تطلب مجاورة موسى ولا أحد من المخلوقين ولم يكن ينبغي لها ذلك فإن الحال يغلب عليها فإن الكامل لا يكون تحت الكامل فإن التحتية نزول درجة، ولما كان كمال مريم بعيسى في نسبته إليها لم تقل ما قالت آسية، آسية تقول: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] حتى لا تنتهك حرمة النسبة، ومريم تقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣] وهي بريئة في نفس الأمر عند الله فما قالت ذلك من أجل الله كما قالت آسية عندك فقدمته وطلبت جواره والعصمة من أيدي عداته ولكن قالت ذلك مريم حياء من الناس لما علمته من طهارة بيتها وآبائها فخافت من إلحاق العار بهم من أجلها.

ولما ذكرنا أن العالم كان مستوراً في غيب الله وكان ذلك الغيب بمنزلة الظل للشخص فلو سلخ من الظل جميعه أمر ما لخرج على صورة الظل والظل على صورة ما هو ظل له، فالخارج من الظل المسلوخ منه على صورة الشخص، ألا ترى النهار لما سلخ من الليل ظهر نوراً فظهرت الأشياء التي كانت مستورة بالليل ظهرت بنور النهار فلم يشبه النهار الليل وأشبه النور في ظهور الأشياء به، فالليل كان ظل النور والنهار خرج لما سلخ من الليل على صورة النور؟ كذلك العالم في خروجه من الغيب خرج على صورة العالم بالغيب كما قرّرناه، فقد تبين لك من العلم بالله من هذا المقام ما فيه كفاية إن عرفت قدره ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وأما مسألة روح صورة هذا العالم وأرواح صور العالم العلوي والسفلي فها أنا أبسطها لك في هذه المسألة من هذا المنزل في الدرجة الثامنة منه، فإن هذا المنزل يحوي على سبعة عشر صنفاً من العلم هذا أحدها فنقول: إن روح العالم الكبير هو الغيب الذي خرج عنه

فافهم، ويكفيك أنه المظهر الأكبر الأعلى إن عقلت وعرفت قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] وبعد أن بان لك روح العالم الكبير فبقي لك أن تعلم أرواح صور العالم هل هي موجودة عن صورة أو قبلها أو معها؟ ومنزلة الأرواح من صور العالم كمنزلة أرواح صور أعضاء الإنسان الصغير كالقدرة روح اليد والسمع روح الأذن، والبصر روح العين، فاعلم أن الناس اختلفوا في هذه المسألة على ما ذكرنا تفصيله، والتحقيق في ذلك عندنا أن الأرواح المدبرة للصور كانت موجودة في حضرة الإجمال غير مفصلة لأعيانها مفصلة عند الله في علمه، فكانت في حضرة الإجمال كالحروف الموجودة بالقوّة في المداد فلم تتميز لأنفسها وإن كانت متميزة عند الله مفصلة في حال إجمالها، فإذا كتب القلم في اللوح ظهر صور الحروف مفصلة بعدما كانت مجملة في المداد فقيل: هذا ألف وباء وجيم ودال في البسائط وهي أرواح البسائط، وقيل: هذا قام وهذا زيد وهذا خرج وهذا عمرو وهي أرواح الأجسام المركبة، ولما سوّى الله صور العالم أي عالم شاء كان الروح الكل كالقلم واليمين الكاتبة والأرواح كالمداد في القلم والصور كمنازل الحروف في اللوح، فنفخ الروح في صور العالم فظهرت الأرواح متميزة بصورها فقيل: هذا زيد وهذا عمرو وهذا فرس وهذا فيل وهذه حية وكل ذي روح وما ثم إلا ذو روح لكنه مدرك وغير مدرك، فمن الناس من قال: إن الأرواح في أصل وجودها متولدة من مزاج الصورة، ومن الناس من منع من ذلك، ولكل واحد وجه يستند إليه في ذلك، والطريقة الوسطى ما ذهبنا إله وهو قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وإذا سوّى الله الصور الجسمية ففي أية صورة شاء من الصور الروحية ركبها إن شاء في صورة خنزير أو كلب أو إنسان أو فرس على ما قدّره العزيز العليم، فثم شخص الغالب عليه البلادة والبهيمية، فروحه روح حمار وبه يدعى إذا ظهر حكم ذلك الروح فيقال: فلان حمار، وكذلك كل صفة تدعى إلى كتابها فيقال: فلان كلب، وفلان أسد، وفلان إنسان وهو أكمل الصفات وأكمل الأرواح، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] وتمت النشأة الظاهرة للبصر ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] من صور الأرواح فتنسب إليها كما ذكرنا وهي معينة عند الله فامتازت الأرواح بصورها. ثم إنه إذا فارقت هذه المواد فطائفة من أصحابنا تقول: إن الأرواح تتّجرد عن المواد تجرداً كلياً وتعود إلى أصلها كما تعود شعاعات الشمس المتولدة عن الجسم الصقيل إذا صدىء إلى الشمس، واختلفوا هنا على طريقين: فطائفة قالت: لا تمتاز بعد المفارقة لأنفسها كما لا يمتاز ماء الأوعية التي على شاطىء النهر إذا تكسرت فرجع ماؤها إلى النهر فالأجسام تلك الأوعية والماء الذي ملئت به من ذلك النهر كالأرواح من الروح الكل. وقالت طائفة: بل تكتسب بمجاورتها الجسم هيئات رديئة وحسنة فتمتاز بتلك الهيئات إذا فارقت الأجسام، كما أن ذلك الماء إذا كان في الأوعية أمور تغيره عن حالته إما في لونه أو رائحته أو طعمه، فإذا فارق الأوعية صحبه في ذاته ما اكتسبه من الرائحة أو الطعم أو اللون وحفظ الله عليها تلك الهيئات المكتسبة ووافقوا في ذلك بعض الحكماء وطائفة قالت الأرواح المدبرة لا تزال مدبرة في عالم الدنيا فإذا انتقلت إلى

البرزخ دبرت أجساداً برزخية وهي الصورة التي يرى الإنسان نفسه فيها في النوم، وكذلك هو الموت وهو المعبر عنه بالصور، ثم تبعث يوم القيامة في الأجسام الطبيعية كما كانت في الدنيا وإلى هنا انتهى خلاف أصحابنا في الأرواح بعد المفارقة. وأما اختلاف غير أصحابنا في ذلك فكثير وليس مقصودنا إيراد كلام من ليس من طريقنا.

واعلم يا أخي تولاك الله برحمته أن الجنة التي يصل إليها من هو من أهلها في الآخرة هي مشهودة اليوم لك من حيث محلها لا من حيث صورتها، فأنت فيها تتقلب على الحال التي أنت عليها ولا تعلم أنك فيها فإن الصورة تحجبك التي تجلت لك فيها، فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنه الناس يرون ذلك المحل إن كان جنة روضة خضراء، وإن كان جهنماً يرونها بحسب ما يكون فيه من نعوت زمهريرها وحرورها وما أعد الله فيها، وأكثر أهل الكشف في ابتداء الطريق يرون هذا، وقد نبه الشارع على ذلك بقوله: «**بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**» فأهل الكشف يرونها روضة كما قال، ويرون نهر النيل والفرات وسيحان وجيحان نهر عسل وماء وخمر ولبن كما هو في الجنة، فإن النبي ﷺ أخبر أن هذه الأنهار من الجنة، ومن لم يكشف الله عن بصره وبقي في عمى حجابه لا يدرك ذلك مثل الأعمى يكون في بستان فما هو غائب عنه بذاته ولا يراه. فلم يلزم من كونه لا يراه أنه لا يكون فيه؟ بل هو فيه، وكذلك تلك الأماكن التي ذكر رسول الله ﷺ أنها من النار كبطن محسر بمنى وغيره ولهذا شرع الإسراع في الخروج عنه لأمته فإنه ﷺ يرى ما لا يرون ويشهد ما لا يشهدون، ومن الناس من يستصحبه هذا الكشف، ومنهم من لا يستصحبه على ما قد أراده الله من ذلك لحكمة أخفاها في خلقه، ألا ترى أهل الورع إذا حماهم الله عن أكل الحرام من بعض علاماته عندهم أن يتغير في نظره ذلك المطعوم إلى صورة محرّمة عليه فيراه دماً أو خنزيراً مثلاً فيمتنع من أكله، فإذا بحث عن كسب ذلك الطعام وجده مكتسباً على غير الطريقة المشروعة في اكتسابه؟ فلأهل الله تعالى أعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها، وقلوب يعقلون بها، وألسنة يتكلمون بها غير ما هي هذه الأعين والآذان والقلوب والألسنة عليه من الصورة، فبتلك الأعين يشهدون، وبتلك الآذان يسمعون، وبتلك القلوب يعقلون، وبتلك الألسنة يتكلمون فكلامهم مصيب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] عن الحق والأخذ به ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] عن الله ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله، ووالله إن عيونهم لفي وجوههم، وإن سمعهم لفي آذانهم، وإن ألسنتهم لفي أفواههم، ولكن العناية ما سبقت لهم ولا الحسنى، فالحمد لله شكراً حيث أحيانا بتلك القلوب والألسن والآذان والأعين. ولقد ورد في حديث نبوي عند أهل الكشف صحيح وإن لم يثبت طريقه عند أهل النقل لضعف الراوي ولو صدق فيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلاَ تَزْيِيدٌ فِي حَدِيثِكُمْ وَتَمْرِيجٌ فِي قُلُوبِكُمْ لَرَأَيْتُمْ مَا أَرَى وَلَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ**» قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وأكثر من هذا البيان الصريح ما يكون لكن أين من يفرّغ محله لآثار ربه؟ أين من ينقل ما يسمع من غير زيادة فيه؟ هذا قليل جدّاً والله ولي التوفيق.

واعلم أن هذا المنزل يتضمن علم التحليل وعلم ما يحصل لأهل النار في النار من العلوم إذا دخلوها، وعلم ما يعطيه عالم الطبيعة من الأسرار الإلهية التي لا تعلم من غيره، وعلم السابقة واللاحقة وهي العاقبة، وعلم تركيب البراهين الوجودية، وعلم الإيجاد الروحانيّ والصوري، وعلم السبب المؤدّي إلى الشقاء، وعلم ما يبقى به نظام العالم وحفظ صورته عليه، وعلم التجلي في الحجاب، وعلم الأحكام الإلهية على غير طريق الشارع، وعلم توحيد الأفعال، وعلم إلحاق الأعالي بالأسافل والأسافل بالأعالي وهو أو قريب منه علم التحام الأباعد بالأداني والأداني بالأباعد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث وثلاثمائة

في معرفة منزل العارف الجبرئيليّ من الحضرة المحمدية

[البسيط]

للشَّمْسِ في الفَلَكِ الأَقْصَى عَلامَاتُ ... يَدْري بذلك أقوامٌ إذا مَاتُوا
تَسْري به أنفُسٌ مُثْلَى مطهَّرةٌ ... لا تَنْجَلي لهم إلاّ إذا بَاتُوا
من الخُمُور سُكَارى في مَحَارِبِهِمْ ... وما لهم في وُجُودِ السُّكْرِ نِيَّاتُ
فلو أراد زَوَالَ السُّكْرِ صَحْوُهُمُ ... تُتْلَى عليهم من القرآن آيَاتُ

اعلم أيدك الله أن من الأرواح العلوية السماوية المعبر عنها بالملائكة مقدمين لهم أمر مطاع فيمن قدموا عليه من الملأ الأعلى وهم أصحاب أمر لا أصحاب نهي ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقد نبه الله تعالى على أن جبريل عليه السلام منهم بقوله﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] ولا يكون مطاعاً إلا من له الأمر فيمن يطيعه. فاعلم أن العارف إذا كان يمدّه من الملأ الأعلى روح من هذه الأرواح الآمرة التي لها التقدّم على غيرها كإسرافيل وإسماعيل وعزرائيل وجبريل وميكائيل والنور والروح وأمثالهم، فإن العارف يكون له أثر في العالم العلويّ والسفليّ بقدر مرتبة ذلك الروح الذي يتولاه من هناك، فمن تولاه إسرافيل يكون له من الأثر بحسب مرتبة إسرافيل وما يكون تحت نظره وأمره، وكذلك كل روح بهذه المثابة له رجل أو امرأة على مقامه وهو الذي تسمعونه من الطائفة من أن فلاناً على قلب آدم أو جماعة على قلب آدم وجماعة على قلب إبراهيم أي لهم من المنازل ما لإبراهيم وآدم من مقام الولاية التي لهم لا من مقام النبوّة وإن كان لهم منها شرب فمن بعض مقاماتها لا كلها كالرؤيا جزء من أجزاء النبوّة وغيرها، وأما النبوّة بالجملة فلا تحصل إلا لنبيّ، وأما الوليّ فلا إلا أن يكون له من ظهره تمده وتقويه وتؤيده، هكذا أخذتها مشاهدة من نفسي وأخبرت أن كل وليّ كذا يأخذها من المكملين في الولاية ويترجم عنها ولكن من حجاب الظهر، ويكون للنبيّ من الفوق أو من الأمام تنزل على قلبه أو يخاطب بها في سمعه، فالولي يجد أثرها ذوقاً وهو فيها كالأعمى الذي يحس بجانبه شخص ولا يعرف من هو ذلك الشخص، ولهذا تقول الطائفة: لا يعرف الله إلا الله، ولا النبيّ إلا النبيّ، ولا الوليّ إلا وليّ مثله، فالنبيّ

ذو عين مفتوحة لمشاهدة النبوّة، والوليّ ذو عين مفتوحة لمشاهدة الولاية ذو عين عمياء لمشاهدة النبوّة فإنها من خلفه، فهو فيها كحافظ القرآن لأنه من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوّة بين جنبيه ولم يقل في صدره ولا بين عينيه ولا في قلبه فإن تلك رتبة النبيّ لا رتبة الوليّ. وأين الاكتساب من التخصيص؟ فالنبوّة اختصاص من الله يختص بها من يشاء من عباده، وقد أغلق ذلك الباب وختم برسول الله محمد ﷺ والولاية مكتسبة إلى يوم القيامة، فمن تعمل في تحصيلها حصلت له، والتعمُّل في تحصيلها اختصاص من الله يختص برحمته من يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] كما قال تعالى: ﴿نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فبنور النبوّة تكتسب الولاية، فالأولياء هم ولاة الحق على عباده والخواص منهم الأكابر يقال لهم رسل وأنبياء، ومن نزل عنهم بقي عليه اسم الولاية، فالولاية الفلك المحيط الجامع للكل، فهم وإن اجتمعوا في منصب الولاية فالولاة لهم مراتب، فالسلطان وال على الخلق، والقاضي وال، والمحتسب وال، وأين رتبة السلطان من مرتبة صاحب الحسبة؟ وكلهم لهم الأمر في الولاية، وهكذا ما ذكرناه في حق الأنبياء والرسل والأقطاب كل وليّ على مرتبته، فالسلطنة لا تحصل بالكسب جملة وما عداها يتعمل في تحصيلها، فثم وال يقدم للسلطان خدمة من مال أو متاع فيوليه السلطان المنصب الذي يليق به وخدم عليه وهو بمنزلة من تحصل له الولاية من عند الله بالصدقة والقرض الحسن وصلة الرحم، ومن الناس من يلازم خدمة السلطان في ركوبه وخروجه ويتعرّض له، فإذا أمر السلطان بأمر يفعل ما لم يعين أحداً بادر هذا الشخص لا متثال أوامر السلطان، فيراه السلطان ملازماً مشاهدته مبادراً لأوامره فيوليه، فهذا بمنزلة من تحصل له الولاية من الله بمراقبته والمبادرة لأوامر الله التي ندب إليها لا التي افترضها عليه وهو قوله: «**وَلاَ يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَمُؤَيِّداً**» فهذا معنى الكسب في الولاية. وكذلك من تعرّض للسلطان وخدمه عن أمره وواجهه بالأمر فرأى محافظته على الأوامر السلطانية التى أوجبها عليه لا يغفل عنها ولا يتأوّلها بل يأخذها على الوجوب ويسارع إليها ويسبق إلى امتثالها حين يبطىء عنها ويتأوّلها من هو معه في رتبته فيرى له السلطان ذلك فيوليه ويعطيه النيابة عنه في رعيته، كذلك المسارع إلى ما أوجب الله عليه من الطاعات وافترضها عليه وأخذ أوامره على الوجوب ولم يتأوّل عليه كلامه ولا أمره فإن الله يصطفيه ويوليه أكبر ولاياته، وقد عرفت الكسب ومحله والاختصاص وأهله فاسلك عليه فهو الباب الذي من دخل عليه نجا وتولى ودنا وتدلى ونودي بالأفق الأعلى.

واعلم أن الوليّ الذي تمتد إليه رقيقة روحانية جبرئيلية هو من الأمناء الذين لله تعالى في خلقه الذين لا يعرفون في الدنيا، فإذا كان في الآخرة وظهرت منزلته هناك وما كان ينطوي عليه في هذه الدار مما لا يعرف هنا فإنه كان إما تاجراً في السوق أو بائعاً صاحب حرفة أو صنعة أو والياً من ولاة المسلمين من حسبة أو قضاء أو سلطنة وبينه وبين الله أسرار لا تعرف منه، فيقال عنه يوم القيامة عند ظهور ما كان عنده في الآخرة إن لله أمناء حيث كان هذا عندهم

وما ظهروا به في الدنيا حين ظهر غيرهم بما أعطاه الله من الكشف بالكلام على الخواطر أو على الأرض واختراق الهواء والمشي على الماء والأكل من الكون وما ظهر عليه شيء من ذلك وهو في قوّته وتحت تصريفه، وأبى أن يكون إلا على ما هم عليه عامة المسلمين ألا وهم الملامية من أهل هذا الطريق خاصة كبيرهم وصغيرهم، فيكون هذا الشخص في الأمة المحمدية كجبريل في الأمة الملكية مطاع الباطن، فإن جبريل روح وله الباطن غير مطاع في الظاهر لو أمر لكنه لا يأمر فإنه ما امتاز عن العامة بشيء، فلو امتاز عندهم بخرق عادة تظهر منه مما لا يقتضيها الموطن عظم وامتثل أمره للتفوق الذي ظهر له على العامة، فهذا سبب ردّ أمره لو أمر لكنه لا يأمر ولكنه في الباطن مطاع الأمر، ورأينا من هؤلاء جماعة مثل عبد الله بن تاخمست ومثل ابن جعدون الحناوي وهو من الأوتاد كان كبير الشأن، فهذا العارف الذي له هذا المقام الذي ذكرناه له التمكن من نفسه، ومن مكن من نفسه فهو أقوى خلق الله فإن النفس تريد الظهور في العالم بالربوبية، وصاحب هذا المقام قد خلع الله عليه من أوصاف السيادة وقواه بحيث أن يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء لمكانته من ربه، فكان من قوّته أنه ملك نفسه فلم يظهر عليه من ذلك شيء لا في أقواله ولا في أفعاله ولا عبادته، وهو ممن نص عليه رسول الله ﷺ في الحديث الحسن الغريب: «حين خَلَقَ اللهُ الجبالَ عند مَيْدِ الأرْض فَرَسَتْ وسَكَنَ مَيْدُها فقالت الملائكة: يا ربَّنا هل خلقت شيئاً أشدّ من الجبال؟ قال: نَعَم الحديد، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشدّ من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشدّ من النار؟ قال: نعم الماء، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الماء؟ قال: نعم الهواء، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الهواء؟ قال: المؤمن يتصدّق بيمينه لا تعرف بذلك شماله؛ أو قال: فيخفيها عن شماله». وهذه حالة من ذكرنا، وقد وصفه رسول الله ﷺ بالقوّة وأن له منها أكثر مما ذكره من الأقوياء، فإن النفس مجبولة على حب الرياسة على جنسها هذا في أصل جبلتها وخلقها ومن قيل له اخرج عن جبلتك وطبعك فقد كلف أمراً عظيماً فسبحان من رزقهم من القوّة بحيث أن هان عليهم مثل هذا، وسبب ذلك أنه أعطاهم من المعرفة بالله التي خلقوا لها ما شغلهم الوفاء بحق العبودة عن مثل هذا، فهم على الطريقة المثلى التي اختارها الله لعباده ولهم المكانة الزلفى بثبوتهم عليها مكرمون عند الله، وهذا العارف الذي بهذه المثابة من الأفراد الذين أفردهم الحق إليه واختصهم له وأرخى الحجاب حجاب العادة بينهم وبين الخلق فاستخلصهم لنفسه ورضي عنهم ورضوا عنه، وأعطى صاحب هذا المقام من القوى المؤثرة في العالم الأعلى والأسفل ألفاً ومائتي قوّة، قوّة واحدة منها لو سلطها على الكون أعدمته، ومع هذا التمكنْ من هذه القوى إذا نزل الذباب عليه لا يقدر على إزالته حياء من الله ومعرفة، فأما المعرفة التي له فيه فإن ذلك الذباب رسول من الحق إليه وهو الذي أنزله عليه فهو يراقب ما جاءه به من العلم، فإذا فرغ من رسالته، إن شاء نهض إن استدعاه خالقه وإن شاء أقام فيكون هذا العارف كرسيّ ذلك الرسول الذبابيّ، فهذا سبب تركه إياه ولا يشرده عن نفسه كما تفعله العامة للمعرفة، . وأما الحياء من الله فإن

في إزالة الذباب راحة للنفس ونعيماً معجلاً وما خلق الله الإنسان في هذه الدار للراحة والنعيم وإنما خلق لعبادة ربه فيستحي أن يراه الله في طلب الراحة من أذى الذباب حيث أن الموطن لا يقتضيه.

فإن قلت: فالمتنعم في الدنيا المباح له التنعم في الحلال؟ قلنا: لا نمنع ذلك في حق غير العارف ولكن العارف تحت سلطان التكليف، فما من نعمة ينعم الله بها عليه باطنة كانت أو ظاهرة إلا والتكليف من الله بالشكر عليها يصحبها، فذلك التكليف ينغص على العارف التنعم بتلك النعمة لاشتغاله بموازنة الشكر عليها، وإذا وفى الشكر عليها فالوفاء به نعمة من الله عليه يجب عليه الشكر عليها، فلا يزال متعوب الخاطر في إقامة الوزن بالقسط أن لا يخسر الميزان، ومن هذه حالته كيف ينعم؟ فظاهرها نعمة وباطنها غصص، وهو لا يبرح يتقلب في نعم الله ظاهراً وباطناً ولا تؤثر عنده إلا ألماً وتنغيصاً، والعامة تفرح بتلك النعم وتتصرّف فيها أشراً وبطراً، والعارف مسدود عليه في الدنيا باب الراحة في قبله، وإن استراح في ظاهره فهو يموت في كل نفس ألف موتة ولا يشعر به، يقول عمر بن الخطاب: «ما ابتلاني الله بمصيبة إلا رأيت لله عليّ فيها ثلاث نعم: إحداها: أن لم تكن في ديني، الثانية: حيث لم تكن أكبر منها، الثالثة: ما وعد الله عليها من الثواب». ومن كان في مصيبة واحدة يرى ثلاث نعم فقد انتقل ألى مصيبة أعظم من تلك المصيبة، فإنه يتعين عليه إقامة ميزان الشكر على ثلاث نعم فابتلاه الله بمصيبة واحدة ليصبر عليها، وابتلته معرفته في تلك المصيبة بثلاث مصائب كلفه الله الشكر عليها حيث أعلمه بتلك النعم في تلك المصيبة الواحدة، فانظر إلى معرفة عمر رضي الله عنه كيف أوجب على نفسه مثل هذا، وانظر إلى ما فيها من الأدب حيث عدل عن النظر فيها من كونها مصيبة إلى رؤية النعم فتلقاها بالقبول لأن النعمة محبوبة لذاتها فرضي، فكان له مقام الرضا والاستسلام والتفويض والصبر والاعتماد على الله، وأين الناس من هذا الذوق الشريف. ولم يحكم أحد من الأولياء ولا قام فيه مثل هذا المقام مثل أبي بكر الصدّيق إلا من لا أعرفه فإنه رضي الله عنه ما ظهر قط عليه مما كان عليه في باطنه من المعرفة شيء لقوته إلا يوم مات رسول الله ﷺ وذهلت الجماعة وقالوا ما حكي عنهم؛ إلا الصديق فإن الله تعالى وفقه لإظهار القوة التي أعطاه لكون الله أهله دون الجماعة للإمامة والتقدم، والإمام لا بد أن يكون صاحياً لا يكون سكران، فقامت له تلك القوّة في الدلالة على أن الله قد جعله مقدم الجماعة في الخلافة عن رسول الله ﷺ في أمته كالمعجزة للنبي ﷺ في الدلالة على نبوّته فلم يتقدم ولا حصل الأمر إلا له عن طوع من جماعة وكره من آخرين، وذلك ليس نقصاً في إمامته كراهة من كره فإن ذلك هو المقام الإلهيّ والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] فإذا كان الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء يسجد له كرهاً فكيف حال خليفته ونائبه في خلقه وهم الرسل؟ فكيف حال أبي بكر وغيره؟ فلا بد من طائع وكاره يدخل في الأمر على كره لشبهة تقوم عنده إذا كان ذا دين أو هوى نفس إذا لم يكن له دين، فأما من كره إمامته من الصحابة رضي الله عنهم فما كان عن هوى نفس نحاشيهم من ذلك على

طريق حسن الظنّ بالجماعة، ولكن كان لشبهة قامت عندهم رأى من رأى ذلك أنه أحق بها منه في رأيه وما أعطته شبهته لا في علم الله، فإن الله قد سبق علمه بأن يجعله خليفة في الأرض، وكذلك عمر وعثمان وعليّ والحسن، ولو تقدم غير أبي بكر لمات أبو بكر في خلافة من تقدمه، ولا بد في علم الله أن يكون خليفة فتقدمهم بالزمان بأنه أوّلهم لحوقاً بالآخرة، فكان سبب هذا الترتيب في الخلافة ترتيب أعمارهم، فلا بد أن يتأخر عنها من يتأخر مفارقته للدنيا ليلي الجميع ذلك المنصب، وفضل بعضهم على بعض مصروف إلى الله هو العالم بمنازلهم عنده، فإن المخلوق ما يعلم ما في نفس الخالق إلا ما يعلمه به الخالق سبحانه، وما أعلم بشيء من ذلك فلا يعلم ما في نفسه إلا إذا أوجد أمراً علمنا أنه لولا ما سبق في علم الله كونه ما كان، فالله يعصمنا من الفضول إنه ذو الفضل العظيم. فبهذا قد أبنت لك منزلة العارف من هذا المنزل على غاية الاختصار بطريق التنبيه والإيماء، فإن المقام عظيم فيه تفاصيل عجيبة فلنذكر فهرست ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم:

فمن ذلك علم ذهاب النور الأعظم وبقاء حكمه وهو من أعجب الأشياء وجود الحكم مع عدم عين الحاكم، ويتعلق بهذه المسألة فقد النبي ﷺ وبقاء شريعته في المكلفين إلا في مذهب من يقول إن الشارع هو الله وهو موجود، وفيه علم طموس العلوم وما سببها، ومنها سبب عزل أهل المراتب من مراتبهم مع وجود الأهلية منهم ولماذا عزلوا وهم يستحقونها وهل يصح هذا العزل أم لا مع وجود الأهلية؟ وهل للسلطان عزل القاضي العادل إذا ولاه أو لا ينعزل في نفس الأمر إذا جار عليه السلطان وأخره عن الحكم؟ فإن حكم وهو بهذه المثابة هل ينفذ حكمه شرعاً أو لا ينفذ؟ وبعد أن يحكم وهو بهذه المثابة لشخص بأمر ما فيأبى السلطان إمضاءه ويطلب الخصم المحكوم عليه الرجوع إلى القاضي الذي ولاه السلطان فيظهر عند القاضي الثاني أن الحكم للذي كان الحكم عليه عند الأوّل هل لهذا المحكوم له عند القاضي الثاني أن يأخذ ما حكم له به مما كان قد انتزعه منه خصمه بالحاكم الأول أم لا؟ وهل يصح قضاء هذا الثاني أم لا؟ وإن صح فهل هو مستقل فيه كالأوّل أو هو كالنائب عن الأوّل إلا أنه بأمر سلطانيّ أو ينعزل الحاكم الأوّل إذا عزله السلطان من هذا المنزل يعرف ذلك؟ ومن أراد تحقيق هذه المسألة ودليلها فلينظر في النسخ الوارد في الشريعة الواحدة فيصح العزل، ومن نظر في حكم المشرّعين وأن الله ما عزل نبياً رسولاً عن رسالته بغيره في تلك الأمة التي له إلا بعد موته قال لا ينعزل فهو على حسب ما يكشف له فافهم.

ومن علو هذا المنزل علم الجور في العالم من أيّ حضرة صدر وما ثم إلا العدل المحض فمن أين هذا الجور؟ وأيّ حقيقة ترتبط به؟ وأيّ اسم يدل عليه؟ وذهاب الرجال الذين يحفظ الله بهم العالم وعلم نزول الكلم والهمم على مراكب الأعمال لم كان ذلك؟ وعلم البعث الأخرويّ هل هو عام في كل حيوان أو خاص بالإنس والجان؟ وما معنى قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وعلم الاستحالات العنصرية، وعلم ما يتولد عن تأليف الروح والجسم الطبيعيّ وهل الجسم للروح كالمرأة للبعل في النكاح لما يتولد بينهما أم لا؟

وهل الموت طلاق رجعيّ أو بائن؟ فإن العلماء قالوا: إن المرأة إذا ماتت كانت من زوجها كالأجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها، وذهب آخرون إلى بقاء حرمة الزوجية فله أن يغسلها وحاله معها كحاله في حياتها، فإن كان رجعياً فإن الأرواح تردّ إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث، وإن لم يكن رجعياً وكان بائناً فقد تردّ إليها ويختلف التأليف، وقد تنشأ لها أجسام أخر لأهل النعيم أصفى وأحسن ولأهل العذاب بالعكس، وعلم كلام الأطفال من أين ينطقون؟ ومن ينطقهم؟ مثل كلام عيسى في المهد، وصبيّ يوسف عليه السلام، وجريج.

وأما أنا فرأيت في زماننا شخصاً شاباً اسمه والله أعلم عبد القادر بمدرسة ابن رواحة بمدينة دمشق فجاء وسلم فأخبرني عنه جماعة منهم الزكيّ ابن رواحة صاحب المدرسة قالوا: إن أمّ هذا الشاب لما كانت حاملة به عطست فحمدت الله فقال لها من جوفها: يرحمك الله بصوت سمعه كل من حضر هنالك. وأما أنا فكانت لي بنت ترضع وكان عمرها دون السنتين وفوق السنة لا تتكلم فأخذت ألاعبها يوماً فقلت لها: يا زينب فأصغت إليّ فقلت لها: إني أريد أن أسالك عن مسألة مستفتياً ما قولك في رجل جامع امرأته ولم ينزل ماذا يجب عليه؟ قالت لي: يجب عليه الغسل بكلام فصيح وأمّها وجدّتها يسمعان فصرخت جدّتها وغشي عليها.

وعلم النشر بعد الطي كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وعلم المحو والإثبات، وعلم تضاعف الأنوار، وعلم القرب الإلهية التي تعطي التجلي، وعلم الغيبة والحضور، وعلم النجوم، وعلم الزمان، وعلم تنزيل الشرائع وصفة من ينزل بها ومن تنزل عليه وهل هي من باب الاختصاص أم لا؟ وعلم التأييد والسلطان والنيابة عن الحق في العالم حتى الإنسان في نفسه، وعلم الكشف وما الحجاب الذي بين الناس وبين ما يكشفه هذا المكاشف وهل هو شرط في الطريق أم لا؟ وعلم رؤية الأرواح العلوية وعلامة الصدق فيمن يدعي رؤية الأرواح الصادق فيه من الكاذب، ولنا فيهم علامات تعرف من يصدق منهم ممن يكذب، وعلامات أخر لنا أيضاً في الصادق منهم إذا أخبر عمّا رأى هل هو مخبر عن الأرواح أنفسها أو عن خيالات قامت له فيتخيل أنه رأى الملك أو الجني وهو ما رأى إلا أمثلة في خياله قامت له لقوّة سلطان الخيال عليه خارجة عن وهمه، فلنا في مثل هؤلاء علامات فهو يصدق فيما يراه ويخطىء في الحكم أنه رأى ملكاً أو جاناً وذلك المرئي ليس بملك ولا جان، فهذا من خصائص علم هذا المنزل.

وعلم الوعيد ولماذا يرجع؟ ومن عارض القرآن من أين أتى عليه؟ كالحلاج حين دخل عليه عمرو بن عثمان المكي فقال له: يا حلاج ما تصنع؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن، فدعا عليه فكانت المشيخة تقول: ما أصيب الحلاج إلا بدعاء هذا الشيخ عليه، وكالمهذب ثابت بن عنتر الحلوي لقيته بالموصل سنة إحدى وستمائة عارض القرآن وسمعته يتلو منه سوراً وكان في مزاجه اختلال إلا أنه كان من أزهد الناس وأشرفهم نفساً ومات في تلك السنة.

وفي هذا المنزل علم المشيئة المحدثة هل لها أثر في الأفعال كما تقوله الأشاعرة في مسألة الكسب أو لا أثر لها؟ وهل هي مظهر من مظاهر الحق أو تكون في وقت من مظاهر الحق وهي المشيئة التي ينفذ حكمها وفي أوقات لا تكون مظهر الحق فتكون قاصرة؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع وثلاثمائة

في معرفة منزل إيثار الغنى على الفقر من المقام الموسويّ وإيثار الفقر على الغنى من الحضرة العيسوية

[الوافر]

غِنَى نَفْسِ المُحَقّق مُسْتعارُ ... وفَقْرُ النفس ذُلٌّ وانْكِسَارُ
فلو أنّ الفقير يكونُ مَلْكاً ... لزار العالمين ولا يُزَارُ
ولو أن الغَنِيَّ يكونُ عَبْداً ... لكان له التَّقَدُّمُ والفَخَارُ
فحُكْمُ الجهل قد عَمَّ البرايا ... ولا تُدْرَى لحُكْمِ العلم دَارُ

ومن هذا المنزل أيضاً قولنا: [البسيط]

الكونُ أعمى لنَقْص كَامِنٍ فيهِ ... والنُّورُ ليس به نَقْصٌ فيُخْفِيهِ
لك الكمالُ ولي ضدُّ الكمال لِذَا ... بيني وبينك وَعْدٌ ما نُوَفِّيهِ
قد قلت إنّك معروفٌ بمعرفتي ... وبَحْرُ جهلي عقلي مُغْرَقٌ فيه
هَبْني من الحال ما قد كُنْتُ فيه لكم ... لا لي فإنّ حجابي في تَجَلِّيهِ
إني لأعْجَبُ مني حين أُسْرِيَ بي ... وكيف أثَّرَ قُرْبي في تَدَلِّيهِ
لولا دُنُوِّي لما قام التَّدَلُّلُ به ... وما أنا علَّةٌ فيما يُؤدّيهِ
فقُلْ لعلمك لا تفرحْ فما ظَفِرَتْ ... يداك إلا بجهل ظاهر فيه

ومن هذا المنزل أيضاً قولنا: [مخلع البسيط]

لولا دُنُوّي لما تَدَلَّى ... ولا تَدَانى ولا تَجَلَّى
فآبَ عنه وُجُودُ عَيْني ... وقد تعالى لما تَحَلَّى
فقُمْتُ في أرضه إماماً ... خليفةً سيِّداً مُعَلَّى
أحكمُ فيه بحُكْم رَبِّي ... وَهْوَ عن العين ما تَخَلَّى
فعندما تَمَّ لي مرادي ... ناديتُ مولاي قال مَهْلاَ
خُذْني إلى ما خَرَجْتُ منه ... فقال أهلاً بكم وسَهْلاَ

اعلم وفقك الله تعالى أن الله سبحانه يغار لعبده المنكسر الفقير أشد مما يغار لنفسه، فإنه طلب من عباده أن يغاروا لله إذا انتهكت حرماته، غير أن غيرتك لله تعود محمدتها عليك، وغيرته عز وجل لك تعود محمدتها أيضاً عليك، لا عليه، فهو سبحانه وتعالى يثني

عليك بغيرته لك ويثني عليك بغيرتك له، فأنت المحمود على كل حال وبكل وجه، وهذا الفصل أرفع مقام يكون للعبد ليس وراءه مقام أصلاً، فينبغي للعبد أن يغار لنفسه في هذا المقام ولا بد فإن الله يغار له، فإذا حضر ملك مطاع نافذ الأمر وقد جاءك مع عظم مرتبته زائراً وجاءك فقير ضعيف في ذلك الوقت زائراً أيضاً، فليكن قبولك على الفقير وشغلك به إلى أن يفرغ من شأنه الذي جاء إليه، فإن تجلي الحق عند ذلك الفقير أعلى وأجل من تجليه في صورة ذلك الملك فإنك تعاين الحق في الملك المطاع تجلياً في غير موطنه اللائق به على غير وجه التنزيه الذي ينبغي له، أو أتى للعبد برتبة السيادة فإذا ظهر فيها وبها فقد أخل بها وأشكل الأمر على الأجانب فما عرفوا السيد من العبد إذا رأوه على صورته في مرتبته ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٨ ـ ٢٩] أي لا تأخذكم في الله لومة لائم، وكان سبب هذه الآية أن زعماء الكفار من المشركين كالأقرع بن حابس وأمثاله قالوا: ما يمنعنا من مجالسة محمد إلا مجالسته لهؤلاء الأعبد. يريدون بلالاً وخباب بن الأرت وغيرهما فكبر عليهم أن يجمعهم والأعبد مجلس واحد، وكان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان مثل هؤلاء فأمر أولئك الأعبد إذا رأوه مع هؤلاء الزعماء لا يقربوه إلى أن يفرغ من شأنهم، أو إذا أقبل الزعماء والأعبد عنده أن يخلو لهم المجلس، فأنزل الله هذه الآية غيرة لمقام العبودية والفقر أن يستهضم بصفة عز وتأله ظهر في غير محله، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا جالس هؤلاء الأعبد وأمثالهم لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يقومون من عنده ولو أطالوا الجلوس، وكان يقول ﷺ: «**إِنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أَحْبِسَ نَفْسِي مَعَهُمْ**» فكان إذا أطالوا الجلوس معه يشير إليهم بعض الصحابة مثل أبي بكر وغيره أن يقوموا حتى يتسرح رسول الله ﷺ لبعض شؤونه، فهذا من غيرة الله لعبده الفقير المنكسر، وهو من أعظم دليل على شرف العبودة والإقامة عليها وهو المقام الذي ندعو له الناس، فإن جميع النفوس يكبر عندهم رب الجاه ورب المال لأن العزة والغنى لله تعالى، فحيثما تجلت هذه الصفة تواضع الناس وافتقروا إليها، ولا يفرقون بين ما هو عز وغنى ذاتيّ وبين ما هو منهما عرضيّ إلا بمجرّد مشاهدة هذه الصفة، ولهذا يعظم في عيون الناس من استغنى عنهم وزهد فيما في أيديهم، فترى الملوك على ما هم عليه من العزة والسلطان كالعبيد بين يدي الزهاد وذلك لغناهم بالله وعدم افتقارهم إليهم في عزهم وما في أيديهم من عرض الدنيا، فإذا التمس الفقير من الغنيّ بالمال شيئاً من عز أو مال سقط من عينه بقدر ذلك مع كونه يبادر لقضاء حاجته حتى لو وزنت مرتبته في قلب الملك قبل طلب تلك الحاجة ووزنتها بعد طلب الحاجة نقصت عنها بقدر ما طلب، فصفة الحق تعالى حيثما ظهرت محبوبة مطلوبة عند الناس الذين لا يفرقون بين ظهورها عند من يستحقها وبين ظهورها عند من لا يستحقها، ولو علم هذا الجاهل أن أفقر الناس إلى المال أكثرهم مالاً وذلك أن صاحب

الفقر المدقع محتاج بالضرورة إلى ما يسد به خلته فهو فقر ذاتيّ والغنيّ بالمال مع كثرة ماله بحيث لو قسمه على عمره وعمر بنيه وحفدته لكفاهم ومع هذا يترك أهله وولده ويسافر بماله ويخاطر به في البحار والأعداء وقطع المفازات إلى البلاد القاصية شرقاً وغرباً في اقتناء درهم زائد على ما عنده لشدة فقره إليه، وربما هلك في طلب هذه الزيادة وغرق ماله أو أخذ، وربما استؤسر في سفره أو قتل، ومع هذه المعضلات كلها لا يترك سفراً في طلب هذه الزيادة، فلولا جهله وشدة فقره ما خاطر بالأنفس في طلب الأخس، فالفقير الزاهد يرى أن هذا الغنيّ أفقر منه بكثير وهو في فقره مذموم، وأن هذا الزاهد لولا غناه بربه عن هذه الأعراض لكان أشد حرصاً في طلبها من التجار والملوك، ولنا في هذا المعنى أبيات منها: [مخلع البسيط]

بـالـمـال يَـنْـقَـادُ كُـلُّ صَـعْـبِ ... مـن عَـالَـم الأرض والـسَّـمَـاءِ
يَـحْـسَـبُـهُ عَـالَـمٌ حـجـابـاً ... لـم يـعـرفـوا لـذَّةَ الـعَـطَـاءِ
لـولا الـذي فـي الـنـفـوسِ مـنـه ... لـم يُـجِـبِ الـلـهُ فـي دُعَـاءِ
لا تَـحْـسَـبِ الـمـالَ مـا تـراهُ ... مـن عَـسْـجَـدٍ مُـشْـرِقِ الـرَّاءِ
بـل هـو مـا كـنـتَ يـا بُـنَـيْـ ... يَ بـه غَـنِـيًّـا عـن الـسَّـواءِ
فـكُـنْ بـرَبِّ الـعـلا غـنـيّـاً ... وعَـامِـلِ الـحَـقَّ بـالـوَفَـاءِ

ولنا فيه أيضاً من قصيدة: [الكامل]

الـمَـالُ يُـصْـلِـحُ كُـلَّ شـيء فَـاسِـدِ ... وبـه يَـزُولُ عَـنِ الـجَـواد عِـثَـارُهْ

وهذه طريقة أغفلها أهل طريقنا، ورأوا أن الغنى بالله تعالى من أعظم المراتب، وحجبهم ذلك عن التحقق بالتنبيه على الفقر إلى الله الذي هو صفتهم الحقيقية، فجعلوها في الغنى بالله بحكم التضمين لمحبتهم في الغنى الذي هو خروج عن صفتهم، والرجل إنما هو من عرف قدره وتحقق بصفته ولم يخرج عن موطنه وأبقى على نفسه خلعة ربه ولقبه واسمه الذي لقبه به وسماه فقال: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فلرعونة النفس وجهالتها أرادت أن تشارك ربها في اسم الغنيّ، فرأت أن تتسمى بالغنى بالله وتتصف به حتى ينطلق عليها اسم الغنيّ وتخرج عن اسم الفقير، فانظر ما بين الرجلين، وما رأيت أحداً من أهل طريقنا أشار إلى ما ذكرناه أصلاً من غوائل النفوس المبطونة فيها إلا الله تعالى، فهو الذي نبه عباده عليها وبعد هذا فما سمعوا وتعاموا، وكم جهدت أن أرى لأحد في ذلك تنبيهاً عليه فما وجدت، وأسأل من الله تعالى أن لا يجعلنا ممن انفرد بها وأن يشاركنا فيها إخواننا من العارفين، وأما أصحابنا فإنهم أخذوها عنا وتحققوا بها في نفوسهم وما بقي عليهم فيها إلا التخلق بها وأن تكون صفتهم دائماً، ولكن بعد أن عرّفنا أولادنا فعرفوا هذه المرتبة وتنبهوا إلى ما جهل الناس من العارفين من ذلك فقد حصل لهم خير كثير منعهم هذا القدر أن يسيئوا الأدب مع الله تعالى. ومن إساءة الأدب في طريق الله تعالى وهو مما يستدرج الله به العارفين عزة الشيوخ على أتباعهم من المريدين بما افتقروا إليهم فيه من التربية وامتيازهم عنهم، فإن

الشيخ إذا لم يوف هذا المقام حقه يحجبه فقر المريد إليه عن فقره إلى ربه حالاً، ويكون مشهده عند ذلك غناه بالله، والغنى بالله يطلب العزة وحال المحقق صاحب هذا المقام إذا رأى المريدين يفتقرون إليه فيما عنده من الله شكر الله على ذلك حيث ألزم الله به فقراء إليه يثبتونه بصفة فقرهم إليه على فقره إليه الله تعالى، فإنه ربما لو لم يظهر صفة فقرهم إليه نسي فقره إلى الله تعالى، فهكذا هو حال الشيخ المحقق، فينظر هذا الشيخ المريدين المفتقرين إليه بعين من يثبته على طريقه لئلا تزل به القدم فيه، فهو كغريق وجد من يأخذ بيده كيف يكون حب ذلك الغريق فيه حيث أمسك عليه حياته فيرى هذا الشيخ حق المريد عليه أعظم من حقه على المريد، فالمريد هو شيخ الشيخ بالحال، والشيخ هو شيخ المريد بالقول والتربية، وإن كنت عاقلاً فقد نبهتك على الطريق الأنفس فاعمل عليه فما أبقيت لك في النصيحة. ولنا: [الخفيف]

أنا عَبْدٌ والذُّلُّ بالعَبْد أَوْلَى ... لا أُرَاني للْعِزِّ بالحَقِّ أَهْلا
فانظروني فكلّما قلتُ قولاً ... كان قَوْلِيَ حالاً وعقداً وفِعْلا
إنَّ غيري يقول إنِّيَ عَبْدٌ ... فإذا ما سَبَبْتُهُ قال مَهْلاَ

فيا أيها الولي الحميم لا تنسخ العلم بالظن، فأخسر الأخسرين من كانت حاله هذه عزة الإيمان أعلى وعزة الفقر أولى، فليكن شأنك تعظيم المؤمن الفقير على المؤمن الغني بماله العزيز بجاهه المحجوب عن نفسه، فإن الفقير المؤمن هو مجلى حقيقتك، وأنت مأمور بمشاهدة نفسك حذر الخروج عن طريقها، فالفقير المؤمن مرآتك ترى فيه نفسك، والمؤمن الغني بالمال عنك هو مرآة لك صدئت فلا ترى نفسك فيها فلا تعرف ما طرأ على وجهك من التغيير، فما عتب الله نبيه سدى بل أبان والله في ذلك عن أرفع طريق الهدى وزجر عن طريق الردى فقال كلا ردعاً وزجراً لحالة تحجبك عما ذكرته وقرّرته لك في هذه النصيحة فلا تعدل بالغنى والعزة مستحقهما وهو الله تعالى تكن من العلماء الكُمَّل الذين لم يدنسوا علمهم بغفلة ولا نسيان معذرة، وبعد أن أبنت لك عن الطريقة المثلى التي غاب عنها الرجال الذين شهد لهم بالكمال فاعلم أن الأحوال تملك الإنسان لا بد من ذلك، وإذا سمعت بشخص يملك الأحوال فإنه لا يملك حالاً ما إلا بحال آخر، فالحال الذي أوجب له ملك هذا الحال هو الحاكم عليه في الوقت فإن الوقت له، فإن بعض الناس غلط في هذه المسألة من أهل طريقنا، وجعلوا من الفروق بين الأنبياء عليهم السلام وبين الأولياء ملك الحال فقالوا الأنبياء يملكون الأحوال والأولياء تصرفهم الأحوال وهو غلط كبير من كل وجه، فإن الإنسان لا يخلو أبداً عن حال يكون عليه به يعامل وقته وهو الحاكم عليه.

واعلم أن الله قد قرّر في نفوس الأكابر من رجال الله تعظيم صفات الحق حيثما ظهرت، فإن ظهرت على من هي فيه بحكم العرض كان تعظيم هذا الرجل الولي لصفة الحق لا للمحل الظاهرة فيه، فإن غفل انحجب بالموصوف عن الصفة فعظمها من أجلها وينبغي أن لا يكون ذلك إلا فيمن ألبسه الحق إياها لا فيمن سرقها، فكان كلابس ثوبي زور كالمتشبع بما

لا يملك، وإذا عظم الولي صفة الحق إذا ظهرت له في شخص وبدت له صفته في شخص آخر أعرض عن صفته إعظاماً أن يعرض عن الحق بمشاهدة نفسه فلم يقصد إلا التعظيم، وينجر مع ذلك تعظيم المحل الذي ظهرت فيه صفة الحق وإن كان ليس مقصوداً للمعظم، ومع هذا فالذي نبهناك عليه أولى وأحق بالتقديم من هذا؛ وما أحسن قول النبي ﷺ حيث قال: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**» أو قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**» ومنازل الناس والله معلومة، ولم يقل كل أحد منزلته وإنما قال الناس فالصفة التي تعمهم هي التي أمر النبي ﷺ أن ننزلهم فيها وهي التي ذكرناها ونبهناك عليها من الذلة والافتقار، وكل ما ورد في القرآن من وصف الإنسان بما ليس له بحقيقة فإنما هو في مقابلة أمر قد ادعاه من ليس من أهله فقوبل به من جنسه ليكون أنكى في حقه، قال في ذلك عبد الله بن أبيّ ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فنخرج منها محمداً وأصحابه فجاء ولده فأخبر بذلك رسول الله ﷺ واستأذنه في قتل أبيه لما سمع الله يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وكان من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِأَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» فأضاف الله العزة لرسوله وللمؤمنين في مقابلة دعوى المنافقين إياها فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] لمن ينسبون العزة فكيف ينسبونها إلى غير الله من المؤمنين وما حظ الرسول والمؤمن منها، ولم يقل تعالى بإخراجهم وكذلك ما أخرجهم، بل هذا القائل لم يزل بالمدينة إلى أن مات ودفع لكفنه رسول الله ﷺ ثوبه جزاء ليد كانت له عند النبي ﷺ من جهة عمه العباس حين أسره في غزوة بدر فكساه هذا المنافق ثوبه فلم يبق للمنافق يوم القيامة مطالبة للنبي ﷺ. من أجل ذلك، إذا رأيت عارفاً قد وقع في مثل هذا فاعلم أنه ما قصد سوى تعظيم صفة الحق وتصغير نفسه، فإن كنت مثله في المقام أو أكبر منه فاذكره بما عرفتك به، وإذا كان هذا المقام لك وأنت شاهد له فبالضرورة تكون أكبر منه في تلك الحالة وإن كنت نازلاً عنه في غيرها، فعلى كل وجه ذكره، وإن كان حاله الإيمان في ذلك الوقت فإنه يقبل الذكرى، فإن انتهرك وقال لك لمثلي تقول هذا فاعلم أنه قد سقط من عين الله وقد حجبه الله عن عبوديته وعن الإيمان فاتركه فقد فعلت ما فرضه الله عليك وادع له فإن الله قد أعمى بصيرته عن سبيل الله.

واعلم أن هذه الصفة التي نبهتك عليها أعطتنا حالاً ومشاهدة من حضرة القدس فهي مقرّها ولا يتصف بها إلا من له عند الله أرفع المنازل، فإن كان رسولاً فأرفع المنازل في الرسالة، وإن كان نبياً فأرفع المنازل في النبوة، وإن كان ولياً فأرفع المنازل في الولاية، وإن كان مؤمناً فأرفع المنازل في الإيمان، وإن كان نصرانياً أو مجوسياً أو يهودياً أو معطلاً فهو في أرفع المنازل بها في صنفه وفي مقامه: [الكامل]

إنَّ الكبيرَ من الرجال هُو الَّذي ... لا يَدَّعِيهِ مُقَيَّداً ومُسَوَّدَا
ومُهَوَّداً ومُنَصَّراً ومُمَجَّساً ... ومُعَطِّلاً ومُشَرِّكاً ومُوَحِّدَا

ومُـنَـزِّهـاً ومُـشَـبِّـهـاً ومُـحَـيِّـزاً ومُـمَـكِّـنـاً ومُـزَوْجِـنـاً ومُـجَـسِّـدا
عَـمَّـتْ صـفـاتُ جـلالـه وجـمـالـه كُـلَّ الأنـام وكـان حـتـى يُـقْـصَـدَا
إن الـغَـيُـورَ هـو الـذي لا يَـنْـثَـنـي عـن نـفـسـه حَـالَ الـضـلالـة والـهُـدَى

وإن المحل الذي تقوم به هذه الصفة لا بد لصاحبها إن كان على أي ملة كان أو نحلة أن يرجع إلى دين الهدى ويسلم ويؤمن ويبادر إلى مكارم الأخلاق عن كشف محقق وعلم صحيح، فيكون أكمل الناس إيماناً وأعظمهم منزلة عند الله عارفاً بمنازل الرسل والأنبياء عليهم السلام وفضل بعضهم على بعض والأولياء والمؤمنين، فإن الصفة التي قادته إلى الإسلام أعظم الصفات عند الله قدراً في حق العبد، فتنزله المنازل العلية وترفعه في عليين ويتلقاه من الملائكة كل ملك كريم على الله محسن في عبادة ربه هو الذي ينزل إلى هذا العبد من عند الله للمناسبة التي بين هذا الملك وبينه فيأخذ بيده فيرفعه إلى منزل هذه الصفة في عليين، فلا يكون في صنفه أعلى منه منزلة إلا من عمل بعمله فإنه في درجته ومعه، ويكفي هذا القدر من هذا المنزل.

وأما ما يحوي عليه من المسائل والعلوم فعلم كفران النعم وتفاصيل الكفر وأين ينتهي كل كفر بصاحبه مثل كفر الآبق وتارك الصلاة والكافر ببعض ما أنزل الله وعلم البدو وعلم وضع الشرائع وعلم البرازخ وعلم البعث وعلم أقوات الأرض وأمر السموات وما يتولد بين السماء والأرض وبين توجهات الحق والكون وبين كل زوجين وعلم الإنسان والحيوان وعلم الساعة ولم سميت ساعة، وهل هي في كل لسان بهذا المعنى المفهوم من اسم الساعة أم لا؟ وهل للساعة صورة لها إدراك سمع وبصر وتميز أم لا؟ وعلم الصفات المقوّمة لكل مرتبة حتى يمتاز بها أهلها، وعلم الكتابين اللذين خرج بهما رسول الله ﷺ في يديه على أصحابه فقال ﷺ: «**إنَّ فِي الكِتَابِ الوَاحِدِ أَسْمَاءَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَفِي الكِتَابِ الآخَرِ أَسْمَاء أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ**» مع صغر حجم الكتابين وكثرة الأسماء، فيعلم من ذلك إيراد الكبير على الصغير من غير تصغير الكبير أو تكبير الصغير، وإلا فأي ديوان يحصر أسماء هؤلاء؟ ويعلم أن الأمر الذي يحيله العقل لا يستحيل نسبة إلهية، فتعلم أن الله قادر على المحال العقلي كإدخال الجمل في سم الخياط مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره، ويشاهد من هذا المنزل المقام الذي وراء طور العقل من حيث ما يستقل بإدراكه من كونه مفكراً، وإلا فعقل الأنبياء عليهم السلام والأولياء قبل هذا الأمر من كونه قابلاً لا من كونه ما ذكرناه، فللعقول حد تقف عنده وليس لله حد يقف عنده بل هو خالق الحدود فلا حد له سبحانه فهو القادر على الإطلاق. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس وثلاثمائة

في معرفة منزل ترادف الأحوال على قلوب الرجال من الحضرة المحمدية

[البسيط]:

حقائقُ الحقِّ بالأسماء والحالِ ... تُقَلِّبُ الكَوْنَ من حالٍ إلى حالِ
وليس يدري به إلا القُلوبُ وما ... للعَقْلِ فيه مَجالٌ دون إمْلالِ
يخالفُ العَقْلُ تَقْلِيبَ الوُجُودِ فما ... للعَقْلِ شيءٌ سوى قَيْدٍ وأغْلالِ
فالعقلُ يشهدُ ذاتاً لا انتقال لها ... عنها وقلبُك في تقليب أحْوَالِ
إنَّ المظاهرَ تقليبُ الإله لنا ... في نفسه وَهْوَ عندي عينُ إضْلالِ

اعلم وفقك الله أن هذا المنزل يحوي على علوم كثيرة، منها علم القوّة وهو الرمي بالقوس والدخول فيه وعقد الأصابع على الوتر والسهم وكيفية الإطلاق وسداد السهم والمناضلة، فإن الله تعالى ما اعتنى بشيء من آلة الحرب ما اعتنى بعلم الرمي بالقوس وأقامه في هذا المنزل مرتب المنازل بالاسم القوي وأمرنا في القرآن بالاستعداد به فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فقال رسول الله ﷺ: **«ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ»** وجعله في هذا المنزل على أربع مراتب، وأشهدها أصحاب الأذواق لهذه المنازل لحكمة علمها أهلها ليعلم الإنسان كيف يصيب الفعل ويؤثر من غير مباشرة من الاسم البعيد عن هذا الوصف، ومن هذا العلم ينكشف لك سر القدر وكيف تحكم في الخلائق ولماذا يرجع أصله؟ ولا دليل عليه إلا الرمي بالقوس وهو روح ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] للإيجاد، وروح المشيئة للإعدام.

ويحوي هذا المنزل على علم الأرواح المدبرة للأجسام العلوية والسفلية وما حكمها في الأجسام النورية وأن حكمها فيها تشكلها في الصور خاصة، كما أن حكمها في الأجسام الحيوانية الإنسانية التشكل في القوّة الخيالية مع غير هذا من الأحكام، فإن الأجسام النورية لا خيال لها بل هي عين الخيال والصور تقلباتها عن أرواحها المدبرة لها وهو علم شريف، وكما لا يخلو خيال الإنسان عن صورة كذلك ذات الملك لا تخلو عن صورة وهو علم شريف يحوي على أسرار كثيرة، وبيد هذه الأرواح تعيين الأمور التي يريدها الحق بهذه الأجسام كلها، فالإنسان عالم بجميع الأمور الحقية فيه من حيث روحه المدبر وهو لا يعلم أنه يعلم فهو بمنزلة الساهي والناسي والأحوال تذكره والمقامات والمنازل، وقد قالها الحكيم في التقسيم الرباعي وهو الرجل الذي يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه، وفي هذا المنزل علم الصيحتين اللتين بالواحدة منهما يصعق العالم أصحاب السماع وبالأخرى يفيقون فيفزعون إلى ربهم تسمى نفخة البعث ونفخة الفزع، وفيه علم القلوب وسرعة تقليبها، وفيه علم البصيرة والبصر وما يتجلى لكل واحد منهما، وفيه علم الإعادة وكيفيته وماذا يرد منه وما لا يرد، وفيه علم الدور والكور وهل يكون ذلك في الصور أو في الأعيان الحاملة للصور؟

وفيه علم اختصاص القيومية بالتبديل، وفيه علم الكلام الإلهيّ المسموع بالأذن لا المسموع بالقلب في المواد الثواني، وفيه علم الكبرياء الموجود في الثقلين خاصة ولما اختص بهما دون سائر الموجودات وما الحقيقة التي أعطتهما ذلك؟ وهل هو في الجنّ كما هو في الإنس؟ أو يختلف السبب فيكون سببه في الإنسان وجوده على الصورة الكاملة، ويكون في الجنّ كونه من نار وعلى من تكبر الإنسان وعلى من تكبر الجان، وفيه علم ما يزول به هذا الكبرياء من العالمين، وفيه علم الإعجاز وتفاضل الأمر المعجز وما يبقى منه وما لا يبقى، وهل له حد ينتهي إليه أم لا؟ ولماذا يرجع هل إلى الصرف أم لغير الصرف؟ فإن كان إلى الصرف فهل إذا انقضى زمان الدعوى في عين ذلك الفعل وانفصل المجلس هل يقدر المنازع على الإتيان بذلك؟ وإذا أتى هل يقدح في الدعوى الأولى من المتحدي أم لا يقدح؟ وفيه ما السبب المانع من الرجوع إلى الحق بعد العلم به؟ وهل ذلك علم أو ليس بعلم؟ وفيه علم ما يفرّ إليه الفار مما يهوله وإلى أين يفر مع علمه بأن الذي يفرّ إليه منه يفرّ فماذا يحركه ويدعوه إلى الفرار مع هذا العلم، وفيه علم الاعتبار ومن أهله ولماذا وضعه الله في العالم وأمر به وما المطلوب منه؟ وفيه علم الخلق ولماذا خلق هل من أجل الإنسان أو من أجل الحيوان أو من أجلهما؟ لو فيه علم الآخرة وما فيها في الموقف، وعلم الجنة والنار، وعلم الصفات التي تطلب كل واحدة منهما وفيه إباحة التشريع للإنسان بالأمر والنهي في نفسه لا في غيره، وأنه إن خالف ما تأمر به نفسه أو تنهى عوقب أو غفر له مثل ما هو حكم الشارع ومن أي حضرة صح له ذلك؟ وهل لها ذوق في النبوّة أو هي نبوّة خاصة لا نبوّة الأنبياء المحجورة؟ وفيه علم منتهى القيامة، وفيه علم طي الزمان. فهذا جميع ما يتضمنه هذا المنزل من أجناس العلوم وتحت كل جنس من العلوم وأنواعها على حسب ما تعطيها تقاسيم كل جنس ونوع منها، فلنذكر منها مسألة واحدة أو ما تيسر كما عملنا في كل منزل، والله المؤيد والعاصم لا رب غيره:

فمن الأحوال التي يتضمنها هذا المنزل حال الإنسان قبل أخذ الميثاق عليه وهو الحال الذي كان فيها ﷺ حين عرّف بنبوّته قبل خلق آدم عليه السلام، وقد ورد ذلك في الخبر عنه ﷺ: فقال: «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ**» فكان له التعريف في تلك الحالة، وذلك أن هذه النشأة الإنسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها إلى حين موتها التي يكون عليها في وجود أعيان أجسامها معلومة معينة في الأمر المودع في السموات لكل حالة من أحواله التي تتقلب فيها في الدنيا صورة في الفلك على تلك الحالة قد أخذ الله بأبصار الملائكة عن شهودها مكتنفة عند الله في غيبه معينة له سبحانه لا تعلم السموات بها مع كونها فيها، وقد جعل الله وجود عينها في عالم الدنيا في حركات تلك الأفلاك، فمن الناس من أعطي في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته، إما على غاياتها بكمالها، وإمّا يشهد صورة مّا من صوره وهو عين تلك المرتبة له في الحياة الدنيا فيعلمها فيحكم على نفسه بها، وهنا شاهد رسول الله ﷺ نبوّته ولا ندري هل شهد صورة جميع أحواله أم لا؟ فالله أعلم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢] وهذا من أمرها، وشأنها حفظ هذه الصور إلى وصول وقتها فتعطيها

مراتبها في الحياة الدنيا تلك الصورة الفلكية من غير أن تفقد منها ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. وهذه الصور كلها موجودة في الأفلاك التسعة وجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الأشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر، فتختلف صور الأشكال باختلاف المجلى والعين واحدة، فتلك صور المراتب حكمت على تلك العين كما حكمت أشكل المرايا على الصورة، فالعارف من عرف ذاته لذاته من غير مجلى، وإن كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب إذا نالها كما قال ﷺ وهو في المرتبة العليا: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ**» فلم تحكم فيه المرتبة، وقال في كل وقت وهو في مرتبة الرسالة والخلافة: «**إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته، وسبب ذلك أنه رأى لطيفته ناظرة إلى مركبها العنصريّ وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوّة الأفلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الإنسانيّ والحيوان والنبات والمعادن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلاً على كل من تولد منها وأنه مثل لهم وهم أمثال له فقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» ثم رأى افتقاره إلى ما تقوم به نشأته من الغذاء الطبيعيّ كسائر المخلوقات الطبيعية فعرف نفسه فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ ما أَخْرَجَكَ؟**» قال: الجوع، قال: «**وَأَنَا أَخْرَجَنِي الجُوعُ**» فكشف عن حجرين قد وضعهما على بطنه يشد بهما أمعاءه وكان يتعوذ من الجوع ويقول: إنه بئس الضجيع ﷺ فقد عرفت أن قوله ﷺ: «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ**» إنما كان هذا القول بلسان تلك الصورة التي فيها من جملة صور المراتب، فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة. فهذا من أحوال الخلق.

ولنا صور أيضاً فوق هذا لم نذكرها لأنه ليس لنا استرواح من قول شارع ولا من دليل عقلي نركن إليه في تعريفنا إياك بها فسكتنا عنها، وإلا فلنا صورة في الكرسي، وصورة في العرش، وصورة في الهيولى، وصورة في الطبيعة، وصورة في النفس، وصورة في العقل وهو المعبر عنهما باللوح والقلم، وصورة في العماء، وصورة في العدم، وكل ذلك معلوم مرئيّ مبصر لله تعالى، وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله إذا أراد إيجاد مجموعنا في الدنيا بكن فنبادر ونجيب إلى الخروج من حضرة العدم إلى حضرة الوجود فينصبغ بالوجود وهو قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] أي أذلاء خاضعون، ونحن في كل ما ذكرنا لنا حال نتميز به في ذلك المقام وحالنا هو عين صورتنا فيه، فما أوسع ملك الله وما أعظمه، وكل ما ذكرناه في جنب الله كلا شيء.

ومن الأحوال أيضاً التي ترد على قلوبنا حال كوننا في الميثاق الذي أخذه ربنا علينا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أنت ربنا فلولاك ما كان لنا وجود في صورة آدم العنصرية معينين مرئيين متميزين عند الله في علمه ورؤيته، وعندنا ما قلنا بلى أنت ربنا فأخلصنا له التوجه، وكيف لا نخلص ونحن في قبضته مشاهدة عين محصورين، والله بكلّ شيء محيط. فاعلم أن آدم عليه السلام لما أوجده الله وسواه كما سوّى الأفلاك وجميع الحضرات التي ذكرنا جعل لنا في

صورته صوراً مثل ما فعل فيما تقدم من المخلوقات ثم قبض على تلك الصور المعينة في ظهر آدم وآدم لا يعرف ما يحوي عليه، كما أنه كل صورة لنا في كل فلك ومقام لا يعرف بها ذلك الفلك ولا ذلك المقام وأنه للحق في كل صورة لنا وجه خاص إليه من ذلك الوجه يخاطبنا، ومن ذلك الوجه نرد عليه، ومن ذلك الوجه نقر بربوبيته، فلو أخذنا من بين يدي آدم لعلمنا فكان الأخذ من ظهره إذ كان ظهره غيباً له، وأخذه أيضاً معنا في هذا الميثاق من ظهره، فإن له معنا صورة في صورته فشهد كما شهدنا ولا يعلم أنه أخذ منه أو ربما علم، فإنه ما نحن على يقين من أنه لم يعلم بأنه أخذ منه ولا بأنا أخذنا منه، ولكن لما رأينا أن الحضرات التي تقدمته لا تعلم بصورنا فيها قلنا: ربما يكون الأمر هنا كذلك فرحم الله عبداً وقف على علم ذلك أنه علم آدم أو لم يعلم فليحق ذلك في هذا الموضع من هذا الكتاب، فإن بعد عن فهمك ما ذكرناه من تعداد الصور فقد ورد في الخبر المشهور الحسن الغريب: أَنَّ الله تَجَلَّى لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ اخْتَرْ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ قَالَ: فَبَسَطها فَإِذَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فَنَظَرَ إلى شَخْصٍ مِنْ أَضْوَئِهِمْ أَوْ أَضْوَئِهِمْ فَقَالَ: مَنْ هٰذا يَا رَبِّ؟ فَقَالَ الله لَهُ: هذا ابنك داود، فقال: يا رب كم كتبت له؟ فقال: أربعين سنة، فقال: يا رب وكم كتبت لي؟ فقال الله: ألف سنة، فقال: يا رَبِّ فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً، قالَ الله لَهُ: أنتَ وذاكَ فما زالَ يعدُّ لِنَفْسِهِ حَتَّى بَلَغَ تسعمائةٍ وأربعينَ سنةً فجَاءه مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فقالَ له آدمُ: إنه بقيَ لي ستونَ سنةً فأوْحَى الله إلى آدمَ: يا آدمُ إنَّكَ وَهَبْتَهَا لابنكَ دَاودَ فَجَحَدَ آدمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ قال رسول الله ﷺ: «**فَمِنْ ذٰلِكَ اليَوْمِ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ**» فهذا آدم وذريته صور قائمة في يمين الحق، وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يبصر صورته وصور ذريته في يد الحق فما لك تقرّ به في هذا الموضع وتنكره علينا؟ فلو كان هذا محالاً لنفسه لم يكن واقعاً ولا جائزاً بالنسبة إذ الحقائق لا تتبدل فاعلم ذلك، وأكثر من هذا التأنيس ما أقدر لك عليه فلا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وأخذ الله الصور من ظهر آدم وآدم فيهم وأشهدهم على أنفسهم بمحضر من الملأ الأعلى والصور التي لهم في كل مجلى: ألست بربكم؟ قالوا بلى، فشهد على نطقهم من حضر ممن ذكرنا بالإقرار بربوبيته عليهم وعبوديتهم له، فلو كان له شريك فيهم لما أقرّوا بالملك له مطلقاً، فإن ذلك موضع حق من أجل الشهادة، فنفس إطلاقهم بالملك له بأنه ربهم هو عين نفي الشريك، وإنما قلنا ذلك لأنه لم يجر للتوحيد هنا لفظ أصلاً ولكن المعنى يعطيه.

ولما كان الموت سبباً لتفريق المجموع وفصل الاتصالات وشتات الشمل سمي التفريق الذي هو بهذه المثابة موتاً فقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] أي كنتم متفرّقين في كل جزء من عالم الطبيعة فجمعكم وأحياكم ثم يميتكم أي يردكم متفرقين أرواحكم مفارقة لصور أجسامكم، ثم يحييكم الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] بعد مفارقة الدنيا وأن الله سيذكر عباده يوم القيامة بما

شهدوا به على أنفسهم في أخذ الميثاق فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] أي كما قبلنا حياة بعد موت وموتاً بعد حياة مرتين فليس بمحال أن نقبل ذلك مراراً، فطلبوا من الله أن يمن عليهم بالرجوع إلى الدنيا ليعملوا ما يورثهم دار النعيم، وحين قالوا هذا لم يكن الأمد المقدر لعذابهم قد انقضى، ولما قدر الله أن يكونوا أهلاً للنار وأنه ليس لهم في علم الله دار يعمرونها سوى النار قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] حتى يدخلوا النار باستحقاق المخالفة إلى أن يظهر سبق الرحمة الغضب فيمكثون في النار مخلدين لا يخرجون منها أبداً على الحالة التي قد شاءها الله أن يقيمهم عليها، وفيها يرد الله الذرية إلى أصلاب الآباء إلى أن يخرجهم الله إلى الحياة الدنيا على تلك الفطرة، فكانت الأصلاب قبورهم إلى يوم يبعثون من بطون أمهاتهم ومن ضلع آبائهم في الحياة الدنيا، ثم يموت منهم من شاء الله أن يموت، ثم يبعث يوم القيامة كما وعد. واختلف أصحابنا في الإعادة هل تكون على صورة ما أوجدنا في الدنيا من التناسل شخصاً عن شخص كما قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] بجماع وحمل وولادة في آن واحد للجميع وهو مذهب أبي القاسم بن قسي، أو يعودون روحاً إلى جسم وهو مذهب الجماعة؟ والله أعلم.

واعلم أن من الأحوال التي هي أمهات في هذا الباب فإن تفاصيل الأحوال لا تحصى كثرة ولكن نذكر منها الأحوال التي تجري مجرى الأمهات:

فمنها أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها وهو أن لا يعبدوا إلا الله فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله، فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله بل جعلوا آلهة على طريق القربة إلى الله ولهذا قال: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] فإنهم إذا سموهم بان أنهم ما عبدوا إلا الله، فما عبد كل عابد إلا الله في المحل الذي نسب الألوهية له فصح بقاء التوحيد لله الذي أقرّوا به في الميثاق وأن الفطرة مستصحبة، والسبب في نسبة الألوهية لهذه الصور المعبودة هو أن الحق لما تجلى لهم في أخذ الميثاق تجلى لهم في مظهر من المظاهر الإلهية فذلك الذي أجرأهم على أن يعبدوه في الصور، ومن قوة بقائهم على الفطرة أنهم ما عبدوه على الحقيقة في الصور وإنما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها من رتبة التقريب كالشفعاء، وهاتان الحقيقتان إليهما مآل الخلق في الدار الآخرة وهما الشفاعة والتجلي في الصور على طريق التحوّل، فإذا تمكنت هذه الحالة في قلب الرجل وعرف من العلم الإلهيّ ما الذي دعا هؤلاء الذين صفتهم هذا وأنهم تحت قهر ما إليه يؤولون تضرعوا إلى الله في الدياجي وتملقوا له في حقهم وسألوه أن يدخلهم في رحمته إذا أخذت منهم النقمة حدها وإن كانوا عمار تلك الدار فليجعل لهم فيها نعيماً به، إذ كانوا من جملة الأشياء التي وسعتهم الرحمة العامة، وحاشا الجناب الإلهيّ من التقييد وهو القائل بأن رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم، وإن كان شيئاً فهو تحت إحاطة الرحمة الإلهية الواسعة، وقد قال ﷺ: «**إنَّ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ الله عَلَيهِمْ وَسَلامُهُ تَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ إذا سُئِلُوا فِي الشَّفَاعَةِ إنَّ الله قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» وهذا من أرجى حديث يعتمد عليه في هذا الباب أيضاً، فإن اليوم الذي أشار إليه

الأنبياء هو يوم القيامة، ويوم القيامة هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] وفي ذلك اليوم يكون الغضب من الله على أهل الغضب، وأعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار وحلول العذاب والانتقام من المشركين وغيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة والذين يخرجهم الرحمن كما ورد في الصحيح ويدخلهم الجنة إذ لم يكونوا من أهل النار الذين هم أهلها ولم يبق في النار إلا أهلها الذين هم أهلها، فعمّ الأمر بدخول النار كل من دخلها من أهلها ومن غير أهلها لذلك الغضب الإلهيّ الذي لن يغضب بعده مثله، فلو سرمد عليهم العذاب لكان ذلك عن غضب أعظم من غضب الأمر بدخولها وقد قالت الأنبياء: إن الله لا يغضب بعد ذلك مثل ذلك الغضب، ولم يكن حكمه مع عظم ذلك الغضب إلا الأمر بدخول النار، فلا بد من حكم الرحمة على الجميع، ويكفي من الشارع التعريف بقوله: «**وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا**» ولم يقل أهل العذاب ولا يلزم من كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معذبين بها فإن أهلها وعمارها مالك وخزنتها وهم ملائكة وما فيها من الحشرات والحيات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيامة ولا واحد منهم تكون النار عليه عذاباً، كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون وكل من ألف موطنه كان به مسروراً وأشد العذاب مفارقة الوطن، فلو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا له، وأن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله أرحم الراحمين كما قال عن نفسه.

وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبلهم الله على الرحمة أنهم يرحمون جميع عباد الله حتى لو حكمهم الله في خلقه لأزالوا صفة العذاب من العالم بما تمكن حكم الرحمة من قلوبهم وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ونحن مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض، وقد قال عن نفسه جل علاه إنه أرحم الراحمين فلا نشك أنه أرحم منا بخلقه، ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة فكيف يتسرمد عليهم العذاب وهو بهذه الصفة العامة من الرحمة؟ إن الله أكرم من ذلك، ولا سيما وقد قام الدليل العقلي على أن الباري لا تنفعه الطاعات ولا تضره المخالفات، وأن كل شيء جَارٍ بقضائه وقدره وحكمه، وأن الخلق مجبورون في اختيارهم، وقد قام الدليل السمعيّ أن الله يقول في الصحيح: «يا عبادي» فأضافهم إلى نفسه، وما أضاف الله قط العباد لنفسه إلا من سبقت له الرحمة أن لا يؤبد عليهم الشقاء وإن دخلوا النار فقال: «**يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً**»، فقد أخبر بما دل عليه العقل أن الطاعات والمعاصي ملكه وأنه على ما هو عليه لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص ملكه مما طرأ عليه وفيه فإن الكل مُلكه ومِلكه، ثم قال من تمام هذا الخبر الصحيح: «**يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً**» الحديث، ولا شك أنه ما من أحد إلا وهو يكره ما يؤلمه طبعاً فما

من أحد إلا وقد سأله أن لا يؤلمه وأن يعطيه اللذة في الأشياء، ولا يقدح ما أومأنا إليه فيه قوله في الحديث إذا تعلق به المنازع في هذه المسألة إدخال لو في ذلك فإن السؤال من العالم في ذلك قد علم وقوعه بالضرورة من كل مخلوق، فإن الطبع يقتضيه والسؤال قد يكون قولاً وحالاً كبكاء الصغير الرضيع وإن لم يعقل عند وجود الألم الحسيّ بالوجع أو الألم النفسي بمخالفة الغرض إذا منع من الثدي، وقد أخذت المسألة حقها والأحوال التي ترد على قلوب الرجال لا تحصى كثرة، وقد أعطيناك منها في هذا الباب أنموذجاً وعلى هذا الأسلوب تكون الأحوال المنسوبة إلى الرجال. وأما الأحوال في نفوسها فلها الحكم العامّ في كل شيء ولها الوجود الدائم في كل شيء، ففعل الحال يسمى الدائم ويتعلق بالقديم والمحدث، قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] فهذا من الحال إن كنت تعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر العشرون من الفتوحات المكية.

[السفر الحادي والعشرون]

الباب السادس وثلاثمائة

في معرفة منزل اختصام الملأ الأعلى من الحضرة الموسوية

[البسيط]:

تَـخَـاصُـمُ الـمَـلإِ الـعُـلْـويّ بُـرْهَـانُ ... مَـعَ اعْـتِـرَاضٍ بَـدا مـنـهـم ونِـسْـيَـانُ
عـلـى تَـنَـاسُـبِـنـا فـي أصـل خِـلْـقَـتِـنَـا ... فـي الطَّـبْـعِ وَهْـوَ كـمـالٌ فـيـه نُـقْـصَـانُ
أَنَّ الـطـبـيـعـة دون الـنـفـس مَـوْضِـعُـهَـا ... فـحُـكْـمُـهَـا فـي الـهَـبـاء الـكـل جُـثْـمَـانُ
وإنْ تَـولَّـدَ عـن روح وعـن فَـلَـكٍ ... عَـنَـاصِـرُ هـي فـي الأبـيـات أَرْكَـانُ
فـكـلُّ جـسْـم لَـهُ رُوحٌ مُـدَبِّـرَةٌ ... مِـنْ طَـبْـعِـهِ فَـهْـوَ نَـوَّامٌ وَيَـقْـظَـانُ
وكُـلُّ جِـسْـم فـإنَّ الـطـبـعَ يـحْـكُـمُـه ... فـالـجـسـمُ والـروحُ تَـنُّـورٌ وَبُـرْكَـانُ
فانْظُرْ ترى عَجَباً إذْ ليس يخرج عن ... حُـكْـمِ الـطـبـيـعـة أمـلاك وإنـسـانُ
ومـا أنـا قـلـتُ هـذا بـل أَتـتْـكَ بـه ... الأنـبـيـاءُ وتـوراةٌ وقـرآنُ

وأما ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم علم المقامات مقامات الملائكة من العالم ومرتبتهم، وهل يعلم ذلك هنا أو في الدار الآخرة؟ وعلم المقام الذي ظهر منه في العالم علم الخلاف الواقع في العالم والجدلي وما له من أحوال الأسماء الإلهية المعارضة كالغفار والمنتقم إذا طلب كل واحد منهما حكمه في العاصي وعلم الأرض ولأي سبب وجدت؟ وعلم الجبال وهل هي من الأرض أم لا؟ وهل وجدت دفعة أو كما ذهبت إليه الحكماء؟ وعلم النكاح الساري في العالم العقليّ والمعنوي والحسي والحيوانيّ وعلم النوم وهل هو في الجنة أم لا؟ وهل له حكم في العالم الإلهيّ؟ وعلم الليل والنهار واليوم والزمان، وعلم السموات، وعلم الشمس، وعلم المولدات، وعلم الغيوب، وعلم الآخرة وما يتعلق به من تفاصيله، وعلم الأسباب الأخروية، وعلم كلام الرحمن وهل ينسب إليه الكلام كما ينسب

إلى الاسم الله أم لا؟ وعلم السكتة العامّة، وعلم ما جاءت به الرسل من التعريفات لا من الأحكام، فهذه أمهات المسائل من العلوم التي يتضمنها هذا المنزل، فلنذكر منها ما يسر الله على لساني، والله المؤيد سبحانه والمعين وعليه أتوكل وبه أستعين:

يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩] ولما قال النبيّ ﷺ في «أن اختصام الملأ الأعلى في الكفارات ونقل الأقدام إلى الصلاة في الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره والتعقيب في المساجد أثر الصلوات» فمعنى ذلك أيّ هذه الأعمال أفضل؟ ومعنى أفضل على وجهين: الواحد أيّ الأعمال أحب إلى الله من هذه الأعمال؟ والوجه الآخر: أي الأعمال أعظم درجة في الجنة للعامل بها؟ وأما أسرار هذه الأعمال فهي التي يطلبها هذا المنزل فاعلم ابتداء أن الملائكة عليهم السلام لو لم تكن الأنوار التي خلقت منها موجودة من الطبيعة مثل السّموات التي عمرتها هؤلاء الملائكة، فإنها كانت دخاناً والدخان والبخار من عالم الطبيعة، فالبخار غايته دون دائرة الزمهرير، وذلك أن الأبخرة، إنما تصعد بما فيها من الحرارة وتنزل عن الدخان بما فيها من الرطوبة، فإن الأبخرة عن الحرارة التي في الأرض فإن هذه العناصر مركبة من الطبائع الأربع غير أنه ما هي في كل واحد منها على الاعتدال فما غلب عليه برده ورطوبته سمي ماء، وكذلك ما بقي فالبخار من الخارج من الماء والأرض وإنما هو بما فيهما من الحرارة، وإنما علا الدخان فوق كرة الأثير لغلبة الحرارة واليبوسة عليه، لأن كمية الحرارة واليبس فيه أكثر من الرطوبة، ولذلك كانت السموات أجساماً شفافة، وخلق الله عمار كل فلك من طبيعة فلكه فلذلك كانت الملائكة من عالم الطبيعة ونعتوا بأنهم يختصمون والخصام لا يكون إلا فيمن ركب من الطبائع لما فيها من التضادّ، فلا بد فيمن يتكوّن عنها أن يكون على حكم الأصل، فالنور الذي خلقت منه الملائكة نور طبيعيّ فكانت الملائكة فيها الموافقة من وجه والمخالفة من وجه، فهذا سبب اختلاف الملأ الأعلى فيما يختصمون فيه. فلو أن الله يعلمهم بما هو الأفضل عنده من هذه الأعمال والأحب إليه ما تنازعوا، ولو أنهم يكشفون ارتباط درجات الجنان بهذه الأعمال لحكموا بالفضيلة للأعلى منها، وإنما الله سبحانه غيب عنهم ذلك، فهم في هذه المسألة بمنزلة علماء البشر إذا قعدوا في مجلس مناظرة فيما بينهم في مسألة من الحيض الذي لا نصيب لهم فيه، بخلاف المسائل التي لهم فيها نصيب، وإنما قلنا ذلك لأن الكفارات إنما هي لإحباط ما خالف فيه المكلف ربه من أوامره ونواهيه، والملائكة قد شهد الله لهم بالعصمة أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون به، وما بلغنا أن عندهم نهي، وإذا لم يعصوا وكانوا مطيعين فليس لهم في أعمال الكفارات قدم فهم يختصمون فيما لا قدم لهم فيه، وكذلك ما بقي من الأعمال التي لا قدم لهم فيها فهم مطهرون فلا يتطهرون فلا يتصفون في طهارتهم بالإسباغ والإبلاغ في ذلك وغير الإسباغ، وكذلك المشي إلى مساجد الجماعات لشهود الصلوات ليس لهم هذا العمل. فإن قلت: فإنهم يسعون إلى مجالس الذكر ويقول بعضهم لبعض: هلموا إلى بغيتكم فاعلم أن الذكر ما هو عين الصلاة، ونحن إنما نتكلم في

عمل خاص في الجماعة ليس لهم فيه دخول مثل ما لبني آدم فإنهم ليسوا على صور بني آدم بالذات وإنما لهم التشكل فيهم، وقد علم جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ الصلوات بالفعل وتلك من جبريل حكاية يحكيها للتعليم والتعريف بالأوقات، وأما التعقيب أثر الصلوات فإنما ذلك للمصلين على هذه الهيئة المخصوصة التي ليست للملائكة فما اختصموا في أمر هو صفتهم، فلهذا ضربنا مسألة الحيض مثلاً، وسبب ذلك أن الملائكة تدعو بني آدم في لماتها إلى العمل الصالح وترغبهم في الأفضل فلهذا اختصمت في الأفضل حتى تأمرهم به.

وبعد أن نبهناك على سبب الخصام فلنبين لك ما اختصموا فيه: فاعلم أن الكفارات إنما شرعت لتكون حجباً بين العبد وبين ما عرّض إليه نفسه من حلول البلايا بالمخالفات التي عملها مأموراً كان بذلك العمل أو منهياً عنه، فإذا جاء المنتقم بالبلاء المنزل الذي تطلبه هذه المخالفة وجدت هذه الأعمال قد سترته في ظهر جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية والاسم الغفار حاكم هذه الكفارات فلم يجد منفذاً فلم ينفذ فيه الوعيد لغلبة سلطان هذا العمل المسمى كفارة والكفر الستر، ومنه سمي الزراع كافراً لأنه يستر البذر في الأرض ويغطيه بالتراب، وقد أشار إلى ذلك ﷺ حيث قال في الزاني: «**إنَّ الإيمانَ يَخرُجُ مِنْهُ حَتَّى يَصِيرَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ فَإذا أَقْلَعَ رَجَعَ إلَيْهِ الإيمانُ**» وذلك أن الزاني أو المخالف في حال الزنى يطلبه البلاء والعقوبة من الله إما في حال الزنى أو عقبه، فإن كان في حال الزنى فله من البلاء على قدر ما مضى منه، فإنه قد يطرأ عارض يمنعه من تمام الفعل وهو إنزال الماء أو خروج الذكر من الفرج فيجد الإيمان على الزاني كالظلة وهو حجاب قويّ فلا يستطيع النفوذ معه ولا الوصول إليه، فإذا كان الزاني في حال الزنى محفوظاً معصوماً من البلاء لشرف الإيمان في الدنيا فما ظنك به في الآخرة؟ فإنّ صولته في الآخرة أتم من حكمه في الدنيا، فالكفارات كلها جنن هذه مرتبتها لا تزيد عليها، وما زاد على ذلك من درجة في الجنة أو منزلة فهو ما خرج في ذلك العمل من حد كونه كفارة، والكفارة لا ترفع الدرجات وإنما هي عواصم من هذه القواصم.

وأما قوله «كفارات» جمع كفارة ببنية المبالغة إنباء بذلك على أنه لصورة العمل الواحد أنواع كثيرة من البلاء، وذلك لأن العمل يتضمن حركات مختلفة ولكل حركة بلاء خاص من عند الله، فيكون هذا العمل المكفر له في كل بلاء تطلبه المخالفة ستراً يستره به من الوصول إليه والتأثير فيه، فهو وإن كان مفرد اللفظ فهو متكثر في المعنى، وكذلك عمل الكفارة فهو واحد من حيث الاسم، وهو كثير من حيث أجزائه، فإن كان العمل لا يتجزى كالتوبة التي هي مكفرة فالبلاء الخاص الذي تدفعه هذه التوبة هو بلاء واحد لا تعداد فيه ولا كثرة، فإن الأمور الإلهية تجري على موازين إلٰهية قد وضعها الله في العالم ولا سيما في العقوبات فلا تطفيف فيها أصلاً، وإذا كان الشيء الواحد وإن لم يكن معصية كفارات مختلفة مثل الحاج يحلق رأسه لأذى يجده أو المتمتع أو المظاهر أو من حلف على يمين فرأى خيراً منها فإن مثل هذا له كفارات مختلفة أيّ عمل مكفر فعل سقط عنه الآخر فقام هذا العمل الواحد مقام ما بقي مما سقط عنه، فإن كانت اليمين غموساً فإن الكفارة فيه ككفارة سائر الخطايا فيتصوّر خطاب

الملائكة أي كفارات التخيير أولى بأن يفعل أو لماذا تكون كفارة وما عمل شيئاً تجب أو تتوجه فيه العقوبة حتى تكون هذه الكفارة تدفعه فعن أي شيء تستره، فالملأ الأعلى يختصمون في مثل هذا أيضاً، فالعالم صاحب الميزان ينظر في الذي وقع عليه اليمين، فيخرج من الكفارة المخير فيها ما يناسب ما حلف عليه ما لم يكن فيها فمن لم يجد وكذلك في الفداء وهذا كله مما يكون فيه النظر ويؤدّي إلى التنازع، فالظاهر من هذا الأمر أن الملائكة لهم نظر فكريّ يناسب خلقهم، ولهذا من الحقائق الإلهية قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢] ثم ختم الآية ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] أي تثبتون على موازين الحكم. ومما يؤيد هذه الحالة قوله تعالى في الأخبار الإلهية: «**ما تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي**» الحديث، فوصف نفسه بالتردد الذي يوصف به المحدث من القوّة المفكرة وهو في الملائكة اختصامهم فيما ذكرنا، فإن كنت ذا فهم فانظر فيما دللنا به من الخبر الإلهي الصحيح.

وأما قوله في خصامهم في نقل الأقدام أو السعي إلى الجماعات له من الحقائق الإلهية: «**وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً وَمَنْ أَتَانِي يَسْعَى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» وقوله تعالى: «**وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» وقوله: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**» فافهم مناسبة هذه الصفة العملية من بني آدم من الحقائق الإلهية، فكلامهم في مثل هذه أي الحقائق الإلهية أقرب مناسبة لهذا الفعل فاختلفوا، وكذلك قوله: «إسباغ الوضوء على المكاره» له من الحقائق الإلهية قوله تعالى في الأخبار الإلهية في قبضه نسمة عبده المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته فوصف نفسه بأنه يكره، وكذلك من هذه الحقيقة يسبغ المؤمن الوضوء على كره منه من أجل شدة البرد فله الأجر أجر الكراهة من هذه الحقيقة الإلهية، وكذلك قوله فيما يختصمون فيه التعقيب وهو الجلوس في المسجد بعد الفراغ من الصلاة له من الحقائق الإلهية قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وما تفرغ لنا إلا منّا قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فالعبد إذا فرغ من الصلاة فقعد في المسجد يذكر ربه تعالى عقيب الصلاة، فانتقل من مناجاته في حالة ما إلى مناجاته في حالة غيرها في بيت واحد، فمن مقام ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ يكون له الميزان على هذا العمل، فقد ارتبطت هذه الأعمال بالحقائق الإلهية التي وقعت فيها المناظرة بين الملأ الأعلى وفيها تفاصيل يطول ذكرها من المناسبات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع وثلاثمائة
في معرفة منزل تنزُّل الملائكة على الموقف المحمدي من الحضرة الموسوية المحمدية

[الطويل]:

تَنَسَّمْتُ أزواحَ العلى حين هَبَّتِ	ومَرَّتْ سُحَيْراً بالرياض فَنَمَّتِ
أفي عَالَمِ الأنفاس من هو مِثْلُنا	وهل حُبُّهُمْ فيها كمثل مَحَبَّتي

فـقـال لـسـانُ الـحَـقِّ إنَّ مـسـيـركـم ... عـلـى الـسُّـنَّـةِ الـمُـثْـلَـى دلـيـلُ تَـتِـمَّـتـي

فأظهرتُ عنكم سِرَّ جُودي ونِقْمَتي ... وأخفيتُ فيكم سِرَّ علمي وحِكْمَتي

فـمـن كـان ذا عـيـن يـرى مـا جَـلَـوْتُـهُ ... ومن كان أغمَى فهو من أصل حِيرَتي

فـكـلُّ مـقـام فـهـو مـن عَـيْـنِ جُـودِهِ ... وكـلُّ كـيـان فـهـو مـن أصـل نَـشْـأَتـي

اعلم أيها الولي الحميم أن الله جعل من السماء إلى الأرض معارج على عدد الخلائق، وما في السموات موضع قدم إلا وهو معمور بملك يسبح الله ويذكره بما قد حد له من الذكر، ولله تعالى في الأرض من الملائكة مثل ذلك لا يصعدون إلى السماء أبداً وأهل السموات لا ينزلون إلى الأرض أبداً ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١] وأن لله تعالى أرواحاً من الملائكة الكرام مسخرة قد ولاهم الله تعالى وجعل بأيديهم ما أوحى الله في السموات من الأمور التي قد شاء سبحانه أن يجريها في عالم العناصر، وجعل سبحانه معارج الملائكة من الكرسي إلى السموات ينزلون بالأوامر الإلهية المخصوصة بأهل السموات وهي أمور فرقانية، وجعل من العرش إلى الكرسي معارج لملائكة ينزلون إلى الكرسي بالكلمة الواحدة غير منقسمة إلى الكرسي، فإذا وصلت الكلمة واحدة العين إلى الكرسي انفرقت فرقاً على قدر ما أراد الرحمن أن يجري منها في عالم الخلق والأمر، ومن النفس رقائق ممتدة إلى العرش منقسمة إلى فرقتين للقوّتين اللتين النفس عليهما وهو اللوح المحفوظ وهو ذو وجهين، وتلك الرقائق التي بين اللوح والعرش بمنزلة المعارج للملائكة والمعاني النازلة في تلك الرقائق كالملائكة، ومن النفس التي هي اللوح إلى العقل الذي هو القلم توجهات استفادة، ومن العقل إليها توجهات إفادة ذاتية لا اختيار له فيها، يحصل عن تلك التوجهات من العلوم للنفس بما يكون في الكون ما لا يحصى كثرة ومن العقل إلى الله افتقار ذاتي، ومن الله إلى العقل إمداد ذاتي عن تجلٍ إرادي، فيعلم من علوم التفصيل في ذلك التجلي الإجمالي ما يزيده فقراً إلى فقره وعجزاً إلى عجزه لا ينفك ولا يبرح على هذه الحالة، فينزل الأمر الإلهيّ في ذلك التجلي الإرادي بالإمداد الذاتي إلى العقل، فيظهر في التوجهات العقلية إلى التوجهات النفسية ذلك الأمر الإلهي بصورة عقلية بعدما كان في صورة أسمائية، فاختلفت على ذلك الأمر الإلهيّ الصور بحسب الموطن الذي ينزل إليه فينصبغ في كل منزل صبغة، ثم ينزل ذلك الأمر الإلهي في الرقائق النفسية بصورة نفسية لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة، فتتلقاه الرقائق الشوقية العرشية فتأخذه منها فينصبغ في العرش صورة عرشية فينزل في المعارج إلى الكرسي على أيدي الملائكة وهو واحد العين غير منقسم في عالم الخلق، وقد كان نزل من النفس إلى العرش منقسماً انقسام عالم الأمر، فلما انصبغ بأول عالم الخلق وهو العرش ظهر في وحدانيته الخلق وهو أول وحدانية الخلق، فهو من حيث الأمر منقسم ومن حيث الخلق واحد العين، كالصوت الخارج من الصدر إلى خارج الفم عين واحدة لا يظهر فيه كمية أصلاً فتقسمه المخارج إلى حروف متعدّدة تزيد على السبعين وهو عين ذلك الصوت الواحد، فينصبغ ذلك الأمر الإلهي في الكرسي بصورة غير الصورة التي كان عليها، وما من صورة

ينصبغ فيها ويظهر بها إلا والأخرى التي كان عليها مبطونة فيه لا تزول عنه، والأولى أبداً من كل صورة روح للصورة التي تظهر فيها من أول الأمر إلى آخر منزل تلك الروح تمدّ هذه الصورة الظاهرة فينزل الأمر الإلهيّ من الكرسي على معراجه، إلى السدرة إن كان لعالم السموات القصد، وإن كان لعالم الجنان لم ينزل من ذلك الموضع، وظهر سلطانه في الجنان بحسب ما نزل إليه إما في حورها أو في أشجارها أو في ولدانها أو حيث عين له من الجنان، فإذا نزل إلى السموات على معراجه نزلت معه ملائكة ذلك المقام النازل منه ومعه أقوى أنوار الكواكب لا تفارقه فتتلقاه ملائكة السدرة فتأخذه من الملائكة النازلة به، وترجع تلك الملائكة بما تعطيها ملائكة السدرة من الأمور الصاعدة من الأرض، فتأخذها وترجع بها وتبقى أرواح الكواكب معه، فإن كان فيه مما تحتاج الجنة إليه من جهة ما فيها من النبات أخذته من السدرة العلية وفروعها في كل دار في الجنة وهي شجرة النور، وإليها تنتهي حقائق الأشجار العلوية الجنانية والسفلية الأرضية وأصولها شجرة الزقوم، وفروع أصلها كل شجر مرّ وسموم في عالم العناصر، كما أن كل نبات طيب حلو المذاق فمن ظاهر السدرة في الدنيا والجنة، فهذه السدرة عمرت الدنيا والآخرة، فهي أصل النبات والنموّ في جميع الأجسام في الدنيا والجنة والنار، وعليها من النور والبهاء بحيث أن يعجز عن وصفها كل لسان من كل عالم. ثم إن الأمر الإلهيّ يتفرع في السدرة كما تتفرع أغصان الشجرة، ويظهر فيه صور الثمرات بحسب ما يمده من العالم الذي ينزل إليه وقد انصبغ بصورة السدرة، فينزل على المعراج إلى السماء الأولى فيتلقاه أهلها بالترحيب وحسن القبول والفرح، ويتلقاه من أرواح الأنبياء والخلق الذين قبضت أرواحهم بالموت وكان مقرها هنالك، وتتلقاهم الملائكة المخلوقة من همم العارفين في الأرض وتجد هنالك نهر الحياة يمشي إلى الجنة، فإن كان له عنده أمانة ولا بد منها في كل أمر إلهي فإن الأمر الإلهي يعم جميع الموجودات فيلقيه في ذلك النهر مثل ما أعطى السدرة فيجري به النهر إلى الجنان، وفي كل نهر يجده هنالك مما يمشي إلى الجنة، وهنالك يجد النيل والفرات فيلقي إليهما ما أودع الله عنده من الأمانة التي ينبغي أن تكون لهما فتنزل تلك البركة في النهرين إلى الأرض فإنهما من أنهار الأرض، ويأخذ أرواح الأنبياء وملائكة الهمم وعمار السماء الأولى منه ما بيده مما نزل به إليهم ويدخل البيت المعمور فيبتهج به وتسطع الأنوار في جوانبه، وتأتي الملائكة السبعون ألفاً الذين يدخلونه كل يوم ولا يعودون إليه أبداً وهم ملائكة قد خلقهم الله من قطرات ماء نهر الحياة فإن جبريل عليه السلام ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة فيخرج فينتفض كما ينتفض الطائر فيقطر منه في ذلك الانتفاض سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً كما يخلق الإنسان من الماء في الرحم فيخلق سبعين ألف ملك من تلك السبعين ألف قطرة بسبعين ألف ملك الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم، قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح في البيت المعمور: «**إِنَّهُ يَدْخُلُه كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَداً**» فانظر ما أوسع ملك الله. ثم ينصب المعراج من السماء الأولى إلى السماء الثانية فينزل فيه الأمر الإلهي وهو على صورة السماء الأولى فينصبغ بصورة

المعراج الذي ينزل فيه ومعه الملائكة الموكلون به من السماء الأولى ومعه أرواح البروج والكواكب الثابتة كلها وينزل معه ملك من قوّة كيوان لا بد من ذلك، فإذا وصل إلى السماء الثانية تلقته ملائكتها وما فيها من أرواح الخلائق المتوفين وملائكة الهمم وقوّة بهرام الذي في السماء الثانية فيعطيهم ما بيده لهم، وينزل إلى الثالثة وهو على صورة الثانية فينصبغ بصورة السلم الذي ينزل فيه والحال الحال مثل ما ذكرنا إلى أن ينتهي إلى السماء السابعة وهي السماء الدنيا، فإذا أدّى إليهم ما بيده لهم ومعه قوّة صاحب كل سماء فتحت أبواب السماء لنزوله ونزلت معه قوى جميع الكواكب الثوابت والسيارة وقوى الأفلاك وقوى الحركات الفلكية كلها وكل صورة انتقل عنها مبطونة فيه، فكل أمر إلهيّ ينزل فهو اسم إلهيّ عقلي نفسي عرشيّ كرسي، فهو مجموع صور كل ما مرّ عليه في طريقه فيخترق الكور ويؤثر في كل كرة بحسب ما تقبله طبيعتها إلى أن ينتهي إلى الأرض فيتجلى لقلوب الخلق فتقبله بحسب استعداداتها وقبولها متنوع، وذلك هو الخواطر التي تجدها الناس في قلوبهم، فبها يسعون وبها يشتهون وبها يتحركون طاعة كانت تلك الحركة أو معصية أو مباحة، فجميع حركات العالم من معدن ونبات وحيوان وإنسان وملك أرضي وسماوي، فمن ذلك التجلي الذي يكون من هذا الأمر الإلهيّ النازل إلى الأرض فيجد الناس في قلوبهم خواطر لا يعرفون أصلها وهذا هو أصلها ورسله إلى جميع ما في العالم الذي نزل إليه ما نزل معه من قوى الكواكب وحركات الأفلاك، فهؤلاء هم رسل هذا الأمر الإلٰهي إلى حقائق هؤلاء العالم، فتنمو به الناميات وتحيى به أمور ويموت به أمور، ويظهر التأثيرات العلوية والسفلية في كل عالم بتلك الرسل التي يرسلها في العالم هذا الأمر الإلهيّ فإنه كالملك فيهم، ولا يزال يعقبه أمر آخر ويعقب الآخر آخر في كل نفس بتقدير العزيز العليم، فإذا نفذ فيهم أمره وأراد الرجوع جاءته رسله من كل موجود بما ظهر من كل من بعثوا إليه صوراً قائمة فيلبسها ذلك الأمر الإلهيّ من قبيح وحسن ويرجع على معراجه من حيث جاء إلى أن يقف بين يدي ربه اسماً إلٰهياً ظاهراً بكل صورة فيقبل منها الحق ما شاء ويرد منها ما شاء على صاحبها في صور تناسبها، فجعل مقر تلك الصور حيث شاء من علمه فلا يزال تتابع الرسل إلى الأرض على هذه المعارج كما ذكرنا.

فلنذكر من ذلك حال أهل الله مع هذا الأمر الإلهي إذا نزل إليهم، وذلك أن المحقق من أهل الله يعاين نزوله وتخلفه في الجو في الكور إذا فارق السماء الدنيا نازلاً ثلاث سنين وحينئذ يظهر في الأرض فكل شيء يظهر في كل شيء في الأرض فعند انقضاء ثلاث سنين من نزوله من السماء في كل زمان فرد، ومن هنا ينطق أكثر أهل الكشف بالغيوب التي تظهر عنهم فإنهم يرونها قبل نزولها ويخبرون بما يكون منها في السنين المستقبلة، وما تعطيهم أرواح الكواكب وحركات الأفلاك النازلة في خدمة الأمر الإلهيّ، فإذا عرف المنجم كيف يأخذ من هذه الحركات ما فيها من الآثار أصاب الحكم، وكذلك الكاهن والعرافون إذا صدقوا وعرفوا ما يكون قبل كونه أي قبل ظهور أثر عينه في الأرض، وإلا فمن أين يكون في قوة الإنسان أن يعلم ما يحدث من حركات الأفلاك في مجاريها؟ ولكن التناسب الروحاني الذي بيننا وبين

أرواح الأفلاك العالمين بما تجري به في الخلق ينزل بصورتها التي اكتسبته من تلك الحركات والأنوار الكوكبية على أوزانها، فإن لها مقادير ما تخطىء وهمة هذا المنجم التعالمي وهمة هذا الكاهن قد انصبغت روحانيته بما توجهت إليه همته فوقعت المناسبة بينه وبين مطلوبه فأفاضت عليه روحانية المطلوب بما فيها في وقت نظره فحكم بالكوائن الطارئة في المستقبل.
وأمّا العارفون فإنهم عرفوا أن لله وجهاً خاصاً في كل موجود فهم لا ينظرون أبداً إلى كل شيء من حيث أسبابه، وإنما ينظرون فيه من الوجه الذي لهم من الحق فينظر بعين حق فلا يخطىء أبداً، فإذا نزل الأمر الإلهيّ على قلب هذا العارف وقد لبس من الصور بحسب ما مر عليه من المنازل كما قررناه فأول صورة كان ظهر بها للعقل الأول صورة إلهية أسمائية وهي خلف هذه الصور كلها، وهذا العارف همه أبداً مصروف إلى الوجه الخاص الإلهيّ الذي في كل موجود بعين الوجه الخاص الإلهيّ الذي لهذا العارف المحقق، فينظر في ذلك الأمر من حيث الصورة الأولى الإلهية، ويترك الوسائط وينزل من تلك الصورة على جميع الصور من أعلى إلى أسفل، وفي كل صورة ما ينظر إليها إلا من حيث ذلك الوجه الخاص بها بوجهه الخاص به إلى أن ينتهي على جميع الصور، فيعرف من ذلك الأمر الإلهي جميع ما في العالم من العقل الأول إلى الأرض من الأسرار الإلهية حين يعلم الكاهن أو العراف، وأمثال هؤلاء ما يكون في العالم العنصري خاصة من الحوادث، ثم إن العارف يكسو ذلك الأمر الإلهي من حلل الأدب والحضور الإلهي في أخذه منه والنور والبهاء ما إذا صعد به الأمر الإلهي على معراجه تتعجب منه ملائكة السموات العلى فيباهي الله به ملائكته ويقول: هذا عبد جعل في الحضيض وفي أسفل سافلين بالنسبة إليكم فما أثر فيه منزله ولا حكم عليه موطنه ولا حجبته عني كثرة حجبه وخرق الكل ونظر إليّ وأخذ عني فكيف به لو كان مثلكم بلا حجب ظلمانية كثيفة عنصرية؟ فيقول السامعون المخاطبون: سبحانك ذلك فضلك تختص به من تشاء من عبادك منّة منك ورحمة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] فلا يضاهي هذا العبد أحد من خلق الله إلا العقل الأوّل والملائكة المقربون المهيمون، وما ثم قلب بهذه المثابة من هذا العالم إلا قلوب الأفراد من رجال الله كالخضر وأمثاله وهم على قدم محمد ﷺ، فهذا قد ذكرنا يسيراً من صورة تنزل الملائكة على قلب المحمدي الواقف، ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم الأرواح العلوية والأرواح البرزخية، وعلم ما يفتح الله به على الصادق في طلب العلم النافع، وعلم التمييز والترجيح، وعلم الإلقاء واللقاء والكتابة، وعلم القرآن، وعلم ما يكون وعلم الغيب، وعلم المقادير، وعلم ردّ الأشياء إلى أصولها، وعلم الذهاب، وعلم الآخرة، وعلم إلحاق الثاني بالأول، وعلم نشوء العالم، وعلم الاستقرار في المكان والمكانة، وعلم الحياة، وعلم طول العالم وعرضه وعمقه ومن أين اكتسبه، وعلم حوادث الجوّ وما سببها وهي الآثار العلوية، وعلم مواطن الصمت والكلام، وعلم الجمع والتفرقة، وهو من علم النسب، وعلم دقائق المكر، وعلم التقوى أي الذي تنتجه التقوى في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأين منه قوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]

وعلم الإحسان أي ما ينتجه الإحسان، وعلم الإمهال من اسمه الحليم، وعلم الحقائق، وعلم الخشوع، وعلم منزلة كلام الله من كلام المخلوقين ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿فإنه أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن وثلاثمائة

في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي من الحضرة المحمدية

[الرمل]:

عَجَبي مِنْ قائلٍ كُنْ لِعَدَمْ — والذي قيل له لَمْ يَكُ ثَمْ
ثم إن كان فَلِمْ قيل له — لِتَكُنْ والكونُ ما لا يَنْقَسِمْ
فلقد أَبْطَلَ كُنْ قُدْرَةَ مَنْ — دَلَّ بالعقل عليها وحَكَمْ
كيف للعقل دَليلٌ والذي — قد بناهُ العقلُ بالكَشْفِ هُدِمْ
فنجاةُ النَّفْسِ في الشَّرْعِ فلا — تَكُ إنساناً رأى ثُمَّ حُرِمْ
واعْتَصِمْ بالشرع في الكَشْفِ فَقَدْ — فاز بالخير عُبَيْدٌ قد عُصِمْ
أَهْمِلِ الفِكْرَ ولا تَحفلْ به — واتْرُكَنْهُ مثلَ لحم في وَضَمْ
إنَّ للفكر مقاماً فاعْتَضِدْ — به فيه تَكُ شخصاً قد رُحِمْ
كلُّ علم يشهدُ الشرعُ له — هو علمٌ فبه فَلْتَعْتَصِمْ
وإذا خالفه العقلُ فقُلْ — طَوْرَكَ الْزَمْ ما لكم فيهِ قَدَمْ
إن لله علوماً جَمَّةً — نالها من لم يَقُلْ ما ثَمَّ لَمْ
جَهِلَ التكييفَ فيها وانْتَفَى — عن حِمَاهَا رفعةً سلطانُ كَمْ
مثل ما قد جهل اللَّوْحَ الذي — خطَّ فيه الحَقُّ مِنْ علم القلمْ

اعلم أن الناس اختلفوا في مسمى الإنسان ما هو؟ فقالت طائفة: هو اللطيفة، وطائفة قالت: هو الجسم، وطائفة قالت: هو المجموع وهو الأولى. وقد وردت لفظة الإنسان على ما ذهبت إليه كل طائفة. ثم اختلفنا في شرفه هل هو ذاتي له أو هو بمرتبة نالها بعد ظهوره في عينه وتسويته كاملاً في إنسانية إما بالعلم وإما بالخلافة والإمامة؟ فمن قال إنه شريف لذاته نظر إلى خلق الله إياه بيديه ولم يجمع ذلك لغيره من المخلوقين وقال: إنه خلقه على صورته فهذا حجة من قال: شرفه شرف ذاتيّ، ومن خالف هذا القول قال: لو أنه شريف لذاته لكنا إذا رأينا ذاته علمنا شرفه والأمر ليس كذلك، ولم يكن يتميز الإنسان الكبير الشريف بما يكون عليه من العلم والخلق على غيره من الأناسي ويجمعهما الحد الذاتيّ فدل أن شرف الإنسان بأمر عارض يسمى المنزلة أو المرتبة، فالمنزلة هي الشريفة والشخص الموصوف بها نال الشرف بحكم التبعية كرتبة الرسالة والنبوّة والخلافة والسلطنة والله يقول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧] وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن

شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] أي قد أتى على الإنسان وقد قالت الملائكة فيه من حيث ذاته ما قالت وصدقت فما علم شرفه إلا بما أعطاه الله من العلم والخلافة، فليس لمخلوق شرف من ذاته على غيره إلا بتشريف الله إياه، وأرفع المنازل عند الله أن يحفظ الله على عبده مشاهدة عبوديته دائماً، سواء خِلع عليه من الخلع الربانية شيئاً أو لم يخلع، فهذه أشرف منزلة تعطى لعبد وهو قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] وقوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فقرن معه تنزيهه، قال بعض المحبين في هذا المقام: [السريع]

لا تَدْعُنِي إلا بيا عَبْدَهَا فإنَّه أشْرَفُ أسْمَائي

فليس لصنعة شرف أعلى من إضافتها إلى صانعها، ولهذا لم يكن لمخلوق شرف إلا بالوجه الخاص الذي له من الحق لا من جهة سببه المخلوق مثله، وفي هذا الشرف يستوي أول موجود وهو القلم أو العقل أو ما سميته وأدنى الموجودات مرتبة، فإن النسبة واحدة في الإيجاد والحقيقة واحدة في الجميع من الإمكان، فآخر صورة ظهر فيها الإنسان الصورة الآدمية وليس وراءها صورة أنزل منها وبها يكون في النار من شقي لأنها نشأة وتركيب تقبل الآلام والعلل، وأما أهل السعادة فينشؤون نشأة وتركيباً لا يقبل ألماً ولا مرضاً ولا خبثاً، ولهذا لا يهرم أهل الجنة ولا يتمخطون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يسقمون ولا يجوعون ولا يعطشون، وأهل النار على النقيض منهم وهي نشأة الدنيا وتركيبها، فهي أدنى صورة قبلها الإنسان، وقد أتت عليه أزمنة ودهور قبل أن يظهر في هذه الصورة الآدمية وهو في الصورة التي له في كل مقام وحضرة من فلك وسماء وغير ذلك مما تمرّ عليه الأزمان والدهور، ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكوراً بهذه الصورة الآدمية العنصرية، ولهذا ما ابتلاه قط في صورة من صوره في جميع العالم إلا في هذه الصورة الآدمية، ولا عصى الإنسان قط خالقه إلا فيها، ولا ادّعى رتبة خالقه إلا فيها، ولا مات إلا فيها، ولهذا يقبل الموت أهل الكبائر في النار ثم يخرجون فيغمسون في نهر الحياة فيتركبون تركيباً لا يقبل الألم ولا الأسقام فيدخلون بتلك الصورة الجنة.

واعلم أن الصراط الذي إذا سلكت عليه وثَبَّتَ الله عليه أقدامك حتى أوصلك إلى الجنة هو صراط الهدى الذي أنشأته لنفسك في دار الدنيا من الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فهو في هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية، فيمد لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنم أوّله في الموقف وآخره على باب الجنة تعرف عندما تشاهده أنه صنعتك وبناؤك، وتعلم أنه قد كان في الدنيا ممدوداً جسراً على متن جهنم طبيعتك في طولك وعرضك وعمقك وثلاث شعب إذ كان جسمك ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها إلى لهب الجهالة ويضرم فيها نارها، فالإنسان الكامل يعجل بقيامته في الموطن الذي تنفعه قيامته فيه وتقبل فيه توبته وهو موطن الدنيا، فإن قيامة الدار الأخرى لا ينفع فيها عمل لأنه لم يكلف فيها بعمل فإنه موطن جزاء لما سلف في الدار الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي بين ما يقتضيه المواطن ليكون الإنسان المخاطب في كل

موطن بما قرن به من العمل بالذي يرضيه، وهو ممزوج بما ينافيه مثل خلق الأجسام الطبيعية سواء، فإن الحرارة تنافر البرودة وإن الرطوبة تنافر اليبوسة، وأراد الحق أن يجمع الكل على ما هم عليه من التضادّ في جسم واحد، فضم الحرارة إلى اليبوسة فخلق منهما المرّة الصفراء، ثم زوج بين الحرارة والرطوبة فكان لهذا المزاج الدم وجعله مجاوراً لهما جعل الرطوبة التي في الدم مما يلي اليبوسة التي في الصفراء بحكم المجاورة حتى تقاومها في الفعل، فلا تترك كل واحدة منهما يظهر سلطانها في المزاج الإنسانيّ الحيوانيّ، فلو جعل الحرارة الدموية تليها فلا بد إن كان يليها من الصفراء إما الحرارة أو اليبوسة، فإن وليتها اليبوسة وهي المنفعلة عن الحرارة فكان اليبس يتقوى سلطانه في الجسم فيؤدّي إلى دخول المرض عليه فيحول المرض بينه وبين ما كلفه رب الجسم أن يشتغل به من العلوم واقتنائها والأعمال الموصلة إلى السعادة، وكذلك لو جاورتها حرارة الصفراء لزادت في كمية الصفراء فيعتل، فلهذا كانت الرطوبة مما يلي الصفراء. ثم إنه تعالى زوج بين البرودة والرطوبة فكان من هذا الاختلاط البلغم فجعل الرطوبة البلغمية مما يلي الحرارة الدموية، ولو لم يكن كذلك لكان كما ذكرناه أوّلاً من دخول العلة والسقم للزيادة في الكمية في ذلك الخلط، ثم زوج بين البرودة واليبوسة فكان من ذلك المزج المرة السوداء، فجعل اليبوسة من السوداء مما يلي الرطوبة من البلغم، ولم يجعل البرودة من السوداء تليها لئلا تزيد في كمية رطوبة البلغم فإن الرطوبة منفعلة عن البرودة، فإذا حصلت بين برودة البلغم وبرودة السوداء تضاعفت وزادت كمية البلغم فدخلت العلة والمرض على الجسم فإنها قابلة للانفعال. فانظر لحكمة الله في هذه النشأة وهذا لبقاء الصحة على هذا الجسم الذي هو مركب هذه اللطيفة ليوصلها إلى ما دعاها إليه ربها عز وجل، فهذا المركب الجسميّ يستولي عليه الروح الإلهيّ فإذا تغشاه حمل فينتج أعمالاً إمّا صالحة وهي المخلقة وإما فاسدة وهي غير المخلقة، وظهرت هذه الأعمال في صور مراكب، فإن كانت صالحة صعدت به إلى عليين قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أي الأرواح الطيبة فإنها كلمات الله مطهرة، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] وقال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] كذلك إذا كان العمل فاسداً يهوي به إلى أسفل سافلين قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] أي هوى به مركبه وقد كان ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٦] فإن عمله يصعد به إلى عليين فيكون له ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] وهو الأجر المكتسب، ولا يكون الأجر إلا مكتسباً فإن أعطي ما هو خارج عن الكسب لا يقال فيه أجر بل هو نور وهبات، ولهذا قال في حق قوم لهم أجرهم ونورهم، فأجرهم ما اكتسبوه، ونورهم ما وهبهم الحق تعالى من ذلك حتى لا ينفرد الأجر من غير أن يختلط به الوهب حتى يشغل ذلك الوهب العبد عن معاينة سلطان الاستحقاق الذي يعطيه الأجر، إذ كان معاوضة عن عمل متقدم مضاف إلى العبد فلا أجر إلا ويخالطه نور لما ذكرناه، فإن النشأة على هذا الأصل قامت وذلك أن الجسم الطبيعيّ لما تركب وظهر بروحه الحساس لو ترك مستقلاً لأهلكته الدعوى، ولكن جعل الله له روحاً ربانياً من نفس الرحمن

الذي هو الروح الإلهيّ، فظهرت لطيفة الإنسان نوراً فوكلت بالجسم الحيوانيّ، فلهذا قرن الأنوار بالأجور حتى تكون المنة الإلهية تصحب هذا العبد حيث كان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠] ولهذا قلنا إن هذا منزل الاختلاط وإن كان يتضمن علوماً جمة منها علم حروف المعاني لا حروف الهجاء، وهل إذا دخل بعضها على بعض هل ينقلها عن مقام الحرفية إلى مقام الاسمية؟ إذ الحرف لا يعمل في مثله، وبماذا يعمل حرف في حرف وليس كل حرف واحد بأقوى من صاحبه مثل دخول «من» على حرف «عن» فقد كان حرف «عن» يعطي معنى التجاوز فصيره حرف «من» يدل على الجهة والناحية كما يدل الاسم، قال الشاعر: [البسيط]

مِنْ عَنْ يَمِينِ الحُبَيَّا نَظْرةٌ قُبُلُ

فالعامل في يمين عن بلا شك، ولكن هل عمل فيه عمل الحرفية لبقاء صورته أو عمل فيه عمل الإضافة وهو عمل الأسماء؟ فيكون عمله من طريق المعنى الذي كساه «من» بدخوله عليه، ويكون عن معمولاً لـ«من» أو يبقى على أصله فنقول بجواز دخول الحروف بعضها على بعض، ونترك عمل الواحد منهما ونجعله زائداً كما نعمله في ما إذا جعلناها زائدة في قوله: [الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدِ

فـ«ما» هنا زائدة لأن الكلام يستقل دونها فتقول إذا راية فلا عمل هنا لها، وكذلك حرف إن في قول امرىء القيس: [الطويل]

فما إنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلا صَالِ

فـ«إن» هنا زائدة لا عمل لها فيكون ذلك كذلك ولا مانع، إذ لو حذفنا عن من قوله من عن يمين لم يختل المعنى ولا يخرج الحرف عن بابه إلى باب الاسمية من غير ضرورة، وإذا أبدل الحرف من الحرف هل يعطي معنى ما أبدل منه أو هل يعطي خلافه؟ ومما يتضمن هذا المنزل علم المراكب والركبان، وعلم الزمان، وعلم شرف الكلام، وعلم شرف الذكر على الفكر، وكون الحق وصف نفسه بالذكر وما وصف نفسه بالفكر مع أنه أثبت لنفسه التدبير وهو الفكر، أو يقوم مقام اللازم له ويتضمن علم الخلق والصفات، وعلم البيان، وعلم الأحوال، وعلم الاستعداد، وعلم الإحسان، وعلم التجلي الوسط الأوسط الذي بين الذوق والري في مذهب من يقول بالري، وعلم ثلج برد اليقين من أين حصل؟ وعلم العبودية لله دون غيره من الأشياء وما لهذه العبودية من الآثار في العلوم، وعلم ما يعطيه أداء الواجبات، وعلم الآخرة، وعلم الهبات من العطايا، واختلاف أحوال العطاء، وعلم التقوى وأصناف الوقايات، وعلم نعيم الأرواح وعلم العرش والرفارف والمنابر والأسرة والكراسي والمراتب وأين حظ كل واحد منها ؟ وعلم النقيضين وعلم التداني الأعلى من التداني الأنزل، وعلم الظلالات، وعلم الانقياد بطريق الذلة، وعلم الطواف بالبيت والطائفين ولماذا يطاف به؟ وبماذا يطاف؟ وعلم الاصطلام، وعلم اللآلي والسلوك، وعلم الرتبة الإلهية والدنياوية وتنوعاتها وما المحمود منها، وعلم التحجيل، وعلم تقديس التجلي، وعلم الجزاء الإلهيّ، وعلم تنزيل الغيوب،

وعلم التكليف، وعلم الإرادة، وعلم التبديل والإبدال، وعلم الاختصاص، وفي كل صنف مما ذكرناه من العلوم علوم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع وثلاثمائة

في معرفة منزل الملامية من الحضرة المحمدية

وهذا مقام رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وممن تحقق به من الشيوخ: حمدون القصار، وأبو سعيد الخرّاز، وأبو يزيد البسطامي، وكان في زماننا هذا أبو السعود بن الشبل، وعبد القادر الجيليّ ومحمد الأوانيّ، وصالح البربريّ، وأبو عبد الله الشرفيّ، ويوسف الشبريليّ، ويوسف بن تعز، وابن جعدون الحناوي، ومحمد بن قسوم، وأبو عبد الله بن المجاهد، وعبد الله بن تاخمست، وأبو عبد الله المهدويّ، وعبد الله القطان، وأبو العباس الحصار، وما يضيق الكتاب عن ذكرهم: [الرمل]

كُلُّ مَنْ أَقْسَمَ بالخَلْق فما ... يَلْزَمُ الحِنْثُ له مهما حَنَثْ
فأنا أُقْسِمُ بالله الذي ... أسكنَ الأرواحَ أجداثَ الجُثَثْ
وبآيات الهُدَى من نُوره ... أنّه ما خَلَقَ الخَلقَ عَبَثْ
وإذا لم يَكُنِ الأمر كما ... قلتُ يا سَنَدي لا تَكْتَرِثْ
خَابَ عَقْلٌ عاهدَ الشَّرْعَ على ... عَقْدِ ما قَرَّرَهُ ثم نَكَثْ
أترى يحصدُ شخصٌ زَرْعَ مَنْ ... بَذَرَ الحَبَّ ونَقَّى وحَرَثْ
لا وَحَقِّ الحَقِّ ما يملكُه ... أخبرَ الرُّوحُ به حين نَفَثْ
أودعَ الأرواح رُوحاً واحداً ... بين زوجين نكاحاً ثم بَثْ
كَتَمَ السِّرَّ الذي فيه له ... غيرةً منه زماناً ثم بَثْ
لم يُسَوِّ اللّهُ في أحكامه ... حِكْمَةً ما بين شَيْخٍ وحَدَثْ
ثم إنْ جاء بحكم جامع ... لهما كان لأمْرٍ قَدْ حَدَثْ
فكأن بالطفل قدْ حلَّ به ... هَرَمٌ والشّيخ قد حَلَّ الجَدَثْ
كان حَيّاً ثم مَيْتاً ثم مِنْ ... بَعْدِ مَوْت عاد حَيّاً فبُعِثْ

اعلم وفقك الله أن رجال الله ثلاثة لا رابع لهم: رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الطاهرة المحمودة كلها وطهروا أيضاً بواطنهم من كل صفة مذمومة قد ذمها الشارع غير أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه من هذه الأعمال ولا معرفة لهم بالأحوال ولا المقامات ولا العلوم الوهبية اللدنية ولا الأسرار ولا الكشوف ولا شيئاً مما يجده غيرهم، فهؤلاء يقال لهم العباد، وهؤلاء إذا جاء إليهم أحد يسألهم الدعاء ربما انتهره أحدهم أو يقول له: أيّ شيء أكون أنا حتى أدعو لك؟ وما منزلتي؟ حذراً أن يتطرّق إليهم العجب وخوفاً من غوائل النفس لئلا يدخله الرياء في ذلك، وإن كان منهم أحد يشتغل بقراءة فكتابه مثل الرعاية للمحاسبي وما جرى مجراه، والصنف الثاني فوق هؤلاء يرون الأفعال كلها لله وأنه لا فعل

لهم أصلاً فزال عنهم الرياء جملة واحدة، وإذا سألتهم في شيء مما يحذره أهل الطريق يقولون: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠] ويقولون: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] وهم مثل العباد في الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك، غير أنهم مع ذلك يرون أن ثم شيئاً فوق ما هم عليه من الأحوال والمقامات والعلوم والأسرار والكشوف والكرامات فتتعلق هممهم بنيلها، فإذا نالوا شيئاً من ذلك ظهروا به في العامة من الكرامات لأنهم لا يرون غير الله وهم أهل خلق وفتوّة وهذا الصنف يسمى الصوفية، وهم بالنظر إلى الطبقة الثالثة أهل رعونة وأصحاب نفوس وتلامذتهم مثلهم أصحاب دعاوى يشمرون على كل أحد من خلق الله ويظهرون الرياسة على رجال الله، والصنف الثالث رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب لا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس لا يبصر أحد من خلق الله واحداً منهم، يتميزون عن العامة بشيء زائد من عمل مفروض أو سنة معتادة في العامة قد انفردوا مع الله راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين، ولا يعرفون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم وذلتهم تحتها، قد أعلمهم الله بالمواطن وما تستحقه من الأعمال والأحوال وهم يعاملون كل موطن بما يستحقه، قد احتجبوا عن الخلق واستتروا عنهم بستر العوام، فإنهم عبيد خالصون مخلصون لسيدهم مشاهدون إياه على الدوام في أكلهم وشربهم ويقظتهم ونومهم وحديثهم معه في الناس، يضعون الأسباب مواضعها ويعرفون حكمتها حتى تراهم كأنهم الذي خلق كل شيء مما تراهم من إثباتهم الأسباب وتحضيضهم عليها، ويفتقرون إلى كل شيء لأن كل شيء عندهم هو مسمى الله، ولا يفتقر إليهم في شيء لأنه ما ظهر عليهم من صفة الغنى بالله ولا العزة به ولا أنهم من خواص الحضرة الإلهية أمر يوجب افتقار الأشياء إليهم وهم يرون كون الأشياء لا تفتقر إليهم ويفتقرون إليها كون الله قال للناس: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فهم وإن استغنوا بالله فلا يظهرون بصفة يمكن أن يطلق عليهم منها الاسم الذي قد وصف الله نفسه به وهو الاسم الغني، وأبقوا لأنفسهم ظاهراً وباطناً الاسم الذي سماهم الله به وهو الفقير، وقد علموا من هذا أن الفقر لا يكون إلا إلى الله الغني، ورأوا الناس قد افتقروا إلى الأسباب الموضوعة كلها وقد حجبتهم في العامة عن الله، وهم على الحقيقة ما افتقروا في نفس الأمر إلا إلى من بيده قضاء حوائجهم وهو الله، قالوا: فهنا قد تسمى الله بكل ما يفتقر إليه في الحقيقة والله لا يفتقر إلى شيء، فلهذا افتقرت هذه الطائفة إلى الأشياء ولم تفتقر إليهم الأشياء وهم من الأشياء، والله لا يفتقر إلى شيء ويفتقر إليه كل شيء، فهؤلاء هم الملامية وهم أرفع الرجال وتلامذتهم أكبر الرجال، يتقلبون في أطوار الرجولية وليس ثم من حاز مقام الفتوة والخلق مع الله دون غيره سوى هؤلاء، فهم الذين حازوا جميع المنازل ورأوا أن الله قد احتجب عن الخلق في الدنيا وهم الخواص له فاحتجبوا عن الخلق لحجاب سيدهم، فهم من خلف الحجاب لا يشهدون في الخلق سوى سيدهم، فإذا كان في الدار الآخرة وتجلى الحق

ظهر هؤلاء هناك لظهور سيدهم، فمكانتهم في الدنيا مجهولة العين، فالعباد متميزون عند العامة بتقشفهم وتبعدهم عن الناس وأحوالهم وتجنب معاشرتهم بالجسم فلهم الجزاء.

والصوفية متميزون عند العامة بالدعاوى وخرق العوائد من الكلام على الخواطر وإجابة الدعاء والأكل من الكون وكل خرق عادة لا يتحاشون من إظهار شيء مما يؤدي إلى معرفة الناس به قربهم من الله فإنهم لا يشاهدون في زعمهم إلا الله وغاب عنهم علم كبير، وهذا الحال الذي هم فيه قليل السلامة من المكر والاستدراج والملامية، لا يتميزون عن أحد من خلق الله بشيء فهم المجهولون حالهم حال العوام، واختصوا بهذا الاسم لأمرين: الواحد يطلق على تلامذتهم لكونهم لا يزالون يلومون أنفسهم في جنب الله ولا يخلصون لها عملاً تفرح به تربية لهم لأن الفرح بالأعمال لا يكون إلا بعد القبول وهذا غائب عن التلامذة، وأما الأكابر فيطلق عليهم في ستر أحوالهم ومكانتهم من الله حين رأوا الناس، إنما وقعوا في ذم الأفعال واللوم فيما بينهم فيها لكونهم لم يروا الأفعال من الله وإنما يرونها ممن ظهرت على يده فناطوا اللوم والذم بها، فلو كشف الغطاء ورأوا أن الأفعال لله لما تعلق اللوم بمن ظهرت على يده، وصارت الأفعال عندهم في هذه الحالة كلها شريفة حسنة، وكذلك هذه الطائفة لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم آلهة، فلما احتجبوا عن العامة بالعادة انطلق عليهم في العامة ما ينطلق على العامة من الملام فيما يظهر عنها مما يوجب ذلك، وكأن المكانة تلومهم حيث لم يظهروا عزتها وسلطانها، فهذا سبب إطلاق هذا اللفظ في الاصطلاح عليهم وهي طريقة مخصوصة لا يعرفها كل أحد انفرد بها أهل الله وليس لهم في العامة حال يتميزون بها.

واعلم أن الحكيم من العباد هو الذي ينزل كل شيء منزلته ولا يتعدى به مرتبته، ويعطي كل ذي حق حقه، لا يحكم في شيء بغرضه ولا بهواه، لا تؤثر فيه الأعراض الطارئة، فينظر الحكيم إلى هذه الدار التي قد أسكنه الله فيها إلى أجل، وينظر إلى ما شرع الله له من التصرف فيها من غير زيادة ولا نقصان، فيجري على الأسلوب الذي قد أبين له، ولا يضع من يده الميزان الذي قد وضع له في هذا الموطن، فإنه إن وضعه جهل المقادير، فإما يخسر في وزنه أو يطفف وقد ذم الله الحالتين، وجعل تعالى للتطفيف حالة تخصه يحمد فيها التطفيف فيطفف هناك على علم فإنه رجحان الميزان ويكون مشكوراً عند الله في تطفيفه، فإذا علم هذا ولم يبرح الميزان من يديه لم يخط شيئاً من حكمة الله في خلقه، ويكون بذلك إمام وقته، فأوّل ما يزن به الأحوال في هذا الموطن، فإن اقتضى وزنه للحال إظهار الحق لعباده وتعريف الخلق به عرفهم وذلك في الموطن الذي لا يؤدي ذكره إلى أذى الله ورسوله، فإن الله قد وصف نفسه بأنه يؤذى فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وهذا الذي اقتضى له اسم الصبور واسم الحليم، وقال رسول الله ﷺ: **«لَيسَ شَخْصٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى مِنَ الله»** وقد كذب وشتم أخبر الله بذلك في الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ عن ربه فقال: **«كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذٰلِكَ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذٰلِكَ»** وهذا القول إنما تكلم به

الاسم اللطيف، ولهذا أكسبه هذا اللطف في العتب في دار الدنيا ووقع به التعريف ليرجع المكذب عن تكذيبه والشاتم عن شتمه، فإنه موطن الرجوع والقبول منه، والآخرة وإن كانت موطن الرجوع ولكن ليست موطن قبول، فمن الميزان أن لا يعرّض الحكيم بذكر الله ولا يذكر رسوله، ولا أحد ممن له قدر في الدين عند الله في الأماكن التي يعرفها هذا الحكيم إذا ذكر الله فيها أو رسوله أو أحداً ممن اعتنى الله به كالصحابة عند الشيعة فإن ذلك داع إلى ثلب المذكور وشتمه وإدخال الأذى في حقه، ففي مثل هذا الموطن لا يذكره، ألا تراه ﷺ قد نهانا أن نسافر بالقرآن الذي هو المصحف إلى أرض العدوّ فإنه يؤدي ذلك إلى التعرض لإهانته وعدم حرمته مما يطرأ عليه ممن لا يؤمن به فإنه عدوّ له؟ وهذا مقام الملاميّ لا غيره فالشريعة كلها هي أحوال الملامية.

سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ**» ثم تلت قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فالأصل الإلهيّ الذي استندت إليه هذه الطائفة هو ما ذكرناه من أن الحق سبحانه يجب لجلاله من التعظيم والكبرياء ما تستحقه الألوهة، ومع هذا فانظر موطن الدنيا ما اقتضاه في حق الحق من دعوى العبيد فيها الربوبية ومنازعة الحق في كبريائه وعظمته فقال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وتكبر وتجبر، وسبب ذلك أن الموطن اقتضى أن ينحجب الخلق عن الله إذ لو أشهدهم نفسه في الدنيا لبطل حكم القضاء والقدر الذي هو علم الله في خلقه بما يكون عنهم وفيهم فكان حجابه رحمة بهم وإبقاء عليهم، فإن تجليه سبحانه يعطي بذاته القهر فلا يتمكن معه دعوى، فلما كانت الألوهية تجري بحكم المواطن كان هذا الأصل الإلهيّ مشهود الملامية إذ كانوا حكماء علماء فقالوا: نحن فروع هذا الأصل إذ كان لكل ما يكون في العالم أصل إلهيّ، ولكن ما كل أصل إلهيّ يكون في حق العبد إذا اتصف به محموداً فإن الكبرياء أصل إلهي بلا شك، ولكن إن اتصف به العبد وصير نفسه فرعاً لهذا الأصل واستعمله باطناً فإنه مذموم بكل وجه بلا خلاف، ولكن إن استعمله ظاهراً في موضع خاص قد عين له وأبيح له فيه استعماله صورة ظاهرة لا روح لها منه كان محموداً لنفس الصورة، ولهذا رأت الطائفة أن خرق العوائد واجب سترها على الأولياء، كما أن إظهارها واجب على الأنبياء لكونهم مشرعين لهم التحكم في النفوس والأموال والأهل، فلا بد من دليل يدل على أن التحكم في ذلك لرب المال والنفس والأهل، فإن الرسول من الجنس فلا يسلم له دعواه ما ليس له بأصل إلا بدليل قاطع وبرهان، والذي ليس له التشريع ولا التحكم في العالم بوضع الأحكام فلأيّ شيء يظهر خرق العوائد حين مكنه الله من ذلك ليجعلها دلالة على قربه عنده لا لتعرف الناس ذلك منه، فمتى أظهرها في العموم فلرعونة قامت به غلبت عليه نفسه فيها، فهي إلى المكر والاستدراج أقرب منها إلى الكرامة، فالملامية أصحاب العلم الصحيح في ذلك، فهم الطبقة العليا وسادات الطريقة المثلى والمكانة الزلفى في العدوة الدنيا والعدوة القصوى، ولهم اليد البيضاء في علم المواطن

وأهلها وما تستحق أن تعامل به، ولهم علم الموازين وأداء الحقوق، وكان سلمان الفارسي من أجلهم قدراً وهو من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المقام وهو المقام الإلهي في الدنيا.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم هذا العلم وهو علم الحكمة ويتضمن علم المواقف، وعلم الحساب، وعلم الظن، وعلم الإهمال والفرق بينه وبين الإمهال الذي يطلبه الاسم الحكيم، وعلم السابقة إلى المعاصي والمخالفات وهل يكون للإنسان المخالفة عين الموافقة؟ وإن كانت فهل تثمر له هذه المخالفة بهذه المثابة وسرعته إلى فعلها قربة عند الله؟ وهل تحجب المقرب ولا بد وإن سارع إليها عند مباشرة الفعل المخالف للحكم المشروع عن الحكم المشروع فيه أو لا يحجب؟ وأما أن يكون قربة ذلك الفعل المخالف ولكن قد يكون مقر بألا قربة وهو علم كبير لا يعرفه من أهل طريقنا إلا قليل، فإن غوره بعيد وميزانه خفي دقيق ما في الموازين أخفى منه، والأكثر من أهل طريق الله ما شاهده ولا رآه، وإن قيل له أنكره فما ظنك بعلماء الرسوم فما ظنك بالعامة؟ وأما أكابر الحكماء من الفلاسفة فأنكروه جملة واحدة، وسبب إنكارهم مع فضلهم وبعد غورهم أنهم لا يقولون بالاختصاص كما نقول نحن بل الأمور عندهم كلها مكتسبة بالاستعداد، ، فمن هنا خفي عليهم هذا العلم وغيره مما يتعلق بالاختصاص.

ومن علوم هذا المنزل علم السبب الذي أدى القائلين إلى إنكار الدار الآخرة الحسية والمعنوية فإنهم طائفتان بلا شك: طائفة تنكر الحس الأخروي، وطائفة تنكره معنى وحساً.

ومن علومه علم أحوال الموت ولماذا يرجع وما حقيقته وذبحه وصورته في عالم التمثيل كبشاً أملح ومكان ذبحه ولمن تنتقل حياته إذا ذبح؟ وعلم التجلي الموجب لكسوف الكواكب المعنوية والحسية، وعلم حضرة الجمع بين العبد والرب، ومن هذه الحضرة ظهر القائلون بالاتحاد والحلول فإنها حضرة علم تزل فيها الأقدام فإن الشبهة فيه قوية لا يقاومها دليل مركب، وعلم الأسفار ولنا فيه جزء سميناه الإسفار عن نتائج الأسفار يتضمن من العلم الإلهي ونسبة هذا الحكم الإلهيّ إليه ومن العلم الكونيّ ونسبة هذا الحكم الإلهي معنى وحساً شيئاً كثيراً ومن علوم هذا المنزل الإلهي أيضاً لأي اسم إلٰهي ترجع الناس يوم القيامة، وعلم السبب الذي لأجله يسأل العالم غيره عما يعلمه، وسبب جحد العالم ما يعلمه إذا سئل عن العلم به، وعلم كشف الإنسان ما في نفس الملك وهل هو من علم الستر أو الظهور؟ أو منه ما يكون من علم الستر بوجه ومن علم الظهور بوجه؟ وعلم الأدب، وعلم الاقتداء، وعلم السبب الموجب لإيثار الدنيا على الآخرة مع ما فيها من الغموم والأنكار الحسية والمعنوية، وعلم الرؤية في الدار الآخرة وهل هي جائزة أو محال سواء كانت رؤية بصيرة أو بصر؟ وهل الرؤية محلها حقيقة الرائي أو العين المعتاد المعروف وهل الرؤية حكم أو معنى وجودي؟ وهل هي عين الرائي أو غيره كالصفة له؟ وعلم حال النفوس بعد الموت، وعلم الآخرة المعجلة والدنيا المؤجلة، وعلم الإقبال والإعراض، وعلم الوعيد والتقرير، وعلم الاقتدار. وهذا القدر كاف في هذا المنزل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب العاشر وثلاثمائة

في معرفة منزل الصلصلة الروحانية من الحضرة الموسوية

قال رسول الله ﷺ في إنزال الوحي: «**إِنَّهُ يَأْتِيهِ الوَحْيُ مِثْلُ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ**» يقول الراوي: فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً فإن نزول الوحي على الأنبياء له صور مختلفة أشدها وحي الصلصلة؛ شعر: [البسيط]

إنَّ البُرُوجَ لأوضَاعٌ مُقَدَّرةٌ ... وهي المنازلُ للسَّيَّارة الشُّهُبِ
نَظيرُها من وجود السعد يشمله ... هذي إلى الفوز والأخرى إلى العَطَبِ
إذا تَعرَّضت الأَنْواءُ تَطْلُبُني ... حُبّاً لتمنحني ما شئتُ من أدبِ
وجاءت السُّحْبُ والأرواحُ تحملُها ... والرعدُ يفصح عن عُجْم وعَن عَرَبِ
والبرقُ يخلع من أنوار نشأته ... على ظلام الدُّجَى ثوباً من الذَّهَبِ
والسُّحْبُ تسكبُ أَمطارَ الحقائق في ... بيتٍ من الطين والأهواء واللَّهَبِ
والأرضُ تهتزُّ إعجاباً بزَهْرَتِهَا ... والروضُ يَرْفُلُ في أثوابه القُشُبِ
عِلْمُ الحقائق هذا لا أريد سوى ... العلم بالله والأسماءِ والحُجُبِ
لما تَنَزَّهَ علم ذاته علم ... على الوصول به ناديت مِنْ كَثَبِ
أنْتَ الإلهُ الذي لا شيءَ يشبهُه ... إلا الذي جاء في التَّنْزيل والكُتُبِ

اعلم أن الله خلق الأرواح على ثلاث مراتب لا رابع لها: أرواح ليس لهم شغل إلا تعظيم جناب الحق ليس لهم وجه مصروف إلى العالم ولا إلى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى. وأرواح مدبرة أجساماً طبيعية أرضية وهي أرواح الأناسي وأرواح الحيوانات عند أهل الكشف من كل جسم طبيعي عنصري فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال رسول الله ﷺ: «**يَشْهَدُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَى صَوْتِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ**» وسبح الحصا في كفه ﷺ وفي كف من شاء الله من أصحابه، وقال في أحد: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» فهذه الأخبار كلها تدل على حياة كل شيء ومعرفته بربه، فإن السماء والأرض ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ونحن نعرف ذلك من طريق الكشف ولو لم يأت في ذلك خبر، وهذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام مقصورة عليها مسخرة بعضها لبعض بما فضل الله بعضهم على بعض كما قال عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وأرواح أخر مسخرات لنا وهم على طبقات كثيرة، فمنهم الموكل بالوحي والإلقاء، ومنهم الموكل بالأرزاق، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بإحياء الموتى، ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم، ومنهم الموكلون بالغراسات في الجنة جزاء لأعمال العباد.

فاعلم أن أرواح الأناسي جعل الله لها آلات طبيعية كالعين والأذن والأنف والحنك، وجعل فيها قوى سماها سمعاً وبصراً وغير ذلك، وخلق لهذه القوى وجهين، وجه إلى

المحسوسات عالم الشهادة ووجه إلى حضرة الخيال، وجعل حضرة الخيال محلاً واسعاً أوسع من عالم الشهادة، وجعل فيها قوّة تسمى الخيال إلى قوى كثيرة مثل المصوّرة والفكر والحفظ والوهم والعقل وغير ذلك، وبهذه القوى تدرك النفس الإنسانية جميع ما يعطيها حقائق هذه القوى من المعلومات، فبالوجه الذي للبصر إلى عالم الشهادة تدرك جميع المحسوسات وترفعها إلى الخيال فتحفظها في الخيال بالقوّة الحافظة بعد ما تصوّرها القوّة المصوّرة، وقد تأخذ القوّة المصوّرة أموراً من موجودات مختلفة كلها محسوسة وتركب منها شكلاً غريباً ما أبصرته قط حساً بمجموعه لكن ما فيه جزء، إلا وقد أبصرته، فإذا نام الإنسان نظر البصر بالوجه الذي له إلى عالم الخيال، فيرى ما فيه مما نقله الحس مجموعاً أو مما صوّرته القوّة المصوّرة مما لم يقع الحس على مجموعه قط لا على أجزائه التي تألفت منها هذه الصورة، فتراه نائماً إلى جانبك، وهو يبصر نفسه معذباً أو منعماً أو تاجراً أو ملكاً أو مسافراً، ويطرأ عليه خوف في منامه في خياله فيصيح ويزعق، والذي إلى جانبه لا علم له بذلك ولا بما هو فيه، وربما إذا اشتد الأمر تغير له المزاج فأثر في الصورة الظاهرة النائمة حركة أو زعاقاً أو كلاماً أو احتلاماً، كل ذلك من غلبة تلك القوّة على الروح الحيوانيّ فيتغير البدن في صورته، فإذا تنزلت الأملاك المسخرة بالوحي على الأنبياء عليهم السلام أو تنزل رقائق منها على قلوب الأولياء لأن الملك لا ينزل بوحي على قلب غير نبيّ أصلاً ولا بأمر إلهيّ جملة واحدة، فإن الشريعة قد استقرّت وتبين الفرض والواجب والمندوب والمباح والمكروه، فانقطع الأمر الإلهيّ بانقطاع النبوّة والرسالة، ولهذا لم يكتف رسول الله ﷺ بانقطاع الرسالة فقط لئلا يتوهم أن النبوّة باقية في الأمة فقال عليه السلام: «**إِنَّ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ قَدِ انْقَطَعَتْ فَلاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَلاَ رَسُولَ**» فما بقي أحد من خلق الله يأمره الله بأمر يكون شرعاً يتعبده به، فإنه إن أمره بفرض كان الشارع قد أمره به فالأمر للشارع وذلك وهم منه وادّعاء نبوّة قد انقطعت، فإن قال: إنما يأمره بالمباح قلنا: لا يخلو إما أن يرجع ذلك المباح واجباً في حقه فهذا هو عين نسخ الشرع الذي هو عليه حيث صير بهذا الوحي المباح الذي قرّره الرسول مباحاً واجباً يعصى بتركه، وإن أبقاه مباحاً كما كان فكذلك كان، فأية فائدة في الأمر الذي به جاء هذا الملك لهذا المدعي صاحب هذا المقام؟ فإن قال: ما جاء به ملك لكن الله أمرني به من غير واسطة قلنا هذا أعظم من ذلك فإنك ادّعيت أن الله يكلمك كما كلم موسى عليه السلام ولا قائل به لا من علماء الرسوم ولا من علماء أهل الذوق، ثم إنه لو كلمك أو لو قال لك فما كان يلقي إليك في كلامه إلا علوماً وأخباراً لا أحكاماً ولا شرعاً ولا يأمرك أصلاً، فإنه إن أمرك كان الحكم مثل ما قلنا في وحي الملك، فإن كان ذلك الذي دندنت عليه عبارة عن أن الله خلق في قلبك علماً بأمر ما فما ثم في كل نفس إلا خلق العلم في كل إنسان ما يختص به وليّ من غيره، وقد بينا في هذا الكتاب وغيره ما هو الأمر عليه، ومنعنا جملة واحدة، أن يأمر الله أحداً بشريعة يتعبده بها في نفسه أو يبعثه بها إلى غيره، وما نمنع أن يعلمه الحق على الوجه الذي نقرّره وقرّره أهل طريقنا بالشرع الذي تعبده به على لسان الرسول عليه

السلام من غير أن يعلمه ذلك عالم من علماء الرسوم بالمبشرات التي أبقيت علينا من آثار النبوّة وهي «**الرُّؤيا يَراها الرَّجُلُ المُسْلِمُ أو تُرَى لَه**» وهي حق ووحي ولا يشترط فيها النوم لكن قد تكون في النوم وفي غير النوم، وفي أيّ حالة كانت فهي رؤيا في الخيال بالحس لا في الحس، والمتخيل قد يكون من داخل في القوّة، وقد يكون من خارج بتمثل الروحاني أو التجلي المعروف عند القوم، ولكن هو خيال حقيقي إذا كان المزاج المستقيم المهيأ للحق، فإذا ورد الملك على النبيّ عليه السلام بحكم أو بعلم خبري وإن كان الكل من قبيل الخبر ولقي تلك الصورة الروح الإنساني وتلاقى هذا بالإصغاء وذلك بالإلقاء وهما نوران احتد المزاج واشتعل وتقوّت الحرارة الغريزية المزاجية في النورين وزادت كميتها فتغير وجه الشخص لذلك وهو المعبر عنه بالحال وهو أشد ما يكون، وتصعد الرطوبات البدنية بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة، فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذه الأحوال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين، ولقوّة الهواء الحار الخارج من البدن بالرطوبات تغمر المسام فلا يتخلله الهواء البارد من خارج، فإذا سرّي عن النبي وعن صاحب الحال وانصرف الملك من النبي والرقيقة الروحانية من الولي سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت المسامّ وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج فيزيد في كيمة البرودة وتستولي على الحرارة وتضعفها، فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن، ثم بعد ذلك يخبر بما حصل له في تلك البشرى إن كان ولياً أو في ذلك الوحي إن كان نبياً، وهذا كله إذا كان التنزيل على القلب بالصفة الروحانية، فإن كان نفثاً فهو الإلهام وهذا يكون للولي وللنبي، وأما إن حدث فسمع من غير رؤية فهو المحدث، وأما إن تراءى له الملك إن كان نبياً في زمان وجود النبوّة أو تراءت له الرقيقة رجلاً ممثلاً أو صورة حيوان يخاطبه بما جاء به إليه، فإن كان ولياً فيعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق رآه خطاب حق وتشريف لا غير لا زيادة حكم ولا إحداث حكم، لكن قد يكون بيان حكم أو إعلاماً بما هو الأمر عليه فيرجع ما كان مظنوناً معلوماً عنده، وإن لم يوافق الكتاب والسنة رآه خطاب حق وابتلاء لا بد من ذلك فعلم قطعاً أن تلك الرقيقة ليست برقيقة ملك ولا بمجلى إلهيّ ولكن هي رقيقة شيطانية، فإن الملائكة ليس لها مثل هذا المقام وأنها أجل من ذلك، وأكثر ما يطرأ هذا على أهل السماع من الحق في الخلق، فما بقي للأولياء اليوم بعد ارتفاع النبوّة إلا التعريف وانسدت أبواب الأوامر الإلهية والنواهي، فمن ادّعاها بعد محمد فهو مدع شريعة أوحي بها إليه سواء وافق شرعنا أو خالف، وأما في غير زماننا قبل رسول الله ﷺ فلم يكن تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢] فإن زمانه أعطي ذلك وهو على شريعة من ربه وقد شهد له الحق بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فإلياس والخضر على شريعة محمد ﷺ إما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع، وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك إلا على طريق التعريف لا على طريق النبوّة. وكذلك عيسى عليه السلام إذا نزل فلا يحكم فينا إلا بسنتنا عرّفه الحق بها على طريق

التعريف لا على طريق النبوّة، وإن كان نبياً فتحفظوا يا إخواننا من غوائل هذا الموطن فإن تمييزه صعب جداً وتستحليه النفوس ويطرأ عليها فيه التلبيس لتعشقها به، وإذا أنس المحل بمثل هذا الإلقاء الذي ذكرناه هان عليه حمله وما يكون فيه كمثله حين يفجأه، وإن الله إذا تكلم بالوحي فكأنه سلسلة على صفوان فتصعق الأرواح عند سماعها ويكون العلم الذي يحصل لها في تلك الصلصلة كالعلم الذي حصل من الضرب بين الكتفين، وكالعلم الحاصل من النظر سؤالاً وجواباً واستفادة علوم كثيرة من مجرّد ضرب أو نظر، وقد رأينا هذا كله بحمد الله من نفوسنا فلا نشك فيه، وما أشبهه إلا بأبواب مغلقة فإذا فتحت الأبواب وتجلى لك ما وراءها أحطت بالنظرة الواحدة علماً بها كما يفتح الإنسان عينه في اللمحة الواحدة فيدرك من الأرض إلى فلك البروج، ثم الذي يجده صاحب هذا الأمر من ثلج برد اليقين ما لا يقدر قدره، ولتلك الحرارة التي قلنا توجد عند الإلقاء كان رسول الله ﷺ يقول عند افتتاح كل صلاة وفي أكثر الأحوال: «**اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي بِالثَّلْجِ وَالمَاءِ البَارِدِ وَالبَرَدِ**» فهذه ثلاثة كلها بوارد ليقابل بها حرارة الوحي فإنه محرق، ولولا القوة التي تحصل للقلب من هذا البرد هلك.

واعلم أن هذا المنزل يتضمن من العلوم علم اليقين، وعلم الحجاب، وعلم الوعيد، وعلم الكبرياء الكونيّ المنوط بالحق، وعلم التقديس، وعلم السبب الذي لأجله اتخذت المخلوقات أرباباً من دون الله ولماذا قال أرباباً من دون الله وهم اتخذوها أرباباً مع الله، وعلم ما يحل من الربا، وعلم إيثار الحق وهل يصح هذا مع اعتقادك أن لا فاعل إلا الله فعلى من يؤثره، وعلم أحدية النفخة واختلاف الأثر ولما كان الاشتعال في النار بالنفخ وينطفىء به السراج والهواء أقرب للاشتعال للطافته من الحشيش والفحم، وعلم أحوال الآخرة من جانب ما تحوي عليه من الشدائد خاصة، وعلم المعارضة التي قصدها الحلاج حتى دعا عليه عمرو بن عثمان فلما جرى عليه ما جرى كانت المشيخة تقول: إنما أصيب الحلاج بدعوة الشيخ، وعلم السحر الحقيقي وغير الحقيقي وهل هو في الحالتين خيال أم لا؟ وعلم لماذا يرجع كون الباري له كلام هل لخلقه أو لصفة قائمة به زائدة على ذاته أو نسبة خاصة أو لعلمه؟ ومحل الإعجاز من القرآن ما هو؟ فإن هذا علم عظيم منيع الحمى، وعلم الاصطلام الذي تنتجه معارضة الكلام، وعلم ما تحوي عليه البسملة من الأسرار ولماذا انحصرت في هذه الثلاثة الأسماء، وهذه الحروف المخصوصة دون باقي الحروف وأين محلها من الآخرة؟ وهل تخلق من حروفها ملائكة؟ أي يأتي يوم القيامة كل حرف منها صورة قائمة مثل ما تأتي سورة البقرة وسورة آل عمران وهما الزهراوان يشهدان لقارئهما وإذا وجدت صور هذه الحروف يوم القيامة فمن حيث رقمها أو من حيث التلفظ بها أو منهما، والحروف المشددة منها هل تخلق صورتين أو صورة واحدة؟ وإذا خلقت هذه الحروف صوراً فمن أي شيء تقي قارئها ومن في مقابلتها ووقايتها؟ هل هي عين الشهادة؟ فإن كانت للشهادة فما تشهد إلا لمن رقمها أو من تلفظ بها أنه رقمها أو تلفظ بها وقد رقمها الكافر وتلفظ بها المنافق، وإن كانت تشهد بالإيمان بها الذي محله القلب فما هي ببسملة الرقم ولا ببسملة اللفظ وليس في النفس

إلا العلم بها والإيمان والإرادة لها، وكذلك يكون الأمر على هذا التقسيم في الزهراوين من رقمها وقراءتها أو من كونها سورة فقط أو من كونها ذات آيات وحروف، وهل الآيات في الصورة كالأعضاء لصورة الحيوان؟ أو هي لها كالصفات النفسية للموصوف لا كالأعضاء؟ هذا كله من علم هذا المنزل، وعلم الضلال والهدى وهل يرجعان إلى نسب أو إلى أعيان موجودة؟ وإن كانت موجودة أعياناً فهل هي مخلوقة أو غير ذلك؟ وإن كانت مخلوقة فهل هما من خلق العباد أو من خلق الله أو بعضها من خلق العبد وبعضها من خلق الله؟ وعلم تسليط المخلوقات بعضهم على بعض من المعاني وغير المعاني فإن الله تعالى لما سمى نفسه ملكاً سمى خلقه جنوداً، وإذا كانوا جنوداً وما ثم إلا الله وخلقه فلمن يحاربون؟ أو هم أجناد زينة لا أجناد محاربة؟ فإن حارب بعضهم بعضاً وهو الواقع فمن أجناد الله من هؤلاء الأجناد؟ فالذين هم أجناد الله فإن الله مليكهم فمن ملك الأجناد الآخرين؟ وهنا من الأسرار الإلهية مهالك، ويرجع علم ذلك لما في أحكام الأسماء الإلهية من المنازعة والتضاد ومنها الموافق والمخالف وكذلك الأرواح الملكية.

وقد روي أن رجلاً من المسرفين على نفسه أراد التوبة وكان من قرية كلها شر وكانت ثم قرية أخرى كلها خير فأراد الهجرة إليها فبينا هو في الطريق جاء أجله فمات فتنازعت ملائكة الرحمة الذين هم أجناد الاسم الرحيم وملائكة العذاب الذين هم أجناد الاسم المنتقم، فلما طال النزاع بينهم فيمن يتسلمه من هاتين الطائفتن الذين هم وزعة الأسماء الإلهية أوحى الله إليهم أن قدروا ما بين القريتين فإلى أيهما كان أقرب كان من أهلها فقدروا ما بين القريتين فوجدوا الرجل قد ناء بصدره لا غير نحو قرية السعادة فحكم له بالسعادة فتسلمته ملائكة الرحمة، ومعلوم أنه ما مشى إلا بعد حصول التوبة في قلبه أو إرادتها إن كان لا يعلم حدها فقد علم الله من ذلك ما علم، وكل خطوة خطاها من أوّل خروجه من قريته فهجرة وحركة محمودة، ومع هذا وقع الحكم بالتقدير المكاني والمكان فما سبب ذلك وما أثره في الكون؟ وهل للحاكم فيه مدخل في الحكم بين الناس وهو الحكم بالاستهام وهو القرعة؟ وعلم الأعمال المشروعة هل لها وجود قبل أن يعمل بها المكلف أو لا وجود لها بل هي عين المكلف؟ وإذا كانت عمله كيف تحكم الصنعة على صانعها من غير حكم النسب إذ لا أثر لها فيه إلا بما ينسب إليه منها من الثناء المحمود أو المذموم، وقد ورد أن كل إنسان مرهون بعمله، فمن الراهن والمرتهن إذا كان المكلف عين الرهن؟ فما أعجب حكم الله في خلقه، فوالله ما عرف الله إلا الله، وهل السعداء والأشقياء على هذا الحكم أو يختص به الأشقياء دون السعداء، وعلم من يخرج الله من النار من غير شفاعة شافع من المخلوقين هل هو إخراج امتناني حتى لا يتقيد؟ أو هل هو عن شفاعة الأسماء الإلهية كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] ومعلوم أنه لا يحشر إلى شيء من كان عند ذلك الشيء، ولما كان الاتقاء والخوف من حكم المتقى منه وهو الاسم الشديد العقاب والسريع الحساب فكان المتقي في حكم أمثال هذه الأسماء الإلهية، فحشرهم الله يوم القيامة إلى الرحمن وزال

عنهم حكم هؤلاء الأسماء الأخر، فإن كان الأمر على هذا فقد يكون خروج شفاعة وإن لم يكن فهو خروج امتنان وهبة. وعلم صور الإعراض عن الحق والكل في قبضته. وعلم ما يتميز به الإنسان من سائر الحيوان كله والنبات والجماد والملائكة مخلوقون في المعارف إلا لطيفة الإنسان وأنها تخالف سائر المخلوقات في الخلق، وهل العقل الذي في الإنسان وجد لاقتناء العلوم أو لدفع الهوى خاصة ماله غير ذلك؟ وهذه المسألة من مسائل سهل بن عبد الله التستري ما رأيت غيره ذكرها ولا وصلت إلينا إلا من طريقه وعلوم هذا المنزل لا تحصى كثرة فاقتصرنا من ذلك على ما ذكرناه فإنه كالأمّهات لما بقي في المنزل من العلوم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الحادي عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل النواشىء الاختصاصية الغيبية من الحضرة المحمدية

[الرمل]

دَثِّرُوني زَمِّلُوني قَوْلَ مَنْ ... خَصَّهُ الرحمنُ بالعلم الحَسَنْ

حين جَلَّى الرُّوحَ بالأُفُقِ له ... وهو في غَارِ حِرَاء قد سَجَنْ

نَفْسَهُ فيه لأمْرٍ جاءه ... في غَيَابَاتِ الفؤادِ المُسْتَكِنْ

لِتَجَلٍّ قام في خاطره ... صُورَةٌ مجموعةٌ من كلِّ فَنْ

سُورةٌ سِينيَّةٌ صَادِيَّةٌ ... جُمِعَ السرُّ لديها والعَلَنْ

فأتى يرجُفُ منها هَيْبَةً ... غادة تؤنسهُ حتى سَكَنْ

سأَلتْهُ ما الذي أقْلَقَهُ ... قال أمْرٌ قد نَفَى عَنِّي الوَسَنْ

هو أن الله قد أكرمني ... بالذي أكرم أصحابَ اللَّسَنْ

من رسولٍ ونبيٍّ مُجْتَبًى ... في علوم وبلاءٍ ومِحَنْ

كُلّما أحْضِرُهُ في خَلَدي ... حَنَّ قلبيَ لتجلّيه وأنْ

فلذا يُقلِقُني مشهدُهُ ... ولذا أزْهَدُ في دندن دن

اعلم أنه ليلة تقييدي هذا الباب رأيت رؤيا سررت بها واستيقظت وأنا أنشد بيتاً كنت قد عملته قبل هذا في نفسي وهو من باب الفخر، وهو: [الكامل]

في كُلِّ عَصْرٍ وَاحِدٌ يَسْمُو به ... وأنا لباقي العَصْر ذاكَ الوَاحِدُ

وذلك أني ما أعرف اليوم في علمي من تحقق بمقام العبودية أكثر مني، وإن كان ثم فهو مثلي، فإني بلغت من العبودية غايتها فأنا العبد المحض الخالص لا أعرف للربوبية طعماً؛ رئي يوماً عتبة الغلام وهو يخطر في مشيته شغل التائه المعجب بنفسه فقيل له: يا عتبة ما هذا التيه الذي أنت فيه ولم يكن يعرف هذا منك قبل اليوم؟ فقال: وحقيق لمثلي أن يتيه وكيف لا أتيه وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً؟ واعلم أنه في كل زمان لا بدّ من واحد فيه في كل مرتبة متبرز حتى في أصحاب الصنائع وفي كل علم لو تفقد ذلك الزمان وجد الأمر على ما

قلناه والعبودية من جملة المراتب، والله سبحانه قد منحنيها هبة أنعم بها عليّ لم أنلها بعمل بل اختصاص إلهي أرجو من الله أن يمسكها علينا ولا يحول بيننا وبينها إلى أن نلقاه بها، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.

واعلم أن هذا المنزل منزل النواشىء الاختصاصية وهي عبارة عن بداية وأوّلية كل مقام وحال قال تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فلو كانت إعادة أرواحنا إلى أجسادنا على هذا المزاج الخاص الذي كان لنا في النشأة الدنيا لم يصح قوله تعالى: ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فإنه قد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] وقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] يعني في النشأة الآخرة أنها تشبه النشأة الدنياوية في عدم المثال، فإن الله أنشأنا على غير مثال سبق، وكذلك ينشئنا على غير مثال سبق. فإن قيل: فما فائدة قوله: ﴿تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] ؟ قلنا : يخاطب الأرواح الإنسانية أنها تعود إلى تدبير الأجسام في الآخرة كما كانت في الدنيا على المزاج الذي خلق تلك النشأة عليه ويخرجها من قبرها فيها، ومن النار حين ينبتون كما تنبت الحبة تكون في حميل السيل مع القدرة منه على إعادة ذلك المزاج لكن ما شاء، ولهذا علق المشيئة به فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] يعني ذلك المزاج الذي كان عليه، فلو كان هو بعينه لقال: ثم ينشره.

فنرجع إلى ما نريد أن نبينه من بعض علوم هذا المنزل وهو العلم الذي يدور عليه فنقول: إن العالم عالمان والحضرة حضرتان، وإن كان قد تولد بينهما حضرة ثالثة من مجموعهما، فالحضرة الواحدة حضرة الغيب ولها عالم يقال له عالم االغيب، والحضرة الثانية هي حضرة الحس والشهادة ويقال لعالمها عالم الشهادة ومدرك هذا العالم بالبصر، ومدرك عالم الغيب بالبصيرة، والمتولد من اجتماعهما حضرة وعالم، فالحضرة حضرة الخيال، والعالم عالم الخيال، وهو ظهور المعاني في القوالب المحسوسة، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإسلام في صورة العمد، والإيمان في صورة العروة، وجبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي، وتمثل لمريم في صورة بشر سوي كما ظهر السواد في جسم العفص والزاج عند اجتماعهما ولم يكن لهما ذلك الوصف في حال افتراقهما، ولذلك كانت حضرة الخيال أوسع الحضرات لأنها تجمع العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة، فإن حضرة الغيب لا تسع عالم الشهادة فإنه ما بقي فيها خلاء وكذلك حضرة الشهادة، فقد علمت أن حضرة الخيال أوسع بلا شك وأنت قد عاينت في حسك وعلى ما تعطيه نشأتك في نفسك المعاني، والروحانيين يتخيلون ويتمثلون في الأجساد المحسوسة في نظرك بحيث إذا وقع أثر في ذلك المتصور تأثر المعنى المتصوّر فيه في نفسه، ولا شك أنك أحق بحضرة الخيال من المعاني ومن الروحانيين، فإن فيك القوّة المتخيلة وهي من بعض قواك التي أوجدك الحق عليها فأنت أحق بملكها والتصرف فيها من المعنى، إذ المعنى لا يتصف بأن له قوّة خيال، ولا الروحانيين من الملأ الأعلى بأن لهم في نشأتهم قوّة خيال، ومع هذا فلهم التميز في هذه الحضرة الخيالية بالتمثل والتخيل، فأنت أولى بالتخيل والتمثل منهم

حيث فيك هذه الحضرة حقيقة، فالعامة لا تعرفها ولا تدخلها إلا إذا نامت ورجعت القوى الحساسة إليها، والخواص يرون ذلك في اليقظة لقوّة التحقق بها، فتصور الإنسان في عالم الغيب في حضرة الخيال أقرب وأولى ولا سيما وهو في نشأته له في عالم الغيب دخول بروحه الذي هو باطنه، وله في عالم الشهادة دخول بجسمه الذي هو ظاهره، والروحاني ليس كذلك وليس له دخول في عالم الشهادة إلا بالتمثل في عالم الخيال، فيشهده الحس في الخيال صورة ممثلة نوماً ويقظة، فإن تميز الإنسان في عالم الغيب فله ذلك فإنه يتميز فيه حقيقة لا خيالاً من حيث روحه الذي لا يدركه الحس وهو من عالم الغيب، وإن أراد أن يتروحن بجسمه ويظهر به في عالم الغيب وجد المساعد وهو روحه المرتبط بتدبيره فهو أقرب إلى التمثل في عالم الغيب من الروحاني المتمثل في صورة عالم الشهادة، ولكن هذا المقام يكتسب وينال مثل قضيب البان رحمه الله فلقد كان له هذا المقام، ففي قوّة الإنسان ما ليس في قوّة عالم الغيب، فإن في قوّة الإنسان من حيث روحه التمثل في غير صورته في عالم الشهادة، فيظهر الإنسان في أيّ صورة شاء من صور بني آدم أمثاله، وفي صور الحيوانات والنبات والحجر، وقد وقع ذلك منهم. ولقد أخبرني شيخ من شيوخ طريق الله وهو عندي ثقة عدل وفاوضته في هذه المسألة فقال: أنا أخبرك بما شاهدته من ذلك تصديقاً لقولك، وذلك أني صحبت رجلاً ممن له هذا المقام ولم يكن عندي من ذلك خبر فسألته الصحبة من بغداد إلى الموصل في ركب الحاج عند رجوعه فقال لي: إذا عزمت فلا تبتدئني بشيء من مأكول ومشروب حتى أكون أنا الذي أطلبه منك، فعاهدته على ذلك وكان قد أسنّ فركب في شقة محارة وأنا أمشي على قدمي قريباً منه لئلا تعرض له حاجة إليّ فمرض بعلة الإسهال وضعف فصعب ذلك عليّ وهو لا يتداوى بما يقطعه ويزيل عنه القيام، قال: فقلت له: يا سيدي أروح لي هذا الرجل الذي على سبيل صاحب سنجار آخذ من المارستان دواء قابضاً فنظر إليّ كالمنكر وقال: الشرط أملك فسكت عنه، قال: فزاد به الحال فما قدرت على السكوت، فلما نزل الركب بالليل وأسرجت المشاعل وقصد صاحب سبيل سنجار وكان خادماً أسود وقد وقفت الرجال بين يديه وأصحاب العلل يجيئون إليه، يطلبون منه الأدوية بحسب عللهم وأمراضهم فقلت له: يا مولاي أرح قلبي وفرّج عني بأن تأمرني آتيك بدواء من عند هذا الرجل، قال: فتبسم وقال لي: رح إليه، قال: فجئت إليه ولم يكن يعرفني قبل ذلك ولا كنت أنا على حالة وبزّة توجب تعظيمي، فمشيت إليه وأنا خائف أن يردّني أو ينتهرني لما كان فيه من الشغل، فوقفت على رأسه بين الناس فلما وقعت عينه عليّ قام إليّ وأقعدني وسلم عليّ بفرح وبسط وتبشبش وقال: ما حاجتك؟ فقلت له عن حال الشيخ ومرضه، فاستدعى بالدواء من الوكيل على أكمل ما يمكن واعتذر وقال لي: تعنيت وهلا بعثت إليّ في ذلك؟ وقمت أخرج من الخيمة فقام لقيامي ومشت المشاعل بين يدي فودعته بعدما مشى معي خطوات وأمر المشاعلي أن يمشي بالضوء أمامي فقلت له ما الحاجة وخفت من الشيخ أن يعز ذلك عليه فرجع المشاعلي وجئت فوجدت الشيخ على حاله كما تركته فقال لي: ما فعلت؟ فقلت له:

ببركتك أكرمني وهو لا يعرفني ولا أعرفه ووصفت له تفصيل ما كان منه فتبسم الشيخ وقال لي: يا حامد أنا أكرمتك ما كان الخادم الذي أكرمك لا شك أني رأيتك كثير الجزع عليّ لعلتي فأردت أن أريح سرك فأمرتك أن تمشي إليه وخفت عليك منه لئلا يفعل معك ما يفعله مع الناس من الإهانة والطرد فترجع منكسراً فتجردت عن هيكلي وتصورت لك في صورته فأكرمتك وعظمت قدرك وفعلت معك ما رأيت إلى أن انفصلت وهذا دواؤك لا أستعمله، فبقيت مبهوتاً، فقال لي: لا تعجل ارجع إليه وانظر إلى ما يفعل بك، قال: فجئت إليه وسلمت عليه فلم يقبل عليّ وطردت، فذهبت متعجباً فرجعت إلى الشيخ فقصصت إليه ما جرى لي فقال ما قلت لك فقلت له: عجباً كيف رجعت خادماً أسود؟ فقال: الأمر كما رأيت. ومثل هذه الحكاية عن الرجال كثير. وهذا يشبه علم السيمياء وليس بعلم السيمياء، والفرق بيننا في هذا المقام وبين علم السيمياء أنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تجد شبعاً، والذي يقبض عندك مما تقبضه من هذا العلم إنما ذلك في نظرك ثم تطلبه فلا تجده، وإذا أراك صاحب هذا العلم السيماوي تدخل الحمام ثم ترجع إلى نفسك لا ترى لذلك حقيقة بل كل ما تراه بطريق السيمياء إنما هو مثل ما يرى النائم فإذا انتبه لم يجد شيئاً مما رآه، فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء أو الحروف أو القلقطيرات، فإن السيمياء لها ضروب أكثفها القلقطيرات وألطفها التلفظ بالكلام الذي يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله فيرى مثل ما يرى النائم وهو في يقظته، وهذا المقام الذي ذكرناه ليس كذلك، فإنك إن أكلت به شبعت وإن مسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان بقي معك على حاله لا يتغير، وقد وجدنا هذا المقام من نفوسنا وأخذناه ذوقاً في أوّل سلوكنا مع روحانية عيسى عليه السلام، ولهذا قال عليه السلام وقد نهى عن الوصال فقيل له إنك تواصل فقال ﷺ: «**لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ مَعِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِي**» وفي رواية: «**يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**» فلم يكن من تلك الجماعة التي خاطبها في ذلك الوقت من له هذا المقام ولم يقل لست كهيئة الناس، فكان إذا أكل شبع وواصل على قوّة معتادة. ولما كان الأكل في حضرة الخيال لا في حضرة الحس صح أن يكون مواصلاً، وقد رأينا أن جبريل ظهر في صورة الحس رجلاً معروفاً كظهوره في صورة دحية وفي وقت رجلاً غير معروف ولم يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة في صورة غيره من الملائكة، فجبريل لا يظهر في الملائكة وفي عالم الغيب في صورة ميكائيل أو إسرافيل ولهذا قال تعالى عنه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته، فيظهر زيد في صورة عمرو، وليس للملك ذلك في عالم الغيب، وكما ظهر جبريل في صورة البشر يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة أيّ صورة ملك شاء، وأعجب من هذا أن بعض الرجال من المحبين من أهل هذه الطريقة دخل على شيخ فتكلم له الشيخ في المحبة وقد رآه بعض الحاضرين قد دخل عليه فما زال ذلك المحب يذوب في نفسه حساً من كلام ذلك الشيخ في المحبة لقوّة

تحقق ذلك المحب إلى أن رجع بين يدي ذلك الشيخ كفاً من ماء فدخل عليه رجال فسألوه عن ذلك المحب أين هو فإنا ما رأيناه خرج ؟ فقال: هذا الماء هو ذلك المحب الذي بين يدي، فنظروا إلى ماء قليل على الحصير بين يدي الشيخ فانظر كيف رجع إلى أصله الذي خلق منه فياليت شعري أين تلك الأجزاء.

فاعلم أن الإنسان في هذا الطريق يعطى من القوّة ما يظهر به في هذه النشأة كما يظهر في النشأة الآخرة التي يظهر فيها على أيّ صورة شاء فإن هذا في أصل هذه الصورة الدنياوية، ولكن لا يصل كل واحد إلى معرفة هذا الأصل وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] وهي هذه النشأة الظاهرة، ثم قال: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] أي هذه النشأة المسواة المعدّلة قابلة لجميع الصور فيجليه الله تعالى في أي صورة شاء، فأعلمنا أن هذه النشأة تعطي القبول لأي صورة كانت، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] بعد الفراغ من تسوية صورة الإنسان الظاهر فعين له صورة من الصور التي في قوّته وتركيبه أن يقبلها، فإذا علم الإنسان بالكشف الإلهي أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور فيتعمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر، فإذا فتح له فيه ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء، وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صوره شاء، غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب أن الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب يعرفون أنه جسم تَرَوْحَنَ، والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداء حتى يعرفوا بذلك كما قال عليه السلام حين دخل عليه الروح الأمين في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر قال الراوي لا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وما لها من الشروط فلما فرغ من سؤاله قام ينصرف فلما غاب قال النبي ﷺ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الرَّجُلُ؟**» وفي رواية: «**رُدّوا عليَّ الرَّجُل**» فالتمس فلم يجدوه فقال ﷺ: «**هذا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيعلِّم الناسَ دِينَهُمْ**» غير أن بعض الناس يعرفون الروحانيّ إذا تجسد من خارج من غيره من الناس أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها وما كل أحد يعرف ذلك، ويفرّقون أيضاً بين الصورة الروحانية المعنوية المتجسدة وبين الصورة الممثلة من داخل بعلامات يعرفونها وقد علمتها وتحققتها، فإني أعرف الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل من الصورة الجسمية الحقيقية والعامّة لا تعرف ذلك، والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن وظهر فيهم بصورة أحدهم أو بصورة غريبة لم يروا مثلها فيزيدون على عامة البشر بهذا وينقصهم أن يظهروا في عالمهم على صور بعضهم كما نظهر في عالمنا إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا، فسبحان العليم الحكيم مقدّر الأشياء والقادر عليها لا إله إلا هو العليم القدير.

واعلم أن أصل هذ الأمر الذي ذكرته في هذه المسألة إنما هو من العلم الإلهيّ في التجلي الإلهيّ، فمن هناك ظهر هذا الأمر في عالم الغيب والشهادة إذ كان العالم بجملته

والإنسان بنسخته والملك بقوّته على صورة مقام التجلي في الصور المختلفة، ولا يعرف حقيقة تلك الصور التي يقع التحوّل فيها على الحقيقة إلا من له مقام التحوّل في أيّ صورة شاء وإن لم يظهر بها، وليس ذلك المقام إلا للعبد المحض الخالص فإنه لا يعطيه مقام العبودية أن يتشبه بشيء من صفات سيده جملة واحدة، حتى أنه يبلغ من قوّته في التحقق بالعبودية أنه يفنى وينسى ويستهلك عن معرفة القوّة التي هو عليها من التحوّل في الصور بحيث أن لا يعرف ذلك من نفسه تسليماً لمقام سيده إذ وصف نفسه بذلك، ولولا هذا الأصل الإلهيّ وأن الحق له هذا وهو في نفسه عليه ما صح أن تكون هذه الحقيقة في العالم، إذ يستحيل أن يكون في العالم أمر لا يستند إلى حقيقة إلهية في صورته التي يكون عليها ذلك الأمر، ولو كان لكان في الوجود من هو خارج عن علم الله، فإنه ما علم الأشياء إلا من علمه بنفسه ونفسه علمه ونحن في علمه كالصور في الهباء، لو كنت تعلم يا فتى من أنت علمت من هو إذ لا يعلم الله إلا من يعلم نفسه، قال ﷺ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» فألحق علمك من نفسه وأعلمك أنك لا تعرفه إلا من نفسك، فمن تفطن لهذا المعنى علم ما نقول وما نومىء إليه.

فأمّا حديث التجلي يوم القيامة فأنا أورده إن شاء الله كما ورد في الصحيح، وذلك أنه خرّج مسلم عن أبي سعيد الخدري: أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ لَيسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ صَحْواً لَيسَ فِيها سَحَابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**كَذٰلِكَ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِتَتْبَعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كانَتْ تَعْبُدُ فَلاَ يَبْقَى أحد كان يعبد غير الله من الأصْنام والأنْصَابِ إلا ويتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَعبر أهلَ الكتابِ قَالَ فَتُدْعَى اليَهُودُ فيقالُ لَهُمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيراً وَنَقُولُ إنَّهُ ابْنُ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: يَا رَبِّ إِنَّا عَطِشْنَا فَاسْقِنَا فَيُشَارُ إِلَيهِم أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّها سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ تُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ وَنَقُولُ إنَّه ابنُ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ الله مِن صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، وَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا عَطِشْنَا يَا رَبِّ فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ فَيَأْتِيهِم رَبُّ العَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالى في أَدْنَى صُورةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَيَقُولُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ لِتَتْبَعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاس فِي الدُّنْيا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، قَالَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بالله مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بالله شَيْئاً مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً حَتَّى إنَّ بَعْضَهُم لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ آيَة تَعْرِفُونَها؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إلاَّ أُذِنَ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ**

يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ ورِيَاءَ إلاَّ جَعَلَ الله ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ في صُورتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيها أَوّل مرّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبّكم، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ أَنْتَ رَبّنا قَالَ: ثُمَّ يُضرَبُ الجِسْرُ على جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ» الحديث إلى آخره.

وقد طال الكلام، فلنذكر ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم، فمن ذلك علم الاسم القيوم واختلف في أصحابنا هل يتخلق به أم لا؟ فكان الشيخ أبو عبد الله بن جنيد القبرفيقي من كبار مشايخ هذه الطريقة بالأندلس وكان معتزلياً سمعته يمنع التخلق به وفاوضته في ذلك مراراً في محله بحضور أصحابه بقبرفيق من أعمال ونده إلى أن رجع إلى قولنا من التخلق بالقيوم كسائر الأسماء الإلهية، وفيه علم نشء عالم الغيب، وفيه علم مقادير عالم الغيب، وفيه علم وصف كلام الله بالتتابع، وفيه علم تنزل الأرواح وما يجده من تنزل عليه من الثقل وضيق النفس، ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي فبلغني أن شيخنا يوسف بن يخلف الكرميّ قال: إن فلاناً وسماني ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الأموات فبعثت إليه لو جئتني لرأيت من أجالس، فصلى الضحى وأقبل إلي وحده فطلب عليّ فوجدني بين القبور قاعداً مطرقاً وأنا أتكلم على من حضرني من الأرواح فجلس إلى جانبي بأدب قليلاً قليلاً فنظرت إليه فرأيته قد تغير لونه وضاق نفسه فكان لا يقدر أن يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه وأنا أنظر إليه وأتبسم فلا يقدر أن يتبسم لما هو فيه من الكرب، فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح وردّ وجهه إليّ فقبل بين عينيّ فقلت له: يا أستاذ من يجالس الموتى أنا أو أنت؟ قال: لا والله بل أنا أجالس الموتى، والله لو تمادى عليّ الحال فطست وانصرف وتركني فكان يقول: من أراد أن يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان، وفيه علم استقامة عالم الغيب وعصمته من المخالفة وأنه عالم الوفاق، وفيه علم ما تواطأت عليه القوى الإنسانية، وعلم ما اختلفت فيه فعين تجمعها وعين تفرقها، وفيه علم الأسماء التي تعطي الذكر في كل ذاكر وما حضرتها وما أثرها، وفيه علم الانفراد بالحق وما الذي يدعوه إلى ذلك وهل يصح في الملأ الانفراد أو لا يصح إلا بكلية الإنسان ظاهراً وباطناً، وفيه علم أسماء الجهات من حضرة الربوبية، وفيه علم توحيد كل حضرة، وفيه علم ملك الملك وهو علم تصريف الخلق الحق وهو مقام عزيز، وفيه علم السياسة في ترك أبناء الجنس، وفيه علم الوعيد وفيه علم الرسالة ومن أين بعثت الرسل ولمن بعثت من صفات الإنسان وما مقام الرسول من المرسل إليه؟ وفيه علم الموطن الذي يلحق الأصاغر بالأكابر بالخاصية وهو علم انطواء الزمان كانطواء ألف سنة من الزمان في يوم من أيام الرب، وانطواء خمسين ألف سنة من الزمان عندنا في يوم من أيام ذي المعارج وهو كاللمحة في عالمه، وكانطواء ثلاثمائة يوم وستين يوماً من أيام الزمان المعلوم في يوم من أيام الشمس، ولكل كوكب من السيارة والثوابت أيام تقدر لها من الأيام الزمانية بقدر اتساعها وهو من علوم هذا المنزل، وفيه علم إثبات المشيئة للعبد من أي حضرة هي وأي اسم إلهي ينظر إليها، وفيه علم تقلب الإنسان في

عالم الغيب بين دخول وخروج، وفيه علم المقادير والأوزان وما يعطى بالكيل والميزان فإنه قد ورد أن العقل يعطى بالمكيال والأعمال بالميزان، وفيه علم الرفق بالكون والتخلق به وما اسمه في الأسماء الإلهية، وفيه علم عجز العالم عن إدراك ما لا يمكن إدراكه ليتميز بذلك العبد فيعرف قدره، وفيه علم السفر والمسافر والطريق، وفيه علم ما يسافر من أجله وهل حصوله من عين المنة أم لا؟ وهل يكون العالم المكتسب من عين المنة؟ وإن كان فبماذا يقع الفرقان بين العلمين وكلاهما من عين المنة؟ وفيه علم إنشاء صور الأعمال، وفيه علم المقارضة الإلهية ولماذا يرجع؟ وما فهمت من ذلك طائفة حتى قالت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] حين قال لهم الله ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ﴾ [المزمل: ٢٠] فقالت: إن رب محمد يطلب منا القرض، وفيه علم الستر ورحمة الاختصاص، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء وحفظهم في ذلك من الشياطين من الحضرة المحمدية

[البسيط]

قُلْ لِلَّذي خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقِ ... لـقـد رَبَـطْـتَ بـه مَـوَاثِـقَ الـعُـلَـقِ
قل للذي خلق الإنسان من علقِ ... لقد أتيتَ به جَمْعاً على نَسَقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... الحَقُّ أبلجُ بين النَّصِّ والعَنَقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... جعلتُ عَهْدَكَ بالتوحيد في عُنُقي
قل للذي خلق الإنسان من علق ... كيف التَّخَلُّقُ بالأسماء والخُلُقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... لا تَحْجُبَنِّي فهذا آخرُ الرَّمَقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... العلمُ عند الْتِجَام الناسِ بالعَرَقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... أعْلَمْتَني أنّ عَيْنَ الأمر في النّفقِ
لأنَّ لي بَصَراً لا جَفْنَ يَحْصُرُهُ ... وأنّ لي بصراً قد حُفَّ بالحَدَقِ
قل للذي خلق الإنسان من علق ... لقد جعلت وجود الكون في طَبَقِ
لكنني إذْ رأيتُ الأمْرَ من جهتي ... كان الوجود الذي شاهدتُ عن طبقِ
فالكلُّ في ظُلَم الأطْباق مُنْحَصِرٌ ... لذا تراه كثيرَ الشّوقِ والقَلَقِ
فصاحبُ القَلَقِ المَشْهُودُ ظاهِرُهُ ... يَرَى الحقائقَ في الأسْحَارِ والغَسَقِ
وصاحبُ الغَسَقِ المشهودُ باطِنُهُ ... يرى الحقائق في الأنوار والفَلَقِ
فالكلُّ في حضرة التقييد ما بَرِحُوا ... فإنْ أتاه سِرَاجٌ مِنْهُ لم يُطِقِ
فلا يزال على بَلْوَى تقلِّبُهُ ... فيها وتُزْعِجُه لَوَاعِجُ الحُرَقِ
وزاده عِشْقُهُ فيه مكابدةً ... والعشقُ لفظةٌ اشْتُقَّتْ مِنَ العَشَقِ

أعلاه في جنسه فيه كأسفله ... فالقيدُ في قَدَمٍ والغلُّ في عُنُقِ
فالرُّوحُ يمسكه جسمٌ يدبِّرُه ... والجسمُ يُمْسِكُهُ تَوَافُقُ الفِرَقِ

أريد بتوافق الفرق اجتماع الطبائع التي وجد عنها الجسم.

اعلم أن المعلومات ثلاثة لا رابع لها، وهي: الوجود المطلق الذي لا يتقيد وهو وجود الله تعالى الواجب الوجود لنفسه. والمعلوم الآخر العدم المطلق الذي هو عدم لنفسه وهو الذي لا يتقيد أصلاً وهو المحال وهو في مقابلة الوجود المطلق فكانا على السواء حتى لو اتصفا لحكم الوزن عليهما، وما من نقيضين متقابلين إلا وبينهما فاصل به يتميز كل واحد من الآخر وهو المانع أن يتصف الواحد بصفة الآخر، وهذا الفاصل الذي بين الوجود المطلق والعدم لو حكم الميزان عليه لكان على السواء في المقدار من غير زيادة ولا نقصان، وهذا هو البرزخ الأعلى وهو برزخ البرازخ له وجه إلى الوجود ووجه إلى العدم، فهو يقابل كل واحد من المعلومين بذاته وهو المعلوم الثالث وفيه جميع الممكنات وهي لا تتناهى كما أنه كل واحد من المعلومين لا يتناهى، ولها في هذا البرزخ أعيان ثابتة من الوجه الذي ينظر إليها الوجود المطلق، ومن هذا الوجه ينطلق عليها اسم الشيء الذي إذا أراد الحق إيجاده قال له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وليس له أعيان موجودة من الوجه الذي ينظر إليه منه العدم المطلق ولهذا يقال له: ﴿كُن﴾ وكن حرف وجوديّ فإنه لو أنه كائن ما قيل له ﴿كُن﴾ وهذه الممكنات في هذا البرزخ بما هي عليه وما تكون إذا كانت مما تتصف به من الأحوال والأعراض والصفات والأكوان، وهذا هو العالم الذي لا يتناهى وما له طرف ينتهي إليه وهو العامر الذي عمر الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام عمارة الصور الظاهرة للرائي في الجسم الصقيل عمارة إفاضة، ومن هذا البرزخ هو وجود الممكنات، وبها يتعلق رؤية الحق للأشياء قبل كونها، وكل إنسان ذي خيال وتخيل إذا تخيل أمراً ما فإن نظره يمتدّ إلى هذا البرزخ وهو لا يدري أنه ناظر ذلك الشيء في هذه الحضرة، وهذه الموجودات الممكنات التي أوجدها الحق تعالى هي للأعيان التي يتضمنها هذا البرزخ بمنزلة الظلالات للأجسام بل هي الظلالات الحقيقية وهي التي وصفها الحق سبحانه بالسجود له مع سجود أعيانها، فما زالت تلك الأعيان ساجدة له قبل وجودها فلما وجدت ظلالاتها وجدت ساجدة لله تعالى لسجود أعيانها التي وجدت عنها من سماء وأرض وشمس وقمر ونجم وجبال وشجر وداوب وكل موجود، ثم لهذه الظلالات التي ظهرت عن تلك الأعيان الثابتة من حيث ما تكوّنت أجساماً ظلالات أوجدها الحق لها دلالات على معرفة نفسها من أين صدرت، ثم إنها تمتد مع ميل النور أكثر من حد الجسم الذي تظهر عنه إلى ما لا يدركه طولاً ومع هذا ينسب إليه، وهو تنبيه أن العين التي في البرزخ التي وجدت عنها لا نهاية لها كما قررناه في تلك الحضرة البرزخية الفاصلة بين الوجود المطلق والعدم المطلق، وأنت بين هذين الظلالين ذو مقدار، فأنت موجود عن حضرة لا مقدار لها ويظهر عنك ظل لا مقدار له، فامتداده يطلب تلك الحضرة البرزخية، وتلك الحضرة البرزخية هي ظل الوجود المطلق من الاسم النور الذي

ينطلق على وجوده فلهذا نسميها ظلاً، ووجود الأعيان ظل لذلك الظل، والظلالات المحسوسة ظلالات هذه الموجودات في الحس، ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات وكانت الممكنات وإن وجدت في حكم العدم سميت ظلالات ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود وهو واجب الوجود، وبين من له الثبات المطلق في العدم وهو المحال لتتميز المراتب، فالأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي فإنه ما ثم حضرة تخرج إليه ففيها تكتسب حالة الوجود والوجود فيها متناه ما حصل منه والإيجاد فيها لا ينتهي، فما من صورة موجودة إلا والعين الثابتة عينها والوجود كالثوب عليها، فإذا أراد الحق أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الحق في صورة ذلك الأمر لهذه العين التي هي حقيقة ذلك الولي الخاص، فيفهم من ذلك التجلي بمجرد المشاهدة ما يريد الحق أن يعلمه به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم، كما وجد النبي عليه السلام العلم في الضربة وفي شربه اللبن، ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به، فمن لا يشعر يقول: وجدت في خاطري أمر كذا وكذا ويكون ما يقول على حد ما يقول، فيعرف من يعرف هذا المقام من أي مقام نطق هذا الولي وهو أتم ممن لا يعرف، وتلك حضرة العصمة من الشياطين فهو وحي خالص لا يشوبه ما يفسده، وإن اشتبه عليك أمر هذا البرزخ وأنت من أهل الله فانظر في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] أي لولا ذلك البرزخ لم يتميز أحدهما عن الآخر ولأشكل الأمر وأدى إلى قلب الحقائق، فما من متقابلين إلا وبينهما برزخ لا يبغيان أي لا يوصف أحدهما بوصف الآخر الذي به يقع التميز وهو محل دخول الجنة التي لا تنال إلا برحمة الله، ولهذا لا يصح أن يكون له عمل وهو حال الدخول إليها، فلا تتصف بأنك قد دخلت ولا بأنك خارج، وهو خط متوهم يفصل بين خارج الجنة وداخلها، فهو كالحال الفاصل بين الوجود والعدم فهو لا موجود ولا معدوم، فإن نسبته إلى الوجود وجدت فيه منه رائحة لكونه ثابتاً، وأن نسبته إلى العدم صدقت لأنه لا وجود له، والعجب من الأشاعرة كيف تنكر على من يقول أن المعدوم شيء في حال عدمه وله عين ثابتة ثم يطرأ على تلك العين الوجود وهي تثبت الأحوال اللهم منكر الأحوال لا يتمكن له هذا. ثم إن هذا البرزخ الذي هو الممكن بين الوجود والعدم سبب نسبة الثبوت إليه مع نسبة العدم هو مقابلته للأمرين بذاته، وذلك أن العدم المطلق قام للوجود المطلق كالمرآة فرأى الوجود فيه صورته فكانت تلك الصورة عين الممكن، فلهذا كان للممكن عين ثابتة وشيئية في حال عدمه، ولهذا خرج على صورة الوجود المطلق، ولهذا أيضاً اتصف بعدم التناهي فقيل فيه إنه لا يتناهى، وكان أيضاً الوجود المطلق كالمرآة للعدم المطلق، فرأى العدم المطلق في مرآة الحق نفسه فكانت صورته التي رأى في هذه المرآة هو عين العدم الذي اتصف به هذا الممكن وهو موصوف بأنه لا يتناهى، كما أن العدم المطلق لا يتناهى فاتصف الممكن بأنه معدوم، فهو كالصورة الظاهرة بين الرائي والمرآة لا هي عين الرائي ولا غيره، فالممكن ما هو من حيث ثبوته عين الحق ولا غيره ولا هو من حيث عدمه عين المحال ولا غيره فكأنه أمر

إضافي، ولهذا نزعت طائفة إلى نفي الممكن وقالت ما ثم إلا واجب أو محال ولم يتعقل لها الإمكان، فالممكنات على ما قررناه أعيان ثابتة من تجلي الحق معدومة من تجلي العدم، ومن هذه الحضرة علم الحق نفسه فعلم العالم وعلمه له بنفسه أزلاً فإن التجلي أزلاً وتعلق علمه بالعالم أزلاً على ما يكون العالم عليه أبداً مما ليس حاله الوجود لا يزيد الحق به علماً ولا يستفيد ولا رؤية تعالى الله عن الزيادة في نفسه والاستفادة.

فإن قلت: فإن أحوال الممكنات مختلفة وإذا كان الممكن في حالة له مقابل لم يكن في الأخرى وبظهور إحداهما تنعدم الأخرى فمن أين كان العلم له بهذه المرتبة؟ قلنا له: إن كنت مؤمناً فالجواب هين وهو أنه علم ذلك من نفسه أيضاً واكتسى الممكن هذا الوصف من خالقه وقد ثبت لك النسخ الإلهي في كلام الحق بما شرع، وقد ثبت عندك تجلي الحق في الدار الآخرة في صور مختلفة فأين الصورة التي تحول إليها من الصورة التي تحول عنها؟ فهذا أصل تقلب الممكنات من حال إلى حال يتنوع لتنوّع الصور الإلهية.

فإن قلت: فهذا التنوّع ما متعلقه هل متعلقه الإرادة؟ قلنا: لا فإنه ليس للإرادة اختيار ولا نطق بها كتاب ولا سنة ولا دل عليها عقل وإنما ذلك للمشيئة فإن شاء كان وإن شاء لم يكن، قال عليه السلام: «**مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**» فعلق النفي والإثبات بالمشيئة، وما ورد مالم يرد لم يكن بل ورد لو أردنا أن يكون كذا لكان كذا فخرج من المفهوم الاختيار، فالإرادة تعلق المشيئة بالمراد وهو قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] هذا تعلق المشيئة، وقد ذهب بعض الناس من أهل الطريق أن المشيئة هي عرش الذات وهو أبو طالب أي ملكها أي بالمشيئة ظهر كون الذات ملكاً لتعلق الاختيار بها، فالاختيار للذات من كونها إلهاً فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وهو التردد الإلهي في الخبر الصحيح: «**ما تَرَدَّدْتُ في شيء أنا فاعلُه تَرَدُّدي في قَبْضِ نَسَمَةِ المؤمن يَكْرَهُ المَوْتَ**» والعلم للذات من كونه ذاتاً، ولهذا تظهر رائحة الجبر مع العلم ويظهر الاختيار مع المشيئة، فما حكم وسبق به العلم لا يتبدل عقلاً ولا شرعاً ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] ولرائحة الجبر فيه أعقبه ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] لئلا يتوهم متوهم ذلك إذ كان الحكم للعلم فيه فلم أخذ بما هو عليه مجبور غير مختار، ومن علم ما ذكرناه من تجلي الحق في مرآة العدم لظهور صور أعيان الممكنات على صورة الوجوب هان عليه هذا كله وعرف أصله واستراح راحة الأبد، وعلم أن الممكن ما خرج عن حضرة إمكانه لا في حال وجوده ولا في حال عدمه، والتجلي له مستصحب والأحوال عليه تتحوّل وتطرأ، فهو بين حال عدمي وحال وجودي والعين هي تلك العين، وهذا من العلم المكنون الذي قيل فيه: إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله، ولهذا كان الجن والأرواح لو بعث إليهم أحسن رداً على النبي ﷺ حين كان يقرأ عليهم القرآن من الإنس وكذا قال لأصحابه وذلك لأنهم إلى هذه الحضرة أقرب نسبة وإلى عالم الغيب فإن لهم التحوّل في الصور ظاهراً وباطناً، فكان استماعهم لكلام الله أوثق وأحسن للمشاركة في سرعة التنوّع والتقلب من حال إلى حال وهو

من صفات الكلام، فهم بالصفة إليه أقرب مناسبة وأعلم بكلام الله منا، ألا تراهم لما منعوا السمع وحيل بينهم وبين السماء بالرجوم قالوا: ما هذا إلا لأمر حدث، فأمر زوبعة أصحابه وغيره أن يجولوا مشارق الأرض ومغاربها لينظروا ما هذا الأمر الذي حدث وأحدث منعهم من الوصول إلى السماء، فلما وصل أصحاب زوبعة إلى تهامة مروا بنخلة فوجدوا رسول الله ﷺ يصلي صلاة الفجر وهو يقرأ فلما سمعوا القرآن أصغوا إليه وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فلولا معرفتهم برتبة القرآن وعظم قدره ما تفطنوا لذلك ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١] ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ١ ـ٣] وكذلك لما قرأ عليهم سورة الرحمن ليلة الجن ما مر بآية يقول فيها: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ولما تلاها رسول الله ﷺ بعد ذلك على أصحابه من الإنس لم يقولوا شيئاً مما قالته الجن، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنِّي تَلَوْتُها عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنّ فَكَانُوا أَحْسَنَ اسْتِمَاعاً لَهَا مِنْكُمْ مَا قِيلَ لَهُمْ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلاَّ وَقَالُوا: وَلاَ بِشَيْءٍ مِنْ آلائِكَ رَبّنا نُكَذِّبُ**».

ولقد روينا حديثاً غريباً عن واحد من هذه الجماعة من الجن حدثني به الضرير إبراهيم بن سليمان بمنزلي بحلب وهو من دير الرمان من أعمال الخابور عن رجل حطاب ثقة كان قد قتل حية فاختطفته الجن فأحضرته بين يدي شيخ كبير منهم هو زعيم القوم فقالوا له هذا قتل ابن عمنا قال الحطاب: ما أدري ما تقولون وإنما أنا رجل حطاب تعرضت لي حية فقتلتها، فقالت الجماعة: هو كان ابن عمنا، فقال الشيخ رضي الله عنه: خلوا سبيل الرجل وردوه إلى مكانه فلا سبيل لكم عليه فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول لنا: من تصوّر في غير صورته فقتل فلا عقل فيه ولا قود وابن عمكم تصوّر في صورة حية وهي من أعداء الإنس، قال الحطاب: فقلت له: يا هذا أراك تقول سمعت رسول الله ﷺ هل أدركته؟ قال نعم أنا واحد من جنّ نصيبين الذين قدموا على رسول الله ﷺ فسمعنا منه وما بقي من تلك الجماعة غيري فأنا أحكم في أصحابي بما سمعته من رسول الله ﷺ، ولم يذكر لنا اسم ذلك الرجل من الجن ولا سألت عن اسمه، وقد حدث بهذا الحديث الشيخ الذي حدّثنا به صاحبي شمس الدين محمد بن برنقش المعظمي وبرهان الدين إسماعيل بن محمد الأيدني بحلب أيضاً فإني كنت أحدثهما بهذا الحديث فلما جئنا مدينة حلب بعثتهما إليه ليحدثهما كما حدثني فحدثهما كما حدثني، فكل عالم برزخي هو أعلم بحضرة الإمكان من غيره من المخلوقين لقرب المناسبة.

ويكفي هذا القدر من هذا المنزل فلنذكر ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم وذلك أنه يحوي على علم الأمر الإلهي هل له صفة أم لا؟ وهل من شرطه أو من حقيقته الإرادة أم لا؟

وعلم الوحي وضروبه، وعلم السماع، وعلم العالم البرزخي، وعلم الجبروت، وعلم الهدى، وعلم العظمة الإلهية لماذا ترجع وأين تظهر ومن هو الموصوف بها ولمن هي نسبة ولمن هي صفة؟ وعلم التنزيه وعلى من يعود؟ وعلم الحضرة التي أطلق الله منها ألسنة عباده على نفسه بما لا يليق به في الدليل العقلي، وهل لذلك وجه إلهيّ يستند إليه في ذلك أم لا؟ وهو قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وأن عيسى ابن الله وكذلك عزير و﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] كما حكى الله عنهم وأمثال هذا، وعلم الظن وحكمه والمحمود منه والمذموم وما متعلقة وعلم الإيمان وعلم ما ينبغي أن يستند إليه ممن لا يستند وما صفته وما يجوز من ذلك مما لا يجوز، وعلم مراتب الكواكب، وعلم منازل الروحانيين من السماء، وعلم أحوال الخلق، وعلم الصديقين، وعلم المسابقة بين الله وبين عبده، وعلم المكر والفتن، وعلم القيام بأوامر الله، وعلم مراتب الغيب وما انفرد به الحق من علم الغيب دون خلقه، وما يمكن أن يعلم من الغيب وهل العلم به يزيل عنه اسم الغيب في حق العالم أم لا؟ وقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [التوبة: ٩٤] لماذا يرجع إطلاق الغيب؟ هل لكونه غيباً عنا أو غيباً في نفسه من حيث لم يصفه بتعلق الرؤية فيكون شهادة؟ وعلم العصمة، وعلم تعلق العلم بما لا يتناهى هل يتعلق به على جهة الإحاطة أم لا؟ وعلم قول النبي ﷺ في الأسماء الحسنى: «**مَنْ أحْصَاها دَخَلَ الجَنَّة**» وما معنى الإحصاء؟ ولماذا يرجع؟ وهل يدخل تحته ما لا يتناهى كما يدخل تحت الإحاطة أو لا يدخل؟ وما الفرق بين الإحاطة والإحصاء؟ فإن الواحد يحاط به ولا يحصى. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل البكاء والنوح من الحضرة المحمدية

[الوافر]

أقـول لآدَمٌ أَصْـلُ الـجُـسُـوم ... كـمـا أصْـلُ الـرِّسـالـة شَـرْعُ نُـوحِ
وإنَّ مـحـمَّـداً أصـلٌ شـريـفٌ ... عـزيـزٌ فـي الـوُجُـود لـكـلّ رُوحِ
أنـا وَلَـدٌ لآبـاءٍ كِـرَام ... فـنُـوري فـي الإضـاءة مِـثْـلُ يُـوحِ
إذا حَـضَـرُوا وإخـوانـي وُقُـوفٌ ... لِـخِـدْمَـتِـهِـم حَـنَـنْـتُ إلـى الـمَـسِـيحِ
فـإنّـي كـنـتُ تُـبْـتُ عـلـى يَـدَيْـهِ ... وسـاعَـدَنـي عـلـى قَـتْـل الـمَـسِـيـحِ
وذلـك فـي الـمَـنَـام وكـان مُـوسَـى ... نَـجِـيِّـي فـيـه بـالـقَـوْل الـفَـصِـيـحِ
وأعـطـانـي الـغَـزَالـةَ فـي يَـمـيـنـي ... وأفْـهَـمَ بـالإشـارة والـصَّـريـحِ
وأغْـنَـانـي فَـرَوَّحـنِـي عُـلُـوّاً ... وأفْـقَـرنـي فَـأَضْـحَـبَـنـي ضَـرِيـحِـي
فـإنْ حَـضَـرُوا وضَـمَّـهُـمُ مَـقَـامٌ ... إلـيـهـم حـيـن أبـصـرهـم جُـنُـوحِـي
فـبِـرُّ الـوالِـدَيْـن عـلـيَّ فـرضٌ ... فـيـا نـفـسـي عـلـى الـتّـفْـريـط نُـوحِـي
أنـا ابْـنُ مُـحَـمَّـد وأنـا ابْـنُ نُـوحٍ ... كـمـا أنّـي ابـنُ آدم فـي الـصَّـحِـيـحِ

فيا من يَفْهَمُ الإلْغَازَ هذا لسانُ رُمُوزنا بالعِلْم يُوحِي

اعلم أيدك الله أن أصل أرواحنا روح محمد ﷺ فهو أوّل الآباء روحاً، وآدم أوّل الآباء جسماً، ونوح أوّل رسول أرسل، ومن كان قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه، فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل، فمن دخل ثم رجع كان كافراً ومن لم يدخل فليس بكافر، ومن أدخل نفسه في الفضول وكذب الأنبياء كان كافراً ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافراً، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ليس بنص في الرسالة وإنما هو نص في أن في كل أمة عالماً بالله وبأمور الآخرة وذلك هو النبيّ لا الرسول، ولو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها، ونحن نقول: إنه كان فيهم أنبياء عالمون بالله، ومن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم كان ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه السلام منهم ولم يجيء له نص في القرآن برسالته بل قيل فيه صدّيقاً نبياً، فأوّل شخص استفتحت به الرسالة نوح عليه السلام، وأوّل روح إنسانيّ وجد روح محمد، وأوّل جسم إنسانيّ وجد جسم آدم، وللوراثة حظ من الرسالة، ولهذا قيل في معاذ وغيره رسول رسول الله وما فاز بهذه الرتبة ويحشر يوم القيامة مع الرسل إلا المحدثون الذين يروون الأحاديث بالأسانيد المتصلة بالرسول عليه السلام في كل أمة فلهم حظ في الرسالة وهم نقلة الوحي وهم ورثة الأنبياء في التبليغ والفقهاء إذا لم يكن لهم نصيب في رواية الحديث فليست لهم هذه الدرجة ولا يحشرون مع الرسل بل يحشرون في عامة الناس، ولا ينطلق اسم العلماء إلا على أهل الحديث وهم الأئمة على الحقيقة، وكذلك الزهاد والعباد وأهل الآخرة من لم يكن من أهل الحديث منهم كان حكمه حكم الفقهاء لا يتميزون في الوراثة ولا يحشرون مع الرسل بل يحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم بأعمالهم الصالحة لا غير، كما أن الفقهاء أهل الاجتهاد يتميزون بعلمهم عن العامة، ومن كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبيّ ﷺ في كشفه وصحبه في عالم الكشف والشهود وأخذ عنه حشر معه يوم القيامة وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن وعلى أسنى حالة، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم ولا يسمى صاحباً ولو رآه في كل منام حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً يخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها فهؤلاء الآباء الثلاثة هم آباؤنا فيما ذكرناه، والأب الرابع هو إبراهيم عليه السلام هو أبونا في الإسلام وهو الذي سمانا مسلمين وأقام البيت على أربع أركان فقام الدليل على أربع مفردات متناسبة وكانت النتيجة تناسب المقدمات، فانظر من كانت هذه مقدماته وهو محمد وآدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ما أشرف ما تكون النتيجة والولد عن هؤلاء الآباء روح طاهر وجسد طاهر ورسالة وشرع طاهر واسم شريف طاهر، ومن كان أبوه هؤلاء المذكورين فلا أسعد منه وهو أرفع الأولياء منصباً ومكانة. ولما كانت النشأة ظهرت في الجنان أولاً واتفق هبوطها إلى الأرض من أجل الخلافة لا عقوبة المعصية فإن العقوبة حصلت بظهور السوءات، والاجتباء والتوبة قد حصلا بتلقي

الكلمات الإلهية فلم يبق النزول إلا للخلافة، فكان هبوط تشريف وتكريم ليرجع إلى الآخرة بالجم الغفير من أولاده السعداء من الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنين، ولكن الخلافة لما كانت ربوبية في الظاهر لأنه يظهر بحكم الملك فيتصرف في الملك بصفات سيده ظاهراً وإن كانت عبوديته له مشهودة في باطنه فلم تعمّ عبوديته جميعه عند رعيته الذين هم أتباعه وظهر ملكه بهم وبأتباعهم والأخذ عنه فكان في مجاورتهم بالظاهر أقرب وبذلك المقدار يستتر عنه من عبوديته، فإن الحقائق تعطي ذلك، ولذلك كثيراً ما ينزل في الوحي على الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦] وهذه آية دواء لهذه العلة، فبهذا المقدار كانت أحوال الأنبياء الرسل في الدنيا البكاء والنوح فإنه موضع تتقى فتنته، ومن كان ذلك حاله أعني التقوى والاتقاء كيف يفرح أو يلتذ من يتقي فإن تقواه وحذره وخوفه أن لا يوفي مقام التكليف حقه وعلمه بأنه مسؤول عنه لا يتركه يفرح ولا يسر بعزة المقام، قال ﷺ: «**أَنَا أَتْقَاكُمْ لله وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا أَتَّقِي**» حين قالت له الصحابة في اجتهاده: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر بعد قوله المنزل عليه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وأمثال هذا ، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهذا هو حظ الوراثة من النبوة أن يتولى الله تعليم المتقي من عباده فيقرب سنده فيقول: أخبرني ربي بشرع نبيه الذي تعبَّده به ممن أخذه أوحى به إليه فهو عال في العلم تابع في الحكم وهم الذين ليسوا بأنبياء، وتغبطهم الأنبياء عليهم السلام في هذه الحالة لأنهم اشتركوا معهم في الأخذ عن الله، وكان أخذ هذه الطائفة عن الله بعد التقوى بما عملوا عليه مما جاءهم به هذا الرسول، فهم وإن كانوا بهذه المثابة وأنتج لهم تقواهم الأخذ عن الله في موازين الرسل وتحت حوطتهم وفي دائرتهم ووقع الاغتباط في كونهم لم يكونوا رسلاً فبقوا مع الحق دائماً على أصل عبودية لم تشبها ربوبية أصلاً، فمن هنا وقع الغبط لراحتهم وإن كانت الرسل أرفع مقاماً منهم، ألا تراهم يوم القيامة: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ولا يداخلهم خوف البتة والرسل في ذلك اليوم في غاية من شدة الخوف على أممهم لا على أنفسهم، والأمم في الخوف على أنفسهم، وهؤلاء في ذلك اليوم لا أثر للخوف عندهم فإنهم حشروا ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

ثم لتعلم بعد أن عرّفتك بعلوّ منصبك أيها الصديق في اتباع ما شرع لك أن الناس غلطوا في الصادقين من عباد الله المثابرين على طاعة الله، واشترط من لا يعرف الأمر على ما هو عليه ولا ذاق طريق القوم أن الداعي إلى الله إذا كان يدعو إلى الله بحالة صدق مع الله أثر في نفوس السامعين القبول فلا تردّ دعوته، وإذا دعا بلسانه وقلبه مشحون بحب الدنيا وأغراضها وكان دعاؤه صنعة لم يؤثر في القلوب ولا تعدى الآذان فيقولون: إن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتعد الآذان، وهذا غاية الغلط، فوالله ما من رسول دعا قومه إلا بلسان صدق من قلب معصوم ولسان محفوظ كثير الشفقة على رعيته

راغب في استجابتهم لما دعاهم إليه، هذه أحوال الرسل في دعائهم إلى الله تعالى وصدقهم ومع هذا يقول ﷺ: «**إنّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلاَّ فِرَاراً وَإِنّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**» وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النور: ٥٤] فلو أثر كلام أحد في أحد لصدقه في كلامه لأسلم كل من شافهه النبيّ عليه السلام بالخطاب، بل كذب وردّ الكلام في وجهه وقوتل، فإن لم يكن لله عناية بالسامع بأن يجعل في قلبه صفة القبول حتى يلقى بها النور الإلهيّ من سراج النبوّة كما وصفه تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ألا ترى الفتيلة إذا كان رأسها يخرج منه دخان وهي غير مشتعلة فإذا سامتت بذلك الدخان السراج اشتعل ذلك الدخان بما فيه من الرطوبة وتعلق فيه النور من السراج ونزل على طريقه حتى يستقر في رأس الفتيلة التي انبعث منها ذلك الدخان إلى السراج فتشتعل الفتيلة وتلحق برتبة السراج في النورية؟ فإن كانت لها مادة دهن وهي العناية الإلهية بقيت مستنيرة ما دام الدهن يمدها، وذلك النور يذهب برطوبات ذلك الدهن الذي به بقاؤه ولم يبق معه للسراج حديث بعد أن ظهر فيه النور وبقي الإمداد من جانب الحق فلا يدري أحد ما يصل إليه، فإن الأنبياء ما دعت لأنفسها الناس وإنما دعتهم إلى ربها، فأيّ قلب اعتنى الله به وقام به حرقة الشوق إلى ذلك الدعاء مثل احتراق رأس الفتيلة ثم انبعث من هذا الشوق همة إلى ما دعاه إليه الرسول في كلامه مثل انبعاث الدخان من تلك النارية التي في رأس الفتيلة وهي قوّة جاذبة فجذبت من نور النبوّة والوحي والهداية ذلك الاشتعال الذي قام بالدخان فرجع به إلى قلب صاحبه فاهتدى واستنار كما اتقدت هذه الفتيلة ثم فارق النبيّ ومشى إلى أهله نوراً فإن اعتنى الله به وأمده بتوفيقه ثبت له في قلبه نور الهداية بذاك الإمداد ولم يبق للرسول بعد ذلك معه شغل إلا بتعيين الأحكام، إلا أن ذلك النور هو نـــور الإيـــمـــان ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] قال عليه السلام عن ربه: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ولم يقل أدعو إلى نفسي، وإلى حرف موضوع للغاية فإذا أجاب المؤمن مشى إلى ربه على الطريقة التي شرع له هذا الرسول، فلما وصل إلى الله تلقاه الحق تلقي إكرام وهبات ومنح وعطايا فصار يدعو إلى الله على بصيرة كما دعا ذلك الرسول وهو قوله حين قال: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] فأخبر أن من اتبعه يدعو إلى الله أيضاً على بصيرة، فإن كنت عارفاً بمواقع الخطاب الإلهيّ وتنبيهاته وإشاراته فقد عرّفك بحالك مع رسول ﷺ وبحالك معه وقد جعلك على صورة نبيه ﷺ في نوره وإمداده، وأبان لك أن صورتك معه في هذا الأمر صورته أيضاً مع جبريل عليهما السلام الذي اتقدت فتيلته من سراج جبريل واشتعلت نوراً، وكل واحد من السرج ما انتقل نوره عنه بل هو على نوره في نفسه. وانظر إلى من استندت الرسل بعد أخذها عن جبريل عليه السلام هل كان استنادها إلى جبريل أو إلى الله؟ لا والله بل قيل رسول الله وما قيل رسول جبريل، وكذلك من أخذ عن النبوّة مثل هذا النور ودعا إلى الله على

بصيرة فذلك الدعاء والنور الذي يدعو به هو نور الإمداد لا النور الذي اقتبسه من السراج، فلينسب إلى الله في ذلك لا إلى الرسول فيقال: عبد الله وهو الداعي إلى الله عن أمر الله بوساطة رسول الله بحكم الأصل لا بحكم ما فتح الله به عليه في قلبه من العلوم الإلهية التي هي فتح عين فهمه لما جاء به الرسول ﷺ من القرآن والأخبار لا أن هذا الوليّ يأتي بشرع جديد، وإنما يأتي بفهم جديد في الكتاب العزيز لم يكن غيره يعرف أن ذلك المعنى في ذلك الحرف المتلوّ أو المنقول، فللرسل صلوات الله عليهم وسلامه العلم ولنا الفهم وهو علم أيضاً، فإن حققت يا أخي ما أوردناه في هذا الباب وقفت على أسرار إلهية وعلمت مرتبة عباد الله الذين هم بهذه المثابة أين ينتهي بهم ومع من منهم؟ وعمن يأخذون؟ ومن يناجون؟ وإلى من يستندون؟ وأين تكون منزلتهم في الدار الآخرة؟ وهل لهم شركة في المرتبة في الدار الآخرة كما كان لهم شركة هنا في النورية والإمداد الإلهي أم لا؟ فأمّا في الدنيا فليسوا بأنبياء فإنهم عن الأنبياء أخذوا طريقهم وما بقي الأمر إلا في الإمداد هل أثره إبقاء النور الأوّل أو تتجدد لهم الأنوار مع الآنات من الحق كما يتجدد نور السراج باشتعال الهواء من رطوبات الدهن؟ فليس هو ذلك النور الأوّل ولا هو غيره، ولا ذهب ذلك النور ولا بقي عينه، والناظر يرى اتصال الأنوار صورة واحدة في النورية إلا أنه يعرف أنه لولا إمداد الدهن لطفيء، هذا حظ كل مشاهد من ذلك من حيث النظر والصورة ومن حيث المعنى يزيد على النظر معرفة ما يقع به الإمداد وما أثره في ذلك المشهود فيزيد علماً آخر لم يكن عنده، فمن فقد مثل هذا ينبغي أن يطول نوحه وبكاؤه على نفسه جعلنا الله من أهله وممن دعا إلى الله على بصيرة أو انفرد مع الله على بصيرة إنه المليّ بذلك والقادر عليه. وهذا القدر كاف في هذا الباب وقد حصلت الفائدة فلنذكر ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم.

فاعلم أنه يتضمن علم الحقائق الأسمائية، وعلم الرسالة من حيث المكانة التي أرسل منها لا من حيث إنها رسالة، وعلم التخويف هل يخاف الله أو يخاف ما يكون منه؟ وما مشهود من يخاف الله والخوف إنما هو مما يتعلق بك ويحل فيك والحق تعالى منزه الذات عن الحلول في الذوات فما معنى وأعوذ بك منك؟ وعلم طاعة العباد فيماذا يطاعون وهل لهم في تلك الطاعة نصيب بطريق الاستحقاق أو ليس لهم؟ فإن الله يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] هذا مقام، ومقام آخر: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] ومقام آخر: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] فهذه مقامات كلها تقتضيها الطاعة ويختلف المطاع وتحقيق ذلك عجيب وتفصيل ما يقع فيه الطاعة كذلك، وهل نسبة الطاعة لأولي الأمر كنسبتها إلى الرسول كنسبتها إلى الله أم لا؟ بل تكون مختلفة، وعلم نتائج المخالفات والموافقات، وعلم الفرق بين الأجلين، ولماذا كان الأوّل أجلاً؟ ولماذا كان الآخر أجلاً؟ هل لعين واحدة أم لأمرين مختلفين؟ وعلم أحوال الناس المدعوّين إلى الله ما الذي يحول بينهم وبين الإجابة مع العلم بصدق الداعي، وما الذي يدعوهم إلى الإجابة والمجلس واحد والداعي واحد والدعوة واحدة؟ وعلم الثواب المعجل الحسيّ والمعنويّ، وعلم الاعتبار، وعلم العالم

العلويّ، والعالم السفليّ، وعلم السر الذي قام في المعبودين من دون الله، وما المناسبة التي جمعت بينهم وبين من عبدهم؟ ولماذا شقوا شقاوة الأبد ولم تنلهم المغفرة ولا خرجوا من النار؟ وعلم الغيرة الإلهية والغيرة من كل غيور ولماذا ترجع؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع عشر وثلاثمائة
في معرفة منزل الفرق بين مدارج
الملائكة والنبيين والأولياء من الحضرة المحمدية

[الكامل]

تَتَنَزَّلُ الأمْلاكُ من مَلَكُوتِه ... في قَالِبِ الأنْوار بالأَسْرَارِ

حتى إذا أَلْقَتْ إليَّ عُلُومَهَا ... بدقائق الأذوارِ والأكْوَارِ

من كُلِّ عِلْمٍ ما له مُتَعَلَّقٌ ... إلا بِبَنْغت الواحد القَهَّارِ

عادت إلى أفْلاكِهَا أمْلاكُهَا ... بأَلُوكَةٍ من حَضْرَةِ الأَبْرَارِ

قد زَانَها حُسْنُ التَّلَقِّي فَانْثَنَتْ ... بالصُّورَتَيْن حميدةَ الآثارِ

وتَيَقَّنَتْ أنّ المَعَارِفَ إنّما ... وُهِبَتْ لأهْلِ العلم بالأسْرارِ

وَقَدِ اشْتَهَتْ طُولَ المقام بساحتي ... لخُرُوجِها فيها عَنِ الأطْوَارِ

اعلم أيدك الله أيها الولي الحميم أن الله تعالى لما خلق الخلق قدرهم منازل لا يتعدّونها فخلق الملائكة ملائكة حين خلقهم، وخلق الرسل رسلاً، والأنبياء أنبياء، والأولياء أولياء، والمؤمنين مؤمنين، والمنافقين منافقين، والكافرين كافرين، كل ذلك مميز عنده سبحانه معين معلوم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يبدّل أحد بأحد، فليس لمخلوق كسب ولا تعمل في تحصيل مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] فمنازل كل موجود وكل صنف لا يتعدّاها ولا يجري أحد في غير مجراه قال تعالى في شأن الكواكب: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وهكذا كل موجود له طريق تخصه لا يسلك عليها أحد غيره روحاً وطبعاً، فلا يجتمع اثنان في مزاج واحد أبداً، ولا يجتمع اثنان في منزلة واحدة أبداً، فلا يكون الإنسان ملكاً أبداً، ولا الملك إنساناً، ولا الرسول غيره أبداً، ولكل مدرجة عن الله تعالى لكل صنف بل لأشخاص كل نوع خواص تخصها لا ينالها إلا السالك عليها، ولو جاز أن يسلك غيره على تلك المدرجة لنال ما فيها وإن جمع الجنس منزل واحد والنوع منزل واحد، وهكذا كل نوع من الأنواع التي تحت كل جنس من الأجناس، وكذلك كل جنس من الأجناس إلى جنس الأجناس كذلك إلى النوع الأخير، كما تجمع الرسالة الرسل ويفضل بعضهم بعضاً، والأنبياء النبوة ويفضل بعضهم بعضاً، هذا وإن كانت الكواكب تقطع في فلك واحد وهو فلك البروج فلكل واحد منها فلك يخصه يسبح فيه لا يشاركه فيه غيره، فهكذا الأمر في الجميع أعني في المخلوقات وإن جمعهم مقام فإنه يفرّقهم مقام، فالفلك الكبير الذي يجمع العالم كله فلك الأسماء الإلهية فيه يقطع كل شخص في العالم فهي

منازله المقدّرة لا يخرج عنها بوجه من الوجوه، ولكن يسبح فيه بفلكه الخاص به الذي أوجده الحق، فلا يذوق غيره ذوقه من فلك الأسماء، ولو ذاقه لكان هو ولا يكون هو أبداً فلا يجمع اثنين منزل أبداً لاتّساع فلك الأسماء الإلهية. فكلّ من ادعى من أهل الطريق أنه خرج عن الأسماء الإلهية فما عنده علم بما هي الأسماء ولا يعلم ما معنى الأسماء وكيف يخرج عن إنسانيته الإنسان أو عن ملكيته الملك، ولو صح هذا انقلبت الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهاً وصار الحق خالقاً والخلق حقاً وما وثق أحد بعلم، وصار الواجب ممكناً ومحالاً والمحال واجباً وانفسد النظام، فلا سبيل إلى قلب الحقائق، وإنما يرى الناظر الأمور العرضية تعرض للشخص الواحد وتنتقل عليه الحالات ويتقلب فيها فيتخيل أنه قد خرج عنها، وكيف يخرج عنها وهي تصرّفه وكل حال ما هو عين الآخر، فطرأ التلبيس من جهله بالصفة المميزة لكل حال عن صاحبه ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وإن سبح الكل في فلك الرسالة فأين قطع الهلال من قطع النسر؟ وذلك أن في الأمر اتساعاً وضيقاً ونشراً وطياً الحس حقيقة واحدة يقطع في فلكها الحواس فأين اللمس من البصر؟ اللمس لا يدرك الملموس كونه خشناً أو ليناً إلا بغاية من القرب، فإذا لمسه عرفه، والبصر عندما تفتح عينك وترسله في المبصرات علواً كان زمان فتحه زمان إدراكه فلك البروج فأين مسافة ما يقطعه البصر من مسافة ما يقطعه اللمس لو أرادت حاسة اللمس تدرك ملوسة فلك البروج أو خشونته لو كان خشناً متى كانت تصل إلى ذلك؟ ومع هذا فقد جمعهما الحس، وكذلك السمع والشم والطعم، فانظر ما بين هذه الحقائق من التباين وطبقاتها من التفاضل، وأين اتساع أفلاكها من اتساع أفلاك القوى الروحانية في الإنسان؟ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يسٓ: ٣٨].

وإذا علمت هذا علمت أن النبوّة اختصاص إلهيّ وأن الرسالة كذلك والولاية والإيمان والكفر وجميع الأحوال وأن الكسب اختصاص، فإن الملائكة ما لها كسب بل هي مخلوقة في مقاماتها لا تتعداها فلا تكتسب مقاماً وإن زادت علوماً ولكن ليس عن فكر واستدلال لأن نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الإنسان والقوى التي هم عليها الملائكة المعبر عنها بالأجنحة كما قال عز وجل: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١] وقد صح في الخبر «**أن جبريل له ستمائة جناح**»، فهذه القوة الروحانية ليس لها في كل ملك تصرّف فيما فوق مقام صاحبها مثل الطائر عندنا الذي يهوي سفلاً ويصعد علواً، وأجنحة الملائكة إنما تنزل بها إلى من هو دونها وليس لها قوّة تصعد بها فوق مقامها فإذا نزلت بها من مقامها إلى ما هو دونه رجعت علواً من ذلك الذي نزلت إليه إلى مقامها لا تتعدّاه، فما أعطيت الأجنحة إلا من أجل النزول، كما أن الطائر ما أعطي الجناح إلا من أجل الصعود، فإذا نزل بطبعه وإذا علا بجناحه، والملك على خلاف ذلك إذا نزل بجناحه وإذا علا علا بطبعه، وأجنحة الملائكة للنزول إلى ما دون مقامها، والطائر جناحه للعلوّ إلى ما فوق مقامه وذلك ليعرف كل موجود عجزه، وأنه لا يتمكن له أن يتصرّف بأكثر من طاقته التي أعطاه الله إياها، فالكل تحت ذل الحصر والتقييد والعجز لينفرد جلال الله بالكمال في الإطلاق لا إله إلا هو العليّ الكبير.

فإذا تقرر هذا فاعلم أن للملائكة مدارج ومعارج يعرجون عليها ولا يعرج من الملائكة إلا من نزل فيكون عروجه رجوعاً إلا أن يشاء الحق تعالى فلا تحجير عليه، وإنما كلامنا في الوقع في الوجود، وإنما سمي النزول من الملائكة إلينا عروجاً والعروج إنما هو لطالب العلو لأن لله في كل موجود تجلياً ووجهاً خاصاً به يحفظه ولا سيما وقد ذكر أنه سبحانه وسعه قلب عبده المؤمن، ولما كان للحق سبحانه صفة العلوّ على الإطلاق سواء تجلى في السفل أو في العلوّ فالعلوّ له، والملائكة أعطاهم الله من العلم بجلاله بحيث إذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون إلا لله لا لغيره، فلهم نظر إلى الحق في كل شيء ينزلون إليه، فمن حيث نظرهم إلى ما ينزلون إليه يقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [القدر: ٤] ومن حيث إنهم ينظرون إلى الحق سبحانه عند ذلك الأمر الذي إليه وله سبحانه مرتبة العلوّ يقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [المعارج: ٤] فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزولهم إلى الخلق عروج إلى الحق، وإذا رجعوا منا إلى مقاماتهم يقال إنهم عرجوا بالنسبة إلينا وإلى كونهم يرجعون إلى الحق لغرض ما بأيديهم مما نزلوا إليه، فكل نظر إلى الكون ممن كان فهو نزول، وكل نظر إلى الحق ممن كان فهو عروج فافهم.

ثم إن الله عين للرسل معارج يعرجون عليها ما هي معارج الملائكة، وعين للأتباع أتباع الرسل معارج يعرجون عليها وهم أتباع الأتباع فإن الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول، ولهذا قيل للرسول: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] فهو مصغ تابع للملك ونحن مع الرسول بهذه المثابة، فإذا نزل الملك بالوحي على الرسول وتلقاه منه ألقاه الرسول على التابع وهو الصاحب فتلقاه منه، فإذا عرج الملك عرج بذاته لأنه رجوع إلى أصله، وإذا عرج الرسول ركب البراق فعرج به البراق بذاته، وعرج الرسول لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية، فكان محمولاً في عروجه حمله من عروجه ذاتيّ فتميز عروج الرسول من عروج الملك. ثم إنه لما وصل إلى المقام الذي لا يتعدّاه البراق وليس في قوته أن يتعداه تدلى إلى الرسول الرفرف فنزل عن البراق واستوى على الرفرف وصعد به الرفرف وفارقه جبريل فسأله الصحبة فقال: إنه لا يطيق ذلك وقال له: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] فلو أراد الحق صعوده فوق ذلك المقام لكان محمولاً مثل ما حمل الرسول ﷺ. ولما وصل المعراج الرفرفيّ بالرسول ﷺ إلى مقامه الذي لا يتعداه الرفرف زج به في النور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخذه الحال فصار يتمايل فيه تمايل السراج إذا هب عليه نسيم رقيق يميله ولا يطفئه ولم ير معه أحداً يأنس به ولا يركن إليه وقد أعطته المعرفة أنه لا يصح الأنس إلا بالمناسب، ولا مناسبة بين الله وعبده، وإذا أضيفت المؤانسة فإنما ذلك على وجه خاص يرجع إلى الكون، فأعطته ﷺ هذه المعرفة الوحشة لانفراده بنفسه، وهذا مما يدلك أن الإسراء كان بجسمه ﷺ لأن الأرواح لا تتصف بالوحشة ولا الاستيحاش، فلما علم الله منه ذلك وكيف لا يعلمه وهو الذي خلقه في نفسه وطلب عليه السلام الدنو بقوّة المقام الذي هو فيه فنودي بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيساً له به إذ كان أنيسه في المعهود فحنّ لذلك وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في ذلك الموطن وكيف جاءه

من العلوّ وقد تركه بالأرض، وقيل له في ذلك النداء: يا محمد قف إن ربك يصلي فأخذه لهذا الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة إلى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فعلم ما المراد بنسبة الصلاة إلى الله فسكن روعه مع كونه سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ولكن قد وصف نفسه بأنه لا يفعل أمراً حتى يفرغ من أمر آخر فقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] فمن هذه الحقيقة قيل له: قف إن ربك يصلي أي لا يجمع بين شغلين يريد بذلك العناية بمحمد ﷺ حيث يقيمه في مقام التفرّغ له، فهو تنبيه على العناية به والله أجلّ وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك، فإن الذي ينال الإنسان من المتفرّغ إليه أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرّغ إليه لأن تلك الأمور تجذبه عنه، فهذا في حال النبيّ عليه السلام وتشريفه، فكان معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقرّبه ويشرّفه، فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر إلى الملك في الأمر الذي وجه إليه فيه فقيل له تربص قليلاً فإن الملك في خلوته يعزل لك خلعة تشريف يخلعها عليك فما كان شغله عنه إلا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فشرّف بأن قيل له: إنما غاب عنك من أجلك وفي حقك، فلما أدناه تدلى إليه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١٠ ـ ١١] العين، أي تجلى له في صورة علمه به، فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام.

فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع، فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج لا يكون إلا للرسل، فلو عرج عليه الوليّ لأعطاه هذا المعراج بخاصيته ما عنده وخاصيته ما تنفرد به الرسالة، فكان الولي إذا عرج به فيه يكون رسولاً وقد أخبر رسول الله ﷺ أن باب الرسالة والنبوّة قد أغلق، فتبين لك أن هذا المعراج لا سبيل للولي إليه البتة، ألا ترى النبي ﷺ في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته خمسون صلاة فهو معراج تشريع وليس للوليّ ذلك، فلمّا رجع إلى موسى عليهما السلام قال له: راجع ربك يخفف عن أمتك الحديث إلى أن صارت خمسة بالفعل، وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفيه طول.

واعلم أن معارج الأولياء بالهمم وشاركهم الأنبياء في هذا المعراج من كونهم أولياء ومن كونهم أنبياء ولا رسلاً، فيعرج الولي بهمته وبصيرته على براق عمله ورفرف صدقه معراجاً معنوياً يناله فيه ما يعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف، فهي ثلاثة معارج متجاورة مختلفة، والمعراج الرابع معراج توجهات الأسماء عليهم، فتفيض الأسماء الإلهية أنوارها على معارج الملائكة، ولكن من أنوار التكاليف والشرائع التي هي الأعمال المقرّبة إلى السعادة خاصة، هذا الذي أريده في هذا الموضع للفرقان بين المعارج، فتسطع معارج الملك بذلك النور فينصبغ به الملك كما تنصبغ الحرباء بالمحل الذي تكون فيه، ثم يفيض الملك على الرسول أي على معراجه فينصبغ به الرسول في باطنه من حيث روحانيته وهو قوله عليه

السلام: «فَأَعِيَ مَا يَقُولُ» ثم يفيضه الرسول على أتباعه متنوّعاً خلاف ما أعطاه الملك، فإن الملك إنما يخاطب واحداً والرسول يخاطب الأمة والأمة تختلف أحوالها، فلا بد للرسول أن يقسم ذلك الوحي على قدر اختلاف الأمة فإنه رزق مقسوم، فيتعين لكل ولي قسطه من ذلك الوحي لنفسه، ثم يأخذ منه مما لا يقتضيه حاله ليوصله إلى التابع بعده الذي لم يحضر ذلك المجلس، وهكذا إلى يوم القيامة وهم الورثة في التبليغ، فيعمل على حاله خاصة ويبلغ ما لا يقتضيه حاله. فقد تقتضي حاله تحليل ما حرّمه على غيره، فيكون مضطرّاً إلى الغذاء في وقت تحريم أكل الميتة على غير المضطرّ، وهو في تلك الحال من التبليغ يأكل الميتة على شهود من المبلغ إليه فيقول له: كيف تحرّم علي تناول ما تناولته أنت؟ فيقول له: لأن الحال مختلف، فإن حالة الاضطرار لم تحرّم عليها الميتة، وحالة غير الاضطرار حرّمت عليها الميتة، فيبلغ ما لا يقتضيه حاله ولا يعمل إلا بما يقتضيه حاله، ثم لتعلم إذا رقيت الأولياء في معارج الهمم، فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية فإن الأسماء الإلهية تطلبها، فإذا وصلت إليها في معارجها أفاضت عليها من العلوم وأنوارها على قدر الاستعداد الذي جاءت به، فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها، ولا تفتقر في ذلك إلى ملك ولا رسول فإنها ليست علوم تشريع وإنما هي أنوار فهوم فيما أتى به هذا الرسول في وحيه أو في الكتاب الذي نزل عليه أو الصحيفة لا غير، وسواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل، ولكن لا يخرج علم هذا الولي عن الذي جاء ذلك الرسول به من الوحي عن الله وكتابه وصحيفته لا بد من ذلك لكل وليّ صديق برسوله إلا هذه الأمة، فإن لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبيّ العلم والفتح والفيض الإلهيّ بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته، وبهذا فضلت على كل أمة من الأولياء، فلا يتعدى كشف الوليّ في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه، قال الجنيد في هذا المقام: «علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة» وقال الآخر: «كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء»، فلا يفتح لوليّ قط إلا في الفهم في الكتاب العزيز فلهذا قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال في ألواح موسى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] موعظة وتفصلاً لكل شيء فلا يخرج علم الوليّ جملة واحدة عن الكتاب والسنة، فإن خرج أحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولاية معاً، بل إذا حققته وجدته جهلاً والجهل عدم والعلم وجود محقق، فالوليّ لا يأمر أبداً بعلم فيه تشريع ناسخ لشرعه، ولكن قد يلهم لترتيب صورة لا عين لها في الشرع من حيث مجموعها، ولكن من حيث تفصيل كل جزء منها وجدته أمراً مشروعاً، فهو تركيب أمور مشروعة أضاف بعضها إلى بعض هذا الولي، أو أضيفت له بطريق الإلقاء أو اللقاء أو الكتابة فظهر بصورة لم تظهر في الشرع بجمعيتها، فهذا القدر له من التشريع، وما خرج بهذا الفعل من الشرع المكلف به فإن الشارع قد شرع له أنه يشرع مثل هذا فما شرع إلا عن أمر الشارع فما خرج عن أمره، فمثل هذا قد يؤمر به الولي من هناك، وأما خلاف هذا فلا.

فإن قلت: وأين جعل الله للولي العالم ذلك بلسان الشرع؟ قلنا: قال ﷺ: «مَنْ سَنَّ

سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً» فقد سنّ له أن يسن ولكن مما لا يخالف فيه شرعاً مشروعاً ليحل به ما حرم أو يحرم به ما حلل، فهذا حظ الولي من النبوّة إذا سنّ من هنالك، وهو جزء من أجزاء النبوّة كما هي المبشرات من أجزاء النبوّة وكثير من الأشياء على ذلك، فالأسماء الإلهية لها على كل معراج ظهور، ولهذا تخبر كل طائفة ممن ذكرنا عن ربها في أوقات بغير واسطة وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**لِي وَقْتٌ لا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي**» وهذا المقام لكل شخص من الخلق، ألم يقل أن كل مصلّ يناجي ربه فأين الوسائط في هذا المقام؟ وكذلك في الدار الآخرة في الموقف قال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ سَيُكَلِّمُهُ الله كِفَاحاً لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**» وكذا هو الآن غير أن في القيامة يعرف كل أحد أن ربه يكلمه، وفي الدنيا لا يعرف ذلك إلا العلماء بالله أصحاب العلامات فيعرفون كلام الله إياهم، فسبحان من خلقنا أطواراً وجعل لنا على علم الغيب والشهادة دليلاً ليلاً ونهاراً، فمحا آية الليل لدلالتها على الغيب، وجعل آية النهار مبصرة لدلالتها على عالم الشهادة، فمنا من كلم ربه غيباً وهو التجلي المشبه بالقمر ليلة البدر فذلك الأبدار صفتك أي إذا كملت حينئذ كلمك الحق في تجلي القمر بدراً لأنه بذاته مع كل موجود، ومنا من كلمه ربه شهادة وهو التجلي المشبه بالشمس ليس دونها سحاب، قال العارف: [الكامل]

يا مُؤْنِسي بالـلَّيْل إذْ هَجَعَ الـوَرَى ومُـحَـدِّثـي مِـنْ بَـيْـنِـهِـمْ بِـنَـهَـارِ

وبعد أن بانت لك المعارج والمدارج وظهرت لك المراتب ومن لها من العالم وامتازت كل طائفة من غيرها بمعراجها فقد نجز بعض الغرض من هذا الباب، فلنذكر أمهات ما يحوي عليه من العلوم فإنه منزل شريف، وهو يحوي على نحو من سبعين علماً أو يزيد على ذلك، فلنذكر منها الأمهات التي لا بد منها، وفي ضمنها يندرج ما بقي: فمنها علم السؤال فإنه ما كل أحد يعلم كيف يسأل فقد يكون للسائل في نفسه أمر مّا ولا يحسن يسأل عنه، فإذا سأل أفسده بسؤاله ووقع له الجواب على غير ما في نفسه، ويتخيل أن المجيب ما فهم عنه، والعيب إنما كان من السائل حيث لم يفهم المسؤول صورة ما في نفسه، ويتصوّر هذا كثير في الدعاوى عند الحكام وتحريرها، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ يَكُونُ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنَ الآخَرِ**» ومعناه أكثر إصابة ومطابقة لما في نفسه عند دعواه ممن لا يحسن ذلك، فهو علم مستقل في كل ما يسأل عنه أو يدعي فيه وله شروط معلومة مذكورة، وفيه علم القدر القضاء والحكم، وفيه علم مقامات الأملاك عمار الأفلاك منهم وغير عمارها، وعلم المقادير، وعلم الزمان، وعلم أحوال الناس في القيامة، وعلم النور، وعلم الجسر الذي يكون عليه الناس إذا تبدل الأرض وهو دون الظلمة، وعلم الظلمة، وعلم طبقات جهنم وتفاصيلها وأحوال الخلق فيها، وعلم الإنسان وما جبل عليه وهل ينتقل عما جبل عليه أم يستحيل ذلك؟ وعلم الديمومية، وعلم محادثة الحق، وعلم أداء الحقوق وعلم المحاضرة، وعلم الخوف وعلم الحفظ الإلهي، وعلم مجاوزة الحدود وما يتجاوز منها وما لا يتجاوز

وهل لكل حد مطلع أم لا؟ وعلم مراعاة الأمور إذا تعرضت للإنسان في طريق سلوكه إلى ربه، وعلم ذي الجلال والإكرام، وعلم التفرقة، وعلم الخلق والاختراع ولماذا يرجع؟ وعلم الجهات، وعلم الأسرار، وعلم الكمون والظهور، وعلم الاقتدار الإلهي، وعلم المسابقة بين الحق والخلق، وعلم الإمهال والإهمال وما حكمته؟ وهل الحليم يمهل أو يهمل؟ وعلم البعث، فهذا قد أبنت لك ما ذكرت أن أبينه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل وجوب العذاب من الحضرة المحمدية

[الوافر]

إذا حَقَّتْ حَقَائِقُنا اتَّحدْنا ... ولكنْ لا سَبِيلَ إلى الوُصُولِ

إلى هذا المَقَام بكُل وَجْهٍ ... مِنَ أَجْلِ الاسْتواء مَعَ النُّزُولِ

وكيف يصحُّ أن يُرْقَى إليه ... وأين سَنَا الجليل مِنَ الخَلِيلِ

رأيتُ حَبِيبَهُ صَلَّى عليه ... كما صَلَّى على نَفْس الخَليلِ

فعَيْنُ الجَمْع عَيْنُ الفَرْقِ فيه ... كذا جاء الحَدِيثُ عن الرَّسُول

إذا أَفَلَتْ شُمُوسُ العِلْم تاهَتْ ... عُقُولٌ حَظُّها عِلْمُ الدَّلِيلِ

لَوَ أنَّ الغَيْبَ تَشْهَدُهُ عُيُونٌ ... لكان طُلُوعُهَا عَيْنَ الأُفُولِ

اعلم أيها الولي الحميم أن وجوب العذاب وقوعه بالمعذب، يقال: وجب الحائط إذا سقط ولا يكون السقوط إلا ممن لم يكن له علوّ ذاتي ولم يستحق العلوّ لذاته، فلما علا من هذه صفته لم يكن له حقيقة تمسك عليه علّوه فسقط ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣] والصفات النفسية لا تكون مرادة للموصوف بها، فمن علا بغيره ولم يكن له حافظ يحفظ عليه علوّه سقط وقوتل، فالعالي من أعلى الله منزلته كما قال: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] فلما كانت الرفعة من الله الذي له العلوّ الذاتي حفظ على كل من أعلى الله منزلته علوّه، ومن علا بنفسه من الجبارين والمتكبرين قصمه الله وأخذه ولهذا قال: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] أي عاقبة العلوّ الذي علا به من أراد علوّاً في الأرض يكون للمتقين أي يعطيهم الله العلوّ في المنزلة في الدنيا والآخرة فأمّا في الآخرة فأمر لازم لا بد منه لأن وعده صدق وكلامه حق، والدار الآخرة محل تميز المراتب وتعيين مقادير الخلق عند الله ومنزلتهم منه تعالى، فلا بد من علوّ المتقين يوم القيامة. وأما في الدنيا فإنه كل من تحقق صدقه في تقواه وزهده فإن نفوس الجبارين والمتكبرين تتوفر دواعيهم إلى تعظيمه لكونهم ما زاحموهم في مراتبهم، فأنزلهم ما حصل في نفوسهم من تعظيم المتقين عن علوّهم وقصدوا خدمتهم والتبرك بهم، وانتقل ذلك العلوّ الذي ظهروا به إلى هذا المتقي وكان عاقبة العلوّ للمتقي، والجبار لا يشعر ويلتذ الجبار إذا قيل فيه إنه قد تواضع ونزل إلى هذا المتقي فيتخيل الجبار أن المتقي هو الأسفل، وأن الجبار نزل إليه بل علوّ الجبار انتقل إلى المتقي من

حيث لا يشعر، ونزل الجبار تحت عُلُوّ هذا المتقي، ولو سئل المتقي عن عُلُوِّه ما وجد عنده منه شيء، فثبت أن العلوّ في الإنسان إنما هو تحققه بعبوديته وعدم خروجه واتصافه بما ليس له بحقيقة، ألا ترى حكمة الله تعالى في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] أي علا وارتفع وأضاف العلوّ له وما أضافه الحق إلى نفسه، فلما علا للماء وارتفع حمل الله من أراد نجاته من سطوة ارتفاع الماء في أخشاب ضم بعضها إلى بعض حتى كانت سفينة، فدخل فيها كل من أراد الله نجاته من المؤمنين، فعلت السفينة بمن فيها على علوّ الماء وصار الماء تحتها وزال في حق السفينة طغيان الماء فانكسر في نفسه، وسبب ذلك إضافة العلوّ له وإن كان من عند الله وبأمر الله، ولكن ما أضاف الله العلوّ إلا للماء فلو أضاف علوّ الماء إلى الله تعالى لحفظ علوّه عليه، فلم يكن تعلو عليه سفينة ولا يطفو على وجه الماء شيء أبداً فهذا شؤم الدعوى، فسقوط العذاب بالمعذب إنما كان سقوطه من ارتفاعه في نفسه لكونه صفة ملكية للاسم الله المعذب، فأعطته هذه النسمة سمة العلوّ لأنه صفة من له العلوّ وهو الاسم المعذب، فلما رأى الاسم المعذب ما قام في نفس العذاب من العلوّ بسببه أسقطه على المعذب به فزال عن العلوّ الذي كان يزهو به حين كان المعذب موصوفاً به، فلهذا يقال بوجوب العذاب على المعذب.

وتحقيق ذلك أن الأمر الصحيح أن الملك لا يعذب أحداً إلا حتى يقوم به الغضب على ذلك الذي يريد تعذيبه لأمر صدر منه يستوجب به العذاب، فأثر ذلك الأمر في نفس الملك غضباً تأذى به الملك، والملك جليل القدر لا يليق بمكانته لعلوّ منصبه أن يتعذب بشيء، وقد فعل هذا الشخص أمراً أغضب الملك فأنزل الملك العذاب الذي كان يجده الملك في نفسه المعبر عنه بالغضب، أو الذي أثمر الغضب في نفس الملك أوجبه بهذا الشخص أي أسقطه عليه، فإذا وجب العذاب على هذا الشخص وجد الملك راحته بعذاب هذا الشخص وليس الأمر كذلك هنا، وإنما وجود الراحة بزوال العذاب الذي كان في نفس الملك الذي أورثه فعل هذا الشخص فتعذب الملك به، فلما أنزله بهذا الشخص انتقل عنه فوجد الراحة بانتقاله، ويسمى في العامّة التشفي وهو من الشفاء، والشفاء زوال العلة لا نزول العلة التي كانت في العليل بشخص آخر، هذا تحقيق الشفاء والراحة. ثم كونه نزل ذلك الألم بشخص آخر لهذا به لذة فتلك لذة أخرى زائدة على لذة زوال العذاب، والعلوّ هنا حقيقة للاسم الإلهي، فلهذا اتصف العذاب بالسقوط وهو الوجوب قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩] أي وجبت وسقطت.

فإن قلت: هذا يصح في حق المخلوقين كيف يتمشى ذلك في حق الجناب العالي سبحانه؟ قلنا: فلما عجزنا عن معرفة الله ويحق لنا العجز فينبغي لنا إذا تركنا وعقولنا وحقائقنا أن نلتزم ذلك وننفي عنه مثل هذا وغيره، فإن قوة العقل تعطي ذلك غير أن قوة العقل والدليل الواضح قاما للعقل على تصديق الرسول الذي بعثه إلينا في إخباره الذي يخبر به عن ربه بما يكون منه سبحانه في خلقه وبما يكون عليه سبحانه في نفسه ومما يصف به نفسه مما يحيله عليه العقل إذا انفرد بدليله دون الشارع، فالعاقل الحازم يقف ذليلاً مشدود الوسط في خدمة

الشرع قابلاً لكل ما يخبر به عن ربه سبحانه وتعالى مما يكون عليه ومنه، فكان مما قد أخبر الحق عن نفسه أن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى من الله**» وقال تعالى: «**كذّبني ابن آدم وشتمني ابن آدم**» وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦] وقالت الأنبياء قاطبة: إن الله يوم القيامة يغضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وسلم العاقل ذلك كله إلى الله في خبره عن نفسه كما سلم إليه سبحانه أنه يفرح بتوبة عبده، وكل من اتصف بالفرح فيتصف بنقيضه، ووصف نفسه بأنه يتعجب من الشاب ليست له صبوة، ووصف نفسه بأنه يضحك إذا قال هناد يوم القيامة: أتستهزىء بي وأنت رب العالمين؟ ووصف نفسه بأنه يتبشبش لعبده، إذا جاء المسجد يريد الصلاة، ووصف نفسه بأنه يكره لعباده الكفر ويرضى لهم الشكر والإيمان، فهذا كله واجب على كل مسلم الإيمان به، ولا يقول العقل هنا كيف ولا لم كان كذا؟ بل يسلم ويستسلم ويصدق ولا يكيف فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فلما رأيناه وصف نفسه بالغضب والأذى ووصف العذاب بالوجوب والسقوط لا يكون إلا من العلوّ لا ينبغي إلا لله تعالى، فعلمنا أن الأذى الذي وصف الحق به نفسه هو هذا فعلا الأذى بعلوّ من اتصف به، فأسقطه عن ذلك العلوّ على من يستحقه وهو الذي آذى الله ورسوله فحل به العذاب في دار الخزي والهوان.

فإن علمت ما قررناه جمعت بين الإيمان الذي هو الدين الخالص وبين ما تستحقه مرتبتك من التسليم لله في كل ما يخبر به عن نفسه، ولا يتمكن في الإفصاح عن هذا المقام بأكثر من هذا ولا أبلغ إلا أن يخبر الحق بما هو أجلى في النسبة وأوضح، وإنما غاية المخلوق من هذا الأمر بمجرد عقله هذا الذي قررناه إلا عقولاً أدركها الفضول فتأولت هذه الأمور، فنحن نسلم لهم حالهم ولا نشاركهم في ذلك التأويل، فإنا لا ندري هل ذلك مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أو ليس بمراده فنرده؟ فلهذا التزمنا التسليم، فإذا سئلنا عن مثل هذا قلنا: إنا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله به، وإنا مؤمنون بما جاء عن رسول الله ﷺ ورسله عليهم السلام على مراد رسوله ﷺ ومراد رسله عليهم السلام، ونكل العلم في كل ذلك إليه سبحانه وإليهم، وقد تكون الرسل بالنسبة إلى الله في هذا الأمر مثلنا يرد عليها هذا الإخبار من الله فتسلمه إليه سبحانه وتعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد، وقد تكون تعرف تأويله بتعريف الله تعالى بأيّ وجه كان هذا أيضاً لا يبعد، وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله لهم خلفاً بمنه، فطوبى لمن راقب ربه وخاف ذنبه وعمر بذكر الله قلبه وأخلص لله حبه، فهذا قد أعلمتك بمعنى وجوب العذاب على من وجب عليه وأكثر من هذا فلا يحتمل هذا الباب، فإن مجاله ضيق في العامة، وإن كان المجال فيه رحباً عند أمثالنا بما منحنا الله به من المعرفة بالله، ولكن العقول المحجوبة بالهوى وبطلب الرياسة والنفاسة والعلو على أبناء الجنس يمنعهم ذلك من القبول والانقياد، ونحن فما نحن رسل من الله حتى نتكلف إيصال مثل هذه العلوم بالتبليغ، وما نذكر منها ما نذكر إلا للمؤمنين العقلاء الذين اشتغلوا بتصفية نفوسهم مع الله وألزموا نفوسهم التحقق بذلة العبودية والافتقار إلى الله في جميع

الأحوال فنوّر الله بصيرتهم إمّا بالعلم وإما بالإيمان والتسليم لما جاء به الخبر عن الله وكتبه ورسله، فتلك العناية الكبرى والمكانة الزلفى والطريقة المثلى والسعادة العظمى ألحقنا الله بمن هذه صفته.

وأما ما يتضمن هذا المنزل من العلوم فهو يتضمن علم الحق، ومنه ما كنا بسبيله في شرح وجوب العذاب، وفيه أيضاً علم الاسم الإلهيّ الذي يستفهم منه الحق عباده مثل قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ﴾ [القصص: ٦٥] وهو أعلم، ومثل قوله: كيف تركتم عبادي؟ يقوله للملائكة الذين باتوا فينا ثم عرجوا إليه وهو علم شريف، وفيه الزواجر الإلهيّة وهل هي كونية أو إلهية؟ وعلم السبب الموجب لهلاك الأمم عند كفرهم، ومن هلك من المؤمنين بهلاكهم وهلاك المقلدة معهم، كل ذلك في الدنيا، ومن يخرج من هذا الهلاك في الآخرة؟ ولماذا وقع الهلاك بالمؤمنين حين وقع بالكافرين فعم الجميع واختلفت الصفة؟ وهل هذا من الركون كما قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: ١١٣] وعلم الركون الموجب لمس النار إياهم هل هو ركون حسيّ أو معنوي؟ وقوله بتضعيف العذاب على الركون وإن قصد خيراً قال تعالى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٤،٧٥] ما سبب هذا الضعف الذي هو أشد من العذاب المستحق بالأصالة؟ وما مراد الله في مثل هذه الآية التي لا يعلم ما فيها إلا بتعريف الله وهو علم عظيم يتضمنه هذا المنزل؟ ومن أهلك بنفسه ومن أهلك بغيره؟ وما حدّ الهلاك بالغير وما حد الهلاك بالنفس؟ وما مقدار زمانه؟ وهل الهلاك في اختلاف أنواعه لاختلاف الأحوال في الهالكين أو لاختلاف حقائق الأسماء الإلهية حتى يأخذ كل اسم إلهيّ بهذا المقام قسطه من العذاب؟ وما ينعدم من الأسماء بعد وجودها وما يبقى ولا ينعدم بهلاك أو غيره، وعلم الفرق بين من عصى الله وعصى رسوله وعصى أولي الأمر، وما يتضمنه عصيان الرسول وعصيان أولي الأمر من معصية الله، فإن عصيانهم عصيان أمر الله وليس في عصيان الله عصيانهم إلا في الرسول خاصة، فإنه في عصيان الله عصيان رسول الله إذ متعلق المعصية الأمر الإلهيّ والنهي، ولا يعرف ذلك إلا بتبليغ الرسول وعلى لسانه، فإن الله لا يبلغ أمره إلا رسل الله، وليس لغير الرسل من البشر هذا المقام، ومع هذا فللّه أمر يعصى فيه وللرسول أمر يعصى فيه، وثم أمر يجمع فيه معصية الله ورسوله، فكل أمر يتعلق بجناب الله ليس لمخلوق فيه دخول فتلك معصية الله، وكل أمر يتعلق بجناب المخلوق الذي هو رسول الله فتلك معصية الرسول، وكل أمر يتضمن الجانبين فتلك معصية الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الجن: ٢٣] وقال: ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨] فأفرده، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ [النساء: ١١٦] فأفرد نفسه، وعلم من يستحق العظمة والصفة التي تطلبها، وعلم التذكير، وعلم السماع من الحق، وعلم الملك وملك الملك، وعلم ملك العزة، وعلم الملك الحامل، وعلم الملك المحمول، وعلم ملك الهباء، وعلم الهول الأعظم، وعلم الكنز الذي تحت العرش قال ﷺ: «**إنَّ لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ خَرَجَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ**» وما هو الكنز وما

يتضمن من الذكر المكنوز فيه سوى لا حول ولا قوة إلا باالله، وعلم القوّة الإلهية والكونية، وعلم ضم المعاني بعضها إلى بعض في حضرة الكلمات، وهل لها انضمام في أنفسها مجردة عن مواد الكلمات أو ليس لها ضم في أنفسها؟ وإذا لم يكن لها ضم فهل ذلك لاستحالة الأمر في نفسه؟ فلا يقبل الانضمام أو بإرادة الله، وما الفرق بين كتابة المخلوق وكتابة الخالق؟ وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه، فإن النبي ﷺ خرج وفي يديه كتابان مطويان قابض بكل يد على كتاب فسأل أصحابه: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فأخبرهم أن فى الكتاب الذي بيده اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أوّل من خلقه الله إلى يوم القيامة، وفي اليد الأخرى في الكتاب الآخر أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم إلى يوم القيامة، ولو أخذ المخلوق يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق في العالم، فمن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين.

وقد حكي عن بعض البله من أهل الحاج أنه لقي رجلاً وهو يطوف طواف الوداع فأخذ ذلك الرجل يمازح هذا الأبله هل أخذت من الله براءتك من النار؟ فقال الأبله: لا وهل أخذ الناس ذلك؟ قال له: نعم، فبكى ذلك الأبله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار، فجعل الناس وأصحابه يلومونه ويعرفونه أن فلاناً مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقي مستمراً على حاله، فبينا هو كذلك إذ سقطت عليه ورقة من الجوّ من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار، فسر بها وأوقف الناس عليها، وكان من آية ذلك الكتاب أنه يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس أنه من عند الله.

وأما في زماننا فاتفق لامرأة أنها رأت في المنام كأن القيامة قد قامت وأعطاها الله ورقة شجرة فيها مكتوب عتقها من النار، فمسكتها في يدها واتفق أنها استيقظت من نومها والورقة قد انقبضت عليها يدها ولا تقدر على فتح يدها وتحس بالورقة في كفها، واشتد قبض يدها عليها بحث أنه كان يؤلمها، فاجتمع الناس عليها وطمعوا أن يقدروا على فتح يدها فما استطاع أحد على فتح يدها من أشد ما يمكن من الرجال، فسألوا عن ذلك أهل طريقنا فما منهم من عرف سرّ ذلك. وأما علماء الرسم من الفقهاء فلا علم لهم بذلك. وأما الأطباء فجعلوا ذلك لخلط قوي انصب إلى ذلك العضو فأثر فيه ما أثر فقال بعض الناس: لو سألنا فلاناً - يريدون إياي بذلك - ربما وجدنا عنده علماً بذلك، فجاؤوني بالمرأة وكانت عجوزاً ويدها مقبوضة قبضاً يؤلمها فسألتها عن رؤياها فأخبرتني كما أخبرت الناس، فعرفت السبب الموجب لقبض يدها عليها، فجئت إلى أذنها وساررتها فقلت لها: قربي يدك من فمك وانوي مع الله أنك تبتلعين تلك الورقة التي تحسين بها في كفك فإنك إذا نويت ذلك وعلم الله صدقك في ذلك فإن يدك تنفتح، فقربت المرأة يدها من فيها وألزقته وفتحت فاها ونوت مع الله ابتلاع الورقة فانفتحت يدها وحصلت الورقة في فمها فابتلعتها وانفتح يدها، فتعجب الحاضرون من ذلك فسألوني عن علم ذلك فقلت لهم: إن مالك بن أنس إمام دار الهجرة اتفق في زمانه وهو ابن

ثلاث عشرة سنة وكان يقرأ الفقه على شيوخه وكان ذا فطنة وذكاء فاتفق في ذلك الزمان أن امرأة غسلت ميتة فلما وصلت إلى فرجها ضربت بيدها على فرج الميتة وقالت: يا فرج ما كان أزناك، فالتصقت يدها بالفرج والتحمت به فما استطاع أحد على إزالة يدها، فسئل فقهاء المدينة ما الحكم في ذلك؟ فمن قائل بقطع يدها، ومن قائل يقطع من بدن الميتة قدر ما مسكت عليه اليد وطال النزاع في ذلك بين الفقهاء أي حرمة أوجب علينا حرمة الميت فلا نقطع منه شيئاً أو حرمة الحي فلا يقطع، فقال لهم مالك: أرى أن الحكم في ذلك أن تجلد الغاسلة حد الفرية فإن كانت افترت فإن يدها تنطلق، فجلدت الغاسلة حد الفرية فانطلقت يدها فتعجب الفقهاء من ذلك ونظروا مالكاً من ذلك الوقت بعين التعظيم وألحقوه بالشيوخ، كما كان عمر بن الخطاب يلحق عبد الله بن عباس بأهل بدر في التعظيم لعظم قدره في العلم. ولما علمت أنا بما ألقى الله في نفسي أن الله غار على تلك الورقة أن لا يطلع عليها أحد من خلق الله وأن ذلك سر خص الله به تلك المرأة قلت لها ما قلت فانفتحت يدها وابتلعت تلك الورقة.

ويحوي هذا المنزل على علم الجنان والنار، وعلم مواقف القيامة، وعلم الأحوال الأخروية، وعلم الشرائع، وعلم ما السبب الموجب الذي لأجله عرفت الرسل مقاديرها مع علو منزلتهم عند الله، والفرق بين منزلتهم عند الله ومنزلتهم عند الناس المؤمنين بهم وبأي عين ينظر إليهم الحق؟ وبأي اسم يخاطبهم؟ وعلم التنزيه والتقديس والعظمة وما حضرة الربوبية من حضرات بقية الأسماء المقيدة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل الصفات القائمة المنقوشة بالقلم الإلهيّ في اللوح المحفوظ الإنساني من الحضرة الإجمالية الموسوية والمحمدية وهما من أسنى الحضرات

[مجزوء الرجز]

سِرُّ الدَّواةِ والقَلمْ ... عِلْمُ الحُدُوثِ والقِدَمْ

وذاك مخصوصٌ بمَنْ ... نُودِي بعَبْدي فقَدِمْ

لحَضْرَةِ منْ ذَاتُهُ ... كان له فيها قِدَمْ

وكان من قولهم له ... في رُتْبةِ العِلْم قَدَمْ

وجاء يَسْعَى راكباً ... وماشياً على قَدَمْ

وكان قد مَازَجَهُمْ ... مِزَاجَ لَحْم مَعَ دَمْ

وألْحَقَ الكَوْنَ إذا ... أشْهَدَهُ الحقّ العَدَمْ

فَسِرُّه في كَوْنه ... كَمِثْلهِ حين عُدِمْ

ولم يكنْ في وَقْتِه ... صَاحِبَ أقدام تُذَمْ

فَشَرْطُ كُلِّ تائِبِ ... عَزْمٌ صحيحٌ ونَدَمْ

لـــمَّـــا أتَـــى حَـــضْـــرَتَـــهُ جـــاء بـــذُلٍّ وخـــدمْ
وعـــنـــدمـــا أبْـــصَـــرهُ عَـــيْـــنـــاً عـــلـــى الـــعَـــرْش حَـــزَمْ
فـــجَـــادَتِ الـــعَـــيْـــنُ لـــه إذْ كـــان مِـــنْ بَـــعْـــضِ الـــخَـــدَمْ
وعـــنـــدمـــا يَـــخْـــرُجُ مـــن مـــقـــامـــه ذاك خـــدمْ

اعلم أيدك الله أيها الولي الحميم والصفي الكريم نور الله بصيرتك أن رسول الله ﷺ لما كان خلقه القرآن وتخلق بالأسماء وكان الله سبحانه ذكر في كتابه العزيز أنه تعالى استوى على العرش على طريق التمدح والثناء على نفسه إذ كان العرش أعظم الأجسام، فجعل لنبيه ﷺ من هذا الاستواء نسبة على طريق التمدح والثناء عليه به حيث كان أعلى مقام ينتهي إليه من أسري به من الرسل، وذلك يدل أنه أسري به ﷺ بجسمه ولو كان الإسراء به رؤيا لما كان الإسراء ولا الوصول إلى هذا المقام تمدحاً، ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك، لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات، وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس، . إذ كل إنسان بل الحيوان له قوّة الرؤيا فقال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح لكونه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه أسري به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام وهو قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] فالضمير في أنه هو يعود على محمد ﷺ فإنه أسري به، فرأى الآيات وسمع صريف الأقلام، فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حظه السماع وهو الصوت فإنه عبر عنه بالصريف والصريف الصوت، قال النابغة: [البسيط]

له صَرِيفٌ صَرِيفُ القَعْوِ بالمَسَدِ

فدل أنه بقي له من الملكوت قوة ما لم يصل إليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع، فوصل إلى سماع أصوات الأقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الأحكام، وهذه الأقلام رتبتها دون رتبة القلم الأعلى ودون اللوح المحفوظ، فإن الذي كتبه القلم الأعلى لا يتبدّل، وسمي اللوح بالمحفوظ من المحو فلا يمحى ما كتب فيه، وهذه الأقلام تكتب في ألواح المحو والإثبات وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ﴾ [الرعد: ٣٩] ومن هذه الألواح تتنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولهذا يدخل في الشرائع النسخ، ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم وهو عبارة عن انتهاء مدّة الحكم لا على البداء، فإن ذلك يستحيل على الله. وإلى هنا كان يتردّد ﷺ في شأن الصلوات الخمسين بين موسى وبين ربه إلى هذا الحدّ كان منتهاه، فيمحو الله عن أمة محمد ﷺ ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح إلى أن أثبت منها هذه الخمسة، وأثبت لمصليها أجر الخمسين، وأوحى إليه أنه لا يبدّل القول لديه، فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الأمر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلاً وأجل مسمى، ومن هذه الألواح وصف نفسه سبحانه بأنه تعالى يتردّد في نفسه في قبضه نسمة المؤمن بالموت وهو قد قضى عليه، ومن هذه الحقيقة الإلهية التي كنى عنها بالتردّد الإلهيّ يكون سريانها في

التردّد الكوني في الأمور والحيرة فيها، وهو إذا وجد الإنسان أن نفسه تتردّد في فعل أمر ما هل يفعله أو لا يفعله؟ وما تزال على تلك الحال حتى يكون أحد الأمور التي تردّدت فيها فيكون ويقع ذلك الأمر الواحد ويزول التردّد، فذلك الأمر الواقع هو الذي ثبت في اللوح من تلك الأمور المتردّد فيها، وذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمراً ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الأمر ثم تمحى تلك الكتابة يمحوها الله فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لأنه ما ثم رقيقة من هذا اللوح تمتد إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب، فإن الرقائق إلى النفوس من هذه الألواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها، فإذا أبصر القلم موضعها من اللوح ممحوّاً كتب غيرها مما يتعلق بذلك الأمر من الفعل أو الترك، فيمتد من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لهذا الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الأول، فإن أراد الحق إثباته لم يمحه، فإذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت، فيفعل ذلك الشخص ذلك الأمر أو يتركه بحسب ما ثبت في اللوح، فإذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق من كونه محكوماً بفعله وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون، ثم إن القلم يكتب أمراً آخر هكذا الأمر دائماً، وهذه الأقلام هذه مرتبتها، والموكل بالمحو ملك كريم على الله تعالى هو الذي يمحو على حسب ما يأمره به الحق تعالى، والإملاء على ذلك الملك، والأقلام من الصفة الإلهية التي كنى عنها في الوحي المنزل على رسوله بالتردد، ولولا هذه الحقيقة الإلهية ما اختلف أمران في العالم ولا حار أحد في أمر ولا تردّد فيه، وكانت الأمور كلها حتماً مقضياً. كما أن هذا التردّد الذي يجده الناس في نفوسهم حتم مقضي وجوده فيهم إذ كان العالم محفوظاً بالحقائق، وعدد هذه الأقلام التي يجري على حكم كتابتها الليل والنهار ثلاثمائة قلم وستون قلماً على عدد درج الفلك، فكل قلم له من الله علم خاص ليس لغيره، ومن ذلك القلم ينزل العلم إلى درجة معينة من درجات الفلك، فإذا نزل في تلك الدرجة ما نزل من الكواكب التي تقطعها بالسير من الثمانية الأفلاك تأخذ من تلك الدرجة من العلم المودع من ذلك القلم بقدر ما تعطه قوّة روحانية ذلك الكوكب فتحرك بذلك فلكها فيبلغ الأثر إلى الأركان فتقبل من ذلك الأثر بحسب استعداد ذلك الركن، ثم يسري ذلك الأثر من الأركان في المولدات فيحدث فيها ما شاء الله بحسب ما قبلته من الزيادة والنقصان في جسم ذلك المولد أو في قواه وفي روحه وفي علمه وجهله ونسيانه وغفلته وحضوره وتذكره ويقظته، كل ذلك بتقدير العزيز العليم، وتحدث الأيام بحركة الفلك الكبير، ويتعين الليل والنهار في اليوم بحكم الحركة الكبيرة اليومية على حركة فلك الشمس فإنها تحت حوطته، وجعل الأرض كثيفة لا تنفذها أنوار الشمس لوجود الليل الذي هو ظل الأرض، ولهذا يكبر النهار في أماكن ويصغر، وكذلك يكبر الليل ويصغر، وبه تقع الزيادة عندنا بالليل والنهار، وبهذا الليل والنهار الموجودين في المعمور من الأرض بهما تعد أيام الأفلاك وأيام الرب وكل يوم ذكر وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] يعني من أيامنا هذه المعلومة، ونحن نعلم

قطعاً أن الأماكن التي يكون فيها النهار من ستة أشهر والليل كذلك أن ذلك يوم واحد في حق ذلك الموضع، فيوم ذلك الموضع ثلاثمائة يوم وستون يوماً مما نعده، فقد أنبأتك بمكانة هذه الأقلام التي سمع صوت كتابتها رسول الله ﷺ من العلم الإلهيّ ومن يمدها وإلى أي حقيقة إلهية مستندها، وما أثرها في العالم العلوي من الأملاك والكواكب والأفلاك، وما أثرها في العناصر والمولدات وهو كشف عجيب يحوي على أسرار غريبة من أحكام هذه الأقلام تكون جميع التأثيرات في العالم دائماً، لا بد لها أن تكتب وتثبت انتثار الكواكب وانحلال هذه الأجرام الفلكية وخراب هذه الدار الدنياوية وانتقال العمارة في حق السعداء إلى الجنان العلية التي أرضها سطح الفلك الثامن وجهنم إلى أسفل سافلين وهي دار الأشقياء، وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب في باب الجنة وفي باب النار. وأمّا القلم الأعلى فأثبت في اللوح المحفوظ كل شيء يجري من هذه الأقلام من محو وإثبات ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح وإثبات الإثبات ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمر آخر، فهو لوح مقدس عن المحو فهو الذي يمده القلم الإلهيّ باختلاف الأمور وعواقبها مفصلة مسطرة بتقدير العزيز العليم، ولقلوب الأولياء من طريق الكشف الإلهيّ الحقيقيّ في التمثيل من هذه الأقلام كشف صحيح، كما مثلت الجنة لرسول الله ﷺ في عرض الحائط وإنما قلنا إن ذلك الممثل حقيقة مع كونه ممثلاً لقول رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمُونِي حِينَ تَقَدَّمْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطفَ مِنْهَا قطْفاً لَوْ أَخْرَجْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ ما بَقِيَتِ الدُّنْيا**» ولما مثلت له النار تأخر عن قبلته لئلا يصيبه من لهبها، ورأى فيها ابن لحي وصاحب المحجن وصاحبة الهرة وكان ذلك في صلاة كسوف الشمس، وقد قال ﷺ: «**إِنَّ الله فِي قِبْلَةِ المُصَلِّي**» وقد رأى الجنة والنار في قبلته كما أن الحائط في قبلته.

واعلم أن لله تعالى أسماء تختص بالجنة وأهلها، وأن لله تعالى أسماء تختص بالنار وأهلها، وأن الحق يناجيه المصلي من حيث أسمائه لا من حيث ذاته، إذ كانت ذاته تتعالى عن الحد والمقدار والتقييد، فاعلم بما نبهتك عليه أن رسول الله ﷺ ما زال الحق يناجيه في قبلته وفي صلاته، وما أخرجه مشاهدة الجنان والنار ومن فيها وحركته بالتقديم والتأخر عن كونه مصلياً ظاهراً وباطناً، وإنما أخبر النبي ﷺ بهذا كله في حال الصلاة إعلاماً لنا بما يخطر لنا في صلاتنا من مشاهدة أمورنا من بيع وشراء وأخذ وعطاء وتصريف خواطر المصلي في الأكوان المتجلية له في باطنه في حال صلاته، وقد قال عمر عن نفسه إنه كان يجهز الجيش وهو في صلاته، فكان خبر النبي ﷺ لنا بما شاهده في صلاته أن ذلك لا يقدح في الصلاة المشروعة لنا كما يعتقده بعض عامة الفقهاء ممن لا علم له بالأمور، وربما بعض الصالحين يتخيلون أن هذا كله مما يبطل الصلاة ويخرج الإنسان عن الحضور مع الحق ما الأمر على ذلك، بل كل ما يشاهده المصلي في صلاته من الأكوان هو حق وهو من الصلاة لمن عقل ما المراد بالصلاة وكما لم يقدح في صلاته ما تشاهده عينه من المحسوسات التي في قبلته التي ظهرت لبصره بوجودها وذواتها من العوالم وحركاتهم، ولا يخرجه ذلك عن كونه مصلياً بلا خلاف، ويكره للمصلي أن يغمض عينيه في صلاته، فكذلك أيضاً ما يتجلى لعين بصيرته

وقلبه من مثل الخواطر وصور الأمور التي تعرض له في باطنه وهي من عند الله، وعين بصيرته مفتوح مثل عين حسه، فكل صورة ممثلة تجلى له الحق بها في باطنه كما تجلى له في المحسوسات في ظاهره فلا بد أن يدركها بعين بصيرته وقلبه كما أدرك صور المحسوسات ببصره، وكما أنه لم يخرجه ذلك عن كونه مصلياً على ما شرع له مع استقباله القبلة بوجهه، كذلك لا يخرجه ما شاهده في باطنه من صور الأكوان عن كونه مصلياً على حد ما شرع له مع استقباله ربه، وذلك الاستقبال هو المعبر عنه بالنية المطلوبة منه عند الشروع في تلك العبادة، فمن لا علم له بالأمور يقدح هذا عنده، فإن احتج أحد بقوله ﷺ في الركعتين اللتين يصليهما العبد عقيب الوضوء «**لا يُحَدِّث نَفْسَه فيهما بشَيْء**» فليس بحجة، وما فهم ما أراده رسول الله ﷺ وما حقق نظره في لفظه بماذا قيده ﷺ فإنه قيده بالحديث مع نفسه، وهذه الصور التي يرى المصلي نفسه فيها إنما يشاهدها بعين قلبه، وما تعرض الشارع إلا لمن يحدث لا لمن يبصر، لأنه ليس في قوته أن يغمض عين قلبه عما تجلى له الحق من الصور، ثم قيد الحديث منه مع نفسه، فإن تحدث مع ربه أو مع الصورة التي تتجلى له في صلاته فإن ذلك لا يقدح في صلاته، وقد كان رسول الله ﷺ في صلاته إذا مرّ في تلاوته بآية استغفار استغفر وبآية رغبة سأل الله في نيل ما تدل عليه، وما أخرجه شيء من ذلك عن كونه مصلياً، ولا حدثت له نية أخرى تخرجه عن صلاته، كما لم يتحوّل في ظاهره إلى جهة أخرى غير جهة قبلته، فما دام المصلي لم يتحوّل عن قبلته بوجهه ولا أحدث نية خروج عن صلاته فصلاته صحيحة مقبولة ذلك من فضل الله على عباده ورحمته بهم، وما كل إنسان يعلم خطاب الحق عباده وما أراده منهم. وأمّا الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ فيما يقبل من الصلاة عشرها إلى أن وصل إلى نصفها إلى ما عقل منها فلم يصح، ولو صح لما قدح فيما ذكرناه.

واعلم أن هذا المنزل منزل عظيم جليل القدر له بالنبيّ ﷺ اختصاص عظيم، وهذا القدر الذي ذكرنا منه فيه غنية لمن نظر واستبصر فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم، فإن أبواب الكتاب كثيرة، ويطول الكلام فيها مع كثرتها فيتعذر تحصيله على من يريده، فاعلم أنه يحوي على علم الإجمال، وهل في علم الله إجمال أو لا يعلم الأشياء إلا على التفصيل؟ وهي غير متناهية، ويحوي على علم التفصيل، ويحوي على العلم الذي بين الإجمال والتفصيل، وهو علم غريب لا يعرفه القليل من العلماء بالله فكيف الكثير؟ وفيه علم الدواوين وترتيبها، وفيه علم الأجور والمستحقين لها مع كونهم عبيداً ولم سمي العبد أجيراً؟ فإنه مشعر بأن له نسبة إلى نسبة الفعل الصادر منه إليه فتكون الإجارة من تلك النسبة، ومنها طلب العون على خدمة سيده، ومن أية جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الأجرة والأجير لا يفترض عليه إلا حتى يؤجر نفسه، والعبد فرض عليه طاعة سيده، والإنسان هنا مع الحق على حالين: حالة عبودية وحالة إجارة، فمن كونه عبداً يكون مكلفاً بالفرض كالصلاة المفروضة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له عليها جملة واحدة في أداء فرضه، بل له ما يمتن به عليه سيده من النعم التي هي أفضل من الأجور لا على جهة الأجر. ثم إن الله تعالى ندبه إلى عبادته في أمور

ليست عليه فرضاً فعلى تلك الأعمال المندوبة إليها فرضت الأجور، فإن تقرب العبد بها إلى سيده أعطاه إجارته عليها، وإن لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها، فمن هنا كان العبد حكمه حكم الأجنبي في الإجارة، فالفرض له الجزاء الذي يقابله فإنه العهد الذي بين الله وعباده، والنوافل لها الأجور وهي قوله تعالى: «**وَلاَ يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً**» الحديث، فالنافلة أنتجت له المحبة الإلهية ليكون الحق سمعه وبصره، والمحبة الإلهية هي التي أنزلته من الحق منزلة أن يكون الحق سمعه وبصره، والعلة في ذلك أن المتنفل عبد اختيار كالأجير، فإذا اختار الإنسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه، وهو في الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار، فتلك العبودية أوجبت عليه خدمة سيده فيما افترضه عليه، فبين الإنسان في عبوديته الاضطرارية وبين عبوديته الاختيارية ما بين الأجير والعبد المملوك، فالعبد الأصلي ما له على سيده استحقاق إلا ما لا بد منه يأكل من سيده ويلبس من سيده ويقوم بواجبات مقامه، فلا يزال في دار سيده ليلاً ونهاراً لا يبرح إلا إذا وجهه في شغله، فهو في الدنيا مع الله، وفي القيامة مع الله، وفي الجنة مع الله، فإنها جميعها ملك سيده فيتصرف فيها تصرف الملاك، والأجير ما له سوى ما عين له من الأجرة منها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا الاطلاع على أسراره ولا تصرف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه، فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله، وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة تطلب من استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنة، وقد ارتفعت عنه في الدار الآخرة عبودية الاختيار، فإن تفطنت فقد نبهتك على مقام جليل تعرف منه من أي مقام قالت الأنبياء مع كونهم عبيداً مخلصين له لم يملكهم هوى أنفسهم ولا أحد من خلق الله، ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] فيعلم أن ذلك راجع إلى دخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية، فمن هناك وقعت الإجارة فهم في الاضطرار والحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك، وصارت الأسماء الإلهية تطلبهم لظهور آثارها فيهم، فلهم الاختيار في الدخول تحت أي اسم إلهيّ شاؤوا، وقد علمت الأسماء الإلهية ذلك، فعينت لهم الأسماء الإلهية الأجور، يطلب كل اسم إلهيّ من هذا العبد الذاتيّ أن يؤثره على غيره من الأسماء الإلهية بخدمته فيقول له: ادخل تحت أمري وأنا أعطيك كذا وكذا، فلا يزال في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات، فيترك كل اسم إلهيّ ويقوم لدعوة سيده، فإذا فعل ما أمره به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء، ولهذا يتنفل الإنسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع إقامة الصلاة المفروضة فتحرم عليه كل نافلة، ويبادر إلى أداء فرض سيده ومالكه، فإذا فرغ دخل في أي نافلة شاء فهو في التشبيه في هذه المسألة كعبد لسيده أولاد كثيرة، فهو مع سيده بحكم عبودية الاضطرار إذا أمره سيده لم يشتغل بغير أمره، وإذا فرغ من أداء ذلك طلب أولاد سيده منه أن يسخروه فلا بد أن يعينوا له ما يرغبه في خدمتهم، وكل ولد يحب أن يأخذه لخدمته في وقت فراغه من شغل سيده فيتنافسون في أجره ليستخلصوه إليهم، فهو مخير مع

أي ولد يخدم في ذلك الوقت، فالإنسان هو العبد، والسيد هو الله، والأولاد سائر الأسماء الإلهية، فإذا رأى العبد ملهوفاً فأغاثه فيعلم أنه تحت تسخير الاسم المغيث فيكون له من المغيث ما عين له في ذلك من الأجر، وإذا رأى ضعيفاً في نفسه فتلطف به كان تحت تسخير الاسم اللطيف، وكذلك ما بقي من الأسماء، فتحقق يا وليّ كيف تخدم ربك وسيدك، وكن على علم صحيح في نفسك وفي سيدك تكن من العلماء الراسخين في العلم الحكماء الإلهيين، وتفز بالدرجة القصوى والمكانة العليا مع الرسل والأنبياء.

ويحوي أيضاً هذا المنزل على علم التخلق بالأسماء الإلهية كلها، وأعني بالكل ما وصل إلينا العلم بها وعلم التمييز وأين يناله العبد؟ وتقدير الزمان الذي بينه وبين الوصول إليه، وعلم التفاضل الإلهي بين الله وبين عباده في مثل قوله ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] و﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] ما الوجه الذي جمعهم حتى كان الحق في ذلك الوجه أكمل ولا مفاضلة بين الله وخلقه، إذ كان السيد هو الذي لا يكاثر ولا يفاضل والكل عبيد له، ولا مفاضلة بين السيد وعبده من حيث هو عبد بل السيد له الفضل أجمعه، وعلم مراتب أهل التصديق أهل التكذيب من مراتب أهل الكفر والشرك وغيرهم، وعلم التمني أي اسم إلهيّ يطلبه، وعلم الصفات التي يكرهها السيد من العبد وما السبب الموجب للعبد حتى يدخل فيما يكرهه سيده؟ هل من حقيقة هو عليها تطلب ذلك أو هو راجع إلى القضاء والقدر خاصة؟ وعلم القلوب، وعلم العلامات، وعلم الإصرار وبما يتعلق وقد بيناه في كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٥] فانظره هناك، وعلم الجزاء الدنياوي والأخراوي وقد بيناه في التفسير لنا في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وعلم التقوى، وعلم الفرقان، وعلم القرآن، وعلم الشدائد والأهوال ولماذا ترجع؟ وكون أيام الدجال من سنة وشهر وجمعة وسائر أيامه كالأيام المعهودة هل ذلك راجع إلى شدة الفجأة؟ فإن الهم يولد كبيراً ويصغر كلما دام واستصحبه الإنسان هان عليه ما يجد حتى أن المعاقب بالضرب ما يحس به إلا في أول ما يقع به مقداراً قليلاً ثم لما يتخدر موضع الضرب فلا يحس به، وعلم الانفراد بالحق لأهل الشقاء ما فائدته ولماذا يرجع، وعلم المكر والخداع والكيد والاستدراج والفرق بين هذه المراتب وأصحابها، وعلم الصبر، وعلم عقوبة من لم يصبر ومتى يكون صابراً؟ وعلم العناية، وعلم الاجتباء، وعلم منازل الصالحين وهو علم غريب شريف ما رأيت من العارفين من يعرفه إلا الأنبياء خاصة، فالحمد لله الذي منّ علينا بمعرفته وما رأينا ذلك إلا بكون الله امتنّ علينا بالاحترام التام لرسله عليهم السلام وشرائعه المنزلة، وعلم الصلاح يختص بهم، فمكنني الله من جني ثمرته، فقد نبهتك على الطريق الموصلة إلى علم الصلاح الذي أغفل الناس طريقه وجعلوه في الطبقة الرابعة وأخذوا الطريق خطاً مستقيماً وطريق الحق ليس كذلك وإنما هو مستقيم الاستدارة، فإن القوم جهلوا معنى الاستقامة في الأشياء ما هي، فالاستقامة الدائرة أن تكون دائرة صحيحة بحيث أن يكون كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط منها

مساوياً لصاحبه وسائر الخطوط، كما أن الاستقامة في الشكل المربع والمثلث أن يكون متساوي الأضلاع بتساوي الزوايا، كما أن الاستقامة في الشكل المثلث المتساوي الساقين أن يكون متساوي الساقين، فكل شيء لم يخرج عما وضع له فهي استقامته، وعلم العين وعلم الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل الابتلاء وبركاته وهو منزل الإمام الذي على يسار القطب

[الطويل]

عَجِبْتُ لِدَارٍ قد بَنَاها وسوّاها ... وأسْكَنَها رُوحاً كريماً وأبْلاهَا
وخرَّبها تَخْرِيبَ من لا يقيمُها ... فمَنْ لي بجَمْع الشَّمل مَن لي ببُقْيَاهَا
وقد كان عَلاَّماً بما قد أقامه ... فيا ليت شِعْري ما الذي كان أذْراها
ولِمْ لا بَنَاها أوّلاً وأقامها ... إقامةَ بَاقٍ لا يزول محياها
وما فَعَلَتْ ما تستحقُّ به الرَّدا ... فما كان أسناها وما كان أقْواها
لقد عَبَثَتْ فينا وفيها يَدُ البِلَى ... وبَعْدَ زمانٍ ردَّها ثم علاها
وردّ إليها ذلك الروحَ فاسْتَوَى ... على عَرْشها ملكاً وخلَّد سكناها
وأورثها عَدْناً وخُلْداً عناية ... فأسْكَنَها فِرْدوْسَها ثم مَأْوَاهَا

اعلم أيّدك الله أيها الوليّ الحميم، والصفيّ الكريم، أن الحياة للأرواح المدبرة الأجسام كلها النارية والترابية والنورية كالضوء للشمس سواء، فالحياة لها وصف نفسي، فما يظهرون على شيء إلا حيي ذلك الشيء وسرت فيه حياة ذلك الروح الظاهر له كما يسري ضوء الشمس في جسم الهواء ووجه الأرض وكل موضع تظهر عليه الشمس، ومن هنا يعلم من هو روح العالم وممن يستمد حياته، وما معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ثم مثل فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] وهي الكوة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] وهو النور إلى آخر التشبيه، فمن فهم معنى هذه الآية علم حفظ الله العالم، فهذه الآية من أسرار المعرفة بالله تعالى في ارتباط الإله بالمألوه والرب بالمربوب، فإن المربوب والمألوه لو لم يتولَّ الله حفظه دائماً لفني من حينه إذ لم يكن له حافظ يحفظه ويحفظ عليه بقاءه، فلو احتجب عن العالم في الغيب انعدم العالم، فمن هنا الاسم الظاهر حاكم أبداً وجوداً والاسم الباطن علماً ومعرفة، فبالاسم الظاهر أبقى العالم، وبالاسم الباطن عرفناه، وبالاسم النور شهدناه، فإذا كانت حياة الإنسان الذي هو مقصودنا في هذا الباب لأنه باب الابتلاء وهو يعم المكلفين من الثقلين فإنه كل ما سوى الثقلين ليسوا مثلنا في حكم العبادة والتكليف، فكلامي على الإنسان وحده من حيث حياته كلامي على كل ما سوى الله، وكلامي على ابتلائه كلامي على كل مكلف من الثقلين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] على هنا بمعنى في أي كان العرش في الماء، كما أن الإنسان في الماء أي منه تكوّن، فإن الماء أصل

الموجودات كلها وهو عرش الحياة الإلهية، ومن الماء خلق الله كل شيء حيّ، فإن كل ما سوى الله مسبح بحمد الله ولا يكون التسبيح إلا من حيّ وقد وردت الأخبار بحياة كل رطب ويابس وجماد ونبات وأرض وسماء، وهذه هي التي وقع فيها الخلاف بين أهل الكشف وغيرهم ممن ليس له كشف وبين أهل الإيمان وبين من لا يقول بالشرائع أو من يتأوّل الشرائع على غير ما جاءت له فيقولون إنه تسبيح حال، وأما ما أدرك الحس حياته فلا خلاف في حياته، وإنما الخلاف في سبب حياته ما هو وفي تسبيحه بحمد ربه لماذا يرجع إذ لا يكون التسبيح إلا من حيّ عاقل يعقل ذلك، وما عدا الإنسان والجن من الحيوان ليس بعاقل عند المخالف بخلاف ما نعتقد نحن وأهل الكشف والإيمان الصحيح وأعني بالعقل هنا العلم، فالعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي فمعناه أن الملك موجود في الماء أي الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذي هو ملك الله والعلم محصور في أعيان ونسب، فالأعيان وجودية والنسب معقولة عدمية، وهذا هو كل ما سوّى الله.

ولما كان الماء أصل الحياة وكل شيء حيّ والنسب تابعة له قرن بين العرش المجعول على الماء وبين خلقه الموت والحياة في الابتلاء فقال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [هود: ٧] أي يختبركم، والعرش كما ذكرت لك أعيان موجودة ونسب عدمية، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢] فالحياة للأعيان والموت للنسب، فظهور الروح للجسم حياة ذلك الجسم كظهور الشمس لاستنارة الأجسام التي ظهرت الشمس لها، وغيبة الروح عن الجسم زوال الحياة من ذلك الجسم وهو الموت، فالاجتماع حياة والفرقة موت، والاجتماع والافتراق نسب معقولة لها حكم ظاهر وإن كانت معدومة الأعيان.

واعلم أن القوى كلها التي في الإنسان وفي كل حيوان مثل قوة الحس وقوّة الخيال وقوّة الحفظ والقوّة المصوّرة وسائر القوى كلها المنسوبة إلى جميع الأجسام علواً وسفلاً إنما هي للروح تكون بوجوده وإعطائه الحياة لذلك الجسم، وينعدم فيها ما ينعدم بتوليه عن ذلك الجسم من ذلك الوجه الذي تكون عنه تلك القوّة الخاصة فافهم، فإذا أعرض الروح عن الجسم بالكلية زال بزواله جميع القوى والحياة وهو المعبر عنه بالموت كالليل بمغيب الشمس، وأما بالنوم فليس بإعراض كليّ وإنما هي حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم، كالشمس إذا حالت السحب بينها وبين موضع خاص من الأرض يكون الضوء موجوداً كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس لذلك الموضع الذي حال بينه وبينها السحاب المتراكم، وكما أن الشمس إذا فارقت هذا الموضع من الأرض وجاء الليل بدلاً منه ظهرت في موضع آخر بنوره أضاء به ذلك الموضع فكان النهار هنالك كما كان هنا، كذلك الروح إذا أعرض عن هذا الجسم الذي كانت حياته به تجلى على صورة من الصور الذي هو البرزخ وهو بالصاد جمع صورة فحييت به تلك الصورة في البرزخ كما قال ﷺ في نسمة المؤمن: «**إِنَّهُ طَيْرٌ أَخْضَرُ**» فذلك الطير كالجسم هنا صورة حييت بهذا الروح الذي كان يحيا به هذا الجسم، وكما تطلع الشمس في اليوم الثاني علينا فتستنير

الموجودات بنورها كذلك الروح يطلع في يوم الآخرة على هذه الأجسام الميتة فتحيا به فذلك هو النشر والبعث.

واعلم أن الصور أوجده الله على صورة القرن وسمي بالصور من باب تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب، ولما كان هذا القرن محلاً لجميع الصور البرزخية التي تنتقل إليها الأرواح بعد الموت وفي النوم فيه سمي صوراً جمع صورة وشكله شكل القرن أعلاه واسع وأسفله ضيق على شكل العالم أين سعة العرش من ضيق الأرض وتنتقل القوى مع الروح إلى تلك الصورة البرزخية نوماً وموتاً ولهذا تكون دراكة بجميع القوى سواء فقد أعلمتك بما هو الأمر عليه، ومن هنا زل القائلون بالتناسخ لما رأوا أو سمعوا أن الأنبياء قد نبهت على انتقال الأوراح إلى هذه الصور البرزخية وتكون فيها على صور أخلاقها ورأوا تلك الأخلاق في الحيوانات تخيلوا في قول الأنبياء والرسل والعلماء أن ذلك راجع إلى هذه الحيوانات التي في الدار الدنيا وأنها ترجع إلى التخليص، وذكروا ما قد علمت من مذهبهم فأخطؤوا في النظر وفي تأويل أقوال الرسل وما جاء في ذلك من الكتب المنزلة، ورأوا النائم يقرب من هذا الأمر الذي شرعوا فيه، فاستروحوا من ذلك ما ذهبوا إليه فما أتى عليهم إلا من سوء التأويل في القول الصحيح وهذا معنى قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي يختبر عقولكم بالموت والحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] بالخوض فيهما والنظر، فيرى من يصيب منكم ومن يخطىء كأهل التناسخ، وجعل ذلك كله دليلاً واضحاً ونصبه برهاناً قاطعاً على اسمه الحيّ واسمه النور واسمه الظاهر والباطن والأول والآخر ليعلم نسبة العالم من موجده وأنه غير مستقل بنفسه، وأن افتقاره إلى الله افتقار ذاتيّ لا ينفك عنه طرفة عين، وأن النسب دائمة الحكم لبقاء وجود الأعيان وهو العزيز المنيع الحمى عن أن يدركه خلقه أو يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء، وهو الغفور الذي ستر العقول عن إدراك كنهه أو كنه جلاله.

واعلم يا وليّ نَوَّرَ الله بصيرتك بعد أن تقرّر عندك أن حياة الأجسام كلها من حياة الأرواح المدبرة لها وبانفصالها عنها يكون الموت فيزول نظامهما إذ القوى الماسكة لها زالت بزوال الروح المدبر الذي وكله الله بتدبيرها، فاعلم أن الحياة في جميع الأشياء حياتان، حياة عن سبب وهي الحياة التي ذكرناها ونسبناها إلى الأرواح، وحياة أخرى ذاتية للأجسام كلها حياة الأرواح للأرواح غير أن حياة الأرواح يظهر لها أثر في الأجسام المدبرة بانتشار ضوئها فيها وظهور قواها التي ذكرناها، وحياة الأجسام الذاتية لها ليست كذلك فإن الأجسام ما خلقت مدبرة فبحياتها الذايتة التي لا يجوز زوالها عنها فإنها صفة نفسية لها بها تسبح ربها دائماً سواء كانت أرواحها فيها أو لم تكن، وما تعطيها أرواحها إلا هيئة أخرى عرضية في التسبيح بوجودها خاصة وإذا فارقتها الروح فارقها ذلك الذكر الخاص وهو الكلام المتعارف بيننا المحسوس تسبيحاً كان أو غيره، فيدرك المكاشف الحياة الذاتية التي في الأجسام كلها، وإذا اتفق على أيّ جسم كان أمر يخرجه عن نظامه مثل كسر آنية أو كسر حجر أو قطع شجر، فهو مثل قطع يد إنسان أو رجله يزول عنه حياة الروح المدبر له ويبقي عليه حياته الذاتية له، فإنه

لكل صورة في العالم روح مدبرة وحياة ذاتية تزول الروح بزوال تلك الصورة كالقتيل، وتزول الصورة بزوال ذلك الروح كالميت الذي مات على فراشه ولم تضرب عنقه، والحياة الذاتية لكل جوهر فيه غير زائلة، وبتلك الحياة الذاتية التي أخذ الله بأبصار بعض الخلق عنها بها تشهد الجلود يوم القيامة على الناس والألسنة والأيدي والأرجل وبها تنطق فخذ الرجل في آخر الزمان فتخبر صاحبها بما فعل أهله، وبها تنطق الشجرة في آخر الزمان إذا اختفى خلفها اليهود حين يطلبهم المسلمون للقتل فتقول للمسلم إذا رأته يطلب اليهودي: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا شجرة الغرقد فإنها تستر اليهوديّ إذا لاذ بها فلعنها رسول الله ﷺ، ولا يقال إن الشجرة إنما رأفت مع من استند إليها كما يراه أصحاب الخلق الكريم فلتعلم أن حق الله أحق بالقضاء وتصريف الخلق الكريم مع الله هو الأوجب على كل مؤمن، ألا تراه يقول: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] وإنما كانت هذه الحياة في الأشياء ذاتية لأنها عن التجلي الإلهيّ للموجودات كلها لأنه خلقها لعبادته ومعرفته، ولا أحد من خلقه يعرفه إلا أن يتجلى له فيعرفه بنفسه إذ لم يكن في طاقة المخلوق أن يعرف خالقه كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] والتجلي دائم أبداً مشاهد لكل الموجودات ظاهر ما عدا الملائكة والإنس والجنّ فإن التجلي لهم الدائم إنما هو فيما ليس له نطق ظاهر كسائر الجمادات والنبات. وأما التجلي لمن أعطي النطق والتعبير عما في نفسه وهم الملائكة والإنس والجن من حيث أرواحهم المدبرة لهم وقواها فإن التجلي لهم من خلف حجاب الغيب، فالمعرفة للملائكة بالتعريف الإلهيّ لا بالتجلي، والمعرفة للإنس والجن بالنظر والاستدلال والمعرفة لأجسامهم ومن دونهم من المخلوقات بالتجلي الإلهيّ، وذلك لأن سائر المخلوقات فطروا على الكتمان فلم يعطوا عبارة التوصيل وأراد الحق ستر هذا المقام رحمة بالمكلفين إذ سبق في علمه أنهم يكلفون، وقد قدر عليهم المعاصي وقدر على بعضهم الاعتراض فيما لم يكن ينبغي لهم كالملائكة حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وجرى ما جرى في قصة آدم معهم فلهذا وقع الستر عنهم لأنهم لو عصوه بالقضاء والقدر على التجلي والمشاهدة لكان عدم احترام عظيم وعدم حياء وكانت المؤاخذة عظيمة فكانت الرحمة لا تنالهم أبداً، فلما عصوه على الستر قامت لهم الحجة في المعذرة، ولهذا كانت الغفلة من الرحمة التي جعلها الله لعباده والنسيان ليجدوا بذلك حجة لو اعترض عليهم ويجدون بها عذراً، ولهذا ما كلف الله أحداً من خلقه إلا الملائكة والإنس والجنّ وما عداهم فإن دوام التجلي لهم أعطاهم الحياة الذاتية الدائمة وهم في تسبيحهم مثلنا في أنفاسنا دوام متوال من غير مشقة نجده في تنفسنا بل الأنفاس عين الراحة لنا بل لولاها لمتنا، ألا ترى المخنوق إذا حيل بينه وبين خروج نفسه مات ووجد الألم، فعلى هذا الحد هو تسبيح كل شيء إن فهمت فالحق على الحقيقة هو مدبر العالم كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الرعد: ٢] يعني الدلالات على توحيده، فيعطي كل خلق دلالة تخصه على توحيد موجده كما قال القائل: [المتقارب]

وفي كُلِّ شَيْءٍ لَه آيَةٌ تَدُلُّ على أنَّهُ وَاحِدُ

وهي هذه الآيات التي يفصلها فيقسمها على خلقه بحسب ما فطرهم الله تعالى عليه، فهو سبحانه روح العالم وسمعه وبصره ويده، فبه يسمع العالم، وبه يبصر، وبه يتكلم، وبه يبطش، وبه يسعى إذ لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، ولا يعرف هذ إلا من تقرّب إلى الله بنوافل الخيرات كما ورد في الصحيح من الأخبار النبوية الإلهية: «**فَإِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيْهِ تَعَالَى بِالنَّوافِلِ أَحَبَّهُ وَإِذَا أَحَبَّهُ قَالَ الله تَعَالَى: فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ**» وفي رواية: «**كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَمُؤَيِّداً**» فقوله: «كنت» يدل على أنه كان الأمر على هذا وهو لا يشعر، فكانت الكرامة التي أعطاه هذا التقرب الكشف والعلم بأن الله كان سمعه وبصره فهو يتخيل أنه يسمع بسمعه وهو يسمع بربه كما كان يسمع الإنسان في حال حياته بروحه في ظنه لجهله وفي نفس الأمر إنما يسمع بربه، ألا ترى نبيه الصادق في أهل القليب كيف قال ما أنتم بأسمع منهم حين خاطبهم ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] وكان قد جَيَّفُوا فما من أحد من المخلوقات إلا وهو يسمع ولكن فطروا على منع توصيل ما يعلمون ويسمعون، وهذه الحياة التي تظهر لأعين الخلق عند خرق العوائد في إحياء الموتى كبقرة موسى وغيرها فالاسم الظاهر هو العالم إن تحققته فإنه للحق بمنزلة الجسم للروح المدبرة والاسم الباطن لما خفي عن الموجودات في نسبة الحياة لأنفسهم، وبالمجموع يكون الإنسان إذ حده حيوان ناطق فالحيوانية صورته الظاهرة، فإن الحيوانية مطابقة في الدلالة للجسم المتغذي الحساس إلا أنها أخصر فرجحوها في عالم العبارة للاختصار لأنها تساويها في الدلالة وهو ناطق من حيث معناه، وليس معناه سوى ما ذكرناه، فالعالم كله عندنا الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله حيوان ناطق لكن تختلف أجسامه وأغذيته وحسه، فهو الظاهر بالصورة الحيوانية وهو الباطن بالحياة الذاتية الكائنة عن التجلي الإلهيّ الدائم الوجود، فما في الوجود إلا الله تعالى وأسماؤه وأفعاله، فهو ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] من الاسم الظاهر، وهو ﴿ٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] من الاسم الباطن، فالوجود كله حق ما فيه شيء من الباطل، إذ كان المفهوم من إطلاق لفظ الباطل عدماً ما فيما ادّعى صاحبه أنه وجود فافهم، ولو لم يكن الأمر كذلك لانفرد الخلق بالفعل، ولم يكن الاقتدار الإلهيّ يعم جميع الممكنات، بل كانت الإمكانات تزول عنه، فسبحان الظاهر الذي لا يخفى، وسبحان الخفيّ الذي لا يظهر، حجب الخلق به عن معرفته وأعماهم بشدّة ظهوره، فهم منكرون مقرون متردّدون حائرون مصيبون مخطئون، والحمد لله الذي منّ علينا بمثل هذه المشاهد وجلا لأبصارنا هذه الحقائق، فلم تقع لنا عين إلا عليه، ولا كان منا استناد إلا إليه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

ومن أراد أن يعرف حقيقة ما أومأت إليه في هذه المسألة فلينظر في خيال الستارة وصوره ومن الناطق في تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الأشخاص والناطق فيها فالأمر كذلك في صور العالم والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فتعرف من أين أتى عليهم، فالصغار في ذلك

المجلس يفرحون ويطربون، والغافلون يتخذونه لهواً ولعباً، والعلماء يعتبرون ويعلمون أن الله ما نصب هذا إلا مثلاً ولذلك يخرج في أوّل الأمر شخص يسمى الوصاف فيخطب خطبة يعظم الله فيها ويمجده، ثم يتكلم على كل صنف صنف من الصور التى تخرج بعده من خلف هذه الستارة، ثم يعلم الجماعة أن الله نصب هذا مثلاً لعباده ليعتبروا وليعلموا أن أمر العالم مع الله مثل هذه الصور مع محركها، وأن هذه الستارة حجاب سر القدر المحكم في الخلائق، ومع هذا كله يتخذونه الغافلون لهواً ولعباً وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥١] ثم يغيب الوصاف وهو بمنزلة أوّل موجود فينا وهو آدم عليه السلام، ولما غاب كان غيبته عنا عند ربه خلف ستارة غيبه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل نسخ الشريعة المحمدية وغير المحمدية بالأعراض النفسية عافانا الله وإياكم من ذلك بمنِّه

[الرمل]

أنــا إنْ فــارقــتُ نَــفْــســي قَــامَ لــي ... مِثْلُها في الحُسنْ من غير البَشَرْ
ذاتُ حُـــسْـــنٍ وبَـــهَـــاءٍ وسَـــنَـــا ... لـيس مـنـهـا بـدَلِـيـل الـشَّـرْع شَـرْ
فـكـأنَّ الـشَّـمْـسَ فـي ذاك الـسَّـنَـا ... وكــأنّ الــشَّــهْــدَ فــي ذاك الأثَــرْ
مــن رأى الــشِّــبْــلَ إلــى جــانــبــه ... أسَــدٌ عــنْ نَــاب شِــدْقَــيْــهِ كَــشَــرْ
حَــذَراً مــنــه عــلــى أشْــبَــالِــهِ ... طــالــبــاً كُــلَّ خَــؤُونٍ وأَشِــرْ
صــار يــســتــعْــذِبُ فــي مَــرْضَــاتِــهِ ... صَبْراً لـصَبْرٍ ويَسْتَحْلي العُشَرْ
فَــلْــتُــتَــرْجِــمْ بــكَــلام حَــسَــنٍ ... لا تَــكُــنْ مــمَّــنْ هَــذَى ثـم فَـشَـرْ
لا يَــرَى الــحَــقَّ عُــبَــيْــدٌ لــم يَــكُــنْ ... يُبْصِرُ المَعْنَى من الحَرْفِ نشرْ
فــإذا أبْــصَــرَهُ قَــامَ بــه ... ورَأى الـكَـوْنَ فـقـيـراً فـنـشـر
رَحْــمَــةَ الله عــلــى عَــالَــمِــهِ ... ودَعَـا الـخَـلْـقَ إلـيـه وحَـشَـرْ

اعلم أيها الولي الحميم أنا روينا في هذا الباب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أصاب من عرضه فجاء إليه يستحله من ذلك فقال له: يا ابن عباس إني قد نلت منك فاجعلني في حل من ذلك، فقال: «أعوذ بالله أن أحل ما حرّم الله إن الله قد حرّم أعراض المسلمين فلا أحلها ولكن غفر الله لك» فانظر ما أعجب هذا التصريف وما أحسن العلم، ومن هذا الباب حلف الإنسان على ما أبيح له فعله أن لا يفعله أو يفعله، ففرض الله تحلّة الإيمان وهو من باب الاستدراج والمكر الإلهي إلا لمن عصمه الله بالتنبيه عليه فما ثم شارع إلا الله تعالى، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] ولم يقل بما رأيت، بل عتبه سبحانه وتعالى لما حرم على نفسه باليمين في قضية عائشة وحفصة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١] فكان هذا مما أرته

نفسه، فهذا يدلك أن قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ أنه ما يوحي به إليه لا ما يراه في رأيه، فلو كان الدين بالرأي لكان رأي النبي ﷺ أولى من رأي كل ذي رأي فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فيما أرته نفسه فكيف رأي من ليس بمعصوم ومن الخطأ أقرب إليه من الإصابة؟ فدل أن الاجتهاد الذي ذكره رسول الله ﷺ إنما هو طلب الدليل على تعيين الحكم في المسألة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة، فإن ذلك شرع لم يأذن به الله ولقد أخبرني القاضي عبد الوهاب الأزدي الإسكندري بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال: رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام فسألته ما رأيت، فذكر أشياء منها قال: ولقد أريت كتباً موضوعة وكتباً مرفوعة فسألت ما هذه الكتب المرفوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الحديث، فقلت: وما هذه الكتب الموضوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها فرأيت الأمر فيه شدة.

اعلم وفقك الله أن الشريعة هي المحجة البيضاء محجة السعداء وطريق السعادة من مشى عليها نجا ومن تركها هلك، قال رسول الله ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٥٣] خط رسول الله ﷺ في الأرض خطاً وخط خطوطاً عن جانبي الخط يميناً وشمالاً ثم وضع أصبعه على الخط وقال تالياً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وأشار إلى تلك الخطوط التي خطها عن يمين الخط ويساره ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وأشار إلى الخط المستقيم.

ولقد أخبرني بمدينة سلا مدينة بالمغرب على شاطىء البحر المحيط يقال لها منقطع التراب ليس وراءها أرض رجل من الصالحين الأكابر من عامة الناس قال: رأيت في النوم محجة بيضاء مستوية عليها نور سهلة ورأيت عن يمين تلك المحجة وشمالها خنادق وشعاباً وأودية كلها شوك لا تنسلك لضيقها وتوعر مسالكها وكثرة شوكها والظلمة التي فيها ورأيت جميع الناس يخبطون فيها عشواً ويتركون المحجة البيضاء السهلة، وعلى المحجة رسول الله ﷺ ونفر قليل معه يسير وهو ينظر إلى من خلفه وإذا في الجماعة متأخر عنها لكنه عليها الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن قرقور المحدث كان سيداً فاضلاً في الحديث اجتمعت بابنه فكان يفهم عن النبي ﷺ أنه يقول له: ناد في الناس بالرجوع إلى الطريق فكان ابن قرقور يرفع صوته ويقول في ندائه ولا من داع ولا من مستدع: هلموا إلى الطريق هلموا قال فلا يجيبه أحد ولا يرجع إلى الطريق أحد.

واعلم أنه لما غلبت الأهواء على النفوس وطلبت العلماء المراتب عند الملوك تركوا المحجة البيضاء وجنحوا إلى التأويلات البعيدة ليمشوا أغراض الملوك فيما لهم فيه هوى نفس ليستندوا في ذلك إلى أمر شرعي مع كون الفقيه ربما لا يعتقد ذلك ويفتي به، وقد رأينا منهم جماعة على هذا من قضاتهم وفقهائهم، ولقد أخبرني الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع بيني وبينه في مثل هذا كلام فنادى بمملوك وقال: جئني بالحرمدان فقلت له: ما شأن الحرمدان؟ قال أنت تنكر علي ما يجري في بلدي ومملكتي من المنكرات والظلم وأنا والله أعتقد مثل ما تعتقد أنت فيه من أن ذلك كله منكر

ولكن والله يا سيدي ما منه منكر إلا بفتوى فقيه وخط يده عندي بجواز ذلك فعليهم لعنة الله. ولقد أفتاني فقيه هو فلان وعين لي أفضل فقيه عنده في بلده في الدين والتقشف بأنه لا يجب علي صوم شهر رمضان هذا بعينه بل الواجب علي شهر في السنة والاختيار لي فيه أي شهر شئت من شهور السنة، قال السلطان: فلعنته في باطني ولم أظهر له ذلك وهو فلان وسماه ولي رحم الله جميعهم فلتعلم أن الشيطان قد مكنه الله من حضرة الخيال وجعل له سلطاناً فيها، فإذا رأى الفقيه يميل إلى هوى يعرف أنه يردي عند الله زين له سوء عمله بتأويل غريب يمهد له فيه وجهاً يحسنه في نظره ويقول له: إن الصدر الأوّل قد دانوا الله بالرأي، وقاس العلماء في الأحكام واسنبطوا العلل للأشياء وطردوها وحكموا في المسكوت عنه بما حكموها به في المنصوص عليه للعلة الجامعة بينهما والعلة من استنباطه، فإذا مهد له هذه السبيل جنح إلى نيل هواه وشهوته بوجه شرعي في زعمه، فلا يزال هكذا فعله في كل ما له أو لسلطانه فيه هوى نفس، ويرد الأحاديث النبوية ويقول: لو أن هذا الحديث يكون صحيحاً، وإن كان صحيحاً يقول: لو لم يكن له خبر آخر يعارضه وهو ناسخ له لقال به الشافعي إن كان هذا الفقيه شافعياً، أو لقال به أبو حنيفة إن كان الرجل حنفياً، وهكذا أقوال أتباع هؤلاء الأئمة كلهم ويرون أن الحديث والأخذ به مضلة، وأن الواجب تقليد هؤلاء الأئمة وأمثالهم فيما حكموا به وإن عارضت أقوالهم الأخبار النبوية فالأولى الرجوع إلى أقاويلهم وترك الأخذ بالأخبار والكتاب والسنة فإذا قلت لهم: قد روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: إذا أتاكم الحديث يعارض قولي فاضربوا بقولي الحائط وخذوا بالحديث فإن مذهبي الحديث وقد روينا عن أبي حنيفة أنه قال لأصحابه: حرام على كل من أفتى بكلامي ما لم يعرف دليلي، وما روينا شيئاً من هذا عن أبي حنيفة إلا من طريق الحنفيين، ولا عن الشافعي إلا من طريق الشافعية، وكذلك المالكية والحنابلة، فإذا ضايقتهم في مجال الكلام هربوا وسكتوا، وقد جرى لنا هذا معهم مراراً بالمغرب وبالمشرق، فما منهم أحد على مذهب من يزعم أنه على مذهبه فقد انتسخت الشريعة بالأهواء. وإن كانت الأخبار موجودة مسطرة في الكتب الصحاح وكتب التواريخ بالتجريح والتعديل موجود والأسانيد محفوظة مصونة من التغيير والتبديل، ولكن إذا ترك العمل بها واشتغل الناس بالرأي ودانوا أنفسهم بفتاوى المتقدمين مع معارضة الأخبار الصحاح لها فلا فرق بين عدمها ووجودها إذ لم يبق لها حكم عندهم وأي نسخ أعظم من هذا؟ وإذا قلت لأحدهم في ذلك شيئاً يقول لك: هذا هو المذهب وهو والله كاذب، فإن صاحب المذهب قال له إذا عارض الخبر كلامي فخذ بالحديث واترك كلامي في الحش فإن مذهبي الحديث، فلو أنصف لكان على مذهب الشافعي من ترك كلام الشافعي للحديث المعارض فالله يأخذ بيد الجميع.

وبعد أن تبين ما قررناه فاعلم أن الإنسان إذا زهد في غرضه ورغب عن نفسه وآثر ربه أقام له الحق عوضاً من صورة نفسه صورة هداية إلهية حقاً من عند حق حتى يرفل في غلائل النور وهي شريعة نبيه ورسالة رسوله، فيلقى إليه من ربه ما يكون فيه سعادته، فمن الناس من

يراها على صورة نبيه، ومنهم من يراها على صورة حاله، فإذا تجلت له في صورة نبيّه فليكن عين فهمه فيما تلقي إليه تلك الصورة لا غير، فإن الشيطان لا يتمثل على صورة نبيّ أصلاً، فتلك حقيقة ذلك النبيّ وروحه أو صورة ملك مثله عالم من الله بشريعته فما قال له فهو ذاك، ونحن قد أخذنا عن مثل هذه الصورة أموراً كثيرة من الأحكام الشرعية لم نكن نعرفها من جهة العلماء ولا من الكتب، فلما عرضت ما خاطبتني به تلك الصورة من الأحكام الشرعية على بعض علماء بلادنا ممن جمع بين الحديث والمذاهب فأخبرني بجميع ما أخبرته به أنه روي في الصحيح عن النبيّ ﷺ ما غادر حرفاً واحداً وكان يتعجب من ذلك حتى أنه من جملة ذلك رفع اليدين في الصلاة في كل خفض ورفع ولا يقول بذلك أهل بلادنا جملة واحدة وليس عندنا من يفعل ذلك ولا رأيته، فلما عرضته على محمد بن علي بن الحاج وكان من المحدثين روى لي فيه حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ ذكره مسلم ووقفت عليه بعد ذلك في صحيح مسلم لما طالعت الأخبار ورأيت بعد ذلك أن فيه رواية عن مالك بن أنس رواها ابن وهب، وذكر أبو عيسى الترمذي هذا الحديث وقال: وبه يقول مالك والشافعي، وكذا اتفق لي في الأخذ من صورة نبيّي ﷺ ما يعرض عليّ من الأحكام المشروعة التي لم يكن لنا علم بها، وأما إذا ظهرت له على غير صورة رسوله فتلك الصورة راجعة إلى حاله لا بد من ذلك، أو إلى منزلة الشرع في ذلك الوقت في ذلك الموضع الذي رآه فيه مثل الرؤيا سواء إلا أن هذا الإنسان يراها في اليقظة والعامة ترى ذلك في النوم، فلا يأخذ عن تلك الصورة إذا تجلت بهذه المثابة شيئاً من الأحكام المشروعة، وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم فلا تحجير عليه فيما يأخذه منها لا في العقائد ولا في غيرها، فإن الحضرة الإلهية تقبل جميع العقائد إلا الشرك فإنها لا تقبله، فإن الشريك عدم محض والوجود المطلق لا يقبل العدم، والشريك لا شك أنه خارج عن شريكه بخلاف ما يعتقد فيه مما يتصف به الموصوف في نفسه فلهذا قلنا: لا يقبل الشريك لأنه ما ثم شريك حتى يقبل، وإن كان قد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فافهم هذه الإشارة فإن الشبهة تأتي في صورة البرهان، فهذا ذم للمقلدة لا لأصحاب النظر وإن أخطؤوا.

ثم اعلم أن الغرض هو عين الإرادة إلا أنه إرادة للنفس بها تعشق وهوى فثبتت فسميت غرضاً إذ كان الغرض هو الإشارة التي تنصبها الرماة للمناضلة، ولما كانت السهام من الرماة تقصدها وهي ثابتة لا تزول سميت الإرادة التي بهذه المثابة غرضاً لثبوتها في نفس من قامت به لتعشقه بذلك الأمر، ولا يبالي من سهام أقوال الناس فيه لذلك وسواء كان ذلك الغرض محموداً أو مذموماً، لكنهم اصطلحوا على أنه إذا قيل فيه غرض نفسيّ ونسبوه إلى النفس أن يكون مذموماً، وإذا عري عن هذه النسبة قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ولهذا وصف الحق بأن له إرادة ولم يتصف بأن له غرضاً، لأن الغرض الغالب عليه تعلق الذم به وهو عرض يعرض للنفس فأعجم القضاء والقدر عينه فسمي غرضاً لما ذكرناه لما يقوم بصاحبه من اللجاج في إمضائه وهو عين العلة التي لأجلها كان وقوع ذلك الفعل أو تركه إن كان الغرض تركه، والعلة

مرض والأغراض أمراض النفوس وإنما قلنا بأنه أمر يعرض للنفس لأن النفس إنما خلق لها الإرادة لتريد بها ما أراد الله أن تأتيه من الأمور أو تتركه على ما حد لها الشارع، فالأصل هو ما ذكرناه، فلما عرض لهذه الإرادة تعشق نفسيّ بهذا الأمر ولم تبال من حكم الشرع فيه بالفعل أو الترك حتى لو صادف الأمر الشرعيّ بإمضائه لم يكن بالقصد منه، وإنما وقع له بالاتفاق كون الشارع أمره به ففعله صاحب هذه الصفة لغرضه لا لحكم الشارع، فلهذا لم يحمده الله على فعله، إلا إن سأل قبل إمضاء الغرض هل للشرع في إمضائه حكم يحمد؟ فيفتيه المفتي بأن الشارع قد حكم فيه بالإباحة أو بالندب أو بالوجوب فيمضيه عند ذلك فيكون حكماً شرعياً وافق هوى نفس فيكون مأجوراً عليه والأوّل ليس كذلك، فإن الأوّل هوى نفس وغرض وافق حكم شرع محمود فلم يمضه للشرع على طريق القربة فخسر، فانظر يا وليّ في أغراضك النفسية إذا عرضت لك ما حكمها في الشرع؟ فإذا حكم عليك الشرع بالفعل فافعله أو بالترك فاتركه، فإن غلب عليك بعد السؤال ومعرفتك بحكم الشرع فيه بالترك ولم تتركه واعتقدت أنك مخطىء في ذلك فأنت مأجور من وجه من بحثك وسؤالك عن حكم الشرع فيه قبل إمضائه، ومن اعتقادك أوّلاً في الشرع حتى سألت عن حكمه في ذلك الأمر، ومن اعتقادك بعد العلم بأنه حرام يجب تركه، ومن استنادك إلى أن الله غفور رحيم يعفو ويصفح بطريق حسن الظن بالله، ومن كونك لم تقصد انتهاك حرمة الله، ومن كونك معتقداً لسابق القضاء والقدر فيك بإمضاء هذا الأمر كمسألة موسى مع آدم عليهما السلام، فهذه وجوه كثيرة أنت مأجور من جهتها في عين معصيتك، وأنت مأثوم فيها من وجه واحد وهو عين إمضاء ذلك الأمر الذي هو هوى نفسك، وإن زاد إلى تلك الوجوه أنك يسوؤك ذلك الأمر كما قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَبَخٍ عَلَى بَخٍ**» وهذا كله إنما جعله الله للمؤمن إرغاماً للشيطان الذي يزين للإنسان سوء عمله، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، فوعد الله بالمغفرة وهي الستر الذي يجعله الله بين المؤمن العاصي وبين الكفر يرديه عند وقوع المعصية فيعتقد أنها معصية ولا يبيح ما حرم الله وذلك من بركة ذلك الستر، ثم ثم مغفرة أخرى وهو ستر خلف سترين، ستر عليه في الدنيا لم يمض فيه حد الله المشروع في تلك المعصية وإن ستر عليه في الآخرة لم يعاقبه عليها، فالستر الأول محقق في الوقت قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] فهذه المغفرة لأمره بالفحشاء، والفضل لما وعد به الشيطان من الفقر في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فأراح الله المؤمن حيث ناب عنه الحق سبحانه في مدافعة ما أراد الشيطان إمضاءه في المؤمن، فدفع الله عن عبده المؤمن وعداً إلهياً دفع به وعداً شيطانياً، والله لا يقاوم ولا يغالب، فالمغفرة متحققة والفضل متحقق، وباء الشيطان بالخسران المبين، ولهذه الحقيقة أمرنا الله أن نتخذه وكيلاً في أمورنا، فيكون الحق هو الذي يتولى بنفسه دفع مضار هذه الأمور عن المؤمنين، وما غرض الشيطان المعصية لعينها وإنما غرضه أن يعتاد العبد طاعة الشيطان فيستدرجه حتى يأمره بالشرك الذي فيه شقاوة الأبد، وذلك لا يكون إلا برفع الستر الاعتصاميّ الحائل بين العبد والشرك، والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع عشر وثلاثمائة

في معرفة تنزل سراح النفس عن قيد وجه مّا من وجوه الشريعة بوجه آخر منها وأن ترك السبب الجالب للرزق من طريق التوكل سبب جالب للرزق وأن المتصف به ما خرج عن رق الأسباب ومن جلس مع الله من كونه رزاقاً فهو معلول

[البسيط]

لله بين السَّمَا والأرض تَنزيلُ ... مِنْ أمْره فيه تَبْدِيلٌ وتَحْويلُ
يَنْحَطُّ مِنْ صُوَرٍ في طَيِّهَا صُوَرٌ ... يَمْحُو بها صُوَراً لهنّ تَمْثِيلُ
وصُورَةُ الحقّ فيه أنْ يكونَ على ... ما الحقُّ فيه وإنْ لم فَهْوَ تَضْلِيلُ
الهُو يصاحب مجَلّى الحَقِّ في صُوَرٍ ... وهو الصحيح الّذي ما فيه تَعْليلُ
هذا مقامُ ابْنِ عَبَّاسٍ وحالتنا ... وقد أَتَى فيه قرآنٌ وتَنْزيلُ
فلا تَغُرَّنْكَ حالٌ لستَ تعرفُها ... فإنَّها لك تَسْبيحٌ وتَهْليلُ
وقُلْ بها والتَزِمْهَا إنَّها سَنَدٌ ... أقْوَى يؤيِّدُه شَرْعٌ ومَعْقُولُ
تقضي به صُحُفٌ مُتْلَى مُطَهَّرَةٌ ... منها زَبُورٌ وتوراةٌ وإنجيلُ
فاشهدْ هُدِيتَ عُلُوماً عَزّ مُدْرَكُها ... على العُقُولِ فوَجْهُ الحقّ مَقْبُولُ
يحارُ عَقْلُكَ فيها أن يُكَيِّفَهَا ... فإنه تحت قَهْرِ الحِسِّ مَغْلُولُ
فالحسُّ أفضلُ ما تُغْطَاهُ مِنْ مِنَحٍ ... وصاحبُ الفِكْرِ مَنْصُورٌ ومَخْذُولُ

اعلم وفقك الله أيها الوليّ الحميم تولاك الله برحمته وفتح عين فهمك أنه من كانت حقيقته أن يكون مقيداً لا يصح أن يكون مطلقاً بوجه من الوجوه ما دامت عينه فإن التقييد صفة نفسية له، ومن كانت حقيقته أن يكون مطلقاً فلا يقبل التقييد جملة واحدة، فإنه صفته النفسية أن يكون مطلقاً، لكن ليس في قوّة المقيد أن يقبل الإطلاق لأن صفته العجز، وأن يستصحبه الحفظ الإلهيّ لبقاء عينه فالافتقار يلزمه، وللمطلق أن يقيد نفسه إن شاء، وأن لا يقيدها إن شاء فإن ذلك من صفة كونه مطلقاً إطلاق مشيئة، ومن هنا أوجب الحق على نفسه ودخل تحت العهد لعبده فقال في الوجوب: ﴿قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] أي أوجب فهو الموجب على نفسه ما أوجب غيره عليه ذلك فيكون مقيداً بغيره، فقيد نفسه لعبيده رحمة بهم ولطفاً خفياً وقال في العهد: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فكلفهم وكلف نفسه لما قام الدليل عندهم بصدقه في قيله ذكر لهم ذلك تأنيساً لهم سبحانه وتعالى، ولكن هذا كله أعني دخوله في التقييد لعباده من كونه إلهاً لا من كونه ذاتاً، فإن الذات غنية عن العالمين والملك ما هو غنيّ عن الملك إذ لو لا الملك ما صح اسم الملك، فالمرتبة أعطت التقييد لا ذات الحق جل وتعالى، فالمخلوق كما يطلب الخالق من كونه مخلوقاً، كذا الخالق يطلب المخلوق من كونه خالقاً ألا ترى العالم لما كان له العدم من نفسه لم يطلب الخالق ولا المعدم فإن العدم له من ذاته، وإنما طلب الخالق من كون مخلوقاً، فمن هنا قيد نفسه تعالى

بما أوجب على نفسه من الوفاء بالعهد ولما كان المخلوق بهذه المثابة لذلك تعشق بالأسباب ولم يتمكن له إلا الميل إليها طبعاً فإنه موجود عن سبب وهو الله تعالى، ولهذا أيضاً وضع الحق الأسباب في العالم لأنه سبحانه علم أنه لا يصح اسم الخالق وجوداً وتقديراً إلا بالمخلوق وجوداً وتقديراً، وكذلك كل اسم إلهيّ يطلب الكون مثل الغفور والمالك والشكور والرحيم وغير ذلك من الأسماء، فمن هنا وضع الأسباب وظهر العالم مربوطاً بعضه ببعضه، فلم تنبت سنبلة إلا عن زارع وأرض ومطر وأمر بالاستسقاء إذا عدم المطر تثبيتاً منه في قلوب عباده لوجود الأسباب، ولهذا لم يكلف عباده قط الخروج عن السبب فإنه لا تقتضيه حقيقته، وإنما عين له سبباً دون سبب فقال له: أنا سببك فعليّ فاعتمد وتوكل كما ورد: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فالرجل من أثبت الأسباب، فإنه لو نفاها ما عرف الله ولا عرف نفسه، وقال ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» ولم يقل عرف ذات ربه، فإن ذات الرب لها الغنى على الإطلاق، وأتى للمقيد بمعرفة المطلق، والرب يطلب المربوب بلا شك ففيه رائحة التقييد فبهذا عرف المخلوق ربه، ولذلك أمره أن يعلم أنه لا إله إلا هو من كونه إلهاً لأن الإله يطلب المألوه وذات الحق غنية عن الإضافة فلا تتقيد. فإثبات الأسباب أدل دليل على معرفة المثبت لها بربه، ومن رفعها رفع ما لا يصح رفعه، وإنما ينبغي له أن يقف مع السبب الأوّل وهو الذي خلق هذه الأسباب ونصبها، ومن لا علم له بما أشرنا إليه لا يعلم كيف يسلك الطريق إلى معرفة ربه بالأدب الإلهي، فإن رافع الأسباب سيىء الأدب مع الله، ومن عزل من ولاه الله فقد أساء الأدب وكذب في عزل ذلك الوالي، فانظر ما أجهل من كفر بالأسباب وقال بتركها، ومن ترك ما قرّره الحق فهو منازع لا عبد وجاهل لا عالم، وإني أعظك يا وليّ أن تكون من الجاهلين الغافلين، وأراك في الحين تكذب نفسك في ترك الأسباب، فإني أراك في وقت حديثك معي في ترك الأسباب ورميها وعدم الالتفات إليها والقول بترك استعمالها يأخذك العطش فتترك كلامي وتجري إلى الماء فتشرب منه لتدفع بذلك ألم العطش، وكذلك إذا جعت تناولت الخبز فأكلت وغايتك أن لا تتناوله بيدك حتى يجعل في فمك فإذا حصل في فمك مضغته وابتلعته فما أسرع ما أكذبت نفسك بين يدي، وكذلك إذا أردت أن تنظر أفتقرب إلى فتح عينك فهل فتحتها إلا بسبب؟ وإذا أردت زيارة صديق لك سعيت إليه والسعي سبب في وصولك إليه فكيف تنفي الأسباب بالأسباب؟ أترضى لنفسك بهذه الجهالة؟ فالأديب الإلهيّ العالم من أثبت ما أثبته الله في الموضع الذي أثبته الله، وعلى الوجه الذي أثبته الله، ومن نفى ما نفاه الله في الموضع الذي نفاه الله وعلى الوجه الذي نفاه الله ثم تكذب نفسك إن كنت صالحاً في عبادتك ربك أليست عبادتك سبباً في سعادتك وأنت تقول بترك الأسباب فلم لا تقطع العمل؟ فما رأيت أحداً من رسول ولا نبيّ ولا وليّ ولا مؤمن ولا كافر ولا شقيّ ولا سعيد خرج قط عن رق الأسباب مطلقاً أدناها التنفس، فيا تارك السبب لاتتنفس فإن التنفس سبب حياتك، فأمسك نفسك حتى تموت فتكون قاتل نفسك فتحرم عليك الجنة، وإذا فعلت هذا فأنت تحت حكم السبب، فإن ترك التنفس سبب لموتك

وموتك على هذه الصورة سبب في شقائك فما برحت من السبب، فما أظنك عاقلاً إن كنت تزعم أن ترفع ما نصبه الله وأقامه علماً مشهوداً ودع عنك ما تسمع من كلام أهل الله تعالى فإنهم لم يريدوا بذلك ما توهمته بل جهلت ما أرادوه بقطع الأسباب كما جهلت ما أراده الحق بوضع الأسباب، وقد ألقيت بك على مدرجة الحق وأبنت لك الطريقة التي وضعها الله لعباده وأمرهم بالمشي عليها فاسلك وعلى الله قصد السبيل، ولو شاء لهداكم أجمعين.

وبعد هذا فاعلم أن العبد تارة يقيمه الحق في معصيته وتارة يقيمه في طاعته، فأنا أبين لك من أين وقع للعبد هذا القبول للأمرين، ونبين لك رتبة الإنسان من العالم، وأن الإنسان له أمثال من جنسه، والعالم بجملته ليس له مثل، وما يتعلق بهذه المسألة من الحقائق والأسرار بعد أن نجمع معاني ما أريد تفصيلها في نظم يكون لك كالأم الجامعة المختصرة الضابطة لرؤوس المسائل حتى إذا أردت أن تبسطها لغيرك نبهك هذا النظم على عيونها فقلنا في ذلك نكني عن العبد: [البسيط]

إذا عَصَى اللّهَ قد وَفَّى حقيقتَه وإن أطاعَ فقد وَفَّى طَرِيقَتَهُ
لولا القَبُولُ لما كان الوُجُودُ له والخَلْقُ يطلب بالمعنى خَليقَتَهُ
إنَّ المُحَالَ دليلٌ إن نظرتَ فلا تَعْدِلْ به حجةً فاعْلَمْ حقيقتَهُ
لا يقبل الكَوْن والإمكان يقبله فكلّ أمر فقد وَفَّى سَلِيقَتَهُ
لذاك فُزنا من الأعلى بصُورَتِهِ عنايةً منه أعطاها خَلِيقَتَهُ
لو كان للكَوْنِ مِثْلٌ عَقَّ تَكْرِمَةً له ليُطْعِمَهُ جُوداً عَقِيقَتَهُ
لكنّه مُفْرَدٌ والحقُّ ليس له عَيْنُ التَّغَذّي فما أعْطاهُ صُورتَهُ

اعلم وفقك الله أيها الوليّ الحميم أن العالم لما كان ممكناً ولم يكن محالاً قبل حاله الوجود والمحال لا يقبل الوجود فخالفت حقيقته الممكن بقبولها للوجود حقيقة المحال الذي لا يقبله، ولما أوجد الله العالم إنساناً كبيراً وجعل آدم وبنيه مختصر هذا العالم، ولهذا أعطاه الأسماء كلها أي كل الأسماء المتوجهة على إيجاد العالم وهي الأسماء الإلهية التي يطلبها العالم بذاته إذ كان وجوده عنها فقال ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلَى صُورَتِهِ**» إذ كانت الأسماء له وعنها وجد العالم، فالعالم بجملته إنسان كبير، ولما كرمه الله بالصورة طلب العالم والأمثال الشكر من الإنسان على ذلك، فكانت العقيقة التي جعل الله على كل إنسان شكراً لما خصه به من الوجود على هذه الحالة وجعلها في سابعه، إذ كان على حالة لا تقبل التغذي منها لئلا يكون قد سعى لنفسه فأكلها الأمثال وكل إنسان مرهون بعقيقته، وينبغي له إذا عق عن نفسه في كبره، أن لا يأكل منها شيئاً ويطعمها الناس ولذلك لم يعق العالم بجملته عن نفسه وإنْ كان على الصورة لأنه ما ثم من يأكل عقيقته فإنه ما ثم إلا الله، والعالم والمعقّ عنه لا يأكل منها والحق يتنزه عن الغذاء والأكل، وليست هذه المنزلة إلا لله فكانت عقيقة العالم تعود عبثاً فجعل سبحانه بدلاً من هذا الشكر الذي هو العقيقة التسبيح بحمده شكراً على ما أولاه من وجوده على صورته فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

فبعنايته الأزلية بنا أعطانا الوجود على الصورة ولم يعطنا السورة التي هي منزلته، فإن منزلته الربوبية ومنزلتنا المربوبية، ولذلك قلنا إن العالم لا يعق عن نفسه بنسك فإنه لا يأكله والحق لا يكون له ذلك ولا ينبغي له، فكانت عقيقته التسبيح بحمده لأن التسبيح ينبغي له، ولما كانت طبيعة الممكن قبلت الوجود فظهر في عينه بعد أن لم يكن سماه خلقاً مشتقاً من الخليقة وهي طبيعة الأمر وحقيقته أي مطبوعاً على الصورة وهي خليقته ولما أوجده الله على صورته وأوجده لعبادته، فكان ما أوجده عليه خلاف ما أوجده له فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] وهو ما أشرنا إليه في العقيقة أنه سبحانه لا ينبغي له أن يطعم، فاشترك الجن مع الإنس فيما وجد له لا فيما وجد عليه.

ولما كانت صورة الحق تعطي أن لا تكون مأمورة ولا منهية لعزتها سرت هذه العزة في الإنسان طبعاً فعصى ظاهراً وباطناً من حيث صورته لأنه على صورة من لا يقبل الأمر والنهي والجبر، ألا ترى إبليس لما لم يكن على الصورة لم يعص باطناً فيقول للإنسان اكفر فإذا كفر يقول إبليس: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] وما استكبر إلا ظاهراً على آدم فقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢] والنار أقرب في الإضاءة النورية إلى النور، والنور اسم من أسماء الله والطين ظلمة محضة فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] أي أقرب إليك من هذا الذي خلقته من طين، وجهل إبليس ما فطر الله آدم عليه في أن تولى خلقه بيديه كمالاً للصورة الإلهية التي خلق عليها، ولم يكن عند إبليس ولا الملائكة من ذلك ذوق، فاعترض الكل الملائكة بما قالت وإبليس بما قال، فمعصية الإنسان بما خلق عليه وطاعته بما خلق له قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي يتذللوا لعزتي ويعرفوا منزلتي من منزلتهم، فطريقة الإنسان العبادة فإنه عبد والعبد مقيد بسيده كما أن السيد مقيد بوجه بعبده فإنه المسود و﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] فلم يلحق الممكن بدرجة المحال فزها عليه بقبوله الوجود الذي هو صفة إلهية ولم يلحق بدرجة الوجود المطلق لأن وجوده مستفاد مقيد، فإذا نظر إلى المحال ودرجته وما حصل له من ربه من الوجود ونظر في نفسه قبوله وامتيازه من المحال أدركه الكبرياء فعصى وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وادّعى الألوهة وما ادّعاها أحد من الجن. وإذا نظر إلى افتقاره إلى واجب الوجود واستفادته الوجود منه ومنته به عليه وجب الشكر عليه فذل وأطاع ربه، فطاعته من وجه ما خلق له ومعصيته من وجه ما خلق عليه، وشهوده المحال الذي ليس له هذه المرتبة، فلو لم يكن المحال رتبة ثالثة ما وجد الممكن على من يزهو، فإن الشيء لا يزهو على نفسه، والمفتقر لا يزهو على المفتقر إليه فلم يكن يتصوّر أن تقع معصية من الممكن، فانظر ما أعجب ما تعطيه الحقائق من الآثار، والحمد لله على أن علمنا ما لم نكن نعلم، وفهمنا ما لم نكن نفهم، وكان فضل الله علينا عظيماً. وهذا القدر كاف في هذا الباب.

ويحتوي هذا المنزل على علم الدعاء، وعلم النبوّة وعلم خطاب الكل في عين الواحد، وعلم الزمان وعلم التقوى، وعلم التعدي، وعلم البرهان وتركيبه، وعلم مكارم

الأخلاق، وعلم منزلة نفس الإنسان عند الله من غيره، وعلم العجز وعلم الإيمان، وعلم الأنفاس وعلم التوكل، وعلم الغيب، وعلم الميزان، وعلم التقديس، وعلم حضرة الشكوك، وعلم من تقدّس بعد الخبث، وعلم التكوين، وعلم التعليم، وعلم الحياة الآخرة، وعلم الإجارة من غيره، وعلم الرحمة، وعلم الشدة، وعلم الربح والخسران، وعلم مدارك العقول، وعلم نهاية االمطلب، وعلم الأمر الإلهي، وعلم العالم، وعلم الاقتدار الإلهيّ، وعلم الإحاطة، وهل ينتهي علم الله في العالم أم لا؟ وما رأيت قائلاً به إلا شخصاً واحداً بمكة كان يرى هذا الرأي وهو مذهب معروف، لكني ما كنت رأيت قائلاً به فإنه ما من مذهب إلا وقد رأيت قائلاً به، فالله يسلك بنا سواء السبيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفي عشرين وثلاثمائة

في معرفة منزل تسبيح القبضتين وتمييزهما

[البسيط]

مَنْ عَامَلَ الحَقَّ بالإخلاص قد رَبِحَا ... وإن يَكُنْ فيه شِرْكٌ فَهْوَ قد سَمَحَا

العلمُ علمان موهوبٌ ومُكْتَسَبٌ ... وخَيْرُ علم يَنَالُ العبدُ ما مَنَحَا

كذاك مَغْلُومُ عِلْمِ الكَسْبِ ليس له ... في الوَزْنِ حَظٌّ لأنّ العبد ما كَدَحَا

يَغْتَمُّ قلبُك إن خَفَّتْ موازنُه ... كما يُسَرُّ إذا ميزانُه رَجَحَا

فاقْدَحْ زِنَادَكَ لا تكسلْ فليس لمن ... يسعى إلى الحقّ قَدْرٌ غيرُ ما قَدَحَا

الفكرُ في ذات من لا شيء يشبهُه ... جهلٌ فلا تلتفتْ للعقل إن جَنَحَا

وادخُلْ على باب تفريغ المَحَلِّ ترى ... عِلْمَ العَيَان إذا ما بابُه فُتِحَا

اعلم أن دار الأشقياء وملائكة العذاب وهم في تعظيم الله وتمجيده كما هم ملائكة النعيم في دار النعيم لا فرق كلهم عبد مطيع الواحد ينعم لله والآخر ينتقم لله، وكذلك القبضتان وهما العالمان: عالم السعادة وعالم الشقاوة ما منهم جارحة ولا فيهم جوهر فرد إلا وهو مسبح لله مقدس لجلاله غير عالم بما تصرفه فيه نفسه المدبرة له المكلفة التي كلفها الله تعالى عبادته والوقوف بهذه الجوارح وبعالم ظاهره عندما حدّ له، فلو علمت الجوارح ما تعلمه النفس من تعيين ما هو معصية وما هو طاعة ما وافقته على مخالفة أصلاً فإنها ما تعاين شيئاً من الموجودات إلا مسبحاً لله مقدّساً لجلاله، غير أنها قد أعطيت من الحفظ القوّة العظيمة فلا تصرفها النفس في أمر إلا وتحتفظ على ذلك الأمر وتعلمه، والنفس تعلم أن ذلك طاعة ومعصية، فإذا وقع الإنكار يوم القيامة عند السؤال من هذه النفس يقول الله لها: نبعث عليك شاهداً من نفسك فتقول في نفسها: من يشهد عليّ؟ فيسأل الله تعالى الجوارح عن تلك الأفعال التي صرفها فيها فيقول للعين: قولي فيما صرفك، فتقول له: يا رب نظر بي إلى أمر كذا وكذا، وتقول الأذن: أصغى بي إلى كذا وكذا، وتقول اليد: بطش بي في كذا وكذا، والرجل كذلك، والجلود كذلك، والألسنة كذلك، فيقول الله له: هل تنكر شيئاً من ذلك؟

فيحار ويقول: لا، والجوارح لا تعرف ما الطاعة، ولا المعصية فيقول الله: ألم أقل لك على لسان رسولي وفي كتبي: لا تنظر إلى كذا ولا تسمع كذا ولا تسع إلى كذا ولا تبطش بكذا، ويعين له جميع ما تعلق من التكليف بالحواس ثم يفعل كذلك في الباطن فيما حجر عليه من سوء الظن وغيره، فإذا عذبت النفس في دار الشقاء بما يمس الجوارح من النار وأنواع العذاب، فأما الجوارح فتستعذب جميع ما يطرأ عليها من أنواع العذاب ولذا سمي عذاباً لأنها تستعذبه كما يستعذب ذلك خزنة النار حيث ينتقم لله، وكذلك الجوارح حيث جعلها الله محلاً للانتقام من تلك النفس التي كانت تحكم عليها.

والآلام تختلف على النفس الناطقة بما تراه في ملكها وبما تنقله إليها الروح الحيوانيّ، فإن الحس ينقل للنفس الآلام في تلك الأفعال المؤلمة، والجوارح ما عندها إلا النعيم الدائم في جهنم مثل ما هي الخزنة عليه ممجدة مسبحة لله تعالى مستعذبة لما يقوم بها من الأفعال كما كانت في الدنيا، فيتخيل الإنسان أن العضو يتألم لإحساسه في نفسه بالألم وليس كذلك إنما هو المتألم بما تحمله الجارحة، ألا ترى المريض إذا نام لا شك أن النائم حيّ والحس عنده موجود والجرح الذي يتألم به في يقظته موجود ومع هذا لا يجد العضو ألماً لأن الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى البرزخ فما عنده خبر فارتفعت عنه الآلام الحسية وبقي في البرزخ على ما يكون عليه، إما في رؤيا مفزعة فيتألم، أو في رؤيا حسنة فيتنعم، فينتقل معه الألم أو النعيم حيث انتقل، فإذا استيقظ المريض وهو رجوع نفسه إلى عالم الشهادة قامت به الآلام والأوجاع، فقد تبين لك إن كنت عاقلاً من يحمل الألم منك ومن يحس به ممن لا يحمله ولا يحس به، ولو كانت الجوارح تتألم، لأنكرت كما تنكر النفس وما كانت تشهد عليه قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] فاسم كان هو النفس تسأل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده كما قرّرناه يقال له: ما فعلت برعيتك؟ ألا ترى الوالي الجائر إذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته به كيف تفرح الرعية بالانتقام من واليها؟ كذلك الجوارح يكشف لك يوم القيامة عن فرحها ونعيمها بما تراه في النفس التي كانت تدبرها في ولايتها عليه لأن حرمة الله عظيمة عند الجوارح. ألا ترى العصاة من المؤمنين كيف يميتهم الله في النار إماتة كما ينام المريض هنا فلا يحس بالألم عناية من الله بمن ليس من أهل النار حتى إذا عادوا حمماً أخرجوا من النار، فلو كانت الجوارح تتألم لوصفها الله بالألم في ذلك الوقت ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة فإن قلت: فما فائدة حرقها حتى تعود حمماً؟ قلنا: كل محل يعطي حقيقته فذلك المحل يعطي هذا الفعل في الصور، ألا ترى الإنسان إذا قعد في الشمس يسود وجهه وبدنه؟ والشقة إذا نشرت في الشمس وتتبعت بالماء كلما نشفت تبيض؟ فهل أعطى ذلك إلا المحل المخصوص والمزاج المخصوص فلم يكن المقصود العذاب ولو كان لم يمتهم الله فيها إماتة، فإن محل الحياة في النفوس يطلب النعيم أو الألم بحسب الأسباب المؤلمة والمنعمة، فالقوابل هي الموصوفة بما ذكرناه، وإذا

أحياهم الله تعالى وأخرجهم ونظروا إلى تغير ألوانهم وكونهم قد صاروا حمماً ساءهم ذلك فينعم الله عليهم بالصورة التي يستحسنونها فينشئهم عليها ليعلموا نعمة الله عليهم حين نقلهم مما يسوؤهم إلى ما يسرهم، فقد علمت يا أخي من يعذب منك ومن يتنعم وما أنت سواك، فلا تجعل رعيتك تشهد عليك فتبوء بالخسران وقد ولاك الله الملك وأعطاك اسماً من أسمائه فسماك ملكاً مطاعاً فلا تجر ولا تحف فإن ذلك ليس من صفة من ولاك، وأن الله يعاملك بأمر قد عامل به نفسه فأوجب على نفسه كما أوجب عليك، ودخل لك تحت العهد كما أدخلك تحت العهد، فما أمرك بشيء إلا وقد جعل على نفسه مثل ذلك هذا لتكون له الحجة البالغة، ووفى بكل ما أوجبه على نفسه وطلب منك الوفاء بما أوجبه عليك هذا كله إنما فعله حتى لا تقول: أنا عبد قد أوجب عليّ كذا وكذا ولم يتركني لنفسي بل أدخلني تحت العهد والوجوب، فيقول الله له: هل أدخلتك فيما لم أدخل فيه نفسي؟ ألم أوجب على نفسي كما أوجبت عليك؟ ألم أدخل نفسي تحت عهدك كما أدخلتك تحت عهدي وقلت لك: إن وفيت بعهدي وفيت بعهدك؟ قال تعالى قل يا محمد: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وهل يحكم الله إلا بالحق؟ ولكن جعل الحق نفسه في هذه الآية مأموراً لنبيّه عليه السلام، فإن لفظة احكم أمر وأمره سبحانه أن يقول له ذلك قال تعالى قل يا محمد: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ وأكثر من هذا النزول الإلهيّ إلى العباد ما يكون. فيا أيها العبد أليس هذا من كرمه؟ أليس هذا من لطفه؟ ألم يف سبحانه بكل ما أوجبه على نفسه؟ ألم يف بعهد كل من وفى له بعهده؟ ألم يصفح وعفا عن كثير مما لو شاء آخذ به عباده؟ أين أنت؟ أين نظرك من هذا الفضل العظيم من رب قاهر قادر لا يعارض ولا يغالب؟

واعلم أن سبب وصف القبضتين بالتسبيح كونهما مقبوضتين للحق تعالى فجعل القبضتين في يده فقال: «هؤلاء للنار ولا أبالي، وهؤلاء للجنة ولا أبالي»، فهم ما عرفوا إلا الله، فهم يسبحونه ويمجدونه لأنهم في قبضته ولا خروج لهم عن القبضة، ثم إن الله بكرمه لم يقل فهؤلاء للعذاب ولا أبالي وهؤلاء للنعيم ولا أبالي وإنما أضافهم إلى الدارين ليعمروهما وكذا ورد في الخبر الصحيح: «**إنَّ الله لَمَّا خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَالَ لِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لَهَا عَلَيَّ مَلْؤُهَا**» أي أملؤها سكاناً، إذ كان عمارة الدار بساكنها كما قال القائل: وعمارة الأوطان بالسكان، لأنها محل ولا تكون محلاً إلا بالحلول فيها، ولهذا يقول الله لجهنم: «هل امتلأت؟» فتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] فإذا وضع الجبار فيها قدمه قالت: قطني قطني، وفي رواية: «قط قط» أي قد امتلأت فقد ملأها بقدمه على ما شاءه سبحانه من علم ذلك فيخلق الله فيها خلقاً يعمرونها، قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] أي سابقة بأمر قد أعلمهم به قبل أن يعطيهم ذلك ثم أعطاهم فصدق فيما وعدهم به، وقد وعد النار بأن يملأها فكونه إذ يملأها بقدمه أي بسابقة قوله أنه سيملؤها فصدق لها في ذلك بأن خلق فيها خلقاً يعمرونها وأضاف القدم إلى الجبار لأن هذا الاسم للعظمة والنار موجودة من العظمة والجنة موجودة من الكرم، فلهذا اختص اسم الجبار بالقدم للنار وأضافه إليه فيستروح من هذا عموم

الرحمة في الدارين، وشمولها حيث ذكرهما ولم يتعرّض لذكر الآلام وقال بامتلائهما وما تعرض لشيء من ذلك، وهذا كله من سلطان قوله لعباده: إن رحمته سبقت غضبه، فالسابقة حاكمة أبداً، ويقال: لفلان في هذا الأمر سابقة قدم فتلك بشرى إن شاء الله، وأن السكنى لأهل النار في النار لا يخرجون منها كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [التغابن: ١٠] يعني في النار، و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [التغابن: ٩] يعني في الجنة، ولم يقل فيه فيريد العذاب. فلو قال عند ذكر العذاب خالدين فيه أشكل الأمر ولما أعاد الضمير على الدار لم يلزم العذاب.

فإن قال قائل: فكذلك لا يلزم النعيم كما لم يلزم العذاب قلنا: وكذلك كنا نقول، ولكن لما قال الله تعالى في نعيم الجنة أنه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي عطاء غير مقطوع، وقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣] لهذا قلنا بالخلود في النعيم والدار ولم يرد مثل هذا قط في عذاب النار فلهذا لم نقل به. فإن قلت: فقد قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ١٠١] قلنا: إنما ذلك في موطن من مواطن الآخرة والضمير يعود على الوزر لا على العذاب، فإذا أقيموا في حمل الأثقال التي هي الأوزار يحملونها كما قال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ﴾ [العنكبوت: ١٣] ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣] وهو زمان مخصوص فيقول ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [طه: ١٠١] أي في حمل الوزر من الموضع الذي يحملونه من خروجهم من قبورهم إلى أن يصلوا به إلى النار فيدخلونها، فهم خالدون فيه في تلك المدة لا يفتر عنهم ولا يأخذه من على ظهورهم غيرهم قال تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ [طه: ١٠٠، ١٠١] فأعاد الضمير على الوزر وجعله ليوم القيامة هذ الحمل، ويوم القيامة مدته من خروج الناس من قبورهم إلى أن ينزلوا منازلهم من الجنة والنار وينقضي ذلك اليوم فينقضي بانقضائه جميع ما كان فيه ومما كان فيه الخلود في حمل الأوزار، فلما انقضى اليوم لم يبق للخلود ظرف يكون فيه، وانتقل الحكم إلى النار والجنان والعذاب والنعيم المختص بهما، وما ورد في العذاب شيء يدل على الخلود فيه كما ورد في الخلود في النار ولكن العذاب لا بد منه في النار، وقد غيب عنا الأجل في ذلك وما نحن منه من جهة النصوص على يقين، إلا أن الظواهر تعطي الأجل في ذلك ولكن كميته مجهولة لم يرد بها نص، وأهل الكشف كلهم مع الظواهر على السواء فهم قاطعون من حيث كشفهم فيسلم لهم إذ لا نص يعارضهم، ونبقى نحن مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وأي شيء أراد فهو ذلك، ولا يلزم أهل الإيمان أكثر من ذلك إلا أن يأتي نص بالتعيين متواتر يفيد العلم فحينئذ يقطع المؤمن وإلا فلا، فسبحان المسبح بكل لسان والمدلول عليه بكل برهان.

وهذا المنزل يتضمن علوماً جمة منها علم التنزيه الذي يليق بكل عالم فإن التنزيه يختلف باختلاف العوالم وإن كل عالم ينزه الحق على قدر علمه بنفسه فينزهه من كل ما هو عليه، إذ كان كل ما هو عليه محدث فينزه الحق عن قيام الحوادث به أعني الحوادث المختصة به، ولهذا يختلف تنزيه الحق باختلاف المنزهين، فيقول العرض مثلاً سبحان من لا يفتقر في

وجوده إلى محل يكون ظهوره به، ويقول الجوهر: سبحان من لا يفتقر في وجوده إلى موجد يوجده، ويقول الجسم: سبحان من لا يفتقر في وجوده إلى أداة تمسكه، فهذا حصر التنزيه من حيث الأمهات لأنه ما ثم إلا جوهر أو جسم أو عرض لا غير، ثم كل صنف يختص بأمور لا تكون لغيره فسبح الله من تلك الصفات ومن ذلك المقام، والإنسان الكامل يسبح الله بجميع تسبيحات العالم لأنه نسخة منه إذ كشف له عن ذلك.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم تمييز الأشياء ويتضمن علم الحق المخلوق به الذي يشير إليه عبد السلام أبو الحكم بن برجان في كلامه كثيراً، وكذلك الإمام سهل بن عبد الله التستري، ولكن يسميه سهل بالعدل، ويسميه أبو الحكم الحق المخلوق به أخذه من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] وله فيه كلام كبير شاف ويتضمن علم الصورة وهل هي عرض أو جوهر؟ فإن الناس اختلفوا في ذلك، وفيه علم الرجعة، وفيه علم العلم أي بماذا يعلم العلم، وفيه علم الغيب والشهادة، وفيه علم الورود والصدور، وفيه علم الاعتبار وما حده، وفيه علم الأذواق وهي أول مبادىء التجلي، وفيه علم العلل ومراتبها ومن يجوز أن يوصف بها ممن لا يجوز، وفيه علم تجلي الزعامة وهل مدلولها العلم أم لا؟ وقوله عليه السلام: «**الزَّعِيمُ غَارِمٌ**» وزعيم القوم ما رتبته ولم سمي زعيماً؟ وفيه علم الإيمان، وفيه علم النور دون غيره ولكن النور المنزل لا غير، وفيه علم الخبرة والمخابرة، وفيه علم المتاجر المربحة وأزمنتها والخسران، وفيه علم الوعد والوعيد، وفيه علم الإذن الإلهيّ وفيما ذا يكون؟ وهل هو عام أو خاص؟ والفرق بين الأمر والإذن وهل يعصي في الإذن كما يعصي في الأمر أم لا؟ وفيه وصف العلم بالإحاطة، وفيه علم التوحيد لماذا يرجع، وفيه علم التوكل، وفيه علم مراتب الخلق في الولاية والعداوة، وفيه علم الإنذار والتحذير ومن يحذر منه وما يحذر منه، وفيه علم الفرق بين الاستطاعة والحق، وفيه علم شرف صفة الكرم، وفيه علم سبب الطلب الإلهيّ من العباد، وفيه علم نتائج الشكر، وفيه علم الفرق بين الحلم والعفو، وفيه علم ترتيب الأشياء، وفيه علم الحجاب الإلهيّ الأحمى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل من فرق بين عالم الشهادة وعالم الغيب وهو من الحضرة المحمدية

[البسيط]

لِلْعَقْلِ نُورٌ ولِلإيمانِ أنوارُ ... إنّ البصائرَ للأبصارِ أبْصارُ
العينُ والسمعُ والإحساسُ أجمعُه ... للعقلِ في الكَسْبِ أعوانٌ وأنصارُ
بالعين تُبْصِرُ علمَ الغيب لا بحِجًى ... لا يحْجُبَنَّكَ أوهامٌ وأفكارُ
من لم يحصِّلْ علومَ الغيب عن بَصَرٍ ... فإنها خَلْفَ سَتْرِ الصَّوْنِ أبْكارُ
قالوا اعْتَبِرْ إنّ في الأكوان معرفة ... الدَّارُ تَجْهَلُ رَبَّ الدار يا دَارُ

اعلم أيها الوليّ الحميم أن الوجود مقسم بين عابد ومعبود، فالعابد كل ما سوى الله

تعالى وهو العالم المعبر عنه والمسمى عبداً، والمعبود هو المسمى الله وما في الوجود إلا ما ذكرناه، فكل ما سوى الله عبد لله مما خلق ويخلق، وفيما ذكرناه أسرار عظيمة تتعلق بباب المعرفة بالله وتوحيده وبمعرفة العالم ورتبته، وبين العلماء، في هذه المسألة من الخلاف ما لا يرتفع أبداً ولا يتحقق فيه قدم يثبت عليه، ولهذا قدر الله السعادة لعباده بالإيمان وفي العلم بتوحيد الله خاصة، ما ثم طريق إلى السعادة إلا هذان، فالإيمان متعلقه الخبر الذي جاءت به الرسل من عند الله وهو تقليد محض نقبله سواء علمناه أو لم نعلمه، والعلم ما أعطاه النظر العقليّ أو الكشف الإلهيّ وإن لم يكن هذا العلم يحصل ضرورة حتى لا تقدح فيه الشبه عند العالم به وإلا فليس بعلم.

ثم نقول: والعالم عالمان ما ثم ثالث: عالم يدركه الحس وهو المعبر عنه بالشهادة، وعالم لا يدركه الحس وهو المعبر عنه بعالم الغيب، فإن كان مغيباً في وقت وظهر في وقت للحس فلا يسمى ذلك غيباً، وإنما الغيب ما لا يمكن أن يدركه الحس لكن يعلم بالعقل إما بالدليل القاطع وإما بالخبر الصادق وهو إدراك الإيمان، فالشهادة مدركها الحس وهو طريق إلى العلم ما هو عين العلم، وذلك يختص بكل ما سوى الله ممن له إدراك حسيّ والغيب مدركه العلم عينه وفيما ذكرناه تاهت العقول وحارت الألباب.

ثم إن الإنسان إذا دخل هذه الطريقة التي نحن عليها وأراد أن يتميز في علمائها وساداتها فينبغي له أن لا يقيد نفسه إلا بالله وحده وهو التقييد الذاتي له الذي لا يصح له الانفكاك عنه جملة واحدة وهي عبودية لا تقبل الحرية بوجه من الوجوه وملك لا يقبل الزوال، وإذا لم يقيد الإنسان نفسه إلا بما هو مقيد به في ذاته وهو كما قلنا تقييده بالله الذي ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠] فينبغي له إذ كانت له هذه المرتبة ولا بد أن لا يقف بنفسه إلا في البرزخ وهو المقام المتوهم الذي لا وجود له إلا في الوهم بين عالم الشهادة والغيب بحيث أن لا يخرج شيء من الغيب المغيب الذي يتصف في وقت بالشهادة لا بالغيب الذي لا يستحيل عليه أن يكون شهادة بوجه من الوجوه إلا وهذا الواقف يعلمه، فإذا برز إلى عالم الشهادة وأدركه فلا يخلو إما أن يبقى في عالم الشهادة أو لا يبقى كالأعراض، فإن لم يبق فلا بد أن يفارق الشهادة، وإذا فارق الشهادة فإنه يدخل إلى الغيب الذي لا يمكن أن يدرك أبداً شهادة، ولا يكون له رجوع بعد ظهوره إلى الغيب الذي خرج منه لأن مقام الغيب الذي خرج منه هو الغيب الإمكانيّ، والذي انتقل إليه بعد حصوله في الشهادة الغيب المحاليّ، فذلك الغيب المحاليّ لا يظهر عنه أبداً شيء يتصف بالشهادة، ولما لم يكن هذا الذي انتقل إليه يتصف بالشهادة وقتاً ما أو حالاً ما لذلك دخل في ذلك الغيب ولم يرجع إلى الغيب الذي خرج منه، وإذا وقف الإنسان في هذا المقام وتحقق به أخذه الحق وأوقفه بينه وبين كل ما سواه من نفسه ومن غيره أعني من نفس العبد، فيرى نفسه وعينه وهو خارج عنها في ذلك المقام الذي أوقفه ويراها مع من سواه من العالم وهو عينه، كما رأى آدم نفسه وذريته في قبضة الحق وهو خارج عن قبضة الحق التي رأى نفسه فيها في حال رؤيته نفسه خارجاً عنها كما ورد في الخبر

الإلهيّ، فإذا وقف في هذا المقام وهو أرفع مقامات الكشف وكل مقام فهو دونه؛ وهذا كان مقام الصديق رضي الله عنه الذي فضل به على من شهد له رسول الله ﷺ أنه فضل عليه إما من الحاضرين أو من الأمة لا يدرى أي ذلك أراد ﷺ إلا من جاءه الخبر الصدق في كشفه لا غير. فإذا وقف في هذا المقام استشرف على الغيبين: الغيب الذي يوجد منه الكائنات، والغيب الذي ينتقل إليه بعض الكائنات بعد اتصافها بالشهادة، وهذه مسألة جليلة القدر لا يعلمها كثير من الناس، أعني هذه الأمور التي خرجت من الغيب إلى الشهادة ثم انتقلت إلى الغيب وهي الأعراض الكونية هل هي أمور وجودية عينية أو هي أحوال لا تتصف بالعدم ولا بالوجود ولكن تعقل فهي نسب وهي من الأسرار التي حار الخلق فيها فإنها ليست هي الله ولا لها وجود عينيّ فتكون من العالم أو تكون مما سوى الله، فهي حقائق معقولة إذا نسبتها إلى الله عز وجل قبلها ولم تستحل عليه، وإذا نسبتها إلى العالم قبلها ولم تستحل عليه.

ثم إنها تنقسم إلى قسمين في حق الله: فمنها ما تستحيل نسبته إلى الله فلا تنسب إليه، ومنها ما لا تستحيل عليه فالذي لا يستحيل على الله يقبله العالم كله إلا نسبة الإطلاق فإن العالم لا يقبله ونسبة التقييد ويقبله العالم ولا يقبله الله، وهذه الحقائق المعقولة لها الإطلاق الذي لا يكون لسواها فيقبلها الحق والعالم وليست من الحق ولا من العالم ولا هي موجودة ولا يمكن أن ينكر العقل العالم بها، فمن هنا وقعت الحيرة وعظم الخطب وافترق الناس وحارت الحيرات فلا يعلم ذلك إلا الله ومن أطلعه الله على ذلك وذلك هو الغيب الصحيح الذي لا يوجد منه شيء فيكون شهادة ولا ينتقل إليه بعد الشهادة وما هو محال فيكون عدماً محضاً، ولا هو واجب الوجود فيكون وجوداً محضاً، ولا هو ممكن يستوي طرفاه بين الوجود والعدم وما هو غير معلوم بل هو معقول معلوم، فلا يعرف له حدّ ولا هو عابد ولا معبود، وكان إطلاق الغيب عليه أولى من إطلاق الشهادة لكونه لا عين له يجوز أن تشهد وقتاً ما، فهذا هو الغيب الذي انفرد الحق به سبحانه حيث قال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣] وما قرنه بالشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً، والغيب الذي قرنه بالشهادة هو الذي يقابل الشهادة، فوصف الحق نفسه بعلم المتقابلين فقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] هذا هو المراد هنا وإن اشترك هذا مع الغيب في الاسمية.

فإن قلت: فما فائدة الاستثناء في قوله: «إلا من ارتضى من رسول»؟ قلنا: تدبر ما هو الغيب الذي أطلع عليه الرسل وبماذا ربطه فتعلم أن ذلك علم التكليف الذي غاب عنه العباد، ولهذا جعل له الملائكة رصداً حذراً من الشياطين أن تلقي إليه ما ينقله إلى الخلق ويعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله طريقاً إلى سعادة العباد من أمر ونهي ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]، فكأنه مستثنى منقطع أي انقطع هذا الغيب من ذلك الغيب انقطاعاً حقيقياً لا انقطاع جزء من كل لما وقع الاشتراك في لفظة الغيب، لذلك قلنا مستثنى، ولما خالفه في الحقيقة قلنا منقطع بخلاف المستثنى المتصل فإنه أيضاً منقطع ولكن بالحال لا بالذات تقول في المتصل: ما في الدار إنسان إلا زيداً فهذا المستثنى متصل لأنه إنسان قد فارق

غيره من الأناسي بحالة كونه في الدار لا بحقيقته إذ لم يكن في الدار إنسان إلا هو فالانقطاع في الحال لا غير فإذا قلت: ما في الدار إنسان إلا حماراً فهذا منقطع بالحقيقة والحال، فكذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسل بالرصد من الملائكة من أجل المردة من الشياطين هو الرسالة التي يبلغونها عن الله ولهذا قال: ﴿رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨] فأضاف الرسالة إلى قوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾ لما علموا أن الشياطين لم تلق إليهم أعني إلى الرسل شيئاً فتيقنوا أن تلك رسالة من الله لا من غيره، وهل هذا القدر الذي عبر عنه في هذه السورة المعينة في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] هل ذلك الإعلام لهذا الرسول بوساطة الملك أو لم يكن في هذا الوحي الخاص ملك وهو الأظهر والأوجه والأولى؟ وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله ﷺ كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلاً إلى هذا الرسول حتى يظهر الله له في إعلامه ذلك من الوحي ما شاء، ولكن من علم التكليف الذي غاب عنه وعن العباد علمه خلافاً لمخالفي أهل الحق في ذلك، إذ يرون أن العبد يعلم بعض القربات إلى الله بعقله لا كلها، وهذا القول لا يصح منه شيء فلا يعلم القربة إلى الله التي تعطي سعادة الأبد للعبد إلا من يعلم ما في نفس الحق، ولا يعلم ذلك أحد من خلق الله إلا بإعلام الله كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فليس في كتابنا هذا ولا في غيره أصعب من تصوّر هذه المسألة على كل طائفة.

واعلم أن العبد إذا أوقفه الحق تعالى كما قلنا بين الله وبين كل ما سواه وهذه بينية إله وعبد لا بينية حد فإن الله يتعالى جده أن يعلم حده، فإذا وقف العبد في هذا المقام علم أنه معتنى به حيث شغله الله تعالى بمطالعة الانفعالات عنه وإيجاد الأعيان من قدرته تعالى واتصافها بالوجود في حضرة إمكانها ما أخرجها منها ولا حال بينها وبين موطنها لكنه كساها خلعة الوجود فاتصفت به بعد أن كانت موصوفة بالعدم مع ثبوت العين في الحالين، وبقي الكلام في ذلك الوجود الذي كساه الحق لهذا الممكن ولم يخرجه عن موطنه ما هو ذلك الوجود هل كان معدوماً ووجد؟ فالوجود لا يكون عدماً ولا موجوداً، وإن كان معدوماً فما حضرته إن كانت الإمكان، فلا فرق بينه وبين هذه العين التي خلع عليها الوجود، فإن الوجود من حيث ما هو معدوم في هذه الحضرة محتاج إلى وجود وهذا يتسلسل ويؤدي إلى محال، وهو أن لا توجد هذه العين وقد وجدت، وما خرجت هذه العين عن حضرة الإمكان فكيف الأمر؟ فاعلم أن الوجود لهذه العين كالصورة التي في المرآة ما هي عين الرائي ولا غير عين الرائي ولكن المحل المرئي فيه به وبالناظر المنجلي فيه ظهرت هذه الصورة فهي مرآة من حيث ذاتها والناظر ناظر من حيث ذاته، والصورة الظاهرة تتنوّع بتنوّع العين الظاهرة فيها، كالمرآة إذا كانت تؤخذ طولاً ترى الصورة على طولها، والناظر في نفسه على غير تلك الصورة من وجه وعلى صورته من وجه، فلما رأينا المرآة لها حكم في الصورة بذاتها ورأينا الناظر يخالف تلك الصورة من وجه علمنا أن الناظر في ذاته ما أثرت فيه ذات المرآة، ولما لم يتأثر، ولم تكن تلك

الصورة هي عين المرآة ولا عين الناظر، وإنما ظهرت من حكم التجلي للمرآة علمنا الفرق بين الناظر وبين المرآة وبين الصورة الظاهرة في المرآة التي هي غيب فيها، ولهذا إذا رؤي الناظر يبعد عن المرآة يرى تلك الصورة تبعد في باطن المرآة، وإذا قرب قربت، وإذا كانت في سطحها على الاعتدال ورفع الناظر يده اليمنى رفعت الصورة اليد اليسرى تعرّفه أني وإن كنت من تجليك وعلى صورتك فما أنت أنا ولا أنا أنت، فإن عقلت ما نبهناك عليه فقد علمت من أين اتصف العبد بالوجود، ومن هو الموجود؟ ومن أين اتصف بالعدم؟ ومن هو المعدوم؟ ومن خاطب؟ ومن سمع؟ ومن عمل؟ ومن كلف؟ وعلمت من أنت ومن ربك وأين منزلتك وأنك المفتقر إليه سبحانه وهو الغني عنك بذاته ؛قال بعض الرجال: ما في الجنة إلا الله وأراد هذا المقام يريد أنه ما في الوجود إلا الله كما لو قلت: ما في المرآة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرآة شيء أصلاً، ولا في الناظر من المرآة شيء مع إدراك التنوّع والتأثر في عين الصورة من المرآة، وكون الناظر على ما هو عليه لم يتأثر، فسبحان من ضرب الأمثال وأبرز الأعيان دلالة عليه أنه لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً وليس في الوجود إلا هو، ولا يستفاد الوجود إلا منه. ولا يظهر لموجود عين إلا بتجليه، فالمرآة حضرة الإمكان والحق الناظر فيها، والصورة أنت بحسب إمكانيتك، فإما ملك، وإما فلك، وإمّا إنسان، وإما فرس مثل الصورة في المرآة بحسب ذات المرآة من الهيئة في الطول والعرض والاستدارة واختلاف أشكالها مع كونها مرآة في كل حال، كذلك الممكنات مثل الأشكال في الإمكان، والتجلي الإلهي يكسب الممكنات الوجود، والمرآة تكسبها الأشكال، فيظهر الملك والجوهر والجسم والعرض والإمكان هو هو لا يخرج عن حقيقته.

وأوضح من هذا البيان في هذه المسألة لا يمكن إلا بالتصريح، فقل في العالم ما تشاء وانسبه إلى من تشاء بعد وقوفك على هذه الحقيقة كشفاً وعلماً، فإن وقفت عن إطلاق أمر تعطيك الحقيقة إطلاقه فما تتوقف إلا شرعاً أدباً مع الله الذي له التحجير عليك فاعتمد على الأدب الإلهي وتقرب إلى الله بما أمرك أن تتقرب إليه به حتى يكشف لك عنك فتعرف نفسك فتعرف ربك، وتعرف من أنت ومن هو، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وفي هذا المنزل: علم الوجهين، وعلم الحضرة التي يكون فيها عين الصدق من عين الكذب، وعلم ما يستتر به العبد مما يكون فيه شقاؤه، وعلم اختلاف الأحوال، وعلم الختم، وعلم العدد وخواصه، وعلم التشبيه، وعلم الإنسان من حيث طبيعته لا غير، وعلم السوابق واللواحق، وعلم الأرزاق والخزائن، وعلم الحجب المانعة، وعلم التمليك، وعلم الجود المتوجه، وعلم إنفاق الوكيل من مال موكله وتصرفه فيه تصرف المالك مع كون المال ليس له، وعلم التمني، وعلم القضاء. والحمد لله رب العالمين، وأقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل من باع الحق بالخلق وهو من الحضرة المحمدية

[الكامل]

جَمْعُ الأنَامِ عَلَى إمَامٍ وَاحِدِ   عَيْنُ الدليلِ على الإلٰه الوَاحِدِ
فإذا ادَّعى غَيْرُ الإلٰهِ مَقَامَهُ   ذاك الدليلُ على الخيالِ الفاسدِ
هَيْهَاتَ أين الواحدُ العَلَمُ الذي   لا يَقْبَلُ النَّسَبَ التي في الشَّاهِدِ
لا يقبلُ العقلُ الصحيحُ من الذي   تعطي الشريعة من وجود الزائدِ
إلا الذي للفِكْرِ فيه مَدَاخِلٌ   والوَاقِفيُّ مماثِلٌ للجَاحِدِ
لا تَعْبُدُ الأقوامُ غَيْرَ عُقُولِهِم   والناسُ بين مُسَلِّمٍ ومُعَانِدِ

قال الله عز وجل: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٢٢] وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقال رسول الله ﷺ: «**إذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُمَا**» وقال ﷺ: «**الخُلَفَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ**» والتقرش التقبض والاجتماع، ولما كانت هذه القبيلة جمعت قبائل سميت قريشاً أي مجموع قبائل ومنها حيوان بحري يقال له القرش رأيته وهو متقبض مجتمع، وكذلك الإمام إن لم يكن متصفاً بأخلاق من استخلفه جامعاً لها مما يحتاج إليه من استخلف عليهم وإلا فلا تصح خلافته فهو الواحد المجموع، فأحديته أحدية الجمع وله من الأيام يوم الجمعة وهو الاجتماع في المصر على إمام واحد، وله من الأحوال الصلاة لأنه لا يقيمها إلا إمام واحد في الجماعة ويكون أقرأهم أي أكثرهم جمعاً للقرآن، وله من مراتب العلوم علوم الأنوار وإن لم يعط علوم الأسرار فلا يبالي صاحب هذا المقام فإن الصلاة نور والنور يهتدى به، ولا بد للإمام من نور يكشف به ويمشي به في العالم الذي ولاه الله عليهم، وقد توفرت همم العالم في كل قرية أو بلدة أو جماعة أن يكون لهم رأس يرجعون إليه ويكونون تحت أمره، وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية ولو كانت السرية رجلين أمر أحدهما وهو مقام شريف له علم خاص من كان فيه ذلك العلم ينبغي أن يكون إماماً. ألا ترى لما طعنت الصحابة في إمارة أسامة بن زيد لما قدمه رسول الله ﷺ على الجيش فبرز خارج المدينة وأمره أن يطأ بجيشه ذلك أرض الروم وفي جملة الجيش أبو بكر وعمر فقال رسول الله ﷺ للطاعنين في إمارته: «**طَالَ واللهِ مَا طَعَنْتُمْ فِي إمَارَةِ أَبِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَمَا واللهِ إنَّهُ لَخَلِيقٌ بِهَا أَوْ جَدِيرٌ بِهَا**» وقد طعنت الملائكة في خلافة آدم عليه السلام وعليهم فأجابهم الله على ذلك كما أجاب رسول الله ﷺ في حق أسامة تخلقاً بأخلاق الله في ذلك، واتخاذ الإمام واجب شرعاً مع كونه موجوداً في فطرة العالم أعني طلب نصب الإمام.

فإن قلت: فما نص الشارع بالأمر على اتخاذ الإمام فمن أين يكون واجباً؟ قلنا: إن الله تعالى قد أمر بإقامة الدين بلا شك ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الأمان في أنفس الناس على

أنفسهم وأموالهم وأهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يكون أبداً ما لم يكن ثم من تخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم إليه ويجتمعون عليه، فإذا تفرغت قلوبهم من الخوف الذي كانوا يخافونه على أموالهم ونفوسهم وأهليهم تفرغوا إلى إقامة الدين الذي أوجب الله عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، فاتخاذ الإمام واجب، ويجب أن يكون واحداً لئلا يختلفا فيؤدي إلى امتناع وقوع المصلحة وإلى الفساد، فقد تبين لك ما المراد بتوحيد الله الذي أمرنا بالعلم به أنه توحيد الألوهية له سبحانه لا إله إلا هو قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ولم يقل فاعلم أنه لا تنقسم ذاته ولا أنه ليس بمركب ولا أنه مركب من شيء ولا أنه جسم ولا أنه ليس بجسم بل قال في صفته أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ولما لم يتعرض الحق سبحانه إلى تعريف عباده بما خاضوا فيه بعقولهم ولا أمرهم الله في كتابه بالنظر الفكري إلا ليستدلوا بذلك على أنه إله واحد أي أنها لا تدل إلا على الوحدانية في المرتبة ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] فزادوا في النظر وخرجوا عن المقصود الذي كلفوه فأثبتوا له صفات لم يثبتها لنفسه، ونفت عنه طائفة أخرى تلك الصفات ولم ينفها عن نفسه ولا نص عليها في كتابه ولا على ألسنة أنبيائه.

ثم اختلفوا في إطلاق الأسماء عليه، فمنهم من أطلق عليه ما لم يطلق على نفسه وإن كان اسم تنزيه ولكنه فضول من القائل به والخائض فيه ثم أخذوا يتكلمون في ذاته، وقد نهاهم الشرع عن التفكر في ذاته جل وتعالى وقد قال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي لا تتعرضوا للتفكر فيها فانضاف إلى فضولهم عصيان الشرع بالخوض فيما نهوا عنه، فمن قائل: هو جسم، ومن قائل: ليس بجسم، ومن قائل: هو جوهر، ومن قائل: ليس بجوهر، ومن قائل هو في جهة، ومن قائل: ليس في جهة، وما أمر الله أحداً من خلقه بالخوض في ذلك جملة واحدة لا النافي ولا المثبت، ولو سئلوا عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما عرفوها، ولو قيل لهذا الخائض كيف تدبير نفسك لبدنك وهل هي داخلة فيه أو خارجة عنه أو لا داخلة ولا خارجة وانظر بعقلك في ذلك، وهل هذا الزائد الذي يتحرّك به هذا الجسم الحيواني ويبصر ويسمع ويتخيل ويتفكر لماذا يرجع؟ هل لواحد أو لكثيرين؟ وهل يرجع إلى عرض أو إلى جوهر أو إلى جسم؟ وتطلبه بالأدلة العقلية على ذلك دون الشرعية ما وجد لذلك دليلاً عقلياً أبداً ولا عرف بالعقل أن للأرواح بقاء ووجوداً بعد الموت، وكل ما اتخذوه دليلاً في ذلك مدخول لا يقوم على ساق، فما من مأخذ فيه إلا وهو ممكن، والممكن لا يقوم دليل عقلي على وجوب وجوده ولا وجوب عدمه، إذ لو كان كذلك لا ستحالت حقيقة إمكانه فما لنا إلا ما نص عليه الشرع، فالعاقل يشغل نفسه بالنظر في الأوجب عليه لا يتعداه، فإن المدة يسيرة والأنفاس نفائس وما مضى منها لا يعود.

فاعلم أن الله إله واحد لا إله إلا هو مسمى بالأسماء التي يفهم منها. ومن معانيها أنها لا تنبغي إلا له ولمن تكون له هذه المرتبة ولا تتعرض يا وليّ للخوض في الماهية والكمية

والكيفية فإن ذلك يخرجك عن الخوض فيما كلفته، والزم طريقة الإيمان والعمل بما فرض الله عليك واذكر ربك ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] بالذكر الذي شرعه لك من تهليل وتسبيح وتحميد واتق الله، فإذا شاء الحق أن يعرفك بما شاءه من علمه فأحضر عقلك ولبك لقبول ما يعطيك ويهبك من العلم به فذلك هو النافع وهو النور الذي يحيى به قلبك وتمشي به في عالمك، وتأمن فيه من ظلم الشبه والشكوك التي تطرأ في العلوم التي تنتجها الأفكار، فإن النور هو النفور، فالنور منفر الظلم في المحل الذي يظهر فيه، فلو كان هذا العلم الذي أعطاه التفكر في الله نوراً كما يزعم ما طرأ على المحل ظلمة شبهة ولا ظلمة تشكيك أصلاً وقد طرأت، والظلمة ليس من شأنها أن تنفر النور ولا لها سلطان عليه، وإنما السلطان للنور المنفر الظلم، فدل ذلك على أن علوم المتكلمين في ذات الله والخائضين فيه ليست أنواراً، وهم يتخيلون قبل ورود الشبهة أنهم في نور وعلى بينة من ربهم في ذلك، فلا يبدو لهم نقصهم حتى ترد عليهم الشبهة، وما يدريك لعل تلك الشبهة التي يزعمون أنها شبهة هي الحق والعلم، فإنك تعلم قطعاً أن دليل الأشعري في إثبات المسألة التي ينفيها المعتزلي هو الحق وأنه شبهة عند المعتزلي، ودليل المعتزلي الذي ينفي به ما يثبته الأشعري شبهة عند الأشعري.

ثم إنه ما من مذهب إلا وله أئمة يقومون به وهم فيه مختلفون وإن اتصفوا جميعهم مثلاً بالأشاعرة، فيذهب أبو المعالي خلاف ما ذهب إليه القاضي، ويذهب القاضي إلى مذهب يخالف فيه الأستاذ، ويذهب الأستاذ إلى مذهب في مسألة يخالف فيه الشيخ والكل يدعي أنه أشعري، وكذلك المعتزلة، وكذلك الفلاسفة في مقالاتهم في الله وفيما ينبغي أن يعتقد، ولا يزالون مختلفين مع كون كل طائفة يجمعها مقام واحد واسم واحد، وهم مختلفون في أصول ذلك المذهب الذي جمعهم فإن الفروع لا تعتبر ورأينا المسمين رسلاً وأنبياء قديماً وحديثاً من آدم إلى محمد ومن بينهما عليهم الصلاة والسلام ما رأينا أحداً منهم قط اختلفوا في أصول معتقدهم في جناب الله، بل كل واحد منهم يصدق بعضهم بعضاً، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه طرأ عليه في معتقده وعلمه بربه شبهة قط فانفصل عنها بدليل ولو كان لنقل ودوّن ونطقت به الكتب كما نقل سائر ما تكلم فيه من ذلك ممن تكلم فيه ولا سيما والأنبياء تحكمت في العامة في أنفسها وأموالها وأهليها وحجرت وأباحت وأوجبت ولم يكن لغيرها هذه القوّة من التحكم، فكانت الدواعي تتوفر على نقل ما اختلفوا فيه في جانب الحق لأنهم ينتمون إليه ويقولون إنه أرسلهم وأتوا بالدلائل على ذلك من المعجزات، ولا نقل عن أحد منهم أنه طرأت عليه شبهة في علمه بربه ولا اختلف واحد منهم على الآخر في ذلك، وكذلك أهل الكشف المتقون من أتباع الرسل ما اختلفوا في الله أي في علمهم به ولا نقل عن أحد منهم ما يخالف به الآخر فيه من حيث كشفه وإخباره لا من حيث فكره فإن ذلك يدخل مع أهل الأفكار، فهذا مما يدلك على أن علومهم كانت أنواراً لم تتمكن لشبهة أن تتعرض إليهم جملة واحدة، فقد علمت أن النور إنما اختص بأهل النور وهم الأنبياء والرسل ومن سلك على ما شرعوه ولم يتعد حدود ما قرروه واتقوا الله ولزموا الأدب مع الله، فهم على نور من ربهم نور

على نور، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً يعني في نعت الحق وما يجب له، فإن الناظر بفكره في معتقده لا يبقى على حالة واحدة دائماً بل هو في كل وقت بحسب ما يعطيه دليله في زعمه في وقته فيخرج من أمر إلى نقيضه.

وقد دللتك يا أخي على طريق العلم النافع من أين يحصل لك، فإن سلكت على صراطه المستقيم فاعلم أن الله قد أخذ بيدك واعتنى بك واصطنعك لنفسه، فالله يحول بيننا وبين سلطان أفكارنا فيما لم نؤمر بالتفكر فيه، وقد بان لك بما ذكرناه أنه ما دخل عليهم ما دخل إلا من الفضول ولهذا وقع الخلاف ولعبت بهم الأفكار والأهواء ألا ترى الأمر الذي أباح لهم الشارع أن يطلبوا علمه ما اختلف فيه اثنان منهم، فلو طلب منهم غير ذلك مما اختلفوا فيه ما اختلفوا أيضاً فيه؟ فدل ذلك على أنه ما طلب الحق منهم ذلك. فإن قلت: فما هو الذي اتفقوا فيه؟ قلنا: اجتمعت الأدلة العقلية من كل طائفة بل من ضرورات العقول أن لهم موجداً أوجدهم يستندون إليه في وجودهم وهو غني عنهم ما اختلف في ذلك اثنان وهو الذي طلب الحق من عباده إثبات وجوده، فلو وقفوا هنا حتى يكون الحق هو الذي يعرفهم على لسان رسوله بما ينبغي أن يضاف إليه ويسمى به أفلحوا، وإنما الإنسان خلق عجولاً ورأى في نفسه قوّة فكرية فتصرف بها في غير محلها، فتكلم في الله بحسب ما أعطاه نظره، والأمزجة مختلفة، والقوّة المفكرة متولدة من المزاج، فيختلف نظرها باختلاف مزاجها، فيختلف إدراكها وحكمها فيما أدركته، فالله يرشدنا ويجعلنا ممن جعل الحق إمامه والتزم ما شرع له ومشى عليه إنه المليء بذلك لا رب غيره.

فاعلم يا وليّ أن الله ما بعث الرسل سدى، ولو استقلت العقول بأمور سعادتها ما احتاجت إلى الرسل وكان وجود الرسل عبثاً، ولكن لما كان من استندنا إليه لا يشبهنا ولا نشبهه ولو أشبهنا عيناً ما كان استنادنا إليه بأولى من استناده إلينا فعلمنا قطعاً علماً لا يدخله شبهة في هذا المقام أنه ليس مثلنا ولا تجمعنا حقيقة واحدة، فالبضرورة يجهل الإنسان مآله وإلى أين ينتقل؟ وما سبب سعادته إن سعد أو شقاوته إن شقي عند هذا الذي استند إليه لأنه يجهل علم الله فيه لا يعرف ما يريد به ولا لماذا خلقه تعالى، فافتقر بالضرورة إلى التعريف الإلهي بذلك، فلو شاء تعالى عرّف كل شخص بأسباب سعادته وأبان له عن الطريق التي ينبغي له أن يسلك عليها ولكن ما شاء إلا أن يبعث في كل أمة رسولاً من جنسها لا من غيرها قدمه عليها وأمرها باتباعه والدخول في طاعته ابتلاء منه لها لإقامة الحجة عليها لما سبق في علمه فيها، ثم أيده بالبينة والآية على صدقه في رسالته التي جاء بها ليقوم له الحجة عليها، وإنما قلنا من جنسها لأنه كذا وقع الأمر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] أي لو كان الرسول للبشر ملكاً لنزل في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك، فإن الحسد على المرتبة إنما يقع بين الجنس، وقال تعالى: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] ولنا في ذلك: [البسيط]

خَلِيفَةُ القَوْمِ مِنْ أبناءِ جِنْسِهِمُ ... لأنَّ ذلكَ أنْكَى في نُفُوسِهِمُ

لو لم يكنْ منهم لصدَّقوه ولم يَقُمْ بهم حَسَدٌ لغير جِنْسِهِمُ

قد علم الإنسان أن البهائم وجميع الحيوانات دونه في المرتبة، فلو تكلم حيوان ولو كان خنفساء ونطقت وقالت: أنا رسول من الله إليكم احذروا من كذا وافعلوا كذا لتوفرت الدواعي من العامة على اتباعها والتبرك بها وتعظيمها، وانقادت لها الملوك ولم يطلبوها بآية على صدقها وجعلوا نطقها نفس الآية على صدقها وإن كان الأمر ليس كذلك، وإنما لما نال المرتبة غير الجنس لم يقم بهم حسد لغير الجنس.

فأوّل ابتلاء ابتلى الله به خلقه بعث الرسل إليهم منهم لا من غيرهم، ومع الدلالات التي نصبها لهم على صدقهم واستيقنوها حملهم سلطان الحسد الغالب عليهم أن يجحدوا ما هم به عالمون موقنون ظلماً وعلوّاً قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤] أي ظلموا بذلك أنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ على من أرسل إليهم، فاندرج في ذلك علوّهم على الله. ولو قلت له: يا فلان كيف تتكبر على من خلقك؟ لاستعاذ من ذلك وقال: إن هذا الذي يزعم أنه من عند الله يكذب على الله حاشا الله أن يبعث مثل هذا إلينا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فإن قيل له: فقد جاء بالعلامة على أنه رسول من الله إليكم؛ فيقول: ألست تعلم أن السحر حق هذه الآية من ذلك القبيل هذا مع العامة، وأما مع العلماء والخواص مثل الحكماء وغيرهم فإذا قيل لهم: ألستم ترون هذه الآيات الدالة على صدق ما يدعيه؟ فأما العالمون بالنفوس وقواها فيجيبون عن ذلك بأن يقولوا قد علمنا أن القوى النفسانية تبلغ أن يتأثر لها أجرام العالم فهذا من ذلك القبيل ويحتج بصاحب العين وبعلم الزجر وأمثال ذلك مما يشبه هذا الفن، وأما إن كان عنده علم بمجاري الكواكب ويرى قواها وسيران ذلك في العالم العنصري على مقادير مخصوصة يقول: إن الطالع أعطاه ذلك وأن روحانية الكواكب تمده، وأنه بهذا الطالع في مسقط النطفة شرفت عنه وأعطته هذه القوى نفساً شريفة ونال بها المراتب العلية في الإلهيات، والذي قال به صحيح فإن الله أودع هذا كله في العالم العلوي حين خلقه إبلاء يبتلي الله به عباده، فإذا أضافوا ذلك إلى هذه القوى الروحانية وجردوه عن نظر الله إليه في ذلك بهذا القدر يسمون كفاراً، وإن كانوا مصيبين فيما قالوه فإنه هكذا رتب الله العالم ولكن أتى عليهم من جهلهم في علمهم، فمن هنا قالت الطائفة: العلم حجاب وإن كان الأمر ليس كذلك فإن علمهم بهذا لا ينافي العلم بأن الله أودع هذا في روحانياتها فما أتى عليهم على الحقيقة من علمهم وإنما أتى عليهم من جهلهم، فلما تبينت طرق السعادة بالرسل قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وما بقي بعد هذا إلا أن يوفق الله عباده للعمل بما أمرهم الله به من اتباع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى والوقوف عند حدوده ومراسمه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ويحوي هذا المنزل على علم التنزيه، وعلم الأسماء، وعلم الابتلاء، وعلم النسب، وعلم العلل، وعلم الأخبار، وعلم مأخذ الأدلة وسبب كثرتها على المدلول الواحد، وعلم الاختصاص، وعلم المراتب، وعلم الصفات، وعلم القضاء، وعلم الإمامة، وعلم الشرائع،

وعلم الانتقالات، وعلم الرجاء، وعلم أسباب الفوز والبقاء، وعلم الترجيح ومن هذا العلم اتبع الناس أهواءهم وتركوا الحق ونبذوه، فالله يعصمنا من قيام هذه الصفة بنا، فسبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الباب الثالث والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل بشرى مبشر لمبشر به وهو من الحضرة المحمدية

[الكامل]

جَاءَ المُبَشِّرُ بالرِّسالة يَبْتَغي أجْرَ المَجيء من الكريم المُرْسِلِ
فأتَى به ختم الولاية مثل ما خَتَمَ النبوّةَ بالنبيّ المُرْسَلِ
ولنا من الخَتْمَيْن حَظٌّ وافرٌ ورْثاً أتانا في الكتاب المُنْزَلِ

يريد قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦].

اعلم أن المشيئة الإلهية لما كان لها أثر في الفعل لهذا نفى تعلقها بما لا يقبل الانفعال من حيث مرجحه لا من حيث نفسه بخلاف مشيئة العبد، فإنها إذا وقعت وتعلقت بالمُشاء قد يكون المشاء وقد لا يكون، ولهذا شرع الله لنا إذا قلنا نفعل كذا أن نقول إن شاء الله، حتى إذا وقع ذلك الفعل الذي علقناه على مشيئة الله كان عن مشيئة الله بحكم الأصل ولم يكن لمشيئتنا فيه أثر في كونه، لكن لها فيه حكم وهو أنه ما شاء سبحانه تكوين ذلك الشيء إلا بوجود مشيئتنا إذ كان وجودها عن مشيئة الله، فلا بد من وجود عين مشيئتنا وتعلقها بذلك الفعل وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] يعني إن تشاؤوا، وفائدة إخبار الله تعالى بأنه لو شاء لفعل كذا مع كون كذا يستحيل وقوعه عقلاً لكون المشيئة الإلهية لم تتعلق به إعلام لنا أن ذلك الأمرالذي نفى تعلق المشيئة الإلهية بكونه ليس يستحيل كونه بالنظر إلى نفسه لإمكانه فإنه يجب له أن يكون في نفسه قابلاً لأحد الأمرين فيفتقر إلى المرجح، بخلاف المحال لنفسه فإنه يستحيل نفي تعلق المشيئة بكونه فإنه لا يكون لنفسه فإن بعض الناس ذهب إلى أن الله تعالى لو أراد إيجاد ما هو محال الوجود لنفسه لأوجده، وإنما لم يوجده لكونه ما أراد وجود المحال الوجود، فصاحب هذا القول يقول: إن الحق أعطى المحال محاله والواجب وجوبه والممكن إمكانه، فهذا القائل لا يدري ما يقول فإنه سبحانه واجب الوجود لنفسه فيلزمه أن يكون هو الذي أعطى لنفسه الوجوب ولو شاء لم يجب وجوده، فكان وجود الحق مرجحاً لنفسه فهو كما قال القائل: [الرجز]

أرَادَ أنْ يُعْرِبَهُ فأعْجَمَهْ

فإنه أراد أن ينسب إليه تعالى نفوذ الاقتدار ولم يعلم متعلق الاقتدار ما هو فعلقه بما لا يقتضيه، وصير الحق في قبيل الممكنات من حيث لا يشعر، فكانت فائدة إخبار الله تعالى بقوله لو شاء فيما لا يقع إعلام أنه بالنظر إلى ذاته ممكن الوقوع ليفرق لنا سبحانه بين ما هو في الإمكان وبين ما ليس بممكن، فنفى تعلق المشيئة والإرادة به، فإذا علقها بالمحال على

جهة نفي تعلقها مثل قوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤] و﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧] وهذا محال لنفسه، فكيف أدخله تحت نفي تعلق الإرادة التي لا يدخل تحتها إلا الممكن وهو الذي أشار إليه هذا الذي جهلناه وخطأناه في قوله.

فاعلم أن هذا من غاية الكرم الإلهيّ حيث أنه قد سبق في علمه إيجاد مثل هذا الشخص من فساد العقل الذي قد قضى به له في قسمه، فلما قضى بهذا علم أن عقله لا بدّ أن يعتقد مثل هذا وهو غاية الجهل بالله، فأخبر الله تعالى بنفي تعلق الإرادة بالمحال الوقوع لنفسه فيأخذ الكامل العقل من ذلك نفي تعلق الإرادة بما لا يصح أن تتعلق به، ويأخذ منه هذا الضعيف العقل أنه سبحانه لولا ما قال لو وإلا كان يفعل فيستريح إلى ذلك ولا ينكسر قلبه حيث أراد نفوذ الاقتدار الإلهيّ وقصد خيراً، وليعلم الكامل العقل ما فضله الله به عليه فيزيد شكراً حيث لم يجعل الله عقله مثل هذا الناقص العقل، فيعلم أن الله قد فضله عليه بدرجة لم ينلها من قصر عقله هذا القصور، وقد قال جماعة بأن الله يقدر على المحال.

والذي ينبغي أن يقال: إن الله على كل شيء قدير كما قال الله، والقدرة تطلب محلها الذي تتعلق به، كما أن نسبة الإرادة تطلب محلها الذي تتعلق به، كما أن العلم يطلب محله الذي يتعلق به نفياً كان أو إثباتاً، وجوداً أو عدماً، وكذلك نسبة السمع والبصر وجميع ما نسب الحق لنفسه، فالعالم الوافر العقل يعلم متعلق كل نسبة فيضيفها إليها، ومن عرف الأمور بمثل هذه المعرفة عرف حكم مقت الله بمن يقول ما لا يعمل من غير أن يقرن به المشيئة الإلهية؟ فإذا علق المشيئة الإلهية بقوله إن يعمل فلا يكون ذلك العمل لم يمقته الله فإنه غاب عن انفراد الحق في الأعمال كلها التي تظهر على أيدي المخلوقين بالتكوين، وأنه لا أثر للمخلوق فيها من حيث تكوينها، وإن كان للمخلوق فيها حكم لا أثر فالناس لا يفرقون بين الأثر والحكم، فإن الله إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في مواد لأنها لا تقوم بأنفسها فلا بدّ من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه، فللمحل حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له أثر فيه، فهذا الفرق بين الأثر والحكم إذا تحققته فلماذا يقول العبد: نعمل أو نفعل هكذا ولا أثر له في الفعل جملة واحدة فإن الله يمقته على ذلك.

ولما علم الحق أن هذا لا بدّ أن يقع من عباده وأنهم يقولون ذلك شرع لهم الاستثناء الإلهيّ ليرتفع المقت الإلهيّ عنهم، ولهذا لا يحنث من استثنى إذا حلف على فعل مستقبل فإنه أضافه إلى الله لا إلى نفسه، وهذا لا ينافي إضافة الأفعال إلى المخلوقين فإنهم محل ظهور الأفعال الإلهية، وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء، ألا ترى الحق تعالى كيف قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف: ٢] ولم يقل يا أولي الألباب ولا يا أولي العلم ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فإن العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل إلا بالاستثناء، لأنه يعلم أن الفعل لله لا له، فميز الله بين طبقات العالم ليعلموا أن الله تعالى قد رفع بعضهم فوق بعض درجات، فالعقلاء العلماء هم المقصودون للحق من العالم بعموم كل خطاب

لعلمهم بمواقع الخطاب، فيعلمون أي صنف أراد من العالم بذلك الخطاب، ولهذا نوع الأصناف بتنوّع الآيات للمتفكرين وللعالمين وللعقلاء ولأولي الألباب كما قال تعالى في القرآن العزيز: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ يريد طائفة مخصوصة لا يعقلون منه سوى أنه بلاغ ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ في حق طائفة أخرى عينها بهذا الخطاب ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ في حق طائفة أخرى عينها بهذا الخطاب ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] في حق طائفة أخرى أيضاً، والقرآن واحد في نفسه تكون الآية منه تذكرة لذي اللب، وتوحيداً لطالب العلم بتوحيده، وإنذاراً للمترقب الحذر، وبلاغاً للسامع ليحصل له أجر السماع، كالعجمي الذي لايفهم اللسان فيسمع فيعظم كلام الله من حيث نسبته إلى الله، ولا يعرف معنى ذلك اللفظ حتى يشرح له بلسانه ويترجم له عنه.

فمن جملة الخطابات الإلهية البشارات وهي على قسمين: بشارة بما يسوء مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وبشارة بما يسرّ مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يسٓ: ١١] فكل خير يؤثر وروده في بشرة الإنسان الظاهرة فهو خبر بشرى وذلك لا يكون إلا في رجلين: إمّا في شخص يكون في قوّة نفسه أن لا تتغير بشرته بما يتحقق كونه، وإمّا شخص غير مصدق بذلك الخبر من ذلك المخبر فلا يخلو هذا القوي النفس هل أثر ذلك الخبر في باطنه أو لم يؤثر؟ فإن أثر خبر هذا المخبر في نفسه فهو أحد رجلين: إمّا عالم محقق بوقوعه، وإمّا مُجَوِّز، وإن لم يؤثر في نفسه فهو غير عالم ولا مصدق معاً، فيكون ذلك الخبر في حق الأوّل بشرى متعلقها الصورة المتخيلة في نفسه التي تأثرت لهذا الخبر، فلو لم تقم بخياله تلك الصورة المضاهية للصورة الحسية لما كانت بشرى في حقه، ولا كانت تؤثر في باطنه سروراً ولا حزناً وإن لم يظهر ذلك في ظاهره، فلو تجردت الأرواح عن المواد لما صحت البشائر في حقها ولا حكم عليها سرور ولا حزن، ولكان الأمر لها علماً مجرداً من غير أثر، فإن الالتذاذ الروحاني إنما سببه إحساس الحس المشترك مما يتأثر له المزاج من الملايمة وعدم الملايمة وبالقياسات، وأمّا الأرواح بمجردها فلا لذة ولا ألم، وقد يحصل ذلك لبعض العارفين في هذا الطريق، قال أبو يزيد: «ضحكت زماناً وبكيت زماناً وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي». وهو عين ما قلناه، فإنه وقف مع مجرد روحه من غير نظر إلى طبيعته، فما شاهد إلا علماً محضاً كما يرتفع عن النظر في توحيد الحق من حيث توحيد الألوهية إلى توحيد ذاته من حيث هو لنفسه لا من حيث المرتبة التي بها يتعلق الممكن، فيشاهده في ذلك التوحيد واحداً لا واحداً معرى عن النسب والإضافات، مجهولاً للممكنات غير منسوب لنفسه بأنه عالم بنفسه لنفسه، فهو في ذلك التوحيد عينه لا من حيث هو عينه ولا من حيث لا هو عينه، وهذا أسنى المراتب في تجريد الكون عن التعلق به وهو كمال الأحدية لا كمال الوحدانية، فإن كمال الوحدانية في سريان أحديته في العقائد، فإن الوحداني هو الذي يطلب الموحدين والأحدية لا تطلب ذلك، كالجسماني هو الذي يطلب الأجسام ليظهر بها حكمه فاعلم. فإذا رأيت عارفاً تأتي عليه أسباب الالتذاذ وأسباب التألم ولا يلتذ ولا يتألم لا

بالمحسوس ولا بالمعقول في اقتناء العلوم الملذة فتعلم أن وقته التجرد التام عن طبيعته، وهذا أقوى التشبه الذي يسعى إليه العلماء بالله وواجده قليل والقليل الذي يجده قليل الاستصحاب لهذا الوجدان، وإنما الله يكرم به من شاء من عباده في خطرات ما ليعلمه بالتوحيد الذاتي الذي ذكرناه، فإن طائفة من العقلاء نسبوا الالتذاذ والابتهاج إلى ذلك الجناب بالكمال الذي هو عليه تعالى الأحد في ذاته عن هذا الوصف، لكن الوحدانية الإلهية هي التي ينظر إليها القائلون بهذا القول ولا يشعرون قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥] فمن نظر الحق من حيث ذاته عرف ما قلناه، ومن نظره من حيث ألوهيته عرف ما قلناه، ألا تنظر إلى مبادي الوحي الإلهيّ النبويّ إنما هي المبشرات وهي التي بقيت في الأمة بعد انقطاع النبوّة فتخيل من لا علم له بالأمر بما هو عليه أن ذلك نقص في حق هذه الأمة ليس الأمر كما ظنه من لا علم له بتقسيم الوحي، فإن وحي المبشرات هو الوحي الأعم الذي يكون من الحق إلى العبد بلا واسطة ويكون أيضاً بواسطة، والنبوّة من شأنها الواسطة ولا بدّ، فلا بد من الملك فيها، والمبشرات ليست كذلك، فالعبد العارف لا يبالي ما فاته من النبوّة مع بقاء المبشرات عليه، إلا أن الناس يتفاضلون فيها، فمنهم من لا يبرح في بشراه عن الواسطة، ومنهم من يرتفع عنها كالخضر والأفراد فلهم المبشرات بارتفاع الوسائط وما لهم النبوّة ولهذا ننكر عليهم الأحكام، فما كان من حكم في الكون من المبشرات فهو من البشرى بالواسطة وهو تعريف خاصة بما جاء به الرسول، وما لم يكن لها حكم الكون إلا العلم المجرد في تكملة ذاته فمن البشرى بترك الواسطة، فالرسل فضلت من سواها بتحصيل ضروب مراتب الوحي من المبشرات وغيرها من نزول الأملاك على قلوبهم وعلى حواسهم ولهم المبشرات فهم الأفراد الأقطاب ونحن الأفراد لا الأقطاب، وأعني بالأقطاب الشخص الذي تدور عليه رحى السياسات الناموسية المبثوثة في مصالح العالم المؤيدة بالمعجزات والآيات؛ فالله يجعلنا ممن بشره به فنام إلى الأبد ولم ينتبه.

سأل سهل بن عبد الله رجلاً من أهل عبادان عن سجود القلب؛ وكان قد رأى سهل بن عبد الله قلبه قد سجد فعرض ذلك على جماعة من الشيوخ من أهل زمانه فلم يعرفوا ما يقول لأنهم لم يذوقوا ذلك فرحل في طلب من يعرف ذلك فلما وصل إلى عبادان دخل على شيخ فقال له: يا أستاذ أيسجد القلب؟ فقال الشيخ: إلى الأبد يعني أنه لا يرفع رأسه من سجدته، فعرف سهل بن عبد الله في سؤاله أن الله أطلعه على سجود قلبه فلازم تلك الصفة فلم يرفع رأسه من سجدته لا في الدنيا ولا يرفعه في الآخرة، فما دعا الله بعد ذلك في رفع شيء نزل ولا في إنزال شيء رفع، وهذا هو المقام المجهول الذي جهله العارفون وما ثبت فيه إلا المفردون.

ولولا أن الأنبياء شرع لهم أن يشرعوا للخاص والعام حيث جعلهم الله أسوة لكانت حالتهم ما ذكرناه، ولكنهم صلوات الله عليهم لازموا الحضور في سجود القلب عند التشريع، وهذا غاية القوّة حيث أعطوا حكم الحال المستصحب الذي لا يرتفع أبداً، فغير النبيّ إذا علمه

تكلف فيه، وقد أعلمناك في غير ما موضع أن الأوائل في الأشياء هي المعتبرة في النسبة إلى الله، وأنها الصدق الذي لا يدخله مين، والقوّة التي لا يشوبها ضعف في الخاطر الأوّل والنظرة الأولى والسماع الأوّل والكلمة الأولى والحركة الأولى، كل أوّل لا يكون إلا مخلصاً لله لا يقع فيه اشتراك، ثم بعد الأوّل يدخل ما يدخل فيصدق ولا يصدق، فانظر أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي المبشرات فحازت المبشرات الأوّلية، فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح لأن فلق الصبح انفلق عن الليل كما انفلق صاحب هذه المبشرة عن النوم، فانظر ما أحسن هذا التشبيه الذي شبهته به أمنا عائشة رضي الله عنها فأبقى الله على رجال هذه الأمّة أوّل الوحي الذي لا يخطىء أبداً، فإن فهمت قدر ما ذكرته لك ونبهتك عليه علمت عناية الله بهذه الأمة فيما أبقى عليها من النبوّة وهو زبدة محضتها، ويكفي هذا القدر من هذا المنزل.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم التنزيه، وعلم التوحيد الإلهي، وعلم تنزيه العالم العلوي والسفلي، وعلم المشيئة والكلام، وعلم الأعمال وتفاصيلها، وعلم المحبة الإلهية من وجه خاص لا من جميع الوجوه؛ وأعني بالوجه الخاص حبه للتوّابين وحبه للمتطهرين وحبه للمؤمنين فلا تتساوى وجوه المحبة لعدم تساوي هذه الطبقات وإن لم يكن كذلك فأية فائدة للتفصيل فيها؟ وعلم السبل الإلهية، وعلم مجاهدة النفوس ورياضاتها، وعلم الثبات عند الواردات، وعلم التأييد بالمناسب الجنسي، وعلم العتاب، وعلم الجزاء في الدنيا، وعلم العناية، وعلم الخذلان، وعلم معرفة مراتب الخلق، والعلم الحق من العلم الخيالي، وعلم التمام، وعلم الأنوار وما يذم من الشرك وما يحمد، وعلم الإيمان، وعلم المغفرة، وعلم المحبة المتعلقة بالأكوان وشرف المحمود منها، وعلم البشائر، وعلم الوصايا الإلهية، وعلم تأييد أهل الله إذا صدقوا مع الله. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل جمع النساء والرجال في بعض المواطن الإلهية وهو من الحضرة العاصمية

[الكامل]

إنَّ النِّساءَ شقائقُ الذُّكْرانِ ... في عَالَمِ الأرواحِ والأبْدَانِ
والحُكْمُ مُتَّحِدُ الوجود عليهما ... وهو المُعَبَّرُ عنه بالإنسانِ
وتَفَرّقَا عنه بأمْرٍ عَارِضٍ ... فَصَلَ الإناثَ به من الذُّكْرَانِ
من رُتْبَةِ الإجماع يحكم فيهما ... بحقيقة التَّوْحيد في الأعْيانِ
وإذا نظرتَ إلى السماء وأرضِهَا ... فَرَّقْتَ بينهما بلا فُرْقَانِ
انْظُرْ إلى الإحسان عَيْناً واحداً ... وظُهُوره بالحكم عن إحْسَانِ

اعلم أيدك الله أن الإنسانية لما كانت حقيقة جامعة للرجل والمرأة لم يكن للرجال على

النساء درجة من حيث الإنسانية، كما أن الإنسان مع العالم الكبير يشتركان في العالمية، فليس للعالم على الإنسان درجة من هذه الجهة، وقد ثبت أن للرجال على النساء درجة، وقد ثبت أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن أكثر الناس لا يعلم ذلك مع الاشتراك في الدلالة والعلامة على وجود المرجح وقد قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧] وذكر ما يختص بالسماء، ثم ذكر الأرض ودحيها وما يختص بها كل ذلك في معرض التفضيل على الإنسان، فوجدنا الدرجة التي فضل بها السماء والأرض على الإنسان هي بعينها التي فضل بها الرجل على المرأة، وهو أن الإنسان منفعل عن السماء والأرض ومولد بينهما منهما، والمنفعل لا يقوى قوة الفاعل لما هو منفعل عنه، كذلك وجدنا حوّاء منفعلة عن آدم مستخرجة متكوّنة من الضلع القصير، فقصرت بذلك أن تلحق بدرجة من انفعلت عنه، فلا تعلم من مرتبة الرجل إلا حدّ ما خلقت منه وهو الضلع فقصر إدراكها عن حقيقة الرجل، كذلك الإنسان لا يعلم من العالم إلا قدر ما أخذ في وجوده من العالم لا غير، فلا يلحق الإنسان أبداً بدرجة العالم بجملته وإن كان مختصراً منه، كذلك المرأة لا تلحق بدرجة الرجل أبداً مع كونها نقاوة من هذا المختصر، وأشبهت المرأة الطبيعة من كونها محلاً للانفعال فيها، وليس الرجل كذلك فإن الرجل يلقي الماء في الرحم لا غير والرحم محل التكوين والخلق، فيظهر أعيان ذلك النوع في الأنثى لقبولها التكوين والانتقالات في الأطوار الخلقية خلقاً من بعد خلق إلى أن يخرج بشراً سوياً، فبهذا القدر يمتاز الرجال عن النساء، ولهذا كانت النساء ناقصات العقل عن الرجال لأنهن ما يعقلن إلا قدر ما أخذت المرأة من خلق الرجل في أصل النشأة، وأما نقصان الدين فيها فإن الجزاء على قدر العمل، والعمل لا يكون إلا عن علم، والعلم على قدر قبول العالم، وقبول العالم على قدر استعداده في أصل نشأته، واستعدادها ينقص عن استعداد الرجل لأنها جزء منه، فلا بدّ أن تتصف المرأة بنقصان الدين عن الرجل، وهذا الباب يطلب الصفة التي يجتمع فيها النساء والرجال، وهي فيما ذكرناه كونهما في مقام الانفعال، هذا من جهة الحقائق، وأما من جهة ما يعرض لهما فمثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] وقوله: ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] وقال رسول الله ﷺ: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرُونَ وَمِنَ النِّسَاءِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**» فاجتمع الرجال والنساء في درجة الكمال، وفضل الرجل بالأكملية لا بالكمالية، فإن كملا بالنبوّة فقد فضل الرجال بالرسالة والبعثة، ولم يكن للمرأة درجة البعثة والرسالة، مع أن المقام الواحد المشترك يقع التفاضل في أصحابه بينهم فيه كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وقد شرك الله بين الرجال والنساء في التكليف، فكلف النساء كما كلف الرجال، وإن اختصت المرأة بحكم لا يكون للرجل، فقد يختص الرجل بحكم لا يكون للمرأة، وإن كان النساء شقائق الرجال.

ثم اعلم أن منزلة المرأة من الرجل في أصل الإيجاد منزلة الرحم من الرحمن فإنها

شجنة منه فخرجت على صورته، وقد ورد في بعض الروايات: «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، وثبت أن الرحم فينا شجنة من الرحمن، فنزلنا من الرحمن منزلة حوّاء من آدم وهي محل التناسل، وظهور أعيان الأبناء كذلك نحن محل ظهور الأفعال، فالفعل وإن كان لله فما يظهر إلا على أيدينا ولا ينسب بالحس إلا إلينا، ولو لم نكن شجنة من الرحمن لما صح النسب الإلهيّ وهو كوننا عبيداً له، ومولى القوم منهم، فافتقارنا إليه افتقار الجزء إلى الكل، ولولا هذا القدر من النسبة لما كان للعزة الإلهية والغنى المطلق أن يعطف علينا ولا أن ينظر إلينا، فبهذا النسب صرنا مجلاها فلا تشهد ذاتها إلا فينا لما خلقنا عليه من الصورة الإلهية فملكنا الأسماء الإلٰهية كلها، فما من اسم إلهيّ إلا ولنا فيه نصيب، ولا يقوم بنا أمر إلا ويسري حكمه في الأصل، قال النبي ﷺ في هذا الاسم في أعضاء الإنسان: «**إِنَّهُ إِذَا أَحَسَّ عُضْوٌ مِنْهُ بِأَلَم تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجِسْمِ بِالحُمَّى**» فأثر وجود ذلك الألم في العضو الخاص الحمى في سائر الأعضاء فيتألم كله لتألم جزء من جسمه، فما ظنك بالنفس الناطقة التي هي سلطانة هذا البلد الأمين؛ فإن حاملة الحمى النفس الحيوانية في هذا الموضع وهي للنفس الناطقة بمنزلة ملك اختل عليه بعض ملكه فهمه يكون أشد، ألا ترى الحق سبحانه قد وصف نفسه بالغضب وبالرحمة وبالقبول وبالإجابة وأمثال هذا، وجعل ذلك كله مسبباً عن أسباب تكون منا فإذا عصيناه مجاهرة أغضبناه، وإذا قلنا قولاً يرتضيه منا أرضيناه كما قال ﷺ: «**وَلاَ نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا**» وإذا تبنا آثرنا القبول عنده، ولولا سيئاتنا ما عاقب ولا عفا، وهذا كله مما يصحح النسب ويثبت النسب ويقوي آثار السبب، فنحن أولاد علات أم واحدة وآباء مختلفون، فهو السبب الأوّل بالدليل لا بالمشاهدة.

ولما تقرّر ما ذكرناه أيد هذا النسب بقوله: «**فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ الله وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ الله**» فانظر ما أعجب هذا الحكم إن قطعها سبحانه من الرحمن وجعل السعادة لنا والوصلة به في وصل ما قطعه فالصورة صورة منازعة وفيها القرب الإلهيّ ليكون لنا حكم الوصل وهو ردّ الغريب إلى أهله، وليس للحكمة الإلهية في هذا إلا نفي التشبيه فإنه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فإذا قطعناها أشبهناه في القطع، فإنه جعلها شجنة من الرحمن، فمن قطعها فقد تشبه به وهو لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء بحكم الأصل، فتوعد من قطعها بقطعه إياه من رحمته لا منه وأمرنا بأن نصلها وهو أن نردها إلى من قطعت منه فإنه قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] فأضاف العلم لك وجعل نفسه رقيباً عليه وشهيداً لا يغفل ولا ينسى ذلك لتقتدي أنت به فيما كلفك من الأعمال، فلا تغفل ولا تنسى لأنك أولى بهذه الصفة لافتقارك وغناه عنك.

ولما كانت حوّاء شجنة من آدم جعل بينهما مودة ورحمة ينبه أن بين الرحم والرحمن مودّة ورحمة، ولذلك أمرك أن تصلها بمن قطعت منه فيكون القطع له والوصل لك، فيكون لك حظ في هذا الأمر تشرف به على سائر العالم، فالمودّة المجعولة بين الزوجين هو الثبات على النكاح الموجب للتوالد، والرحمة المجعولة هو ما يجده كل واحد من الزوجين من

الحنان إلى صاحبه فيحن إليه ويسكن، فمن حيث المرأة حنين الجزء إلى كله والفرع إلى أصله والغريب إلى وطنه، وحنين الرجل إلى زوجته حنين الكل إلى جزئه لأنه به يصح عليه اسم الكل وبزواله لا يثبت له هذا الاسم، وحنين الأصل إلى الفرع لأنه يمده، فلو لم يكن لم تظهر له ربانية الإمداد، كما أن الكون لولاه لم يصح أن يكون رباً على نفسه وهو رب فلا بد من العالم ولم يزل رباً، فلم تزل الأعيان الثابتة تنظر إليه بالافتقار أزلاً ليخلع عليها اسم الوجود، ولم يزل ينظر إليها لاستدعائها بعين الرحمة، فلم يزل رباً سبحانه وتعالى في حال عدمنا وفي حال وجودنا والإمكان لنا كالوجوب له ؛قال: [البسيط]

حَقِّقْ بعَقْلك إن فَكّرْتَ مَصْدَرَنَا ... نَفْياً لنَفْي وإثباتاً لإثْباتِ
مِنْ أعْجَبِ الأمْرِ أَنِّي لم أَزَلْ أَزَلاً ... وأنني مع هذا مُحْدَثُ الذَّاتِ
قد كان رَبُّكَ موجوداً وما معه ... شيءٌ سواه ولا مَاضٍ ولا آتِ

فبالمودة والرحمة طلب الكل جزأة والجزء كله فالتحما فظهر عن ذلك الالتحام أعيان الأبناء فصح لهم اسم الأبوّة فأعطى وجود الأبناء حكماً للآباء لم يكونوا عليه وهو الأبوة، وليس الرب كذلك، فإنه لم يزل رباً أزلاً، فإن الممكن في إمكانه لم يزل موصوفاً بالإمكان سواء وجد الممكن أو اتصف بالعدم، فإن النظر إليه لم يزل في حال عدمه، وتقدم العدم للممكن على وجوده نعت أزلي فلم يزل مربوباً وإن لم يكن موجوداً، فهذا الفارق بين ما يجب لله وبين ما يجب للعبد من حيث الاسمية والمرتبة التي حدثت له بوجود الابن، فالتحق النساء بالرجال في الأبوة ومن لحوق النساء بالرجال، بل تقوم المرأة في بعض المواطن مقام رجلين إذ لا يقطع الحاكم بالحكم إلا بشهادة رجلين فقامت المرأة في بعض المواطن مقامهما وهو قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرّق إلى ذلك، وقبول قولها أنها حائض، فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين، كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزله امرأتين فتداخلا في الحكم: [المتقارب]

فَنَابَ الكثيرُ مَنَابَ القَلِيلِ ... ونَابَ القَليلُ مَنَابَ الكَثيرْ
فَمَنْ شاءَ أَلْحَقَهُ بالثَّرَى ... ومن شاء أَلْحَقَه بالأثِيرْ

لولا كمال الصورة ما صحت الخلافة، فمن طلبها وكل إليها، ومن جاءته من غير طلب أعين عليها، فالطالب مُدَّع في القيام بحقها ومن طلب بها مستقيل منها لأنها أمانة ثقلت في السموات والأرض، وكل مدع ممتحن كانت هذه الصفة فيمن كانت لا أحاشي أحداً وامتحانه على صورة ما يدعيه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥] شهادة إلهية مقطوع بها، فهذه منزلة من جاءته الخلافة من غير طلب والعناية من غير تعمل ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣] دعوى موضع الامتحان لولا ما شفع فيه حالة المهد لعدم استحكام العقل فكان حكمه حكم يحيى وهو الأولى، هذا إن كان منطقاً غير متعقل ما ينطق به وإن تعقله فاستحكم عقله وتقوت آلاته في نفس الأمر وفي مشهود العادة عند الحاضرين هو خرق عادة، فإن كان

مأموراً بما نطق به فهو مخبر بما آتاه الله وأمر أن يخبر به فليس بمدع ولا طالب فخراً كما قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ**» بالراء وهو التبجح بالباطل، فهذا معرف عن أمر إلهيّ، فمثل هذا لا يمتحن ولا يختبر فإنه ليس بمدع، وهذه كلها أحوال يشترك فيها النساء والرجال، ويشتركان في جميع المراتب حتى القطبية، ولا يحجبك قول رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» فنحن نتكلم في تولية الله لا في تولية الناس، والحديث جاء فيمن ولاه الناس. ولو لم يرد إلا قول النبي ﷺ في هذه المسألة أن النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية، أي كل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء كما كان لمن شاء الله من الرجال، ألا تنظر إلى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل المرء وقال في الأنثى المرأة فزادها هاء في الوقف تاء في الوصل على اسم المرء للرجل، فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فسدّ تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة، وكذلك ألف حبلى وهمزة حمراء، وإن ذكرت تعليل الحق في إقامة المرأتين في الشهادة مقام الرجل الواحد بالنسيان في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] والتذكر لا يكون إلا عن نسيان، فقد أخبر الله تعالى عن آدم أنه نسي، وقال ﷺ: «**فَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**» فنسيان بني آدم ذرية عن نسيان آدم كما نحن ذرّيته وهو وصف إلهيّ منه صدر في العالم قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] على أن الحق ما وصف إحدى المرأتين إلا بالحيرة فيما شهدت فيه ما وصفها بالنسيان، والحيرة نصف النسيان لا كله، ونسب النسيان على الكمال للرجل فقال: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فقد يمكن أن ينسى الرجل الشهادة رأساً ولا يتذكرها، ولا يمكن أن تنسى أحدى المرأتين وهي المذكرة لا على التعيين، فتذكر التي ضلت عما شهدت فيه فإن خبر الله صدق بلا شك وهو قد أخبر في هذه الآية أن إحداهما تذكر الأخرى، فلا بد أن تكون الواحدة لا تضل عن الشهادة ولا تنسى، فقد اتصفت المرأة الواحدة في الشهادة بإخبار الحق عنها بصفة إلهية وهو قول موسى الذي حكى عنه في القرآن: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ التأنيث جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بالأمر، وقد نهانا الشارع أن نتفكر في ذات الله، وما منعنا من الكلام في توحيد الله بل أمر بذلك فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] وهو هنا ما يخطر لمن نظر في توحيد الله من طلب ماهيته وحقيقته وهو معرفة ذاته التي ما تعرف، وحجر التفكر فيها لعظيم قدرها، وعدم المناسبة بينها وبين ما يتوهم أن يكون دليلاً عليها فلا يتصورها وهم ولا يقيدها عقل بل لها الجلال والتعظيم، بل لا يجوز أن تطلب بما كما طلب فرعون فأخطأ في السؤال، ولهذا عدل موسى عليه السلام عن جواب سؤاله لأن السؤال إذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان مجلس

عامّة، فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد ما سأل لأنه تخيل أن سؤاله ذلك متوجه، وما علم أن ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وإنما تدخل تحت مطلب« هل»، و«هل» سؤال عن وجود المسؤول عنه هل هو متحقق أم لا؟ فقال فرعون وقد علم ما وقع فيه من الجهل إشغالاً للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ولولا ما علم الحق فرعون ما أثبت في هذا الكلام أنه أرسله مرسل وأنه ما جاء من نفسه لأنه دعا إلى غيره، وكذا نسبه فرعون إلى ما كان عليه موسى فوصفه بأنه مجنون أي مستور عنكم لا تعرفونه، فعرفه موسى بجوابه إياه وما عرفه الحاضرون كما عرفه علماء السحرة وما عرفه الجاهلون بالسحر، وبقيت تلك الخميرة عند فرعون يختمر بها عجين طينته، وما ظهر حكمها ولا اختمر عجينه إلا في الوقت الذي قال فيه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] وما سمى الله ليرفع اللبس والشك إذ قدم علم الحاضرون أن بني إسرائيل ما آمنت إلا بالإله الذي جاء موسى وهارون من عنده إليهم، فلو قال: آمنت بالله وهو قد قرر أنه ما علم لقومه من إله غيره لقالوا: لنفسه شهد لا للذي أرسل موسى إلينا كما شهد الله لنفسه؛ فرفع هذا اللبس بما قاله.

وأمّا تحقيق هذه المسألة فما يعرف ذلك إلا من يعرف مرتبة الطبيعة من الأمر الإلهي، فإن المرأة من الرجل بمنزلة الطبيعة من الأمر الإلهي، لأن المرأة محل وجود أعيان الأبناء، كما أن الطبيعة للأمر الإلهي محل ظهور أعيان الأجسام فيها تكوّنت وعنها ظهرت فأمر بلا طبيعة لا يكون وطبيعة بلا أمر لا تكون، فالكون متوقف على الأمرين، ولا تقل إن الله قادر على إيجاد شيء من غير أن ينفعل أمر آخر فإن الله يرد عليك في ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فتلك الشيئية العامة لكل شيء خاص، وهو الذي وقع فيها الاشتراك هي التي أثبتناها، وأن الأمر الإلهي عليها يتوجه لظهور شيء خاص في تلك الشيئية المطلقة، فإذا ظهرت الأجسام أو الأجساد ظهرت الصور والأشكال والأعراض وجميع القوى الروحانية والحسية، وربما قيل هو المعبر عنه بلسان الشرع العماء الذي هو للحق قبل خلق الخلق ما تحته هواء وما فوقه هواء فذكره وسماه باسم موجود يقبل الصور والأشكال، وقد ذكرنا مرتبة الطبيعة وهي هذه الشيئية المطلقة في كتاب النكاح الأوّل الذي ظهر عنه العالم أسفله وأعلاه، وكل ما سوى الله من كثيف ولطيف ومعقول ومحسوس متصف بالوجود، فلا نعرف منها إلا قدر ما يظهر لنا، كما لا نعرف من الأسماء الإلهية إلا قدر ما وصل إلينا، فمن عرف مرتبة الطبيعة عرف مرتبة المرأة، ومن عرف الأمر الإلهي فقد عرف مرتبة الرجل وأن الموجودات مما سوى الله متوقف وجودها على هاتين الحقيقتين، غير أن هذه الحقيقة تخفى وتدق بحيث يجهلها أبناؤها من العقول، فلا تثبتها في العالم البسيط وتثبتها في العالم المركب، وذلك لجهلها بمرتبتها، كما جهلت هنا مرتبة المرأة مع تنبيه الشارع على منزلتها بقوله ﷺ: «**إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**» فالأمر بينهما يكون علواً وسفلاً، ألا ترى

التجليات والروحانيات المتجسدة هل تظهر في غير صور طبيعية؟ وإن كانت تلك الأجساد سريعة الاستحالة فلم تخرج عنها.

وهذا منزل واسع يتسع المجال فيه، فلنذكر أمّهات ما يتضمنه من المسائل دون التفريع، فمنها من أي مقام ينادى المؤمن؟ وهل يختلف النداء باختلاف المنادى أم لا؟ وفي هذا المنزل أيضاً علم سبب العداوة بين الله وبين خلقه، وهل من شرط العداوة أن توجد من الطرفين أو من الطرف الواحد؟ وهل يعادي أحد من أجل أحد؟ أو لا تكون العداوة إلا من أجل نفسه لا من أجل غيره؟ وعلم إلقاء المحبة في القلوب وثباتها فيه، وهل إلقاؤها انتقال وجودي أو خلق يخلق في المحل؟ وهل من شرط الحب المناسبة أم لا؟ وعلم التغريب عن الأوطان لموجب النقيض، وعلم مشتقات السبل الإلهية وعلم طلب الرضا في المنشط والمكره، وعلم السر والعلن، وعلم الحيرة عن طريق خاص، وعلم محبة الستر على التجلي، وعلم ثبات السبب الموجب لقطع ما أمر بوصله فيكون قطعه قربة ووصله بعداً، وعلم المواطن وكيف ترد الأمور بحكمها وتأثيرها في الأمور الكونية والأحكام الإلهية وهو علم واسع، وعلم رؤية الأعمال مع كونها أعراضاً كونية والأعراض الكونية ترى أحكامها لا أعيانها بخلاف الأعراض اللونية فإنه يرى أعيانها وأحكامها، وعلم الاقتداء بالمتقدّمين واتباع الفاضل المفضول، وعلم التبري من الجمع لا من أحدية الجمع، وعلم ستر أحدية الجمع والكثرة، وعلم الحب المشروط والبغض المشروط وهل يصح في نفس الأمر ذلك أو لا يصح؟ وهل يصح فيه استثناء أو لا يصح؟ وهل يقدح في العلم الإلهي رجوع العبد في توكله وأحواله إلى اسم خاص دون سائر الأسماء الإلهية أم لا؟ وعلم الصيرورة من علم الرد والرجوع والفرق بينهما وبين كل واحد منهما وبين الآخر، وعلم الاختيار فيما يحمد ويذم، وعلم تضمن العزة الحكمة، وعلم الرجاء المشترك، وعلم ما ينتجه التولي عن الحق المطلق والمقيد وهل يتأثر من يتولى عنه عند التولي أو لا يتأثر؟ وعلم المقاربة من الشيء هل يتصف بها الحق أم لا؟ وعلم كون الرحمة قد تكون بالستر وبغير الستر، وعلم سبب إكرام الكريم ومجازاة اللئيم هل يكون بلؤم فيشتركان وإن كان الواحد جزاء أو لا يجازيه إلا بالإحسان؟ وهل يكون لؤم الجزاء لؤماً في نفس الأمر أو هو صفة اللئيم تعود عليه لما ظهرت له في غيره فكرهها منه فعلم بذلك أنها صفته وأنها في المجازي أمر عرضي أظهرها للتعليم وهو علم شريف نافع يعرف منه عقوبة الله عباده على أعمالهم مع غناه في نفسه عن ذلك وعدم تضرره به، وهل يمكن للخلق أن يكونوا في الجزاء باللؤم على هذا الحد عند مجازاة اللئيم أو لا يكونون؟ وعلم ما يعامل به أصحاب الدعاوى، وعلم الحكم بالعلم وأن الظن قد يسمى علماً شرعاً ولماذا يسمى الظن علماً وهو ضده؟ وهل العلم هنا عبارة عن العلامة التي يحصل بهاالظن في نفس الظان الحاكم به فيكون علمه بتلك العلامة علماً بأن هذا ظن غالب يجب الحكم به لرائحة العلم بالعلامة إذ العلم ليس سوى عين العلامة وبه سمي علماً فبالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات فهي كلها علامات ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم: ٣٠] ولم يكن علماً فكأنه قال

ذلك الذي أعطتهم العلامة في ذلك الأمر، وعلم الحلال والحرام العقلي والشرعي، وعلم المعاوضة في الأبضاع وهو علم عجيب لأنه لا متعلق للمشتري في ذلك إلا الاستمتاع خاصة فكأنه مشتري الاستمتاع، وعلم العدل في الحكم الإلهي والنيابة فيه، وعلم الفرق بين العلم والحكمة، وعلم اتخاذ الله وقاية مماذا وهل ذلك من مرتبة العلم أو مرتبة الإيمان؟ وعلم أحكام التابع والمتبوع هل يجتمعان في أمر أو لا يجتمعان في أمر؟ وعلم مبايعة الإمام الذي هو السلطان هل حكمها حكم البيع فيتعين ما بيع وما اشترى؟ وهل يدخل فيها بيع النفوس وهو المبايعة على الموت أم لا؟ وعلم التشبيه. فهذا ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والعشرون وثلاثمائة
في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية

[البسيط]:

الجَمْعُ مُعْتَبَرٌ في كل آوِنَةٍ ... والوِتْرُ في الجَمْع كالأعْداد في الأَحَدِ

هذا الإلهُ هو الأسماءُ أوْتَرَهَا ... تِسْعٌ وتسْعون لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ

فالعَيْنُ مجموعُ أسماء وليس لها ... وِتْرٌ سوى ما ذكرناه من العَدَدِ

فليس ثَمَّ سوى فَرْدٍ يُعَيِّنُهُ ... عَيْنُ الكثير فلا تُلْوي على أَحَدِ

والله وِتْرٌ فلا شيءٌ يُكَثِّرُهُ ... مع العلوم التي أعطاك في الرَّصَدِ

فلا مُؤَثِّرَ غيرُ الله في بَشَرٍ ... والغير ما ثَمَّ فاقصد ساكنَ البَلَدِ

يعطيك خيراً بإحسان يَجُودُ به ... عليك فهو الذي إن شاء لم يَجُدِ

اعلم فهمك الله أن كل ما سوى الله أرواح مطهرة منزهة موجدها وخالقها، وهي تنقسم إلى مكان وإلى متمكن، والمكان ينقسم إلى قسمين: مكان يسمى سماء ومكان يسمى أرضاً، والمتمكن فيهما ينقسم إلى قسمين؛ إلى متمكن فيه وإلى متمكن عليه، فالمتمكن فيه يكون بحيث مكانه والمتمكن عليه لا يكون بحيث مكانه، وهذا حصر كل ما سوى الله، وكل ذلك أرواح في الحقيقة أجسام وجواهر في الحق المخلوق به، وهذه الأرواح على مراتب في التنزيه تسمى مكانة، وما من منزه لله تعالى إلا وتنزيهه على قدر مرتبته لأنه لا ينزه خالقه إلا من حيث هو إذ لا يعرف إلا نفسه، فيثمر له ذلك التنزيه عند الله مكانة يتميز بها كل موجود عن غيره، وهذا المنزل يحتوي على تنزيه الأرواح المتمكنة لا المكانية، وسيرد منزل في هذه المنازل نذكرفيه تنزيه المكان والمتمكن معاً، فكان هذا المنزل يحتوي على نصف العالم من حيث ما هو منزه، ثم إن الله تعالى عاد بالمكانة على هذا المنزه بأن كان الحق مجلاه فرأى نفسه ورتبته فسبح على قدر ما رأى فإذا هو نفسه لا غيره، وذلك أن الحق أسدل بينه وبين عباده حجاب العزة فوقف التنزيه دونه فعلم أن الحق لا يليق به تنزيه خلقه وأن حجاب العزة أحمى وقهرها أغلب، ثم رأى من سواه من العارفين بالله المنزهين بنعوت السلوب على

مراتب، وقد أقرّ الجميع منهم بأنهم كانوا غالطين في محل تنزيههم، وأن تنزيههم ما خرج عنهم وذلك لحكمته التى سرت في خلقه، فكان ذلك تنزيه الحكمة لا غيره، ولولا ستر حجاب العزة ما عرفوا ذلك، ومن هذا الحجاب ظهر الكفر في العالم وصارت المعرفة خبراً بما وراء هذا الحجاب، فظهر الإيمان في العالم بين الستر والمؤمن، فالكافر الذي هو الساتر أقرب من أجل الكفر، فإن الستر يرى المستور به والمستور عنه وهو صفة الكافر والمؤمن دون هذا الستر فمقامه الحجاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] والإيمان متعلقه الخبر، والخبر من أقسام الكلام.

ثم إنه سبحانه أخرج أهل الستر من الغيب إلى الشهادة ليحصل له مقام الجمع بين الحالتين، فينزهه باللسانين ويثبت له الصفتين، ولم يكن في ظنه ما فعله الحق به، بل كان يتخيل أن الغيب لا يكون في موطن شهادة لعلمه أن الغيب منيع الحمى لا يعلم ما فيه فيوصل إليه، وإنما مقامه أن يكون مشعوراً به من غير تعيين ما هو ذلك المشعور به، وغفل عن كون الله يفعل ما يريد وأنه ما في حقه غيب، وأن الغيب لا يصح أن يكون إلا إضافياً، فلما بدا له من الله ما لم يكن في حسابه علم أن الأمور بيد الله، وأنه ما ثم من يستحق حكماً لنفسه بل هو الله الذي أعطى كل شيء خلقه، ولما علمت الأشياء أنه لا شيء لها من ذاتها وأنها بحسب ما تقتضيه ذات موجدها وأن الأحوال تتجدد عليها بحسب ما تطلبه حقائق من استندت إليه وهو الله تعالى خافت حيث لم تقف على علم الله فيها في المستقبل، فتركت جميع ما كانت تعتمد عليه في نفسها لما عند خالقها فسبحته تسبيحاً جديداً من خلق جديد، وعبرت من النظر إليها إلى النظر إلى من بيده ملكوت كل شيء، ولولا هذا المقام الذي أقامها فيه وردها من قريب إليه، لناداها من بعيد، فكان المدى يطول عليها ويتعرض لها الآفات والصوارف في الطريق، فإن المسافر وماله على قلت.

ثم إن الله لما حصل الأشياء في هذا المقام رفع لها علماً من أعلام المعرفة أعطاها ذلك العلم أنها شق وأنها على النصف من الوجود وأن كمال الوجود بها، ولولاها ما ظهر الكمال في الوجود والعلم فزهت وعظم شأنها عندها، وما عرفت أي قسم صح لها من الوجود، ثم ظهر ذلك لها في عبادة الصلاة حيث قسمها الحق نصفين بينه وبين عبده فزادت تيهاً، فلما سمعت آخر الخبر موافقاً لحالها الذي لم تشعر به في قوله: «فنصفها لي» ولم يقيد، وقال في نصف العبد: ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، والسؤال مذلة وفقر وحاجة ومسكنة، إلا أن العبد لاح له من خلف هذا الحجاب ما لم يكن يظنه وهو أنه في منزل يكون الحق متأخراً عنه مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠] وذلك لأنه في حكم الفرار إذا استقبله ما لا يطيق حمله، فأخبره الله أنه من ورائه وهو الذي يستقبله فإن فرّ منه فإليه يفرّ من حيث لا يشعر كما يكون في منزل آخر أولاً له من قوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] وقد وصف نفسه بأنه الهادي والهادي هو الذي يكون إمام القوم ليريهم الطريق وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾فصارت الأشياء مع الحق

عقبة فتقدم تعالى الأشياء ليهديها إلى ما فيه سعادتها وتأخر عنها ليحفظها ممن يغتالها وهو العدم، فإن العدم يطلبها كما يطلبها الوجود وهي محل قابل للحكمين ليس في قوّتها الامتناع إلا بلطف اللطيف.

ثم إن الله تعالى لما أطلعها على هذا حصل لها من العلم بجلال الله أسماء تسبحه بها وتحمده وتثني عليه بها لم تكن تعلم ذلك قبل هذا المشهد كما قال ﷺ في المقام المحمود يوم القيامة: «**فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَعْلَمُهَا الآنَ**» يعطيه إياها ذلك المقام بالحصول فيه إلهاماً يلهمه الله فيثني عليه بها، وهكذا كل منزلة ومرتبة في العالم دنيا وآخرة إلى ما لا يتناهى له ثناء خاص في كل منزل منها، فإذا سبحه ورثه ذلك الثناء علماً آخر لم يكن عنده من علم الإذن الإلهي الذي خلق الله منه بيد عيسى الطير ومنه نفخ عيسى فيه فكان طيراً، ومنه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى، وهو علم شريف تحقق به أبو يزيد البسطامي وذو النون المصري، فأما أبو يزيد فقتل نملة بغير قصد فلما علم بها نفخ فيها فقامت حية بإذن الله وأما ذو النون فجاءته العجوز التي أخذ التمساح ولدها فذهب به في النيل فدعا بالتمساح فألقاه إليها من جوفه حياً كما ألقى الحوتُ يونسَ، فإذا كشف له عن هذا العلم أثنى عليه سبحانه بما ينبغي له من المحامد التي يطلبها هذا المقام؛ ومن هنا يكون له الاستشراف على من خرج عن هذا المقام فيعلم حال الخارجين لأن هذا المنزل هو المنزل الجامع ولهذا سمي منزل القرآن، فإذا نزل صاحب هذا المنزل من هذا المقام إلى الكون تعرض له العدو بأجناده وهو إبليس المعادي له بالطبع ولا سيما للبنين فإنه منافر من جميع الوجوه بخلاف معاداته لآدم فإنه جمع بينه وبين آدم اليبس فإن بين التراب والنار جامعاً، ولذلك الجامع صدقه لما أقسم له بالله أنه لناصح وما صدقه الأبناء فإنه للأبناء ضد من جميع الوجوه وهو قوله في الأبناء أنه خلقهم من ماء وهو منافر للنار، فكانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب له، وجعل الله هذا العدوّ محجوباً عن إدراك الأبصار، وجعل له علامات في القلب من طريق الشرع يعرفه بها تقوم له مقام إدراك البصر فيتحفظ بتلك العلامات من إلقائه، وأعان الله هذا الإنسان عليه بالملك الذي جعله مقابلاً له غيباً لغيب، فمهما لم يؤثر في ظاهر الإنسان وظهر عليه الملك بمساعدة النفس كان أجران للنفس أجرها وأجر المعين وهو الملك لأن الملك لا يقبل الجزاء ولا يزيد مقامه ولا ينقص، وإن أثر في ظاهر الإنسان فإن الملك يغتم لذلك ويستغفر لهذا الإنسان وهو أعني الملك ليس بمحل لجزاء الغم فيعود ذلك الجزاء على الإنسان، فهو في الحالتين رابح في الطاعة والمعصية، والإيمان يشد من الملك ولهذا يستغفر له الملك.

واعلم أن القرآن لما كان جامعاً تجاذبته جميع الحقائق الإلهية والكونية على السواء فلم يكن فيه عوج ولا تحريف، فمنزلته الاعتدال، والاعتدال منزل حفظ بقاء الوجود على الموجود ما هو منزل الإيجاد لأن الإيجاد لا يكون إلا عن انحراف وميل، ويسمى في حق الحق توجهاً إرادياً وهو قوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠]، ولما كان منزله الاعتدال كان له الديمومة والبقاء، فله إبقاء التكوين وبقاء الكون، فلو نزل عن منزله لنزل من الاعتدال إلى

الانحراف وهو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ يعني عن منزله ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: ٢١] يعني الجبل فلم يحفظ عليه صورته لأنه نزل عن منزله ولما كان هذا منزله وتجاذبته الحقائق على سواء كان من به أنزل عليه رحمة للعالمين لأن الرحمة وسعت كل شيء فطلبها كل شيء طلباً ذاتياً لما دعا رسول الله ﷺ في القنوت على من دعا عليه عوتب في ذلك فقيل له: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي لترحمهم لأنك صاحب القرآن والقرآن ينطق بأني ما أرسلتك إلا رحمة وأنه ينطق بأن رحمتي وسعت كل شيء فهي بين منة ووجوب، فمن عبادي من تسعهم بحكم الوجوب، ومنهم من تسعهم بحكم المنة والأصل المنة والفضل والإنعام الإلهيّ إذ لم يكن الكون فيكون له استحقاق، فما كان ظهوره إلا من عين المنة، وكذلك الأمر الذي به استحق الرحمة كان من عين المنة، فإذا نزل القرآن عن منزله فإنه كلامه، وكلامه على نسبة واحدة لما يقبله الكلام من التقسيم فإنه ينزله، وفيه حقيقة الاعتدال في النسب، وهو جديد عند كل تال أبداً، فلا يقبل نزوله إلاّ مناسباً له في الاعتدال فهو معرى عن الهوى، ولهذا قيل في محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] ونهي غيره من الرسل والخلفاء أن يتبع الهوى، فلم ينزل في المرتبة منزلة من أخبر عنه أنه لا ينطق عن الهوى، وما كل تال يحس بنزوله لشغل روحه بطبيعته فينزل عليه من خلف حجاب الطبع فلا يؤثر فيه التذاذاً وهو قوله ﷺ في حق قوم من التالين: «**إِنَّهُمْ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**» فهذا قرآن منزل على الألسنة لا على الأفئدة، وقال في الذوق نزل به الروح الأمين على قلبك فذلك هو الذي يجد لنزوله عليه حلاوة ولا يقدر قدرها تفوق كل لذة، فإذا وجدها فذلك الذي نزل عليه القرآن الجديد الذي لا يبلى، والفارق بين النزولين أن الذي ينزل القرآن على قلبه ينزل بالفهم فيعرف ما يقرأ وإن كان بغير لسانه، ويعرف معاني ما يقرأ وإن كانت تلك الألفاظ لا يعرف معانيها في غير القرآن لأنها ليست بلغته ويعرفها في تلاوته إذا كان ممن ينزل القرآن على قلبه عند التلاوة، وإذا كان مقام القرآن ومنزله ما ذكرناه وجد كل موجود فيه ما يريد، ولذلك كان يقول الشيخ أبو مدين: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد، وكل كلام لا يكون له هذا العموم فليس بقرآن.

ولما كان نزوله على القلب وهو صفة إلهية لا تفارق موصوفها لم يتمكن أن ينزل به غير من هو كلامه، فذكر الحق أنه وسعه قلب عبده المؤمن، فنزول القرآن في قلب المؤمن هو نزول الحق فيه، فيكلم الحق هذا العبد من سرّه في سرّه وهو قولهم: حدّثني قلبي عن ربي من غير واسطة، فالتالي إنما سمي تالياً لتتابع الكلام بعضه بعضاً، وتتابعه يقضي عليه بحرفي الغاية وهما «من» و«إلى» فينزل من كذا إلى كذا، ولما كان القلب من العالم الأعلى وكان اللسان من العالم الأنزل وكان الحق منزله قلب العبد وهو المتكلم وهو في القلب واحد العين والحروف من عالم اللسان ففصل اللسان الآيات وتلا بعضها بعضاً فيسمى الإنسان تالياً من حيث لسانه فإنه المفصل لما أنزل مجملاً، والقرآن من الكتب والصحف المنزلة بمنزلة

الإنسان من العالم فإنه مجموع الكتب والإنسان مجموع العالم فهما أخوان، وأعني بذلك الإنسان الكامل، وليس ذلك إلا من أنزل عليه القرآن من جميع جهاته ونسبه وما سواه من ورثته إنما أنزل عليه من بين كتفيه فاستقرّ في صدره عن ظهر غيب وهي الوراثة الكاملة. حكي عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن. وقال رسول الله ﷺ في الذي أوتي القرآن: «**إنَّ النُّبُوَّةَ أُدْرِجَتْ بَيْنَ جَنْبَيْهِ**» وهذا الفرق بين الأنبياء والأولياء الأتباع؛ لكن من أدرجت النبوّة بين جنبيه وجاءه القرآن عن ظهر غيب أعطي الرؤية من خلفه كما أعطيها من أمامه إذ كان القرآن لا ينزل إلا مواجهة فهو للنبيّ ﷺ من وجهين: وجه معتاد ووجه غير معتاد، وهو للوارث من وجه غير معتاد، فسمي ظهراً بحكم الأصل وهو وجه بحكم الفرع، ولما ذقنا ذلك لم نر لأنفسنا تمييز جهة من غيرها وجاءنا بغتة فما عرفنا الأمر كيف هو إلا بعد ذلك، فمن وقف مع القرآن من حيث هو قرآن كان ذا عين واحدة أحدية الجمع، ومن وقف معه من حيث ما هو مجموع كان في حقه فرقاناً فشاهد الظهر والبطن والحدّ والمطلع، فقال: «**لكلّ آية ظَهرٌ وبطنٌ وحدّ ومَطْلَعٌ**» وذلك الآخر لا يقول بهذا والذوق مختلف. ولما ذقنا هذا الأمر الآخر كان التنزل فرقانياً فقلنا: هذا حلال وهذا حرام وهذا مباح، وتنوّعت المشارب، واختلفت المذاهب، وتميزت المراتب، وظهرت الأسماء الإلهية والآثار الكونية، وكثرت الأسماء والآلهة في العالم، فعبدت الملائكة والكواكب والطبيعة والأركان والحيوانات والنبات والأحجار والأناسي والجن، حتى إنّ الواحد لما جاء بالوحدانية قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وفي الحقيقة ليس العجب ممن وحَّد، إنما العجب ممن كثر بلا دليل ولا برهان، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وهذه رحمة من الله بمن لاحت له شبهة في إثبات الكثرة فاعتقد أنها برهان بأن الله يتجاوز عنه، فإنه بذل وسعه في النظر وما أعطته قوّته غير ذلك، فليس للمشركين عن نظر أرجى في عفو الله من هذه الآية، وقد قلنا: إنه ما في العالم أثر إلا وهو مستند إلى حقيقة إلهية فمن أين تعددت الآلهة وعبدت من الحقائق الإلهية؟ فاعلم أن ذلك من الأسماء، فإن الله لما وسع فيها فقال: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١] وقال: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] وقال: ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ يعني الله أو الرحمن ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فزاد الأمر عندهم إبهاماً أكثر مما كان، فإنه لم يقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فالعين واحدة وهذان اسمان لها، هذا هو النص الذي يرفع الإشكال، فما أبقى الله هذا الإشكال إلا رحمة بالمشركين أصحاب النظر الذي أشركوا عن شبهة وبقي الوعيد في حق المقلدين حيث أهلهم الله للنظر، وما نظروا ولا فكروا ولا اعتبروا فإنه ما هو علم تقليد، فالمخطىء مع النظر أولى وأعلى من الإصابة والمصيب مع التقليد إلا في ذات الحق، فإنه لا ينبغي أن يتصرّف مخلوق فيها بحكم النظر الفكري، وإنما هو مع الخبر الإلهيّ فيما يخبر به عن نفسه لا يقاس عليه ولا يزيد ولا ينقص ولا يتأوّل ولا يقصد بذلك القول وجهاً معيناً، بل يعقل المعنى ويجهل النسبة ويرد العلم بالنسبة إلى علم الله فيها،

فمن نظر الأمر بمثل هذا النظر فقد أقام العذر لصاحبه وكان رحمة للعالمين.

ثم اعلم أن الله أنزل الكتاب فرقاناً في ليلة القدر ليلة النصف من شعبان، وأنزله قرآناً في شهر رمضان كل ذلك إلى السماء الدنيا ومن هناك نزل في ثلاث وعشرين سنة فرقاناً نجوماً ذا آيات وسور لتعلم المنازل وتتبين المراتب، فمن نزوله إلى الأرض في شهر شعبان يتلى فرقاناً، ومن نزوله في شهر رمضان يتلى قرآناً، فمنا من يتلوه به فذلك القرآن، ومنا من يتلوه بنفسه فذلك الفرقان، ولا يصح أن يتلى بهما في عين واحدة ولا حال واحدة، فإذا كنت عنده كنت عندك، وإذا كنت عندك لم تكن عنده، لأن كل شيء عنده بمقدار، وهو ليس كذلك، بل هو مع كل شيء، وعند من يذكره بالذكر لا غير فإنه جليس الذاكرين.

فصل: اعلم أن الله أنزل هذا القرآن حروفاً منظومة من اثنين إلى خمسة أحرف متصلة ومفردة وجعله كلمات وآيات وسوراً ونوراً وهدى وضياء وشفاء ورحمة وذكراً وعربياً ومبيناً وحقاً وكتاباً ومحكماً ومتشابهاً ومفصلاً، ولكل اسم ونعت من هذه الأسماء معنى ليس للآخر وكله كلام الله، ولما كان جامعاً لهذه الحقائق وأمثالها استحق اسم القرآن، فلنذكر مراتب بعض نعوته ليعلم أهل الله منزلته.

وصل: فمن ذلك كونه حروفاً، والمفهوم من هذا الاسم أمران الأمر الواحد المسمى قولاً وكلاماً ولفظاً والأمر الآخر يسمى كتابة ورقماً وخطاً، والقرآن يخط فله حروف الرقم، وينطق به فله حروف اللفظ، فلماذا يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها؟ هل لكلام الله الذي هو صفته؟ أو هل للمترجم عنه؟ فاعلم أن الله قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر، ومن كانت حقيقته تقبل التجلي في الصور فلا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلام الله لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله، فكما نقول: تجلى في صورة كما يليق بجلاله، كذلك نقول: تكلم بصوت وحرف كما يليق بجلاله، ونحملها محمل الفرح والضحك والعين والقدم واليد واليمين وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة مما يجب الإيمان به على المعنى المعقول من غير كيفية ولا تشبيه فإنه يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فنفى أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة، فإذا انتظمت الحروف سميت كلمة، وإذا انتظمت الكلمات سميت آية، وإذا انتظمت الآيات سميت سورة، فلما وصف نفسه بأن له نفساً كما يليق بجلاله ووصف نفسه بالصوت والقول وقال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كان النفس المسمى صوتاً وكان انقطاعه من الصوت حيث انقطع يسمى حرفاً، وكل ذلك معقول مما وقع الإخبار الإلهيّ به لنا مع نفي المماثلة والتشبيه كسائر الصفات ولما وصف نفسه بالصورة عرفنا معنى قوله أنه: الظاهر والباطن ؛فالباطن للظاهرغيب، والظاهر للباطن شهادة، ووصف نفسه بأن له نفساً فهو خروجه من الغيب، وظهور الحروف شهادة، والحروف ظروف للمعاني التي هي أرواحها والتي وضعت للدلالة عليها بحكم التواطؤ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وأبلغ من هذا الإفصاح من الله لعباده ما يكون، فلا بد أن

يفهم من هذه العبارات ما تدل عليه في ذلك اللسان بما وقع الإخبار به عن الكون، فيعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتعرف النسبة وما وقع الإخبار به عن الله يعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام، وتجهل النسبة لما أعطى الدليل العقلي والدليل الشرعي من نفي المماثلة.

فإذا تحققت ما قرّرناه تبينت أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع المتلفظ به المسمى قرآناً وتوراة وزبوراً وإنجيلاً، فحروفه تعين مراتب كلمه من حيث مفرداتها، ثم للكلمة من حيث جمعيتها معنى ليس لآحاد حروف الكلمة، فللكلمة أثر في نفس السامع، لهذا سميت في اللسان العربي مشتقة من الكلم وهو الجرح وهو أثر في جسم المكلوم، كذلك للكلمة أثر في نفس السامع أعطاه ذلك الأثر استعداد السمع لقبول الكلام بوساطة الفهم لا بد من ذلك، فإذا انتظمت كلمتان فصاعداً سمي المجموع آية أي علامة على أمر لم يعط ذلك الأمر كل كلمة على انفرادها مثل الحروف مع الكلمة، إذ قد تقرّر أن للمجموع حكماً لا يكون لمفردات ذلك المجموع، فإذا انتظمت الآيات بالغاً ما أراد المتكلم أن يبلغ بها سمي المجموع سورة معناها منزلة ظهرت عن مجموع هذه الآيات لم تكن الآيات تعطي تلك المنزلة على انفراد كل آية منها، وليس القرآن سوى ما ذكرناه من سور وآيات وكلمات وحروف، فهذا قد أعطيتك أمراً كلياً في القرآن والمنازل تختلف فتختلف الآيات فتختلف الكلمات فيختلف نظم الحروف، والقرآن كبير كثير لو ذهبنا نبين على التفصيل ما أومأنا إليه لم يف العمر به، فوكلناك إلى نفسك لاستخراج ما فيه من الكنوز، وهذا إذا جعلناه كلاماً، فإن أنزلناه كتاباً فهو نظم حروف رقمية لانتظام كلمات لانتظام آيات لانتظام سور كل ذلك عن يمين كاتبة كما كان القول عن نفس رحماني فصار الأمر على مقدار واحد وإن اختلفت الأحوال، لأن حال التلفظ ليس حال الكتابة، وصفة اليد ليست صفة النفس، فكونه كتاباً كصورة الظاهر والشهادة، وكونه كلاماً كصورة الباطن والغيب، فأنت بين كثيف ولطيف، والحروف على كل وجه كثيف بالنسبة إلى ما يحمله من الدلالة على المعنى الموضوع له، والمعنى قد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً، لكن الدلالة لطيفة على كل وجه وهي التي يحملها الحرف وهي روحه والروح ألطف من الصورة.

ثم إن الله قد جعل للقرآن سورة من سوره قلباً وجعل هذه السورة تعدل القرآن عشرة أوزان وجعل لآيات القرآن آية أعطاها السيادة على آي القرآن، وجعل من سور هذا القرآن سورة تزن ثلثه ونصفه وربعه وذلك لما أعطته منزلة تلك السورة والكل كلامه، فمن حيث هو كلامه لا تفاضل، ومن حيث ما هو متكلم به وقع التفاضل لاختلاف النظم، فاضرع إلى الله تعالى ليفهمك ما أومأنا إليه فإنه المنعم المحسان.

وصل: كون القرآن نوراً بما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:

٢٥٨] وقوله: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] وقوله: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] وكل ما جاء في معرض الدلالة فهو من كونه نوراً لأن النور هو المنفر الظلم وبه سمي نوراً إذْ كان النور النفور.

وصل: وأما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للأمور والحقائق مثل قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقوله: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] وما أشبه ذلك مما يدل على مجرى الحقائق، ومثل قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وصل: وأما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الأدعية كلها.

وصل: وأما كونه رحمة فلما فيه مما أوجبه على نفسه من الوعد لعباده بالخير والبشرى مثل قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وكل آية رجاء.

وصل: وأما كونه هدى فكل آية محكمة وكل نص ورد في القرآن مما لا يدخله الاحتمال ولا يفهم منه إلا الظاهر بأوّل وهلة مثل قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقوله: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وأمثال هذه الآيات مما لا تحصى كثرة.

وصل: وأما كونه ذكراً فلما فيه من آيات الاعتبارات وقصص الأمم في إهلاكهم بكفرهم كقصة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس.

وصل: وأما كونه عربياً فلما فيه من حسن النظم وبيان المحكم من المشابه وتكرار القصص بتغيير ألفاظ من زيادة ونقصان مع توفية المعنى المطلوب في التعريف والإعلام مع إيجاز اللفظ مثل قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨] وقوله: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] كل ذلك في آية واحدة تحتوي على بشارتين وأمرين بعلم نافع وتبيين ببشرى من الله.

وصل: وأما كونه مبيناً فبما أبان فيه من صفات أهل السعادة وأهل الشقاء ونعوت أهل الفلاح من غيرهم كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى آخر الآيات، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ

﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] وآيات الأحكام وكل آية أبان بها عن أمر ليعرف فلهذا سماه بهذه الأسماء كلها وجعله قرآناً أي ظاهراً جامعاً لهذه المعاني كلها التي لا توجد إلا فيه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. كمل السفر الحادي والعشرون بكمال هذا الباب.

[السفر الثاني والعشرون]

الباب السادس والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل التحاور والمنازعة وهو من الحضرة المحمدية الموسوية

[الخفيف]

يَنْزِلُ اللّهُ أينما كُنَّا ... دون أسماء ذَاتِه الحُسْنَى
وَهْوَ نُورٌ والنورُ مظهرُه ... ولهذا أزاله عنَّا
فذواتُ الكيان مظلمةٌ ... وَهْيَ أدْنَى الدُّنُوّ لا أدْنَى
ثم حُزْنَاهُ صورةً شرفاً ... جملة الأمر نِعْمَ ما حُزْنَا
سَمِعَ الله صوْتَ سائله ... بالذي قد أراده منَّا
فلهذا نَكُونُهُ أبداً ... ولهذا عنا فما زُلْنَا
فإذا شاء أن يولّدنا ... في هُيُولَى وجوده أمْنَا
بَلْبَلَ البالُ في ذُرَى فَنَنٍ ... يُطْرِبُ الشَّرْبَ كلما غَنَّى
فظهرْنا به لنا فأبَى ... فاسْتَحلْنا عنَّا وما حُلْنَا

اعلم أيدك الله أن هذا المنزل خاصة دون غيره من المنازل ما فيه علم يظهر منه في الكون أو يدل عليه في العين أو في الاسم أو في الحكم إلا ولحكم الله من حيث هذا الاسم الذي هو الجامع لمراتب الألوهية فيه أي في ذلك العلم نظر من وجه ووجهين وثلاثة وأربعة وأكثر ولا تجد ذلك في غيره من المنازل، فسألت كم علم فيه؟ فرفع لي المنزل بكماله فرأيت فيه ثلاثة وعشرين علماً منصوباً، ونظرت إلى الألوهية في تلك الأعلام كلها فوجدت نظرها إليها من أربعين وجهاً، وقيل لي: ما جمعها إلا رسول الله ﷺ، ومن هذا المنزل كانت سيادته على جميع العالم، فمن ورثه فيه من أمّته حصل له من السيادة بقدره في هذه الجمعية، ومن هذا المنزل تعطى الحكمة لمن أخلص لله أربعين صباحاً، فهو يشهد الله في جميع أحواله كما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، ويتضمن هذا المنزل من المسائل معرفة ازدواج المقدمات للإنتاج وعلم منازعة المرسل إليه للرسول ﷺ مع إيمانه به وبما جاء به من عند الله، فيرجع خصماً في هذا المنزل، ويتولى الله الحكم بين الرسول والمرسل إليه مع علمه بأن الرسول لا ينطق عن الهوى، وأنه يبلغ عن الله ما أرسله به، ومع هذا كله يدعى عليه في نفس ما جاء به، فيرتفع إلى الله ليحكم بينهما وهو من أصعب العلوم في التصوّر لوجود الإيمان والتصديق به من الخصم.

وفيه علم من ترك خلفه ما شرع له أن يكون أمامه، وفيه علم الانتساب أعني انتساب

الفروع إلى أصولها ومن ألحق فرعاً بغير أصله ما حكم الله فيه من طريق الكشف، وفيه علم ظهور الباطل بصورة الحق والباطل عدم لا وجود له والصورة موجودة فهي حق فأين عين الباطل الذي ظهر والصورة إنما هي للحق، وما الستر الذي بين العقل والحق حتى يستره الباطل بصورة الحق، وعلم الفرق بين الخاطر الأوّل والخاطر الثاني وأنه غير مؤاخذ بالخاطر الأوّل مؤاخذ بالخاطر الثاني والثاني عين صورة الأوّل فلماذا لم يصدق في الثاني في بعض الأمور كما يصدق في الأوّل؟ فهل ذلك لمرتبة الثاني؟ فإن الثاني مما زاد في مراتب العدد أصله عدم والأوّل وجود وبالأوّل ظهر من الأعداد ما ظهر مما هو ظهر لها، وفيه علم إلحاق من استرقه الحجاب من الأمثال بالحريّة لمن قلب الحقائق في نظره فألحق الأمور بغير مراتبها والفروع بغير أصولها، وفيه علم السبب الإلهيّ الذي لأجله كان هذا، وفيه إضافة علم الأذواق إلى الله تعالى وهو شعور بالعلم بها من غير ذوق فأي نسبة إلهية أعطت مثل هذا الحكم في العلم الإلهيّ مثل قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] وهو يعلم فهذا هو علم الذوق، وفيه علم مقدار إقامة الصفة التي لا تقبل المثل بالعبد لإزالة رفع هذا الواقع من هذا الشخص الذي أنزل الخلف منزلة الأمام في غير موضعه فخلط بين الحقائق وتخيل هذا أن قول النبي ﷺ: «**إنّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي**» أنه برؤيته صار أماماً فإنما جعل له حكم النظر كما هو للأمام، والأمام أمام والخلف خلف، فإن عجز عن اللبث تحت قدر حكم هذه الصفة العديمة المثل فلم يكشف غلطه ولا رأى الحق لعجزه عن القيام بهذه المدة التي تفنى فيها نفسه حصل في علم آخر في هذا المنزل مجاور لهذا يطلبه بحياة أنفس معدودين موفين له بالصفة التي كان يفني نفسه فيها، فظهر شرف نفسه على غيره حيث قام جماعة من أمثاله مقام نفسه مع الاشتراك في الصورة والمقام والحال، وقد بين الله الفرقان بينهما وجعل حق النفس على نفسها أعظم من حقوق أمثالها عليه بلغت ما بلغت، فأدخل قاتل أنفس الغير في المشيئة من غير قطع بالمؤاخذة، فهو بين العفو والمؤاخذة مع تعلق حقوقهم به، وجعل قاتل نفسه في النار بأن حرّم عليه الجنة لعظم حق نفسه على نفسه، وقد ورد: «**إنَّ حَقَّ الله أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى مِنْ حَقِّ الغَيْرِ**» فجعل كذلك حق النفس . وفيه علم السبب الذي لأجله رتب هذه الحقوق هكذا وجعل لها هذه الحدود الإلهية، وفيه علم صفة عذاب من يستر الحق عن أهله إذا توجه عليه كشفه لهم بالإيجاب الإلهي وفيه علم من عدل عن الحق بعد إقامة البينة عليه المقطوع بها ما الذي عدل به عن الحق وما حكمه في هذا العدول عند الله، وفيه علم عذاب أهل الحجب هل عذابهم بحجابهم أو بأمر آخر، وفيه علم الجمع للتعريف بالأعمال المنسية عندهم وغير المنسية ومن يتولى ذلك من الأسماء الإلهية، وفيه علم تعلق علم الله الذي لا تدركه الأكوان بما في العالم بطريق المشاهدة والمجالسة ثم تأخير التعريف بما كان من الأكوان من الأعمال إلى زمان مخصوص معين عند الله، وفيه علم النجوى الأخراوية والدنياوية، وفيه علم آداب المناجاة بين المتناجين وبماذا يبدأ من يناجي ربه أو أحداً من أهل الله، وفيه علم اتساع مجالس الذاكرين الله لكون الله جليسهم من الاسم الواسع، وفيه علم مراتب الإيمان من العلم

وأي الدرجات أرفع، وفيه علم المفلسين وما الذي أفلسهم مع ما عندهم من الموجود، وفيه علم رجوع الله على العبد متى رجع هل يختلف أو لا يختلف؟ ولماذا يرجع ذلك الاختلاف إن كان مختلفاً هل للراجع أو لحال المرجوع إليه؟ وفيه علم ما ينتجه التولي عن الذكر من الغضب الإلهيّ، وفيه علم ما يغني وما لا يغني وفيه تفرق الأحزاب من أيّ حقيقة تفرقوا من الحقائق الإلهية، وفيه علم الوجوب الإلهيّ بماذا تعلق، وفيه علم من ترك أحبّاءه لماذا تركهم وما حليتهم وصفتهم؟ وفيه علم البقاء والفوز والنجاة، وكل علم من هذه العلوم الإلهية من الاسم الله لا من غيره من الأسماء، ولا تجد ذلك إلا في هذا المنزل خاصة فإنه منزل مخصوص بحكم الله دون سائر الأسماء مع مشاركة بعض الأسماء فيه، فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم عيّناها لك لترتفع الهمة منك إلى نيلها فتح مكاشفة من الله.

ثم نرجع إلى الكلام على بعض ما يحوي عليه هذا المنزل فنقول: إن الله قال في كتابه إنه وضع الميزان ليظهر به إقامة العدل في العالم بصورة ظاهرة محسوسة ليرتفع النزاع بين المتنازعين لوجود الكفتين المماثلة للخصمين ولسان الميزان هو الحاكم، فإلى أية جهة مال حكم لتلك الجهة بالحق، وإن هو بقي في قبته من غير ميل إلى جهة إحدى الكفتين علم أن المتنازعين لكل واحد منهما حق فيما ينازع فيه فيقع له الإنصاف لما شهد له به حاكم لسان الميزان فارتفع الخصام والمنازعة والحاكم لا يكون خصماً أبداً، فإن نوزع فما ينازعه إلا من عزله من الحكم أو من جهل أنه حاكم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**عِنْدَ نَبِيٍّ لا يَنبَغِي تَنَازُعٌ**» أي لا يكون نزاع مع حضوره أو تمكن الوصول إلى حضوره، فإذا فقد ظهر النزاع وادعى كل واحد من الخصماء أن الحق بيده، فلو أن الله يفتح عين بصائر الخصماء لمشاهدة الحق ويعلمون أنه بالمرصاد وهو الحاكم وبيده الميزان يرفع ويخفض لم يصح نزاع في العالم، فدل وقوعه أن الكل في حجاب عن الحاكم صاحب الوزن والميزان، فإذا رأيت من ينازع في العالم فتعلم أنه في حجاب عن الله، فإن نازع أحدهما ولم ينازع الآخر بل سكت عنه فتعلم أن الساكت عنه إما صاحب شهود أو صاحب خلق، فإن كان النزاع في تعدي حد إلهيّ فالمنازع في ذلك صاحب أدب إلهيّ أو متصوّر بصورة صاحب أدب إلهيّ وهو المرائي لكنه خير بالجملة، فصاحب الأدب الإلهيّ ما هو منازع وإنما هو ترجمان منازع، والمترجم عنهم هم الأسماء الإلهية التي منها نشأ النزاع في العالم، ومن أجلها وضع الميزان الشرعي في الدنيا والميزان الأصلي في الآخرة، فإن المعز والمذل خصم، والضارّ والنافع خصم، والمحيي والمميت خصم، والمعطي والمانع خصم، وكل اسم له مقابل من الأسماء في الحكم والميزان الموضوع بين هذه الأسماء الاسم الحكم والميزان العدل في القضاء، فينظر الحكم استعداد المحل فيحكم له بحسب استعداده فيجعله في حزب أحد الاسمين المتقابلين المتنازعين، فإذا علمت وضع الموازين على اختلاف صورها في المعنى والحس كنت أنت عين الحاكم بها وصحت لك النيابة عن الله في كون الميزان بيدك تخفض وترفع، غير أن الفارق بينك وبين الله في الوزن أن الله يرفع بالمشيئة ويخفض بالمشيئة، وأنت لا أثر لمشيئتك

في الوزن وإنما تزن لمن ترى الحق بيده، فأنت صاحب علامة تعرف صاحب الحق فتزن له والحق صاحب مشيئة. وهنا سرّ يخفى عن بعض العارفين وهو أن المشيئة تعين بالميزان إذا رفعت أو خفضت أن استعداد المحل أعطى ذلك، كما أن وجود الحق في نفس الأمر أعطى لصاحب العلامة أن يزن له لعلمه بأن الحق له، كما علم الحق تعالى أن استعداد هذا المحل أعطاه الوزن له ولا أثر للمشيئة في الاستعداد بما هو استعداد، وإنما أثرها في تعيين هذا المحل الخاص لهذا الاستعداد الخاص، إذ يجوز أن يكون لغيره لا يجوز أن تزول حقيقة الاستعداد ولا أن تنقلب مثل ما نقول في علم الطبيعة أن الحرارة لا تنقلب برودة لكن الحار ينقلب بارداً من جهة كونه محلاً وعيناً لا من جهة كونه حاراً ولا بارداً، فالاستعداد الذي هو كذا لا ينقلب للاستعداد الذي هو كذا، وإنما المحل القابل لهذا الاستعداد المعين قابل لغيره من الاستعدادت، فالمشيئة خصصته بهذا الاستعداد دون غيره ما خصصت الاستعداد، فإني رأيت جماعة من أصحابنا غلطوا في هذه المسألة ورأوا أن المشيئة لا أثر لها في هذا المحل لما يعطيه استعداد ذلك المحل، إذ لا أثر لها في الاستعداد؛ والأمر على ما بيناه إن عقلت.

فمن مسائل هذا الباب: أن ميزان الطبيعة نازع الميزان الإلهي الروحانيّ لما علمت أن ميزانها ما هو بجعل جاعل وذهلت أن ظهور ميزانها في شيء معين إنما هو بجعل جاعل وهو الميزان الإلهيّ فلما نازعت الطبيعة بميزانها الميزان الإلهيّ الروحاني ونازعها الميزان الروحاني الإلهي وهو الأقوى وله الحكم، وما وقع الخصام إلا من الطبيعة لأنها ما رضيت بذلك الميزان ولا بالوزن، فارتفعت إلى الله تطلب منه أن يحكم بينها وبين الميزان الروحاني، ويحكم بينها وبين الروح المتوجه عليها بالنكاح الروحاني النوري لظهور الأجسام الطبيعية والأرواح الجزئية الإنسانية وغير الإنسانية، إذ كان كل جسم في العالم مقيداً بصورة روح إلهي يلازم تلك الصورة به تكون مسبحة لله، فمن الأرواح ما تكون مدبرة لتلك الصورة لكون الصورة تقبل تدبير الأرواح وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة والموت، فإن لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير، فإذا ظهرت صورة طبيعية تقبل التدبير ظهرت لها نفس جزئية مدبرة لها كانت الصورة بمنزلة الأنثى والروح المدبر لها بمنزلة الذكر، فكانت الصورة له أهلاً وكان الروح لتلك الصورة بعلاً، وهذا الأرواح الجزئية متفاضلة بالعلم بالأشياء، فمنهم من له علم بأشياء كثيرة، ومنهم من لا يعلم إلا القليل، ولا أعلم بالله من أرواح الصور التي لا حظ لها في التدبير لكون الصورة لا تقبل ذلك وهي أرواح الجماد ودونهم في رتبة العلم بالله أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان، وكل واحد من هؤلاء الأصناف مفطور على العلم بالله والمعرفة به، ولهذا ما لهم هم إلا التسبيح بحمده تعالى ودون هؤلاء في العلم بالله أرواح الإنس. وأمّا الملائكة فهم والجمادات مفطورون على العلم بالله لا عقول لهم ولا شهوة، والحيوان مفطور على العلم بالله وعلى الشهوة، والإنس والجن مفطورون على الشهوة والمعارف من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم، وجعل الله لهم العقل ليردوا به الشهوة إلى الميزان الشرعي ويدفع عنهم به منازعة الشهوة في غير المحل

المشروع لها لم يوجد الله لهم العقل لاقتناء العلوم، والذي أعطاهم الله لاقتناء العلوم إنما هي القوّة المفكرة، فلذلك لم تفطر أرواحهم على المعارف كما فطرت أرواح الملائكة وما عدا الثقلين.

ولما تفاضلت مراتب الإنس في العلم بالأشياء أراد بعض الأرواح أن يلحق حكم الصورة التي هو مدبر لها بحكم الطبيعة التي وجدت عنها تلك الصورة وتنزلها منزلتها في الحكم وهي لا تنزل منزلتها أبداً فقال له المعلم: هذا الذي رمته محال فإن الصورة لا تفعل فعل الطبيعة فإنها منفعلة عنها، وأين رتبة الفاعل من المنفعل؟ ألا ترى النفس الكلية التي هي أهل للعقل الأوّل؟ ولما زوج الله بينهما لظهور العالم كان أوّل مولود ظهر عن النفس الكلية الطبيعية، فلم تقو الطبيعة أن تفعل فعل النفس الكلية في الأشياء لأن الجزء ما له حكم الكل والكل له حكم الجزء لأنه بما يحمله من الأجزاء كان كلاً، فلما عجز هذا الروح الجاهل عن إلحاق الصورة بالطبيعة التي هي أم له قال: لعل ذلك لعجزي وقصوري عن إدراك العلم في ذلك، فيعود في طلب ذلك من الله إلى الله، فطلب من الله أن ينفعل عن الصورة ما ينفعل عن الطبيعة، فوجد القوابل التي تؤثر فيها الصورة غير قابلة لما تقبله الصور التي لها قبول أثر الطبيعة، والحق سبحانه لا يعطي الأشياء كما تقدم إلا بحسب استعداد المعطي إياه إذ لا يقبل ما لا يعطيه استعداده، فلما تبين لهذا الروح خطؤه من صوابه وعلم أنه نفخ في غير ضرم طلب الوقوف مع صورته بحسب ما يعطيه استعدادها فقبل الوصول إلى إبراز ما يلقى منه إلى الصور لإظهار عين ما من أعيان الممكنات المعنوية والحسية أو الخيالية ظهر له في فتوح المكاشفة بالحق لا في فتوح الحلاوة ولا في فتوح العبارة ثلاث مراتب: مرتبة الحرية وقد تقدم بابها وهي التي تخرجه عن رق الأكوان لأنه كان قد استرقه هذا الطلب الذي كان عن جهله بالأمور وكان الله أعلم بذلك أنه لا يقع ولا علم له بما في علم الله ولا بما هو الأمر عليه، فإن اتصف بهذا المقام وظهر بهذه الحال مكنه الله من مراده ووهبه قوّة الإيجاد، وإن عجز عن الاتصاف بهذا المقام فهو بحالة أعجز، فإن الحال موهبة إلهية والمقام مكتسب، فعدل عند ذلك إلى المرتبة الثانية وهي على الترتيب في الحكم والشهود فقام له الحق في التجلي الصمداني فإن قدر على النظر إليه فيه وثبت لتجليه ولم يك جبلياً فيصير دكاً ولا موسوياً فيصعق كان له ما طلب من الله من الانفعال عن صورته ما يعطيه استعدادها إذا أمكنه الله من الحكم فيها، فإن كان موسوياً أو جبلياً لم يثبت لذلك التجلي المفني من يطلب باستعداده الفناء، والمهلك من يطلب باستعداده الهلاك، قامت له مرتبة إمساك الحياة على العالم القابل للموت فوجده في رتب على عدد درجات التجلي الصمداني فإنه موت أو إمساك حياة، فإن اعتنى الله به وأعطاه القوّة على ذلك تصرف في صورته كيف شاء، وإن لم يعط القوّة على ذلك وعجز، فإن كان عجزه عن شهود إلهي أعطاه التصرف في صورته، وإن كان عجزه من خلف حجاب نفسه منع من التصرف إذ ليست له قوّة إلهية يتصرف بها.

فهذا قد ذكرنا من ذوق رجال هذا المنزل في هذا المنزل ما بيناه ويطول الشرح لما

يحمله كل منزل، وهذا منزل ليس في المنازل له شبيه ولا مقاوم وهو من أقوى المنازل منه يقع الإخلاص للنطق بالحكمة بعد الأربعين لمن أخلص من عباد الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل المُدِّ والنصيف من الحضرة المحمدية

[الكامل]:

الابْتِدَاعُ شَرِيعَةٌ مَرْعِيَّةٌ ... أثْنَى عليها اللّهُ في تَنْزِيلِهِ
هذا بغير حقيقةٍ قَدْ سَنَّها ... فمُشَرِّعُ المَسْنُون مِنْ تأويلِهِ
أَوْلَى بأن تُرْعَى ويُعْرَفَ قَدْرُها ... هذا هو المعروفُ مِنْ تَفْصِيلِهِ

اعلم أيدك الله أن من علوم هذا المنزل علم المفاضلة، والمفاضلة تكون على ضروب: مفاضلة بالعلم، ومفاضلة بالعمل، والمفاضلة بالعلم قد تقع بفضل المعلومات، وقد تكون بطريق الوصول إلى المعلوم، فواحد يأخذ علمه عن الله، وآخر يأخذ علمه عن كون من الأكوان، والذي يأخذ علمه عن الله يتفاضل، فمنهم من يأخذ عن سبب كالمتقي بتقواه، ومنهم من يأخذ عن الله لا عند سبب، ومن الأسباب الدعاء في الزيادة من العلم والمفاضلة في المعلوم، فعلم يتعلق بالأفعال، وآخر بالأسماء، وآخر بالذات، فبين العلماء من الفصل ما بين متعلقات هذه العلوم والكل علم إلهي، وكذلك المفاضلة بالأعمال قد تكون بأعيانها وبالأزمان وبالمكان وبالحال فتقدر في كل شيء بحسب ما تعطيه حقيقة ما وقع فيه التفاضل، فثم من يكون التقدير فيه بالمكيال والميزان إذا كان إنفاقاً أو وقع التشبيه فيه بالإنفاق كالعقل لما قسمه الله بين الناس بمكيال فجعل لواحد قفيزاً ولآخر قفيزين وقد يكون التقدير فيه بالمراتب والدرجات، والذي يحصر لك باب المفاضلة إنما هو العدد وبماذا يقع ما هو فيقال: بحسب ما يريده الواضع أو المخبر به ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] والنفقة بعد الهجرة لا يبلغ أجرها النفقة قبل الهجرة في أهل مكة، ولا في كل موضع يكون العبد مخاطباً فيه بالهجرة منه إلى غيره فيعمل فيه خيراً وهو فيه مستوطن، ثم يعمل خيراً بعد هجرته، فهذا الخير يتفاضل بقدر المشقة.

واعلم أن هذا المنزل يتضمن علوماً شتى أومأنا إلى تسميتها في آخره لتعرف فتطلب، وهذا المنزل من منازل التنزيه الذي ذكرناه في أوّل هذا الكتاب عند ذكرنا منزل المنازل وهو تنزيه نصف العالم، ونصف محل وجود أعيان العالم من مقام العزة الحاكمة على الكل بالقهر والعجز عن بلوغ الغاية فيما قصدوه من الثناء على الله مثل قول رسول الله ﷺ: «**لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**» ما قال ذلك حتى عجز عن بلوغ الغاية التي في نفسه طلبها، فلم تف الجوارح بذلك ولا ما عندنا من الأسماء الإلهية، فإنه ما يثنى عليه عز وجل إلا بأسمائه الحسنى ولا يعلم منها إلا ما أظهر، ولا يثنى عليه إلا بالكلام بتلك الأسماء وهو الذكر، ولا يكون إلا منه

لا بالوضع منا، فإنه لا يجوز عندنا أن يسمى إلا بما سمى به نفسه، فلا يثنى عليه إلا بما أثنى على نفسه إلا القاضي أبو بكر بن الطيب فإنه ذهب إلى جواز تسميته بكل اسم لا يوهم صفة الحدوث، فالعالم كله تحت قهره وفي قبضته، يحيي بشهوده وتجليه إذا شاء أو لمن شاء، ويميته باحتجابه وستره إذا شاء أو في حق من شاء، ولكن ما لم يتجل لشخص تجلياً يعلم أنه هو غير مقيد، فإذا تجلى في مثل هذا فلا حجاب بعد هذا التجلي فله الحياة الذاتية بشهوده، فلا يموت أبداً موت الحجاب والستر، فإن لم يتجل له وهو متجل أبداً ولكن لا يعرف فالمحجوب بجهله به ميت، فإن حياة العلم يقابلها موت الجهل وبالنور يقع حصوله كما بالظلمة يكون الجهل في حكمه، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فقد وصفه بالموت ثم بالحياة لمن أحياه، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] به يشهده فليس مثله كمن مثله في الظلمات وإن كان حياً وهو الحي يعلم الغيب في الغيب الذي يحكم عليه به الاسم الباطن، فإن لم يكن حياً يعلم فتلك الظلمة المحضة والعدم الخالص، ولله سبحانه الاقتدار على كل ما ذكرناه.

أخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جعلني في ذلك على بينة من ربي بشهودي إياه لما ألقاه من الوجود في قلبي أن اختصاص البسملة في أوّل كل سورة تتويج الرحمة الإلهية في منشور تلك السورة أنها تنال كل مذكور فيها فإنها علامة الله على كل سورة أنها منه كعلامة السلطان على مناشيره فقلت للوارد: فسورة التوبة عندكم، فقال: هي والأنفال سورة واحدة قسمها الحق على فصلين، فإن فصلها وحكم بالفصل فقد سماها سورة التوبة أي سورة الرجعة الإلهية بالرحمة على من غضب عليه من العباد فما هو غضب أبد لكنه غضب أمد والله هو التوّاب، فما قرن بالتواب إلا الرحيم ليؤول المغضوب عليه إلى الرحمة أو الحكيم لضرب المدة في الغضب وحكمها فيه إلى أجل فيرجع عليه بعد انقضاء المدة بالرحمة؛ فانظر إلى الاسم الذي نعت به التواب تجد حكمه كما ذكرناه، والقرآن جامع لذكر من رضي عنه وغضب عليه وتتويج منازله بالرحمن الرحيم والحكم للتتويج، فإن به يقع القبول وبه يعلم أنه من عند الله، هذا إخبار الوارد لنا، ونحن نشهد ونسمع ونعقل لله الحمد والمنة على ذلك، ووالله ما قلت ولا حكمت إلا عن نفث في روع من روح إلهيّ قدسيّ علمه الباطن حين احتجب عن الظاهر للفرق بين الولاية والرسالة والولاية لها الأوّلية، ثم تنصحب وتثبت ولا تزول، ومن درجاتها النبوة والرسالة فينالها بعض الناس ويصلون إليها وبعض الناس لا يصل إليها، وأمّا اليوم فلا يصل إلى درجة النبوّة نبوّة التشريع أحد لأن بابها مغلق والولاية لا ترتفع دنيا ولا آخرة، فللولاية حكم الأوّل والآخر والظاهر والباطن بنبوّة عامة وخاصة وبغير نبوّة، ومن أسمائه الوليّ، وليس من أسمائه نبيّ ولا رسول، فلهذا انقطعت النبوّة والرسالة لأنه لا مستند لها في الأسماء الإلهية ولم تنقطع الولاية فإن الاسم الولي يحفظها.

ثم إن الله تعالى قدر الأشياء علماً ثم أوجدها حكماً وجعلها طرفين وواسطة جامعة

للطرفين لها وجه إلى كل طرف في تلك الواسطة البرزخية إنشاء الإنسان الكامل، فجمع بين التقدير وهو العام وبين الإيجاد وهو خاص مثل قوله: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] فهو أحسن الخالقين تقديراً وإيجاداً، وهذه مسألة غير مجمع عليها من أهل النظر فإنه من لا يرى الفعل إلا الله، ثم يفرق بين الحق والخلق بأن يجعل للخلق وجوداً في عينه وللحق وجوداً في عينه لم يقل ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] إلا تقديراً لا إيجاداً ومن أهل الله من يرى ذلك ولكن لا يرى أن في الوجود إلا الله وأحكام أعيان الممكنات في عين وجوده، وهذا هو النظر التام الذي لا ينال بالفكر ولكن ينال بالشهود وهو قول النبيّ ﷺ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» فمن عرف نفسه أنه لم تزل عينه في إمكانها عرف ربه بأنه الموجود في الوجود، ومن عرف أن التغييرات الظاهرة في الوجود هي أحكام استعدادات الممكنات عرف ربّه بأنه عين مظهرها، والناس بل العلماء على مراتب في ذلك، فلما أوجد العالم طرفين وواسطة جعل الطرف الواحد كالنقطة من الدائرة، وجعل الطرف الآخر كالمحيط للدائرة، وإنشاء العالم بين هذين الطرفين في مراتب ودوائر، فسمى المحيط عرشاً وسمى النقطة أرضاً وما بينهما دوائر أركان وأفلاك جعلها محلاً لأشخاص أنواع أجناس ما خلق من العالم وتجلى سبحانه تجلياً عاماً إحاطياً وتجلى تجلياً خاصاً شخصياً، فالتجلي العام تجلٍّ رحماني وهو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] والتجلي الخاص هو ما لكل شخص شخص من العلم بالله، وبهذا التجلي يكون الدخول والخروج والنزول والصعود والحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتجاوز ومن يكون بحيث محله، وميز العالم بعضه عن بعض بالمكان والمكانة والصورة والعرض، فما ميزه إلا به فهو عين ما تميز وعين ما تميز به فهو مع كل موجود حيث كان بالصورة الظاهرة المنسوبة لذلك الموجود يعلم ذلك كله العلماء بالله من طريق الشهود والوجود، فمما ميز الغيب من الشهادة فجعل الشهادة عين تجليه وجعل الغيب عين الحجاب عليه فهو شهادة للحجاب لا للمحجوب، فمن كان حجابه عين صورته والحجاب يشهد ما وراءه فالصورة من الكون تشهده، والمحجوب بصورته عن وجود الحق محجوب، فهو من حيث صورته عارف بربه مسبح بحمده، ومن حيث ما هو غير صورة أو من خلف الصورة محجوب إما بالصورة أو بشهود نفسه، فإن رزقه الله شهود نفسه فقد عرفها فيعرف ربه بلا شك فيكون من أهل الصدور الذين أعماهم الله بشهوده عن شهودهم كما قال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ وهي أعيان البصائر ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أي في الرجوع بعد الورود فهو ثناء، فإنه لا يصدر إلا بما شاهد في الورود للقوّة الإلهية التي أعطاه الله إياها، فمن جمع بين العلمين وظهر بالصورتين فهو من أهل العلم بالغيب والشهادة وهو بكل شيء عليم.

وصل: ومن هذا المنزل حكم الاسم الإلهيّ الوارث وهو حكم عجيب لأنه ينفذ في السموات وفي الأرض، ونفوذه في ذلك دليل على خراب السموات والأرض وهو قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فكما كان في أول الخلق أن الأرض خلقت قبل السماء كما قدمناه في ترتيب وجود خلق العالم، كذلك لما وقع التبديل ابتدأ

بالأرض قبل السموات، فوقف الخلق على الجسر دون الظلمة وبدل الأرض غير الأرض لا في الصفة، فلو كان في الصفة ما ذكر العين، ولا يكون وارث إلا من مالك متقدم يكون ذلك الموروث في ملكه فيموت عنه فيأخذه الوارث بحكم الورث، وقد أخبر الله أن له ميراث السموات والأرض، فلا يرثها إلا الاسم الوارث لا يكون غير هذا، ولو لم يكن لها مالك إلا المتصرف فيها وهي الأسماء الإلهية التي لها التصرف، فإذا انقضت مدتها بالحكم فيها ما دامت على هذه الصورة والنظم الخاص وكانت المدبرة لها، فلما زال تدبيرها وانقضى حكمها الخاص لانقضاء أمد مدة القبول لذلك سمي هذا الزوال موتاً وصارت هذه الأعيان ورثاً فتولاها الاسم الوارث، فأزال حكم ما كانت عليه فبدل الأرض غير الأرض والسموات حتى لا تعرف الأرض ولا السماء موجداً لها إلا هذا الاسم، ولو بقي عين الأرض والسماء لتقسمت وذكرت من كانت ملكاً له من الأسماء قبل هذا فربما حنت إليه والأسماء الإلهية لها غيرة، لأن المسمى بها وصف نفسه بالغيرة فتعلق حكمها بالأسماء لتعلقها بالمسمى، والغيرة مأخوذة من شهود الأغيار، وكل اسم إلهيّ يريد الحكم له وانفراد المحكوم عليه إليه لا يلتفت إلى غيره، فبدل الأرض والسماء في العين، فلم تعرف هذه الأرض ولا السماء إلا هذا الاسم الوارث خاصة، فزالت الشركة في العبادة وظهر التوحيد، وحكم المال الموروث ما هو مثل حكم المالك الأصلي، فإن حكم الوارث حكم الواهب، وحكم المالك الأصلي الموروث عنه حكم الكاسب، فتختلف الأذواق فيختلف الحكم فيختلف التصريف، فالكاسب حاله ينزل بقدر ما يشاء لأنه في موطن تكليف وانتظار سؤال وحساب ومؤاخذة، فهو حفيظ لهذه المراتب التي لا بد منها، وحكم الوارث يعطى بغير حساب وينزل بلا مقدار، لأن الآخرة لا ينتهي أمدها، فتكون الأشياء فيها تجري إلى أجل مسمى، فينزل بقدر ما يشاء لأجل ذلك الأجل والدنيا لأمور فيها تجري إلى أجل مسمى وينقضي أمدها فينزل فيها مالكها بقدر معلوم مساوٍ لمدة الأجل، فلو أعطى بغير حساب لزاد على الأمد أو نقص فتبطل الحكمة، فحكم الوارث حكم الوهاب، وحكم المالك الموروث عنه حكم المقدر المقيت، ألا تسمع إلى قوله في خلق هذه الأرض الأولى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] فجعلها ذات مقدار فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإذا استكملت رزقها ذهب حكم الرازق منها من كونه رازقاً في هذه المدة الخاصة، وبقي الرزاق ينظر إلى حكم الوارث ما يقول له، فيقول الوارث له: ارزق بغير قدر ولا انتهاء مدة، ألا ترى أن الله قال للقلم: اكتب في اللوح علمي في خلقي إلى يوم القيامة؟ فضرب له الأمد لانقضاء مدة الدنيا وتناهيها، ولا يصح أن يكتب علمه في خلقه في الآخرة لأنه لا ينتهي أمدها، وما لا ينتهي لا يحويه الوجود والكتابة وجود فلا يصح أن يحصرها لانفصاله فإنه انتهاء ما لا ينتهي وهذا خلف، فيرجع حكم الأسماء التي كانت تحكم على الأشياء في الدنيا تحكم فيها في الآخرة بحسب ما يرسم لها الاسم الوارث، فمن حاز معرفة الأسماء الإلهية فقد حاز المعرفة بالله على أكمل والوجوه.

وهذا المنزل يتضمن علوماً جمة: منها علم تنزيه العالم العلوي بما هو محصور في أين

وتنزيه أين العالم السفلي ومحله لا تنزيهه، وعلم الترتيب والمنازل والمراتب التي لا يمكن أن يوصل إليها ذوقاً ولا حالاً، وعلم أصناف الحياة وضروب الموت المعنويّ والحسيّ ومن يقبل ذلك ممن لا يقبله، وعلم الأضداد هل يجمعها عين فتكون الأضداد عيناً واحدة أو هي الأحكام لعين واحدة تطلبها النسب، وعلم حكم الزمان في الإيجاد الإلهي هل حكمه في ذلك لذاته أعني لذات الزمان أو هو بتولية يمكن عزله عنها؟ ومن هنا يعلم الاسم الإلهي الدهر، وعلم الأموات التي توجب المهلة وعدم المهلة فيحكم على الحق في الأشياء بحسب الأداة فيقدم إن اقتضت الأداة التقديم ويؤخر إن اقتضت الأداة التأخير، وعلم الملك بطريق الإحاطة، وعلم النكاح الذي يكون عنه التوالد من النكاح الذي لمجرد الشهوة من غير توالد، وعلم مشاهدة الحق إيانا بماذا يشهدنا هل بذاته أو بصفة تقوم به؟ وعلم ما يظهر من الغيب للشهادة وما لا يظهر، وعلم رجوع الشهادة إلى الغيب بعدما كان شهادة بحيث أن لا يبقى في الخيال مثال منه فيمن من شأنه أن يتخيل، وعلم النور المنزل في ظلمة الطبيعة هل يبقى على صفائه أو يؤثر فيه ظلام الطبيعة فيكون كالسدفة، وعلم الإيمان بالمجموع هل يقبل الإيمان الزيادة والنقص أو لا يقبل؟ وعلم المفاضلة على اختلافها وكثرتها، وعلم الربا المحمود المشروط في المعاملة وما معنى قول النبيّ ﷺ: «**لَمْ يَكُنِ الله لِيَنْهَاكُمْ عَنِ الرِّبَا وَيَأْخُذهُ مِنْكُمْ**» فاعلم أنه لا يأخذه منا ويعطينا إياه ويجوز اشتراطه في معاملة الحق دون الخلق في زمان مخصوص، وعلم من ينسب إليه المشي من غير أن يكون موصوفاً بأن له المشي، وعلم نطق من ليس من شأنه في رتبة الحس أنه يتكلم، وعلم ردّ الأعمال على العاملين، وعلم البرزخ الذي بين الرحمة والغضب الإلهي فلا يكون لواحد حكم يستقل به في الموجود ما حكم ذلك البرزخ وهل له عين موجودة في نفس الأمر أو هو نسبة لها وجهان في الحكم؟ وعلم ما الذي قعد بالثقلين عن النهوض إلى ما فيه سعادتهم بعد إبانة الله طريق السعادة على ألسنة المخبرين عن الله، وعلم الموطن الذي يقوم البدل فيها في الحكم مقام المبدل منه من الموطن الذي لا يقبل ذلك مع كونه يقبل التبديل لذاته، وعلم المدد ولماذا يرجع عددها المحكوم عليها به هل لعين المدة فيقبل العدد كالأشخاص في النوع الواحد أو هل تختلف المدد لذواتها؟ وعلم ما يحصل من الأثر فيمن هو تحت حكم المدة من قصرها وطولها، وعلم اختلاف الأحكام على الأعيان هل تختلف لاختلاف استعداد الأعيان باختلاف الأوقات؟ أو هل تختلف باختلاف الأسماء الحاكمة؟ وعلم مراتب العبيد من الأحرار وما لكل واحد من الصنفين من الله، وعلم الفرق بين الصديقية والشهادة ومن أي مقام نال السرّ أبو بكر الذي فضل به غيره؟ وعلم مراتب النار ولماذا تنوعت الأسماء عليها وما لكل اسم من الأصناف الذين يدخلونها، وعلم الفرقان بين النشأتين والحياتين، وعلم السبب الذي ثَبَّطَ قوماً وأسرع آخرين والفرق بين السرعة والسبق، وعلم الموطن الذي يقوم به الواحد مقام الكثير، وعلم القضاء السابق على الحكم الواقع بالسورة، وعلم اتصاف الحق باليسر دون العسر وما هو الأصعب عنده من الأهون إذ كان هو الفاعل للأمرين؟ وعلم مقام إزالة العبد من حكم الصفتين المتقابلتين فلا وصف له

كأبي يزيد، وعلم ما يؤدّي شهوده إلى أن لا يحب الشيء نفسه الذي من شأنه أن يتصف بالحب، وعلم المنع الإلهيّ لما يرجع، وعلم المنافع والمضار المحسوسة والمعنوية، وعلم الرسالة والرسل، وعلم الاختراع والتدبير، وعلم من له من كل شيء زوجان، وعلم العناية الإلهية هل حكمها في الفرع مثل حكمها في الأصل أم لا؟ فهذا حصر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم وفي كل علم علوم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل ذهاب المركبات عند السبك إلى البسائط وهو من الحضرة المحمدية

هذا المنزل يعصم الدخول فيه من الموت ما دمت فيه وهو منزل عجيب: [البسيط]

إنَّ الـمُـقَـرَّبَ ذو رَوْحٍ ورَيْـحـانِ ... في جنَّة الخُلْدِ من نُعْمَى وإحْسَانِ
مُـنـعَّـمٌ بـعـذاب الـنـار تُـبْـصِـرُهُ ... يُـسَـبِّـحُ الـلَّـهَ مـن عـلـم وإيـمـانِ
بـنـشـأةٍ مـا لـهـا حَـدٌّ فـتـبـلـغـه ... مُـنَـزَّه الـحـكـم عـن نَـقْـص ورجْـحَـانِ

من هذا المنزل تكون الوقائع للفقراء وهي المبشرات والرؤيا الصادقة ما هي بأضغاث أحلام، وهي جزء من أجزاء النبوة، ومن هذا المنزل يحصل للمكاشف كشف الميزان الذي بيد الحق الذي يخفض به ويرفع.

اعلم أن التحليل إذا ورد على المركبات أذهب عين الصورة ولم يذهب عين الجوهر، وجعله الله مثالاً للعارفين بالله فيما يظهر من تركيب أعيان الممكنات بعين الحق، فيظهر في عين الحق ما يظهر من الصور، فإذا رفعت التناسب بين الحق والخلق ذهبت أعيان تلك الصور وبقيت أعيان الممكنات وعين الحق من حيث ما هو موصوف بالغنى عن العالمين، فلم تذهب الأعيان لذهاب الصور الظاهرة للحس.

واعلم أن الصور الظاهرة من الحق على ثلاث مراتب، فإن للحق في العالم ثلاثة أوجه: إذ وصف نفسه بأن له يدين قبض بهما على العالم، وأظهر النبي ﷺ ذلك في الكتابين اللذين خرج بهما على أصحابه في الواحد أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم، وفي الآخر أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم، ولم يخرج لأهل الله وخاصته كتاباً ثالثاً فإن كتابهم القرآن، قال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**» ومنزله ما بين اليدين فلهم القلب والصدر الذي هو محله وحضرته، وذلك هو مقام أهل القرية الذين هم خصوص في السعداء أورثهم ذلك المسابقة إلى الخيرات على طريق الاقتصاد من إعطاء كل ذي حق حقه، فانقسم العالم لانقسام الوجوه على ثلاثة أقسام، لكل يد قسم صنف خاص ولما بينهما صنف خاص، ولأصناف الأيدي مرتبة العظمة والهيبة، فأما اليد الواحدة فالصنف المنسوب إليها عظيم الشأن في نفسه عظمة ذاتية له، والصنف الآخر عظيم المرتبة ليست عظمته ذاتية فيعظم لرتبته لا لنفسه، كأصحاب المناصب في الدنيا إذ لم يكونوا أهل فضل في نفوسهم فيعظمون لمنصبهم، فإذا عزلوا زال عنهم ذلك التعظيم الذي

كان في قلوب الناس لهم، فهذا الفرق بين الطائفتين، فصنف من أهل الله يظهرون في العالم بالله، وصنف آخر يظهرون في العالم لله، والصنف الذي بين اليدين يظهر بالمجموع وزيادة، فأما الزيادة فظهورهم بالذات التي جمعت اليدين وهم أصحاب الهرولة الإلهية في أحوالهم التي سارعوا بها في موطن التكليف، وأصحاب اليدين أصحاب الذراع والباع الإلهيّ لما ظهروا في موطن التكليف عند تعين الخطاب بالشبر والذراع فوقعت المفاضلة ليقع التمييز في المرتبة فيقول صنف ما بين اليدين: [الرمل]

أنا مَنْ أهْوَى ومَنْ أهْوَى أنا

في مشاهدة دائمة لا تنقطع مراتبها وإن اختلفت أذواقها، فإن الله له عرش لا يتجلى في هذه الصورة الدائمة إلا لأصحاب هذا العرش، وهم أهل العرش وهم أهل الوجه، ينظر بعضهم إلى بعض في هذا التجلي، فيكسو بعضهم بعضاً من الأنوار التي هم عليها مع كونهم في حال التجلي والنظر، وما ثم موطن يجمع بين تجلي الحق ورؤية الخلق في غير حضرة الخيال والمثال إلا موطن أصحاب الوجه أعطاهم ذلك قوّة المحل الذي أحلهم فيه الحق وهو محل المقامة، وهو الذي ظهر لرسول الله ﷺ في بعض إسراءاته فعبر عنه في حال تدليه إليه برفرف الدر والياقوت فانتقل في إسرائه من بُرَاقٍ إلى رفرف، فمن حصل في هذا المقام دامت مشاهدته ولم تغيبه عن نفسه ولا عن ملكه ويرى الكثرة في الواحد والتفرقة في الجمع، وتقوم لهذا الصنف من الوجه صور حاملة لعلوم محمولة مما بينهم وبينها علاقة ومناسبة عملية ومما لا علاقة بينهم وبينها، بل هي زيادة من فضل الله لهم يرزقونها من عين المنة، لا ينالون هذه العلوم إلا من تلك الصور المنبعثة من الوجه، فلا يحجبهم الوجه عن رؤية الصور وما تحمله، ولا تحجبهم الصور وما تحمله ولا ذوق تلك العلوم عن الوجه، وهذه الرتبة أعلى رتبة للسعداء.

ثم يفيضون على أصحاب الأيدي مما حصل لهم من تلك العلوم التي نالوها من تلك الصور، فلا يأخذوها أصحاب الأيدي إلا بوساطة أصحاب الوجه، كما أن أصحاب الوجه ما نالوها إلا من تلك الصور لم ينالوها من الوجه، وسبب ذلك أن تلك العلوم مختلفة الأذواق والوجه ما فيه اختلاف، فلا بد أن يظهر تميز تلك المراتب بوجود هذه الصور ليعلم تنوع المشارب، فما كان عن علاقة التنوع فلتنوع أحوالهم بالشبر والذراع والسعي، فتنوّع المشروب بالذراع بالباع والهرولة، وما تنوّع من المشارب مما لا علاقة بينها وبينهم، فليعلم أن ذلك من الاستعدادات التي هي عليها نشأتهم الذي هو غير الاستعداد العملي الذي كنى عنه بالمقدار من شبر وذراع، فالهبات الإلهية إنما اختلفت لهذا، ولا يذهب شيء من هذا كله بعقولهم ولا ينقصهم من مراتب حظوظ حقائقهم شيئاً، فينعمون بكل جارحة وكل حقيقة هم عليها في زمان واحد، لا يحجبهم نعيم شيء عن نعيمهم بشيء آخر، ومن علم هذا علم صورة النشأة الآخرة وأنها على غير مثال كما كانت نشأة الدنيا على غير مثال، وليس في هذا المقام لهذا الصنف أعجب من كونه إذا تجلت لهم صور الوجه يفنون العلوم في المشروبات

وهم على حقائق يطلب كل شيء جاؤوا به أن يختاروا به منها مع كونها لهم ولا بد لهم من نيلها، وأعرّفك بسبب ذلك أنهم لا يقع لهم الاختيار إلا في العلوم التي بينهم وبينها علاقة من تلك المشارب لا في علوم الوهب وذلك لأنهم في حال سلوكهم وإنشائهم للأعمال اختاروا بعض الأعمال على بعض فقدموها لما اقتضاه الزمان أو المكان أو الحال، فإذا ظهر في هذا التجلي نتائج تلك الأعمال وقع الاختيار منهم في تقدم بعضها على بعض للتناول على صورة ما جرى في حال أعمالهم؛ ألا ترى حكمة قوله في الآخرة: «إن لأهل السعادة ما تشتهي نفوسهم» ولم يقل ما تريد نفوسهم، والشهوة إرادة، لكن لما لم يكن كل مراد يشتهى لم يكن كل إرادة شهوة، فإن الإرادة تتعلق بما يلتذ به وبما لا يلتذ به، ولا تتعلق الشهوة إلا بالملذوذ خاصة، فأخذوا الأعمال بالإرادة والقصد، وأخذوا النتائج بالشهوة، فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه، ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة نال النتيجة بشهوة وهي مرتبة دون الأولى. ثم إن لهذا الصنف من الحق في هذه الحال صورة القهر والظفر بما من شأنه أن يمتنع، فلا يمتنع لما يعلمه مما هو عليه من صفة الاقتدار على إنزاله أنتج له ذلك الأخذ بالشدائد وترك الرخص فهذا بعض أحوال أهل الوجه.

وأما الصنفان الآخران فللواحد منهم التكوين وللآخر التسليم، فأما أهل التكوين من هذين الصنفين فتميزهم في أحوالهم ومكانهم من العالم العلويّ إذا فارقوا هياكلهم بالموت وفتحت لهم أبواب السماء وعرج بأرواحهم إلى حيث أسكنوا عند السدرة المنتهى لا يبرحون بها إلى يوم النشور لأنهم في حال أعمالهم بلغوا المنتهى في بذل وسعهم فيما كلفوا من الأعمال وما توانوا، بل بذلوا المجهود الذي لم يبق لهم مساعاً كل على قدر طاقته، فلا فرق بين من يتصدق بمائة ألف دينار إذا لم يكن له غيرها وبين من يتصدق بفلس إذا لم يكن له غيره فاجتمع الاثنان في بذل الوسع، ومن هناك جُوزُوا وجمعهم مكان واحد وهو سدرة المنتهى التي غشاها من نور الله ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها، وقد تبين مثل هذا في قول الشارع: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ أَلفاً**» لأن صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع إلى الله لأنه لم يكن له مستند يرجع إليه سواه، وصاحب الألف أعطى بعض ما عنده وترك ما يرجع إليه فلم يرجع إلى الله فسبقه صاحب الدرهم إلى الله وهذا معقول، فلو بذل صاحب الألف جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام، فما اعتبر الشارع قدرة العطاء، وإنما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء فهو لما رجع إليه، فالراجعون إلى الله هم المفلسون من كل ما سوى الله، وإن كان صاحب الجدة ممن يرى الحق في كل صورة فما يدرك رتبة من يراه في لا شيء فإنه يراه في ارتفاع النسب والإطلاق وعدم التقييد، ولا شك أن الحق إذا تقيد للمتجلى له في صورة فإن الصورة تقيد الرائي وهو تعالى عند كل راء في صورة لا يدركها الآخر، فلا يدرك مطلق الوجود إلا المفلس الذي ذهبت الصور عن شهوده كما قال في الظمآن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] فنفى شيئية المقصود ووجد الله عنده يعني عند لا شيء فإنه

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورى: ١١] وهو﴿غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] فلا يدركه إلا من أفلسه الله من العالمين، والمفلس من العالمين في غاية الغنى عن العالمين لما تقطعت به الأسباب رده الحق إليه، فعلم لمن رجع وبماذا رجع، فرجع بالإفلاس لمن له الغنى عنه فعرف الحق حقاً فاتبعه، فحق عينه عدم وشهود، وحق ربه وجود وشهود، قال ﷺ صاحب الكشف الأتم: «**إنَّ أصْحاب الجدِّ مَحْبُوسُون**» والمحبوس مقيد والمفلس ما له جد يقيده ولا يحبسه، فهو مطلق عن هذا التقييد الذي لأصحاب الجد، فهو أقرب إلى الصورة بالإطلاق من أصحاب الجد لتقيدهم، فأصحاب الجد في رتبة من يرى الحق في الأشياء فيقيده بها ضرورة، لأن المقام يحكم عليه والمفلس محمديّ لا مقام له، فإنه قيل له: ليس لك من الأمر شيء فأفلسه، وليس الجد إلا لمن له الأمر، فكل من له الأمر فهو صاحب جد لأن الأمر للتكوين، فما أراده كان فليس بمفلس، ومن خرج عن حقيقته فقد زل عن طريقه فما للخلق وللتكوين إن قال أو أمر بحق فالتكوين للحق لا له كما قال فيمن له التكوين ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ﴾ [المائدة: ١١٠] وفي آية أخرى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩] فأعطاه وجرده فالبقاء على الأصل أولى وهو قوله لأكرم الناس عليه وأتمهم في الشهود وأعلاهم في الوجود ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فأفلسه ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ۚ﴾ [الأحزاب: ١٣] فإن الله ينشئكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أنها كانت فيما لا يعلم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] فأهل الله لا يبرحون في موطن الإفلاس فهم في كل نفس على بينة لا على لبس من علم جديد لم يكن عنده فإنه ينشئه دائماً فيما لا يعلم فليس بصاحب نظر وتدبير ولا روية، إذ لا يكون النظر إلا في مواد وجودية وهي الحدود التي حبستهم عن العلم بالله ﴿هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وهم فيه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥] فإذا دخلوا الجنة يوم القيامة فلا ينزلون منها إلا فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإذا لم يخطر على القلب وله مقام التقليب في الوجوه فما ظنك بالعقل الذي لا تقليب عنده؟ جعلنا الله من هؤلاء المفلسين وحال بيننا وبين مقام أهل الجد المحبوسين.

ثم إن أصحاب التكوين الذين لهم القوة الإلهية في إيجاد الأعيان إذا شاهدوا نضد العالم وترتيبه وأنه ما بقي فيه خلاء يعمره تكوينهم علموا عند ذلك أن الله قد حال بينهم وبين إيجاد المعدوم وليس التكوين الحقيقيّ إلا ذلك، فما حصل بأيديهم من التكوين إلا تغير الأحوال وهو الموجود في العامة، فيكون قائماً فيقعد أو قاعداً فيقوم أو ساكناً فيتحرك أو متحرّكاً فيسكن ليس في قدرته غير ذلك، فإن التكوين الذي هو إيجاد المعدوم ما بقي له مكان في العالم يظهر فيه، فزالت الأمكنة بما عمرته من صور العالم وأعيانه من حيث جوهره، وما زالت المحال التي يظهر فيها تغير الأحوال، فليس لأصحاب التكوين إلا مراتب العوام، إلا أن الفرق بينهم وبين العوام أن العامة لها التكوين في معتاد، ولهؤلاء التكوين في غير معتاد ولكن هو معتاد لهم، فهو بمنزلة العامة في عاداتهم، وصاحب الوجود والشهود لا يبرح في ليس لك من الأمر شيء، فإذا عاينوا أهل التكوين ما ذكرناه من عمارة الأمكنة ونضد العالم

وأنه ما يقبل الزيادة ولا النقصان وأنه قد خلق في أكمل صورة وما بقي لهم تصريف إلا في المحال وإيجاد الهيئات كالتجلي الإلهي في الصور انكسرت قلوبهم وعلموا عجزهم وأنهم قاصرون مقيدون في التكوين، فيطلبون الراحة من تعب التكوين، فيأتيهم الخطاب الإلهي في أسرارهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] لوجود الراحة فاستراحوا عند هذا الخطاب في ظله الممدود، وظل الشيء يخرج على صورة الشيء، فجعل الله راحتهم بالعالم لا به، والمفلس ما له راحة إلا به، فإنه قد أفلسه من العالم فليس له راحة في الظل فلا حكم للعالم عليه ولا مزية فهو لله بالله، فإذا أراد الله راحة هذا المفلس قبض الظل إليه قبضاً يسيراً فانكشف عن موضع استراحة هذا المفلس لأنه إذا قبض الظل إليه عمر النور المكان المقبوض منه هذا الظل وهو موضع راحة هذا المفلس، فإنه لحاجته كالمقرور يطلب الشمس لوجود الراحة له في النور، فإذا استراح أهل التكوين في علم قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] استراح المفلس من هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] في بدء أمره وفي نهايته إلى قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] فما رأى في البداية والنهاية إلا ربه، فهو الأوّل في شهوده والآخر في انتهاء وجوده، وبقي أهل التكوين في علم مد الظل لا في كيفيته، والمفلسون ما نظروا في الظل إلا من حيث خاطبهم الحق وهو قوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] فوقفوا مع الكيفية وهي إلهية، فما وقفوا إلا مع الله لا مع الظل لأن الكيفية شهود الممد له لا شهود الممدود، فجعلهم الحق لهذه المنزلة يفيضون على أهل التكوين من علوم الحياة ما تحيا به قلوبهم، فإذا رأوا الإمداد يأتيهم نظروا من أيّ جهة أتاهم ذلك فرأوه من جهة هؤلاء الكمل من رجال الله فعرفوا أن لله رجالاً فوقهم لهم القربة الإلهية بما سبق لهم عند الله، فكانوا لهذه السابقة من السابقين المسارعين إلى الخيرات على طريق الاقتصاد، وأعطوا كل ذي حق حقه، كما أعطى الله كل شيء خلقه، فلهؤلاء العرش ولأهل التكوين الفرش فلهم الاستواء، ولأهل التكوين الاتكاء ولهم النزول، ولأهل التكوين الارتفاع والصعود ولهم حقائق أسماء التنزيه، ولأهل التكوين حقائق أسماء التشبيه إذ بها يغيرون الأحوال في المحال، فهذا بعض ما هم عليه أهل يد التكوين وأصحاب الوجه الذين لهم ما بين اليدين.

وأما أهل التسليم فهم في جهد ومشقة في نار مجاهدة ورياضة لا يعرفون برد اليقين ولا حرارة الاشتياق إلى التعيين، لأن الشوق لا يتعلق إلا بمعروف ولا يكون إلا لأصحاب الحروف الذين يعبدون الله على حرف لمعناه، فإن أصابه خير اطمأن به أي بالحرف لأجل الخير الذي أصابه منه وهو خير مقيد معين عنده الذي لأجله لزم هذا الحرف دون غيره إذ الحروف كثيرة، فهو كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فهو على شفا لا على شفاء، ولكن مع هذا فرحمة الله شاملة ونعمته سابغة، ولكل موجود في العالم وجهان: باطن فيه الرحمة وظاهر من قبله العذاب، كالسور بين الجنة والنار، والعبد حاله بحسب الوجه الذي ينظر إليه من كل موجود لأن الحق وصف نفسه بالغضب والرضا، والعالم على صورته،

فلا بد مما ذكرناه، أن يكون العالم عليه، فلا بد من القبضتين، ولا بد من اليدين، ولا بد من الدارين، ولا بد من البرزخ بين كل اثنين ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] لأنه مخلوق عن صفتين: إرادة وقول وهما اللذان يشهدهما كل مخلوق من الحق، فإن العالم نتيجة والنتيجة لا تكون إلا عن مقدّمتين، وهذا هو التناسل الإلهي، ولهذا أوجده على الصورة كوجود الابن على صورة الأب في كل جنس من المخلوقات، فالعالم من حيث أجزائه وتفاصيله كالأعضاء للاسم الظاهر ومن حيث معانيه وتفاصيل مراتبه كالقوى الروحانية الباطنة التي لا تعلم إلا بآثارها للاسم الباطن، فقامت نشأة العالم على الظاهر والباطن ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

فهذا قد بينا في هذا المنزل ما تقتضيه الثلاثة الأوجه الإلهية والمراتب الثلاثة التي ظهر فيها التفاضل بين العالم، فلنذكر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم: فأوّل ذلك علم المبشرات، وعلم الميزان الإلهي الذي بيده للخفض والرفع الوارد حديثه في الخبر النبوي الذي أشهده الحق، وفيه علم الحركات الطبيعية خاصة، وفيه علم تحليل المركبات، وفيه علم ما يبدو للمكاشف إذا شاهد الهباء الذي تسميه الحكماء الهيولى من صور العالم قبل ظهور أعيانها في الجسم الكل، وفيه علم الفردية الأولى التي وقع فيها الإنتاج والتناسل الإلهيّ والروحانيّ والطبيعيّ والعنصري وهو علم عزيز، وفيه علم الاقتدار الإلهيّ وفيمن ينفذ وفيمن لا ينفذ ولماذا لا ينفذ في بعض الممكنات وما المانع لذلك؟ هل أحاله الجمع بين الضدّين والأصل جامع بين الضدين بل هو عين الضدين، وفيه علم التحسين والتقبيح، وفيه علم النشأتين، وفيه علم الحياة السارية في جميع الموجودات حتى نطقت مسبحة لله بحمده، وفيه علم المواد الطبيعية والمواد العنصرية، وفيه علم المبدأ والمعاد وفيه علم الأصل الذي ترجع إليه هذه المواد، وفيه علم الاسطقسات، وفيه علم مراتب العلوم، وفيه علم الكلمات الإلهية من حيث ما هي مؤلفة، وفيه علم الكتاب المسطور في الرق المنشور، وفيه علم تنزيه الصحف ومنزلتها من الكتب وما السفرة التي تحمله؟ وفيه علم الفروق بالحدود في أي الأعيان يظهر وما في الوجود إلا واحد فبماذا يتميز؟ وعن أيّ شيء يتميز؟ وما هو ثم؟ وفيه علم التغذي بالعدم، وفيه علم الفرق بين نسبة الحق في القرب في الأحياء وبين نسبة قربه في الأموات، وفيه علم الرجعة، وفيه علم الثواب في كل صنف صنف أعني في تعيين ثوابهم والفرق بين أصحاب النور وأصحاب الأجور وكيف يكون العبد أجيراً لمن هو عبد له من غير أن يكون مكاتباً ولا مدبراً؟ وفيه علم تنزيه العظمة الإلهية أن تقوم بالأكوان، وفيه علم السبب الذي لو علمه من علمه لم يمت ما دام ذلك العلم مشهوداً له، فهذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل وفيها تفاصيل لا تتناهى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة

في معرفة منزل علم الآلاء والفراغ إلى البلاء وهو من الحضرة المحمدية

[البسيط]

إنَّ العَوَالِمَ بالرَّحْمٰنِ أوْجَدَها ... رَبُّ العباد وللرّحْمٰنِ قد وُجِدَتْ

وبالذي قُلْتُهُ الآياتُ قد نَطَقَتْ ... في مُحْكَمِ الذّكر والأرْسَالُ قد شَهِدَتْ

لولا التّألُمُ لم يُنْكِرْهُ من أحَدٍ ... ولا وَرَبِّ العُلا نُعْماه ما جُحِدتْ

قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» والعالم مخلوق بالإنسان على صورته، فلو فقد منه الإنسان ما كان العالم على الصورة، ولو فقد العالم وبقي الإنسان كان على الصورة. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [العنكبوت: ٥٧] وهو عزلها عن تدبير هذا الهيكل الطبيعيّ الذي كانت تدبره في الدنيا في حال إقامتها فيها، وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] فلم يقل كل من فيها فان لأنه إذا كان فيها انحفظ بها، وإذا كان عليها تجرد عنها، فهذا يدلك على أن التجلي الإلهي يعم جميع من عليها، لأن الفناء لا يكون إلا عن تجلٍّ إلهي في غير صورة كونية، لأن التجلي في صور المثل إذا عرف أنه عين الصورة اتصف المتجلى له بالخشوع لا بالفناء، سئل رسول الله ﷺ عن الكسوف فقال ﷺ: «**مَا تَجَلَّى الله لِشَيْءٍ إلاّ خَشَعَ لَهُ**» فلهذا قلنا بالخشوع لا بالفناء للمناسبة التي بين الحس والخيال، ولهذا يسمى الخيال بالحس المشترك، وإذا لم يعرف لم يورث خشوعاً يعرف به أنه هو، ولكن لا بد أن يورث خشوعاً في المتجلى له، ولكن لا يعرف المتجلى له أنه هو ولا سيما أهل الأفكار، وهذا من علم الظهور والخفاء، فظهر بلا شك أنه هو، وخفي بالتقييد في ظهوره فلم يعلم أنه هو، فإذا كان العارف الكامل المعرفة بالله في هذا النوع الإنساني يعلم أن عين الحق هو المنعوت بالوجود وأن أحكام أعيان العالم هي الظاهرة في هذا العين أو هو الظاهر بها عرف ما رأى، فإن اقتضى الموطن الإقرار أقر به عندما يدعي أنه هو، وإن اقتضى الموطن الإنكار سكت العارف فلم ينطق بإنكار ولا إقرار لعلمه بما أراده الحق في ذلك الموطن. ولما كان التجلي الإلهي يغني من هو على الصورة عرفنا أن العين لا تذهب بل هو تجريد وخلع لا عزل عن تدبير ملك إلا إذا كان الضمير في عليها يعود على الأرض فهو عزل عن تدبير الهياكل التي جعل الله إليها تدبيرها، وهذا الظهور والخفاء للاسم الرب لا لغيره، وإليه يرجع حكمه، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام، فيظهر في هذا الحكم ـ أعني الظهور والخفاء ـ في موطنين ليتخذه صاحب الملك وكيلاً فيما هو له مالك فيكون له التصريف فيه والعبد مستريح في جميع أحواله من يقظة ونوم، والقسم الآخر من هذا الحكم أن يكون له في أربعة مواطن في طول العالم وعرضه لوجود الإنعام عليه كما قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] فله هذان الحكمان في طول العالم ومثله في عرضه، وطول العالم عالم الأرواح، وعرضه عالم

صور الأجسام، وإنما قلنا صور الأجسام ولم نقل الأجسام بسبب الأجسام المتخيلة، وإن كانت أجساماً حقيقية في حضرتها فليست أجساماً عند كل أحد لما يسرع إليها من التغيير، ولأنها راجعة إلى عين الناظر لا إليها، والأجسام الحقيقية هي أجسام لأنفسها لا لعين الناظر، فسواء كان الناظر موجوداً أو غير موجود هي أجسام في نفسها، والأخر أجسام لا في أنفسها كما قال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وهي أجسام في عينها لا حكم لها في السعي، فظهرت في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعي، والأمر في نفسه ليس كذلك.

والقسم الثالث من هذا الحكم من الظهور والخفاء يظهر في سبعمائة موطن وعشرين موطناً وهو منتهى ما يقبل عالم الدنيا من الاقتدار الإلهي لا أن الاقتدار يقصر أو يعجز فهذا حكم القابل وكذا وقع الوجود، ويجوز في النظر الفكري خلافه معرى عن علمه بما سبق في علم الله، فما ثم إمكان إلا بالنظر المجرّد إلى الأكوان معراة عن علم الله فيها فلا تعرف إلا بالوقوع، فانحصرت مواطن الظهور والخفاء بين تجل إلهيّ واستتار في سبعمائة موطن وستة وعشرين موطناً بأحكام مختلفة، وبين كل موطنين من ظهور وخفاء يقع تجل برزخيّ في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ليحفظ هذا البرزخ وجود الطرفين، فلا يرى كل طرف منها حكم الطرف الآخر والبرزخ له الحكم في الطرفين فيسخف الكثيف ويكثف السخيف، وله في كل موطن حكم لا يظهر به في الموطن الآخر، وهو ما يجري عليه أحكام عالم هذه الدار إلى أن يرث الله الوارث الأرض ومن عليها، ومن حقيقة هذه المواطن ظهر العالم في الدنيا بصورة الظهور وهو ما أدركه الحس، وبصورة الاستتار وهو ما لا يدركه الحس من المعاني، وما استتر عن الأبصار من الملائكة والجن، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨] وهو ما ظهر لنا ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٩] وهو ما خفي عنا، فالعالم بين الأبد والأزل برزخ به انفصل الأبد من الأزل لولاه ما ظهر لهما حكم ولكان الأمر واحداً لا يتميز، كالحال بين الماضي والمستقبل، لولا الحال ما تميز العدم الماضي عن العدم المستقبل، وهذا حكم البرزخ لا يبرح دائماً في العالم وهو الرابط بين المقدّمتين لولاه ما ظهر علم صحيح.

ثم إن الله سبحانه ولى الاسم الرحمن المملكة كلها وجعل الاسم الرب السادن الأول العام وأعطاه إقليد التكوين والتصريف والنزول والمعراج، فهو يتلقى الركبان وينزل بهم على الرحمن، والرحمن على عرشه الأبهى يعلم مجموع كلمه في أيّ عين يظهر من العالم، وهو الذي أشرنا إليه بقولنا: [الرمل]

علم القرآن كيف ينزلُ	اسمه الرحمن لما عَمِلُوا
بالذي يعطيهم حكمته	وهو العاملُ وهو العَمَلُ
فرجال الله قُدْماً سَبَقُوا	وعليهم بعَلَيْهِ عَوَّلُوا
فهم المطلوبُ لا غيرهم	فبه منهم إليه وَصَلُوا

فقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] نصب القرآن ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤] فينزل عليه القرآن ليترجم منه بما علمه الحق من البيان الذي لم يقبله إلا هذا الإنسان، فكان للقرآن علم التمييز، فعلم أين محله الذي ينزل عليه من العالم فنزل على قلب محمد ﷺ نزل به الروح الأمين، ثم لا يزال ينزل على قلوب أمّته إلى يوم القيامة، فنزوله في القلوب جديد لا يبلى فهو الوحي الدائم، فللرسول صلوات الله عليه وسلامه الأوّلية في ذلك والتبليغ إلى الأسماع من البشر والابتداء من البشر، فصار القرآن برزخاً بين الحق والإنسان، وظهر في قلبه على صورة لم يظهر بها في لسانه، فإن الله جعل لكل موطن حكماً لا يكون لغيره، وظهر في القلب أحديّ العين فجسده الخيال وقسمه فأخذه اللسان فصيره ذا حرف وصوت وقيد به سمع الآذان وأبان أنه مترجم عن الله لا عن الرحمن لما فيه من الرحمة والقهر والسلطان فقال: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فتلاه رسول الله ﷺ بلسانه أصواتاً وحروفاً سمعها الأعرابيّ بسمع أذنه في حال ترجمته، فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان، فلا يزال كلام الله من حين نزوله يتلى حروفاً وأصواتاً إلى أن يرفع من الصدور ويمحى من المصاحف، فلا يبقى مترجم يقبل نزول القرآن عليه، فلا يبقى الإنسان المخلوق على الصورة، فإذا بقيت صورة جسم الإنسان مثل أجسام الحيوان وزالت الصورة الإلهية بالتجريد نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلى يوم النشور وهو الظهور الذي لا ضدّ له فيقابله الخفاء، فمن معافى ومبتلى بحسب ما يحكم فيه من الأسماء إلى الأجل المسمى، فتعم الرحمة التي وسعت كل شيء من الرحمن الذي استوى على العرش، فتعم النعم العالم وتظهر أحكام الأسماء بالإضافات والمناسبات لا بالتقابل، فيكون الأمر مثل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»، ونعيم الأدنى لو أعطي الأعلى بعد ذوقه النعيم الأعلى لتعذب بفقده لا بوجود النعيم الأدنى لعدم الرضا به، فهو عذاب مناسبة وإضافة لبقاء حكم الأسماء الإلهية دائماً، أرأيت صاحب منزلة علياء كسلطان أخرجه سلطان آخر من ملكه وولاه ملكاً دون ملكه يأمر فيه وينهى، ولكن إذا أضفته إلى ما كان فيه أوّلاً وجدته ذا بلاء مع وجود المكانة من حيث ما هي ولاية وتحكم بأمر ونهي، ولكن يعلم أن هذه المنزلة بالنظر إلى الأولى عذاب في حق من يحضر الأولى في خاطره، فهذا القدر يبقى في الآخرة من حكم الأسماء إذ يستحيل رفعها من الوجود إذ كان لها البقاء الإلهيّ ببقاء المسمى.

ثم اعلم أن الظهور الذي نحن بصدده ينقسم الظاهر فيه إلى قسمين: قسم له ظهوره خاصة وليس له أمر يعتمد عليه ظهوره من جانب الحق، وقسم آخر يكون له من جانب الحق أمر يعتمد عليه وليس ذلك إلا للإنسان الكامل خاصة، فإن له الظهور والاعتماد لكون الصورة الإلهية تحفظه حيث كان، وغير الإنسان الكامل له الظهور من إنسان وحيوان ونبات وأفلاك وأملاك وغير ذلك، فهذا كله نعم أظهرها الحق لينعم بها الإنسان الكامل، فلها الظهور وما لها الاعتماد لأنها مقصودة لغير أعيانها، والإنسان الكامل مقصود لعينه لأنه ظاهر الصورة الإلهية

وهو الظاهر والباطن، فليس عين ما ظهر بغير لعين ما بطن فافهم فهو الباقي ببقاء الله وما عداه فهو الباقي بإبقاء الله، وحكم ما هو بالإبقاء يخالف حكم ما هو بالبقاء، فما هو بالبقاء فله دوام العين، وما هو بالإبقاء فله دوام الأمثال لا دوام العين حتى لا يزال المتنعم متنعماً والنعم تتوالى عليه دائمة مستمرّة. وما أنشأ الله من كل شيء زوجين إلا ليعرف الله العالم بفضل نشأة الإنسان الكامل ليعلم أن فضله ليس بالجعل، فإن الذي هو الإنسان الكامل ظهر به ازدواج من لا يقبل لذاته الازدواج وما هو بالجعل، فضمن الوجود الإنسان الكامل الظاهر بصورة الحق فصار للصورة بالصورة زوجين فخلق آدم على صورته فظهر في الوجود صورتان متماثلتان كصورة الناظر في المرآة ما هي عينه ولا هي غيره، لكن حقيقة الجسم الصقيل مع النظر من الناظر أعطى ما ظهر من الصورة، ولهذا تختلف باختلاف المرآة لا بالناظر، فالحكم في الصورة الأكبر لحضرة المجلى لا للمتجلي، كذلك الصورة الإنسانية في حضرة الإمكان لما قبلت الصورة الإلهية لم تظهر على حكم المتجلي من جميع الوجوه فحكم عليها حضرة المجلى وهي الإمكان، بخلاف حكم حضرة الواجب الوجود لنفسه، فظهر المقدار والشكل الذي لا يقبله الواجب وهو الناظر في هذا المرآة فهو من حيث حقائقه كلها هو هو، ومن حيث مقداره وشكله ما هو هو، وإنما هو من أثر حضرة الإمكان فيه الذي هو في المرآة تنوع شكلها في نفسها ومقدارها في الكبر والصغر. ولما كان الظاهر بالصورة لا يكون إلا في حال نظر الناظر الذي هو المتجلي لذلك نسب الصورة إلى محل الظهور وإلى النظر، فكانت الصورة الظاهرة برزخية بين المحل والناظر، ولكل واحد منهما أثر فيها يخرج منهما اللؤلؤ وهو ما كبر من الجوهر والمرجان وهو ما صغر منه وهو أثر الحضرة لا أثر الناظر، فقال في زوجية ظهور الإنسان الكامل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي ليس مثل مثله شيء أي من هو مثل له بوجوده على صورته لا يقبل المثل أو لا يقبل الموجود على الصورة الإلهية المثال، فعلى الأوّل نفي المثلية عن الحق من جميع الوجوه لما أثر المحل المتجلي فيه في الصورة الكائنة من الشكل والمقدار الذي لا يقبله المتجلي من حيث ما هو عليه في ذاته، وإن ظهر به فذلك حكم عين الممكن في وجوده، وعلى الآخر نفي المثلية عن الصورة التي ظهرت، فلم يماثلها شيء من العالم من جميع وجوه المماثلة، فلما كان من الصورة زوجان كان بالجعل من كل شيء خلقنا زوجين، لأن الأصل قبل الزوجية فظهر حكمها في الفرع، ولكن حكمها في الأصل يخالف حكمها في الفرع.

وهذه مسألة واحدة من مسائل هذا المنزل، فلنذكر ما يتضمن من العلوم كما ذكرنا لسائر منازل هذا الكتاب: فمن ذلك علم مراتب الأسماء، وعلم الفهم في القرآن، وعلم نطق كل شيء ومراتبه في البيان عن نفسه، وعلم العدد، وعلم اشتراك العالم فيما يشترك فيه من الصفات والمراتب، وعلم الفرق بين العوالم واختلاف أحكام العدل لاختلاف المواطن والأعصار فما هو حق في شرع عاد باطلاً في شرع آخر بالنسخ الطارىء، والإيمان بحقيقته واجب وبنسخه واجب، وعلم العدول عن الحق وإلى الحق وما يتعلق بذلك من الذم والحمد، وعلم المولدات

التي هي الأمهات لماذا وضعت في العالم ولم تظهر أعيان الأشياء من غير أن يكون أبناء لأمهات وآباء وما تحمله الأمهات مما فيه صلاح الأبناء، وعلم تقرير النعم الظاهرة والباطنة ولم تذهب بالكفر وتزيد بالشكر، وعلم نشأة الجن والإنس دون غيرهما من الحيوان، وعلم الستر والتجلي الذي لأجله لم يكن في الإمكان أبدع من هذا العالم لعمومه جميع المراتب فلم يبق في الإمكان إلا أمثاله لا أزيد منه في الكمال الوجودي الحافظ للأصول، وعلم الفواصل بين الأشياء وبين كل اثنين في المعقول والمحسوس كالخط الفاصل بين الظل والشمس لماذا ترجع هذه الفواصل هل لأمر زائد على أعيان المفصولين أم لا؟ وعلم ما تحوي عليه حروف الوجود من المعاني، وعلم الأعلام على ما هي أعلام، وعلم الفناء والبقاء، وعلم ما يفعله الحق مما يظهر في الحال لا غير، وعلم إضافة ما ينزه العقل إضافته عن الحق إلى الحق، وعلم السرادق الإلهيّ وما فيه من الأبواب وما يفتح تلك الأبواب للذين يريدون الخروج منها ولماذا يخرجون؟ وما يشهدون إذا خرجوا وما يخرجهم؟ وعلم العقاب والعذاب ولماذا سمي عقاباً وعذاباً؟ وعلم ما يؤول إليه محل الملأ الأعلى لا بل الملأ الأوسط، وعلم الخرس والسكوت عن العالم وما سببه، وعلم العلامات هل تقوم مقام الكلام والعبارة من المتكلم أم لا؟ كالمعجزات والنطق المعلوم من قرائن الأحوال وإن لم يكن هناك عبارة بنظم حروف وإظهار كلمات، وعلم ما تعطيه العلامات في الأشياء من الأحكام، وعلم تردد الأشياء بين الأشياء، وعلم نتائج المقامات والأحوال، وعلم حكم الشفعية في العالم الأخراوي، وعلم الأسباب الموصلة إلى الحكم من السبب إلى المسبب، وعلم الأذواق والأفكار، وعلم الالتذاذ بما يرد من الحق على الإنسان من طريق شفعيته أي من حيث شفع الصورة الإلهية لا من حيث ما شابه العالم، وعلم من يمنع بتجليه النظر إلى غيره مع القدرة عليه فلا يكون في حال فناء، وعلم مقام الأسرار من خلف حجاب الغيرة والصون الإلهيّ، وعلم التشبيه والتمثيل، وعلم المجازاة بالأمثال كالذهب بالذهب مفاضلة وهو في حكم الدنيا ربا، وعلم المفاضلة، وعلم بماذا تقع المفاضلة بين الأمثال، وعلم الفرق بين البراقات والرفارف والأوكار في الأشجار وفي الإسراءات، وعلم مباسطة الحق في قبضه وقبضه في مباسطته وما يحدث من الزيادة عند صاحب هذه الأحوال، فهذا بعض ما يحتوي عليه هذا المنزل من أمهات العلوم التي يتفرع أبناؤها بالتناسل إلى ما يتناهى مع الآنات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر من الحضرة المحمدية

[الرجز]

انْظُرْ إلى نُوح وعَادٍ واعْتَبِرْ ... في صالح وثُمّ لُوط وافْتَكِرْ

وقلْ لهم قَوْلَ شفيق ناصحٍ ... ونَادِهِمْ هل فيكُمُ منْ مُدّكِرْ

وليس في الكون وجودٌ غيره ... وليس في لَيْسَ وُجُودٌ مستقرّ

فَهُوَ لَه لَيس لَنا وَهُوَ لَنا ... لَيس لَه بِوَجْهِ كَوْنٍ مُسْتَمِرْ
أين الذي لاحَ لَنا من صُوَرٍ ... قد ذهبت وأعْقَبَتْها من صُوَرْ
لو ذهبت في الغيب زال عَيْنُه ... وكان مَشْهُوداً لِعَيْنٍ وبَصَرْ
أو عدمت وما أرى من عدم ... يقوم بالكون الكونُ له ظهر
وما بدا من عَدَم لكنه ... من كون حَقّ ظاهر لا يَسْتَتِرْ

اعلم أيدك الله أن القمر مقام برزخيّ بين مسمى الهلال ومسمى البدر في حال زيادة النور ونقصه، فسمي هلالاً لارتفاع الأصوات عند رؤيته في الطرفين، ويسمى بدراً في حال عموم النور لذاته في عين الرائي، وما بقي للقمر منزل سوى ما بين هذين الحكمين، غير أن بدريته في استتاره عن إدراك الأبصار تحت شعاع الشمس الحائل بين الأبصار وبينه يسمى مَحْقاً وهو من الوجه الذي يلي الشمس بدر كما هو في حال كونه عندنا بدراً هو من الوجه الذي لا يظهر فيه الشمس محق، وما بين هذين المقامين على قدر ما يظهر فيه من النور ينقص من الوجه الآخر، وعلى قدر ما يستتر به من أحد الوجهين يظهر بالنور من الوجه الآخر، وذلك لتعويج القوس الفلكيّ، فلا يزال بدراً دائماً ومحقاً دائماً، وذلك لسر أراد الله إعلامه للعارفين بالله، فضرب لهم هذا المثل بالفعل ليعتبروا فيه بالعبور إلى ما نصب له من معرفة الإنسان الكامل ومعرفة الله لوجوده على الصورة، وتغير أحواله فيها لتغير المراتب التي يظهر فيها، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يسٓ: ٣٩] ولم يسمه بدراً ولا هلالاً، فإنه في هاتين الحالتين ما له سوى منزلة واحدة بل اثنتين، فلا يصدق قوله منازل إلا في القمر، فللقمر درج التداني والتدلي، وله الأخذ بالزيادة والنقص في الدخول إلى حضرة الغيب والخروج إلى حضرة الشهادة ثم إن الله تعالى نعته بالانشقاق لظهور الإنسان الكامل بالصورة الإلهية فكان شقاً لها، فظهورها في أمرين: ظهور انشقاق القمر على فلقتين ورد في الخبر عن الصاحب أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ عند سؤال طائفة من العرب أن يكون لهم آية على صدقه فانشق فقال رسول الله ﷺ للحاضرين: «**اشْهَدُوا**». وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فلا يدرى هل أراد الانشقاق الذي وقع فيه السؤال وهو الظاهر من الآية فإنه أعقب الانشقاق بقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] وكذا وقع القول منهم لما رأوا ذلك ولهذا قال رسول الله ﷺ للحاضرين: «**اشْهَدُوا**» لوقوع ما سألوا وقوعه وما لهم إلا ما ظهر، وهل ذلك الواقع في نفس الأمر أو في نظر الناظر؟ هذا لا يلزم فإنه لا يرتفع الاحتمال إلا بقول المخبر إذا أخبر أنه في نفس الأمر كما ظهر في العين، وقول المخبر هو محل النزاع، وما اشترطوا في سؤالهم أن لا يظهر منهم ما ظهر منهم من الاعتراض عند وقوع ما سألوا وقوعه، فلم يلزم النبيّ ﷺ أكثر مما وقع فيه من السؤال، ثم جاء الناس من الآفاق يخبرون بانشقاق القمر في تلك الليلة ولهذا قال الله تعالى عنهم: إنهم قالوا فيه سحر مستمر، فقال الله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣] كان ذلك الأمر ما كان، فالقمر لولا ما هو برزخي المرتبة ما قبل الإهلال والإبدار، والمحق والسرار، فالسحر المستمر داخل تحت

حكم كل ذي أمر مستقر، فهذا انشقاق بالحق وجهل في عين العلم وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠] فأثبته علماً.

واعلم أن النظر والاعتبار من العلوم التي تظهر من الأسرار والأنوار فالنور للبصر والأبصار، فقال الله لما ذكر هذا المقام: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢] أي جوزوا مما أعطاكم البصر بنوره مما أدركه من المبصرات وأحكامها إلى ما تدركونه بعين بصائركم شهوداً وهو الأتم الأقوى، أو عن فكرة وهو الشهود الأدنى عن المرتبة العليا، وكلاهما عابر عما ظهر إلى ما استسر وبطن فهي ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] كما هي ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦] فالمتقي يتولى الله تعليمه فلا يدخل علمه شك ولا شبهة، والمتفكر ناظر إلى قوّة مخلوقة فيصيب ويخطىء، وإذا أصاب يقبل دخول الشبهة عليه بالقوّة التي أفادته الإصابة لاختلاف الطرق، فالمتقي صاحب بصيرة، والمتفكر بين البصر والبصيرة لم يبق مع البصر ولا يخلص للبصيرة. فلنذكر في هذا المنزل مسألة من مسائله كإخوانه من المنازل وهو منزل شريف عال يسمى منزل النور في الطريق لأن الله جعله نوراً ولم يجعله سراجاً لما في السراج من الافتقار إلى الإمداد بالدهن لبقاء الضوء، ولهذا كان الرسول ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] للإمداد الإلهيّ الذي هو الوحي، وجعله منيراً أي ذا نور لما فيه من الاستعداد لقبول هذا الإمداد كالنار التي في رأس الفتيلة التي ينبعث منها الدخان الذي فيه ينزل النور على رأس الفتيلة من السراج فيظهر سراجاً مثله، والنور من الأسماء الإلهية، وليس السراج من أسمائها لأنه لا يستمد نوره من شيء، فعرفت من هذا الاعتبار رتبة القمر من الشمس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] فنور السراج مقيد، والنور القمري مطلق، ولهذا نكره ليعم الأنوار، فكل سراج نور وما كل نور سراج.

واعلم أنه من العلم بالتحقق بالصورة أن العلم المطلق من حيث ما هو متعلق بالمعلومات ينقسم إلى قسمين: إلى علم يأخذه الكون من الله بطريق التقوى وهو قوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله في الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وعلم يأخذه الله من الكون عند ابتلائه إياه بالتكليف مثل قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فلولا الاشتراك في الصورة ما حكم على نفسه بما حكم لخلقه من حدوث تعلق العلم، فإن ظهر الإنسان بصورة الحق كان له حكم الحق، فكان الحق سمعه وبصره، فسمع بالحق فلا يفوته مسموع، ويبصر بالحق فلا يفوته مبصر، عدماً كان المبصر أو وجوداً وإن ظهر الحق بصورة الإنسان في الحال الذي لا يكون الإنسان في صورة الحق كان الحكم على الله مثل الحكم على صورة الإنسان الذي ناله صورة الحق، فينسب إليه ما ينسب إلى تلك الصورة من حركة وانتقال وشيخ وشاب وغضب ورضا وفرح وابتهاج.

ومن أجل ما بيناه من شأن هذين العلمين جعل الله في الوجود كتابين: كتاباً سماه أمّاً فيه ما كان قبل إيجاده وما يكون كتبه بحكم الاسم المقيت فهو كتاب ذو قدر معلوم فيه بعض أعيان الممكنات وما يتكوّن عنها. وكتاباً آخر ليس فيه سوى ما يتكون عن المكلفين خاصة فلا

تزال الكتابة فيه ما دام التكليف، وبه تقوم الحجة لله على المكلفين، وبه يطالبهم لا بالأم، وهذا هو الإمام الحق المبين الذي يحكم به الحق تعالى الذي أخبرنا الله في كتابه أنه أمر نبيه أن يقول لربه: ﴿ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] يريد هذا الكتاب وهو كتاب الإحصاء ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣] وهو منصوص عليه في الأمّ التي هي الزبر ومعناه الكتابة، وإن كانت أصناف الكتب كثيرة ذكرناها في مواقع النجوم فإنها ترجع إلى هذين الكتابين، وسبب إيجاد الكتابين كونه سبحانه خلق من كل شيء زوجين، فخلق كتابين أيضاً، فمن الكتاب الثاني يسمى الحق خبيراً، ومن الأم يسمى عليماً، فهو العليم بالأول الخبير بالثاني، إن عقلت فالقضاء الذي له المضي في الأمور هو الحكم الإلهيّ على الأشياء بكذا، والقدر ما يقع بوجوده في موجود معين المصلحة المتعدّية منه إلى غير ذلك الموجود مثل قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] فلو وجد البغي عن البسط لم تقم الحجة عليهم ولكن ينزل بقدر ما يشاء، فما أنزل شيئاً إلا بقدر معلوم، ولا خلق شيئاً إلا بقدر، فإذا وجد البغي مع القدر قامت الحجة على الخلق حيث منع الغير مما بيده مع حصول الاكتفاء، فما زاد فيعلم أنه لمصحلة غيره، ومن فضله جعله قرضاً، ولا يقع القرض فيما هو رزق له لقوام عينه، وجعل هذا الفعل من جملة مصالح العباد فرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

ولما أنزل الله سبحانه نفسه منزلة عباده أمضى عليه أحكامهم فما حكم فيهم إلا بهم، وهذا من حجته البالغة له عليهم وهو قوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤] ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] فأعمالهم عذبتهم وأعمالهم نعمتهم فما حكم فيهم غيرهم فلا يلومون إلا أنفسهم كما قال الله فيما حكاه لنا من قول الشيطان ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي من قوّة ولا حجة ولا برهان ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢] وليس كل من دعا تلزم إجابته، ولهذا كانت المعجزات تشهد بصدق الدعوة من الرسل أنها دعوة الله، والشيطان ما أقام برهاناً لهم لما دعاهم وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ فيا عجباً أن الناس جحدوا دعوة الحق مع ظهور البرهان وكفروا بها، وأجابوا دعوة الشيطان العرية عن البرهان فقال لهم: ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢] نظراً منه إلى حكم الكتاب الثاني الذي به تقوم الحجة عليهم، فلو نظر إلى الأم والزبر الأوّل لم يقل لهم: ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فالقضاء للكتاب الأوّل يطلبه حكم الكتاب الثاني والقدر بالكتاب الثاني وكلا الكتابين محصور لأنه موجود، وعلم الله في الأشياء لا يحصره كتاب مرقوم ولا يسعه رق منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠] أي إلى الحكم وهو القضاء، فالضمير في إليه يعود على الحكم فإنه أقرب مذكور فلا يعود على الأبعد ويتعدّى الأقرب إلا بقرينة حال، هذا هو العلوم من اللسان الذي أنزل به القرآن، فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا حكم له في القضاء، بل حكمه في المقدر لا غير بحكم القضاء، فالقاضي حاكم

والمقدر مؤقت، فالقدر التوقيت في الأشياء من اسمه المقيت، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] وهذا المنزل أشهدته بقونية في ليلة لم يمرّ عليّ أشدّ منها لنفوذ الحكم وقوّته وسلطانه، فحمدت الله على قصوره على تلك الليلة ولم يكن حكم تأبيد وإنما كان حكم وقوع مقدر، فلما رددت إليّ وقد سقط في يدي وعلمت ما أنزل الله عليّ وما قدره الحق لديّ وفرّقت بين قضائه وقدره في الأشياء كتبت به إلى أخ في الله كان لي رحمه الله أعرّفه بما جرى كما جرت العادة بين الإخوان. إذ كان كتابه قد ورد علي يطلبني بشرح أحوالي فصادف ورود هذا الحال فكتبت إليه في الحال: بسم الله الرحمن الرحيم ورد كتاب المولى يسأل وليه عن شرح ما رأى أنه به أولى ليكون في ذلك بحكم ما يرد عليه: [الوافر]

شِهابَ الدِّين يا مَوْلَى الموالي ... سَألتَ تهمُّماً عن شَرْح حالي
أنا المَطْرودُ من بين الموالي ... ومثلي من يُصَدُّ عن الوِصَالِ
عصيتُ زجاجَه فجهلتُ قَدْري ... فها أنا طائعٌ حَدَّ الغوالي
رُميتُ بأسهم الهجران حتّى ... تداخلتِ النبالُ عَلى النبالِ
فيرميني بأسهمه فآتي ... إليه فِعْلَ ذُكْرَانِ الرّجال
وقفتُ ببابهِ أشكو وأبكي ... بُكَاءَ فَقيدِ واحدةِ المَوَالي
وقلتُ بعَبْرةٍ وحنينِ شَجْوِ ... أنا المطرودُ من بين الموالي
أنا العبدُ المضَيِّعُ حَقَّ رَبِّي ... فكيف تُضَيِّعُني يا ذا الجلال
وإنَّ مكارم الأخلاق منكم ... وإنَّ العفو من كَرَم الخِلال
وهل نشرت لجَالَيْنُوسَ كُتْبٌ ... لغير إزالة الداء العُضال
ويدّخرُ المقَوِّمُ من سهام ... حذار كريهةٍ يَوْمَ النضال
إذا كان العُبَيْدُ عُبَيْدَ سُوءٍ ... فإن الفضل من شِيَم المَوالي
وعهدي باقتحام عقاب نفسي ... فكيف وقفتُ دونكَ في ضلال
لو اسْتُنْطِقْتُ عن عجزي وضعفي ... لقلتُ فَرَضْتُمُ عين المحال
وها أنا واقفٌ في حال عجزي ... ضعيفٌ مثل رَبّات الحِجَال
بَعَثْتُ إليه حُسْنَ الظنّ مني ... وإلحافاً عظيماً في السؤال
وإن كان الطباعُ طباعَ سوء ... فحُسْنُ الظنّ من كرم الخِصَالِ
وَجُودُكَ قد تَحَقَّقَهُ رجائي ... وبعد تَحَقُّقِي ما أن أبالي
علمتُ بأنّ ذَنْبِيَ لو تَعَالَى ... لكان بجنب عَفْوِكَ في سفال
بلطفك قبل علمي كنتُ تاجاً ... فبعد العلم أُلْحَقُ بالنّعال
لقد أيَّدْتَني وشَدَدْتَ أَزْري ... بتوحيد يجلُّ عن المقال
بواقية الوليد مَنَنْتَ ربّي ... طَرَدْتَ بها القبيحَ من الفعال
أعاينُ ما أعاينُ من جمالٍ ... تَقَدَّسَ عن مكاشفة الخيال
وعن صُوَرٍ مقيَّدةٍ تعالى ... عن المِثْلِ المحقَّق في المثالي

فأَشْهَدُهُ ويَشْهَدُني فأفْنَى كمالٌ في كمالٍ في كمالِ
ويأخذني لمشهده ارتياحٌ كما نَشَطَ الأسيرُ من العِقَالِ
فما يلتذُّ بالحُسْنَى سوائي لحسن عناية وصلاح بال
رأيت أهلَّةً طلعتْ شموساً وأين الشمسُ من نُورِ الهلالِ
فنَفَّرتِ الظلامَ فلا ظلامٌ ولا ليلٌ إلى يوم انْفِصَالِ
سُلِخْتُ عنايةً من لَيْلِ جسمي كما سُلخ النهار من الليالي
فكان المَحْوُ إثْبَاتَ انفِصَالِ وكان النُّورُ آياتِ اتّصالي
وبعد الوصل فاسْتمِعُوا مقالي دعاني للسُّجود مع الظّلالِ

وإنّ وليك لما أراد النهوض في طريقه، والنفوذ إلى ما كان عليه في تحقيقه، اعترضت لوليك عقبة كؤود، حالت بينه وبين الشهود، والبلوغ إلى المقصود، والتحقق بحقائق الوجود، فخفت أن تكون عقبة القضا، لما لسيفه من المضا. فرأيتها صعبة المرتقى، حائلة بيني وبين ما أريده من اللقا فوقفت دونها في ليلة لا طلوع لفجرها، ولا أعرف ما في طيها من أمرها. فطلبت حبل الاعتصام، والتمسك بالعروة الوثقى عروة الإسلام. فنوديت: أن الزم الطلب ما بقيت. فعلمت أني بهذا الخطاب في صورة مثاليه، متجلية في حضرة خياليه. وأن علاقة تدبير الهيكل ما انقطع، وحكمه فيه ما ارتفع. فاستبشرت بزوال إفلاسي، عند رجعتي إلى إحساسي. فنظمت ما شهدت، وخاطبت وليي في نظمي ببعض ما وجدت. فإذا نظر وليي إليها، فليعوّل عليها. وليحذر من الأمن من مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. فاسمع هديت، ما به على لساني نوديت: [مجزوء الرجز]

اعْتَرَضَتْ لي عَقْبَةٌ وَسْطَ الطريق في السَّفَرْ
فأسفرتْ عن مِحَنٍ فيمن طغى أو مَنْ كَفَرْ
مِنْ دونها جهنّمٌ ذاتُ زَفِيرٍ وسُعُرْ
ترمي من الغَيْظ وجو ه المجرمين بشَرَرْ
بُحُورُها قد سُجِرَتْ وسَقْفُها قد انْفَطَرْ
وشَمْسُها قد كُوّرتْ ونَجْمُها قد انْكَدَرْ
أتيتكم أخبركم لتعرفوا معنى الخَبَرْ
ولا تقولوا مثل مَنْ قال فما تُغْنِي النُّذُرْ
فكان من أمرهم ما قد سمعتم وذُكِرْ
قالوا وقد دَعَاكُمُ الدا عي إلى شيء نُكُرْ
فيخرجون خُشَّعاً مثلَ الجراد المُنْتَشِرْ
شُعْثاً حُفاةً حُسَّراً في يوم نَحْسٍ مُسْتَمِرْ
إلى عَذابٍ وتَوَى إلى خُلُود في سَقَرْ
فلو ترى نَبِيَّهُمْ حين دعاهم فازْدُجِرْ

وقــــد دعـــــا مــــرســــلـــــه أنـــي ضــعــيــفٌ فــانْــتَــصِــرْ
فــقــال يــا عَــيْــنُ انــســكــبْ وأنــت يــا أرضُ انْــفَــجِــرْ
حــتــى الــتــقــى الــمــاءُ عــلــى أمْــرٍ حــكــيــم قــد قُــدِرْ
فــاضْــطَــفَــقَــتْ أمْــواجُــهُ وذاكُــمُ الــبــحــرُ الــزّخِــرْ
فــالــحُــكْــمُ حُــكْــمٌ فــاصــلٌ والأمْــرُ أمْــرٌ مُــسْــتَــقِــرْ
وأمــــــــرهُ واحــــــــدةٌ كــمــثــل لَــمْــحٍ بــالــبَــصَــرْ
ســفــيــنــةٌ قــامــت مِــنَ ألْــواح نَــجــاةٍ ودُسُــرْ
تــجــري بــعــيــن حِــفْــظِــهِ وَغَــدًا لــمــن كــان كُــفِــرْ
تــســوقــهــا الأرواحُ عــن أَمْــرِ مــلــيــكٍ مُــقْــتَــدِرْ
أنــزلــهــا الــجــودُ عــلــى الــجــوديِّ فــقــالــوا لا وَزَرْ
نَــاداهُــمُ الــحَــقُّ اخْــرُجــوا مــنــهــا أنــا عــيــنُ الــوزر
حُــطُّــوا وقــالــوا ربَّــنــا لــديــك نِــعْــمَ الــمُــسْــتَــقَــرْ
فــيــا ســمــاءُ أقــلــعــي مــن سَــحٍّ مــاءٍ مُــنْــهَــمِــرْ
وأنــت يــا أرضُ ابْــلَــعــي مــاءك واخــزن واحــتــكــرْ
قــد قُــضِــيَ الأمْــرُ فــمــنِ كــان عــدوّاً قــد غَــبَــرْ
تــركــتُــهــا تــذكــرة لــكــم فــهــل مــن مُــدَّكِــرْ
وكــل مــا كــان ومــا يــكــون مــنــكــم مُــسْــتَــطَــرْ
وإنَّ مــا يــفــعــلُــه فــي الــكــون مــن خــيــرٍ وشَــرْ
مــقــدَّر مــؤقــتٌ كــذا أتــانــا فــي الــزُّبُــرْ
الــمــوتُ سَــمٌّ نــاقــعٌ والــحــشــرُ أدْهَــى وَأَمَــرْ
ســفــيــنُــكــم أجــســامُــكــم فــي بــحــر دنــيــا قــد زخــر
وأنْــتُــمُ رُكَّــابُــهــا وأنْــتُــمُ عــلــى خَــطَــرْ
ومــا لــكــم مــن ســاحــلٍ غــيــر الــقَــضــاء والــقَــدَرْ
فــابْــتَــهِــلُــوا واجْــتَــهِــدُوا فــمــا مِــنَ الله مَــفَــرْ
هــذا الــذي أُشْــهِــدْتُــهُ فــي لــيــلــتــي حــتــى الــسَّــحَــرْ
فــازْدَجِــرُوا واعْــتَــبِــرُوا واتَّــعِــظُــوا بــمــن غَــبَــرْ
فــالــكــلُّ والله بــلا شــكٌّ عــلــى ظَــهْــر سَــفَــرْ
مــن قــبــل ذا أشْــهَــدَنــي أمــراً عــجــيــبــاً فــيــه سِــرْ
فــاســتــمــعــوا نُــطْــقــي بــه واعــتــبــروا لَــفْــظ الــســكــر
فــالــحــمــدُ لله الــذي بــفــضــلــه أعــطــى الــبَــشَــرْ
مــا عــنــدكــم مــنــهــا خَــبَــرْ بــل عــنــدنــا مــنــهــا الــخَــبَــرْ
قــلــتُ تَــرَى أيــن مــضــت قــال مــضــتْ تــقــضــي الــوَطَــرْ

قلت تُراها تَزعَوي ... قال نَعَمْ عند السَّحَرْ
قلتُ وهل تعرفُها ... قال نعم أُخْتُ القَمَرْ
قلتُ على من نَزَلَتْ ... قال على أبي البَشَرْ
قلت وماذا تَبْتَغي ... قال ضِرَاباً بالذَّكَرْ
ما يعرفُ السِّرَّ سوى ... والدتي أُمّ البَشَرْ
تقول زِدْني يا فَتَى ... منه فنِعْمَ المُخْتبِرْ
قبَّلْتُها عانَقْتُها ... حَلَّتْ معاقِدَ الأُزُرْ
طَعَنْتُ في مُشْتَهْدَفٍ ... أجْرَدَ ما فيه شَعَرْ
وعَرْفُهُ كأنه ... رِيحُ الخُزَامَى والعِطِرْ
وَجَدْتُهُ كمثل نا ... ر لمجوسٍ تَسْتَعِرْ
أردافُها كأنها ... أعجازُ نخلٍ مُنْقَعِرْ
يا نظرة قد أظهرت ... من الوجود ما ظَهَرْ
لولا النتاجُ لم يكن ... للسِّرِّ مَعْنَى في البَشَرْ
سرّ لنا وكُنْ له ... وجود خلق مُسْتَتِرْ
إذا التقى السرّ وكُنْ ... بَدَتْ لعينيك العِبَرْ
وقائل ذا مَثَلٌ ... قَرَّرَهُ لمن نَظَرْ
على القَنَا إذا بدا ... لمن يشاءِ فاعْتَبِرْ
قلتُ نعم وبَعدَ ذا ... فَهْوَ لأشياء أُخَرْ
هنا وفي الأخرى وحيـ ... ـث ما تَكُونُ فادَّكِرْ
قالوا وكيف الأمرُ قُلْ ... فقلت سَمْعاً ما ستر
إذا الوليُّ أقْبَلَتْ ... زوجتُه على سُرُرْ
يُفْضي إليها بالذي ... يحمله من الصُّوَرْ
فعندما يَنْكِحُها ... تَصَوُّراً على صُوَرْ
من جِنْسِ ما لو ولدت ... كان على تلك الصّوَرْ
من ذي إمام حاكم ... أو ذات غُنْجٍ وحَوَرْ
فإن يَكُنْ أنثى فَهِي ... وإن يكن هُو فذَكَرْ
مثل تجلّيه سوا ... تحوّلٍ بلا غِيَرْ

فليتدبر وليي ما سطرته، وليفكر فيما ذكرته، وليأخذه عبرة من البصر لبصيرته، ومن سره لسريرته، فقد آن أن يجيء زمان المحن، وقد علمت لما أوجدك، ورتبة الكمال الذي أشهدك، وما طلب منك إلا ما يقتضيه وجودك، ويقضي به شهودك، فإن أنصفت فقد عرفت، وإن تعاميت بعدما أراك ما قد رأيت فقد وهيت، فأسد المقالة سؤال الإقالة والسلام.

فسرّ بورود كتابي عليه، وأمعن بالنظر فيه وإليه، فأورثه التفكر فيه علة كانت سبب رحلته وسرعة نقلته، فما بقي إلا أياماً ودرج، وعلى أسنى معراج إلى مقصوده عرج، وشهدت احتضاره بالدار البيضاء إلى أن قضى، وسافرت من يومي لاستعجال قومي، فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من الأهوال الصعاب التي تعظم في الشهود صورها.

واعلم أن الله ما ذكر أخبار القرون الماضية إلا لتكون على حذر من الأسباب التي أخذهم الله بها أخذته الرابية وبطش بهم البطش الشديد، وأما الموت فأنفاس معدودة وآجال محدودة، وليس الخوف إلا من أخذه وبطشه لا من لقائه، فإن لقاءه يسر الولي والموت سبب اللقاء فهو أسنى تحفة يتحفها المؤمن فكيف به إذا كان عالماً بخ على بخ.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم: علم الرحمتين، وعلم قرب السعي من قرب الشبر والذراع وهو القرب المحدود، وعلم الرتق والفتق، وعلم المتشابه من المحكم، وعلم الأبد وعلوم الأدلة، وعلم الاتباع وما يسعد منه وما يشقي، وعلم ثبوت الأمور ومرتبة الحكم والحكم، وعلم الجزاء الوفاق، وعلم الخبر بالإجابة إلى المكروه كإجابة أولاد أم عيسى، وعلم التلبيس فيهبك متاعك من غير الوجهة التي تعرف منها أنه متاعك تلبيساً عليك فإذا انكشف الغطاء وكان البصر حديداً علمت أنه ما أعطاك إلا ما كان بيدك فما زادك من عنده ولا أفادك مما لديه إلا تغير الصور، فمن وقف على هذا العلم قال بالري في مشروبه، ومن حرمه لم يزل عاطشاً والماء عنده الذي يرويه ولا يشعر به أنه عنده، وهو من أسنى علم يوهبه العارفون بالله فهو كالمطر للأرض، وليس عين ما تطلبه من الارتواء سوى بخارها صعد منها بخاراً ثم نزل إليها مطراً فتغيرت صورته لاختلاف المحل فما شربت ولا ارتوت إلا من مائها ولو علمت ذلك ما حجبتها المعصرات، فتحقق هذا النوع من العلم في العلم الإلهي فما أعطاك إلا منك وما هو عليه فلا يعلمه منه إلا هو، فكل عالم فمن نفسه علمه، فلذلك قال أهل الله: لا يعرف الله إلا الله، ولا النبي إلا النبي، ولا الولي إلا الولي. ويتضمن أيضاً علم أسباب النجاة والسعادة، وعلم الامتحانات بالعسر واليسر للصابر والشاكر، وعلم المناسبة التي بها لم يمتثل أمر الله من عصى أمره ومن امتثله هل امتثله بأمر مناسب أو بعدم المناسب؟ وعلم سبب تأثير الأدنى في الأعلى كتسليط الحيوانات على الإنسان كقرصة البرغوث إلى ما فوقها وقال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] وعلم مشاركة الحيوانات الإنسان في العلوم عن التجلي، وعلم من ردّ كل ما أتاه من الحق من أين ردّه؟ ومن رد بعضه من أين رده؟ وهل يتساوى الحكم الإلهيّ فيهم أم لا؟ وعلم من أين انهزم الصحابة يوم حنين؟ وعلم مؤاخذة الأعلى بالأدنى إذا نصب دلالة نصبه من نصبه، وعلم السوابق واللواحق، وعلم الوحدة في عين الجمع، وعلم المراتب والدرجات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل الرؤية والقوّة عليها والتداني والترقي والتلقي والتدلي وهو من الحضرة المحمدية والآدمية

[الطويل]

عَجِبْتُ لعَيْنٍ كيف تدركُ عَيْنَها وتعجزُ عَنِ ٱدْرَاكِ من قَالَ أنَّها

ولم يَكُ مشهودٌ سواه وإنما شُهُودُ وُرُودِ الغَيْبِ عنها أجَنَّهَا

اعلم أيدك الله أن هذا المنزل بينه وبين المنزل الذي قبله تخالج لكون النبيّ ﷺ شبه رؤيتنا الله برؤيتنا القمر ليلة إبداره، والشمس ليس دونها سحاب، وأنه لا يدركنا في رؤيته ضيم ولا انضمام ولا ضرر يقوم بنا ولا مضاررة لغيرنا، وقد أبان ﷺ لأمته عن صورة تجلي الحق لعباده بقول ما قاله نبيّ لأمته قبله وبهذا أثنى الله عليه فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولم يخص مؤمناً من كافر فقال ﷺ لما حذر من الدجال في دعواه الألوهية فقال: «**أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً مَا قَالَهُ نَبِيٌّ لأُمَّتِهِ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ قَدْ حَذَّرَ أمتَهُ الدَّجَّالَ: ألا إنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى كَأَنَّ عَينَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيسَ بِأَعْوَرَ**» فعرفنا بأي صورة نرى ربنا، ولا يقال إنه أراد صورة لا تقبل العور فكانت فائدة الإخبار، ترتفع، فإن تلك الصورة كانت تعطي بذاتها نفي العور عنها، وإنما لما كانت الصورة ممن يقبل ذلك بين لنا أنه ليس كذلك لما علم من قوع الشبه فيما وقعت فيه السلامة من العيب، وإنما كان الدجال أعور لأنه على نصف الصورة إذ لم يحز رتبة الكمال كما حازها أكثر الرجال.

ثم نرجع ونقول: إن موسى لما كلمه ربه أدركه الطمع فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فسأل ما يجوز له السؤال فيه، إذ كانت الرسل أعلم الناس بالله وأنه ذو إدراك يدركه به، وأنه المدرك بالإدراك لا الإدراك، فإنه عالم بأن الأبصار لا تدركه وإنما هي آلة يدرك بها، وإنما منع موسى من الرؤية لكونه سألها عن غير أمر إلهي أوحي به إليه فإنهم أدباء لا يتبعون إلا ما يوحى به إليهم ولا سيما في الجناب الإلهي فلهذا قيل له: لن تراني، ثم استدرك استدراك لطيف بعبده لما انتهى فيه حد عقوبة فوت الأدب بالسؤال ابتداء الذي حمله عليه شوقه فكان مثل السكران، فلما علم أن اليأس قد قام به فيما طلبه استدرك بالإحالة على الجبل في استقراره عند التجلي والجبل من الممكنات فتجلى له ربه فاندكّ عند ذلك التجلي لكون روحه ما أوجده الله لحفظ الصورة على الجبل مثل الأرواح المدبرة، وإنما أوجده ليكون مسبحاً له، فلذلك لم تحفظ عليه صورة الجبلية وأثر فيه التجلي وحفظ روح موسى عليه السلام على موسى في صعقه عند رؤية ما رآه الجبل الذي كان حجاباً عليه صورة نشأته، فلما أفاق رجع موسى موسى وما رجع الجبل جبلاً علم موسى أنه قد وقع منه ما كان ينبغي له أن لا يقع إلا بأمر إلهي فقال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ لما علم أن الله يحب التوّابين ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بوقوع هذا الجائز، إذ ما تقدم لأحد من هذا النوع الإنساني أنه

سأل ربه رؤيته ولا أنه رآه فلذلك ادعى موسى أنه أوّل المؤمنين ثم أعلمنا ﷺ أنه «**ما منَّا أحدٌ إلا سَيرى رَبَّه ويكَلّمه كِفَاحاً**»، وهذا كله إعلام بالصورة التي يتجلى لنا فيها وهي الصورة التي خلقنا عليها، ونحن نعلم قطعاً أن ذوق الرسل فوق ذوق الأتباع بما لا يتقارب، فلا تظن أن سؤال موسى رؤية ربه أنه فاقد للرؤية التي كانت حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله»، هذه الرؤية ما هي الرؤية التي طلبها موسى من ربه فإنها رؤية حاصلة له لعلوّ مرتبته، فإن ذوق الصادق ما هو ذوق الصديق، فالرؤية ثابتة بلا شك ذوقاً ونقلاً لا عقلاً، فإن رؤية الله تعالى من محارات العقول ومما يوقف عندها ولا يقطع عليها بحكم من أحكامها الثلاثة، إذ ليس للأنبياء ولا للأولياء من أهل الله علم بالله يكون عن فكر قد طهرهم الله عن ذلك بل لهم فتوح المكاشفة بالحق، فمن الرائين من يراه ولا يقيد ومنهم من يراه به، ومنهم من يراه بنفسه، ومنهم من لا يراه عنده وهو قد رآه ولا يعلم أنه رآه، لأن هذا الصنف ليس بصاحب علامة في الحق ولا يعرف صورة ظهوره في الوجود، ومنهم من لا يراه لعلمه بأن عينه لا تظهر هنا للعالم إلا بصور أحكام أعيان العالم وهو مجلاها فلا يقع الإدراك من الرائي إلا على صورة الحكم لا على العين فيعلم أنه ما رآه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] وهو العزيز الذي لا يرى من حيث هويته الحكيم في تجليه حتى يقال إنه رأى، انظر إلى الصورة الظاهرة للعين في الجسم الصقيل وحقق رؤيتك فتجد تلك الصورة قد حالت بينك وبين إدراكك عين الجسم الصقيل الذي هو مجلاها فلا تراه أبداً، والحق مجلى صور الممكنات فلم ير العالم إلا العالم في الحق لا بالحق وبالحق.

ثم لتعلم أن المرئي الذي هو الحق نور، وأن الذي يدركه به الرائي، إنما هو نور فنور اندرج في نور فكأنه عاد إلى أصله الذي ظهر منه فما رآه سواه، وأنت من حيث عينك عين الظل لا عين النور بل النور ما تدرك به كل شيء والنور من الأشياء، فلا تدركه إلا من كونك حاملاً للنور في عين ظلك والظل راحة والظلمة حجاب، فإذا طلع كوكب الحق ووقع في قلب العبد استنار به القلب وأضاء، فأزال عن صاحبه الحيرة والخوف فأخبر عن ربه بالصريح والإيماء وأنواع الإخبارات.

واعلم أن الأنبياء ما اختارت النوم على ظهورها إلا لعلمها أنه كل ما قابل الوجه فهو أفق له إذ كان لا يقابل الوجه إلا الأفق، وثم أفق أدنى أي أقرب إلى الأرض، وثم أفق أعلى وهو ما تقابله بوجهك عند استلقائك على ظهرك، وإذا كان التجلي في الصور دخله الحد والمقدار وأقرب القرب في ذلك أن يكون عين الخط الذي به تقسم الدائرة نصفين لظهور القوسين اللذين قرب بعضهما من بعض هو القرب الأوّل، والقرب الثاني القرب الخطي الذي هو أقرب من حبل الوريد، ولا تكون رؤية الحق أبداً حيث كانت إلا في منازلة بين عروج ونزول، فالعروج منا والنزول منه، فلنا التداني وله التدلي، إذ لا يكون التدلي إلا من أعلى، ولنا الترقي، وله تلقي الوافدين عليه، وذلك كله إعلام بالصورة التي يتجلى فيها لعباده، وأنها ذات حد ومقدار ليدخل مع عباده تحت قوله في حكمه: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:

٢١] وكل شيء خلقناه أي جعلناه بقدر، والرؤية مخلوقة فهي بقدر، والتنوّع في التجلي ظهور محدث عن المتجلى له فهو بقدر، ألا ترى تجليه بالحكم في الأعيان المتخذة آلهة للغيرة الإلهية حيث حكم وقضى أنه لا يعبد إلا إياه، وكذا أخبر فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر، ونحن نحملها على الحكم كشفاً وهو الصحيح، فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فأنزلوهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم، وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوها إليهم، ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم، وإن أخطؤوا في النسبة فما أخطؤوا في المقام ولهذا قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [النجم: ٢٣] أي أنتم قلتم عنها أنها آلهة وإلا فسموهم، فلو سموهم لقالوا هذا حجر أو شجر أو ما كان، فتتميز عندهم بالاسمية، إذ ما كل حجر عبد ولا اتخذ إلهاً ولا كل شجر ولا كل جسم منير ولا كل حيوان ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] عليهم بقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]. واعلم أنه لولا الهوى ما عبد الله في غيره، وأن الهوى أعظم إله متخذ عبد فإنه لنفسه حكم وهو الواضع كل ما عبد، وفيه قلت: [الطويل]

وحَقِّ الهَوَى إنَّ الهَوَى سَبَبُ الهوى ... ولولا الهَوَى في القَلْبِ ما عُبِدَ الهَوَى

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] فلولا قوّة سلطانه في الإنسان ما أثر مثل هذا الأثر فيمن هو على علم بأنه ليس بإله، فإذا كان يوم القيامة جسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح، فإذا جسده قرره على ما حكم به فيمن قام به فحار وجاء بإله عليه فعذب في صورته وأفرد المحل عنه فحصل في النعيم وتجسد المعاني لا تنكر عندنا ولا عند علماء الرسوم، فحكمه في هذا مثل الحكم الذي في قوله: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من في قَلْبه مثقالُ ذَرَّة من كِبرٍ**»، فكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه يقول صدق يزال فيدخل صاحبه الجنة دونه ويبقى هو في النار صورة مجسدة أو يعود الكبر إلى من هو له فيأخذ كل ذي حق حقه.

واعلم أن الآلهة المتخذة من دون الله آلهة طائفتان: منها من ادعت ما ادّعي فيها مع علمهم في أنفسهم أنهم ليسوا كما ادعوا وإنما أحبوا الرياسة وقصدوا إضلال العباد كفرعون وأمثاله وهم في الشقاء إلا إن تابوا وهم ممن تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقت به من هذه الدعوى فما دونها مما يجب عنه السؤال فتنكر، ومنها من ادّعت ذلك على بصيرة وصحو وتحقق معرفة في مجلس لقرينة حال اقتضاها المجلس لما رأوا أن الحق عين قواهم وما هم هم إلا بقواهم وبقواهم يقولون ما يقولون، فقواهم القائلة لا هم وهي عين الحق كما أخبر الحق وكما أعطاه الشهود بانخراق العادة في قولهم عندهم فقالوا أنا الله، وإني أنا الله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] كأبي يزيد ممن نقل عنه مثل هذا مع صحوه وثبوته وعلمه بأن الحق هو الظاهر بأفعاله في أعيان الممكنات، وأنه في بعض الأعيان قد نص أنه هو، وفي بعض الأعيان لم يذكر أنه هو، ولذلك قال بعض العارفين في حق التلميذ الذي استغنى بالله

على زعمه عن رؤية أبي يزيد: لأن يرى أبا يزيد مرة خير له من أن يرى الله ألف مرة فعبر أبو يزيد فقيل له هذا أبو يزيد فعندما وقع بصره عليه مات التلميذ، فقيل لأبي يزيد في موته فقال: رأى ما لا يطيق لأنه تجلى له من حيث أنا فلم يطقه، كما صعق موسى لأن الله من حيث أنا مجلاه أعظم من حيث المجلى الذي كان يشهده فيه ذلك المريد، ومنها من ادّعت ذلك في حال سكر كالحلاج فقال قول سكران فخبط وخلط لحكم السكر عليه وما أخلص: [مجزوء الرمل]

قــد تَــصَــبَّــرْتُ وهَــلْ يــصْــبِــرُ قــلــبــي عــن فُــؤادي
مَــازَجَــتْ رُوحُــك رُوحــي فــي دُنُــوِّي وبــعــادي
فــأنــا أنْــتَ كــمــا أنــك أنّــي ومُــرَادي

فهذا سعد، وإن شقي به آخرون فلا جناح عليه ولا حرج لأنه سكران وهم المسؤولون، ومثل هذا أيضاً يلحق بأهل السعادة وإن ضل به عالم فما إضلالهم بمقصود له، فهؤلاء أصناف ثلاثة ادّعوا الألوهة لأنفسهم، فشقي بها واحد من الثلاثة وسعد اثنان وأما الطائفة الأخرى فادعيت فيها الألوهة ولم تدعها لنفسها، كالأحجار والنبات والحيوان، وبعض الأناسي والأملاك والكواكب والأنوار والجن وجميع من عبد واتخذ إلهاً من غير دعوى منه فهؤلاء كلهم سعداء، والذين اتخذوهم إذا ماتوا على ذلك أشقياء، ومن هؤلاء تقع البراءة يوم القيامة من الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ما لم يتوبوا قبل الموت ممن يقبل صفة التوبة وليس إلا الجن وهذا النوع الإنساني، ومهما علم بذلك المتخذ ولم ينصح ولا وقعت منه البراءة هنا مع كونه لم يدع ذلك ولكنه سكت، فإذا عذب الله غداً المشركين الذي ذكرهم الله أنه لا يغفر لهم فإنما يعذبهم من حيث أنهم ظلموا أنفسهم ووقعوا في خلق بكلام ودعوى ساءتهم وتوجهت منهم عليهم حقوق في أغراضهم يطلبونهم بها فمؤاخذة المشركين لحق الغير لا من جهة نفسه تعالى، وظلم أنفسهم أعظم من ظلم الغير عند الله بدليل ما جاء في الذي يقتل نفسه من تحريم الجنة عليه فعظم الوعيد في حقه، فإذا كان يوم القيامة وأدخل المشركون دار الشقاء وهي جهنم أدخل معهم جميع من عبدوه، إلا من هو من أهل الجنة وعمارها فإنهم لا يدخلون معهم، لكن تدخل معهم المثل التي كانوا يصوّرونها في الدنيا فيعبدونها لكونها على صورة من اعتقدوا فيه أنه إله فهم يدخلون النار للعقاب والانتقام، والمعبودون يدخلونها لا للانتقام فإنهم ما ادعوا ذلك ولا المثل، وإنما أدخلوها نكاية في حق العابدين لها، فيعذبهم الله بشهودهم إياهم حتى يعلموا أنهم لا يغنون عنهم من الله شيئاً لكونهم ليسوا بآلهة كما ادعوه فيهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقد قرىء: ﴿حطب جهنم﴾ وقال: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] وقال: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] وقال فيمن عبد من أهل السعادة كمحمد وعيسى عليهما السلام والخلفاء من بعده ومن ذكرناه من

مدع عن صحو وعن سكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] فمن كان مشتهاه ربه فهذه صفته وإنما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لما يؤثر ذلك السماع في صاحبه من الخوف لأنه ليس هو في تلك الحال بصاحب غضب فيلتذ بالانتقام، فإن الغضب لله إنما يقع في دار التكليف وهنالك لا نصيب للغضب في السعداء فإنه موطن شفاعة وشفقة ورحمة من السعداء، فلا يغضب في ذلك الموطن إلا الله، والسعداء مشغولون بالله في تسكين الغضب الإلهي بما تعطيه أنواع التسكين كما يقول محمد ﷺ في بعض المواطن: «**سُحْقاً سُحْقاً**» طلباً للتسكين والموافقة ثم بعد ذلك يشفع في تلك الطائفة عينها لتنوع ما يظهر الحق به في ذلك الموطن، فمن سمع حسيسها من السعداء الأكابر أثر ذلك السماع فيهم خوفاً على أممهم لا على نفوسهم فإذا بلغت بهم العقوبة حدها وانقضت فيهم بالعدل مدتها جسدت أهواؤهم التي بها عبدوا غير الله على صور ما اعتقدوه إلهاً حين عبدوه وعلى صور بواطنهم، فوقع العذاب بصور مجسدة ليبقى حكم الأسماء دائماً، ويبقى سكان الدار من الناس حيث هم أهلها في نعيم بها ينظرون إلى صور أهوائهم معذبة فينعمون بها، فإنها دار تتجسد فيها المعاني صوراً قائمة يشهدها البصر كالموت في صورة كبش أملح فيذبحه يحيى عليه السلام بين الجنة والنار لأن الحياة ضد الموت، فلا يزول الموت إلا بوجود الحياة، وبهذه الصور المخلوقة يكون ملء النار والجنة، فإنه أخبر الجنة والنار أنه سبحانه يملأ كل واحدة فقال لهما إن لكل واحدة منكما ملأها فإذا نزلوا فيها وبقي منها أماكن لم يبلغها عمارة أهلها أنشأ إرادات أهل الدارين صوراً قائمة ملأهما بها، وهذه الصور من الفرقتين المعبر عنهما بالقدمين، ففي أهل السعادة أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سابق عناية بأن يخلق إرادتهم طاعة الله وعبادته صوراً متجسدة وأعمالهم وقد ورد أن أعمال العباد ترد عليهم في قبورهم في صور حسنة تؤنسهم، وفي صور قبيحة توحشهم، فتلك الصور تدخل معهم في دار السعادة والشقاء وبها يكون ملؤهما، وأما دار الشقاء، إذا طلبت ملأها من الله وضع فيها الجبار قدمه فلهم قدم أيضاً كما كان لأهل السعادة أي سابق عناية يظهر العذاب في ذلك القدم وهو أهواؤهم، فدار السعداء التي هي الجنة نعيم كلها ليس فيها شيء يغاير النعيم، ودار الأشقياء ممتزجة بين منعم ومعذب، فإن فيها ملائكة العذاب لهم نعيم في تعذيب من سلطهم الله عليه فلا نعيم لهم إلا بالانتقام لله وهم أصحاب تكليف بأمر لا بنهي، فهم يسارعون إلى امتثال أوامر الله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] فلا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدته إلا العذاب الممثل المتخيل في حضرة الخيال لبقاء أحكام الأسماء فإنه ليس للاسم إلا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمه وليس له تعيين حضرة ولا شخص، وإنما ذلك من حكم الاسم العالم والمريد، فحيث ظهر حكم المنتقم من جسد أو جسم أو ما كان فقد استوفى حقه بظهور حكمه وتأثيره، فلا تزال الأسماء الإلهية مؤثرة حاكمة أبد الآبدين في الدارين وما أهلهما منهما بمخرجين.

ولما كانت الرؤية لأهل الجنان جعل الحجاب في مقابلته لأهل النار، وحجابهم مدة عذابهم حتى لا تزيدهم الرؤية عذاباً كما زادتهم السورة القرآنية هنا رجساً إلى رجسهم ومرضاً إلى مرضهم، فإذا انقضت المدة بقي الحجاب دونهم مسدلاً لينعموا، فإنه لو تجلى لهم هنالك مع ما تقدم لهم من الإساءة واستحقاق العقوبة أورثهم ذلك التجلي الإحسانيّ حياء من الله مما جرى منهم والحياء عذاب وقد انقضت مدته وهم لا يعلمون لذة الشهود والرؤية فلهم نعيم بالحجاب والغرض النعيم وقد حصل ولكن بمن؟ فأين النعيم برؤية الله من النعيم بالحجاب فهم عن ربهم يومئذ محجوبون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الباب الثاني والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل الحراسة الإلهية لأهل المقامات المحمدية وهو من الحضرة الموسوية

[الخفيف]

كُلُّ مَن مَالَ لاستدارة كَوْنِ فَهُوَ طَوْرٌ وجمعُه أطْوَارُ

وهو عطفُ الإلهِ ليس سواه فهو سِرٌّ في كوننا مستعارُ

بَدْءُ أعيانِنا به لوجوب يحكمُ العقلُ فيه والاضْطِرَارُ

لو تَنَاهَى الوجود ما كان كَوْراً فلهذا عَقْلُ اللبيب يَحَارُ

اعلم أيدك الله أن الله تعالى يقول في حق موسى عليه السلام معرفاً إيانا ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] فجعل النداء من الطور لانحنائه لأنه خرج في طلب النار لأهله لما كان فيه من الحنوّ عليهم الذي أورثه الانحناء على من خلق من الانحناء وهي أهله لأنها خلقت بالأصالة من الضلع والضلع له الانحناء، وكان الانحناء في الأضلاع لاستقامة النشأة وحفظ ما انحنت عليه من الأحشاء لتعم بانحنائها جميع ما تحتوي عليه فتتساوى أجزاؤها في الحفظ لها، بخلاف ما لو كانت على غير استدارة لكانت فيها زوايا فارغة بعيدة من الحفظ الذي خلقت له، ووقع التجلي لموسى في عين صورة حاجته فرأى ناراً، لأنها مطلوبه فقصدها فناداه ربه منها وهو لا علم له بذلك لاستفراغه فيما خرج له وهو قولنا في قصيدة لنا في جزء الزينبيات: [البسيط]

كنَار موسى يراها عَيْنَ حاجته وهو الإلهُ ولكن ليس يَدْرِيهِ

واعلم أن الله ما خلق الذي خلق من الموجودات خلقاً خطياً من غير أن يكون فيه ميل إلى الاستدارة أو مستديراً في عالم الأجسام والمعاني، وقال تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهو ما علا ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وهو ما سفل إذ لا أسفل منها أنه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فوصف نفسه بأنه لكل شيء حفيظ، والحفظ حنوّ من الحافظ على المحفوظ فيكون في شكل كل صورة الأجسام انحناء، وفي المعاني والأرواح حنوّ.

فلنذكر سبب ميل الأجسام إلى الاستدارة؛ وذلك أن أوّل شكل قبله الجسم الاستدارة وهو المسمى فلكاً أي مستديراً، وعن حركة ذلك الفلك ظهر عالم الأجسام علواً وسفلاً، فمنه ما ظهر بصورة ذات الأصل وهو كل من كملت فيه الاستدارة والتقى طرفا الدائرة، ومن نقص عن هذه الصورة لا بد أن يوجد فيه ميل إلى الاستدارة يظهر ذلك حساً في الأجسام حتى في أوراق الأشجار والأحجار والجبال والأغصان، فما في عالم الأجسام خط غير مائل إلا بالفرض والتوهم لا بالوقوع، وإنما ظهر الجسم بصورة الاستدارة أعني الجسم الكل الظاهر بالشكل لأن الله أراد أن يملأ به الخلاء، فلو لم يكن مستدير الشكل لبقي في الخلاء ما ليس فيه ملأ والخلاء استدارة متوهمة لا في جسم، وإنما وقع الأمر هكذا لصدور الأشياء عن الله ورجوعها فمنه بدأ وإليه يعود، فلا بدّ أن يكون هذا الأمر في عالم الشكل صورة دائرة لأنه لا يعود إليه على الطريق الذي خرج عليه، وإنما امتداده ينتهي إلى مبدئه، ولا يكون ذلك في الشكل الخطي لأنه لو كان لم يعد إليه أبداً وهو عائد إليه، فلا بدّ من الاستدارة فيه معنى وحساً. ومن خلقه العالم على الصورة أن خلقه مستدير الشكل فانظر في حكمة الله.

ولما كان المرجع إليه ليظهر الحنوّ الذي صورته انحناء لذلك عمت رحمته جميع الموجودات ووسعت كل شيء كما وسع هو كل شيء رحمة وعلماً ولم يجر للغضب ذكر في هذه السعة الإلهية والرحمانية، فلا بدّ من مآل العالم إلى الرحمة لأنه لا بد للعالم من الرجوع إلى الله فإنه القائل ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فإذا انتهت رجعته إليه عاد الأمر إلى البدء والمبدا والمبدي والمبدأ رحمة وسعت كل شيء والمبدي وسع كل شيء رحمة وعلماً، فغرف الأمر في عوده في الرحمة فيأمن من تسرمد العذاب على خلق الله أين أنت من هذا الشهود لولا سبق الرحمة الشاملة العامّة الامتنانية لتسرمد العذاب على من ينفي رحمة الله من هذه السعة التي ذكر الله فيها، ولكن سبق الرحمة جعله أن يبدو له من الله من الرحمة به مع هذا الاعتقاد ما لم يكن يحتسبه، فما آخذه الله بجهله لأنه صاحب شبهة في فهمه، فعين بصيرته مطموس وعقله في قيد الجهالة محبوس، وما في الحيوان من جري في مسكنه وعمارة بيته وإقامة صورته على شكل العالم مثل النحل فسدست صور بيوتها حتى لا يبقى خلاء كما سد الشكل الكروي الخلاء فلم يبق خلاء وعمرت بيتها بالعسل الذي هو ملذوذ نظير الرحمة الإلهية التي عمت الوجود وغمرته، وما عمرته بذلك في حق غيرها وإنما عمرته في حق نفسها؛ وكذا صدر العالم على هذه الصورة فما من شيء من العالم إلا وهو يسبح بحمده، فلنفسه أوجده لأنه ما شغله إلا به، وقال فيمن جعل فيه استعداداً يمكن أن يسعى به لنفسه ولغير الله فنبه أنه ما خلقهم إلا لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فكونهم ما فعل بعضهم ما خلق له لا يلزم منه بالقصد المذكور أنه خلق لما تصرّف فيه ولذلك يسأل ويحاسب كما وقع فيما اختزنته النحلة لنفسها وأظهرته منها لقوام ذاتها فأخذه من أخذه وتحكم فيه في غير ما أوجدته له ولما كان الأمر كما ذكرناه في النحل دون غيره لذلك أخبرنا الله عنها أنه أوحى إليها دون غيرها من الحيوان ،وقال فيما يخرج من بطونها إنه شفاء

للناس فأنزله منزلة الرحمة التي وسعت كل شيء وما ذكر له مضرّة وإن كان بعض الأمزجة يضرّه استعماله ولكن ما تعرّض لذلك أي أن المقصود منه الشفاء بالوجود كما المقصود بالغيث إيجاد الرزق الذي يكون عن نزوله بالقصد، وإن هدم الغيث بيت الشيخ الفقير الضعيف فما كان رحمة في حقه من هذه الجهة الخاصة ولكن ما هي بالقصد العام الذي له نزل المطر، وإنما كان ما كان من استعداد القابل للتهدم لضعف البنيان، كما كان الضرر الواقع لآكل العسل من استعداد مزاجه لم يكن بالقصد العام.

واعلم أن حفظ الله للعالم إنما هو لإبقاء الثناء عليه بلسان المحدثات بالتنزيه عما هي عليه من الافتقار فلم يكن الحفظ للاهتمام به ولا للعناية بل ليكون مجلاه وليظهر أحكام أسمائه، وكذا خلق الإنسان على صورته فقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] فجعله لا يسعى إلا لنفسه، ولهذا قرن بسعيه الأجر حتى يسعى لنفسه، بخلاف من لا أجر له من العالم الأعلى والأسفل، وليس بعد الرسل ومرتبتهم في العلم بالله مرتبة فهم المطرقون والمنبهون، ومع هذا فما منهم من رسول إلا قيل له قل لأمّتك ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على ما بلغتكم ﴿مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [يونس: ٧٢] فإنه الذي استخدمه وأرسله فالأجر عليه، فما سعوا ولا بلغوا إلا في حظوظ نفوسهم، لكن الفرق بين العلماء من أهل الله وبين العامّة أنهم علموا ما الأجر ومن صاحبه ومن يطلبه منهم ممن لا يطلبه ولمن يرجع ذلك الحكم؟ فكل ساع في أمر فإنما يسعى لنفسه كان ذلك الساعي من كان لا يستثنى ساع من ساع بل الأمر كله لله.

وتختلف الأجور باختلاف المقاصد فأعلاها حب المدح والثناء فإنها صفة إلهية ولأجلها أوجد الله العالم ناطقاً بتسبيحه بحمده، ودون ذلك من الأجور طلب الزيادة من العلم بالكوائن، ودون ذلك من الأجور ما تطلبه الطبيعة من القوى الروحانية لوجود الانفعال كثيراً عنها، ودون ذلك ما تطلبه الطبيعة من القوى الحسية لمجرد الالتذاذ الذي للروح الحيواني به، وليس وراء ذلك أجر يطلب، فما ذكرنا سعياً إلا وهو حظ للنفس الساعية، فإذا علمت حفظ الله العالم علمت قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]فكثر فقال فإنك بأعيننا فكثر، فكل حافظ في العالم أمراً ما فهو عين الحق، إذ الحفظ لا يكون إلا ممن لا يغالب على محفوظه ولا يقاوى على حفظه، فكن حافظاً، لما أنت به تكن عين الحق في وجوده، فحفاظ العالم لهم هذه المنزلة وهم لا يعلمون أنهم أعين الحق، وذلك ليعلم فضل أهل الشهود والوجود على غيرهم، وإن وقع الاشتراك في الصفة، ولكن ليس من علم منزلته من حضرة الحق مثل من لم يعلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فهذا إعلام بأنهم علموا ثم طرأ النسيان على بعضهم، فمنهم من استمر عليه حكم النسيان ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] ومنهم من ذكر فتذكر وهم ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ولب العقل هو الذي يقع به الغذاء للعقلاء فهم أهل الاستعمال لما ينبغي أن يستعمل، بخلاف أهل العقول فإنهم أهل قشر زال عنه لبه فأخذه أولو الألباب فعقلوا وما استعملوا ما ينبغي أن يستعملوه، لأن العقل لا

يستعمل إلا إذا كان قشراً على لب، فاستعمال العقل بما فيه من صفة القبول لما يرد من الله مما لا يقبله العقل الذي لا لب له من حيث فكره، فلهذا أهل الله هم أهل الألباب لأن اللب غذاء لهم فاستعملوا ما به قوامهم، وأهل العقل هم الذين يعقلون الأمر على ما هو عليه إن اتفق وكان نظرهم في دليل، فإذا عقلوا ذلك كانوا أصحاب عقل، فإن استعملوه بحسب ما يقتضي استعمال ذلك المعقول فهم أصحاب لب: [الطويل]

وفي اللُّبِّ لُبُّ الدُّهْنِ إنْ كُنْتَ تعلمُ وفي الدُّهن إمدادٌ لمن كان يَفْهَمُ

فمن رزق الفهم من المحدثات فقد رزق العلم، وما كل من رزق علماً كان صاحب فهم، فالفهم درجة عليا في المحدثات، وبه ينفصل علم الحق من علم الخلق فإن الله له العلم ولا يتصف بالفهم والمحدث يتصف بالفهم وبالعلم، وفي الفهم عن الله يقع التفاضل بين العلماء بالله، والفهم متعلقه الإمداد الإلهيّ الصوري خاصة، فإن كان الإمداد في غير صورة كان علماً ولم يكن هناك حكم للفهم لأنه لا متعلق له إلا في هذه الحضرة، فلهذا يسمى مستفيداً لما استفاده من فهمه، إذ لا يصح لمستفيد استفادة من غير حالة الانتقال من محل العالم المعلم إلى محل المتعلم، فما استفاد ما استفاد إلا من فهمه، فللمعلم إنشاء صور ما يريد تعليمها للطالب المتعلم وللمستفيد الفهم عنه، فلولا قوّة الفهم ما استفاد، فكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات كذلك ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ وهو الذي لا يفهم فيعلم ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩] الذي يفهم فيعلم، كما لا تستوي الحسنة ولا السيئة، فلا يستوي الحق والخلق فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فأعلم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأبهم فحير العقول والفهوم بين الإعلام والإبهام، غير أن الرحمة لما عمت عاملهم الحق بما أداهم إليه اجتهادهم أصابوا في ذلك أم أخطؤوا طريق القصد بالوضع، إذا لا خطأ من هذا الوجه في العالم إلا على ما ذكرناه من إضافة شيء إلى غير ما أضيف إليه في نفس الأمر، كمن يطلب الشيء من غير سببه الذي وضع له، فله أجر الطلب لا أجر الحصول لأنه لم يحصل فهو طالب في الماء جذوة نار، فكان في الإبهام عين المكر الإلهيّ، فالعالم يلحق الفروع بأصولها على بصيرة وكشف والمبهم عليه يلحق الفروع بالأصول فإن وافقت أصولها فبحكم المصادفة وهو يتخيل أنها أصل لذلك الفرع، فإذا صادف سمي خيالاً صحيحاً وإن لم يصادف سمي خيالاً فاسداً، فلولا الإبهام ما احتيج إلى الفهم فهي قوّة لا تتصرّف إلا في المبهمات الممكنات وغوامض الأمور، ويحتاج صاحب الفهم إلى معرفة المواطن، فإذا كان الميزان بيده الموضوع الإلهيّ عرف مكر الله وميزه، ومع هذا فلا يأمنه في المستقبل لأنه من أهل النشأة التي تقبل الغفلات والنسيان وعدم استحضار العلم بالشيء في كل وقت، ولا فائدة في إلحاق الفروع بأصولها إلا أن يكون للفروع حكم الأصول، وأصل وجود العالم وجود الحق، فللعالم حكم وجود الحق وهو الوجوب من حيث ما هو وجوب.

ثم كون الوجوب ينقسم إلى وجوب بالذات وإلى وجوب بالغير هذا أمر آخر، وكذلك أصل وجود العلم بالله العلم بالنفس، فللعلم بالله حكم العلم بالنفس الذي هو أصله، والعلم

بالنفس بحر لا ساحل له عند العلماء بالنفس فلا يتناهى العلم بها هذا حكم علم النفس. فالعلم بالله الذي هو فرع هذا الأصل يلحق به في الحكم فلا يتناهى العلم بالله، ففي كل حال يقول: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فيزيده الله علماً بنفسه ليزيد علماً بربه هذا يعطيه الكشف الإلهيّ وذهب بعض أصحاب الأفكار إلى أن العلم بالله أصل في العلم بالنفس، ولا يصح ذلك أبداً في علم الخلق بالله وإنما ذلك في علم الحق خاصة وهو تقدم وأصل بالمرتبة لا بالوجود، فإنه بالوجود عين علمه بنفسه عين علمه بالعالم، وإن كان بالرتبة أصلاً فما هو بالوجود كما تقول بالنظر العقلي في العلة والمعلول وإن تساوقا في الوجود ولا يكون إلا كذلك، فمعلوم أن رتبة العلة تتقدم على رتبة المعلول لها عقلاً لا وجوداً، وكذلك المتضايفان من حيث ما هما متضايفان وهو أتم فيما نريد، فإن كل واحد من المتضايفين علة ومعلول لمن قامت به الإضافة، فكل واحد علة لمن هو له معلول، ومعلول لمن هو له علة، فعلة البنوّة أوجبت للأبوّة أن تكون معلولة لها، وعلة الأبوة أوجبت للبنوّة أن تكون معلولة لها ومن حيث أعيانهما لا علة ولا معلول.

واعلم أنه مما يتعلق بهذا الباب كون العالم عيالاً لله تعالى وبعضه اتخذه أهلاً فقال عليه السلام في الخبر الوارد عنه: «**إِنَّ الخَلْقَ عِيالُ الله**» وأخبر في آخر: «**إِنَّ أَهْلَ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**» والأهلية منزلة خصوص واختصاص من العموم، وجعل الرحم التي منها ظهر أولو الأرحام فينا شجنة من الرحمن، كما أن الولد شجنة من أبويه وجعل له سبحانه نسباً بينه وبين عباده وهو التقوى، فيضع أنساب العالم يوم القيامة ويرفع نسبه فيعم لأنه ما ثم إلا من يتقيه، ومن اجترأ عليه فمن كونه أجرأه عليه بما ذكر من حكم نعته بالعفو والتجاوز والصفح والمغفرة وعموم الرحمة فأشهدهم هذه النعوت وليس لها أثر يظهر حكمه عموماً لكل ناظر إلا في العصاة ولا سيما العفو، فكل عاص ما اجترأ على الله إلا به وهو من حيث نفسه متق لله فإن النسب ما للأحوال فيه أثر إذا هو صح، وما اعتبر الله إلا النسب الدينيّ وبه يقع التوارث بين الناس، فإذا اجتمع في الشخص النسب الدينيّ والطينيّ حينئذ له أن يحجب ما يحجبه من النسب الدينيّ والطينيّ، فإذا لم يكن له نسب طينيّ وله نسب ديني رجع على دينه لم يحجبوا بالنسب الطينيّ وراثته عن النسب الديني فورثه المسلمون، أو يكون كافراً فيرثه الكفار، وإن كان ذو نسب طيني وليس له نسب ديني فيرثه المسلمون فما إلا خرج عن دينه تعالى، فإن نسب التقوى يعم كل نحلة وملة إن عقلت، فمن حيث إن العالم عيال الله رزقهم ومن حيث إن فيهم من هو أهل له اعتنى بهم فأشفق عليهم، ومن حيث إنهم مخلوقون على الصورة على وجه الكمال استنابهم، ومن حيث إن بعضهم على بعض الصورة مرفق بهم، ومن حيث النسب المذكور نظر إليهم الاسم الرحمن بالوصل وانتظام الشمل، فمن كل وجه له نظر إليهم بالإحسان ولهذا تسمى بالبرّ الرحيم، والبرّ معناه المحسان. وهذا القدر كاف في الكلام في هذا المنزل، فلنذكر ما يتضمن من العلوم:

فمنها علم أفضل الأشكال، ومنها علم الكتب ومراتبها ومعرفة المبين منها من المنير من

الحكيم من الكريم من المحصي من المسطور من المرقوم من المعنوي من الحسي من الأم من الإمام إلى غير ذلك من أصناف الكتب والكتاب، فإن الله كتب التوراة بيده وكتب القلم بنفسه عن أمر ربه في اللوح المحفوظ، ومرتبة كل كاتب وما كتب من الكتابة في الأرحام وهم كتاب الخلق والرزق، والأجل والشقاء والسعادة والكرام الكاتبون، والفرق بين المكتوب فيه من لوح محفوظ وألواح غير محفوظة ورق وغير ذلك وصور الكتابة الإلهية من غيرها، هذا كله يعلم من هذا المنزل ويشهده من دخله، وعلم المعمور من العالم من غير المعمور وغير المعمور هل معمور بما لا تدركه أبصارنا أو ليس بمعمور في نفس الأمر وعمارة الأمكنة بما يتكوّن فيها من نبات أو حيوان أو معدن أو ما ينزل فيه من حق وملك وجان والفرق بين الاسم الإلهيّ العلي والرفيع ولماذا جاء الاسم الرفيع مقيداً بالإضافة والعلي مطلقاً من غير تقييد، وعلم كيفية انقلاب الضد إلى ضده إذا جاوز حده هل ذلك من حيث جوهره أو جوهر صورته؟ وعلم الإيلاء الإلهيّ بنفسه وبالموجودات والمعدومات، وعلم المقسم عليه في تقييده بالماضي وهو الواقع أو بالمستقبل الذي لا بد من وقوعه حكماً أو وجوده عيناً، ولماذا اختص المقسوم عليه بالقسم دون غيره وهو من حيث هو عالم واحد، وعلم القضاء هل له رادّ أم لا؟ وذلك الراد هل هو منه أو أمر آخر اقتضاه شرط بالرفع أو بالثبوت؟ وعلم تغير النعوت على المنعوت بها هل كل متغير قام التغير بذاته أو كان التغير في حكمه لا في عينه ولا في صفته إن كان ذا صفة، وعلم السبب المؤدي إلى الجحد مع العلم وأنه لا ينزل منزلة الجاهل في الحكم وهل الجاهل معذور أم لا؟ وعلم العلم المحمود من العلم المذموم وهل الذم له عرضي عرض له من المعلوم أم لا أثر له فيه لا بالحكم العرضي ولا الذاتي، وهل للعلم أثر محسوس في النفس والحس أم لا أثر له إلا في النفس كمن يعلم أنه تقع به مصيبة ولا بد فيتغير لذلك مزاجه ولونه وحركته ويتبلبل لسانه ويقول ولا يدري ما يقول فإن العلم أثر في النفس خوفاً، وهذه الآثار آثار وجود الخوف عنده ما هي آثار العلم لأن العلم قد يقع في نفس القوي الذي يحكم على نفسه فلا يؤثر فيها خوفاً فلا يتغير مع وجود العلم، وعلم الأمر الذي يعذب به الكاذب، وهل يعذب بأمر عدمي لمناسبة الكذب أو يعذب بأمر وجودي لكون الكذب له مرتبة وجود في الوجود الذهني وحينئذ يعبر عنه الكاذب فهل عقوبته مثل نسبته إلى الحس فيكون بأمر عدمي أو بمثل نسبته إلى الخيال فيكون بأمر وجودي متخيل وهي علوم عجيبة في المشاهدات لا علم لعلماء الرسوم والنظار بهذه الموازنات لجهلهم بالميزان الموضوع الذي وضعه الله عند رفع السماء وبسط الأرض بين السماء والأرض وأنه مع كونه موضوعاً هو بيد الحق المسمى بالدهر يخفض ويرفع، وعلم السحر لماذا يرجع وهل فيه محمود وما فعله؟ وعلم السواء في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٦] ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] وقوله: ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الطور: ١٦] وموطن الدنيا الذي وقع فيه الاستغفار يقتضي أن يقبل بخلاف موطن الآخرة، فكما أنه

استوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار فلم يؤمنوا، كذلك استوى في حقهم في الآخرة وجود الصبر وعدمه فلم يؤثر في نفوذ الجزاء الوفاق، وعلم الاعتماد على غير الله مما يحمد الله أن يعتمد عليه ما أثره في الدار الآخرة في الجزاء الوفاق، وعلم سبب النكاح الذي لا يكون عنه التناسل لإبقاء ذلك النوع، وعلم سبب المعاطاة من غير حاجة إذ المعاطاة لا تكون إلا في ذي حاجة، وعلم وجود الامتنان مع المعاوضة في البيوع لا في الهبات لأن الامتنان في الهبات معقول ولهذا شرعت المكافأة عليه ليضعف سلطان الامتنان والسبب الذي يرفع الامتنان من العالم ولمن ينبغي الامتنان مع المعاوضة، وعلم الفرق بين الكهانة والوحي، وعلم ما هو الهوى والعقل الذي يقابله، وعلم من أين خلق العالم هل من شيء أو من لا شيء؟ وعلم هل تتفاضل الأرواح في القوّة فيؤثر بعضها في بعض كالقوى الجسمانية أم لا؟ وعلم الخزائن الإلهية وما اختزن فيها وأين مكانها؟ وعلم عندية الحق هل هي نسبة أو ظرف وجودي؟ وعلم ترقي العالم الطبيعي على أي معراج يكون هل على طبيعي فيفتقر أيضاً إلى معراج أو على غير طبيعي؟ وعلم صورة تأثير المعاني اللطيفة في الأجرام الكثيفة، وعلم تأثير القصد في الأفعال، وعلم ما ينبغي أن يكون عليه الإله من الصفات، وعلم سبب خيبة الظنون في وقت دون وقت، وعلم أحوال التنزيه فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم قد ذكرناه لتتوفر همة الطالب على طلبها من الله أو من العالم بها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل «خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك» وهو من الحضرة الموسوية

[البسيط]

إنَّ النُّفُوسَ لتُجْزَى بالذي كسبتْ من كل خير ولا تُجْزَى بما اكْتَسَبَتْ

ما الاكتسابُ بكَسْبٍ إن عَمِلْتَ به جَنَيْتَ من خَيْر يوم الدين ما غَرَسَتْ

اعلم أيدك الله أن الله تعالى خلق جميع من خلق في مقام الذلة والافتقار وفي مقامه المعين له فلم يكن لأحد من خلق الله من هؤلاء ترق عن مقامه الذي خلق فيه إلا الثقلين، فإن الله خلقهم في مقام العزة وفي غير مقامهم الذي ينتهون إليه عند انقطاع أنفاسهم التي لهم في الحياة الدنيا، فلهم الترقي إلى مقاماتهم التي تورثهم الشهود والنزول إلى مقاماتهم التي تورثهم الوقوف خلف الحجاب فهم في برزخ النجدين ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فيعلو ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] فيسفل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ما قال إلا في العبادة، فلما جعل العبادة بأيديهم وجعلها المقصود منه بخلقهم فمنهم من قام بما قصد له فكان طائعاً مطيعاً لأمر الله الوارد عليه بالأعمال والعبادة فإنه قال لهم: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] كما أخبر: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] هذا أمر بعبادة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] هذا أمر بعمل والعمل ما هو عبادة فالعمل صورة والعبادة روحها،

فالعبادة مقبولة عند الله على كل حال اقترنت بعمل أو لم تقترن، والعمل لغير عبادة لا يقبل على كل حال من حيث القاصد لوقوعه الذي هو النفس المكلفة، لكن من حيث إن العمل صدر من الجوارح أو من جارحة مخصوصة فإنها تجزى به تلك الجارحة فيقبل العمل لمن ظهر منه ولا يعود منه على النفس الآمرة به للجوارح شيء إذا كان العمل خيراً بالصورة كصلاة المرائي والمنافق، وجميع ما يظهر على جوارحه من أفعال الخير الذي لم تقصد به النفس عبادة، وأما أعمال الشر المنهي عنها فإن النفس تجزى بها للقصد والجوارح لا تجزى بها لأنه ليس في قوتها الامتناع عما تريد النفوس بها من الحركات فإنها مجبورة على السمع والطاعة لها، فإن جارت النفوس فعليها، وللجوارح رفع الحرج بل لهم الخير الأتم وإن عدلت النفوس فلها وللجوارح فإن النفوس ولاة الحق على هذه الجوارح، والجوارح مأمورة مجبورة غير مختارة فيما تصرف فيه فهي مطيعة بكل وجه والنفوس ليست كذلك، ومن النفوس من لم يقم بما قصد له فكان عاصياً مخالفاً أمر الله حين أمره بالأعمال والعبادة، فالطائع يقع منه العبادة في حالة الاضطرار والاختيار وإن لم يكن مطيعاً من حيث الأمر بالعمل، فإن كان مطيعاً طائعاً فقد فاز بوقوع ما قصد له في الخلق والأمر فإن لله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وأما العاصي فلا تقع منه العبادة إلا في حال الاضطرارلا في حال الاختيار، ويقع منه صورة العمل لا العمل المشروع له فهو مخالف لأمر الله فلم يقم بما قصد له من الخلق والأمر ولما خلق الله الثقلين في هذا المقام الذي قصده بخلقهم وهو أجلية الحق فرغهم لذلك حتى لا يقوم لهم حجة بالاشتغال بما به قوامهم، فخلق الأشياء التي بها قوامهم خاصة من أجلهم ليتفرغوا لما قصد بهم فقامت عليهم حجة الله إذا لم يقوموا بما خلقوا له.

ثم إنه علم من بعضهم أنه يقوم له شبهة في السعي فيما خلق من أجله في حق الغير لما بلغه أن الله يقول: «**جِعْتُ فلم تُطْعِمْني**» وقال، لما قال له العبد: يا رب وكيف تطعم وأنت رب العالمين؟ فقال الله له: ألم تعلم أنه استطعمك فلان فلم تطعمه أما أنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي، فأنزل الحق نفسه منزلة ذلك الجائع، فلما لاحت له هذه الشبهة قال: نسعى في حق الغير وننتفع بما نسعى به بحكم التبع فقال الله له: ما فهمت عني ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين لا أنتم، فما بقيت لهم حجة بتمام الآية.

وأما اعتمادهم على ذلك الخبر فلا يقوم لهم به حجة عند الله، فإنه لما خلق الأشياء من أجلك التي بها قوامك أعطاك إياها وأوصلها إليك ليكون بها قوامك، ثم أفضل لبعضهم من ذلك ما يزيد على قوامهم ليوصله إلى غيره ليكون به قوام ذلك الغير ويحصل لهذا أجر أداء الأمانة التي أمنه الله عليها فذلك هو الذي عتبه الحق حيث استطعمه فلان وكان عنده ما يفضل عن قوامه فلم يعطه إياه، فلم يلزم من هذا الخبر أن يسعى في حق الغير وهو المراد في تمام الآية في قوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

ولما خلق الله الإنسان وأعطاه الجدل قال بعضهم: لما استطعمني فلان وعندي ما يفضل عن قوامي فلو كان لهذا المستطعم أمانة عندي ما استطعت إمساكها فلذلك لم نطعمه،

فقيل له ما قيل لإبليس متى علمت أنه ليس له أبعد ما منعته أو قبل ذلك أعطاك الله علم الكشف أنه ليس لهذا أو عين لك صاحبه أو ما علمت أنه ليس له إلا بعد حصول المنع منك وانصرافه عنك فلا بد أن يقول بعد المنع علمت ذلك فيقال له بذلك أخذت فإن إبليس قال للحق أمرتني بما لم ترد أن يقع مني فلو أردت مني السجود لآدم لسجدت فقال الله له: «متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الإباية منك وذهاب زمان الأمر أو قبل ذلك؟» فقال له: بعد ما وقعت الإباية علمت أنك لو أردت السجود مني لسجدت، فقال الله له بذلك: «أخذتك ولم يؤاخذ أحد إلا بالجهل»، فإن أهل العلم الذين طالعهم الله بما يحدثه من الكوائن في خلقه قبل وقوعها لا يؤاخذون على ما لم يقع منهم مما أمروا به بالواسطة أن يقع منهم فإنهم في عين القربة بالاطلاع، وليس المراد بامتثال الأمر إلا القربة ومحل القربة ليس بمحل تكليف، فإذا وقع من المقربين أعمال الطاعات فبشهود فإنهم على بينة من ربهم فهم عاملون من حيث شهودهم الأمر الإلهي من غير الواسطة التي جاءت به، فهم بالصورة في الظاهرة أتباع الأمر الواسطة، وفي الباطن أصحاب عين لا أتباع.

فالحاصل من هذا أنه من لم يغب عن عبوديته لله في كل حال فقد أدى ما خلق له وكان طائعاً، وسواء كان مطيعاً أو مخالفاً فإن العبد الآبق لا يخرجه إباقه عن الرق، وإنما يخرجه عن لوازم العبودية من الوقوف بين يدي سيده لامتثال أوامره ومراسمه، ألا ترى اسم العبودية ينسحب عليه سواء كان مطيعاً أو مخالفاً؟ كما يبقى اسم البنوّة على الابن سواء كان باراً أو عاقاً، فالعبد الذي وفى ما خلق له لا يخلو أمره في نفسه من حالتين: إما أن يكون مشهوده قيمته فهو يقوم في مقام قيمته فيصحبه الانكسار والتسليم والخضوع، وإما أن يقام في حال الاعتزاز بسيده فيظهر عليه العجب بذلك، والنخوة كعتبة الغلام لما زهى فقيل له في ذلك فقال: وكيف لا أزهو وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً كما هو الأمر في نفسه، ولكن الفضل في أن يكون ذلك الأمر مشهوداً له، فهاتان حالتان محمودتان تشهد كل واحدة منهما للعبد بأنه وفى بما خلق له وبقي أيّ الحالتين أولى بالعبد هل شهود القيمة أو الاعتزاز بالسيد؟ فمن قائل بهذا ومن قائل بهذا.

والصحيح عندي عدم الترجيح في ذلك لما نذكره، وذلك أن المقامات والمواطن تختلف، فالموطن الذي يطلب ظهور الاعتزاز بالله لا ينبغي أن يظهر فيه العبد إلا بالاعتزاز بالله، والموطن الذي يقتضي ويطلب بذاته شهود العبد قيمته لا ينبغي أن يظهر فيه هذا العبد إلا بشهود قيمته، وقد احتج بعضهم في الاعتزاز بقوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] وبأمره تعالى ففروا إلى الله وهذه حجة للفريقين فإنه قد يفر إلى الله لطلب الاعتزاز بالله، وقد يفر إلى الله لتكون ذلته إلى الله وحاجته لا إلى غيره، إذ هو مفطور على الحاجة والافتقار، ولهذا قال بعد الأمر بالفرار إلى الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الذاريات: ٥١] تفتقرون إليه بل فروا إلى الله في طلب حوائجكم منه التي فطرتم عليها.

وأما فرار موسى عليه السلام الذي علله بالخوف من فرعون وقومه فما كان خوفه إلا

من الله أن يسلطهم عليه إذ له ذلك ولا يدري ما في علم الله، فكان فراره إلى ربه ليعتز به فوهبه ربه حكماً وعلماً وجعله من المرسلين إلى من خاف منهم بالاعتزاز بالله، وأيده بالآيات البينات ليشد منه ما ضعف مما يطلبه حكم الطبيعة في هذه النشأة، فإن لها خوراً عظيماً لكونها ليس بينها وبين الأرواح التي لها القوّة والسلطان عليها واسطة ولا حجاب، فلازمها الخوف ملازمة الظل للشخص، فلا يتقوى صاحب الطبيعة إلا إذا كان مؤيداً بالروح فلا يؤثر فيه خور الطبيعة، فإن الأكثر فيه إجراء الطبيعة وروحانيته التي هي نفسه المدبرة له موجودة أيضاً عن الطبيعة فهي أمّها وإن كان أبوها روحاً فللأم أثر في الابن فإنه في رحمها تكوّن وبما عندها تغذى، فلا تتقوى النفس بأبيها إلا إذا أيدها الله بروح قدسي ينظر إليها، فحينئذ تقوى على حكم الطبيعة فلا تؤثر فيها التأثير الكلي، وإن بقي فيه أثر فإنه لا يمكن زواله بالكلية.

واعلم أن الطبيعة ولود لا عقم فيها ودود متحببة لزوجها طلباً للولادة فإنها تحب الأبناء ولها الحنوّ العظيم على أولادها، وبذلك الحنوّ تستجلبهم إليها فإن لها التربية فيهم فلا يعرفون سواها، ولهذا لا ترى أكثر الأبناء إلا عبيداً للطبيعة لا يبرحون من المحسوسات والملذوذات الطبيعية إلا القليل فإنهم ناظرون إلى أبيهم وهم المتروحنون وليس علامتهم وعدم التنوّع في الصور، فإن التنوع في الصور كما هو لهم هو للطبيعة أيضاً، وإنما علامة المتروحنين على أنهم أبناء أبيهم تنزههم عن الشهوات الطبيعية وأخذهم منها ما يقيمون به نشأتهم كما قال ﷺ: «**حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**» فهمتهم اللحوق بأبيهم الذي هو الروح الإلهي اليائي لا الأمري، وإنما قلنا اليائي لقوله: «**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**» بياء الإضافة إليه لأنه فرق بين روح الأمر وبين روح ياء الإضافة، فجعل روح الأمر لما يكون به التأييد، وجعل روح الياء لوجود عين الروح الذي هو كلمة الحق المنفوخ في الطبيعة، فحن حنين الولد إلى أبيه ليتأيد به على ما يطلبه من شهود الحق الخارج عن الروح والطبيعة من حيث ما هو غني عنهما لا من حيث هو متجل للأبناء منهما أو بهما أو فيهما كل ذلك له وهذا مطلب عزيز، فإذا ناله وتقوى به أتى الشهوات بحكم الامتنان عليها نزولاً منه إليها، فهو يحكم بها على المشتهيات ما تحكم عليه شهوة في المشتهيات فهو مشتهي الشهوة وغيره تحت حكم الشهوة فصاحب هذا المقام يحدث عين الشهوة في نفسه قضاء وإجابة لسؤالات من يشتهي من عالمه الخاص به فينالون بتلك الشهوة ما يشتهون فيتنعم الروح الحيواني وهي ناظرة إلى ربها غير محجوبة قد تجلى لها في اسمه الخلاق وخلع عليها هذا الاسم ليتكون عنها ما تريد لا ما تشتهي، فهذه هي النفوس الفاضلة الشريفة المتشبهة بمن هي له، فتنظر إلى الطبيعة نظر الولد البار لأمه مع استغنائه عنها وفاء لحقها.

وإن الناس انقسموا في هذا الحكم أقساماً: فمنهم من عبد الله وفاء لحق العبودية فأقام نشأتها على الكمال فأعطاها خلقها، ومنهم من عبد الله وفاء لحق الربوبية الذي تستحقه على هذا العبد فأقام نشأة سيادة خالقه عليه فأعطاها خلقها من غير نظر إلى نفسه كما كان الأوّل من غير نظر إلى سيادة سيده بما هو ظاهر كل نشأة لا بما هي في نفس الأمر لأن العبد لا تعمل له

فيما تقتضيه الأمور لا نفسها، ومنهم من عبده لإقامة النشأتين فأعطاهما خلقهما فأقام نشأة عبوديته ونشأة سيادة سيده وذلك في وجوده وعينه إذ هو محل لظهور هذه النشأة ومنهم من عبد الله لكونه مأموراً بالعبادة وما عنده خبر بإقامة هذه النشآت فعبده بلازم العبودية فعبادته عن أمر إلهي ما هي ذاتية، ومنهم من أقامه الله في العبادة الذاتية فلم يحضر أمره إلا في العمل لا في العبادة، ومنهم من عبده بهذه الوجوه كلها وهو أقوى القوم في العبادة والنشأة القائمة من مثل هذا العبد أتم النشآت خلقاً فإن إقامة النشأة لا بد منها، فإن كانت مقصودة للعبد أضيفت إليه وحمد عليها، وإن لم تكن مقصودة للعبد العابد أقامها الحق تعالى وأضيفت إلى الله وحمد عليها مع ظهورها من العابد، والقصد إلى إيجادها أولى من الغفلة عنها أو الجهل بها، فمن الناس من يشهد ما ينشىء ومن الناس من لا يشهد ما ينشىء لأنه لا يعلم أنه ينشىء فيتولى الله إنشاءه على غير علم منه حتى تقوم صورة النشأة فيشهدها العابد حينئذ صادرة عنه فيحمد الله حيث ظهر منه مثل هذا، فهم على طبقات في هذا الباب أعني باب العبادة، وهكذا الحكم فيما ينشىء عنهم من صور الأعمال الظاهرة والباطنة هم فيها على طبقات مختلفة، فمنهم الجامع للكل، ومنهم النازل عن درجة الجمع.

فصل: ثم اعلم أن الأحد لا يكون عنه شيء البتة، وأن أول الأعداد إنما هو الاثنان ولا يكون عن الاثنين شيء أصلاً ما لم يكن ثالث يزوجهما ويربط بعضهما ببعض ويكون هو الجامع لهما، فحينئذ يتكوّن عنهما ما يتكوّن بحسب ما يكون هذان الاثنان عليه، إما أن يكونا من الأسماء الإلهية، وإما من الأكوان المعنوية أو المحسوسة أي شيء كان، فلا بدّ أن يكون الأمر على ما ذكرناه، وهذا هو حكم الاسم الفرد، فالثلاثة أوّل الأفراد، وعن هذا الاسم ظهر ما ظهر من أعيان الممكنات فما وجد ممكن من واحد وإنما وجد من جمع وأقل الجمع ثلاثة وهو الفرد فافتقر كل ممكن إلى الاسم الفرد ثم إنه لما كان الاسم الفرد مثلث الحكم أعطى في الممكن الذي يوجده ثلاثة أمور لا بدّ أن يعتبرها وحينئذ يوجده، ولما كان الغاية في المجموع الثلاثة التي هي أوّل الأفراد وهو أقل الجمع وحصل بها المقصود والغنى عن إضافة رابع إليها كان غاية قوّة المشرك الثلاثة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ﴾ [المائدة: ٧٣] ولم يزد على ذلك، وما حكي عن مشرك بالله أنه قال فيه غير ثالث ثلاثة ما جاء رابع أربعة ولا ثامن ثمانية، وهكذا ظهرت في البسملة ثلاثة أسماء لما كان من أعطى التكوين يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ والتكوين الإلهي عن قول كن وهو ثلاثة أحرف: كاف وواو ونون، الواو بين الكاف والنون لا ظهور لها لأمر عارض أعطاه سكون النون وسكون الواو، إلا أنه للنون سكون أمر، فانظر سريان الفردية الأوّلية كيف ظهر في بروز الأعيان، واعتبر فيما يتكون عنه ثلاثة أمور جعلها حقوقاً، فمن أحضر من العابدين المنشئين صور أعمالهم وعباداتهم هذه الحقوق عند إرادتهم إنشاءها وأعطى كل ذي حق حقه في هذه النشآت كان أتم وأعلى درجة عند الله ممن لم يقصد ما قصده، والصورة المنشأة فيها ثلاثة حقوق يقصدها الموجد الفرد الحق الواحد لله وهو ما يستحقه منها من التنزيه أو التسبيح بحمده، وحق النفس الصورة من

الاسم الفرد وهو إيجادها بعد أن لم تكن لتتميز في حضرة الوجود وتنصبغ به وتلحق بما هو صفة لخالقها وموجدها وهو الله، وهذه الدرجة الأولى من درجات التشبه به للظهور في الوجود والانصباغ به، والحق الثالث ما للغير في وجودها من المصلحة فتعطيه تلك النشأة حق ذلك الغير منها وهو مقصود لموجدها، وذلك الغير صنفان: الصنف الواحد الأسماء الإلهية فتظهر آثارها المتوقف ظهور تلك الآثار على وجود هذه العين، والصنف الآخر ما فيها من حقوق الممكنات التي لا تكون لها إلا بوجود هذه الصورة المنشأة فيقصد المنشىء لها في حين الإنشاء هذه الأمور كلها، فيكون الثناء الإلهيّ على هذا العابد بحسب ما أحضر من ذلك وما قصد، فمنهم من يجمع هذا كله في صورة عبادته وصورة عمله فيسري التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل ولهذا قال فيمن قال بالتثليث إنه كافر فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وما سماه مشركاً فإنه ستر ما كان ينبغي له إذ قال به أن يبين صورته، ولو أبان صورته لقال هذا الذي قلناه وتبين للسامع الحق في ذلك، فما ستر هذا البيان سماه كافراً لأنه ما من إله إلا إله واحد وإن كانت له أحكام مختلفة ولا بدّ منها، فلو لم يستر هذا الكافر وأبان لقال ما هو الأمر عليه، وأما من يدعي أن الآلهة ثلاثة فذلك مشرك جاهل، ونعوذ بالله أن يكون عاقل من المشركين، فالعدد أحكام الواحد وقد جاء العدد في الأسماء الحسنى وجاء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ من حيث دلالته على عين المسمى ﴿فَلَهُ﴾ أي لذلك المسمى ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] التي الله والرحمن منها من حيث ما هي أسماء لكن الأفهام قاصرة عن إدراك ما يريده الله في خطابه بأي لسان كان، فهذا بعض ما في هذا المنزل قد ذكرناه. فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم النافعة على طريق الذكرى ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فنقول ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤] و﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]:

فمن ذلك علم أسماء التكوين، وعلم حروف التكوين، وعلم الأرواح المفرقة لا الجامعة، وعلم الأمور الحاملة للأشياء ما يقصد بحملها ولمن تنتهي بالحمل إليه، وعلم السعايات ما نهايتها وما المقصود بها من السعاة هل لنيل ما ليس عندهم أو لإيصال ما عندهم لمن يطلبه إما بذاته الذي هو الطلب الذاتي وإما بسؤال منه في ذلك فيعطيه هذا الساعي بتيسير ويريحه من سعيه إليه وكده ومشقته، وعلم تفاصيل الأمور ولماذا ترجع تفاصيلها وتقسيمها هل إلى الأصل وهو الأسماء الإلهية؟ أو للقوابل وهي أعيان الممكنات؟ أو للجموع أيّ أمر كان من الأمور التي يطلبها التفصيل والتقسيم، وعلم الجزاء وصدق الوعد دون الوعيد، وعلم مدارج الملائكة والأرواح المفارقة المحمولة في الصور الجسدية، وعلم الخلاف من علم الاتفاق وفيماذا ينبغي الاتفاق وفيماذا ينبغي الاختلاف وهل للاختلاف وجه إلى الموافقة أم لا؟ وعلم السبب الذي منه تنبأ من ليس بنبي وهو المتنبىء، وعلم سبب السهو في العالم، وعلم الفتن والملاحم، وعلم صورة الأخذ من الله كيف يكون على الكشف وما أنتجه في الآخذين من أعمالهم في زمان التكليف، وعلم

المسامرة بعد إعطاء الحقوق، وعلم الستر والتجلي في بعض المواطن، وعلم أداء الحقوق ومن يؤدي بعد طلب صاحب الحق حقه ومن يبادر به، وعلم علامات اليقين، وعلم أينيات الأشياء ويتميز كل أين بتميز الشيئية التي تطلبه، وعلم التشبيه بين الأشياء للروابط التي تجمعها والوجوه وإن فرقتها أمور أخر فحكم الجامع لا يزول كما أن حكم الفارق لا يزول فإنه الحكم المقوّم لذات الشيء، وعلم حقوق الزائرين، وعلم سبب تقديم السلام على تقديم الطعام للضيف النازل وتقديم الطعام قبل الكلام، وعلم ما يتعين على الضيف أن يقوله ويعرف به صاحب المنزل وما لا يتعين عليه، وعلم الرسالة وظهور الملك في صورة البشر عند أداء الرسالة ما سببه في بعض الأحوال دون بعض، وعلم الرسالة البشرية، وعلم الأخذات الإلهية، وعلم تأثير القوّة هل يؤثر في قوي أو ضعيف مطلق أو ضعيف إضافي، وعلم التمهيد والسياسات والنواميس والشرائع، وعلم النتاج والإنتاج بين الزوجين، وعلم ما طلب الحق من عباده على الإطلاق والعموم وعلى التقييد. والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل تجديد المعدوم وهو من الحضرة الموسوية

[الطويل]:

هَوَى النُّور فارتدَّتْ عقولٌ كثيرةٌ ... عن الحَقِّ لما أن تَحَقَّقَتِ الهَوَى

وجاء بحبٍّ لا يَشُوبُ صفاءه ... من الرَّنْقِ ما يُعْميه في موقف السِّوَى

وأثبته النعتُ الودودُ بذاته ... فقام خطيباً بين مَرْوَةَ والصَّفا

وقال أنا العِشْقُ الذي سَجَدَتْ له ... جباهٌ لعُشَّاق وأوجهها العُلا

اعلم أيدك الله أن تجديد المعدوم لا يكون إلا في المعدوم الإضافي، كعدم زيد الذي كان في الدار فعاد إلى الدار بعد ما كان معدوماً عنها بوجوده في السوق قال تعالى في هذا المقام: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فكان محدثاً عندهم لا في عينه. وأما في الأعراض فهل ترد بأعيانها بعد عدمها أو هي أمثالها لا أعيانها؟ ففي إمكان النظر العقلي أنه لا يحيل رجوعها في أعيانها بعد عدمها، فيكون عين الحركة من المتحرك إذا التحقت بالعدم ثم أعقبها السكون ثم تحرّك ذلك الساكن في زمان آخر يمكن أن يكون تحريكه عين حكم تلك الحركة أوجدها الحق بعد عدمها أو زمان عدمها بكونه خلقها في متحرّك آخر غير ذلك المحل، فيكون ذلك تجديد الوجود عليها فتتصف بالوجود مرتين أو مراراً، وهذا في الكشف لا يكون للاتساع الإلهيّ فلا يتكرّر شيء أصلاً فهو في خلق جديد لا في تجديد، فإذا أطلق على الجديد اسم التجديد فلما يعطيه الشبه القويّ الذي يعسر ميزه وفصله عن مثله فيتخيل لوجود الإمكان في النظر العقلي أنه عين ما انعدم جدد الحق عليه الوجود، ويقال في الليل والنهار الجديدان لا المتجددان، فما هو يوم السبت يوم الأحد، ولا هو يوم السبت من

الجمعة الأخرى، ولا هو من الشهر، ولا من السنة الأخرى، ولا واحد الأحد عشر المركب من العشرة، والواحد الذي كان واحداً في أوّل العدد، والعشرة التي انتهى إليها العدد، وحينئذ ظهر التركيب بل هذا واحد مثله وعشرة مثلها، ولهما حقيقة واحدة هي أحدية الأحد عشر والواحد والعشرين والواحد والثلاثين، وكل ما ظهر من واحد مركب ما هو عين الواحد الآخر المركب ولا هو عين الواحد البسيط تركب بل هو أحد عشر لنفسه حقيقة واحدة، وكذلك واحد وعشرون وواحد ومائة وواحد وألف كل واحد مع ما أضيف إليه عين واحدة ما هو مركب من أمرين فاعلم ذلك، فإنه علم نافع في الإلهيات لما فيها من الأسماء والصفات المقولة على الذات المعقول منها كونها كذا ما هو عين كونها كذا، فتعرف من هذا من تجلى لك في كل تجل، ولهذا قالت الطائفة من أهل الأذواق: إن الله ما تجلى في صورة واحدة مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين، فهو في كل يوم من أيام الأنفاس التي هي أصغر الأيام في شأن بل في شؤون، فمن علم سعة الله علم سعة رحمته فلم يدخلها تحت الحجر ولا قصرها على موجود دون موجود.

واعلم أيدنا الله وإياك أن القرآن مجدّد الإنزال على قلوب التالين له دائماً أبداً لا يتلوه من يتلوه إلا عن تجديد تنزل من الله الحكيم الحميد وقلوب التالين لنزوله عرش يستوي عليها في نزوله إذا نزل، وبحسب ما يكون عليه القلب المتخذ عرشاً لاستواء القرآن عليه من الصفة يظهر القرآن بتلك الصفة في نزوله وذلك في حق بعض التالين، وفي حق بعضهم تكون الصفة للقرآن، فيظهر عرش القلب بها عند نزوله عليه، سئل الجنيد رضي الله عنه عن المعرفة والعارف فقال: لون الماء لون إنائه، ولو سئل عارف عن القرآن والقلب المنزل عليه لأجاب بمثل هذا الجواب.

واعلم أن الله نعت العرش بما نعت به القرآن فجاء القرآن مطلقاً من غير تقييد وجاء ذكر العرش مطلقاً من غير تقييد، فالقرآن المطلق للعرش المطلق أو العرش المطلق للقرآن المطلق بحسب ما يقع به الشهود من المؤثر والمؤثر فيه، والعرش المقيد بما قيد به القرآن، فقرآن عظيم لعرش عظيم، وقرآن كريم لعرش كريم، وقرآن مجيد لعرش مجيد، فكل قرآن مستو على عرشه بالصفة الجامعة بينهما، فلكل قلب قرآن من حيث صفته مجدّد الإنزال لا مجدد العين، والدرجات الرفيعة لذي العرش كالآيات والسور للقرآن فأما القرآن المطلق فمثل قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] والعرش المطلق في قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] فالقلب ترتفع درجاته بارتفاع درج آيات القرآن، ولهذا يقال لقارىء القرآن يوم القيامة اقرأ وارق كما كنت تقرأ وينتهي بالرقيّ إلى آخر آية ينتهي إليها بالقراءة والدرجات عين المنازل، فإذا نزل القرآن على قلب عبد وظهر فيه حكمه واستوى عليه بجميع ما هو عليه مطلقاً وكان خلقاً لهذا القلب كان ذلك القلب عرشاً له، سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، فما من آية في القرآن إلا ولها حكم في قلب هذا العبد، لأن القرآن لهذا نزل ليحكم لا ليحكم عليه فكان عرشاً له مطلقاً، كان رسول الله ﷺ في تلاوته القرآن «إذا مرّ بآية نعيم حكمت عليه بأن يسأل الله من فضله فكان يسأل الله

من فضله، وإذا مر بآية عذاب ووعيد حكمت عليه بالاستعاذة فكان يستعيذ، وإذا مر بآية تعظيم لله حكمت عليه بأن يعظم الله ويسبحه بالنوع الذي أعطته تلك الآية من الثناء على الله، وإذا مر بآية قصص وما مضى من الحكم الإلهي في القرون قبله حكمت عليه بالاعتبار فكان يعتبر، وإذا مرّ بآية حكم حكمت عليه أن يقيم في نفسه من يوجه عليه ذلك الحكم فيحكم عليه به فكان يفعل ذلك»، وهذا هو عين التدبر لآيات القرآن والفهم فيه، ومتى لم يكن التالي حاله في تلاوته كما ذكرنا فما نزل على قلبه القرآن ولا كان عرشاً لاستوائه لأنه ما استوى عليه بهذه الأحكام، وكان نزول هذا القرآن أحرفاً ممثلة في خياله كانت حصلت له من ألفاظ معلمه إن كان أخذه عن تلقين، أو من حروف كتابته إن كان أخذه عن كتابة، فإذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر إليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا استبصار، بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله، وله أجر الترجمة لا أجر القرآن، ولم ينزل على قلبه منه شيء كما قال رسول الله ﷺ في حق قوم من حفاظ حروف القرآن «**يَقْرؤون القُرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**» أي ينزل من الخيال الذي في مقدم الدماغ إلى اللسان فيترجم به ولا يجاوز حنجرته إلى القلب الذي في صدره فلم يصل إلى قلبه منه شيء وقال فيهم: «**إنهم يَمْرُقُون من الدِّين كما يَمْرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ لا تَرَى فيه أثراً من دَم الرَّميَّة**».

وكلامنا ليس هو مع من هذه صفته من التالين وليس التالي إلا من تلاه عن قلبه والقرآن صفة ربه وصفة ذاته، والقلب المؤمن به التقي الورع قد وسعه، فهذا هو العرش الذي وسع استواء الحق الذي هو رفيع الدرجات ذو العرش، وما أحسن ما نبه الله على صاحب هذا المقام الذي كان قلبه عرشاً للقرآن ذوقاً وتجلياً، فيعلم لذوقه وخبرته اتصاف الرحمن بالاستواء على العرش ما معناه، وأمر من ليس يعلم ذلك أن يسأل من يعلمه علم خبرة من نفسه لا علم تقليد فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي فالمسؤول الذي هو بهذه الصفة من الخبرة يعلم الاستواء كما يعلمه العرش الذي استوى عليه الرحمن لأن قلبه كان عرشاً لاستواء القرآن كما قررناه، فانظر ما أعجب تعليم الله عباده المتقين الذي قال فيهم: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ومعناه أن يفهمكم الله معاني القرآن فتعلموا مقاصد المتكلم به، لأن فهم كلام المتكلم ما هو بأن يعلم وجوه ما تتضمنه تلك الكلمة بطريق الحصر مما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان، وإنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام هل قصد جميع الوجوه التي يتضمنها ذلك الكلام أو بعضها؟ فينبغي لك أن تفرّق بين الفهم للكلام أو الفهم عن المتكلم وهو المطلوب، فالفهم عن المتكلم ما يعلمه إلا من نزل القرآن على قلبه وفهم الكلام للعامة، فكل من فهم من العارفين عن المتكلم فقد فهم الكلام وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على التعيين إما كل الوجوه أو بعضها، فقد نبهتك على أمر إذا تعملت في تحصيله من الله حصلت على الخير الكثير وأوتيت الحكمة، جعلنا الله ممن رزق الفهم عن الله.

فنزول القرآن على القلب بهذا الفهم الخاص هي تلاوة الحق على العبد، والفهم عنه فيه

تلاوة العبد على الحق، وتلاوة العبد على الحق عرض الفهم عنه ليعلم أنه على بصيرة في ذلك بتقرير الحق إياه عليه، ثم يتلوه باللسان على غيره بطريق التعليم أو يذكره لنفسه لاكتساب الأجر وتجديد خلق فهم آخر، لأن العبد المنوّر البصيرة الذي هو على نور من ربه له في كل تلاوة فهم في تلك الآية لم يكن له ذلك الفهم في التلاوة التي قبلها ولا يكون في التلاوة التي بعدها، وهو الذي أجاب الله دعاءه في قوله: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فمن استوى فهمه في التلاوتين فهو مغبون، ومن كان له في كل تلاوة فهم فهو رابح مرحوم، ومن تلا من غير فهم فهو محروم فالآية عنده ثابتة محفوظة، والذي يتجدد له الفهم فيها عن الله في كل تلاوة ولا يكون ذلك إلا بإنزال فتارة يحدث إنزاله من الرب الذي ينظر إلى التالي خاصة لا من حضرة مطلق الربوبية، وتارة يحدث إنزاله من الرحمن مطلقاً لكون الرحمن له الاستواء على العرش المحيط مطلقاً وله الرحمة التي وسعت كل شيء فلم يتقيد، والرب ليس كذلك فإنه ما ورد الرب في القرآن إلا مضافاً إلى غائب أو مخاطب أو إلى جهة معينة أو إلى عين مخصوصة بالذكر أو معين بدعاء خاص لم يرد قد مطلقاً مثل الرحمن، والاسم «الله» له حكم الرحمن وحكم الرب فورد مضافاً ومطلقاً مثل قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فورد مطلقاً، ومثل قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ [البقرة: ١٦٣] فورد مقيداً ولكن بلفظة إله لا بلفظ الله، فمن راعى قصد التعريف لم يفرق بين الله والإله، ومن راعى حفظ الاسم وحرمته حيث لم يتسم به أحد وتسمى بإله فرق بين اللفظتين، وإذا فرق فيكون حكم لفظ الله لا يتقيد، فإذا كان حدوثه في الإنزال على القلب من الرب ينزل مقيداً ولا بد فيكون عند ذلك قرآناً كريماً أو قرآناً مجيداً أو قرآناً عظيماً، ويكون القلب النازل عليه بمثل ما نزل عليه من الصفة عرشاً عظيماً أو عرشاً كريماً أو عرشاً مجيداً، وإذا حدث نزوله من الرحمن على القلب لم يتقيد بإضافة أمر خاص فكان القلب له عرشاً غير مقيد بصفة خاصة بل له مجموع الصفات والأسماء، كما أن الرحمن له الأسماء الحسنى كذلك لهذا العرش النعوت العلى بمجموعها، وإنما قلنا ذلك لأنه نزل علينا في الفهم عن الله في القرآن إطلاق القرآن في موضع وتقييده بالعظمة في موضع في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] وقيده في موضع آخر بالمجد فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] و﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١] وقيده في موضع آخر بصفة الكرم فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] فلما أطلقه وقيده بهذه الصفات المعينة جعل القلب مستواه خلع عليه نعوت القرآن من إطلاق وتقييد فوصف عرش القلب بالإطلاق في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] ولم يقيد العرش بشيء من الصفات كما لم يصف الرحمن، ولما قيد العرش قيده بما قيد به القرآن من الصفات فقال في العظمة ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] فأخذه من القرآن العظيم، وقال في الكرم: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] فاستوى عليه القرآن الكريم، وقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [البروج: ١٥] في قراءة من خفض وجعله نعتاً للعرش فاستوى عليه القرآن المجيد، فعظم العرش القبليّ ومجد وكرم لعظم القرآن وكرمه ومجده فجاء بثلاثة نعوت للقرآن لما هو عليه

الأمر في نفسه من التثليث، وقد تقدم الكلام قبل هذا في غير هذا الباب في الاسم الفرد وأن له في المرتبة الأولى التي يظهر فيها وجود عينه مرتبة الثلاثة فهي أوّل الأفراد فلتنظر هناك رتبة التثليث في العالم، وقد تقدم لنا شعر في التثليث في بعض منظومنا نشير به إلى هذا المعنى وهو في ديوان «ترجمان الأشواق» لنا وأوّل المقطوعة: [الطويل]

بذي سَلَم والدَّيْرِ من حَاضِري الحِمَى ... ظِبَاءٌ تُريكَ الشَّمْسَ في صَوَر الدُّمَى

فأرقبُ أفلاكاً وأخدمُ بيعة ... وأحرسُ روضاً بالربيع مُنَمْنَمَا

فوقتاً أُسَمَّى رَاعِيَ الظَّبْي بالفلا ... ووقتاً أُسَمَّى راهباً ومُنَجِّمَا

إلى آخر القصيدة، وشرحناها عند شرحنا لديوان ترجمان الأشواق.

وقد علمت يا ولي حدوث نزول القرآن المطلق على القلب من غير تقييد وأنه الذكر الذي آتاه من الرحمن، ولكن ما أعرض عنه كما أعرض من تولى عن ذكره تعالى بل تلقاه بالقبول والترحيب فقال له: أهلاً وسهلاً ومرحباً، فردّ بتأهيل: وسهل ومرحب. وجعل قلبه عرشاً له فاستوى عليه بحكمه، وأما إذا أتاه القرآن من ربه فإنه القرآن المقيد بالصفات التي ذكرناها فيتلقاه أيضاً هذا العبد كما تلقاه من الرحمن بأهل وسهل ومرحب، ويجعل قلبه عرشاً له من حيث تلك الصفة المعينة فيكسوه القرآن صفة ما جاء به من عظمة أو مجد أو كرم، فظهرت صورة القرآن في مرآة هذا القلب فوصف القلب بما وصف به القرآن، فإن كان نزوله بصفة العظمة أثر في القلب هيبة وجلالاً وحياء ومراقبة وحضوراً وإخباتاً وانكساراً وذلة وافتقاراً وانقباضاً وحفظاً ومراعاة وتعظيماً لشعائر الله، وانصبغ القرآن كله عنده بهذه الصفة، فأورثه ذلك عظمة عند الله وعند أهل الله، ولم يجهل أحد من المخلوقات عظمة هذا الشخص إلا بعض الثقلين لأنهم ما سمعوا نداء الحق عليه بالتعريف، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا أَحَبَّ الله عَبْداً قَالَ لِجِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَيُحِبّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يُعْلِمَ بِذَلِكَ أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ: أَلاَ إِنَّ الله تَعَالَى قَدْ أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ كُلُّهُمْ، ثمّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ**» ولكن عند من؟ وأين كان قتلة الأنبياء من هذا القبول؟ أخبرنا صاحبنا موسى السدراني وكان صاحب حظوة محمولاً قال: لما وصلت إلى جبل قاف وهو جبل عظيم طوّق الله به الأرض وطوّق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله رأسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل قال موسى: فاستعظمت خلقها قال: فقال لي صاحبي الذي كان يحملني: سلم عليها فإنها تردّ عليك، قال: ففعلت فردّت السلام وقالت: كيف حال الشيخ أبي مدين؟ فقلت لها: وأنى لك بالعلم بهذا الشيخ؟ فقالت: وهل على وجه الأرض أحد يجهل الشيخ أبا مدين، فقلت لها: كثير يستخفونه ويجهلونه ويكفرونه، فقالت: عجباً لبني آدم إن الله مذ أنزل محبته إلى من في الأرض وإلى الأرض عرفته جميع البقاع والحيوانات وعرفته أنا في جملة من عرفه فما تخيلت أن أحداً من أهل الأرض يبغضه ولا يجهل قدره كما هم أهل السماء في حق من أحبه الله، فلما سمعت منه هذه الحكاية قلت: أين هذا الأمر من كتاب الله؟ قال: لا أدري، قلت له: لما خلق الله آدم الإنسان الكامل على الصورة أعطاه

حكمها في العالم حتى تصح النسبة والنسب فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فأطلق: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ فعم الأمهات والمولدات وما ترك شيئاً من أصناف المخلوقات، فلما وصل بالتفصيل إلى ذكر الناس قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] ولم يقل كلهم، فجعل عبده الصالح المحبوب في الحكم على صورته فأحبه بحب الله جميع من في السموات ومن في الأرض على هذا التفصيل وكثير من الناس لا كلهم فكفروه كما كفروا بالله وشتموه كما شتموا الله تعالى وكذبوه كما كذبوا الله. وقد ورد في الحديث الصحيح الإلهيّ: «**إِنَّ الله يَقُولُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذٰلِكَ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ**» الحديث، فإذا وجد الإنسان من نفسه هذه الصفة التي ذكرناها عند التلاوة أو استحضار القرآن علم أن القرآن العظيم أتاه من ربه في ذلك الوقت، وإذا جلى الله له سبحانه وكشف له عن شرف نفسه بخلقه على صورة ربه وما أعطاه الله من ظهوره بالأسماء الإلهية وما فضله الله به من حيث إنه جعله العين المقصودة ووسع قلبه حتى وسع علماً بما تجلى له وكشف له عن منزلته عنده وقبوله لزيادة العلم به دائماً وتأهله للترقي في ذلك إلى غير نهاية دنيا وآخرة وما سخر في حقه مما في السموات وما في الأرض جميعاً، ونظر إلى نظر كل جزء من العالم إليه بعين التعظيم والشغوف عليه، ورأى كل العالم في خدمته كما هو في تسبيح ربه لظهوره عندهم في صورة ربه، ويظهر هذا كله لهذا الشخص عند التلاوة للقرآن لا غير، علم عند ذلك أنه يتلو القرآن المجيد وأنه الذي نزل عليه وأتاه من ربه، ولهذا كشف له منزولة شرفه ومجده فاستوى مجيد على مجيد.

وإذا جلى الله له سبحانه وكشف له عن كرم نفسه بما يؤثر به على نفسه مع وجود الحاجة لما آثر به وسعى في قضاء حوائج الناس من مؤمن وغير مؤمن ونظر جميع العالم بعين الرحمة فرحمه ولم يخص بذلك شخصاً من شخص ولا عالماً من عالم بذل الوسع في إيصال الرحمة إليهم وقبل أعذارهم وتحمل أعباءهم وجهلهم وأذاهم وجازاهم بالإساءة إحساناً وبالذنب عفواً وعن الإساءة تجاوزاً وسعى في كل ما فيه راحة لمن سعى له وذلك كله في حال تلاوته علم قطعاً أنه يتلو القرآن الكريم، فإن هذه صفته وأنه القرآن الذي أتاه من ربه وأن الله يعامله بمثل ما عامل به، وأعظم ما يتكرم به العبد ما يتكرم به على الحق بطاعته وامتثال أمره فإن الله يفرح بتوبة عبده، فإذا تكرم على الله بمثل هذا فقد أغاظ عدو الله وهذا أعظم الكرم، فإن الأخلاق المحمودة لا تحصل للعبد إلا بهذا الطريق الذي قرّرناه، فمن أخذ الأخلاق كما تقرّر أخذها فهو المتمم لمكارم الأخلاق والمنعوت بها، وذلك لا يكون إلا بالتكرم على الله، فإنا قد علمنا أنه من المحال أن يعم الإنسان بخلقه ويبلغ به رضى جيمع العالم لما هو العالم عليه في نفسه من المخالفة والمعاداة، فإذا أرضى زيداً أسخط عدوّه عمراً فلم يعم بخلقه جميع العالم، فلما رأى استحالة ذلك التعميم عدل إلى تصريف خلقه مع الله فنظر إلى كل ما يرضي الله فقام فيه وإلى كل ما يسخطه فاجتنبه، ولم يبال ما وافق ذلك من العالم مما يخالفه، فإذا أقيم في هذا النظر في حال التلاوة علم أن القرآن الكريم نزل عليه فأعطاه صورته وصفته، فإن الله ما نظر من

هذا العلم إلا للإنسان لا إلى الحيوان الذي هو في صورة الإنسان فأكرمه ونعمه فيقول: ﴿رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] فإذا تصرف هذا التالي في العالم تصرف الحق من رحمته وبسط رزقه وكنفه على العدو والولي والبغيض والحبيب بما يعم مما لا يقدح ويخص جناب الحق بطاعته وإن أسخط العدو كما خص الحق بتوفيقه بعض عباده ولم يعم كما عمّ في الرزق، فمن هذه صفته في حال تلاوته فإنه يتلو القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون وهو قلب هذا التالي: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠] وما قال رب المؤمنين لعموم الكرم في الرزق والحياة الدنيا. فاعلم يا ولي ما تتلو وبمن تتلو ومن يسمعك إذا تلوت وبمن تسمع إذا كان الحق يتلو عليك. وهذا القدر كاف في التنبيه على شرف هذا المنزل فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم:

فمن ذلك: علم منازل القرآن، وعلم الأوتاد الأربعة الذين قيل إن الشافعيّ واحد منهم، وعلم تعجب الحق وكل ما يتعجب منه فهو خلقه، وعلم ما يؤخذ منك وما يبقى عليك ومن يأخذه منك وهل يأخذه عن عطاء منك أو يأخذه الآخذ جبراً؟ وعلم بعض مراتب الكتب الإلهية التي عنده ولم تنزل إلينا، وعلم السبب الذي حال بيننا وبين أن يكون لنا من الله ما كان للرسل منه وهو قوله عليه السلام في الحديث الصحيح في الكشف فقال ﷺ: «**لَوْلاَ تَزْيِيدٌ فِي حَدِيثِكُمْ وَتَمْرِيجٌ فِي قُلُوبِكُمْ لَرَأَيْتُمْ مَا أَرَى وَلَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ**» فهذا قد أبان عن الطريق الموصلة إلى المقام الذي منه رأى ما رأى وسمع ما سمع فهل يوجد من يزول عنه هذا المانع فيصل إلى هذا المقام أم لا؟ فنحن نقول: بأنه يزول فإن الله قد أمر أن يبين للناس ما نزل إليهم وما أبان عن مانع عن رقي إلى مرتبة علياء إلا ليزال ولا ذكر منزلة زلفى إلا لتنال فمن جد وجد ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه، وعلم الاعتبار، وعلم مقام الصلاح الذي يطلبه الأنبياء عليهم السلام أن يكون لهم، وعلم ما تنتجه الأعمال البدنية من المعارف الإلهية من طريق الكشف، وعلم نزول العلم وحكمه في قلوب العلماء وما فيه من زيادة الفضل على من ليس له هذا المقام، وعلم تجديد المعدوم، وعلم إحصاء الأنفاس بالتمحيص لهذا الإنسان دون غيره، وعلم تقاسيم السكر في المشروب، وعلم ما هو الصور الذي ينفخ فيه فيكون عن النفخ ما يكون من صعق وبعث بسرعة، وعلم التوكيل الإلهي على العبيد إلى أن يبلغ مداه ويزول، وعلم العلم الذي ينزل منزلة العين في الطمأنينة الذي قال فيه علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. وعلم التمييز بين الفرق، وعلم محل الخصام من الدار الأخرى، وعلم السوابق وحكمها، وعلم النقص في العالم أنه من كمال العالم، وعلم مآل السعداء وطبقاتهم في السعادة، وعلم استخراج الكنوز، وعلم أحكام أصناف الموصوفين بالوجود، وعلم الذكر المؤقت وغير المؤقت وما فائدة التوقيت في ذلك، وعلم ما يهون وروده على من ورد عليه مما لا يهون، وعلم مراتب العالم فانظر يا ولي أي علم تريده فتعمل في تحصيله من الطريق التي توصلك إليه أو التحلي بالصفة التي تنزله عليك، فإنك بين أعمال بدنية وهي محجة السلوك بالأعمال، وبين أخلاق روحانية وصفات معنوية إذا كنت عليها نزلت إليك المراتب وتجلت لك من ذاتها وطلبتك لنفسها، وإذا كنت صاحب محجة وصلت إلى غايتها بالطلب،

وفرقان بين الطالب والمطلوب والمراد والمريد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل الأخوة وهو من الحضرة المحمدية والموسوية

[مجزوء الكامل]:

بَيْنَ العَمَاء والاسْتِوَا حارتْ عقولُ أُولي النُّهَى
وكذاك عند نُزوله من مُسْتَواه إلى السَّمَا
ووجوده في أرْضه وبقَلْبنا وبأيْنَمَا
هذي المعالم كلُّها تعطي التَّحَيُّرَ والعَمَا
هي سِتَّةٌ مثلُ الجها ت لنا فصورتُنا سَوَا
فالله جلَّ بذاته عن نَعْتِ عَلَّ وعَنْ عَسَى

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وجاء في الخبر: «**إنَّ المُؤمِنَ مِرْآة أَخِيهِ**» والمؤمن اسم من أسماء الله، وقد خلق آدم على صورته وله التخلق بالمؤمن، وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه بدار الخيزران وأخذ بيد علي وقال: «**هذا أخي**» وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فجعل أباهم الإيمان فهم إخوة لأب واحد، وقال موسى لربه حين بعثه إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه] فآتاه الله سؤله.

فاعلم يا وليّ أن المقام الجامع للأسماء الإلهية التي لها التأثير في الممكنات أخ صحيح الأخوة شقيق للمقام الجامع لاستعدادات القوابل الممكنات، وهما أخوان لأب واحد يشد كل واحد منهما أزر صاحبه، ولكن الأسماء هي الطالبة للاستعدادات أن يشد الله بها أزرها فافهم، فإن هذا من علم الأسرار التي مقامها بين الستر والكشف وهو من أصعب العلوم في التصور حيث لا يصح نفوذ الاقتدار إلا باتفاق في الأخوين لا بأحدهما، وبهما ظهرت أعيان الممكنات وحصلت في الوجود معرفة الكائنات بالله ووصل بوجود هذه المعرفة المحدثة الحق سبحانه إلى عين مطلوبه، فإنه ما أوجد العالم إلا ليعرفه العالم والعالم محدث ولا يقوم به إلا محدث فقامت به المعرفة بالله إما بتعريف الله وإمّا بالقوّة التي خلق فيه التي بها يصل إلى معرفة الله من وجه خاص لا غير، فمن نزهه بهذه القوّة فقد عرفه وكفر من شبهه، ومن شبهه بهذه القوّة فقد عرفه وجهل من نزهه بل كفره، ومن عرفه بالتعريف الإلهيّ جمع بين التنزيه والتشبيه فنزهه في موطن التنزيه وشبهه في موطن التشبيه، وكل صنف من هذه الأصناف صاحب معرفة بالله، فما جهله أحد من خلق الله لأنه ما خلقهم إلا ليعرفوه، فإذا لم يتعرف إليهم بهذه القوّة الموصلة التي هي الفكر أو بالتعريف الإنبائي لم يعرفوه فلم يقع منه في العالم ما خلق العالم له، ولنا في هذا المقام الذي عم المعتقدات نظم وهو هذا: [الكامل]

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائدا وأنا شهدتُ جميعَ ما اعْتَقَدُوه
لما بدا صوراً لهم متحوّلاً قالوا بما شَهِدُوا وما جَحَدُوه
ذاك الذي أجْنَى عليهم خَلْفُهم بجميع ما قالوه واعْتَقَدُوه
إنْ أفْرَدُوه عن الشريك فقد نَحَوْا في ملكه ربّاً كما شَهِدُوه
قد أعذَر الشرعُ المُوَحِّدَ وَحْدَهُ والمشركون شَقَوْا وإن عَبَدُوه
وكذاك أهل الشكّ أخسرُ منهمُ والجاحدون وُجُودَ مَنْ وَجَدوه
والقائلون بنَفْيِه أيضاً شَقَوْا مثل الثلاثة حين لم يَجِدوه
أجْنَى عليهم من تألّهَ حين ما أهلُ السعادة بالهُدَى عبدوه
لو وافق الأقوامَ إذ أغْواهمُ وتنزّهوا عن غِيِّه طردوه

فالعارف الكامل يعرفه في كل صورة يتجلى بها وفي كل صورة ينزل فيها، وغير العارف لا يعرفه إلا في صورة معتقده وينكره إذا تجلى له في غيرها، كما لم يزل يربط نفسه على اعتقاده فيه ينكر اعتقاد غيره، وهذا من أشكل الأمور في العلم الإلهي اختلاف الصور لماذا يرجع هل إليه في نفسه وهو الذي وقع به الإنباء الإلهيّ وأحاله الدليل العقليّ الذي أعطته القوّة المفكرة، فإذا كان الأمر على ما أعطاه الإنباء الإلهيّ فما رأى أحد إلا الله، فهو المرئي عينه في الصور المختلفة وهو عين كل صورة، وإن رجع اختلاف الصور لاختلاف المعتقدات وكانت تلك الصور مثل المعتقدات لا عين المطلوب فما رأى أحد إلا اعتقاده سواء عرفه في كل صورة فإنه اعتقد فيه قبول التجلي والظهور للمتجلي له في كل صورة أو عرفه في صورة مقيدة ليس غيرها، فمثل هذا العلم لا يعلم إلا بإخبار إلهي وقرينة حال، فأما الإخبار الإلهي فقول رسول الله ﷺ إنه الذي يتحوّل في الصور في الحديث الصحيح وقرينة الحال كونه «**ما خَلَقَ الخَلْقَ إلاّ لِيَعْرِفُوهُ**» فلا بد أن يعرفوه إما كشفاً أو عقلاً أو تقليداً لصاحب كشف أو عقل، والرؤية تابعة للمعرفة، فكما تعلقت به المعرفة فكان معروفاً تعلقت به الرؤية فكان مرئياً، فإن قال منكر الأمرين الذي لا يقول بالوصول إلى معرفته ولا إلى رؤيته وإنما العلم به معرفة الناظر في ذلك بأنه يعجز عن معرفته فيعلم عند ذلك أن من هو بهذه المثابة هو الله فقد حصل العلم به إجمالاً في عين الجهل به والعجز وهو قول بعضهم: العجز عن درك الإدراك إدراك، فهذا القدر هو المسمى معرفة بالله، وصاحب هذا القول إن جوزي بقوله فإنه لا يرى الله أبداً كما لا يعلمه أبداً، وإن لم يجازه الله بقوله، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، وعلم منه في ثاني حال خلاف ما كان يعلمه فإنه يراه ويعلم أنه هو والصحيح أنه يعلم ويرى، فإن الله تعالى خلق المعرفة المحدثة به لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود، ولا يكمل ذلك إلا بتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به العلم القديم، وما تعلق القديم بالعجز عن العلم به كذلك العلم المحدث به ما تعلق إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، والذي هو عليه في نفسه أنه عين كل صورة فهو كل صورة، فما وقع العجز من هذا العبد إلا في كونه قصره على صورة واحدة وهي صورة معتقده وهو عين صورة معتقده، فما عجز إلا عن الحكم عليه بما ينبغي له، ولا

يتصف بالعجز عن العلم به إلا من أخذ العلم من دليل عقله، وأما من أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله، فإنه ما حاول أمراً يعجز عنه فيعترف بالعجز عنه، وليس هذا الذي يطلبه بنظره في دليل عقله وعلمه من طريق التعريف والتجلي الذي هو علم موهوب من حكيم حميد، فالقائل سبحان من لا يعرف إلا بالعجز عن المعرفة به صاحب علم نظر لا صاحب تعريف إلهيّ، وأما العجز عن إحصاء الثناء عليه فهذا قول كامل محقق فإنه لا يكون العجز عن إحصاء الثناء عليه إلا بعد العلم بالمثني عليه ما هو فيعلم أنه أعظم من أن يحيط به ثناء ويبلغ فيه وصف منتهاه كما قيل في بعض المخلوقات: [الطويل]

إذا نحنُ أثْنَيْنا عليكَ بصالح ... فأنت الذي تُثْني وفوق الذي نُثْني

هذا قول في مخلوق وهو قول محقق، فكيف الثناء على الله سبحانه؟ وإنما حققنا قول هذا الشاعر في هذا المخلوق مع ما يتخيل العقل بنظره أن الإحاطة بالثناء على المخلوق ممكنة، وليس الأمر في نفسه كذلك وإنما هذا الشاعر قال حقاً إما مصادفة وإما عن تحقق له وذلك في قوله: «فأنت الذي تثني» وهو ما هو عليه ذلك الممدوح في الوقت «وفوق الذي نثني» فإنه محل قابل لما يخلق الله فيه من النعوت التي يخلق فيه فيثني عليه بها، وهذه النعوت فيه لا نهاية لها أي لما يكون عنها مما يوجب الثناء بها على الممدوح، وإذا كان هذا الثناء على الحق تعالى فلها البقاء في الوجود لذاتها لا تقبل العدم، والثناء منا عليه دائم يتجدّد لأنه في كل نفس فينا يتجدّد علينا علم بالله فنثني عليه به، أو علم بأمر ما لم يكن عندنا فنثني عليه به، ونحن ما ننشد هذا البيت كما قاله صاحبه، وإنما ننشده على ما قلناه وأعطا:ا ذلك العلم به فنقول: [الطويل]

إذا نحن أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بصَالِحٍ ... فأنت الذي تُثْني ولَسْنا الذي نُثْني

وهذا فوق ما قاله الشاعر من وجه ومساو له من وجه، سواء قال ذلك عن علم محقق أو مصادفة وهو لا يعلم، فنطقه الله تعالى بالحق من حيث لا يشعر، كما أنه يستدرج العبد من حيث لا يعلم ويمكر به من حيث لا يشعر، والحق معلوم معروف في نفسه، والعالم به عاجز عن إحصاء الثناء عليه كما ينبغي له، فإنه ليس في الوسع حصول ذلك ولا يعطيه استعداد ممكن أصلاً، فهذا ما أعطاه مؤاخاة الاستعدادات والأسماء الإلهية، وهذه أعلى أخوّة يوصل إليها، ثم ينزل إلى أخوّة دونها وهي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ومن أسمائه «المؤمن» وقد وقع النزاع بينهم بما أخبر به عن نفسه أنه كذا فنازعه المؤمن من المخلوقين الذي اجتمع معه في الإيمان فكانت له أخوّة معه بهذا الإيمان بنظره في دليله العقلي أنه على خلاف ما أخبر به عن نفسه مع كونه مصدّقاً له لكنه تأوّل عليه، فلما ظهرت هذه المنازعة بين المؤمن الحق والمؤمن الخلق قال الله لعلماء الكشف: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فدخل المؤمنون العالمون المكاشفون بينهما بالصلح، وذلك أن يكون المؤمن الحق مع هذا المؤمن أخيه حتى يبلغه قوّته لأنه مخلوق على كل حال، وما أعطيته

الكشف الكامل ولا ظهرت إليه به، فليكن معه بحيث يعطيه منزلته فيقول المؤمن الحق للمبلغ عنه قل لهذا المنازع: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وإني منزه عن وصف الواصفين فجاء الرسول بالتوقيع الإلهي إلى هذا المؤمن المنازع بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وبقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] وأشباه هذا النوع من التنزيه الذي يعطيه دليل العقل النظري، فإذا سمع هذا منه طاب قلبه وجنح إليه وزال نزاعه، وجاء العلماء إلى المؤمن الخلق في المصالحة من هذا الجانب وقالوا له: أنت تعلم أن المؤمن الحق أعلم بنفسه منك به لا بل أعلم بك من علمك بنفسك وأنك إنما تحكم عليه بما هو خلق له مثلك وهو عقلك وفكرك ودليلك فلا فرق بينك وبين كل مخلوق في العجز عما لا يعجز عنه المؤمن الحق فقف معه في موضع التسليم فإنه وإن كان مؤمناً وأنت مؤمن فأنت على مرتبتك التي تليق بك وهو على مرتبته التي تليق به وأنت تعلم أنك لست مثله وإن جمعكما الإيمان فليس نسبته إليه مثل نسبته إليك فإنك لست مثله فلا تغرّنك هذه المماثلة واعرف قدرك، فإذا سمع مثل هذا طلب الصلح والإقالة مما وقع منه من النزاع، وامتن المؤمن الحق عليه بما وقع له في المنشور من التنزيه الذي وقع النزاع من أجله فأصلح المؤمنون العالمون بين المؤمن الحق وبين هذا المؤمن الخلق، فهكذا فليكن الفهم عن الله فيما أوحى به إلى عباده على ألسنة رسله وأنزله في كتبه.

ثم في أخوّة الإيمان درجة أخرى في درجات الكشف وهي قوله بعد أن تسمى لنا بالمؤمن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] لأبوّة الإيمان، قال: «**المؤمنُ مرآةُ أخيه**» وما ينطق عن الهوى هذا القائل، فأثبت الأخوّة بين المؤمنين، وجعل كل واحد من المؤمنين مرآة لأخيه فيراه ويرى فيه نفسه من كونه على أي صورة كان كل مؤمن منهما بهذه المثابة، فيكون المؤمن الحق مرآة للمؤمن الخلق، فيراه ويعلم أنه يراه كما يعلم صاحب المرآة أن له مرآة ثم ينظر فيها فلا يرى إلا صورته وصورة ما أثرت المرآة فيه، ولهذا جعل له عينين ليرى بالعين الواحدة صورته وبالعين الأخرى ما حكمت به المرآة في صورته إذ لم يكن في نفسه على ما حكمت به المرآة عليه في الصورة المحسوسة من الكبر والصغر والطول والعرض والاستقامة والانتكاس على حسب شكل المرآة، ولا يرى هذا الأثر كله هذا الناظر إلا في صورته فيعلم أن له فيه حكماً ذاتياً لا يمكن أن يرى نفسه في هذه المرآة إلا بحسب ذلك، فإذا كان المؤمن الخلق هو عين المرآة للمؤمن الحق فيراه الحق وهو في نفسه على استعداد خاص فلا يبدو من الحق له إلا على قدر استعداده، فلا يرى الحق من نفسه في هذه المرآة الخاصة إلا قدر ذلك، فأثرت هذه المرآة في إدراك الرائي القصور على ما رأى بحكم الاستعداد فأشبهه من هذا الوجه فعبر عن هذا المقام بالأخوّة، إذ لولا المناسبة بين الأمرين لم يكن كل واحد من الأمرين مرآة لأخيه، وما نصب الله هذا المثال وخلق لنا هذه المرائي إلا ليعطينا النظر فيها إصلاح ما وقع في صورتنا من خلل وما يتعلق بها من أذى تنزيله على بصيرة فهي تجل لإزالة العيوب، فيدلك هذا أن الرائي في المرآة يحصل له علم لم يكن يراه قبل ذلك، ففي المؤمن المخلوق

يقرب ذلك ويصح، وفي المؤمن الحق يعسر مثل هذا فهو قوله تعالى في المؤمن الحق: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] كذلك إذا رأى الحق نفسه في مرآة المؤمن المخلوق رأى أنه بحكم استعدادها لا يرى غير ذلك فيها فيزيل عنه هذا الحكم بنظره في مراء متعدّدة فيختلف الحكم في الصورة الواحدة باختلاف الاستعدادات وهو عينه لا غيره، فيعلم عند ذلك أن حكم الاستعداد أعطى ما أعطى وأنه على ما هو عليه في نفسه فزال ما تعلق به من أذى التقيد كما أزال الابتلاء أذى التردد وطلب إقامة الحجة ليكون هو الغالب فقال: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فجعل الابتلاء سبب حصول هذا العلم وما هو سبب حصول العلم، وإنما هو سبب إقامة الحجة حتى لا يكون للمحجوج حجة يدفع بها.

وأمّا مماثلة الصورة في الخلق فهي للنيابة والخلافة ما هي للأخوة فإنه من حيث صورة العالم من العالم كما هو الروح من الجسد من صورة الإنسان وهو من حيث صورة الحق ما يظهر به في العالم من أحكام الأسماء الإلهية التي لها التعلق بالعالم، فليست الصورة بأخوة كما يراه بعضهم، ولهذا لم نذكر الأخوة إلا في أمر خاص وهو المؤمن إلا أن الصورة تشد أزر إخوة الإيمان بالسببية، فإن الأسباب لولا ما لها أثر في المسبب ما أوجدها الله، ولو لم يكن حكمها في المسببات ذاتياً لم تكن أسباباً ولم يصدق كونها أسباباً ويعلم ذلك فيمن لا يقبل الوجود إلا في محل وما ثم محل ويريد الموجد إيجاده، فلا بد أن يوجد المحل لوجود هذا المراد وجوده، فيكون وجود المحل سبباً في وجود هذا المراد الذي تعلقت الإرادة به وبإيجاده، فعلمت أن للأسباب أحكاماً في المسببات فهي كالآلة للصانع فتضاف الصنعة والمصنوع للصانع لا للآلة، وسببه أنه لا علم للآلة بما في نفس الصانع أن يصنع بها على التعيين، بل لها العلم بأنها آلة للصنع الذي تعطيه حقيقتها ولا عمل للصانع إلا بها، فصنع الآلة ذاتيّ، وما لجانب الصانع بها إراديّ وهو قوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [النحل: ٤٠] وكن آلة للإيجاد فما أوجد إلا بها، وكون تلك الكلمة ذاته أو أمراً زائداً علم آخر إنما المراد هو فهم هذا المعنى، وأنه ما حصل الإيجاد بمجرد الإرادة دون القول ودون المريد والقائل، فظهر حكم الأسباب في المسببات، فلا يزيل حكمها إلا جاهل بوضعها وما تعطيه أعيانها ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ولهذا قال موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٣٢] وقال: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣٢] وهو أفصح مني لساناً فعلم ما قال، وعلمنا نحن من هذا القول ما أشار إليه به ليفهم عنه صاحب عين الفهم، فهذا معنى التعاون وهو في قوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. فلولا المشاركة في المطلوب بالوجود من المستعان به ما صدق المستعين في استعانته، والمستعين قد يستعين شرفاً للمستعان به مع غناه عنه على التعيين، وإن كان لا بد من سبب أو يكون ممن يستقل به دون السبب فيقصد جعله سبباً لشرفه بذلك على غيره ليعلم منزلته عنده فإن الله قد جعل المفاضلة في العالم.

وأما المؤاخاة بين الأسماء الإلهية فلا تكون إلا بين الأسماء التي لا منافرة بينها لذاتها

فإن الله ما واخى إلا بين المؤمنين، وما واخى بين المؤمن والكافر بل لم يجعل لأخوة النسب حظاً في الميراث مع فقد أخوّة الإيمان، فليس المدعى إلا أخوة الإيمان، ألا تراه إذا مات عن أخ له من النسب وهو على غير دينه لم يرثه أخو النسب وورثه أخو دينه، والصورة بيننا وبين الحق نسب ودين، فلهذا ما يرث الأرض عز وجل إلا بعد موت الإنسان الكامل حتى لا يقع الميراث إلا في مستحق له، كما يرث السماء لما فيها من حكم أرواح الأنبياء عليهم السلام لا من كونها محلاً للملائكة، فإذا صعقوا بالنفخة ورث الله السماء فأنزل الاسم الوارث الملائكة من السماء وبدّل الأرض غير الأرض والسموات كما ذكرناه فيما قبل من هذا الكتاب، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فالمؤمن لا يبغض المؤمن، والمؤمن لا يقتل المؤمن لإيمانه، والمؤمن يقتل أخا النسب إذا كان غير مؤمن، فهذا القدر كاف في هذا الباب. فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم:

فمن ذلك: علم صورة نداء الحق عباده من أين يناديهم هل يناديهم من حكم مشيئته أو يناديهم من حيث ما هم عليه؟ ومن ينادي هل ينادي المعرض أو المقبل أو هما؟ وفيه علم الآداب الإلهية ومنازل المخلوقات وما ينبغي أن يعامل به كل مخلوق بل كل موجود، وعلم مصالح الموجودات فلا يتصرف صاحب هذا العلم إلا فيما هو مصلحة لنفسه أو لغيره على حسب ما يصرفه المطلوب فهو خارج في تصرّفاته عن هوى نفسه إنما هو مع المصالح فهو لكل شيء لا عليه، وفيه علم الفهم بما يأتي به كل قائل فيعلم من أين تكلم فيقيم له عذراً فيما ينسب إليه عند من لا يعرف ذلك من الخطأ في قوله، وهو علم عزيز يقل الإنصاف فيه من أهله فكيف ممن لا يعرفه؟ وما يؤثر تارك العمل بمثل هذا العلم في صاحبه من الحسرة والندامة على عدم استعماله، وفيه علم الحكمة في التغافل والتناسي وهو الحلم والإمهال الإلهي أو من ذي القدرة ليرجع المغفول عنه عما هو عليه مما كان لا ينبغي أن يظهر به ولا عليه، وفيه علم كون الأشياء بيد الله ليس بيد المخلوقين منها شيء وإن ظهرت الصور بأيديهم فهي بحكم الاستعارة لا بحكم الملك، وفيه علم المنن الإلهية التي أسبغها على العباد في الظاهر والباطن وتعيين ما يمكن أن يعين منها، وعلم برزخ المتشاجرين ليقف فيه من يريد رفع التشاجر بينهم، وفيه علم الأسماء وشرفها والفرق بينها وبين ما زاد على الإعلام منها مما وضع لمدح أو ذم، وفيه علم العدول عن الطريق التي تحول بين العبد وبين حصول العلم فإنه أعلى ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأعظم ما به يفتخر وأسد آلة تعد وتدخر وبه مدح الله نفسه بأن له الحجة البالغة وليس إلا العلم، وفيه علم مراتب الخلق الإنساني في الخلق فإنهم على طبقات فيه وما يسمى به الإنسان الذي خلقه الإنسان هل هو إنسان أو حيوان في صورة إنسان من حيث نشأة جسده؟ وما الأمر الذي عجز عنه في ظهور النفس الناطقة في هذا المخلوق هل لعدم الاستعداد فيقضي للمنشىء لهذه الصورة ما يقع به قبول نفس ناطقة من النفس الكل؟ أو هل هو تعجيز أراديّ إلهيّ لأنه أمر عظيم؟ وقد ذكر أنه وقع مثل هذا، وذكر في الفلاحة النبطية أن بعض العلماء بعلم الطبيعة كوّن من المنيّ الإنسانيّ بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان

إنساناً بالصورة، وأقام سنة يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يغذى به شيئاً فعاش سنة ومات فما يدرى أكان إنساناً حكمه حكم الأخرس أو كان حيواناً في صورة إنسان؟ وفيه علم الأنساب والأحساب، وفيه علم ما يعتبر الله من المكلف هل يعتبر ظاهره أو باطنه أو المجموع في قبول ما يكون منه بعد التكليف، وأما قبله فلا يقيد بل يجري بطبعه من غير مؤاخذة أصلاً وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وإذا كان هذا فمن أين وقع الألم للصغير حتى بكى مما يجده؟ وفيه علم كيفية ردّ الجاهل إلى العلم، وفيه علم صورة ردّ الأمور إلى الله سبحانه وتعالى في قدسه على أي طريق يكون؟ هل بحكم أنه موجدها أو أنه غايتها أو ما هو ذلك؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل مبايعة النبات القطب صاحب الوقت في كل زمان وهو من الحضرة المحمدية

[السريع]

أقْسَمْتُ بالله الذي أقْسَمَا ... بنفسه وإِي وربِّي وما
بأنه وِتْرٌ بلا مُوتِرِ ... في أرضه وخلْقه أيْنَمَا
وأنّه ينزلُ من عَرْشه ... نُزُولَهُ لعَرْشه مِنْ عَمَا
من غير تكييفٍ ولا فرقة ... فإنه مُنَزَّهٌ عنهُمَا

اعلم أيدك الله أن المبايعة العامّة لا تكون إلا لواحد الزمان خاصة، وإن واحد الزمان هو الذي يظهر بالصورة الإلهية في الأكوان، هذا علامته في نفسه ليعلم أنه هو ثم له الخيار في إمضاء ذلك الحكم أو عدم إمضائه والظهور به عند الغير فذلك له، فمنهم الظاهر، ومنهم من لا يظهر ويبقى عبداً إلا إن أمره الحق بالظهور فيظهر على قدر ما وقع به الأمر الإلهي لا يزيد على ذلك شيئاً، هذا هو المقام العالي الذي يعتمد عليه في هذه الطريق لأن العبد ما خلق بالأصالة إلا ليكون لله، فيكون عبداً دائماً ما خلق أن يكون رباً، فإذا خلع الله عليه خلعة السيادة وأمره بالبروز فيها برز عبداً في نفسه سيداً عند الناظر إليه فتلك زينة ربه وخلعته عليه، قيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله في تمسح الناس به وتبركهم فقال رضي الله عنه: ليس بي يتمسحون وإنما يتمسحون بحلية حلانيها ربي أفأمنعهم ذلك وذلك لغيري، وقيل لأبي مدين في تمسح الناس به بنية البركة وتركهم يفعلون ذلك: أما تجد في نفسك من ذلك أثراً؟ فقال: هل يجد الحجر الأسود في نفسه أثراً يخرجه عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء والأولياء وكونه يمين الله؟ قيل: لا، قال: أنا ذلك الحجر قال تعالى في هذا المقام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] فنفاه بعدما أثبته صورة كما فعل به في الرمي سواء أثبته ونفاه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ثم جعل الله يده في المبايعة فوق أيدي المبايعين. فمن أدب المبايعة إذا أخذ المبايعون يد المبايع للبيعة ليقبلوها جعلوا أيديهم

تحتها وجعلوها فوق أيديهم كما أخذ الرحمن الصدقة بيمينه من يد المتصدّق، فمن الأدب من المتصدّق أن يضع الصدقة في كف نفسه وينزل بها حتى تعلو يد السائل إذا أخذها على يد المعطي حتى تكون هي اليد العليا وهي خير من اليد السفلى واليد العليا هي المنفقة فيأخذها الرحمن لينفقها له تجارة حتى تعظم فيجدها يوم القيامة قد نمت وزادت، هذا مذهب الجماعة، وأما مذهبنا الذي أعطاه الكشف إيانا فليس كذلك، إنما السائل إذا بسط يده لقبول الصدقة من المتصدّق جعل الحق يده على يد السائل فإذا أعطى المتصدّق الصدقة وقعت بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل كرامة بالمتصدق ويخلق مثلها في يد السائل لينتفع بها السائل ويأخذ الحق عين تلك الصدقة فيربيها فتربو حتى تصير مثل جبل أحد في العظم، وهذا من باب الغيرة الإلهية حيث كان العطاء من أجله لما يرى أن الإنسان يعطي من أجل هواه ما يعظم شأنه من الهبات، ويعطي من أجل الله أحقر ما عنده، هذا هو الغالب في الناس، فيغار الله لجنابه أن لا يرى في مقام الاستهضام فيربي تلك الصدقة حتى تعظم فإذا جلاها في صورة تلك العظمة حصل المقصود، فيد المعطي تعلو على يد الآخذ ولهذا قال تقع والوقوع لا يكون إلا من أعلى، وقد قال ﷺ: «**لَوْ دَلَّيتُمْ بِحَبْلٍ لَهَبَطَ عَلَى الله**» أي كما ينسب إلى العلوّ في الاستواء على العرش هو في التحت أيضاً، كما هو بكل شيء محيط للحفظ كما يحفظ محيط الدائرة الوجود أو نسبة الوجود على النقطة التي ظهرت عنها نسبة الإحاطة لوجود الدائرة المحيطة فله الفوق كما له التحت وله الظاهر كما له الباطن، فهو المبايع والمبايع فإنه لا يبايع إلا بالسمع والطاعة، والسمع لا يكون إلا هو، والعمل بالطاعة لا يكون إلا له، فهو السميع العامل لما أمر بعمله.

فلنذكر صورة البيعة ولنا فيها كتاب مستقل سميناه مبايعة القطب يتضمن علماً كبيراً ما علمنا أنا سبقنا إليه، وإن كان العارفون من أهل الله شاهدوه وعلموه، ولكن شغلهم عن تبيينه للناس ما كان المهم عندهم كما كان إظهاره للناس من المهم عندنا، إذ هذه الطائفة لا شغل لها إلا بالأهم، هذا إذا لم يظهر بحكم القوّة الإلهية، فإذا ظهر بها لم يشغله شيء عن شيء إذ هو حق كله فاعلم ذلك.

إيضاح وبيان لمنصب البيعة وصورتها: فاعلم أن الله سبحانه إذا ولى من ولاه النظر في العالم المعبر عنه القطب وواحد الزمان والغوث والخليفة نصب له في حضرة المثال سريراً أقعده عليه ينبيء صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما أنبأ صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته علماً بكل شيء، فإذا نصب له ذلك السرير خلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حللاً وزينة متوجاً مسوراً مدملجاً، لتعمه الزينة علوّاً وسفلاً ووسطاً وظاهراً وباطناً فإذا قعد عليه بالصورة الإلهية وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره فيدخل في بيعته كل مأمور أعلى وأدنى إلا العالين وهم المهيمون العابدون بالذات لا بالأمر فيدخل في أوّل من يدخل عليه في ذلك المجلس الملأ الأعلى على مراتبهم الأوّل فالأول، فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره

لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم، إذ لا يعرف شيء منهما إلا بذوق ضده فهم في منشط لا يعرفون له طعماً لأنهم لم يذوقوا المكره، وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة إلا ويسأله في مسألة من العلم الإلهي فيقول له: يا هذا أنت القائل كذا؟ فيقول له: نعم، فيقول له في المسألة وجهاً يتعلق بالعلم بالله يكون أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه وحينئذ يخرج عنه، هذا شأن هذا القطب والكتاب الذي صنفته فيه ذكرت فيه سؤالاته للمبايعين له التي وقعت في زماننا لقطب وقتنا فإنها ما هي مسائل معينة تتكرّر من كل قطب، وإنما يسأل كل قطب فيما يخطر الله في ذلك الحين مما جرى لهذا الذي بايعه من الأرواح فيه كلام، فأوّل مبايع له العقل الأوّل ثم النفس ثم المقدمون من عمال السموات والأرض من الملائكة المسخرة، ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجنّ ثم المولدات، وذلك أنه كل ما سبح الله من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه يبايعه إلا العالين من الملائكة وهم المهيمون، والأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرّف وهم كمل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية. لكن لما كان الأمر لا يقتضي أن يكون في الزمان إلا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد لا بالأولوية، ولكن بسبق العلم فيه بأن يكون الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله، وهذا المنزل يتضمن مبايعة النبات من المولدات ويدخل فيه قوله في الأجسام الإنسانية ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فنبتم ﴿نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] فجاء في ذكرهم بالإنبات أنه أنبتهم ولم يؤكده بالمصدر، وجاء بمصدر آخر ليعرف بأنهم نبتوا حين أنبتهم، فأوقع الاشتراك بينه وبينهم في الخلق ينبه أنه لولا استعدادهم للإنبات ما أثرت فيهم الأسماء، فكان خروجهم من الأسماء والاستعداد، فللأسماء قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وللاستعداد قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ لأن نباتاً مصدر «نَبَتَ» لا مصدر «أنْبَتَ»، فإن مصدر أنبت إنما هو إنبات فانظروا ما أعجب مساق القرآن وإبراز الحقائق فيه كيف يعلمنا الله في إخباراته ما هي الأمور عليه فيعطي كل ذي حق حقه، إذ لا ينفذ الاقتدار الإلهيّ إلا فيمن هو على استعداد النفوذ فيه، ولا يكون ذلك إلا في الممكنات، إذ لا نفوذ له في الواجب الوجود لنفسه ولا في المحال الوجود فسبحان العليم الحكيم.

واعلم أن الإنسان شجرة من الشجرات أنبتها الله شجرة لا نجماً لأنه قائم على ساق، وجعله شجرة من التشاجر الذي فيه لكونه مخلوقاً من الأضداد، والأضداد تطلب الخصام والتشاجر والمنازعة ولهذا يختصم الملأ الأعلى، وأصل وجوده في العالم حكم الأسماء الإلهية المتقابلة في الحكم لا غير هذا مستندها الإلهيّ، قال تعالى في حق محمد ﷺ أنه قال: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩] حتى أعلمه الله تعالى، فعلم أن للطبيعة فيهم أثراً، كما أن للأركان في أجسام المولدات أثراً، فلما كان الناس شجرات جعل فيهم ولاة يرجعون إليهم إذا اختصموا ليحكموا بينهم ليزول حكم التشاجر، وجعل لهم إماماً في الظاهر واحداً يرجع إليه أمر الجميع لإقامة الدين، وأمر عباده أن لا ينازعوه، ومن ظهر عليه ونازعه أمرنا الله بقتاله لما علم أن منازعته تؤدّي إلى فساد في الدين الذي أمرنا الله بإقامته

وأصله قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فمن هناك ظهر اتخاذ الإمام وأن يكون واحداً في الزمان ظاهراً بالسيف، فقد يكون قطب الوقت هو الإمام نفسه كأبي بكر وغيره في وقته، وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يظهر إلا بصفة العدل، ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر، فالجور والعدل يقع في أئمة الظاهر ولا يكون القطب إلا عدلاً، وأما سبب ظهوره، في وقت وخفاء بعضهم في وقت فهو أن الله ما جبر أحداً على كينونته في مقام الخلافة، وإنما الله أعطاه الأهلية لذلك المقام وعرض عليه الظهور فيه بالسيف حسبما ما أمره، فمن قبله ظهر بالسيف فكان خليفة ظاهراً وباطناً ما ثم غيره، وإن اختار عدم الظهور لمصلحة رآها أخفاه الله وأقام عنه نائباً في العالم يسمى خليفة يجور ويعدل، وقد يكون عادلاً على قدر ما يوفقه الله سبحانه، ويكون حكمه وإن كان جائراً حكم الإمام العادل من نازعه قتل ولا يقتل إلا الآخر فإنه المنازع، وأمرنا الله أن لا نخرج يداً من طاعته، وأخبرنا أنه من عدل منهم فلهم وإن من جار منهم فعليهم ولنا.

ولما كان الإنسان شجرة كما ذكرناه نهى الله أوّل إنسان عن قرب شجرة عينها له دون سائر الشجرات، كما هو الإنسان شجرة معينة بالخلافة دون سائر الشجرات، فنبهه أن لا يقرب هذه الشجرة المعينة على نفسه، وظهر ذلك في وصيته لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [صٓ: ٢٦] يعني هوى نفسه فهو الشجرة التي نهى آدم أن يقربها أي لا تقارب موضع النزاع والخلاف فيؤثر فيك نشأة جسدك الطبيعيّ العنصري، يقول ذلك لنفسه الناطقة المدبرة، فإن بها يخالف أمر الله فيما أمره به أو نهاه عنه، فقوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] بحرف الإشارة تعيين لشجرة معينة، ولما كانت الإمامة عرضاً كما كانت الأمانة عرضاً والإمامة أمانة لذلك ظهر بها بعض الأقطاب ولم يظهر بها بعضهم فنظر الحق لهذا القطب بالأهلية، ولو نظر الله للإمام الظاهر بهذه العين ما جار إمام قط كما تراه الإمامية في الإمام المعصوم، فإنه من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره له مقام العصمة، ومن هنا غلطت الإمامية، فلو كانت الإمامة غير مطلوبة له وأمره الله أن يقوم فيها عصمه الله بلا شك عندنا، وقد نبه رسول الله ﷺ على ما قررناه كله، فنبه على العرض بفعله حيث لم يجبر أحداً على ولاية بل ذكر أنه من تركها كان خيراً له وأنها يوم القيامة حسرة وندامة إلا لمن قام فيها بصورة العدل، ونبه على عصمة من أمر بها بقوله: «**فَمَنْ أُعْطِيَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلَ إِلَيْهَا وَمَنْ جَاءَتْهُ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَكَّلَ الله بِهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ**» وهذا معنى العصمة، والسؤال هنا إشارة إلى الرضا بها والمحبة لهذا المنصب، فهو سائل بباطنه وغيره ممن يكره ذلك يجبره أهل الحل والعقد عليها ويرى أنه قد تعين عليه الدخول فيها والتلبس بها لما يرى أن تخلف عنها من ظهور الفساد، فيقوم له ذلك في الظاهر مقام الجبر الإلهي بالأمر على التلبس بها فيعصم فيكون عادلاً إذ الملك الذي يسدده لا يأمره إلا بخير حتى القرين كما قال ﷺ: «**أنه أعانه الله عليه فأسْلَم**» برفع الميم ونصبها وقال: «**فلا يأمُرُني إلا بخَيرٍ**».

فمبايعة النبات هذا القطب هو أن تبايعه نفسه أن لا تخالفه في منشط ولا مكره مما يأمرها به من طاعة الله في أحكامه، فإن الله قد جعل زمام كل نفس بيد صاحبها وأمرها إليه فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] يعني نفسه، وكذلك في داود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦] يعني نفسه فإنه لو كان هوى غيره نهى أن يتبعه فاتبعه فما يتبعه إلا بهوى نفسه فطاوع نفسه في ذلك، فلذلك تعين أنه أراد بالهوى نفسه لا غيره، وهو أن يأمره بمخالفة ما أمره الله به أن يفعله أو ينهاه عنه، فإذا بايعته نفسه انصرف حكم شجريتها إلى منازعة من ينازع أمر الله فبقي حكم حقيقتها في المخالفين أمر الله، إذ علم الله أن حقيقة الخلاف لا تزول فإنها شجرة لعينها، فلو زال لزال عينها، فلهذا عين الله لها مصرفاً خاصاً يكون فيه سعادتها، وكل من عرف القطب من الناس لزمته مبايعته، وإذا بايعه لزمته بيعته وهي من مبايعة النبات فإنها بيعة ظاهرة لهذا القطب التحكم في ظاهره بما شاء وعلى الآخر التزام طاعته. وقد ظهر مثل هذا في الشرع الظاهر أن المتنازعين لو اتفقا على حكم بينهما فيما تنازعا فيه فحكم بينهما بحكم لزمهما الوقوف عند ذلك الحكم وأن لا يخالفا ما حكم به، فالقطب المنصوب من جهة الحق أولى بالحكم فيمن عرف إمامته في الباطن من الناس، ولهذا التحكم الذي قلناه منه في ظاهر من بايعه ألحقنا هذه المبايعة ببيعة النبات، بل إن حققت الأمر واتبعت فيه الأصل وجدت النباتية في النفس الجزئية الناطقة لأنها ما ظهرت إلا من هذا الجسم المسوى المعدل وعلى صورة مزاجه، فهي أرضه التي نبتت منه حين أنبتها الله بالنفخ في هذا الجسم من روحه، وهكذا كل روح مدبر لجسم عنصري، فالسعيد، من عرف إمام وقته فبايعه وحكمه في نفسه وأهله وماله كما قال ﷺ في حق نفسه: «**لا يَكْمُلُ لِعَبْدٍ الإيمانُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» ولهذا يشترط في البيعة المَنْشَطُ والمَكْرَهُ لأن الإنسان ما ينشط إلا إذا وافق الله هوى نفسه، والمكره إذا خالف أمر الله هوى نفسه فيقوم به على كره لإنصافه ووفائه بحكم البيعة فإنه ما بايع إلا الله إذ كانت ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وما شاهدوا بالأبصار إلا يد هذا الشخص الذي بايعوه، والنفس أبداً في الغالب تحت حكم مزاجها، والقليل من الناس من يحكم نفسه على طبيعته ومزاجه، فإن الأمومة للجسم المسوى والبنوّة للنفس، وقد أمر الإنسان بالإحسان لأبويه والبر بهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمره أحد الأبوين بمخالفة أمر الحق فلا يطعه كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥] فأمر باتباع المنيبين إلى الله ومخالفة نفوسهم إن أبت ذلك، فحق الإمام أحق بالاتباع، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وهم الأقطاب والخلفاء والولاة وما بقي لهم حكم إلا في صنف ما أبيح لك التصرف فيه فإن الواجب والمحظور من طاعة الله وطاعة رسوله، فما بقي للأمة إلا المباح ولا أجر فيه ولا وزر. فإذا أمرك الإمام المقدم عليك الذي بايعته على السمع والطاعة بأمر من المباحات وجبت عليك طاعته في ذلك وحرمت مخالفته وصار حكم ذلك الذي كان مباحاً واجباً،

فيحصل للإنسان إذا عمل بأمره أجر الواجب وارتفع حكم الإباحة منه بأمر هذا الذي بايعه، فتدبر ما ذكرناه وما نبهنا عليه من أمر الإمام بالمباح، واعرف منزلة البيعة وما أثمرت وما أثرت وكيف نسخت حكم الإباحة بالوجوب عن أمر الحق بذلك، فنزل الإمام منزلة الشارع بأمر الشارع فتغير الحكم في المحكوم عليه عما كان عليه في الشرع قبل أمر هذا الإمام، فمن أنزله الحق منزلته في الحكم تعين اتباعه.

واعلم أن النبات عالم وسط بين المعدن والحيوان فله حكم البرازخ فله وجهان فيعطي من العلم بذاته لمن كوشف بحقيقة ما فيه من الوجوه، فإن الكمال في البرازخ أظهر منه في غير البرازخ لأنه يعطيك العلم بذاته وبغيره، وغير البرزخ يعطيك العلم بذاته لا غير لأن البرزخ مرآة للطرفين، فمن أبصره أبصر فيه الطرفين لا بد من ذلك، وفي النبات سر برزخي لا يكون في غيره، فإنه برزخ بينه من قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] وبين ربه من قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ [نوح: ١٧] والمنصف العادل من حكم بين نفسه وربه، ولا يكون حكماً حتى تكون نفسه تنازع ربها فيحكم له عليها لعلمه أن الحق بيد الله بكل وجه وعلى كل حال، وسبب نزاعها كونها على الصورة، ففيها مضادة الأمثال لا مضادة الأضداد، فيدخل الإنسان حكماً بين ربه وبين نفسه. ألا تراه مأموراً بأن ينهاها عن هواها فأنزلها منزلة الأجنبي وليس إلا عينها وهي التي ادعت فيه الحكم والخصم، ولو اقتصر الأمر دونها على الجسم النامي منه وغير النامي لم تكن منازعة فإنه مفطور على التسبيح لله بحمده، فالجسم الإنسانيّ كالنجم من النبات لا يقوم على ساق، فلا يرجع شجرة إلا بوجود الروح المنفوخ فيه فحينئذ يقوم على ساق بخلاف الأشجار كلها فإنها تقوم على ساق من غير نفخ الروح الحيوانيّ فيها فهو نجم بالأصالة وشجرة بالنفخ، فسجوده لله سجود الظلال، وسجود الشجر لله سجود الأشخاص القائمين على ساق.

ولما كان النبات برزخياً كان مرآة قابلاً لصور ما هو لها برزخ وهما الحيوان والمعدن إذا بايع بايع لبيعته ما ظهر فيه من صور ما هو برزخ لهما تابعاً له، فتضمنت بيعة النبات بيعة الحيوان والمعادن، لأن هذا الإمام يشاهد الصور الظاهرة في مرآة البرازخ وهو علم عجيب، كما يرى الناظر في المرآة في الحس غير صورته مما تقبله المرآة من صور غير الناظر من الأشخاص، فيدرك فيها ما هي تلك الأشخاص عليه في أنفسها مع كونها في أعيانها غيباً عنه، وما رأى لها صورة إلا في هذا الجسم الصقيل، فإن أعطته تلك الصورة علماً غير النظر إليها كان ذلك العطاء بمنزلة ما يعطي المبايع في البيعة من السمع والطاعة لمن بايعه وإن لم تعط علماً لم يرجع ذلك إليها وإنما هو رجع إلى الناظر وأنه ليس بإمام ولا خليفة ولا له بيعة أصلاً، وبهذا يتميز الإمام في نفسه عن غيره ويعلم أنه إمام، فإن أخذ العلم هذا الناظر من تلك الصورة بحكم التفكر والاعتبار فيخيل أنه إمام وقته فليس كذلك إلا أن تعطيه الصور العلم من ذاتها كشفاً من غير فكر ولا اعتبار، وإن اتفق أن يساويه صاحب الفكر في ذلك العلم الكشفي فليس بإمام لاختلاف الطريق، فإن الإمام لا يقتني العلوم من فكره بل لو رجع

إلى نظره لأخطأ، فإن نفسه ما اعتادت إلا الأخذ عن الله، وما أراد الله لعنايته بهذا العبد أن يرزقه الأخذ من طريق فكره فيحجبه ذلك عن ربه، فإنه في كل حال يريد الحق أن يأخذ عنه ما هو فيه من الشؤون في كل نفس فلا فراغ له ولا نظر لغيره، وللعاقل إذا استبصر دليل قد وقع يدل على صحة ما ذكرناه نهي النبي ﷺ عن إبار النخل ففسد لأنه لم يكن عن وحي إلهيّ ونزوله يوم بدر على غير ماء فرجع إلى كلام أصحابه فإنه ﷺ ما تعوّد أن يأخذ العلوم إلا من الله لا نظر له إلى نفسه في ذلك، وهو الشخص الأكمل الذي لا أكمل منه فما ظنك بمن هو دونه؟ وما بقي للعارفين بالله علاقة بين الفكر وبينهم بطريق الاستفادة، ولا يسمى الشخص إلهياً إلا أن لا يكون أخذه العلوم إلا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق؛ يقول أبو يزيد البسطامي: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، حدّثنا فلان وأين هو؟ قال: مات، عن فلان وأين هو؟ قال: مات، فقال أبو يزيد: وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت فلا حجاب بين الله وبين عبده أعظم من نظره إلى نفسه وأخذه العلم عن فكره ونظره، وإن وافق العلم فالأخذ عن الله أشرف وعلم ضرورات العقول من الله لأنها حاصلة لا عن فكر واستدلال، ولهذا لا تقبل الضرورات الشبه أصلاً ولا الشكوك إذا كان الإنسان عاقلاً، فإن حيل بينه وبين عقله فما هو الذي قصدنا البيان عنه.

وبعد أن أعلمناك ببيعة النبات ومرتبته وأنك نبات وأمثالك فلنذكر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم لترتفع الهمة إلى الوقوف عليها والتحلي بها:

فمن ذلك علم الرحموت، وعلم فتوح المكاشفة بالحق، وعلم فتوح الحلاوة في الباطن، وعلم فتوح العبارات في الترجمة عن الله، وعلم نسخ الأحكام بعد النبي ﷺ عن أمر النبيّ ﷺ فإنه المقرر حكم المجتهد لتعارض الأدلة فله الاختيار فيها، وعلم العناية الإلهية ببعض العبيد، وعلم الإشارات، وعلم التمام والكمال وأن التمام للنشأة والكمال بالمرتبة، وعلم البيان والتبيين، وعلم الاستقامة وما شيب النبيّ ﷺ من سورة هود، وعلم الكشف على مقامات النص الألهيّ هل يؤثر فيه حكم الأكوان أم لا؟ وعلم الطمأنينة والفرق بينها وبين اليقين والعلم، وعلم نسبة العالم ملكاً لله، وعلم من نازعه فيه بماذا نازعه حتى ذكر الله أن له جنوداً من كونه ملكاً وما هم أولئك الأجناد؟ وهل تعلم بطريق الإحصاء أو لا تعلم إلا بطريق الإجمال من غير تفصيل؟ وهل وقع لأحد العلم بها على التفصيل أم لا؟ وعلم العلل الإلهية في الكون، وعلم الرجوع الإلهيّ على العباد بم يرجع إليه ولماذا يرجع؟ وهو القائل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣] فهل هو عين ذلك الأمر الراجع أم لا؟ وهو علم شريف، وعلم منزلة من يستحق التعظيم الإلهي ممن لا يستحقه، وعلم الوفاء بالعقد مع الله فيما يعقده معه مما له الخيار في حله ومذهبنا الوفاء به ولا بد إلا أن يقترن به أمر من شيخ معتبر لتلميذ أو لأحد ممن له فيه اعتقاد التقدم فإن له أن يحل ذلك العقد مع الله المخير فيه ولا بد وإن لم يفعل قوبل فإن لم يقترن به مثل هذا فالوفاء به مذهبنا ومذهب أهل الخصوص، وعلم السواء بين النشأتين فلا يظهر الظاهر إلا بصورة الباطن وهو المعبر عنه بالصدق، وعلم من طلب

الستر عند تجلي الحقيقة حذراً أن تذهب عينه، وعلم التبديل وما حضرته وما يقبل التبديل وما لا يقبله مما هو ممكن أن يقبله، وعلم الإقبال والتولي هل الإقبال تولّ أو هو إقبال بلا تولّ؟ وعلم رفع الحرج من العالم مع وجوده بماذا يرتفع عند من يرتفع في حقه، وعلم الرضاء ومحله وما ثوابه عند الله؟ وعلم ما ينتج التعجيل بالخير، وعلم الاقتدار الكوني من الاقتدار الإلهي، وعلم تأثير العالم بعضه في بعض هل هو تأثير علة أم لا؟ وعلم التعصب في العالم في أي صنف يظهر؟ وهل يتصف به الملأ الأعلى أم لا؟ وهل له مستند في الأسماء الإلهية المؤثرة في الأعيان للأحوال التي يقام فيها أعيان المكلفين كالعاصي إذا توجه عليه الاسم المنتقم وتوجه عليه الاسم العفو فيتعصب له الاسم التوّاب والرحيم والغفور والحليم هذا أعني بالمستند الإلهيّ، وعلم ما يظهر على أعيان الممكنات المكلفين هل يظهر بحكم الاستحقاق أو بحكم المشيئة؟ وعلم ما تجتمع فيه الرسل وما تفترق فيه، وعلم منازل القرون الثلاثة الآتية على نسق والقرن الرابع وما لها في الزمان من الشهور الأربعة الحرم التي هي ثلاثة سرد وواحد فرد، وعلم ما يطلب بالسجود من الله ومراتب السجود والسجود الذي يقبل الرفع منه الساجد من السجود الذي إذا وقع لم يرفع منه وهل خلق العالم ساجداً أو خلق قائماً ثم دعي إلى السجود؟ أو خلق بعضه قائماً وبعضه ساجداً؟ وتعيين من خلق ساجداً ممن خلق قائماً ثم سجد أو لم يسجد، وعلم العلامات الإلهية في الأشياء وما يدل منها على سعادة العبد وعلى شقاوته، وعلم تفاصيل الوعد الإلهي ولماذا نفذ بكل وجه ولم ينفذ الوعيد في كل من توعد وكلاهما خبر إلهي فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم، وتركنا منها علوماً لم نذكرها طلباً للاختصار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ومن هذا المنزل علمنا حين وقفنا عليه سنة إحدى وتسعين وخمسمائة نصر المؤمنين على الكفار قبل وقوعه بمدينة فاس من بلاد المغرب.

الباب السابع والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل محمد ﷺ مع بعض العالم وهو من الحضرة الموسوية

[الوافر]

ألا لله مـــا الأكـــوان فـــيـــه ... مـن أحـكـام الـتـنـاقُـض فـي الـوُجُـودِ

فـمـنـهـم طـائـعٌ عـاصٍ عَـلِـيـمٌ ... جـهـولٌ بـالـنـزول وبـالـصُّـعُـودِ

ومـنـهـمْ مـن تَـحَـقَّـقَ فـي غُـيُـوب ... ومـنـهـم مـن تَـحَـقَّـقَ فـي الـشُّـهـودِ

فـتـظـهـر كـثـرةٌ والـعـيـنُ مـنـهـا ... وحـيـدٌ بـالـدلائـل والـعُـقـود

فـسـبـحـان الـمـراد بـكـلِّ نَـعْـتٍ ... مـن أوصَـافِ الألـوهـة والـعـبـيـد

وسـبـحـان الـمـحـيـط بـكـل شـيء ... ويـوصـف فـي الـمـعـارف بـالـمـزيـد

قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» وعلل ذلك بكماله وقال: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً مَا وَسِعَهُ إلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي**» لعموم رسالته وشمول شريعته، فخص ﷺ بأشياء لم تعط

لنبي قبله، وما خص نبي بشيء إلا وكان لمحمد ﷺ فإنه أوتي جوامع الكلم وقال: «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدمُ بَيْنَ الطِّينِ وَالمَاءِ**» وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوّته وزمان رسالته. فلنذكر في هذا الباب منزله ومنزلته:

فالمنزل يظهر في بساط الحق ومقعد الصدق عند التجلي والرؤية يوم الزور العام الأعظم فيعلم منزله بالبصر والشهود وأما منزلته فهي منزلة في نفس الحق ومرتبة منه ولا يعلم ذلك إلا بإعلام الله وله المقام المحمود، وهو فتح باب الشفاعة للملائكة فمن دونهم، وله الأوّلية في الشفاعة، وله الوسيلة، وليس في المنازل أعلى منها ينالها محمد ﷺ بسؤال أمته جزاء لما نالوه من السعادة به حيث أبان لهم طريقها فاتبعوه.

واعلم أن هذا المنزل من يدخله يرى فيه عجائب لا يراها في غيره، فمن ذلك أنه يرى أعمال الأشقياء مجسدة وأعمال السعداء كذلك مجسدة صوراً قائمة تعقل وجود خالقها، وقد جعل الله في نفوس هذه الصور طلباً على الأسباب التي وجدت عنها وهم العاملون ويجدون في طلبهم، فأما أعمال السعداء فيرون على أيمانهم طريقاً يسلكونها فتأخذ بهم تلك الطريق إلى مشاهدة أصحابهم وهم السعداء فيميز بعضهم بعضاً ويتساءلون ويتخذونهم العاملون مراكب فوز ونجاة تحملهم إلى مستقر الرحمة وأما أعمال الأشقياء فتقوم لهم طرق متعددة متشعبة متداخلة بعضها في بعض لا يعرفون أيّ طريق تمشي بهم إلى أصحابهم فيحارون ولا يهتدون وهذا من رحمة الله بالأشقياء، فإذا حارت أعمالهم رجعت إلى الله بالعبادة والذكر ويتفرّقون في تلك الطريق، فمنهم من لا يهتدي إلى صاحبه أبد الآبدين ومنهم من يصل إلى صاحبه فيشاهده ويتعرّف إليه فيعرفه ويكون وجوده إياه مصادفة فيتعلق به ويقول له: احملني فقد أتعبتني في طلبك فيجبر العامل على حمله إلى أن تناله الرحمة رحمة الله. وإلى جانب موقف هذه الصور طريقان واضحان: طريق يكون غايته الحق الوجود وطريق لا غاية له فإنه يخرج السالك إلى العدم فلا يقف عند غايته فيه، إذ العدم لا ينضبط بحد فيتقيد به بخلاف الحق الوجود المقيد فإنه يتقيد وإن كان مطلقاً فإطلاقه تقيد في نفس الامر فإنه متميز بإطلاقه عن الوجود المقيد فهو مقيد في عين إطلاقه، وطريق ثالث بين هذين الطريقين برزخيّ لا تتصف غايته بالوجود ولا بالعدم مثل الأحوال في علم المتكلمين. فأما الطريق التي يكون غايتها الوجود فيسلك عليها الموحدون والمؤمنون والمشركون والكافرون وجميع أصحاب العقائد الوجودية وأما الطريق الأخرى فلا يسلك عليها إلا المعطلة فلا ينتهي بهم إلىٰ غاية وأما الطريق البرزخي فلا يسلك فيه إلا العلماء بالله خاصة الذين أثبتهم الحق ومحاهم في عين إثباتهم وأبقاهم في حال فنائهم، فهم الذين لا يموتون ولا يحيون إلى أن يقضي الله بين العباد فيأخذون ذات اليمين إلى طريق الوجود الحق، وقد اكتسبوامن حقيقة تلك الطريق صفة، واكتسبوا منها هيئة تظهر عليهم في منزل الوجود الحق يعرفون بها بعضهم بعضاً ولا يعرفهم بها أحد من أهل الطريقين، وهذا ضرب مثل ضربه الله لأهل الله ليقفوا منه على مراتب الهدى والحيرة والمهتدين والضالين، وجعل الله لهم نوراً بل أنواراً يهتدون بها في ظلمات برّ

طبيعتهم، وفي ظلمات بحر أفكارهم، وفي ظلمات نفوسهم الناطقة برّها وبحرها بما هي عليه في نشأتها، إذ كانت متولدة بين النور الخالص والطبيعة المحضة العنصرية الصرفية، وتلك الأنوار المجعولة فيهم من الأسماء الإلهية، فمن كان عارفاً بها وناظراً بها من حيث ما وجدت له وصل بها إلى العلم بالأمور والكشف، ومن أخذها أنواراً، لا يعلم أنها بالوضع للاهتداء وجعلها زينة كما تراها العامة في كواكب السماء زينة خاصة لم يحصل له منها غير ما رأى، ويراها العلماء بمنازلها وسيرها وسباحتها في أفلاكها موضوعة للاهتداء بها، فاتخذوها علامات على ما يبتغونه في سيرهم على الطرق الموصلة إلى ما دعاهم الحق إليه من العلم به أو إلى السعادة التي هي الفوز خاصة.

واعلم أن الله لما جعل منزل محمد ﷺ السيادة فكان سيداً ومن سواه سوقة علمنا أنه لا يقاوم فإن السوقة لا تقاوم ملوكها فله منزل خاص وللسوقة منزل، ولما أعطي هذه المنزلة وآدم بين الماء والطين علمنا أنه الممد لكل إنسان كامل منعوت بناموس إلهيّ أو حكميّ وأوّل ما ظهر من ذلك في آدم حيث جعله الله خليفة عن محمد ﷺ فأمدّه بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد ﷺ، فظهر بعلم الأسماء كلها على من اعترض على الله في وجوده ورجح نفسه عليه، ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل زمان وجود صورة جسمه لإظهار حكم منزلته باجتماع نشأتيه، فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور، فأقرّ من شرائعه التي وجه بها نوّابه ما أقر ونسخ منها ما نسخ وظهرت عنايته بأمته لحضوره وظهوره فيها، وإن كان العالم الإنساني والناريّ كله أمته ولكن لهؤلاء خصوص وصف فجعلهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأتيه، فكان من فضل هذه الأمة على الأمم أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم قبل ظهوره إذ كان أعطاهم التشريع، فأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام وأمرهم أن يحكموا بما أدّاهم إليه اجتهادهم فأعطاهم التشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدّمهم عليهم، فإن المتأخر يرث المتقدّم بالضرورة فيدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسل محمد ﷺ فأخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه، فمنهم المخطىء حكم غيره من المجتهدين ما هو مخطىء عن الحق، فإن الذي جاء به حق، فإن أخطأ حكماً قد تقدّم الحكم به لمحمد ﷺ، وما وصل إليه فذلك الذي جعل له أجراً واحداً وهو أجر الاجتهاد، وإن أصاب الحكم المتقدم باجتهاده فله أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين عند نفسه وعند غيره فليس بمجهول عند الله، وكل من دخل في زمان هذه الأمّة بعد ظهور محمد ﷺ من الأنبياء والخلفاء الأول فإنهم لا يحكمون في العالم إلا بما شرع محمد ﷺ في هذه الأمة وتميز في المجتهدين وصار في حزبهم مع إبقاء منزلة الخلافة الأولى عليه فله حكمان يظهر بذلك في القيامة ما له ظهور بذلك هنا، ومنزل محمد ﷺ يوم الزور الأعظم على يمين الرحمن من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه، ومنزله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن لكن بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلهية والأحكام في العالم،

فالكُلُّ عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو وجه كله يرى من جميع جهاته، وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى يفهم عنه يرونه لساناً ويسمعونه صوتاً وحرفاً، ومنزلته في الجنان الوسيلة التي تتفرع جميع الجنات منها وهي في جنة عدن دار المقامة، ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنة وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها، وهذه منازل كلها حسية لا معنوية، وليست المعنوية إلا منزلته في نفس موجده وهو الله تعالى وما هذا خاص به، بل كل منزلة لا تكون إلا في نفس الله الذي هو الرحمن، والمنازل محسوسة محصورة التي هي جمع منزل لا جمع منزلة، فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة بالله تعالى وتقدس في ذاته.

وأما منزلته في العلوم فالإحاطة بعلم كل عالم بالله من العلماء به تعالى متقدميهم ومتأخريهم، وكل منزل له ولأتباعه مطيب بالطيب الإلهيّ الذي لم يدخل فيه ولا استعملت أيدي الأكوان فيه.

واعلم أنه من كماله ﷺ أنه خص بستة لم تكن لنبيّ قبله، والستة أكمل الأعداد، وليس في الأشكال شكل فيه زوايا إذا انضمت إليها الأمثال لم يكن بينها خلوّ إلا الستة، وبها أوحى الله إلى النحل في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨] وأوحى إليها صفة عملها فعملتها مسدسة فأخبر أنه أعطي مفاتيح الخزائن وهي خزائن أجناس العالم ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم إذا علمنا أنه السيد، ومن اعتبر تعيين الخزائن بالأرض فليس في الأرض إلا خزائن المعادن والنبات لا غير، فإن الحيوان من حيث نموه نبات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] فأخبرنا أنا من جملة نبات الأرض وما أعطيها ﷺ حتى كان فيه الوصف الذي يستحقها به ولهذا طلبها يوسف عليه السلام من الملك صاحب مصر أن يجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليم ليفتقر الكل إليه فتصح سيادته عليهم، ولهذا أخبر بالصفة التي يستحق من قامت به هذا المقام فقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] حفيظ عليها فلا نخرج منها إلا بقدر معلوم، كما أن الله سبحانه يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فإذا كانت هذه الصفة فيمن كانت ملك مقاليدها ثم قال بعد قوله: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] أخبر أنه عالم بحاجة المحتاجين لما في هذه الخزائن التي خزن فيها ما به قوامهم عليم بقدر الحاجة، فلما أعطي ﷺ مفاتيح خزائن الأرض علمنا أنه حفيظ عليم، فكل ما ظهر من رزق في العالم فإن الاسم الإلهيّ لا يعطيه إلا عن أمر محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح كما اختص الحق تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو، وأعطي هذا السيد منزلة الاختصاص بإعاطائه مفاتيح الخزائن.

والخصلة الثانية: أوتي جوامع الكلم، والكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفد فأعطي علم ما لا يتناهى، فعلم ما يتناهى بما حصره الوجود، وعلم ما لم يدخل في الوجود وهو غير متناه، فأحاط علماً بحقائق المعلومات وهي صفة إلهية لم تكن لغيره، فالكلمة منه كلمات

كالأمر الإلهي الذي هو كلمة واحدة كلمح بالبصر، وليس في التشبيه الحسي أعظم ولا أحق تشبيهاً به من اللمح بالبصر.

ولما علم بجوامع الكلم أعطي الإعجاز بالقرآن الذي هو كلمة الله وهو المترجم به عن الله فوقع الإعجاز في الترجمة التي هي له، فإن المعاني المجرّدة عن الموادّ لا يتصوّر الإعجاز بها وإنما الإعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره وهو أعلى المراتب الإلهية، وينزل عنها من كان الحق سمعه وبصره ولسانه فيكون مترجماً عن عبده كما ترجم تعالى لنا في القرآن أحوال من قبلنا وما قالوه فما فيه ذلك الشرف فإنه يترجم عن أهله والمقربين لديه كالملائكة فيما قالوه، ويترجم عن إبليس مع إبلاسه وشيطنته وبعده بما قاله، ولا يترجم عن الله إلا من له الاختصاص الذي لا اختصاص فوقه.

والخصلة الثالثة: بعثته إلى الناس كافة من الكفت وهو الضم ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥] أي تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها، كذلك ضمت شريعته جميع الناس، فلا يسمع به أحد إلا لزمه الإيمان به، ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا لقومهم ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١، ٣٢] فأخبر بقوله: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عن الجن وقول الله من «وليس له» إلى «مبين» فضمت شريعته الجن والإنس، فعم بشريعته الإنس والجن، وعمت العالم رحمته التى أرسل بها فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فأخبر الله أن أرسله ليرحم العالم وما خص عالماً من عالم، فإذا أتى بكل ما يرضي العالم صنفاً صنفاً ما عدا بعض من هو مخاطب بحكم شرعه فقد رحمه وقام بالرحمة التي أرسل بها، بل نقول: إنه جاء بحكم الله وحكم الله يرضى به كل صنف من العالم بلا شك فإن كل العالم مسبح بحمده فهو راض بحكمه من جهة ما جاء به هذا الرسول العامّ الدعوة العامّ بنشر الرحمة على العالم، غير أن من الناس من لم يرض بالمحكوم به، وإن كان راضياً بالحكم فقد نال من رحمة الله التي أرسل بها على قدر ما رضي به من الحكم المعين الذي جاء به، وليس هذا الواقع إلا في الناس خاصة، وإنما الجن شياطينهم وغير شياطينهم فإن الله جعل لهم الإغواء وأمرهم من خلف حجاب البعد بالاستفزاز والمشاركة في الأموال والأولاد ابتلاء لهم وامتحاناً فيقول الشيطان للإنسان اكفر فإذا كفر يقول الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] هذا إخبار الله عنه، ثم قال: فكان عاقبتهما أي جاءهما عقيب هذا الواقع أنهما في النار فأعقب الشيطان برجوعه إلى أصله فإنه مخلوق من النار فرجع إلى موطنه، وكان للإنسان عقوبة على كفره حيث ظلم بقبول ما جاءه به الشيطان ولم يقبل ما جاءه به الرسول، ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٣] فخلد الشيطان في منزله وداره وخلد الإنسان جزاء لكفره، ولهذا تبرأ منه للافتراق الذي بينهما في العاقبة وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٣] فأشار ببنية الواحد ولم يثن الإشارة إلى العقاب

فإنهما ما اشتركا فيه، لأن الذي أتى للإنسان عقيب ذنبه إنما هو العذاب، والذي كان سهم الشيطان الذي أتاه عقيب فعله وقوله رجوعه إلى أصله الذي منه خلق فلا يغتر العاقل. ألا ترى في قصة آدم في الجنة لما وقع منه ما وقع من قرب الشجرة وأعقبه الله الهبوط إلى الأرض من الجنة وأهبط حوّاء وأهبط إبليس ولهذا قال: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة: ٣٦] فجمع ولم يثن ولا أفرد، فنزل آدم إلى أصله الذي خلق منه فإنه مخلوق من التراب فأهبطه الله للخلافة لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فما أهبط عقوبة لما وقع منه وإنما جاء الهبوط عقيب ما وقع منه، وأهبط حوّاء للتناسل، وأهبط إبليس عقوبة لا رجوعاً إلى أصله فإنها ليست داره ولا خلق منها، فسأل الله الإغواء أن يدوم له في ذرية آدم لما عاقبه الله بما يكرهه من إنزاله إلى الأرض، وكان سبب ذلك في الأصل وجود آدم لأنه بوجوده وقع الأمر بالسجود وظهر ما ظهر من إبليس وكان من الأمر ما كان، فعلمنا أن الله أرسله بالرحمة وجعله رحمة للعالمين، فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وإنما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسيّ أفاض شعاعه على الأرض، فمن استتر عنه في كنّ وظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم يرجع إلى الشمس من ذلك منع وأخبر ﷺ أنه بعث إلى كل أحمر وأسود، فذكر من قامت به الألوان من الأجسام يشير إلى أنه مبعوث بعموم الرحمة لمن يقبلها وبعموم الشرع لمن يؤمن به وأمته ﷺ جميع من بعث إليه ليشرع له، فمنهم من آمن ومنهم من كفر والكل أمته.

والخصلة الرابعة: أنه نصر بالرعب بين يديه مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو أسرع قاطع والحساب به للعرب وهو عربيّ، فإذا نصر بين يديه بالرعب مسيرة شهر بسير القمر لأنه ما ذكر السائر وذكر الشهر ولا يعين الشهر عند أصحاب هذا اللسان إلا سير القمر، فقد عمّ نصره بالرعب ما قطعه من المسافة هذا القمر في شهر فعم حكم كل درجة للفلك الأقصى لها أثر في عالم الكون والفساد بقطع القمر تلك المسافة، فما قال ذلك إلا بطريق الثناء به عليه، ولو كان ثم من يقطع الفلك في أقل من هذه المدّة لجاء به فجاء بأسرع سائر يعم سيره قطع درجات الفلك المحيط، فعموم رعبه في قلوب أعدائه عموم رحمته، فلا يقبل الرعب إلا عدوّ مقصود يعلم أنه مقصود، فما قابله أحد في قتال إلا وفي قلبه رعب منه، ولكنه يتجلد عليه بما أشقاه الله ليتميز السعيد من الشقيّ، فيوهن ذلك الرعب من جلادة عدوه على قدر ما يريد الله، فما نقص من جلادة ذلك العدوّ بما وجده من الرعب كان ذلك القدر نصراً من الله.

والخصلة الخامسة: أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله، فأعطي ما يوافق شهوة أمته، والشهوة نار في باطن الإنسان تطلب مشتهاها ولا سيما في المغانم لأن النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم وغلبة وتعمل، فلا يريدون أن يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب في تحصيلها فهي أعظم مشتهى لهم، وقد كانت المغانم في حق غيره من الأنبياء إذا انصرف من قتال العدوّ وجمع المغانم كلها، فإذا لم يبق منها شيء نزلت

نار من الجوّ فأحرقتها كلها، فإن وقع فيها غلول لم تنزل تلك النار حتى يردّ ويلقى فيها ذلك الذي أخذ منها، فكان لهم نزول النار علامة على القبول الإلهي لفعلهم فأحلها الله لمحمد ﷺ فقسمها في أصحابه فتناولتها نار شهواتهم عناية من الله بهم لكرامة هذا الرسول عليه، فأكرمه بأمر لم يكرم به غيره من الرسل، وأكرم من آمن به بما لم يكرم به مؤمناً قبله بغيره.

والخصلة السادسة: أن طهر الله بسببه الأرض فجعلها كلها مسجداً له، فحيث أدركته أو أمته الصلاة يصلي، والمساجد بيوت الله، وبيوت الله أكرم البيوت لإضافتها إلى الله، فصير الأرض كلها بيت الله من حيث أن جعلها مسجداً، وقد أخبرنا لمن يلازم المساجد من الفضل عند الله، فأمته لا تبرح في مسجد أبداً لأنها لا تبرح من الأرض لا في الحياة ولا في الموت، وإنما هو انتقال من ظهر إلى بطن، وملازم المسجد جليس الله في بيته، فهذه الأمة جلساء الله حياة وموتاً لأنهم في مسجد وهو الأرض، وكذلك جعل الله أيضاً تربة هذه الأرض طهوراً، فكان لها حكم الماء في الطهارة إذا عدم الماء أو عدم الاقتدار على استعماله لسبب مانع من ذلك، فأقام لهم تراب هذه الأرض والأرض طهوراً، فإذا فارق الأرض ما فارق منها ما عدا التراب فلا يتطهر به إلا أن يكون التراب، فإنه ما كان منها يسمى أرضاً ما دام فيها من معدن ورخام وزرنيخ وغير ذلك، فما دام في الأرض كان أرضاً حقيقة لأن الأرض تعم هذا كله، فإذا فارق الأرض انفرد باسم خاص له وزال عنه اسم الأرض فزال حكم الطهارة منه إلا التراب خاصة، فسواء فارق الأرض أو لم يفارقها فإنه طهور لأنه منه خلق المتطهر به وهو الإنسان، فيطهر بذاته تشريفاً له، فأبقى الله النصّ عليه بالحكم به في الطهارة دون دون غيره ممن له اسم غير اسم الأرض، فإذا فارق التراب الأرض زال عنه اسم الأرض وبقي عليه اسم التراب، كما زال عن الزرنيخ اسم الأرض لما فارق الأرض وبقي عليه اسم الزرنيخ فلم تجز الطهارة به بعد المفارقة، لأن الله ما خلق الإنسان من زرنيخ وإنما خلقه من تراب، فقال رسول الله ﷺ في الأرض: «**إنَّ الله جَعَلَهَا لَهُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**» فعم، ثم قال في الخبر الآخر: «**وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً**» فخرج التراب بالنص فيه عن سائر ما يكون أرضاً ويزول عنه الاسم بالمفارقة، فهذه ستة خص بها هذا النبي ﷺ فكانت منزلة لم ينلها غيره لها حكم في كل منزل من دنيا وهو ما ذكرناه، ومن برزخ وقيامة وجنة وكثيب، فيظهر حكم هذا الاختصاص الإلهيّ في كل منزل من هذه المنازل ليتبين شرفه وما فضله الله به على غيره مع كونه أعطي جميع ما فضلت به الرسل بعضها على بعض.

ثم لتعلم أيها الوليّ أنه من رحمته ﷺ التي بعثه الله تعالى بها ما أبان الله على لسانه لنا وأمره بتبليغ ذلك فبلغ أنه ليس من شرط الرسالة ظهور العلامات على صدقه إنما هو شخص منذر مأمور بتبليغ ما أمر بتبليغه هذا حظه لا يجب عليه غير ذلك، فإن أتى بعلامة على صدقه فذلك فضل الله ليس ذلك بيده، فأقام عذر الأنبياء كلهم في ذلك فكان رحمة للرسل في هذا فجاء في القرآن قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام: ٣٧] وهذا قول غير العرب ما هو قول العرب لأنه جاء بالقرآن آية على صدقه للعرب إذ لا يعرف إعجازه وكونه آية غير

العرب فلم يرد عنه أنه أظهر آية لكل من دعاه من غير العرب كاليهود والنصارى والمجوس، ولكن أيّ شيء جاء من الآيات فذلك من الله لا بحكم الوجوب عليه ولا على غيره من الرسل فقيل له: قل لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠] ثم قال له: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ [العنكبوت: ٥١] بهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فضمنا القرآن جميع ما تعرف الأمم أنه آية على صدق من جاء به إذا لم يعلموا منه بقرائن الأحوال أنه قرأ ولا كتب ولا طالع ولا عاشر ولا فارق بلده بل كان أمياً من جملة الأميين، وأخبرهم عن الله بأمور يعرفون أنه لا يعلمها من هو بهذه الصفة التي هو عليها هذا الرسول إلا بإعلام من الله، فكان ما جاء من القرآن من ذلك آية كما قالوا وطلبوا، وكان إعجازه للعرب خاصة إذ نزل بلسانهم وصرفوا عن معارضته أو لم يكن في قوّتهم ذلك من غير صرف حدث لهم فجاء القرآن بما جاءت به الكتب قبله ولا علم له بما جاء فيها إلا من القرآن، وعلمت ذلك اليهود والنصارى وأصحاب الكتب فحصلت الآية من عند الله لأن القرآن من عند الله، فقد تبين لك منزل محمد من غيره من الرسل، وخصه الله بعلوم لم تجتمع في غيره منها أنه أعطاه أنواع ضروب الوحي كلها، فأوحى إليه بجميع ما سمي وحياً كالمبشرات والإنزال على القلوب والآذان وبحالة العروج وعدم العروج وغير ذلك، وخصه بعموم علوم الأحوال كلها، فأعطاه العلم بكل حال وفي كل حال ذوقاً لأنه أرسله إلى الناس كافة وأحوالهم مختلفة، فلا بدّ أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال.

وخصه الله بعلم إحياء الأموات معنى وحساً، فحصل العلم بالحياة المعنوية وهي حياة العلوم، والحياة الحسية وهو ما أتى في قصة إبراهيم عليه السلام تعليماً وإعلاماً لرسول الله ﷺ وهو قوله: ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ١٢٠] وخص بعلم الشرائع كلها، فأبان له عن شرائع المتقدمين وأمره أن يهتدي بهداهم، وخص بشرع ولم يكن لغيره منه ما ذكرناه في الستة التي خص بها، فهذه أربعة منازل لم ينزل فيها غيره من الأنبياء عليهم السلام.

فهذا منزل محمد ﷺ قد ذكرت منه ما يسره الله على لساني، فلنذكر ما يتضمن منزله من العلوم:

فمن ذلك: علم الحجاب أعني حجاب الجحد وحجاب الحكمة، وعلم الفارق الذي تعينت به السبل مثل قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨] وهل هم اليوم بعموم بعثة الرسل أمة واحدة أم لا؟ وهل حكم الله على أصحاب الكتب بالجزية وإبقائهم على دينهم شرع من الله لهم على لسان محمد ﷺ فينفعهم ذلك ما أعطوا الجزية عن قوّة من الآخذين وصغار منهم فقد فعلوا ما كلفوا وكان هذا حظهم من الشريعة فإبقاؤهم على شرعهم شرع محمدي لهم فيسعدون بذلك فتكون مؤاخذة من أخذ منهم بما فرط فيه من الشرع الذي هم عليه كسائر العصاة الذين لم يعلموا بجميع ما تضمنه

شرعهم وإن كانوا مؤمنين به، وهذا علم غريب ما أعلم له ذائقاً من فتوح المكاشفة وهو من علوم الأسرار التي غار عليها أهل الله فصانوها، وفيه علم ما حير الأكوان فيما تحيروا فيه كان ما كان، وفيه علم الإيمان المطلق والمقيد، وفيه علم ما يفسد العمل المشروع ويصلحه، وفيه علم سريان الحق في الأحكام على اختلافها وأنها كلها حق من الرب، وفيه علم الكفارات، وفيه علم ما تصلح به أحوال الخلق، وفيه علم ما هو الباطل وما هو الحق هل هما أمر وجوديّ أو ليس بوجودي؟ وفيه علم الشركة في الاتباع وإلى ما يؤول كل تابع هل غايته أمر واحد أو مختلف؟ وفيه علم من تضرب له الأمثال ممن لا تضرب، وفيه علم القهر الإلهيّ على أيدي الأكوان، وقول أبي يزيد: بطشي أشد في هذا المقام، وفيه علم الفرج بعد الشدة وهل من شأن الفرج أن لا يكون إلا بعد شدة أم لا؟ وفيه علم أنواع الابتلاء، وفيه علم الصفة التي تزيل الحيرة عمن قامت به والإبانة عن ذلك، وعلم الأنفاس الإلهية، وعلم الإسفار عن نتائج الأسفار، وعلم المواعظ، وعلم الغلبة التي ليس فيها نصر إلهيّ بماذا كانوا غالبين، وفيه علم الفرق بين علم العين وعلم الدليل وهل يقوم مقام العين أم لا؟ وفيه علم أنواع الزينة في العالم، وفيه علم مراتب العلوم وتفاصيلها، وفيه علم القضاء السابق من علم نفاة القدر، وفيه علم الطبع والختم والقفل والكنّ وما هو عمى الأبصار وعمى البصائر ولم اختص عمى القلوب بحالة الصدور وهو الرجوع عن الحق؟ وهل هو الصدور الذي يكون عن ورود متقدم أو هو صدور تكوين ممكن عن واجب أو هو صدور محل لا صفة؟ فيكون عماه من كونه في المحل فإذا فارق المحل بنظره وانفتح له فيه فرج ينظر منها يزول عماه، وفيه تعيين علوم المزيد فإنها مختلفة بحكم ما تقع الزيادة عليه، وفيه علم الآيات والعلامات على الكوائن، وفيه علم توحيد المرتبة الإلهية أنه ما حازها إلا واحد، وفيه علم الستور وأصنافها التي تسدل علينا لنستر بها عن إدراك الغير وما هي الستور التي تسدل بيننا وبين من نطلب رؤيته فلا نراه؟ وفيه علم الإقامة في المنزل والتقلب فيه لا عنه، وفيه علم العناية بقوم وتركها في حق قوم، وفيه ما تنتجه العزائم في الخير والشرّ، وفيه علم الخير والشرور، وفيه علم النسب الرحماني، وفيه علم ما ينفع من الإيمان مما لا ينفع كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥١] وفيه علم البعد والقرب الإلهيّ، وفيه علم ما يؤدي إليه التفكر، وفيه علم الرجعة ممن وإلى من، وفيه علم ما يؤثر في الظن مما لا يؤثر، وفيه علم المشاهدة وتعلقها بالمشيئة مع استعداد المحل لقبولها وما هناك منع والمحل قابل، وما هذه المشيئة المانعة، وفيه علم الإنصاف في المجازاة والفضل، وفيه علم الفرق بين الأضداد والأمثال وغير الأمثال، إلى غير هذا من العلوم، فإني لا أسوق من ذلك ما أسوقه على جهة الحصر مع علمي بذلك، وإنما أسوقه على جهة التنبيه على ما فيه أو بعض ما فيه بحسب ما يقع لي فوقتاً أورد ذلك بطريق الحصر بحيث أني لا أترك في المنزل علماً إلا نبهت عليه، ووقتاً أقصر عن ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل عقبات السويق وهو من الحضرة المحمدية

[البسيط]

الفَتْحُ فتحان في المعنى وفي الكَلِمِ ... فمَنْ تَكَمَّل يُدْعَى جَامِعَ الحِكَمِ

ولو تَسَافَلَ في الأكوان منزلُه ... كان العلوُّ له في حضرة الكَلِمِ

هو المقدَّمُ في المعنى برُتْبته ... في عالم النُّور لا في عالم الظُّلَمِ

لا تَحْقِرَنَّ عبادَ الله إنّ لهم ... حظّاً من الله ذي الآلاء والنِّعَمِ

فعَظِّم الكَوْنَ فالمدلولُ يطلبه ... وهو البريء من الآفات والتُّهَمِ

اعلم أن لله في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله ﷺ يوم القيامة باسمه الحميد سبعة ألوية تسمى ألوية الحمد، تعطى لرسول الله ﷺ وورثته المحمديين في الألوية أسماء الله التي يثني بها ﷺ على ربه إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله ﷺ إذا سئل في الشفاعة قال: «**فَأَحْمَدُ الله بِمَحَامِدَ لا أَعْلَمُهَا الآنَ**» وهي الثناء عليه سبحانه بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن، والله تعالى لا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى خاصة، وأسماؤه سبحانه لا يحاط بها علماً فإنا نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ونعلم أنا لا نعلم ما أخفي لنا من قرة أعين، وما من شيء من ذلك إلا وهو مستند إلى الاسم الإلهيّ الذي ظهر به حين أظهره، والاسم الإلهيّ الذي امتن علينا تعالى بإظهاره لنا، فلا بد أن نعلمه ونثني على الله به ونحمده إما ثناء تسبيح أو ثناء إثبات، فلما عرفت بذلك سألت عن توقيت تلك الأسماء التي يحمد الله تعالى بها يوم القيامة في المقام المحمود فإني علمت أني لا أعلمها الآن ولا يعلمنيها الله فإنها من المحامد التي يختص بها ﷺ يوم القيامة، فإذا سمعناه يحمده بها يوم القيامة في المقام المحمود وانتشرت الألوية بها والمحامد مرقومة فيها ففي ذلك الموطن نعلمها، فقيل لي: إن عدد تلك الأسماء ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسماً كل لواء منها فيه مرقوم تسعة وتسعون اسماً من أحصاها هناك دخل الجنة، غير لواء واحد من هذه الألوية فإن فيه مرقوماً من هذه الأسماء سبع مائة وسبعون اسماً يحمده ﷺ بهذه المحامد كلها وكلها تتضمن طلب الشفاعة من الله، وهذا المنزل مما يعطى من ينزله مشاهدة كل لواء من تلك الألوية وعلماً بما فيه من الأسماء ليثني هذا الوارث على الله بها هنالك. ولكل لواء منها منزل هنا ناله ﷺ وتناله الورثة الكمل من أتباعه، وهذا المنزل منزل شامخ صعب المرتقى ولهذا سمي عقبة وأضيفت إلى السويق لعدم ثبوت الأقدام فيها لأنها مزلة الأقدام، فلا يقطعها إلا رجل كامل من رسول ونبيّ ووارث كامل يحجب كل وارث في زمانه، وهذا هو المنزل الذي سماه النفري في مواقفه موقف السواء لظهور العبد فيه بصورة الحق، فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ ويثبت قدمه في هذه العقبة بأن يبقي عليه في هذا الظهور شهود عبوديته لا تزال نصب عينيه وإن لم تكن حالته هذه وإلا زلت به

القدم وحيل بينه وبين شهود عبوديته بما رأى نفسه عليه من صورة الحق، ورأى الحق في صورة عبوديته وانعكس عليه الأمر وهو مشهد صعب، فإن الله نزل من مقام غناه عن العالمين إلى طلب القرض من عباده، ومن هنا قال: من قال إن الله فقير وهو الغني ونحن أغنياء وهم الفقراء فانعكست عندهم القضية وهذا من المكر الإلهيّ الذي لا يشعر به، فمن أراد الطريق إلى العصمة من المكر الإلهي فليلزم عبوديته في كل حال ولوازمها فتلك علامة على عصمته من مكر الله ويبقى كونه لا يأمنه في المستقبل، بمعنى أنه ما هو على أمن أن تبقى له هذه الحالة في المستقبل إلا بالتعريف الإلهي الذي لا يدخله تأويل ولا يحكم عليه إجمال، وفي هذا المنزل يشاهد قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ومحمد ﷺ هو الرامي في الحس الذي وقع عليه البصر ويقوم له في هذا المنزل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

واعلم أن السواء بين طريقين لأن الأمر محصور بين رب وبين عبد، فللرب طريق وللعبد طريق، فالعبد طريق الرب فإليه غايته والرب طريق العبد فإليه غايته، فالطريق الواحدة العامة في الخلق كلهم هي ظهور الحق بأحكام صفات الخلق، فهي في العموم أنها أحكام صفات الخلق وهي عندنا صفات الحق لا الخلق، وهذا معنى السواء. والطريق الأخرى ظهور الخلق بصفات الحق التي تتميز في العموم أنها صفات الحق كالأسماء الحسنى وأمثالها وهذا مبلغ علم العامة، وعندنا وعند الخصوص كلها صفات الحق بالأصالة ما أضيف إلى الخلق منها مما تجعله العامة نزولاً من الله إلينا بها وهي عندنا صفات الحق، وأن العبد علت منزلته عند الله حتى تحلى بها، فهي عند العامة أسماء نقص وعندنا أسماء كمال، فإنه ما ثَمَّ مسمى بالأصالة إلا الله.

ولما أظهر الخلق أعطاهم من أسمائه ما شاء وحققهم بها والخلق في مقام النقص لا مكانه وافتقاره إلى المرجح فما يتخيل أنه أصل فيه وحق له اتبعوه في الحكم نفسه، فحكموا على هذه الأسماء الخلقية بالنقص، وإذا بلغهم أن الحق تسمى بها ويصف نفسه بها يجعلون ذلك نزولاً من الحق تعالى إليهم بصفاتهم وما يعلمون أنها أسماء حق بالأصالة فعلى مذهبنا في ظهور الخلق بصفات الحق تعم الخلق أجمعه، فكل اسم لهم هو حق للحق مستعار للخلق، وعلى مذهب الجماعة لا يكون ذلك إلا لأهل الخصوص أعني الأسماء الحسنى منها خاصة، وعندنا لا يكون العلم بذلك إلا للخصوص من أهل الله، وفرق عظيم بين قولنا لا يكون ذلك وبين قولنا لا يكون العلم بذلك، فإن الحق هو المشهود بكل عين في نفس الأمر، ولا يعلم ذلك إلا آحاد من أهل الله وهو مثل قول الصديق: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فعرفته»، فإذا ظهر ذلك الشيء لعينه المقيد وقد رأى الله قبله ميزه في ذلك الشيء، وعلم أن ذلك الشيء ملبس من ملابس الحق ظهر فيه للزينة، فتلك زينة الله التي تزين بها لعباده هذا مقام الصديق، فلا يتميز أهل الله من غيرهم إلا بالعلم بذلك لأن الأمر في نفسه على ذلك، وعند العامة لا يكون ذلك إلا لأهل العناية المتحققين بالحق وغيرهم هو عندهم خلق بلا حق.

ثم نرجع فنقول إن الله جعل لهذا المنزل باباً يسمى باب الرحمة منه يكون الدخول إليه

فيعصمه مما فيه من الآفات المهلكة التي أشرنا إليها آنفاً من حكم السواء، فإنه لهذا المنزل أعني هذا الباب كالنية في العمل فما تخلل العمل من غفلة وسهو لم يؤثر في صحة العمل فإن النية تجبر ذلك لأنها أصل في إنشاء ذلك العمل فهي تحفظه، وكذلك البسملة جعلها الله في أول كل سورة من القرآن فهي للسورة كالنية للعمل، فكل وعيد وكل صفة توجب الشقاء مذكورة في تلك السورة، فإن البسملة بما فيها من الرحمن في العموم والرحيم في الخصوص تحكم على ما في تلك السورة من الأمور التي تعطي من قامت به الشقاء فيرحم الله ذلك العبد إما بالرحمة الخاصة وهي الواجبة أو بالرحمة العامة وهي رحمة الامتنان، فالمآل إلى الرحمة لأجل البسملة فهي بشرى.

وأما سورة التوبة على من يجعلها سورة على حدة منفصلة عن سورة الأنفال فسماها سورة التوبة وهو الرجعة الإلهية على العباد بالرحمة والعطف فإنه قال للمسرفين على أنفسهم ولم يخص مسرفاً من مسرف: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فلو قال إن الرحمن لم يعذب أحداً من المسرفين فلما جاء بالاسم الله قد تكون المغفرة قبل الأخذ وقد تكون بعد الأخذ ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فجاء بالرحيم آخراً، أي مآلهم وإن أوخذوا إلى الرحمة، وأن الرجعة الإلهية لا تكون إلا بالرحمة لا يرجع على عباده بغيرها، فإن كانت الرجعة في الدنيا ردهم بها إليه وهو قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ١١٧] ليتوبوا وإن كانت في الآخرة فتكون رجعتهم مقدمة على رجعته لأن الموطن يقتضي ذلك، فإن كل من حضر من الخلق في ذلك المشهد سقط في يديه ورجع بالضرورة إلى ربه فيرجع الله إليهم وعليهم، فمنهم من يرجع الله عليه بالرحمة في القيامة ومنازلها، ومنهم من يرجع عليه بالرحمة بعد دخول النار وذلك بحسب ما تعطيه الأحوال ويقع به الشهود والأمر في ذلك كله حسي ومعنوي، فإن العالم كله حرف جاء لمعنى معناه الله ليظهر فيه أحكامه إذ لا يكون في نفسه محلاً لظهور أحكامه، فلا يزال المعنى مرتبطاً بالحرف، فلا يزال الله مع العالم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤] فالداخل، إلى هذا المنزل في أوّل قدم يضعه فيه يحصل له من الله تسعة وتسعون تجلياً مائة إلا واحداً تتقدم إليه منها تسعة يرى فيها صورته فيعلم حقيقته، ثم بعد ذلك يقام في التسعين فيرى ما لم يكن يعلم من حضرة جمع ومنعة وعلوّ عن المقاوم فينزل الحق إليه معلماً له علماً من لدنه وقد تقدمت الرحمة له عند دخوله، وهذا منزل خضر صاحب موسى عليه السلام.

واعلم أن أهلية الشيء لأمر ما إنما هو نعت ذاتي فلا يقع فيها مشاركة لغيره إلا بنسبة بعيدة إذا حققتها لم تثبت وزلت قدمك فيها كما قال ﷺ في الصحيح: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا**» وَهُمُ الَّذِينَ لاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا رَأْساً لأَنَّهُمْ أَهْلُهَا «**فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ**» فجعل نعتهم نفي الحياة والموت، ثم استدرك نعت من دخلها وما هو بأهلها فقال: «**وَلٰكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَمَاتَهُمُ الله فِيهَا إِمَاتَةً**» فنعتهم بالموت وهو خلاف نعت من هو لها

أهل، ثم ذكر خروج هؤلاء من النار فتنبه لكون الحق أنطق العالم كله بالتسبيح بحمده، والتسبيح تنزيه ما هو ثناء بأمر ثبوتي لأنه لا يثنى عليه إلا بما هو أهل له وما هو له لا يقع فيه المشاركة، وما أثنى عليه إلا بأسمائه، وما من اسم له سبحانه عندنا معلوم إلا وللعبد التخلق به والاتصاف به على قدر ما ينبغي له، فلما لم يتمكن في العالم أن يثني عليه بما هو أهله جعل الثناء عليه تسبيحاً من كل شيء، ولهذا أضاف الحمد إليه فقال: ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي بالثناء الذي يستحقه وهو أهله وليس إلا التسبيح فإنه سبحانه يقول: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] والعزة المنع من الوصول إليه بشيء من الثناء عليه الذي لا يكون إلا له عما يصفون، وكل مثن واصف، فذكر سبحانه تسبيحه في كل حال ومن كل عين فقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] وما ثم إلا هؤلاء، وقال آمراً لمحمد عند انقضاء رسالته وما شرع له أن يشرع من الثناء عليه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] فقال: «**أنْتَ كما أثْنَيتَ على نَفْسِكَ**» هذا هو التسبيح بحمده، فلما كان الأمر بالثناء على الله على ما قررناه لم يتمكن لنا أن نستنبط له ثناء، وإنما نذكره بما ذكر عن نفسه فيما أنزله في كتبه على حد ما يعلمه هو لا على حد ما نفهمه نحن، فنكون في الثناء عليه حاكين تالين، لأن الثناء على المثني عليه مجهول الذات لا يقبل الحدود والرسوم ولا يدخل تحت الكيفية ولا يعرف كما هو عليه في نفسه وهو الغنيّ عن العالمين، فلا تدل على المعرفة به الدلالات، وإنما تدل على استنادنا إليه من حيث لا يشبهنا أو لا يقبل وصفنا، وما من اسم إلهيّ إلا ونتصف به، فما تلك هي المعرفة المقصودة التي يعلم بها نفسه، فشرع التسبيح وفطر عليه كل شيء وهو نفي عن كل وصف لا إثبات، ولهذا بعض أهل النظر تنبهوا إلى شيء من هذا وإن كان العلماء لم يرتضوا ما ذهبوا إليه ولكن هو حق في نفس الأمر من وجه ما مليح، وذلك أنهم رأوا أن المشاركة بين المحدث والله لا تصح حتى في إطلاق الألفاظ عليه.

فإذا قيل لهم: الله موجود، يقولون ليس بمعدوم فإن المحدث موصوف بالوجود ولا مشاركة، فإذا قيل لهم: الله حيّ، يقولون: ليس بميت، الله عالم، يقولون: ليس بجاهل، الله قادر، يقولون: ليس بعاجز، الله مريد، يقولون: ليس بقاصر، فأتوا بلفظة النفي، والتسبيح تنزيه ونفي لا إثبات، فجروا على الأصل الذي نطق الله به كل شيء فسلكوا مسلكاً غريباً بين النظار والثناء على الله بالتسبيح لا تكل به الألسنة بخلاف الثناء بالأسماء، فإن الألسنة تكل وتعيا وتقف فيها ولهذا قال من قال مما شرع له أن يقول من الثناء على الله فقال خاتماً عند الإعياء والحصر: «**لا أُحْصي ثناءَ عليك أنْتَ كما أثْنَيتَ على نَفْسِكَ**».

وانظر حكمة الله تعالى في كونه لم يجعل له صفة في كتبه بل نزه نفسه عن الوصف فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فجعلها أسماء وما جعلها نعوتاً ولا صفات وقال: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وبها كان الثناء والاسم ما يعطي الثناء وإنما يعطيه النعت والصفة وما شعر أكثر الناس لكون الحق ما ذكر له نعتاً في خلقه، وإنما جعل ذلك أسماء كأسماء الأعلام التي ما جاءت للثناء وإنما جاءت للدلالة، وتلك الأسماء الإلهية الحسنى هي لنا نعوت يثني علينا بها

وأثنينا علينا بها وأثنى الله على نفسه بها لأنا قدمنا أن نزول الشرائع في العالم من الله إنما تنزل بحكم ما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان، سواء صادف أهل ذلك اللسان الحق في ذلك أو لا وقد تواطأ الناس على أن هذه الأسماء التي سمى الحق بها نفسه مما يثنى بها في في المحدثات إذا قامت بمن تقوم به نعتاً أو صفة فأثنى الله على نفسه بها ونبه على أنها أسماء لا نعوت ليفهم السامع الفهم الفطن أن ذلك من حكم التواطؤ لا حكم الأمر في نفسه كما دل دليل الشرع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] من جميع الوجوه فلا يقبل الأينية، فإنه لو قبلها لم يصدق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على الإطلاق فإن قبول الأينية مماثلة.

وأما الدليل العقلي فلا يقول بها أصلاً ومع هذا الحكم للتواطؤ فقال رسول الله ﷺ للسوداء الخرساء: «**أَيْنَ الله**»، فأطلق عليه لفظ الأينية لعلمه أن الأينية في حقه بمنزلة الاسم لا بمنزلة النعت، فقالت السوداء: في السماء بالإشارة فقبل ما أشارت به وجعلها مؤمنة لأن الله أخبر عن نفسه أنه في السماء فصدقته في خبره فكانت مؤمنة، ولم يقل ﷺ فيها عند ذلك إنها عالمة وأمر بعتقها والعتق سراح من قيد العبودية تنبيه من النبيّ ﷺ بالعتق في حقها من قيد العبودية والملك على أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ سراح من قيد الأينية وفاء الظرف التي أتت به السوداء في الجواب، فانظر ما أعجب الشارع العارف بالله وهذا كله تنزيه، فالثناء على الله بصفات الإثبات التي جعلها أسماء وجعلها الخلق نعوتاً كما هي لهم نعوت إذا وقع هذا الثناء من العبد صورة لا يكون روح تلك الصورة تسبيحاً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كان جهلاً بما يستحقه المثني عليه فإنه أدخله تحت الحد والحصر، بخلاف كون ذلك أسماء لا نعوتاً فيا وليّ لا يفارق التسبيح ثناؤك على الله جملة واحدة، فإنك إذا كنت بهذه المثابة نفخت روحاً في صورة ثنائك التي أنشأتها، فلا تكن من المصوّرين الذي يعذبون يوم القيام بأن يقال لهم: أحيوا ما خلقتم ولا قدرة لهم على ذلك هناك لأن الدعوى هناك لا تقع لما هو عليه من كشف الأمور وفي الدنيا ليس كذلك.

ثم انظر في تحقيق ما ذكرناه من إنشاء صورة الثناء إذا لم تنفخ فيها روح التسبيح قوله لطائفة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤] فلو قالوا عيسى دعي إلهاً من دون الله وقد خلق من الأرض لما عجنه طيناً لانتظام الأجزاء الترابية بما في الماء من الرطوبة والبرودة فزادت كمية برودة التراب فثقل عن التحليل وعدم الانتظام وأزالت الرطوبة اليبوسة التي في التراب فالتأمت أجزاؤه لظهور شكل الطائر فقدم الحق لأجل هذا القول أن خلق عيسى للطير كان بإذن الله، فكان خلقه له عبادة يتقرب بها إلى الله لأنه مأذون له في ذلك فقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠] فما أضاف خلقه إلا لإذن الله والمأمور عبد والعبد لا يكون إلهاً، وإنما جئنا بهذه المسألة لعموم كلمة ما فإنها لفظة تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل، كذا قال سيبويه وهو المرجوع إليه في العلم باللسان، فإن بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون: إن لفظة «ما» تختص بما لا يعقل و«مَنْ» تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر، وقد رأينا كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من

يعقل وإطلاق ما على من يعقل، وإنما قلنا هذا لئلا يقال في قوله: ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٨] إنما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب، وقول سيبويه أولى.

فهذا قد ترجمنا عن هذا المنزل بما فيه تنبيه على شموخه وتفلته من العالم به إن لم يكن له مراقباً دائماً، وهو يحوي على علوم: منها علم ما خص الله به ألوية الحمد من الرحمة هل أعطاها الرحمة العامة أو الخاصة؟ فإن التي تجاوره الرحمة الواجبة وهي جزء من الرحمة العامة فهل لواء الحمد يقتصر عليها وهو أن لا يثني على الله، إلا بالأسماء الحسنى في العرف أو يتعداها إلى الرحمة العامة في الثناء على الله بجميع الأسماء والكنايات، إذ له الفعل المطلق من غير تقييد، وله كل اسم يطلبه الفعل وإن لم يطلق عليه، فإن الرحمة الإلهية العامة تعم هذه الأسماء التي لم يجر العرف بأن تطلق عليه، فتطلق عليه رحمة بها فتجدها مرقومة في اللواء، وهو علم شريف كنا عد عزمنا أن نضع فيه كتاباً فاقتصرنا منه على جزء صغير سميناه معرفة المدخل إلى الأسماء والكنايات، وهو أسلوب عجيب غريب ما رأيت أحداً نبه عليه من المتقدمين مع معرفتهم به.

ومن علوم هذا المنزل علم الإجمال الذي يعقبه التفصيل من غير تأخير، وفيه علم إنزال الكتب من أين تنزل وما حضرتها من الأسماء الإلهية؟ وهل جميع الكتب المنزلة من حضرة واحدة من الأسماء أو تختلف حضراتها باختلاف سبب نزولها؟ فإن التوراة وإن كتبها الله بيده فما نزلت للإعجاز عن المعارضة والقرآن نزل معجزاً، فلا بد أن تختلف حضرة أسماء الله، فيضاف كل كتاب إلى اسمه الخاص به من الأسماء الإلهية، وفيه العلم الحق المخلوق به وهو العدل عند سهل بن عبد الله، وفيه علم أهل الحجب في إعراضهم عن دعوة الحق هل إعراضهم جهل وعناد وجحد؟ وفيه علم ما يتميز به الله عمن تدعى فيه الألوهة وليس فيه خصوص وصف الإله، وفيه علم ما آخذ الأدلة للعقل لقوّة الفكرية، وفيه علم تأخير الإجابة عند الدعاء ما سبب ذلك؟ وفيه علم صيرورة الولي عدواً ما سببه؟ وفيه علم التفاضل في الفهم عن الله هل يرجع إلى الاستعداد أو إلى المشيئة؟ وفيه علم الشهادة الإلهية للمشهود له وعليه، واجتماع المشهود له وعليه، والرحمة بعد الأداء ولم يكن الصلح أوّلاً ولا يحتاج إلى دعوى وإلى شهادة، وإذا كان الحق شهيداً فمن الحاكم حتى يشهد عنده؟ فلو حكم بعلمه لم يكن شاهداً، ويتعلق بهذا العلم علم الشهادة ومراتب الشهداء والشهود فيها، وهل للحاكم أن يحكم بعلمه ويترك علمه لشهادة الشهود إذا لم تكن شهادتهم شهادة زور مثل أن تشهد شهود على أن زيداً يستحق على عمرو كذا وكذا درهماً وهو عندهم كما شهدوا، وكان الحاكم قد علم أن عمراً قد دفع له هذا المستحق بيقين وليس لزيد شهود إلا علم الحاكم، ويعلم الحاكم أن الشهود شهدوا بما علموا ولم يكن لهم علم بأن عمراً قد أوصل إلى زيد ما كانت الشهادة قد وقعت عليه. وفيه علم تكذيب الصادق من أين يكذبه من يكذبه مع جواز الإمكان فيما يدّعيه في أخباره، وفيه علم أسباب ارتفاع الخوف في مواطن الخوف، وفيه علم المناسبة في

الجزاء الوفاق وهل ما زاد على الجزاء الوفاق يكون جزاء أو يكون هبة؟ وهل الجزاء المؤلم يساوي الجزاء الملذ في الزيادة أم لا تكون الزيادة إلا في جزاء ما يقع به النعيم؟ وأما في الآلام فلا يزيد على الوفاق شيء وقوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] لماذا ترجع هذه الزيادة؟ وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] فهل هذه الجلود المجددة هل هي من الجزاء الوفاق أو من الزيادة؟ وقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] هل لهم في هذا القول وجه يصدقون فيه أم لا وجه لهم؟ وقول الله في حق هؤلاء: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، هل هو معارض لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فإنه ما كل من دخل النار تمسه، فإن ملائكة العذاب في النار وهي دارهم وما تمسهم النار، وما قال الله بعد قوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٨١] وفيه علم نَشْإِ بني آدم وصورته الطبيعية والروحانية، وفيه علم الوصف الذي إذا أقيم العبد فيه تجاوز الله عنه فيما أساء فيه، وفيه علم الحقوق والمستحقين لها، وفيه علم الفرق بين العرض والوقوف فإنه ورد: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] وورد: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على ربهم﴾ وورد: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] وورد: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وهل العرض دخول أم لا؟ وفيه علم المطابقة وهو علم عزيز، وفيه علم مضادة الأمثال، وفيه علم ما يجب على الرسل مما لا يجب، وفيه علم عدم الثقة بالأسباب المعهودة لأمر ما يكون عنها فيظهر عنها خلاف ذلك من أين وقع الغلط للذي وثق بها، وفيه علم ما يفنى من الأشياء مما لا ينفى وما يفنى منها هل يفنى بالذات أم لا؟ وفيه علم كل شيء فيك ومنك، فلا يطرأ عليك أمر غريب ما هو عندك فلا يكشف لك إلا عنك، وهو علم عزيز أيضاً ما يعلمه كل أحد من أهل الله، وفيه علم الفرق بين أصناف العالم، وفيه علم الاقتداء، وفيه علم الزمان الكبير من الزمان الصغير وظهور الزمان الكبير قصيراً كزمان النعيم والوصال، وظهور الزمان القصير كبيراً كزمان الآلام والهجران، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل جثوّ الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد من الحضرة المحمدية وهو المنزل الذي يظهر فيه اللواء الثاني من ألوية الحمد الذي يتضمن تسعة وتسعين اسماً إلهياً

[الكامل]

الحجرُ من شِيَمِ الحُدوث فلا تَقُلْ ... إنّي لأجل خلافتي لَمُسَرَّحُ
هيهاتَ أنت مقيّدٌ بخلافة ... أين السَّراح وبابُ كونك يُفتَحُ
والقلبُ خَلْفَ مغالقٍ مجبولةٍ ... ضاعت مفاتحُها فليست تُفتحُ

لا تـفـرحـنَّ بـشَـرْح صَـدْرِكَ إنـه شَـرْحٌ لـتـعـلـمَ أن قـيـدَك أرْجَـحُ

اعلم أيدك الله أيها الوَلِيّ الحميم أن الناس تكلموا في الشريعة والحقيقة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ آمراً: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] يريد من العلم به من حيث ما له تعالى من الوجوه في كل مخلوق ومبدع وهو علم الحقيقة، فما طلب الزيادة في علم الشريعة بل كان يقول: «**اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**»، وعلم الشريعة علم محجة وطريق لا بد له من سالك والسلوك تعب فكان يريد التقليل من ذلك، وغاية طريق الشريعة السعادة الحسية وليست الحقيقة غايتها في العموم، فإن من الناس من ينال الحقيقة في أول قدم يضعه في طريق الشريعة لأن وجه الحق في كل قدم، وما كل أحد يكشف له وجه الحق في كل قدم، والشريعة المحكوم بها في المكلفين، والحقيقة الحكم بذلك المحكوم به والشريعة تنقطع، والحقيقة لها الدوام فإنها باقية بالبقاء الإلهي، والشريعة باقية بالإبقاء الإلهي، والإبقاء يرتفع والبقاء لا يرتفع، فهذا المنزل يعطيك شرف الإنسان على جميع من في السماء والأرض، وأنه العين المقصودة للحق من الموجودات لأنه الذي اتخذه الله مجلى وأعني به الإنسان الكامل لأنه ما كمل إلا بصورة الحق، كما أن المرآة وإن كانت تامة الخلق فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر فتلك مرتبتها والمرتبة هي الغاية، كما أن الألوهة تامة بالأسماء التي تطلبها من المألوهين فهي لا ينقصها شيء وكمالها ـ أعني الرتبة التي تستحقها ـ الغنى عن العالمين، فكان له الكمال المطلق بالغنى عن العالمين، ولما شاء أن يعطي كماله حقه ولم يزل كذلك، وخلق العالم للتسبيح بحمده سبحانه لا لأمر آخر والتسبيح لله، ولا يكون المسبح في حالة الشهود لأنه فناء عن الشهود، والعالم لا يفتر عن التسبيح طرفة عين لأن تسبيحه ذاتي كالنفس للمتنفس، فدل أن العالم لا يزال محجوباً وطلبهم بذلك التسبيح المشاهدة، فخلق سبحانه الإنسان الكامل على صورته، وعرف الملائكة بمرتبته، وأخبرهم بأنه الخليفة في العالم، وأن مسكنه الأرض، وجعلها له داراً لأنه منها خلقه، وشغل الملأ الأعلى به سماء وأرضاً، فسخر له من في السموات ومن في الأرض جميعاً منه أي من أجله، واحتجب الحق إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه، فاحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار فقال رسول الله ﷺ يخاطب الناس الذين يشبهون الإنسان في الصورة الحسية وهم نازلون عن رتبة الكمال: «**إنَّ الله احْتَجَبَ عَنِ البَصَائِرِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ وَإنَّ المَلأَ الأَعْلَى يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ**»، فكما لا تدركه الأبصار كذلك لا تدركه البصائر وهي العقول لا تدركه بأفكارها، فتعجز عن الوصول إلى مطلوبها والظفر به ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وأمره بتعليم الملأ الأعلى، وأمر من في السموات والأرض بالنظر فيما يستحقه هذا النائب، فسخر له جميع من في السموات والأرض حتى المقول عليه الإنسان من حيث تماميته لا من حيث كماليته، فهذا النوع المشارك له في الاسم إذا لم يكمل هو من جملة المسخرين لمن كمل والحق في كماله بالغنى عن العالمين وهو وحده ـ أعني الإنسان الكامل ـ يعبد ربه الغني عنه، فكماله أن لا يستغنى عنه، وما ثم من يعبده من غير تسبيح إلا الكامل فإن التجلي له دائم؛ فحكم الشهود له لازم، فهو أكمل

الموجودات معرفة بالله وأدومهم شهوداً وله إلى الحق نظران، ولهذا جعل له عينين فينظر بالعين الواحدة إليه من كونه غنياً عن العالمين فلا يراه في شيء ولا في نفسه، وينظر إليه بالعين الأخرى من اسمه الرحمن بكونه يطلب العالم ويطلبه العالم فيراه ساري الوجود في كل شيء فيفتقر بهذه النظرة من هذه العين إلى كل شيء من حيث ما هي الأشياء أسماء الحق لا من حيث أعيانها، فلا أفقر من الإنسان الكامل إلى العالم لأنه يشهده مسخراً له، فعلم أنه لولا ما هو عليه من الحاجة إلى ما سخروا فيه من أجله ما سخروا فيعرف نفسه أنه أحوج إلى العالم من العالم إليه، فقام له هذا الفقر العام مقام الغنى الإلهي العام، فنزل في العالم في الفقر منزلة الحق من حيث الأسماء الإلهية التي تطلب التأثير في العالم، فما ظهر في فقره إلا ظهور أسماء الحق فهو حق في غناه عن العالم، لأن العالم مسخر في حقه بتأثير الأسماء الإلهية فيه أعني في العالم، فما يسخر له إلا من له التأثير لا من حيث عين العالم فلم يفتقر إلا لله وهو حق في فقره إلى العالم، فإنه لما علم أن الله ما سخر العالم لهذا الإنسان إلا ليشتغل العالم بما كلفهم من التسخير عن طلب العلم به من حيث الشهود فإن ذلك ليس لهم لأنهم نازلون عن رتبة الكمال أظهر الإنسان الكامل الحاجة لما سخر فيه العالم، فقوي التسخير في العالم لئلا يفرطوا فيما أمرهم الحق به من ذلك لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، فوافق الإنسان الكامل بإظهار هذا الفقر الحق في إشغال العالم فكان حقاً في فقره كالأسماء، وحقاً في غناه لأنه لا يرى المسخر له إلا من له الأثر وهو للأسماء الإلهية لا لأعيان العالم، فما افتقر إلا لله في أعيان العالم والعالم لا علم له بذلك.

ولما أطت السماء بعمارها وقال: «**وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إلاَّ وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لله**»، فأخبر في قوله «**ساجد لله**» لينبه على نظر كل ملك في السماء إلى الأرض لأن السجود التطأطؤ والانخفاض، وقد عرفوا أن الأرض موضع الخليفة وأمروا بالسجود فطأطؤوا عن أمر الله ناظرين إلى مكان هذا الخليفة حتى يكون السجود له، لأن الله أمرهم بالسجود له، ولم يزل حكم السجود فيهم لآدم، وللكامل أبداً دائماً.

فإن قلت: فيزول في الدار الآخرة مثل هذا السجود؟ قلنا: لا يزول لأن الصورة الظاهرة من الإنسان الكامل التي وقع السجود لها أنشأها الله من الطبيعة العنصرية ابتداء وإعادة، ففي الابتداء أنبتها من الأرض ثم أعادها إليها بالموت ثم أخرجها منها إخراجاً بالبعث ولها السفل في الرتبة تطلب بهذه الحقيقة الله الذي قال فيه النبي ﷺ: «**لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ لَهَبَطَ عَلَى الله**»، وكذا ينبغي أن يكون الأمر في نفسه، فلا بد من استصحاب سجودهم للإمام دنيا وآخرة، فحاز الإنسان الكامل صورة العالم وصورة الحق ففضل بالمجموع، فالساجد والمسجود له فيه ومنه، ولو لم يكن الأمر هكذا لم يكن جامعاً، فعند الملأ الأعلى ازدحام لرؤية الإنسان الكامل كما يزدحم الناس عند رؤية الملك إذا طلع عليهم فأطت السماء لازدحامهم، فمن عرف الله بهذه المعرفة عرف نعم الله التي أسبغها عليه الظاهرة والباطنة فتبرأ من المجادلة في الله بغير علم، وهو ما أعطاه الدليل النظري ولا كتاب منير وهو ما وقع به التعريف مما هو

الحق عليه من النعوت فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الحج: ٨] أعطاه دليل فكره ﴿وَلَا هُدٗى﴾ [الحج: ٨] يقول: ولا بيان أبانه له كشفه ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨] وهو ما وقع به التعريف لما نزلت به الآيات من المعرفة بالله في كتبه المنزلة الموصوفة بأنها نور ليكشف بها ما نزلت به لما كان النور يكشف به، فنفاهم عن تقليد الحق وعن التجلي والكشف عن النظر العقلي ولا مرتبة في الجهل أنزل من هذه المرتبة، ولهذا جاءت من الحق في معرض الذم يذم بها من قامت به هذه الصفة.

وإذا عرفوا نعم الله كما قلنا أوجب هذا العلم عليهم الشكر فشغلوا نفوسهم بشكره كما فعله رسول الله ﷺ حين نزل عليه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٢، ٣]، فقام حتى تورمت قدماه شكراً على هذه النعمة، وهكذا أخبر لما قيل له في ذلك فقال: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً**»، فأتى بفعول وهو بنية المبالغة فكثر منه الشكر لما كثرت النعم، فطلبت كل نعمة منه الشكر لله عليها، ولا يخطر لصاحب هذا المقام في شكره طلب الزيادة لأنه فعل يطلب الماضي والواقع، فكانت الزيادة من النعم للشاكر فضلاً من الله، ولهذا أسماها زيادة يطلبها الشكر لا الشاكر فيجني ثمرته الشاكر فهي من الشكر جزاء للشاكر حيث أوجد عين الشكر في الوجود، وأقام نشأته صورة متجسدة تسبح الله وتذكره، فطلبت من الله تعالى أن يزيد هذا الشاكر نعمة إلى نعمته حيث كان سبباً في إيجاد عين الشكر فسمع الله منه وأجابه لما سأل فسأله أن يعرف الشاكرين بذلك حتى يعلموا أن الشكر قد أدى عند الله ما وجب عليه من حق الشاكر فقال الله لعباده: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، فأعلمنا بالزيادة، فالعارف بالله يشكر الله ليكون خلاقاً لصورة الشكر ليكثر المسبحون لله القائمون في عبادته، فإذا علم الله هذا منه زاده في النعم الظاهرة والباطنة ليدوم له نعت الخلق للشكر، فلا يزال الأمر له دائماً دنيا وآخرة، وأعظم نشأة يظهر بها الشكر في الوجود نشأة الشكر على نعمة الصورة الكمالية ونشأة الشكر على نعمة التسخير، والمزيد من الله للشاكر على قدر صورة الشكر، فاعلم كيف تشكر واشتغل بالأهم فالأهم من ذلك، فإذا طلب الشاكر بشكره المزيد لما وعد الله به لم يعطه الله من نعمة المزيد إلا على قدر طلبه وصورته من التخليط والسلامة فيكون مزيده مغفرة وعفواً وتجاوزاً لا غير.

وبالجملة فينزل عن درجة الأول الذي أعطي بسؤال الشكر، فإن نشأة الشكر بريئة من التخليط في عينها، وإن كان الشاكر مخلطاً فلا أثر لتخليطه في صورة الشكر، وله أثر في المزيد إذا شكر لتحصيل المزيد، فتحصل المفاضلة بين الشاكرين على ما قررناه من الطالبين المزيد وغير الطالبين والمشتغلين بالأهم وغير المشتغلين به، فهذه طرق لله مختلفة كما قال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨] وهي الطرق، والحقيقة عين واحدة هي غاية لهذه الطرق وهو قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فأما قوله تعالى لنبيه محمد في سورة الفتح وهو فتوح المكاشفة بالحق وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح العبارة، ولهذا الفتوح كان القرآن معجزة فما أعطي أحد فتوح العبارة على كمال ما أعطيه رسول الله ﷺ فإنه

قال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] أي معيناً، فقال له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] في الثلاثة الأنواع من الفتوح فتحاً فأكده بالمصدر مبيناً أي ظاهراً يعرفه كل من رآه بما تجلى وما حواه، ففتوح الحلاوة ثابت له ذوقاً، وفتوح العبارة ثابت للعرب بالعجز عن المعارضة، وفتوح المكاشفة ثابت بما أشهده ليلة إسرائه من الآيات: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فيسترك عما يستحقه صاحب الذنب من العتب والمؤاخذة، وما تأخر يسترك عن عين الذنب حتى لا يجدك فيقوم بك، فأعلمنا بالمغفرة في الذنب المتأخر أنه معصوم بلا شك، ويؤيد عصمته أن جعله الله أسوة يتأسى به فلو لم يقمه الله في مقام العصمة للزمنا التأسي به فيما يقع منه من الذنوب إن لم ينص عليها كما نص على النكاح بالهبة أن ذلك خالص له مشروع وهو حرام علينا ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بأن يعطيها خلقها إذ قد عرفنا بالمخلقة من ذلك وغير المخلقة، وأخبر بهذه الآية أن نعمته التى أعطاها محمداً مخلقة أي تامة الخلقة ﷺ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢] وهو صراط ربه الذي هو عليه كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]. والشرائع كلها أنوار، وشرع محمد ﷺ بين هذه الأنوار كنور الشمس بين أنوار الكواكب، فإذا ظهرت الشمس خفيت أنوار الكواكب، واندرجت أنوارها في نور الشمس فكان خفاؤها نظير ما نسخ من الشرائع بشرعه ﷺ مع وجود أعيانها كما يتحقق وجود أنوار الكواكب، ولهذا ألزمنا في شرعنا العام أن نؤمن بجميع الرسل وجميع شرائعهم أنها حق، فلم ترجع بالنسخ باطلاً ذلك ظن الذين جهلوا فرجعت الطرق كلها ناظرة إلى طريق النبي ﷺ، فلو كانت الرسل في زمانه لتبعوه كما تبعت شرائعهم شرعه فإنه أوتي جوامع الكلم ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣] والعزيز من يرام فلا يستطاع الوصول إليه.

فإذا كانت الرسل هي الطالبة للوصول إليه فقد عز عن إدراكها إياه ببعثته العامة وإعطاء الله إياه جوامع الكلم والسيادة بالمقام المحمود في الدار الآخرة، وبجعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس، وأمة كل نبي على قدر مقام نبيها فاعلم ذلك. وإذا طلب الوصول إليه القائلون باكتساب النبوة عز عليهم الوصول إلى ذلك فإن المكتسب إنما هو السلوك والوصول إلى الباب، وأما ما وراء الباب فلا علم للواصلين إليه بمن يفتح له ذلك الباب، فمن الناس من يفتح له بالإيمان العام وهو مطالعة الحقيقة كأبي بكر فلم ير شيئاً إلا رأى الله قبله، ومنهم من يفتح له بالإنباء العام الذي لا شرع فيه وهذان الفتحان باقيان في هذه الأمة إلى يوم القيامة، ومن الواصلين من يفتح له الباب بنبوّة التشريع المقصور عليهم، ومنهم من يفتح له الباب بالرسالة بما شرع وهذان بابان أو فتحان قد منع الله أن يتحقق بهما أحد أو يفتح له فيهما إلا أهل الاجتهاد، فإن الله أبقى عليهم من ذلك بعض شيء بتقرير الشرع فحكمه للشارع لا لهم، فكل ما خرج من وراء الباب عند فتحه ما هو مكتسب والنبوّة غير مكتسبة فنصره الله النصر العزيز، فلم يصل إليه من قال باكتساب النبوّة لأن الموصوف بالعزة لا عين للعزة إلا مع وجود الطالب لمن قامت به فيحمي مقامه وحضرته أن لا يصل طالب إليه، فالشرائع الحكمية السياسية

الظاهرة بصورة الشرائع الإلهية ليس لها هذا النصر العزيز، وإنما هو مختص بصاحب الشرع الإلهي المنزل، والحقيقة تعم الشرعين: الشرع الإلهي والحكميّ السياسي، فصاحب الشريعة وهو المؤمن إنما جثى بين يدي المحقق الذي هو صاحب الحقيقة ليبين له مأخذ كل شرع من الحضرة الإلهية ولا يعلم ذلك إلا صاحب الحقيقة، فلهذا سمي هذا المنزل بجثوّ الشريعة بين يدي الحقيقة لأن كل شرع يطلبها إذ هي باطن كل شرع، والشرائع صورها الظاهرة في عالم الشهادة ولهذا ما تخلوُ أمة عن نذير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة في حقها سواء كان ذلك الشرع إلهياً أو سياسياً، على كل حال تقع المصلحة به في القرن الذي يظهر فيه.

وبعد أن علمت منزلة الشريعة من الحقيقة ولها باب يخصه من هذا الكتاب قد تقدم فلنذكر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم، فمن ذلك: علم لواء خاص من ألوية الحمد وأسمائه، وعلم ما لهذا اللواء من حكم الرحمة في العالم الذي يكون تحته، وعلم المناسبات التي تنضم الأشياء الصورية بها بعضها إلى بعض لإقامة أعيان الصور التي لا تظهر إلا بهذا الانتظام وهي صور تعطي العلم بذاتها للناظر، وفيه علم الأعلام بالأعلام المنصوبة على الطريق للسلاك فيه لئلا يضلوا عن مقصودهم الذي هو غاية طريقهم، وفيه علم أنواع الأرزاق فإنها تختلف باختلاف المرزوقين، وفيه علم فائدة الأخبار بالعبارة المؤيدة بقرائن الأحوال هل حصول العلم بذلك الخبر عن الخبر أو عن قرائن الأحوال أو عن المجموع أو العلم الذي تعطيه قرينة الحال غير العلم الذي يعطيه الخبر أو في موضع يجتمعان وفي موضع لا يجتمعان؟ وفيه علم الفرق بين الاستماع هل يقع بالفهم أو بغير ذلك؟ والفرق بين من هو هو وبين من هو كأنه هو، وفيه علم الجزاء الخاص بكل مجازى، وفيه علم العلم العام الذي غايته العمل والذي ليس غايته العمل، وفيه علم نسبة العالم من الحق بطريق خاص، وفيه علم ما تنتجه الأفكار من العلوم في قلوب المتفكرين، وفيه علم تقرير النعم، وفيه علم ما خلق العالم له وما السبب الذي حال بينه وبين ما خلق له مع العلم بما خلق له ولا أقوى من العلم لأن له الإحاطة فمقاومه تحت حيطته فأين يذهب؟ وفيه علم من هو من أهل الأمر ممن هو ليس هو منهم، وفيه علم الولاية الوجودية السارية التي بها كان الظالمون بعضهم أولياء بعض، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والله وليّ المؤمنين من كونه مؤمناً فمن أين هو وليّ المتقين ولا يتصف بالتقوى أو يتصف بالتقوى من حيث إنه أخذ الجنّ والإنس وقاية يتقي بها نسبة الصفات المذمومة عرفاً وشرعاً إليه فتنسب إلى الجن والإنس وهما الوقاية التي اتقى بها هذه النسبة فهو وليّ المتقين من كونه متقياً، وإذا كان وليهم وما ثم إلا متق فهي بشرى من الله للكل بعموم الرحمة والنصرة على الغضب لأن الولي الناصر فافهم. وفيه علم المراتب بالنسبة إلى الشرع خاصة لا المراتب بما يقتضيها الوجود، وفيه علم الإله الأعظم الذي شرع اتخاذ الآلهة من دون الله، وفيه علم الحيرة فيما يقطع به أنه معلوم لك والعلم ضد الحيرة في معلومه فما الذي حيرك مع العلم؟ وفيه علم سلب الهداية من العالم مع قوله: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] وهو عين الهدى، وفيه علم الدهر من الزمان، وفيه علم الجمع الأوسط لأن

الجمع ظهر في ثلاثة مواطن في أخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة والجمع في البعث بعد الموت وما ثم بعد هذا الجمع جمع يعم فإنه بعد القيامة كل دار تستقل بأهلها فلا يجتمع عالم الإنس والجن بعد هذا الجمع أبداً، وفيه علم النحل والملل، وعلم عموم النطق الساري في العالم كله وأنه لا يختص به الإنسان كما جعلوه فصله المقوم له بأنه حيوان ناطق، فالكشف لا يقول بخصوص هذا الحد في الإنسان وإنما حد الإنسان بالصورة الإلهية خاصة، ومن ليس له هذا الحد فليس بإنسان وإنما هو حيوان يشبه في الصورة ظاهر الإنسان، فاطلب لصاحب هذا الوصف حداً يخصه كما طلبت لسائر الحيوان، وفيه علم ماهية النسخ هل يقع في الأعيان فيعبر عنه بالمسخ كما يقع في الأحكام أم لا؟ وفيه علم مراتب الفوز فإنه ثم فوز مطلق وفوز مقيد بالأنانة ومقيد بالعظمة وما حد كل واحد منهم، وفيه علم الاستحقاق، وفيه علم اليقين والعلم والظن والجهل والشك والنظر وفيه علم حكم الشهود من حكم العلم، وفيه علم من لا يرضى الله عنه وإن رحمه فما رحمه عن رضى، والفرق بين المرحوم عن رضى وبين المرحوم لا عن رضى وأين منزل كل واحد منهم من الدارين؟ وفيه علم الكبرياء والجبروت متى يظهر عمومه في العالم بحيث يعرف على التعيين فإنه الآن ظاهر لا يعلمه إلا قليل من الناس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأربعون وثلاثمائة

في معرفة المنزل الذي منه خبأ النبيّ ﷺ لابن صياد سورة الدخان من القرآن العزيز

فقال له: «**ما خَبأْتُ لَكَ؟**» فقال له: الدخ. وهو لغة الدخان لأن فيها آية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] فعلم ابن صياد اسمها الذي نواه وأضمره في نفسه رسول الله ﷺ في خبئه فقال له ﷺ: «**اخسأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**» أي علمك بهذا لا يخرجك عن قدرك الذي أهلك الله له، وقد روي: «**فلم تَعْدُ قَدْرَكَ**» يعني بإدراكك لما خبأته لك، وفي هذا القول سر يطلعك إياه هذا القول من النبيّ ﷺ لصاف على المقام الذي أوجب على رسول الله ﷺ أن يقول مثل هذا القول فإنه لم يختبره بما خبأ له عن وحي من الله، فلو كانْ عن وحي ما عثر عليه ابن صائد لأن الله من وراء ما يأمر به بالتأييد، بل كان هذا القول مثل قوله ﷺ في أبار النخل فلما خرج خبؤه كان ذلك من الله تأديب فعل ليحفظ عليه مقام المراقبة فلا ينطق إلا عن شهود، إذ بقرينة الحال يعلم أن النبي ﷺ ما خبأ له ما خبأ إلا ليعجزه فأبى الله ذلك، فقال ﷺ: «**إنَّ الله أَدَّبَني فَأَحْسَنَ تَأْدِيبي**» ولو نطق النبي ﷺ للحاضرين بقصده فيما خبأ له لارتدت جماعة من الحاضرين لذلك، ولكن الله عصم نبيه ﷺ عن القول ولم يخرجه العلم بالخبيئة عن كونه كاهناً والحاضرون يعرفون أمر الكهنة وشأنهم ولا سيما أهل اليمن والحجاز وجزيرة العرب، فلم يخرجه ذلك العلم عن قدره عند الحاضرين، وفي هذه المسألة أمور عظيمة يتسع الشرح فيها إلى أمر عظيم: [المجتث]

تَــرْكُ الــرِّضَــى لا يــكُــونُ إلا لــمــن هــو دُونُ

فـــإنْ يـــكُـــنْ لـــك حـــالاً	فـــكـــلُّ صـــعـــب يَـــهُـــونُ
وإنْ أَبَـــيْـــتَ رضـــاهُ	فـــمـــا يـــشـــاءُ يَـــكُـــونُ

هذا المنزل منه خبأ رسول الله ﷺ لابن صياد سورة الدخان من القرآن وهو منزل عظيم فيه من المكر الإلهيّ والاستدراج ما لا تأمن مع العلم به الملائكة من مكر الله، فالعاقل إذا لم يكن من أهل الاطلاع في تصرفاته فلا أقل من أنه لا يزيل الميزان المشروع له الوزن به في تصرفاته من يده بل من يمينه فيحفظه في نفس الأمر من هذا المكر، ولا يخرج عن لوازم عبوديته وأحكامها طرفة عين يعطي من الزيادات في العلوم والأمور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال ممكن، يكون العروج إليه من الأرواح المفارقة وغيرها منه تبدو العلامات على صدق الصادق وكذب الكاذب، من حصل فيه حصل علم الحكمة الجامعة وتميز له الشقي من السعيد فيه تختلف أحوال الناظرين، فما يراه زيد نوراً يراه عمرو ظلمة، ويراه جعفر نوراً وظلمة معاً فإنه يكشف به الأشياء فيقول: هذا نور ويبصره من حيث عينه فيقول ظلمة فيه تكون المنازلات كلها يلتقي فيه الحق النازل والخلق الصاعد، فيقول الحق للصاعد: إلى أين؟ فيقول: إليك، ويقول الخلق للنازل: إلى أين؟ فيقول: إليك، فيقول: قد التقينا فتعال حتى يعين كل واحد منا ما السبب الذي أوجب لكل واحد منا طلب صاحبه، فيقول الحق: قصدت بالنزول إليك لنريحك من التعب فنعطيك ونهبك من غير مشقة ولا نصب وأنت في أهلك مستريح لم يكن لي قصد غير هذا، ويقول الخلق: قصدت بالعروج إليك تعظيماً لك وخدمة لنقف بين يديك وأنت على سرير ملكك، وقد علم الملأ الأعلى أني خليفتك وأني أعلم بك منهم لما خصصتني به فإذا رآني الملأ الأعلى بين يديك اقتدوا بي فيما أقوم به بين يديك مما ينبغي لمثلي أن يتأدب معك به فيحصل لهم بالمشاهدة من علم الأدب معك ما لم يكن عندهم لأني رأيتهم جاهلين بمنزلتك مع كونهم يسبحونك لا يفترون تقول لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فيعارضونك فيه بما حكيت لي عنهم أنهم قالوا ولم يكن ينبغي لهم إلا السمع كما لك الأمر، فلما علمت أن الأدب الإلهيّ ما استحكم فيهم وقد أمرتني بتعليمهم ورأيت أن التعليم بالحال والفعل أتم منه بالقول والعبارة قصدت العروج إليك ليرى الملأ الأعلى بالحال والفعل ما ينبغي أن يعامل به جلالك، والاستواء أشرف حال ظهرت به إلى خلقك ومع ذلك اعترضوا عليك فكيف لو نزلت إلى أدنى من حالة الاستواء من سماء وأرض؟ فيقول الحق: نعم ما قصدت مثلك من يقدر قدر الأشياء فإنه من عرف قدره وقدر الأشياء عرف قدري ووفاني حقي، ألا ترى محمداً ﷺ لما فرضت عليه وعلى أمته خمسين صلاة نزل بها ولم يقل شيئاً ولا اعترض ولا قال هذا كثير؟ فلما نزل إلى موسى عليه السلام فقال له: «راجع ربك عسى أن يخفف عنه أمتك فإني قاسيت من بني إسرائيل في ذلك أهوالاً وأمتك تعجز عن حمل مثل هذا وتسأم منه»، فبقي محمد ﷺ متحيراً الأدب الكامل يعطيه ما فعل من عدم المعارضة والشفقة على أمته تطلبه بالتخفيف عنها حتى لا يعبد الله بضجر ولا كره ولا ملل ولا كسل فبقي حائراً، فهذا ما أثرت الوسائط والجلساء فأخذ يطلب

الترجيح فيما قاله موسى عليه السلام وفيما وفي هو ﷺ من حق الأدب مع الله.

وقد كان الله تقدم إليه عند ذكر جماعة من الأنبياء عليهم السلام منهم موسى عليه السلام بأن قال له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] فتأول أن هذا الذي أشار به عليه من هداهم ولم يتفطن في الوقت أن موسى عليه السلام لما كان في حال هديه ما سأل التخفيف وذلك الهدى هو الذي أمر رسول الله ﷺ أن يقتدي به فأعطاه هذا الاجتهاد الرجوع إلى الله فسأله التخفيف فما زال يرجع بين الله تعالى وبين موسى عليه السلام إلى أن قال ما أعطاه الأدب: «**استحييتُ من ربّي**»، وانتهى الأمر بالتخفيف إلى العشر فنزل به على أمته وشرع له أن يشرع لأمته الاجتهاد في الأحكام التي بها صلاح العالم لأنه ﷺ بالاجتهاد رجع بين الله وبين موسى عليه السلام، فأمضى ذلك في أمته لتأنس بما جرى منه ولا تستوحش، وجبر بهذا التشريع قلب موسى في ذلك فإنه لا بدّ إذا رجع مع نفسه وزال عنه حكم الشفقة على العباد قام معه تعظيم الحق وما ينبغي لجلاله، فلم يستكثر شيئاً في حقه وعلم أن القوّة بيده يقوّي بها من شاء، وإذا خطر له مثل هذا وأقامه الحق فيه لا بدّ له أن يؤثر عنده ندماً على ما جرى منه فيما قاله لمحمد ﷺ، فجبر الله قلبه بقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] في آخر رجعة، وكان قد تقدم القول بالتكثير وبدله بالتخفيف والتقليل، فأعلم موسى أن القول الإلهي منه ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبل التبديل، وهو إذا حق القول منه فالقول الواجب لا يبدل والقول المعروض يقبل التبديل، فسرّ موسى عليه السلام بهذا القول وأنه ما تكلم إلا في عرض القول لا في حقه.

وكذلك لما علم بما شرع الله لأمة محمد ﷺ من الاجتهاد في نصب الأحكام من أجل اجتهاد محمد ﷺ جبر الله تعالى قلب محمد ﷺ فيما جرى منه وسرى ذلك في أمته ﷺ كما سرى الجحد والنسيان في بني آدم من جحد آدم ونسيانه جبراً لقلب آدم، فإن هذه النشأة الطبيعية من حكم الطبيعة فيها الجحد والنسيان، فكانت حركة آدم في جحده حركة طبيعية وفي نسيانه أثر طبيعي، فلو تناسى لكان الأمر من حركة الطبيعة كالجحد من حيث إنه جحد هو أثر طبيعي، ومن حيث ما هو جحد بكذا هو حكم طبيعي لا أثر، فهذا الفرق بين حكم الطبيعة وبين أثرها والنسيان من أثرها والتناسي من حكمها والغفلة من أثرها والتغافل من حكمها، وقليل من العلماء بالله من يفرق بين حكم الطبيعة وأثرها، فاجتمع في آدم حكم الطبيعة بالجحد لأنه الأوّل الجامع في ظهره للجاحدين فحكموا عليه بالجحد فجحد لأن الابن له أثر في أبيه، فالجحد وإن كان من حكم الطبيعة فإنه من أثر الجاحدين من أبنائه لأن آدم إنسان كامل، وكذا النسيان الواقع منه هو من أثر الطبيعة وحكم الأبناء، فإنه حامل في ظهره للناسين من أبنائه فحكموا عليه بالنسيان. فانظر ما أعجب هذه الأمور وما يعطيه فتوح المكاشفة من العلوم وجميع ما ذكرناه من أحكام هذا المنزل وله من الحضرة الإلهية الغيب، ومن أعيان العالم الطبيعة، ومن عالم الشهادة الظلمة، ففي الشهادة ترى الظلمة ولا يرى بها، وفي الطبيعة تعلم ولا ترى ويرى أثرها ويرى بها، وفي الغيب يرى ويرى به مع بقاء اسم

الغيب عليه، وإنما قلنا هذا لأن الأسماء تتغير بتغير الأحكام ولا سيما في الأسماء الإلهية فإن الحكم يغير الاسم للاسم الآخر الذي يطلبه ذلك الحكم والعين واحدة، وفي أحكام الشرائع عكس هذا تغير الأحكام تبع لتغير الأحوال والأسماء والعين واحدة، قيل لمالك بن أنس من أئمة الدين: ما تقول في خنزير البحر من بعض السمك؟ فقال: هو حرام، فقيل: فسمك البحر ودوابه وميتته حلال، فقال: أنتم سميتموه خنزيراً والله قد حرم الخنزير، فتغير الحكم عند مالك لتغير الاسم، فلو قالوا له: ما تقول في سمك البحر أو دواب البحر؟ لحكم بالحل، وكذا تغير الأحوال يغير الأحكام، فالشخص الواحد الذي لم يكن حاله الاضطرار أكل الميتة عليه حرام، فإذا اضطر ذلك الشخص عينه فأكل الميتة له حلال، فاختلف الحكم لاختلاف الحال والعين واحدة.

واعلم أن الله من هذا المنزل يقبل التجلي في الصور الطبيعية كثيفها ولطيفها وشفافها لأهل البرازخ والقيامة برزخ وما في الوجود غير البرازخ لأنه منتظم شيء بين شيئين مثل زمان الحال ويسمى الدائم والأشياء المعنوية دور والحسية أُكَرٌ، فما في الكون طرف لأن الدائرة لا طرف لها، فكل جزء منها برزخ بين جزأين، وهذا علم شريف لمن عرفه، ولهذا جمع في الإنسان الكامل بين الصورتين الطبيعيتين في نشأته، فخلقه بجسم مظلم كثيف وبجسم لطيف محمول في هذا الجسم الكثيف سماه روحاً له به كان حيواناً وهو البخار الخارج من تجويف القلب المنتشر في أجزاء البدن المعطى فيه النموّ والإحساس، وخصه دون العالم كله بالقوّة المفكرة التي بها يدبر الأمور ويفصلها، وليس لغيره من العالم ذلك فإنه على الصورة الإلهية، ومن صورتها: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢] فالإنسان الكامل من تممت له الصورة الإلهية ولا يكمل إلا بالمرتبة، ومن نزل عنها فعنده من الصورة بقدر ما عنده، ألا ترى الحيوان يسمع ويبصر ويدرك الروائح والطعوم والحار والبارد ولا يقال فيه إنسان بل هو جمل وفرس وطائر وغير ذلك؟ فلو كملت فيه الصورة قيل فيه إنسان، كذلك الإنسان لا يكمل فيزول عنه الاسم العام إلى الاسم الخاص، فلا يسمى خليفة إلا بكمال الصورة الإلهية فيه إذ العالم لا ينظرون إلا إليها، ولهذا لما لم تر الملائكة من آدم إلا الصورة الطبيعية الجسمية المظلمة العنصرية الكثيفة قالت ما قالت، فلما أعلمهم الله بكمال الصورة فيه وأمرهم بالسجود له سارعوا بالسجود له ولا سيما وقد ظهر لهم بالفعل في تعليمه الأسماء إياهم ولو لم يعلمهم وقال لهم الله: إني أعطيته الصورة والشورة لأخذوها إيماناً وعاملوه بما عاملوه به لأمر الله، فإذا كوشف الإنسان على الإنسان الكامل ورأى الحق في الصورة التي كساها الإنسان الكامل يبقى في حيرة بين الصورتين لا يدري لأيتهما يسجد، فيخير في ذلك المقام بأن يتلى عليه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ففي الإنسان وجه الله من حيث صورته، وفي جانب الحق وجه الله من حيث عينه، فلأي شيء يسجد قبل سجوده؟ فإن الله يقبل السجود للصورة كما يقبله للعين، كما تحير رسول الله ﷺ في مثل هذا المقام في منزلة أخرى لما قيل له حين أسري به وأقيم في النور وحده فاستوحش وسبب استيحاشه إنما كان حيث أسري به بجسمه

العنصري فأدركته الوحشة بخروجه عن أصله ووقوفه في غير منزله فلم يستوحش منه ﷺ إلا حقيقة ما ظهر فيه من العناصر فناداه من ناداه بصوت أبي بكر، إذ كان قد اعتاد الأنس به فأنس للنداء وأصغى إليه وزالت عنه تلك الوحشة بصوت أبي بكر، فقيل له لما أراد الدخول من ذلك الموقف على الله: «قف يا محمد إن ربك يصلي» فتحير في نسبة الصلاة إليه وكان محمد ﷺ في مقام الصورة الإلهية الكاملة التي تستقبل بالصلاة والسجود لها فلما دنا استقبله ربه بالصلاة له ولا علم له بذلك فناداه الاسم العليم المنسوب إليه الكلام بصوت أبي بكر ليعرفه بمرتبة أبي بكر ويؤنسه به: «قف إن ربك يصلي» والوقوف ثبات وهو قبلة للمصلي فوقف، وأفزعه ذلك الخطاب لأن حاله في ذلك الوقت التسبيح الذي روحه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهذا الذي أفزعه، فلما تلي عليه عند ذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] تذكر ما أنزله الله عليه في القرآن فزال عنه رعب نسبة الصلاة إلى الله بما ذكره به، وكان من أمر الإسراء ما كان، وله موضع غير هذا نذكره فيه إن شاء الله، فمن أقامه الله بين الصورتين لا يبالي لأيتهما سجد، فإن رأى هذا الذي كوشف بالصورتين تصافح الصورتين دون سجود إحداهما للأخرى فهي علامة له على كمال الصورة في حق ذلك الإنسان الخاص، وإن رأى السجود من الصورة الإنسانية للصورة الأخرى الإلهية فيعلم عند ذلك أن الصورة الإنسانية للصورة الأخرى الإلهية فيعلم عند ذلك أن الصورة الإنسانية الكاملة في مقام مشاهدة العين لا مشاهدة الصورة فيوافقها في السجود لها، فإن رأى السجود من الصورة الإلهية للصورة الإنسانية هناك من قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣] لم يوافقها في السجود، فإن وافقها هلك، بل من حصل في ذلك المقام يعرف الأمور على ما هي عليه فإنه يعلم أن الصلاة من الله على العبد الكامل لا للعبد الكامل، والصلاة من العبد الكامل لله لا على الله، ومن حصل له هذا الفرقان جمع بين القرآن والفرقان، وهذا مشهد عزيز ما رأيت له ذائقاً وهو من أتم المعارف.

ولما نزل القرآن نزل على قلب محمد ﷺ وعلى قلوب التالين له دائماً التي في صدورهم في داخل أجسامهم لا أعني اللطيفة الإنسانية التي لا تتحيز ولا تقبل الاتصاف بالدخول والخروج فيقوم للنفس الناطقة القلب الذي في الصدر ليصير لها مقام المصحف المكتوب للبصر، فمن هناك تتلقاه النفس الناطقة، وسبب ذلك أنه لما قام لها التفوق والفضل على الجسم المركب الكثيف بما أعطيته من تدبيره والتصرف فيه ورأته دونها في المرتبة لجهلها بما هو الأمر عليه وما علمت أنه من الأمور المتممة لكمالها فجعل الله القلب الذي في داخل الجسم في صدره مصحفاً وكتاباً مرقوماً تنظر فيه النفس الناطقة فتتصف بالعلم وتتحلى به بحسب الآية التي تنظر فيها فتفتقر إلى هذا المحل لما تستفيده بسببه لكون الحق اتخذه محلاً لكلامه ورقمه فيه، فنزلت بهذا عن ذلك التفوق الذي كان قد أعجبت به وعرفت قدرها ورأت أن ذلك القلب مهبط الملائكة بالروح الذي هو كلام الله، وما رأت تلك الملائكة النازلة تنظر إليها ولا تكلمها إنما ترقم في القلب ما تنزل به، والنفس تقرأ ما نزل فيه مرقوماً فتعلم في

فهمها عن الله أن مراد الله بذلك تعليمها وتأديبها لما طرأ عليها من خلل العجب بنفسها، فأقرت واعترفت بأن نسبة الله إلى كل شيء نسبة واحدة من غير تفاضل، فلم تر لها تفوقاً على شيء من المخلوقات من ملإ أعلى أو أدنى، ولا تفضيل ولا ترجيح في العالم، ولكن من حيث الدلالة ونسبة الحق لا من حيث هو العالم، فإنه من حيث هو العالم يكون ترجيح بعضهم على بعض ويظهر فيه التفاوت؛ فاعلم أن النفس الناطقة من الإنسان إذا أراد الله بها خيراً كشف لها عن نطق جميع أجزاء بدنها كلها بالتسبيح والثناء على الله بحمده لا بحمد من عندها، ولا ترى فيهم فتوراً ولا غفلة ولا اشتغالاً، ورأت ذاتها غافلة عما يجب لله تعالى عليها من الذكر مفرطة مشتغلة عن الله بأغراضها متوجهة نحو الأمور التي تحجبها عن الله والوقوف عند حدوده، فيعظم العالم عندها وتعلم أنه شعائر الله التي يجب عليها تعظيمها وحرمات الله وتصغر عندها نفسها، وتعلم أن لو تميزت عن جسمها ولم يكن جسمها من المتمات لها في نشأتها لعلمت أن الجسم ذلك المدبر لها أشرف منها، فلما علمت أن ذلك الجسم أشرف منها علمت أن شرفه بما هو عليه من هذه الصفات هو عين شرفها، وأنها ما أمرت بتدبيره واستخدمت في حقه وصيرت كالخديم له وتوجهت عليها حقوق له من عينه وسمعه وغير ذلك إلا لشغله بالله وتسبيح خالقه، فعلمت نفسها أنها مسخرة له، فلو كانت هي من الاشتغال بالله في مثل هذا الاشتغال كان لها حكم جسمها، ولو وكل الجسم لتدبير ذاته اشتغل عن التسبيح كما اشتغلت النفس الإنسانية، وإذا علمت أنها مسخرة في حق جسمها عرفت قدرها وأنها في معرض المطالبة والمؤاخذة والسؤال والحساب، فتعين عليها في دار التكليف أداء الحقوق الواجبة عليها لله وللعالم الخارج عنها ولنفسها بما يطلبه منها جسمها، ولم تتفرّغ مع هذا الاشتغال إلى رؤية الأفضلية ولا تشوّفت لمعرفة المراتب، وهذه المرتبة أعني مرتبة أداء الحقوق أشرف المراتب في حق الإنسان والخاسر من اشتغل عنها كما أن الرابح من اشتغل بها.

واعلم أن الله تعالى إذا ذكر لك شيئاً بضمير الغائب فما هو غائب عنه، وإنما راعى المخاطب وهو أنت والمذكور غائب عنك، فإذا ذكره بضمير الحضور من إشارة إليه وغيرها فإنما راعاك، ومراعاة شهوده لا بد منها في كل حال، ولكن يفرق بين ما يحكيه الله من أقوال القائلين وبين الكلام الذي يقوله من عند نفسه، فإذا كان الحق سمع العبد وبصره زالت الغيبة في حق العبد، فما هو عند ذلك مخاطب بما فيه ضمير غائب، وقد وجد الخطاب لمن هذه صفته بضمير الغائب فكيف الأمر؟ قلنا: لما كان العبد المنزل عليه القرآن مأموراً بتبليغه إلى المكلفين وتبيينه للناس ما نزل إليهم، ومن الأشياء ما هي مشهودة لهم وغائبة عنهم، ولم يؤمر أن يحرف الكلم عن مواضعه بل يحكي عن الله كما حكى الله له قول القائلين وقولهم يتضمن الغيبة والحضور، فما زاد على ما قالوه في حكايته عنهم، وقيل له: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فلم يعدل عن صورة ما أنزل إليه فقال ما قيل له فإنه ما نزلت المعاني على قلبه من غير تركيب هذه الحروف وترتيب هذه الكلمات ونظم هذه الآيات وإنشاء هذه

السور المسمى هذا كله قرآناً، فلما أقام الله نشأة القرآن صورة في نفسها أظهرها كما شاهدها فأبصرتها الأبصار في المصاحف وسمعتها الآذان من التالين، وليس غير كلام الله هذا المسموع والمبصر، وألحق الذم بمن حرّفه بعدما عقله وهو يعلم أنه كلام الله فأبقى صورته كما أنزلت عليه، فلو بدل من ذلك شيئاً وغير النشأة لبلغ إلينا صورة فهمه لا صورة ما أنزل عليه، فإنه لكل عين من الناس المنزل إليهم هذا القرآن نظر فيه، فلو نقله إلينا على معنى ما فهم لما كان قرآناً أعني القرآن الذي أنزل عليه.

فإن فرضنا أنه قد علم جميع معانيه بحيث أنه لم يشذ عنه شيء من معانيه. قلنا: فإن علم ذلك وهذه الكلمات تدل على جميع تلك المعاني فلأي شيء يعدل؟ وإن عدل إلى كلمات تساويها في جميع تلك المعاني فلا بد لتلك الكلمات التي يعدل إليها من حيث ما هي أعيان وجودية أعيان غير هذه الأعيان التي عدل عنها التي أنزلت عليه، فلا بد أن تخالفها بما تعطيه من الزيادة من حيث أعيانها على ما جمعته من المعاني التي جمعتها الكلمات المنزلة، فيزيد للناظر في القرآن معاني أعيان تلك الكلمات المعدول إليها وما أنزلها الله فيكون النبيّ قد بلغ للناس ما نزل إليهم وما لم ينزل إليهم، فيزيدون في الحكم شرعاً لم يأذن به الله، كما أيضاً ينقص مما أنزل الله أعيان تلك الكلمات التي عدل عنها، فكان الرسول قد نقص من تبليغ ما أنزل إليه أعيان تلك الكلمات وحاشاه من ذلك، فلم يكن ينبغي له إلا أن يبلغ إلى الناس ما نزل إليهم صورة مكملة من حيث الظاهر حروفها اللفظية والرقمية، ومن حيث الباطن معانيها، ولذلك كان جبريل في كل رمضان ينزل على محمد ﷺ يدارسه القرآن مرة واحدة، فكانت له مع جبريل عليهما السلام في كل رمضان ختمة إلى أن جاء آخر رمضان شهده رسول الله ﷺ فدارسه جبريل مرّتين في ذلك الرمضان فختم ختمتين، فعلم أنه يموت في السنة الداخلة لا في سنة ذلك الرمضان، فكانت الختمة الثانية لرمضان السنة التي مات فيها حتى تكون السنة له بعد موته، فمات في ربيع الأوّل وكان نزول القرآن في: ليلة القدر التي هي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] فأتى بغاية أسماء العدد البسيط الذي لا اسم بعده بسيط إلا ما يتركب، كما كان القرآن أخر كتاب أنزل من الله، كما كان من أنزل عليه آخر الرسل وخاتمهم، ثم أضاف ذلك الاسم الذي هو ألف إلى شهر بالتنكير فيدخل الفصول فيه والشهر العربي قدر قطع منازل درجات الفلك كله لسير القمر الذي به يظهر الشهر، فلو قال: أزيد من ذلك لكرر ولا تكرار في الوجود بل هو خلق جديد، ولو نقص بذكر الأيام أو الجمع لما استوفى قطع درجات الفلك فلم تكن تعم رسالته ولم يكن القرآن يعم جميع الكتب قبله، لأنه ماثم سير لكوكب يقطع الدرجات كلها في أصغر دورة إلا القمر الذي له الشهر العربي، فلذلك نزل في ليلة هي خير من ألف شهر أي أفضل من ألف شهر، والأفضل زيادة والزيادة عينها، وجعل الأفضلية في القدر وهي المنزلة التي عند الله لذلك المذكور، وكانت تلك الليلة المنزل فيها التي هي ليلة القدر موافقة ليلة النصف من شعبان فإنها ليلة تدور في السنة كلها، وأما نحن فإنا رأيناها تدور في السنة، وأنا رأيناها أيضاً في شعبان، ورأيناها في رمضان في كل

وتر من شهر رمضان، وفي ليلة الثامن عشر من شهر رمضان على حسب صيامنا في تلك السنة، فأي ليلة شاء الله أن يجعلها محلاً من ليالي السنة للقدر الذي به تسمى ليلة القدر جعل ذلك، فإن كان ذلك من ليالي السنة ليلة لها خصوص فضل على غيرها من ليالي السنة كليلة الجمعة وليلة عرفة وليلة النصف من شعبان وغير تلك من الليالي المعروفة فينضاف خير تلك الليلة إلى فضل القدر فتكون ليلة القدر تفضل ليلة القدر في السنة التي لا ينضاف إليها فضل غيرها فاعلم ذلك.

ومن هذا المنزل نزل الروح الأمين على قلب محمد ﷺ بسورتين: سورة القدر وسورة الدخان وهما مختلفان في الحكم، فسورة القدر تجمع ما تفرقه سورة الدخان، وسورة الدخان تفرق ما تجمعه سورة القدر، فمن لا علم له بما شاهده يتخيل أن السورتين متقابلتان ولم يتفطن للمنزل الواحد الذي جمعهما ولم يتفطن لنشأته التي قامت من جمعها للمتقابلات الطبيعية، وصاحب الكشف الصحيح إذا دخل هذا المنزل وكان له قلب وهو شهيد رأى أن سورة القدر لا تقابل بينها وبين سورة الدخان، فإن سورة القدر تجمع ما تعطيه سورة الدخان لتفرقه على المراتب، فتأخذه سورة الدخان فتقرقه على المراتب لأنها علمت من سورة القدر أنها ما جمعت ذلك وأعطته إياها إلا لتفرقه، فسورة القدر كالجابية لسورة الدخان، هكذا هو الأمر، وهما سورتان لهما عينان ولسانان وشفتان تعرفان وتشهدان لمن دخل هذا المنزل بأنه من أهل المقام المحمود وأنه وراث مكمل.

ويتضمن هذا المنزل علم المطابقة والمناسبة والمراقبة، وعلم التلويح والرمز، وعلم النفوذ في الأمور من غير مشقة لأن النفوذ في الأمور بطريق الفكر من أعظم المشقات، وعلم الإبانة والكشف، وعلم النشآت الطبيعية هل حكمها حكم النشآت العنصرية أم لا؟ وعلم الفرق بين الأنوار والظلم ولماذا يرجع النور والظلمة وهما حجابان بين الله وعباده وما يلي العباد من هذه الحجب وما يلي الحق منها وهل ترفع لأحد أو لا تزال مسدلة؟ وهل تعطي هذه الحجب تحديد المحجوب أم لا؟ فإن أعطت التحديد للمحجوب فبأي نشأة تقيده وتحده؟ هل بنشأة عنصرية أو طبيعية؟ وإن لم تقيده فبماذا تلحقه؟ هل بما لا يقبل التحيز من العالم فلا يتصف بالدخول في الأجسام ولا بالخروج منها أو تقضي عليه بحكم يخصه خارج عن حكم ما لا يتحيز فلا يقبل المكان ولا الحلول؟ وعلم الرحمة التي يتضمنها الإنذار ممن كان، وعلم الأذواق، وعلم ما يشقى من الأسماء مما يسعد، وعلم تعلم اليقين، وعلم التنزيه في الربوبية وهو صعب التصوّر، وعلم مرتبة العلم من مرتبة الشك خاصة وما تعطي كل مرتبة منهما لمن حل فيها ونزل بها، وعلم العذاب أهو من علم الآلام أو هو من علم اللذات؟ وعلم عدم قبول التوبة عند حلول البأس وقبولها من قوم يونس خاصة، وعلم نفوذ قضاء السوابق هل تنفذ بالشر على من هو على بصيرة أو هل هو مختص بالمحجوبين؟ وعلم طبقات العذاب، وعلم الابتلاء وطبقاته، وعلم النصائح، وعلم أهل العناية عند الله مع شمول الرحمة للجميع وقد ابتلوا أهل العناية في الدنيا بما به ابتلي من ليس منهم في الآخرة، ولماذا نرجع

عناية الله بأهله مع الابتلاء والبلاء هل لاقتضاء الدارين أو لاقتضاء سابق العلم؟ وعلم وجود الحق بوجوهه في كل فرد فرد من العالم كله، وعلم توقيت الجمع الأخير من الجموع الثلاثة، وعلم الاستثناء لماذا يرجع؟ وعلم أين يذهب الجهل والظن والشك والعلم بأصحابهم، وعلم تقدم الموت على الحياة ومعلوم أن الموت لا يكون إلا عن حياة، وعلوم هذا المنزل كثيرة فقصدنا منها إلى التعريف بالأهم من ذلك مما تتعلق السعادة بالعلم به، وإن كان العلم كله عين السعادة لكن في العموم ليست السعادة إلا حصول اللذات ونيل الأغراض والفوز من الآلام، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل التقليد في الأسرار

[البسيط]:

في كُلِّ حُكْمٍ من الأحكام تقليدُ ... وفيه سَلْطَنَةٌ فينا وتَأْيِيدُ

لولاه ما كانَ لي في علمنا قَدَمٌ ... به ولا كان تنزيلٌ وتوحيدُ

إنّ الخلافة تقليدٌ وسلطنةٌ ... فَهْيَ الإمامُ الذي للحق مَشْهُودُ

هي الأمانة ما يَنْفَكُّ صاحبُها ... في طاعةٍ وهو عند الله محمودُ

جميعُ من في وجود الله يَرْقُبُهُ ... في سِرِّهِ فهو في الأكوان مقصودُ

حَلاّهُ ربّي بما تعطيه حضرتُه ... من الصفاتِ فما في العلم مَوْجودُ

سواهُ فهو إمامُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... وهو الإلٰهُ فمجهولٌ ومحدودُ

اعلم أيدنا الله وإياك بروحه القدسي أن التقليد هو الأصل الذي يرجع إليه كل علم نظري أو ضروري أو كشفي؛ لكنهم فيه على مراتب، فمنهم من قلد ربه وهم الطائفة العلية أصحاب العلم الصحيح، ومنهم من قلد عقله وهم أصحاب العلوم الضرورية بحيث لو شككهم فيها مشكك بأمر إمكاني ما قبلوه مع علمهم بأنه ممكن ولا يقبلونه. فإذا قلت لهم في ذلك يقولون: لأنه لا يقدح في العلم الضروري وأمثلته كثيرة لا أذكرها من أجل النفوس الضعيفة لقبولها فيؤدّي ذلك إلى ضرر وهوس فذلك يمنعني أن أبينها، ومنهم من قلد عقله فيما أعطاه فكره وما ثم إلا هؤلاء فقد عم التقليد جميع العلماء والتقليد تقييد فما خرج العالم عن حقيقته فإنه الموجود المقيد، فلا بد أن يكون علمه مقيداً مثله، والتقييد فيه عين التقليد، غير أنه ذم في بعض المواطن وهي معلومة، وحمد في بعض المواطن وهي معلومة، وليس في المنازل أصعب مرتقى من هذا المنزل هو أصعب من منزل عقبات السويق، لأن صاحب ذلك المنزل تارة وتارة، وصاحب هذا المنزل ثابت القدم فيه، فإذا كان التقليد هو الحاكم ولا بدّ ولا مندوحة عنه فتقليد الرب أولى فيما شرع من العلم به فلا تعدل عنه فإنه أخبرك عن نفسه في العلم به فيما قلدت فيه عقلك من حيث تقليده لفكره الناظر به في دليله وأعطاك نقيضه من العلم به، والأصل في العالم الجهل والعلم مستفاد، فالعلم وجود والوجود لله،

والجهل عدم والعدم للعالم، فتقليد الحق الذي له الوجود أولى من تقليد من هو مخلوق مثلك، فكما استفدت منه سبحانه الوجود فاستفد منه العلم فقف عند خبره عن نفسه بما أخبر ولا تبال بالتناقض في الأخبار فإنه لكل خبر مرتبة ينزل ذلك الخبر فيها وأنت الحضرة الجامعة لتلك المراتب، فكن على بينة من ربك لم تقل من عقلك لأنه لا يحيلك إلا على نفسه لأنه خلقك له فلا يعدل بك عنه، فإذا تجلى لك في ضرورة عقلك وجدت استنادك ولا بدّ إلى أمر ما لا تعلمه من حيث تقليدك لهذه الضرورة العقلية، فإذا تجلى لك في نظر عقلك وجدت في نفسك أن هذا الذي استندت إليه في وجودك أمر وجودي لا يشبهك إذ عينك وكل ما يقوم بك ويكون وصفاً لك محدث مفتقر إلى موجد مثلك، فيقول لك عقلك من حيث نظره إن هذا الموجود ليس مثله شيء من العالم وأنت جميع العالم، لأن كل جزء من العالم يشترك مع الكل في الدلالة على ما قرّرناه، وإذا تجلى لك في الشرع أبان لك عن التفاوت في مراتب العالم فتجلى لك في كل مرتبة، فقلد في ذلك الشارع حتى يكشف لك فترى الأمر على صورة ما أنت به، فقلدت ربك فرأيته مشبهاً ومنزهاً فجمعت وفرقت ونزهت وشبهت، وكل ذلك أنت لأنه تجل إلهي في المراتب، وأنت الجامع لها وهي لك وللعالم كله وهي الحاكمة على كل من ظهر فيها فينصبغ في عين الناظر إليه بها، ولذلك قلت لك: وكل ذلك أنت فإن العالمين من العلامة والعلامة لا تدل إلا على محدود، فلا تدل إلا عليك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] فالعالم لا يدل على العلم بذاته وإنما يدل على العلم بوجوده.

فاعلم أن الحق هو على الحقيقة أم الكتاب، والقرآن كتاب من جملة الكتب إلا أن له الجمعية دون سائر الكتب، ومع هذا فإنه صفة الحق، والصفة تطلب من تقوم به، والنسبة تطلب من تنسب إليه، فلذلك قلنا فيه إنه أم الكتاب الذي عنه خرجت الكتب المنزلة واختلفت الألسنة به لقبوله إياها بحقيقته، فقيل فيه: إنه عربيّ، وإنه عبرانيّ، وإنه سريانيّ بحسب اللسان الذي أنزل به، وهذا هو عين الجعل في القرآن، وعين نسبة الحدوث إليه في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فهو محدث الإتيان وما هو الإتيان عين الإنزال، كما أنه ليس بعين الجعل، والجعل يكون بمعنى الخلق وبغيره، فما ينسب إلى القرآن من قوله «محدث» فهو من حكم الجعل الذي بمعنى الخلق فلا فرق بين قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] وبين قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] في الحكم.

واعلم أن تحقيق عندية كل شيء راجعة إلى نفسه ولهذا قال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ فإن حكمكم النفاد ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فإنه له البقاء، فلو كانت عندية الشيء غير نفس الشيء ما نفد ما عندنا لأنا وما عندنا عند الله وما عند الله باق، فنحن وما عندنا باق، فتبين لك أن عندية كل شيء نفسه، والعندية في اللسان ظرف مكان أو ظرف محلي كالجسم للعرض اللوني الذي يدركه البصر فهو أجلى فيما ترومه منه الدلالة فهو بحيث محله، وصاحب المكان ما هو بحيث المكان، والعندية جامعة للأمرين، ولما لم يمكن في التقليد الضروري أن يجحد

أحد من استند إليه في وجوده لذلك أقرّ به من من شأنه الإنكار والجحود. فإن قلت: فالمعطِّلة أنكرت. قلنا: المعطلة ما أنكرت مستنداً وإنما أنكرت وعطلت الذي عينتموه أنتم أنه المستند ما عطلت المستند فقلتم أنتم هو كذا فعطلته المعطلة وقالت: بل المستند كذا، فكما أن أولئك معطلة أنتم أيضاً معطلة تعطيلهم، لكن اختص أولئك باسم المعطلة وهم على ضروب في التعطيل محل العلم بذلك، وأمثاله العلم بالنحل والملل وهو علم لا ينبغي للمؤمن أن يقرأه ولا ينظر فيه جملة كما يتعين على أهل الله أن يعرفوا علم كل نحلة وملة بالله ليشهدوه في كل صورة فلا يقومون في موطن إنكار لأنه تعالى سار في الوجود فما أنكره إلا محدود، وأهل الله تابعون لمن هم له أهل فيجري عليهم حكمه، وحكمه تعالى عدم التقييد فله عموم الوجود فلأهله عموم الشهود، فمن قيد وجوده قيد شهوده وليس هو من أهل الله.

واعلم أن الله لما مهد هذه الخليقة جعلها أرضاً له فوصف نفسه بالاستواء وبالنزول إلى السماء وبالتصرف في كل وجهة الكون موليها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩] فإنه لا يرفع حكم أن وجه الله حيثما توليت، ولكن الله اختار لك ما لك في التوجه إليه سعادتك ولكن في حال مخصوص وهي الصلاة وسائر الأينيات ما جعل الله لك فيها هذا التقييد، فجمع لك بين التقييد والإطلاق، كما جمع لنفسه بين التنزيه والتشبيه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فالعالم كله أرض ممهدة ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] هل ترى من تفاوت ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ [الملك: ٣] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] والحق صفة العالم لأن صفته الوجود وليس إلا لله، ولذلك ورد في الخبر الصحيح: «**كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ**» وهكذا جميع قواه وصفاته، فلما كان العالم ظرفاً مكانياً لمن استوى عليه ظهر بصورته. سئل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال: «لون الماء لون إنائه»، فجعل الأثر للظرف في المظروف وذلك لتعلم من عرفت فتعلم أنك ما حكمت على معروفك إلا بك فما عرفت سواك، فأيّ لون كان للإناء ظهر الماء للبصر بحسب لون الإناء، فحكم من لا علم له بأنه كذا لأن البصر أعطاه ذلك فله التجلي في كل صورة من صور الأواني من حيث ألوانها، فلم يتقيد في ذاته الماء ولكن هكذا تراه، وكذلك تؤثر فيه أشكال الظروف التي يظهر فيها وهو ماء فيها كلها، فإن كان الوعاء مربعاً ظهر في صورة التربيع، أو مخمساً ظهر في صورة التخميس، أو مستديراً ظهر في صورة الاستدارة لأن له السيلان، فهو يسري في زوايا الأوعية ليظهر تشكلها، فهو الذي حمل الناظرين لسريانه أن يحكموا عليه بحكم الأوعية في اللون والشكل، فمن لم يره قط إلا في وعاء حكم عليه بحكم الوعاء ومن رآه بسيطاً غير مركب علم أن ما ظهر فيه من الأشكال والألوان إنما هو من أثر الأوعية فهو في الأوعية كما هو في غير وعاء بحده وحقيقته، ولهذا ما زال عنه اسم الماء فإنه يدل عليه بحكم المطابقة فهذه الأوعية له كالسبل في الأرض للسالك فيها فينسب السالك في كل سبيل منها إلى أنه طالب غاية ذلك السبيل الذي سلك عليه ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] من صوره فيكون هو الظاهر لا أنت، لأن الظهور

للصور لا للعين، فالعين غيب أبداً، والصور شهادة أبداً.

ثم إنه لما خلق من كل شيء زوجين بين لنا أن في أرض العالم نجدين: نجد تكون غايته أنت عند قوم، ونجد عند هؤلاء القوم يكون غايته هو أعني الحق، وأما عند قوم آخرين فالنجد الواحد تكون غايته أنت في هو، والنجد الآخر يكون غايته هو في أنت، وأما عند قوم آخرين فالنجد الواحد تكون غايته أنت عين هو، والنجد الآخر تكون هو عين أنت، وأما عند قوم آخرين فيكون غاية النجدين هو وعين النجدين أنت وعين السالك هو، وأما عند قوم آخرين فيكون غاية النجدين وعين النجدين وأنهما عين اليدين وعين السالك أنت، وكل من ذكرناه على صراط مستقيم، فتعويج القوس للرمي عين صراطه المستقيم، فلا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك فما زلنا من الخلاف لأنهم قد خالفوا المختلفين ولذلك خلقهم فما تعدّى كل خَلْقٍ ما خُلِقَ له، فالكل طائع وإن كان فيهم من ليس بمطيع مع كونه طائعاً.

ولما كان الاستواء صفة للحق على العرش وخلق الإنسان على صورته جعل له مركباً سماه فلكاً كما كان العرش فلكاً، فالفلك مستوى الإنسان الكامل، وجعل لمن هو دون الإنسان الكامل مركباً غير الفلك من الأنعام والخيل والبغال والحمير ليستوي الإنسان على ظهور هذه المراكب، وشاركهم في ركوبها الإنسان الكامل، فالكامل في الناس يستوي على كل مركوب، وغير الكامل لا يستوي على الفلك إلا بحكم التبعية لا لعينه كما ورد في اليقين حين قال عليه السلام في عيسى عليه السلام: «**لَو ازْدَادَ يَقِيناً لَمَشَى فِي الهَوَاءِ**» يشير إلى إسرائه، ومعلوم أن عيسى عليه السلام أكثر يقيناً منا لا من النبيّ ﷺ ونحن نمشي في الهواء بحكم التبعية لمن نحن أمته ﷺ لا بأنا أكثر في اليقين من عيسى عليه السلام، كما أن أمة عيسى عليه السلام قد مشت على الماء كما مشى عليه السلام على الماء؛ ولكن نعلم وإن كان الأمر في هذا في حقنا بحكم التبعية أن كل الأمة ما مشت في الهواء كما مشى محمد ﷺ لأنه لم يكن بعض أمته تابعاً له في كل ما أمر بأن يتبع فيه، فمن وفى بحق اتباعه كان له حكمه كما قال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] وأين المشي في الهواء في الشرف لمن يكون الحق سمعه وبصره في الدؤوب على نوافل الخيرات المنتجة أو المنتج ذلك الدؤوب عليها لمحبة الله إياه، وتلك المحبة أنتجت له أن يكون الحق سمعه وبصره؟ فهذا معنى قولنا بحكم التبعية لما أمر به ونهى عنه، لا من كوننا أمة له فقط بل من المجموع وهو اتباع خاص لأنه نبيّ معين خاص دون غيره، فيورث أتباع شريعته بالعمل ما يكون عليه من أحوال رسول تلك الشريعة وهذه عناية من الله تعالى، فإن أمة كل نبيّ لا تطيق حال نبيها، إذ لو أطاقته لكانت مِثْلاً له فتستقل بالأمر دونه، وليس الأمر كذلك فإنه لو طلع حيثما طلع لا يزال تابعاً، وقد أبان ﷺ عن مثل هذا فقال: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا**» فله الزيادة عليهم بما له من أجرها الزائد على أجر العاملين بها، وليس لهم ذلك الأجر الخاص به، فلا يلحقونه أبداً في ذلك المقام، فهم تابعون له دنيا وآخرة وكشفاً، والرسل عليهم السلام منهم ظهرت السنن فلا تزال أممهم أتباعاً لهم أبداً.

واعلم أن الله تعالى لما كان له مطلق الوجود ولم يكن له تقييد مانع من تقييد بل له التقييدات كلها فهو مطلق التقييد لا يحكم عليه تقييد دون تقييد فافهم معنى نسبة الإطلاق إليه، ومن كان وجوده بهذه النسبة فله إطلاق النسب فليست نسبة به أولى من نسبة، فما كفر من كفر إلا بتخصيص النسب مثل قول اليهود والنصارى عن أنفسهم دون غيرهم من أهل الملل والنحل: نحن أبناء الله وأحباؤه، فإذ وقد انتسبوا إليه كانوا يعمون النسبة وإن كانت خطأ في نفس الأمر فقال لهم الله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] يقول تعالى: النسبة واحدة فلم خصصتم نفوسكم بها دون هؤلاء؟ وإن أخطأتم في نفس الأمر فخطؤكم من عموم النسبة أقل من خطئكم من خصوصها فإن ذلك تحكم على الله من غير برهان. وأما طائفة أخرى فجعلوا لله ما يكرهون فقالوا: الملائكة بنات الله؛ فحكموا عليه بأنه اصطفى البنات على البنين، فتوجه عليهم الحكم بالإنكار في حكمهم مع كونهم يكرهون ذلك لنفوسهم مع كونهم يقولون في الشركاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] مع كونهم جعلوا لله جزءاً من عباده، فلو أضافوا الكل إليه لم يكن ذلك من الكفر الظاهر بل يكون الحكم فيه بحكم ما نسبوا، فإن وقعت النسبة العامّة للخلق بكونهم عبيداً سعدوا، وإن وقعت بالنبوّة طولبوا بما قصدوا فإن استندوا في ذلك إلى خبر إلهيّ سلموا بل سعدوا مثل قوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ﴾ [الزمر: ٤] فأجاز التبني، بل فيه رائحة من كون جبريل تمثل لمريم بشراً سوياً، وقد وصف الحق تعالى نفسه بالتحوّل في الصور وأجرى أحكامها عليه وهو علم يومىء إليه لأجل الإيمان ولا يفشى في العموم لما يسبق إلى النفوس من ذلك، وبقي تعلق الاصطفاء بمن يتعلق هل بالصاحبة فيكون من باب التجلي في الصور فيكون عين الصورتين لأنه قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧] يعني الولد ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] وما له ظهور إلا من الصاحبة التي هي الأمّ، فيكون الاصطفاء في حق الصاحبة وهي من لدنه فما خرج عن نفسه، كما أن آدم عليه السلام ما خرج عن نفسه في صاحبته، فما نكح إلا من هو جزء منه به وبالمجموع يكون نفسه فهو قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ وجاء بحرف «لو» فدل على الامتناع فلم يكن من الوجهين، فإن كان الاصطفاء للبنوة فذلك التبني لا البنوة، وإن استندوا إلى غير خبر إلهيّ وأعني بالخبر الإلهيّ ما جاء على لسان الرسل في الكتب أو في الوحي، فإن كان استنادهم إلى كشف إلهي واطلاع في ذلك فهم تحت حكم ما اطلعوا، ولا عذر للمقلدة في ذلك لأن فيهم الأهلية للاطلاع بحكم النشأة فإن لها استعداداً عامّاً وهو الاستعداد للاطلاع، وإن تفاضل الاطلاع فذلك لاستعداد آخر خاص غير الاستعداد العام، فأهل الجبر إذا استمسكوا بالخبر سعدوا، وإن أخطؤوا في التأويل ولم يصادفوا العلم فلهم ثواب الاجتهاد، وإن أصابوا فهو المقصود، فمنهم من هو على بينة من ربه بإصابته، ومنهم من ليس على بينة من ربه وهو مصيب في نفس الأمر وكل من له متمسك إلهي فهو ناج، وأما من كفر بالكل فذلك غاية العمى.

وصل في التحضيض الكوني: وهو سرّ جعله الله في عباده العامة والسالكين في هذا

الطريق، وأما الخاصة فلا يقع منهم ذلك أبداً لأنه ليس بنعت إلهيّ إلا أنه جاء من الله فيما يرجع إلى الكون لا فيما يرجع إليه سبحانه مثل قوله: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣] وأما أداة لو فهي إلهية وتتضمن معنى التحضيض وقد اتصف بها خاصة الله فقال رسول الله ﷺ: **«لَو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً وَلٰكِنِّي سُقْتُ الهَدْيَ فَلاَ يَحِلُّ مِنِّي حَرَامٌ حتى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ»** فرائحة التحضيض في «لو» هو ما يفهم منه كأنه قال لنفسه: هلا أحرمت بعمرة؟ ولا يقع التحضيض من الخواص أبداً إلا فيما شغلوا به نفوسهم من الأفعال التي ترضي الله، فيبدو لهم في ثاني زمان رضى الله في فعل ما هو أتم وأعلى من الأوّل، إما في جناب الله، أو في حق نفسه، أو في حق الغير، رفقاً بهم وشفقة عليهم، لا يقع منهم على جهة الاعتراض على الله بأن يقولوا: هلا فعل الله كذا عوضاً من فعله كذا، هذا لا يتصوّر من الخواص أبداً فإنه سوء أدب مع الله تعالى وترجيح تدبير كوني على تدبير إلهي، وما وصف الحق نفسه بأنه يدبر الأمر إلا أن يعرفنا أنه ما عمل شيئاً إلا ما تقتضيه حكمة الوجود، وأنه أنزله موضعه الذي لو لم ينزله فيه لم يوف الحكمة حقها وهو الذي أعطى كل شيء خلقه، ولذلك لا يمكن أن يظهر لعباده في صفة تحضيض بالنظر إليه فوضعه في اللسان بل في جميع الألسنة ابتلاء لعباده وتمحيصاً ليجتنبه أهل العناية فيتميزوا بذلك عن غيرهم.

واعلم أن الاختصاص الإلهي الذي يعطي السعادة غير الاختصاص الإلهي الذي يعطي كمال الصورة وقد يجتمعان ـ أعني الاختصاصين ـ في حق بعض الأشخاص، فالاختصاص الذي يعطي السعادة هو الاختصاص بالإيمان والعصمة من المخالفة أو بموت عقيب توبة، والاختصاص الذي يعطي كمال الصورة هو الذي لا يعطي إلا نفوذ الاقتدار والتحكم في العالم بالهمة والحس؛ والكامل من يرزق الاختصاصين، وأقوى التأثير تأثير من يغضب الله كقوم فرعون حيث قال تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] أي أغضبونا ولله سبحانه نفوذ الاقتدار فانتقم منهم ليجعلهم عبرة للآخرين، وجعل ذلك مقابلاً لنفوذ الاقتدار الكوني لأنه قال: ﴿ءَاسَفُونَا﴾ ألا ترى إلى علم فرعون في قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٥] يقول: فلو وهو حرف تحضيض أعطي يعني موسى نفوذ الاقتدار فينا حتى لا ننازعه ونسمع له ونطيع لأن اليدين محل القدرة، والأسورة وهو شكل محيط من ذهب أكمل ما يتحلى به من المعادن، ونفوذ الاقتدار من الاختصاص الإلهي، يقول لقومه فما أعطي ذلك موسى، والذي يدلك على ما قلناه أن فرعون أراد هذا المعنى في هذا القول أنه جاء بـ«أو» بعده وهي حرف عطف بالمناسب فقال: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] لعلمه بأن قومه يعلمون أن الملائكة لو جاءت لانقادوا إلى موسى طوعاً وكرهاً، يقول فرعون: فلم يكن لموسى عليه السلام نفوذ اقتدار في حتى أرجع إلى قوله من نفسي بأمر ضروري لا نقدر على دفعه فترجعوا إلى قوله لرجوعي ولا جاء معه من يقطع باقتدارهم ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ [الزخرف: ٥٥] أي لطف معناهم بالنظر فيما قاله لهم فلما جعل فيهم هذا

حملهم على تدقيق النظر في ذلك ولم يكن لهم هذه الحالة قبل ذلك؛ فأطاعوه ظاهراً بالقهر الظاهر لأنه في محل يخاف ويرجى، وباطناً بما نظروا فيه مما قاله لهم، فلما أخذ قلوبهم بالكلية إليه ولم يبق لله فيهم نصيب يعصمهم أغضبوا الله فغضب فانتقم فكان حكمهم في نفس الأمر خلاف حكم فرعون في نفسه، فإنه علم صدق موسى عليه السلام، وعلم حكم الله في ظاهره بما صدر منه، وحكم الله في باطنه بما كان يعتقده من صدق موسى فيما دعاهم إليه، وكان ظهور إيمانه المقرر في باطنه عند الله مخصوصاً بزمان مؤقت لا يكون إلا فيه وبحالة خاصة فظهر بالإيمان لما جاء زمانه وحاله فغرق قومه آية ونجا فرعون ببدنه دون قومه عند ظهور إيمانه آية، فمن رحمة الله بعباده أن قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يعني دون قومك ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] أي علامة لمن آمن بالله أن ينجيه الله ببدنه أي بظاهره، فإن باطنه لم يزل محفوظاً بالنجاة من الشرك لأن العلم أقوى الموانع، فسوّى الله في الغرق بينهم وتفرقاً في الحكم فجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين، يعني الأمم الذين يأتون من بعدهم، وخص فرعون بأن تكون نجاته آية لمن رجع إلى الله بالنجاة.

ولما كان الاختصاص الإلهي الكامل في الجمع بين السعادة والصورة كان الكمال للمؤمن بالخلافة في المكان الذي من شأنه أن يظهر فيه كمال الصورة من نفوذ الاقتدار عند الإغضاب وليست الجنة بمحل لهذه الصفة فليست بدار خلافة بل هي دار ولاية محكوم على صاحب تلك الولاية بأمر لا يتعدّاه ولا تعطي نشأته أن يقبل سواه حتى لو كان فيها تقديراً من شأنه أن يغضب ما قبل صاحب الولاية صفة الغضب لأنه على مزاج خاص بخلاف نشأة الدنيا ولهذا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولم يقل في العالم ولو لم تعترض الملائكة ما ابتليت بالسجود، فكان ما ابتلوا ما به عن إغضاب دقيق خفي لا يشعر به إلا الراسخون في العلم، وهكذا كل انتقام إلهي يقع بالعالم لا يكون إلا بعد إغضاب لأن الله خلق العالم بالرحمة وليس من شأنها الانتقام، كما أن الغضب من شأنه الانتقام، لكنه ـ أعني الغضب ـ على طبقات، فيظهر الانتقام على ميزانه من غير زيادة ولا نقصان، ولا يقع الانتقام أبداً إلا تطهيراً لمن كان منه الإغضاب، فلذلك لا يكون الانتقام إلى غير نهاية بل ينتهي الحكم به إلى أجل مسمى عند الله وتعقبه الرحمة به لأن لها الحكم الأبديّ الذي لا يتناهى، ومن جعل باله لما ذكرناه ودقق النظر فيه رأى علماً كبيراً إلهياً من سريان العدل في الحكم الإلهي وشمول الفضل وسبق الرحمة الغضب، وأن الحق يجري في حكمه بما هي الحقائق عليه، إذ الحقائق لا تتبدل لأنفسها ولا تتحول.

فهذا الذي ذكرناه في هذه المسألة من الآيات التي جاء بها الحق على لسان المترجم ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١] و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢] ليست لغير هذا الصنف، فحافظ على تحصيل معرفة الإغضاب على غاية الاستقصاء حتى تجتنبه، فإنه من علم الأسرار ما يعرفه كل أحد، وهو كان علم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمونه صاحب السر لعلمه بهذا العلم، وليس فيما يمنح الله أولياءه من العلم

به في حقهم أنفع من هذا العلم، وما رأيت أحداً له فيه ذوق، ولا سمعت عن أحد من أهل الله تعالى بعد حذيفة من ظهر عليه حكم هذا العلم وهو عصمة خفية تكاد لا يشعر صاحبها بها وما في الكشف أتم منه، ولا يرزق الله هذا العلم إلا للأدباء أهل المراقبة فإنهم يأخذون الأشياء بحكم المطابقة والمناسبة بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق، ولا يحكم عليهم حاكم الإمكان والجواز لأنه ليس له في هذه الحضرة قدم ولا عين أعني الإمكان، وهذا مقام وراء طور العقل لأن العقل يحكم في مثل هذا بالإمكان والأمر في نفسه ليس كذلك ولكن إذا شهده قبله وإذا فكر فيه أدخله تحت الإمكان.

ويختص هذا المنزل من العلوم بعلم الإيهام والإبهام والرموز والألغاز والأسرار، وفيه علم الحروف المركبة التي هي الكلمة، وفيه علم الأنوار وما يختص به عالم الشهادة من الشهود، وفيه علم الجعل، وفيه علم الجمع والتفصيل، وفيه علم منازل العلو في الأسماء الإلهية وأحكامها، وفيه علم الإعجاز، وفيه علم التقرير، وفيه علم نتائج الجهل وهو أمر عدميّ فكيف يكون له حكم وجوديّ؟ وفيه علم مقابلة الاقتدار بالاقتدار، وفيه علم سريان وجود الحقّ في العالم ولهذا ما أنكره أحد وإنما وقع الغلط من طلب الماهية فأدّى إلى الاختلاف فيه الذي ظهر في العالم، وفيه علم ما يختص به الحق تعالى لنفسه من غير أن يكون له حكم في العالم، وفيه علم الشرائع كلها وأنها بالجعل ولهذا تجري إلى أمد وغايتها حكم الحق بها في القيامة في الفريقين فإذا عمرت الداران وانقضى أمد العقوبة انتشر حكم الرحمة، وفيه علم الشفع والوتر، وتقدم علم الزوج على الفرد، وعلم الحامل والمحمول، وعلم شمول النعم في البلايا والرزايا والأمور المؤلمة، وفيه علم نفي الطاقة الكونية وردّها إلى الله، وفيه علم قسمة العالم بين الله وبين العالم وما هو عالم لله وعالم للعالم وصفة من يعلم هذا ممن لا يعلمه والعالم به هل يجب عليه ستره أو يعطي ستره لذاته؟ وعلم المحاكمات وتفاضل الناس فيها، وعلم المطالبات الإلهية متى تكون ولماذا تؤول، وعلم السبب الذي يرد الخلق كلهم إلى المشيئة الإلهية وهل هو رجوع عن علم أو رجوع عن قهر؟ وعلم الفرق بين علم التقليد وعلم النظر وهل ما يربط عليه المقلد يكون في حقه علماً أم لا؟ وعلم حكم السابقة على العالم بنقيض ما يعطيه علمهم، وعلم العواقب على الإطلاق وهل يعم أثرها في الحال للعالم بها أم لا؟ وعلم الفترات وما حكم أصحابها، وعلم الأشراف وما هو وهل في العالم شريف وأشرف أم لا مفاضلة في العالم؟ وإذا وقعت المفاضلة بل هي واقعة هل يؤول الناظر فيها إلى التساوي فيكون كل مفضول يفضل على من فضل عليه؟ وهذا مذهب جماعة منهم أبو القاسم بن قسيّ صاحب خلع النعلين، وفيه علم الحكمة بما جعل الله في العالم من الاختلاف، وفيه علم السبب الذي لأجله لزم الشيطان الإنسان وقول النبي ﷺ: «إنَّ الله أَعَانَهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ» وفيه علم حكم من التبس عليه الباطل بالحق، وفيه علم الكشف فإنه ليس لمخلوق اقتدار على شيء وأن الكل بيد الله وهو علم الحيرة من أجل التكليف ووقوعه على من ليس له من الأمر شيء، وفيه علم أثر الأسباب الإلهية في المسببات هل هو

ذاتي أو جعل إلهي؟ وفيه علم الاغتباط بما يعطيه التجلي الإلهي والاعتصام به، وفيه علم التوحيد النبوي، وفيه علم الحجب التي تمنع من حكم العلم في العالم مع وجود علمه عنده، وفيه علم قبول الرجعة إلى الله عند رؤية البأس وحلول العذاب وأن ذلك نافع لهم في الآخرة وإن لم يكشف عنهم العذاب في الدنيا، وما اختص قوم يونس إلا بالكشف عنهم في الحياة الدنيا عند رجعتهم فيكون معنى قوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] يعني في الدنيا فإن الله يقول: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨] فالراجع مع نزول العذاب به مقبول رجوعه لأنه أتى بما ترجى منه بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وفيه علم أسرار الحق في العالم وظهور العالم بصورة الحق ومنزلته، وفيه علم عموم الولاية في كل نوع وما ينقضي منها وما لا ينقضي، وفيه علم الإضافات الإلهية هل هي على طريق التشريف أو على طريق الابتلاء، أو منها ما يكون تشريفاً ومنها ما يكون ابتلاء؟ وفيه علم مرتبة من جمع بين الظاهر والباطن ممن لم يجمع، وفيه علم حكمة الاستناد إلى الوسائط هل هو على طريق الابتلاء أو المقصود به تشريف الوسائط؟ وفيه علم إقامة الحجة الإلهية على المنازعين وحكم من لم ينازع واعترف بالحق لأهله، وفيه علم الإحاطة الإلهية بالذات، وفيه علم الزيادات هل هي بأن يؤخذ من زيد ما عنده أو بعض ما عنده فيعطي عمراً أو هي زيادات بإيجاد معدوم؟ أو هل منها ما هو إيجاد معدوم ومنها ما هو عن انتقال من شخص إلى شخص؟ وفيه علم ما يختص به الله من العلوم، وعلم ما يختص به الكون من العلوم مما لا يجوز في العقل أن يكون ذلك حكماً لله وهل حكمه في الشرع كما هو حكمه في العقل أم لا؟ وهو علم الأذواق بالحواس، وفيه علم مراتب الشفعاء وعلم صفتهم التي بها يملكون الشفاعة، فهذا بعض علوم هذا المنزل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر الثاني والعشرون.

[السفر الثالث والعشرون]

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرين منفصلين عن ثلاثة أسرار يجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي وهو من الحضرة الموسوية

[الطويل]:

ثلاثةُ أسْرارٍ وسِرَّانِ بعدها ... مريدٌ وعلاَّمٌ وقدرةُ قادِرِ

وسِرَّانِ قول شرطه في حياة من ... يقول لشيء كُنْ بحكمة فاطرِ

فسبحان من لا شيءَ يدرك كُنْهَهُ ... هو الأوّل المنعوتُ أيضاً بآخِرِ

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فنفى ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأثبت والآية تقتضي عموم الإثبات في عين النفي وفيما بعده إذا جعلت الكاف للصفة،

ويؤيد هذا النظر الخبر وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ» ونفى مماثلته في حال اتصافه بهذا الوصف فورد الشرع بأنه إذا بويع لخليفتين سواء كان في خلافته عام الخلافة أو مقصوراً على طائفة مخصوصة يقتل الآخر منهما فلا تماثل في تلك الطائفة أو في العموم بحسب ما يعطيه الوقت، فلولا حكم الإرادة وجوداً وتقديراً لما أمر بقتل الآخر والقتل زوال من صفة الحكم فزل أنت يبقى هو فإنك الآخر، فإن قال بعض العارفين: فالأوّل هنا ليس بخليفة، قلنا: هو خليفة حقاً عن أمر إلهي ونهى عن المشاركة فيما أمر به من خلافته عنك فقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] والوكيل بلا شك خليفة الموكل فيما وكله فيه وقال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] فنهى أن نتخذ وكيلاً غيره فكونه إلهاً ما هو كونه وكيلاً، ونحن إنما تكلمنا في الوكالة وهي الخلافة وفي الوكيل وهو الخليفة، كما ينظر باعتبار آخر قوله لنا: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] فلنا الإنفاق بحكم الخلافة والإنفاق ملك لنا والإنفاق تصرّف فجعلناه عن أمره وكيلاً عنا في الإنفاق أي خليفة لعلمنا بأنه يعلم من مواضع التصرف ما لا نعلمه فهو المالك وهو الخليفة، فما ميز الله المراتب وأبانها لنا وظهر بأسمائه في أعيانها وتجلى لنا فيها إلا لننزله في كل مرتبة رأيناه نزل فيها، فنحكم عليه بما حكم به على نفسه، وهذا هو أتم العلم بالله أن نعلمه به لا بنظرنا ولا بإنزالنا، تعالى الله الخالق أن نحكم عليه بما خلق دون أن يظهر له فيما حكم به عليه فيكون هو الحاكم على نفسه لا أنا، وهذا معنى قول العلماء: إن الحق لا يسمى إلا بما سمى به نفسه إما في كتابه أو على لسان رسوله من كونه مترجماً عنه. فمن أقامه الله في مقام الترجمة عنه بارتفاع الوسائط أو بواسطة الأرواح النورية وجاء باسم سماه به فلنا أن نسميه بذلك الاسم، وسواء كان المترجم مشرّعاً لنا أو غير مشرّع لا يشترط في ذلك إلا الترجمة عنه حتى لا نحكم عليه إلا به فإنه القائل تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] تميزون به وتفرقون بين ما ينبغي له وما ينبغي لكم فيعطي كل ذي حق حقه فله المقاليد وله الفتح بها ودونها ولنا الفتح بها وما هي لنا بل هي بيده وما كان بيده فليس يخرج عنه لأنه ما ثَمَّ إلى أين فهو المعطي والآخذ لأن الصدقة تقع بيد الرحمن.

واعلم أن الوحي الإلهي إنما ينزل من مقام العزة الأحمى ولهذا لا يكون بالاكتساب لأنه لا يوصل إلى ذلك المقام بالتعمل، ولو وصل إليه بالتعمل لم يتصف بالعزة فينزل الوحي لترتيب الأمور التي تقتضيها حكمة الوجود، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً يخالف ترتيب حكمة الوجود وليس إلا من الله، فهو في غاية الإحكام والإتقان الذي لا يمكن غيره، فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه أعطاه خلقه وأنزله في منزلته التي يستحقها، فانظر هذا القوّة الإلهية التي أعطاها الله لمن أنزل عليه الوحي الذي لو أنزل: ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] فإنهم علموا قدر من أنزله، فرزقهم الله من القوّة ما يطيقون به حمل ذلك الجلال، فإذا سمعوا في الله ما يخالف ما تجلى لهم فيه ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١] وقد

سمع ذلك أهل الله ورسله وما جرى عليهم شيء من ذلك لما أعطاهم من قوّة العلم إذ لا أقوى من العلم فتجلى لهم في قوله: ﴿لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤] و﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧] فعلم أهل الله من رسول ونبيّ وولي ما لم تعلمه السموات والأرض والجبال من الله فأنتج لهم هذا العلم بالله قوّة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه من قول من قال: إن المسيح ابن الله وإنّ عُزيراً ابنُ الله ولم يتزلزلوا ولو نزل ذلك على من ليست له هذه القوّة لذاب في عينه لعظيم ما جاءه، فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد أن لله ولداً وما أشد عماه عن الحقائق، ومامرّ عليّ في التجلي الإلهي أمر حيرني وأضعف قوّتي أشد من قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] والله يقول: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] وأي إحسان أعظم ممن تاب واتبع سبيله وقول نوح وهو من الكمل من أهل الله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] فهذا كأنه أبقى شيئاً فإنه ما طلب المغفرة إلا للمؤمن، ولم يذكر اتباع سبيل الله لأن المؤمن قد يكون مخالف أمر الله ونهيه والله يقول للمسرفين على أنفسهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فهذا الصنف من الملائكة قاموا في مقام الأدب فحكم عليهم بهذا القول إيثاراً للجناب الإلهيّ على الخلق ولهذا قدّموا وأخروا، وما أخبر الله عنهم في قوله قبل هذا الدعاء: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] ففيه روائح طلب المغفرة للمسيئين، وأخروا أيضاً قولهم: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أن تقوم بهم فإنه أتم في العناية: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم تقيه ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [غافر: ٩] فجاء ما ذكروه في الوسط بين هذين كأنه إيثار للجناب الإلهيّ، كما يقول النبي ﷺ في القيامة: «**سُحْقاً سُحْقاً**» وما علق الله المغفرة إلا بالذنب حيث علقها وقال عن صنف آخر من الملائكة إنهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] فأنزل هؤلاء المغفرة موضعها ما قالوا مثل ما قال ذلك الصنف الآخر الذي حكى الله عنهم أنهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] فتنوّعت مشاربهم كما قالوا: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] والوليّ الكامل يدعو الله بكل مقام ولسان والرسل تقف عندما أوحى به إليها وهم كثيرون وقد يوحى إلى بعضهم ما لا يوحى إلى غيره، والمحمديّ يجمع بمرتبته جميع ما تفرّق في الرسل من الدعاء به فهو مطلق الدعاء بكل لسان لأنه مأمور بالإيمان بالرسل وبما أنزل إليهم، فما وقف الوليّ المحمدي مع وحي خاص إلا في الحكم بالحلال والحرمة، وأما في الدعاء وما سكت عنه ولم ينزل فيه شيء في شرع محمد ﷺ يؤذن بتركه فلا يتركه إذا نزل به وحي على نبي من الأنبياء عليهم السلام رسولاً كان أو غير رسول.

ثم اعلم أنه من رحمة الله بعباده أن جعل حكم ما اختلفوا فيه إلى الله، فنأخذ هذا من جهة علم الرسوم أن ننظر ما اختلفوا فيه وتنازعوا فإن كان لله أو لرسوله حكم فيه يعضد قول أحد المخالفين جعلنا الحق بيده فإنا أمرنا إن تنازعنا في شيء أن نردّه إلى الله ورسوله إن كنا مؤمنين، فإن كنا عالمين ممن يدعو على بصيرة وعلى بينة من ربنا فنحكم في المسألة بالعلم

وهو ردّ إلى الله تعالى من غير طريق الإيمان وليس لنا العدول عنه البتة.

هذا حد علم الرسم، وأما علم الحقيقة فإن المختلفين حكمهم إلى الله أي حكم ظهور الاختلاف فيهم إلى الله من حيث إن الأسماء الإلهية هي سبب الاختلاف ولا سيما أسماء التقابل، يؤيد ذلك قوله في مثل هذا ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠] لأنه ليس غير أسمائه فإنه القائل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] ولم يقل بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم عين المسمى هنا كما جعله في موضع آخر غير المسمى، فلما قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ والإشارة بذا إلى الله المذكور في قوله: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فلو لم يكن هنا الاسم عين المسمى في قوله الله لم يصح قوله ربي والخلاف ظهر في الأسماء الإلهية فظهر حكم الله في العالم به فيحكم على الخلاف الواقع في العالم بأنه عين حكم الله ظهر في صورة المخالفين.

وصل في الأجور: وهي الحقوق التي تطلبها الأعمال مخصوصة وهي حكم سار في القديم والمحدث، فكل من عمل عملاً لغيره استحق عليه أجراً، والأجور على قسمين معنوية وحسية فإذا استأجر أحد أحداً على عمل ما من الأعمال فعمله فقد استوجب به العامل حقاً على المعمول له وهو المسمى أجراً، ووجب على المعمول له أداء ذلك الحق وإيصاله إليه، والمؤجر مخير في استعمال الأجير في الظاهر مضطر في الباطن، والأجير مخير في قبول الاستعمال في بعض الأعمال مقهور في بعض الأعمال، وحكم الخيار ما زال عنه لأن له أن لا يقبل إن شاء وأن يقبل إن شاء، فهو مخير في الظاهر مضطر في الباطن كالمؤجر له سواء، فأوّل أجير ظهر في الوجود عن افتقار الممكن إلى الإيجاد وهو عمل الوجود في الممكن حتى يظهر عينه من واجب الوجود هو واجب الوجود فقال: الممكن للواجب في حال عدمه أريد أن أستعملك في ظهور عيني، فالإيجاد هو العمل والوجود هو المعمول والموجود هو الذي ظهر فيه صورة العمل، فكل معمول معدوم قبل عمله فقال له الحق: فلي عليك حق إن أنا فعلت لك ذلك وأظهرتك وهذا الحق هو المسمى أجراً، والذي طلب المؤجر من المؤجر يسمى إجارة، والمؤجر مخير في نفسه ابتداء في تعيين الأجر، فإن شاء عين له ما يعطيه على ذلك العمل، وإن شاء جعل التعيين للمؤجر، والمؤجر مخير في قبول ما عينه المؤجر إن كان عين له شيئاً أورده، وإن تبرع المؤجر بالعمل من نفسه وقال: لا آخذ على ذلك أجراً فله ذلك ولكن لا يزول حكم القيمة من ذلك العمل لأن العمل بذاته هو الذي يعين الأجر بقيمته، فإن شاء العامل أخذه وإن شاء تركه، ولا يسقط حكم العمل إن أجره كذا، وهذه مسألة عجيبة تدور بين اختيار واضطرار في المؤجِّر والمؤجَّر، وكل واحد مجبور في اختياره، غير أن الحق لا يوصف بالجبر والممكن يوصف بالجبر مع علمنا أنه ما يبدل القول لديه ولا يخرج عن عمل ما سبق في علمه أن يعمله، وعن ترك ما سبق في علمه أن يتركه، وليس الجبر سوى هذا، غير أن هنا عين الذي يجبره هو عين المجبور إذ ما جبره إلا علمه، وعلمه صفته وصفته ذاته، والجبر في الممكن أن يجبره غيره لا عينه، ولو رام خلاف ما جبر عليه لم يستطع فهو

مجبور عن قهر مخير بالنظر إلى ذاته، وفي الأوّل جبر بالنظر إلى ذاته مخير بالنظر إلى العمل من حيث المعمول له، فاتفق الممكن مع الواجب الوجود أنه إن عمل فيه الإيجاد وظهرت عينه أنه يستحق عليه أي على الممكن في ذلك أن يعبده ولا يشرك به شيئاً وأن يشكره على ما فعل معه من إعطائه الوجود بالثناء عليه بالتسبيح بحمده فقبل الممكن ذلك فأوجده الحق سبحانه، فلما أوجده طلب منه ما استحق عليه من الأجر في ذلك ولم يجعل نفسه في إيجاده متبرعاً فقال له: اعبدني وسبح بحمدي، فسبحه وعبده جميع ما أوجده من الممكنات ووفاه أجره ما عدا بعض الناس فلم يوفه أجر ما أوجده له فتعينت عليه مطالبة العامل، وتعين على الحكم العدل أن يحكم على المعمول له بأداء الأجر الذي وقع الاتفاق عليه وسرى حكم هذه الإجارة في جميع الممكنات لأن الأعمال تطلبها بذاتها، ولهذا إذا تبرع العامل وترك الأجر لا يزيل ذلك قيمة ذلك العمل فيقال: قيمة هذا العمل كذا وكذا، سواء أخذ العامل أجره أو لم يأخذه، وسواء قدره ابتداء أو لم يقدره، فإن صورة العمل تحفظ قيمة الأجر، وقد أخبر الله عن نفسه أنه داخل تحت حكم هذه الحقوق، وكيف لا يكون ذلك وهو الحكيم مرتب الأشياء مراتبها، فمنها ما لم نعرفه حتى عرفنا به مثل قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فالنصر أجر الإيمان لذاته ولكن يقتضيه المؤمن وهو الذي صفته الإيمان وهو سبحانه وفيّ فلا بدّ من نصر الإيمان ولا يظهر ذلك إلا في المؤمن والمؤمن لا يتبعض فيه الإيمان فاعلم ذلك، وكل من تبعض فيه الإيمان لأجل تعداد الأمور التي يؤمن بها فآمن المؤمن ببعضها وكفر ببعضها فليس بمؤمن، فما خذل إلا من ليس بمؤمن فإن الإيمان حكمه أن يعم ولا يخص، فلما لم يكن له وجود عين في الشخص لم يجب نصره على الله، فإذا ظهر الكافر على المؤمن في صورة الحكم الظاهر فليس ذلك بنصر للكافر عليه، وإنما الذي يقابله لما ولّى وأخلى له موضعه ظهر فيه الكافر وهذا ليس بنصر إلا مع وقوف الخصم فيغلبه بالحجة. ومما أوجب الحق من ذلك على نفسه أيضاً أعني من الأجر الرحمة فجعلها أجراً على نفسه واجباً لمن تاب من بعد ما عمل من السوء وأصلح عمله، وقد يتبرّع متبرع بأجر يتحمله لعامل عمل لغيره عملاً لم يعمله لهذا المتبرع، مثل قوله في المظلوم إذا عفا عمن ظلمه ولم يؤاخذه بما استحق عليه وأصلح: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وكان ينبغي أن يكون أجره على من تركت مطالبته بجنايته، فتحمل الله ذلك الأجر عنه إبقاء على المسيء ورحمة به، فلا يبقى للمظلوم عليه حق يطالبه به، ولما كان العمل يطلب الأجر بذاته ويعود ذلك على العامل وأداء الرسائل عمل من المؤدي لأن المرسل استعمله في أداء رسالته لمن أرسله إليه فوجب أجره عليه لأن المرسل إليه ما استعمله حتى يجب عليه أجره ولهذا قالت الرسل لأممها عن أمر الله تعريفاً للأمم بما هو الأمر عليه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩] فذكروا استحقاق الأجر على من يستعملهم، ولم يقولوا ذلك إلا عن أمره فإنه قال لكل رسول: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] واختص محمد ﷺ بفضيلة لم ينلها غيره عاد فضلها على أمته ورجع حكمه ﷺ إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله، فأمره

الحق أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من أمته وهو أن يودوا قرابته فقال له: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي على تبليغ ما جئت به إليكم ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فتعين على أمته أداء ما أوجب الله عليهم من أجر التبليغ، فوجب عليهم حب قرابته ﷺ وأهل بيته وجعله باسم المودة وهي الثبوت في المحبة، فلما جعل له ذلك ولم يقل أنه ليس له أجر على الله ولا أنه بقي له أجر على الله وذلك ليجدد له النعم بتعريفه ما يسر به فقيل له بعد هذا قل لأمتك آمراً ما قاله رسول لأمته: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] فما أسقط الأجر عن أمته في مودتهم للقربى، وإنما رد ذلك الأجر بعد تعينه عليهم فعاد ذلك الأجر عليهم الذي كان يستحقه رسول الله ﷺ فيعود فضل المودة على أهل المودة، فما يدري أحد ما لأهل المودة في قرابة رسول الله ﷺ من الأجر إلا الله ولكن أهل القربى منهم، ولهذا جاء بالقربى ولم يجيء بالقرابة، فإنه لا فرق بين عقيل في القرابة النَّسَبية وبين عليّ فإنهما ابنا عم رسول الله ﷺ في النسب، فعلي جمع بين القربى والقرابة، فوددنا من قرابته ﷺ القربى منهم وهم المؤمنون، ولذلك فرق عمر رضي الله عنه بين من هو أقرب قرابة وأقرب قربى وهو عربي نزل القرآن بلسانه، فلولا ما في ذلك فرقان في لسانهم واصطلاحهم ما فرق عمر بين القربى والقرابة، وانظر ذلك في القرآن في المغانم في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] وليسوا إلا المؤمنين من القرابة، فجاء بلفظ القربى دون لفظ القرابة، فإن القرابة إذا لم يكن لهم قربى الإيمان لا حظ لهم في ذلك ولا في الميراث وهو قول النبي ﷺ يوم دخل مكة: «**مَا تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ**» لأنه الذي ورث أباه دون علي لإيمان علي وكفر عقيل، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] فلو كان المودة في القربى التي سألها رسول الله ﷺ منا يريد به القرابة ما نفاها الحق عنها في قوله: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ولو كانوا قرابتهم، فعلمنا أن المودة في القربى أنها من أهل الإيمان منهم وهم الأقربون إلى الله، فتميز ﷺ عن سائر الرسل عليهم السلام بما أعطى الله لأمته في مودتهم في القربى، وتميزت أمته على سائر الأمم بما لها من الفضل في ذلك، لأن الفضل الزيادة وبالزيادة كانت خير أمة أُخرجت للناس أمة محمد ﷺ وإن كانت كل أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويؤمنون بالله فخصت هذه الأمة بأمور لم يخص بها أمة من الأمم، ولها أجور على ما خصصت به من الأعمال مما لم يستعمل فيها غيرهم من الأمم، فتميزوا بذلك يوم القيامة وظهر فضلهم، فالأجور مترددة بين الحق والخلق للحق أجر على خلقه لأعمال عملها لهم وللخلق أجر على الله لأعمال عملوها له ولأعمال عملوها للخلق رعاية للحق، كالعفو من العافين عن الناس وللخلق أجر على الخلق بتشريع الحق وحكمه في ذلك.

والذي يؤول إليه الأمر في هذه المسألة أن الأجور تتردد ما بين الحق والحق ليس للخلق في ذلك دخول إلا أنهم طريق لظهور هذه الأجور لولا وجد الخلق في ذلك لم يظهر

للإجارة حكم ولا للأجر عين، ولذلك كان الأجر جزاء وفاقاً لأن المؤجر حق والمؤجر حق إذ لا عامل إلا خالق العمل وهو الحق والخلق عمل وفيه ظهور العمل فلذلك زاحم وأدخل نفسه في ذلك وأقره الحق على هذه المزاحمة وقبلها، فمن الخلق من علم ذلك ومنهم من جهله.

وهذا المنزل يتسع المجال فيه ولا سيما لو أخذنا في تعيين الأجور وأصحابها، فلنذكر ما يتضمن هذا المنزل من العلوم:

فمن ذلك: علم أجور الخلق دون الحق وفيه علم الاتصال بمن والانفصال عمن والانفصال والاتصال فيمن وهو علم غريب يتضمن الوجود كله وغير الوجود، فإن الوجود المقيد قد انفصل عن حال العدم واتصل بحال الوجود انفصال ترجيح واتصال ترجيح، وأما الوجود المطلق فانفصاله عن العدم انفصال ذاتي غير مرجح، فمن علم هذا العلم علم أين كان وممن انفصل وبمن اتصل. وفيه علم التشبيه في المعاني بالمناسبات، وفيه علم الترتيب في التوقيت وبه يتعلق علم القضاء والقدر، وفيه علم الملك والتمليك وهل حكم التمليك إذا وقع حكم الملك الأصلي أو يختلف حكمهما؟ وفيه علم ما تميز به عالم الأركان من عالم الأفلاك الأخرى ولماذا قبل الاستحالة عالم الأركان فذهبت أعيان صوره كما تذهب صور أركانه باستحالة بعضها إلى بعض بالسخافة والكثافة وعالم الأفلاك ليس كذلك وإنما استحالتهم ظهورهم في الصور التي يظهرون فيها لعالم الأركان، ولما كانت هذه الاستحالة في الصور الطبيعية التي ظهرت من دون الطبيعة ولم تظهر في العالم الذي فوق الطبيعة وظهرت في التجلي الإلهيّ وظهر حكمه بالاستحالة العنصرية في أعيان صوره وفي صوره بل لا في صوره وهل يرجع هذا كله لتغير الأمر في نفسه أو يكون ذلك في نظر الناظر؟ وفيه علم المتقابلات هل يفتقر العلم به إلى العلم بمقابله أو ينفرد كل واحد في العلم بنفسه دون العلم بالمقابل من غير توقف عليه؟ وهذا لا يكون إلا عند من لا يرى أن العين واحدة. وفيه علم أثر الطبيعة في الملأ الأعلى ومكانه، وفيه علم أحوال الملأ الأعلى، وفيه علم اجتماع الموحدين والمشركين في الحفظ الإلهيّ وهل ذلك من باب الاعتناء بالخلق وإن جهلوا أو هو من باب إعطاء الحقائق في أن لا يكون الأمر إلا هكذا إلا أنه من باب العناية وهو عندنا من باب العناية بالإعلام الإلهي بذلك بطريق الإيماء لا بالتصريح لأن هذا من علم الأسرار التي لا تفشى في العموم ولكن لها أهل ينبغي للعالم بذلك أن يبديه لأهله فإنه إذا لم يعطه لأهله فقد ظلم الجانبين العلم ومن هو أهل له، وفيه علم مراتب الأدوات العاملة والظاهرة أحكامها في العبارات وهو علم الحروف التي جاءت لمعنى فمنها مركب وغير مركب، وفيه علم تقسيم الظالمين من ينصر منهم ممن لا ينصر، ولماذا يرجع الظلم في وجوده هل وجوده من الظلمة أو من النور؟ وفيه علم كون الحق عين الأشياء ولا يعرف، وفيه علم الفرق بين الحياة والأحياء وإذا وقع الأحياء بماذا يقع هل بالحياة القديمة أو ثم حياة حادثة تظهر بالأحياء في الأحياء؟ وفيه علم الرجوع ممن وإلى من والاعتماد فيماذا وعلى من؟ وفيه علم فيماذا خلق الله الخلق هل خلقه

في شيء أو خلقه لا في شيء فيكون عين المخلوقات عين شيئياتها، وفيه علم اشتراك الحق والخلق في الوجود وجميع ما اشتركوا فيه هل هو اشتراك معقول أو مقول لا غير؟ وفيه علم النواميس الموضوعة في العالم هل تضمها حضرة واحدة جامعة أو لكل ناموس حضرة أو يجمعها حضرتان لا غير؟ فينسب الناموس الواحد إلى الحكمة والناموس الآخر إلى الحكم الإلهيّ النبويّ وإن كثرت أنواعها. وفيه علم الاختصاص الإلهي لبعض المخلوقات بماذا وقع هل بالعناية أو بالاستحقاق وهو علم منع أهل الله عن كشفه في العموم والخصوص لأنه علم ذوق لا ينال بالقياس ولا بضرب المثل؟ وفيه علم كلمة الوصل والفصل هل هي كلمة واحدة أو كلمتان؟ وفيه علم تفاضل أهل الكتب هل هو راجع لفضل الكتب أم لا؟ وهل للكتب المنزلة فضل بعضها على بعض أم لا فضل فيها؟ فإن الله جعل في نفس القرآن التفاضل بين السور والآيات، فجعل سورة تعدل القرآن كله عشر مرات، وأخرى تقوم مقام نصفه في الحكم، وأخرى على الثلث، وأخرى على الربع، وآية لها السيادة على الآيات، وأخرى لها من آي القرآن ما للقلب من نشأة الإنسان وللقرآن تميز بالإعجاز على غيره من الكتب. وفيه علم المواخاة بين سور القرآن ولهذا قال عليه السلام: «**شَيَّبَتْنِي هُودُ وَأَخَواتُهَا**» فجعل بينهنّ أخوة، وفيه علم تقرير كل ملة على ما هي عليه وكل ذي نحلة على نحلته وما يلزمه من توفية حقها، وفيه علم من فارق الجماعة ما حكمه، وفيه علم المواخاة بين الكتب المنزلة من عند الله والموازين الإلهية الموضوعة في العالم على اختلاف صورها المعنوية والمحسوسة فالمعنوية كالبراهين الوجودية والجدلية والخطابية والموازين المحسوسة مشهود بالحس اختلافها، وفيه علم مواطن العجلة من مواطن التثبط، وفيه علم قوّة اللطيف وضعف الكثيف وأن القوّة للمتصرف والضعف للمتصرف فيه، وفيه علم ما يقتضي الزيادة مما يقتضي النقص وما بينهما من الفضل، وفيه علم تأخير حكم الحاكم عن إيقاعه في المحكوم عليه لشبهة تمنعه من ذلك حتى يستيقن أو يغلب على ظنه فيما لا يوصل إلى اليقين فيه، فإن الكافر في الدنيا يمكن أن يرجع مؤمناً عند الموت فإن عجل فيه الحكم قبل الموت بالكفر فما أعطى الحاكم حكم الشبهة حقها في موطنها، وفيه علم ما يقبل الزيادة من الأعمال مما لا يقبلها ولا يقبل النقص وهي في الشرائع: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [القصص: ٨٤] وهو عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وفيه علم نفوذ الكلمة هل هو لذاتها أم لا؟ وأنها من الكلم وهو الجرح وهو أثر من الجارح في المجروح، وكذلك كل كلمة لها أثر في السامع أدناه سماعه صورة ما نطق به وتكلم إلى ما فوق ذلك مما يحمله ذلك الكلام من المعاني، وفيه علم أصل البغي في العالم وهل هو مشتق من بغى يبغي إذا طلب فيكون البغي لما ذمه الله طلباً مقيداً إذا كان الطلب منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود وما دواء ذلك البغي؟ وفيه علم الطيّ والنشر لحكم الوقت، وفيه علم الدلالات والآيات هل ذلك أي كونها دلالات وآيات لأنفسها أو هي بالوضع؟ وفيه علم حدوث المشيئة لماذا يرجع والحق لا تقوم به الحوادث، وفيه علم النوازل هل تنزل ابتداء أو تنزل جزاء، وفيه علم السكون والحركة وعلم المواطن

التي ينبغي أن يظهر فيها حكم السكون وحكم الحركة، وفيه علم ما يعطي الله عباده في الدنيا من علوم ومراتب وغير ذلك هل هو من الدنيا أو هو من الآخرة؟ وفيه علم الاستجابة لأوامر الله إذا قامت صورتها ظاهرة هل تنفع بصورتها وأين تنفع؟ أو هل لا تنفع إلا حتى ينفخ في تلك الصورة روح تحيا به وهو صورة الباطن، ويتعلق بهذا العلم علم الصور مطلقاً هل لها ظاهر وباطن أو منها ما هي ظاهرة لا باطن لها؟ وفيه علم ما الباعث للحيوان كله على طلب الانتصار لنفسه هل هو دفع للأذى أو هو جزاء أو طلب انتقام أو بعضه لهذا وبعضه لهذا؟ وفيه علم التحسين والتقبيح هل ذلك راجع لذات الحسن والقبح أو لأمر عارض؟ وفيه علم ما يحب ويكره من النعوت، وفيه علم ما يرفع الحرج ممن ظهر منه ما يكرهه الطبع، وفيه علم الأسباب التي تمنع ما يطلب الطبع ظهوره، وفيه علم ما لا يدرك إلا بالنظر الدقيق الخفي، وفيه علم الإقامة والانتقال في الأحوال هل الأحوال تنتقل والعبد ثابت أو العبد منتقل في الأحوال والأحوال ثابتة؟ وهو من العلوم الغريبة الموقوفة على الكشف، وفيه علم ما ينكر من الحق مما لا ينكر، وعلم ما يقره الحق من الباطل مما لا يقره، وما الباطل الذي يقبل الزوال من الباطل الذي لا يقبله، وفيه علم الإنتاج وغير الإنتاج مع وجود المقدمات ومتى تنتج المقدمات، وفيه علم حجاب ظاهر النشأة وما مسمى البشر منها وهل لباطنها مباشرة كما لظاهرها أم لا؟ وفيه علم ما الحجاب الذي بين الله وبين عبده، وفيه علم الكلام المحدث والقديم لماذا يرجع هل يختلف أو حكم ذلك واحد؟ وفيه علم الأنوار ومراتبها وسبحات الوجه ولماذا تعددت والوجه واحد والسبحات كثيرة، وفيه علم التمييز بين السبل الإلهية، وفيه علم المبدأ والمعاد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرين في تفصيل الوحي من حضرة حمد الملك كله

[المتقارب]:

لـقـد فَـصَّـلَ الله آيـاتِـهِ ... لـكـل لَـبـيـبٍ بـعـيـد الـمَـدَى
وأحْـكَـمَـهَـا لـقُـلُـوب زَكَـتْ ... ولـم تَـتَّـبِـعْ غَـيْـرَ سُـبُـل الـهُـدَى
ونـطـق مـن لـم يـزل نـاطـقـاً ... لأسـمـاعـنـا نـاشـداً مُـنْـشِـدَا
فـحَـيَّـرَ ألـبـابَـنـا نُـطْـقُـهُ ... وجـاء بـنُـور الـهُـدَى فـاهْـتَـدَى
بـصـيـرٌ بـأنـواره ظـاهـرٌ ... لـه الـمـنـتـهـى ولـه الـمُـبْـتَـدَى

اعلم أيدك الله أن الاسمين الإلهيين «المدبر» و«المفصل» هما رأسا هذا المنزل اللذان يهبان للداخل فيه جميع ما يحمله وما يتضمنه من العلوم الإلهية مما يطلب الأكوان ومما يتعلق بالله، وحكم المدبر في الأمور أحكامها في حضرة الجمع والشهود وإعطاؤها ما تستحقه، وهذا كله قبل وجودها في أعيانها وهي موجودة له، فإذا أحكمها كما ذكرناه أخذها المفصل وهذا الاسم مخصوص بالمراتب، فأنزل كل كون وأمر في مرتبته ومنزلته كأمير المجلس عند

السلطان. ثم إن المدبر لما خلق الله رحمتين وهما أوّل خلق خلقه الله الرحمة الواحدة بسيطة وخلق الرحمة الأخرى مركبة فرحم بالبسيطة جميع ما خلق الله من البسائط ورحم بالمركبة جميع ما خلق الله من المركبات وجعل للرحمة المركبة ثلاثة منازل لأن المركب ذو طرفين وواسطة، والواسطة عين البرزخ الذي بين الطرفين حتى يتميزا فيرحم كل مرحوم من المركب بالرحمة المركبة من هذه المنازل، فبالرحمة الأولى المركبة ضم أجزاء الأجسام بعضها إلى بعض حتى ظهرت أعيانها صوراً قائمة، وبالرحمة الثانية المركبة من المنزل الثاني ركب المعاني والصفات والأخلاق والعلوم في النفس الناطقة والنفس الحيوانية الحاملة للقوى الحسية، وبالرحمة الثالثة المركبة ضم النفوس الناطقة إلى تدبير الأجسام فهو تركيب روح وجسم، وهذا النوع من التركيب هو الذي يتصف بالموت، فأبرز المدبر هذه النفوس من أبدانها بتوجه النفخ الإلهيّ عليها من الروح المضاف إليه تعالى، فركبها المدبر مع الجسم الذي تولدت عنه وهو تركيب اختيار، ولو كان تركيب استحقاق ما فارقه بالموت وجعله مدبراً لجسد آخر برزخيّ وألحق هذا بالتراب، ثم ينشىء له نشأة أخرى يركبه فيها في الآخرة، فلما اختلفت المراكب علمنا أن هذا الجسم المعين الذي هو أم لهذه النفس الناطقة المتولدة عنه ما هي مدبرة له بحكم الاستحقاق لانتقال تدبيرها إلى غيره، وإنما الجسم الذي تولدت عنه على هذه النفس له من الحق أنها ما دامت مدبرة له لا تحرك جوارحه إلا في طاعة الله تعالى، وفي الأماكن والأحوال التي عينها الله على لسان الشارع لها، هذا ما يستحقه عليها هذا الجسم لما له عليها من حق الولادة.

فمن النفوس من هو ابن بار فيسمع لأبويه ويطيع وفي رضاهما رضى الله، قال عز وجل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي﴾ من الوجه الخاص ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] من الوجه السببي ومن النفوس ما هو ابن عاق فلا يسمع ولا يطيع، فالجسم لا يأمر النفس إلا بخير، ولهذا يشهد على ابنه يوم القيامة جلود الجسم وجميع جوراحه فإن هذا الابن قهرها وصرفها حيث يهوى، وقسم الله هذه الرحمة المركبة على أجزاء معلومة أعطى منها جبريل ستمائة جزء بها يرحم الله أهل الجنة، وجعل بيده تسعة عشر جزءاً يرحم بهذه الأجزاء أهل النار الذين هم أهلها يدفع بها ملائكة العذاب الذي هم تسعة عشر كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] وأما المائة رحمة التي خلقها الله فجعل منها في الدنيا رحمة واحدة بها رزق عباده كافرهم ومؤمنهم وعاصيهم ومطيعهم، وبها يعطف جميع الحيوان على أولاده، وبها يرحم الناس بعضهم بعضاً ويتعاطفون كما قال الله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩] «والمنافقين بعضهم أولياء بعض» كل هذا ثمرة هذه الرحمة، فإذا كان في الآخرة يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين رحمة المدخرة عنده فرحم بها عباده على التدريج والترتيب الزمانيّ ليظهر بهذا التأخير مراتب الشفعاء وعناية الله بهم وتميزهم على غيرهم، فإذا لم يبق في النار إلا أهلها القاطنون بها الذين لا خروج لهم منها وأرادت ملائكة العذاب التسعة عشر عذاب أهل النار تجسد من الرحمة المركبة تسعة عشر

ملكاً فحالوا بين ملائكة العذاب وأهل النار ووقفوا دونهم وعضدتهم الرحمة التي وسعت كل شيء، فإن ملائكة العذاب قد وسعتهم الرحمة كسائر الأشياء، فيمنعهم ما وسعهم منها عن مقاومة هذه الرحمة المركبة، وكان الذي يعضدهم أوّلاً غضب الله الذي ظهر من إغضاب المخالفين، فلما انقضى مجلس المحاكمة وكان الحق قد أمر بمن أمر به إلى السجن وهو جهنم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] أي سجناً لأن المحصور مسجون ممنوع من التصرف بخلاف أهل الجنة فإن لهم التبوّأ منها حيث يشاؤون، وليس كذلك أهل النار، وهذا من الرفق الإلهي الخفي بعباده، فلو أعطاهم التبوّأ من النار حيث يشاؤون لكانوا لا يستقرّ بهم قرار طلباً للفرار من العذاب إذا أحسوا به رجاء أن يكون لهم في مكان آخر منها راحة وفي وقت العذاب ما فيها راحة، فكان لا يبقى في جهنم نوع من العذاب إلا ذاقوه، والعذاب المستصحب أهون من العذاب المجدّد وكذا النعيم، ولهذا يبدل الله جلودهم في النار إذا نضجت ليذوقوا العذاب، فيمشي عليهم زمان يذوقون فيه العذاب مستصحباً إلى أن تنضج الجلود وحينئذ يتجدد عليهم بالتبديل عذاب جديد، فلو كان لهم التبوؤ من جهنم حيث يشاؤون لما استقرّوا حتى تنضج جلودهم بل كانوا يذوقون في كل موضع ينتقلون إليه عذاباً جديداً إلى حصول الإنضاج، فيكون ذلك الانتقال أشد في عذابهم فرحمهم الله من حيث لا يشعرون كما مكر بهم من حيث لا يشعرون.

فهذه سبعمائة رحمة وتسع عشرة رحمة مائة منها بيد الله لم يتصرف فيها أحد من خلق الله اختص بها لنفسه بها يرحم الله عباده بارتفاع الوسائط بل منه للمرحوم خاصة وهي على عدد الأسماء الإلهية أسماء الإحصاء التسعة والتسعين اسماً رحمة واحدة لكل اسم من هذه المائة التي بيد الله لا علم لمخلوق بها وتمام المائة الرحمة المضافة إليه التي وسعت كل شيء، فبهذه المائة رحمة ينظر إلى درج الجنة وهي مائة درجة وبها بعد انقضاء زمان استحقاق العذاب ينظر إلى دركات النار وهي مائة درك كل درك يقابل درجة من الجنة، فتتأيد بهذه الرحمة الواسعة التسع عشرة رحمة التي تقاوم ملائكة العذاب في النار، وتلك الملائكة قد وسعتهم فيجدون في نفوسهم رحمة بأهل النار لأنهم يرون الله قد تجلى في غير صورة الغضب الذي كان قد حرضهم على الانتقام لله من الأعداء، فيشفعون عند الله في حق أهل النار الذين لا يخرجون منها فيكونون لهم بعدما كانوا عليهم فيقبل الله شفاعتهم فيهم وقد حقت الكلمة الإلهية أنهم عمار تلك الدار فيجعل الحكم فيهم للرحمة التي وسعت كل شيء، ولهذه التسع عشرة رحمة التي هي الرحمة المركبة فأعطاهم في جهنم نعيم المقرور والمحرور، لأن نعيم المقرور بوجود النار ونعيم المحرور بوجود الزمهرير، فتبقى جهنم على صورتها ذات حرور وزمهرير، ويبقى أهلها متنعمين فيها بحرورها وزمهريرها، ولهذا أهل جهنم لا يتزاورون إلا أهل كل طبقة في طبقتهم، فيتزاور المحرورون بعضهم في بعض، ويتزاور المقرورون بعضهم في بعض، لا يزور مقرور محروراً ولا محرور مقروراً، وأهل الجنة يتزاورون كلهم لأنهم على صفة واحدة في قبول النعيم لأنهم كانوا هنا أعني في دار

التكليف أهل توحيد لم يشركوا توحيد علم أو توحيد إيمان، وأهل النار لم يكن لهم صفة التوحد وكانوا أهل شرك فلهذا لم يكن لهم صفة أحدية تعمهم في النعيم مطلقاً من غير تقييد، فهم في جهنم فريقان وأهل الجنة فريق واحد، فينفرد كل شريك بطائفة وهؤلاء هم الثنوية ما ثم غيرهم وهم أهل النار الذين هم أهلها؛ وأما أهل التثليث فيرجى لهم التخلص لما في التثليث من الفردية لأن الفرد من نعوت الواحد فهم موحدون توحيد تركيب فيرجى أن تعمهم الرحمة المركبة ولهذا سموا كفاراً لأنهم ستروا الثاني بالثالث فصار الثاني بين الواحد والثالث كالبرزخ، فربما لحق أهل التثليث بالموحدين في حضرة الفردانية لا في حضرة الوحدانية، وهكذا لما رأيناهم في الكشف المعنوي لم نقدر أن نميز ما بين الموحدين وأهل التثليث إلا بحضرة الفردانية، فإني ما رأيت لهم ظلاً في الوحدانية ورأيت أعيانهم في الفردية، ورأيت أعيان الموحدين في الوحدانية والفردانية فعلمت الفرق بين الطائفتين. وأما ما زاد على أهل التثليث فالكل ناجون بحمد الله من جهنم ونعيمهم في الجنة يتبوّأون منها حيث يشاؤون كما كانوا في الدنيا ينزلون من حضرات الأسماء الإلهية حيث يشاؤون بوجه حق مشروع لهم كما كانوا إذا توضؤوا يدخلون من أيّ باب شاؤوا من أبواب الجنة الثمانية.

وإذا علمت هذا فاعلم أن هذه الرحمة المركبة تعمّ جميع الموجودات وأنها مركبة من رحمة عامة وهي التي وسعت كل شيء، ومن رحمة خاصة وهي الرحمة التي تميز بها من اصطفاه الله واصطنعه لنفسه من رسول ونبيّ وولي، وبهذه الرحمة المركبة جمع الله الكتب وأنزل كل كتاب سوراً وآيات، فمن آياته ما بقي كالقرآن وكل آية ظهرت بطريق الإعجاز، ومن آياته ما لم يبق فبقي اقتصار حكمها على من جاء بها فدلت على غيره كما دلت عليه، فإن الله جعلها علامة على صدق ما ادّعاه كل واحد واحد ممن ادّعى القرب من الله إما بالحال وإن لم ينطق بالدعوى لما يرى عليه من آثار طاعة ربه، وإما بالدعوى من حيث نطقه بذلك ولا يقع ذلك إلا عن غفلة فإنهم مأمورون بستر هذه الآيات أعني الأولياء فهي منسوخة في الأولياء محكمة في الأنبياء والرسل فقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ يقول من علامة ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ يقول أو نتركها يعني نتركها آية للأولياء كما كانت آية للأنبياء ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ من باب المفاضلة أي بأزيد منها في الدلالة وهي آيات الإعجاز فلا تكون إلا لأصحابها أو لمن قام فيها بالنيابة على صدق أصحابها، فلا يكون لوليّ قط هذه العلامة من حيث صحة مرتبته، وأما قوله: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] الضمير يرجع إلى الآية المنسوخة فلم يكن لها صفة الإعجاز بل هي مثل الأولى. ولا يصح حمل هذه الآية على أنها آي القرآن التي نزلت في الأحكام فنسخ بآية ما كان أثبت حكمه في آية قبلها، فإنّ الله ما قال في آخر هذه الآية ألم تعلم أنّ الله عليم خبير ولا حكيم. ومثل هذه الأسماء هي التي تليق بنظم القرآن الوارد بآيات الأحكام وإنما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] فأراد الآيات التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم السلام لصدق دعواهم في أنهم رسل الله، فمنها ما تركها آية إلى يوم القيامة كالقرآن، ومنها ما رفعها ولم تظهر إلى يوم القيامة، فلما جمع الله بهذه الرحمة المركبة القرآن في الكتب لا في

الصدور فإنه في الصدور قرآن وفي اللسان كلام وفي المصاحف كتاب، وضع ذلك الاسم المفصل عن أمر المدبر فإنه متقدّم عليه بالرتبة فلهذا له الحكم في التفصيل بالقوّة وللمفصل بالفعل ومنزل الرحمة رحب واسع المجال فيه، وكيف لا يتسع وقد وسعت كل شيء؟.

هذا القدر كاف فيما يقع به المنفعة للسامعين من الناس، فذكرنا حكمها في الدارين وما يعود منها علينا وهو الغرض المقصود.

وفي هذا المنزل معرفة منازل الرحمة المركبة وإلى كم تنتهي منازلها والمنزل الذي أكدت فيه والمنزل الذي لم تؤكد فيه، وعلى كم من درج وقع التوكيد فيها؟ وفيه علم ما لا يعلم إلا من طريق الخبر الإلهيّ، وعلم الإبانة عن مقام الجمع كالصلاة الجامعة بين الله والعبد في قراءة فاتحة الكتاب، ومن هنا يؤخذ الدليل بفرضيتها على المصلي في الصلاة، فمن لم يقرأها في الصلاة فما صلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فإنه ما قال: قسمت الفاتحة، وإنما قال: «قسمتُ الصَّلاة» بالألف واللام اللتين للعهد والتعريف. فلما فسر الصلاة المعهودة بالتقسيم جعل محل القسمة قراءة الفاتحة، وهذا أقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة، وفيه علم تأثير الرحمة المركبة في العالم المحمديّ خاصة، وفيه علم تنزيل المعاني منزلة الأشخاص، وفيه علم التراجم، وفيه علم الطائفة التي سمعت وقيل فيها أنها لم تسمع مع وجود الفهم فيما سمعت فما الذي نفى عنها وما الذي أبقى لها، وفيه علم الحجب الكونية المظلمة والظلمانية ومن هو أهل كل حجاب وعمن حجب من حجب هل حجب عن سعادته أو عن مشاهدة ربه أو عن مشاهدة مقام رسوله؟ وفيه علم اجتراء الكون على الله، وفيه علم اللطف الإلهي بالمعاندين الرادّين لأوامره المنازعين لناصريه، وفيه علم ما شيب رسول الله ﷺ الذي ذكره في سورة هود وأخواتها، وفيه علم طلب السر الإلهيّ، وفيه علم الإحاطة بما لا يتناهى، وفيه علم الجزاء لذي هو على غير الوفاق الزمانيّ فإن مدد الأعمال التي تطلب الأجور متناهية والأجر عليها غير متناه فما هو الجزاء الوفاق من غير الوفاق، وفيه علم الإنكار والإقرار والتقرير والتوبيخ وما صفته وأين محله؟ وفيه علم الخلق الجسميّ والجسماني ومراتب الخلق وكم له من المقدار الزمانيّ، وفيه علم المراتب المضاف إليها الرب، وفيه علم القصد الإلهيّ. وفيه علم موضع الأجوبة التي تكون بحكم المطابقة عند سؤال السائل، وفيه علم مرتبة العاقل وشرفه على العالم إذا كان عالماً، فإن العاقل إذا رأى ما لا بد له منه بادر إليه وغير العاقل لا يفعل ذلك، وفيه علم من خلق لأمر واحد ومن خلق لأمرين فصاعداً، ومن وفى بما خلق له ومن لم يوف بما خلق له، وفيه علم سعادة من استكبر بحق ممن استكبر بنفسه كإبليس ومن شاء الله، وفيه علم تقرير المناسبة بينه وبين خلقه وأين هذا التقرير من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومثل ما جاء في الخبر: «**لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**» الحديث، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وفيه علم المفاضلة وأصنافها ومحلها، وفيه علم الاختيار الكونيّ وأنه مجبور في اختياره وهل له مستند إلهيّ في جبره في اختياره أم لا؟ وقوله: فيسبق

عليه الكتاب، وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] هل معناه إنما التبديل لله ليس للخلق تبديل أو لا تبديل لخلق الله من كونه أعطى كل شيء خلقه. وفيه علم حكمة الأخذ الإلهي جزاء هل يعم أو يؤلم ابتداء من غير جزاء كإيلام البريء والصغير فهل هو كما قاله القائل أو ليس الأمر كذلك؟ وإنما هو بريء في ظاهر الأمر مما نسب إليه وما هو بريء عند الله من أمر آخر وقع منه في حق حيوان أم ما لا يعلمه إلا الله، والمبتلى أن تذكره فلا يكون على هذا الأخذ أبداً بل له جزء ابتداء، وإنما قاله من قاله بنسبة خاصة رأى الأخذ عندها مع براءة المأخوذ بما نسب إليه من تلك النسبة الخاصة، ولم يكن عند الله الأخذ إلا من أمر عمله استحق به هذه العقوبة فانتظر انقضاء زمان المهملة فانقضى عند دعوى عليه غير صادقة هو منها بريء فأخذ عندها، وإنما كان الأخذ بما تقدم فقيل: هذا الأخذ وهو بريء مما نسب إليه فصدقوا أنه بريء ولم يصدقوا في أنه أخذ من أجل تلك الدعوى عليه، وهو من علم المكاشفة والاعتبار، والمكاشفة في تحصيل هذا العلم أتم لأنه يعين لك الكشف العلة على خصوصها، والاعتبار يجملها لك من غير تعيين، أو يخرج لها عللاً محتملة لا يدري ما أوجب ذلك الأخذ منها، فهذا الفرق بين أهل الاعتبار والكشف. وفيه علم إلحاق الله بصفة المتقين حتى كان وليهم فإنه ولي المؤمنين لأنه مؤمن وهو ولي المتقين، فمن أين يوصف الحق بأنه متق، وفيه علم من أين أعطى من أعطَى العلم بنطق العالم من غير جهة الخبر فإن الخبر تقليد، وفيه علم تأثير الأحوال في أصحابها عند الله، وفيه علم ترك الأدب لما يرجى في ذلك من نيل الغرض المقصود، وسواء كان محموداً أو مذموماً لأنه ما كل غرض محمود ولا كل عرض مذموم، وفيه علم تغير الأحوال لتغير الوارد، وفيه علم المؤاخاة بين الملائكة والناس الصلحاء منهم، وفيه علم أين ينزل أهل الله يوم القيامة وفي الجنان وأي اسم يصحبهم من الأسماء الإلهية؟ وفيه علم توقف الأسماء الإلهيّة بعضها على بعض وأنها تعطي بالمجموع أمراً لا يكون يعطيه فرد فرد من ذلك المجموع، وفيه علم ما تنتجه السياسة الحكمية التي تقضي بها العقول وأنها في ذلك على بصيرة من حيث لا تشعر أعطتها ذلك تجربتها النفوس وما صفة من يقول بهذا العلم؟ وفيه علم الميل لم يميل ولم يمال؟ وفيه علم النظر في الأولى فالأولى، وفيه علم الأعواض وهو إذا اعتاض عليك أمر تعوّضت عنه بأمر يقوم مقامه فيما تريد، إما موازنة سواء وإما أزيد بقليل أو أنقص منه بقليل، بحيث أنه لا يؤثر في المطلوب أثراً يخرجه عن نيل غرضه بالكلية وهل في الوجود من لا عوض له إذا فقد أم لا؟ وفيه علم تمييز الرجال بالأحوال. وفيه علم تقاسيم الأوامر الإلهية التي تقسمها قرائن الأحوال وما حكم الأمر إذا تعرى عن قرائن الأحوال؟ هل حكمه الوجوب أم لا أو التوقف؟ وهل تعريه عن قرائن الأحوال قرينة حال عدمية تعطيه الوجوب؟ وهل عندنا قرينة حال تعطي الوجوب للأمر؟ وفيه علم وصف العدم بأوصاف الوجود من الانتقال من حال إلى حال مع كونه عدماً لا يزول عن هذا الوصف، وفيه علم من أين قدم الله في نعته نفسه في كلامه بالرحمة على الأخذ ولم يفعل ذلك في صفة الكون فإنه قد قدم في صفة الكون

صفة أهل المقت على صفة أهل السعادة كما وقع في سورة الغاشية وأمثالها، وهل جاء مثل هذا ليفرق بين الخلق والحق أم لا؟ وفيه علم الوجهين في الأشياء، فما من شيء إلا وفيه نفع بوجه وضرر بوجه أي شيء كان إذا اعتبرته ووزنته وجدت الأمر كما قلنا، فليس لشيء في الوجود وجه واحد أبداً أعظمها وأرفعها نور الله به ظهرت الأشياء من خلف الحجب ولو شال الحجب لأحرقت ما أوجدته فهي الموجدة المعدمة، وكذا نزول القرآن له وجه نفع في المؤمن فإنه يزيد به إيماناً وفيه وجه ضرر للكافر لأنه يزيد رجساً إلى رجسه قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم من رحمته بخلقه أن قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] فأعطانا العلامة، فمن وجد في نفسه تلك العلامة علم أنه من أهل الضلال. وفيه علم البعد الإلهيّ والقرب الإلهيّ من السعداء والأشقياء، والقرب الكوني والبعد الكوني هل هو على موازنة القرب والبعد الإلهيّ أو لهذا حكم ولهذا حكم؟ وكذلك هو وفيه علم من علمه علم أنه ليس لله من أعمال العبد شيء، وفيه علم ما هو العلم، وفيه علم ما يوجب السآمة والملل ومن يتصف بهما من العالم ممن لا يتصف بهما مع كون الحق قد وصف نفسه بالملل إذا مل عبده من الخير الذي يكون عليه أو الشر سواء، وفيه علم ما لا ينفع من الظنون بالخير عند الله وما ينفع منها، وفيه علم أسباب رجعة الكون إلى الله في الدنيا، وفيه علم أن الحق هو عين الأشياء بما هو عين الأشياء هل بنفسه أو بشهوده أو بإحاطته؟ وفيه علم ما هو الحق وحكم هذا الاسم حيث ورد هل تختلف أحكامه؟ أو هو عين واحدة في كل موضع ورد، فإن الناس تفرقوا في ذلك فرقاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الباب الرابع والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرين من أسرار المغفرة وهو من الحضرة المحمدية

[الطويل]:

رأيتُ رجالاً لا يرون بكافر ... ولا كاذب والشأن صدقٌ وإيمانُ

فقلت لهم كُفُّوا عن الزُّور إنه ... مقامٌ ولكن فيه بَخْسٌ ونُقْصَانُ

فما كلُّ عَيْنٍ في الوجود مغايرٌ ... ولا كل كون ما سوى الله إنسانُ

ولكنه منه كبيرٌ مُقَدَّمٌ ... ومنه صغير فيه حَقٌّ وبُهْتانُ

فلولا وجودي لم يكن ثَمَّ عالَمٌ ... ولا كانت أسماءٌ ولا كانت أعيانُ

وكان وحيدَ الذات ليس بخالق ... ولا مالك يقضي بذلك برهانُ

ودَلَّ دليلُ العقل في كل حالة ... بأن إلَهَ الخلق في الخلق مِحْسَانُ

قد قدمنا أن لله رحمة عامّة ورحمة خاصة وأن الله خص هذه الأمة برحمة خاصة فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أُمتَّي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيسَ عَلَيهَا فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ إنَّمَا عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الزَّلازِلُ وَالقَتْلُ وَالبَلاءُ**» خرج هذا الحديث البيهقي في كتاب «الأدب» له في باب «المؤمن قلّ

ما يخلو من البلاء لما يراد به من الخير» من طريق أبي القاسم علي بن محمد بن علي الإيادي عن أبي جعفر عبد الله بن إسماعيل إملاء عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عن محمد بن أبي بكر عن معاذ بن معاذ عن المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال: «قال رسول الله ﷺ» الحديث، وكلهم قالوا حدّثنا إلا المسعودي فإنه عنعنه، وإلا البيهقي فإنه قال: أخبرنا. وفي الباب عن أبي بردة قال: كنت جالساً عند ابن زياد وعنده عبد الله بن يزيد فجعل يؤتى برؤوس الخوارج قال: وكانوا إذا مرّوا برأس قلت: إلى النار، قال: فقال لي: لا تفعل يا ابن أخي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَكُونُ عَذَابُ هٰذِهِ الأُمَّةِ فِي دُنْيَاهَا**» وقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَوْنَ وَلٰكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ**» ولم يخصص ﷺ أمة من أمة فإنه ما قال ناس من أمتي، فهذه رحمة عامة فيمن ليس من أهل النار، ثم قال ﷺ: «**فَأَمَاتَهُمُ الله فِيهَا إِمَاتَةً**» فأكده بالمصدر، فهذا كله قبل ذبح الموت، وإنما أماتهم حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم، فإن النفوس التامة هي الموحدة المؤمنة فيمنع التوحيد والإيمان قيام الآلام والعذاب بها، والحواس أعني الجسوم كلها مطيعة لله فلا تحس بآلام الإحراق الذي يصيرهم حمماً، فإن الميت لا يحس بما يفعل به وإن كان يعلمه فما كل ما يعلم يحس به، فرفع الله العذاب عن الموحدين والمؤمنين، وإن دخلوا النار فما أدخلهم الله النار إلا لتحقق الكلمة الإلهية ويقع التمييز بين الذين اجترحوا السيئات وبين الذين عملوا الصالحات، فهذا حديث صحيح يعم الناس، ويبقى العذاب على أهل النار الذين هم أهلها يجري إلى أجل مسمى عند الله إلى أن تذكرهم ملائكة العذاب التسعة عشر فإن الملائكة إذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر فتتأخر شفاعتهم إلى أوان اتصافهم بالرحمة عندما يرتفع شهودهم غضب الله إيثاراً منهم لجناب الله على الخلق، فإن الملائكة تشفع يوم القيامة يقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فيشفع عند شديد العقاب والمنتقم، وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهيّة، فيخرج من النار كل موحد وحد الله من حيث علمه لا من حيث إيمانه وما له عمل خير غير ذلك لكنه عن غير إيمان فلذلك اختص الله به، وهذا الصنف من الموحدين هم الذين شهدوا مع شهادة الله سبحانه والملائكة أنه لا إله إلا هو، فمن هناك سبقت لهم العناية بالاشتراك في الشهادة ولم يعرفهم إلا الله وحده والملائكة وإن عرفتهم فإن الملائكة تحت أمر الله كالثقلين فيحترمون جناب الله ويؤثرونه على هؤلاء، فلا يقدمون على الشفاعة فيهم لمخالفتهم أمر الله وعدم قبولهم الإيمان، فينفرد الله وحده سبحانه من كونه أرحم الراحمين بإخراج هؤلاء من النار ويترك أهلها فيها على حالهم إلى تجليه في صورة الرضا وعموم حكم الرحمة المركبة في عالم التركيب وشفاعة ملائكة العذاب، فحينئذ يتغير الحال على أهل النار كما ذكرناه من المحرور والمقرور.

واعلم أن الموازنة بحكم الاعتدال معقولة غير موجودة الحكم لأنه لو كان لها حكم

ما كان التكوين واقعاً لأن حكمها الاعتدال، والاعتدال يقابل الميل ولا يكون التكوين إلا بالميل: ولما علم النبيّ ﷺ من الله أنه ما أوجد العالم إلا بترجيح أحد الإمكانين قال رسول الله ﷺ لقاضي الدين: «**إذا وَزَنْتَ فَأَرْجِحْ**» فَإِنَّ المُمْكِنَ الوَجْهَانِ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ فَمَا أَوْجَدَهُ الله إلاّ بِالتَّرْجِيحِ. ثم إن الله ذكر عن نفسه ما كان عليه ولا عالم فذكر عن نفسه أنه أحب أن يعرف فرجح جانب المعرفة به على مقابله فخلق العالم بالترجيح لجانب العلم على مقابله، فلما وازن الله بين الرحمة والغضب رجحت الرحمة وثقلت وارتفع الغضب الإلهيّ، ولا معنى لارتفاع الشيء إلا زوال حكمه فلم يبق للغضب الإلهي حكم في المآل، فإنه في المآل وقع ترجيح الرحمة وارتفاع الغضب لخفته، فما ظهر حكم الغضب إلا في حال وضع الغضب والرحمة في الميزان، فحكم كل واحد منهما في العالم إلى أن يظهر الترجيح فيرتفع حكم الغضب، وما قلنا هذا إلا ردّاً لما قاله من يدعي الكشف فقال في الموازنة الإلهية: «إن الله لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله وإن القبضتين على السواء من جميع الوجوه»، وهذا من أعظم الغلط الذي يطرأ على أهل الكشف لعدم الأستاذ، وما يقول هذا إلا من لم يكن بين يدي أستاذ قد رباه أستاذ متشرع عارف بموارد الأحكام الشرعية ومصادرها، فإن الله ما نصب طريقاً إلى معرفته التي لا يستقل العقل بإدراكها من حيث فكره إلا ما شرعه لعباده على ألسنة رسله وأنبيائه، وإنما قلنا هذا لما علمنا أن ثم طريقاً آخر يقتضيه الوجود ويحصله بعض النفوس الفاضلة فأردنا أن نرفع الإشكال، وذلك أن النفوس تصفو بالرياضة وترك الشهوات الطبيعية والاستغراق في الأمور المحسوسة وتتشوّق إلى ما منه جاءت وما أريدت له وإلى أين مآلها وما مرتبتها من العالم؟ وعلمت من ذاتها أن وراء هذا الجسم أمراً آخر هو المحرّك له والمدبر لما عاينت من الموت النازل به فتنظر إلى آلاته على كمالها ولا ترى له تلك الإدراكات التي كانت له في زمان وصفه بالحياة، فعلمت أنه لا بد من أمر آخر هناك لا تعرف ما نسبته إلى هذا الجسم هل نسبة العرض إلى محله أو المتمكن إلى مكانه أو الملك إلى ملكه؟ ثم علمت أن بين الموت والنوم فرقاناً بما تراه في النوم من الصور وما تستفيده من الأحوال الملذة والمؤلمة وسرعة التغير في صورة النائم من حال إلى حال ولم تر ذلك في صورة الجسم، ثم تستيقظ فترى الجسم على حاله في صورته ما تغير، وترى انفعال الجسم في بعض الأوقات لما يطرأ للنائم في حال نومه مثل دفق الماء في الاحتلام عند رؤية الجماع في النوم. فعلمت بهذا كله أن وراء هذا الجسم أمراً آخر بينه وبين هذه الصورة علاقة؛ ثم إنها رأت تفاوت الأمثال في العلوم والفهم وافتقار بعضها إلى التعليم ونظرت إلى حال من زهد وفكر واتخذ الخلوات ولم يأخذ من لذات المحسوسات إلا ما تمس إليه الحاجات مما به قوام هذا الجسم، وأن صاحب هذا الحال يزيد على نفس أخرى بعلوم وفضائل يفتقر إليه فيها وفي العلم بها، فنظرت في الطريق الذي أوصل تلك النفوس دون غيرها إلى هذا المقام فلم تر مانعاً إلا انكباب بعض النفوس على تناول هذه المشتهيات الظاهرة الطبيعية والتنافس فيها فزهدت في ذلك كله وتحلت بمكارم الأخلاق ولم تترك لأحد

عليها مطالبة ولا علاقة ولم تزاحمهم على ما هم عليه، وجنحت إلى الخلوات ورفعت الهمة إلى الاستشراف لتعلم ما هو الأمر عليه، فلما كانت بهذه المثابة وكل ذلك نظر منها ما هو عن تقليد شرع إلهيّ وإنما هو عن فكرة صحيحة وإلهام إلهيّ ناقص غير كامل، لأن الإلهام الكامل أن يلهم لاتباع الشرع والنظر في كلامه وفي الكتب التي قيل لنا أنها جاءت من عند الله فمثل هذا هو الإلهام الأكمل، فلما صفت هذه النفس وشفَّت وصارت مثل المرآة وزال عنها صدأ هذه الطبيعية انتقش فيها صور العالم فرأت ما لم تكن رأته فنطقت بالغيوب والتحقت بالملأ الأعلى التحاق غريب ورد على غير موطنه وهو موطنه ولكن ما عرف لغربته لما سافر إلى أرض طبيعته وبدنه، فلم يكن له ذلك الإدلال ولا كمال الأنس بذلك العالم، ورأى اشتغال ذلك العالم عنه بالتسبيح والتقديس وما سخروا فيه من الأعمال في حق هذه المولدات العنصرية فرأت ما يختص منهم بتحريك الأفلاك وتسيير كواكبها وما يحدث في الأركان منها وعلمت ما لم تكن تعلم، وأخذت عن الأرواح الملكية علوماً لم تكن عندها وما علمت أن ثم طريقاً تصل منه إذا سلكت عليه إلى الأخذ عن الله منشىء الكل، وأن بينه وبينها باباً خاصاً يخصها فقالت: هذا هو الغاية وما ثم إلا هؤلاء، ونظرت إلى تفوقها بذلك على غيرها من أمثالها فقنعت، فكل ما يأتي به من هذا نعته وحاله ليس له ذوق إلهي البتة، ولا يأخذ أبداً إلا عن الأرواح والعقول الملكية أخذ حال لا أخذ نطق إلا إن تجسد له في خياله أمر يخاطبه، وصاحب الطريقة الشرعية يقلد الشارع فيما أخبره به من أنه ما ثم إله بينه وبين العالم مناسبة وأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا يشبه شيئاً من العالم أعلاه وأسفله، ومع هذا كله فله عين وأعين، ويد ويدان، ووجه، وكلام، ونزول، واستواء، وفرح، ومعية مع عباده بالصحبة وقرب وبعد، وإجابة لمن دعاه ورحمة، وأن العالم كله عبيد له خلقهم وفضل بعضهم على بعض، وأن له غضباً، وأن له خلفاء في الأرض من هذا النوع الإنساني، فعندما سمع ذلك وعلم أن ثم خليفة من نوعه تشوف إلى تلك المرتبة أن ينالها ورأى الطريق التي شرعها شارع وقته وخاطبه بها ورأى جميع ما كان يفعله صاحب تلك النفس التي فكرت بنظرها قد حرضها هذا الشارع عليه وحمده وقال به، فأخذ به هذا المؤمن من حيث إن هذا الشارع جاء به وعلق الهمة بربه الذي أوجده لما أعلمه الشارع أنه المنتهى فقال له: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] وليس وراء الله مرمى، فجعله موضع غايته وسلك سلوك المفكر الباحث صاحب النظر العقلي لكن بالطريق الشرعي، فصفت نفسه وصقلت مرآته وانتقش فيها صور العالم كله الروحاني، وإلى حدّ الطبيعة التي دون النفس يصل أهل الفكر، وما ينتقش فيهم مما فوقها إلا من يكون سلوكه على الطريق المشروع، فإذا وصل هذا السالك على طريق الشرع انتقش فيه ما في اللوح المحفوظ، فيرى مرتبة الشرائع ويرى نفسه وحظه ونصيبه وغايته من العالم فيعمل بحسب ما يراه فيرتفع بالطلب إلى الوجه الخاص به فيأخذ عن الحق أخذ إلهام وأخذ تجل وأخذ تنزيه وأخذ تشبيه، ويعاين سريان الوجود في الممكنات، ويعلم عند ذلك لمن الحكم فيما ظهر ومن هو الظاهر الذي تظهر فيه هذه الأحكام والاختلافات

الروحانية والطبيعية، فإذا نطق هذان الشخصان علم الكامل من الرجال الفرق بين الشخصين، وعلم من أين أتى على كل واحد منهما، ولماذا نقص السالك بفكره عن رتبة المتشرع، فصاحب الفكر لا يزال أبداً منكوس الرأس منتظراً ما يأتيه به الإمداد الروحاني، وصاحب الشرع لا يزال منكوس الرأس حياء من التجلي الإلهيّ في أوقات، كما لا يزال شبه الحائر الواله المبهوت إذا رآه في كل شيء فلا ينطق إلا به ولا ينظر إلا إليه ولا يعلم أن ثم عيناً سواه، فيطلبه الملأ الأعلى والأرواح العلىٰ والأفلاك الدائرة المتحركة والكواكب السابحة لتوصل إليه ما أمنت عليه مما يستحقه عليها، فلا تجد من يأخذ عنها بطريق الاعتبار والأدب، فتؤدي ذلك أداء ذاتياً ويأخذه منها ما بقي من نشأته أخذاً ذاتياً وهو غائب بربه عن هذا كله، فإذا رد إلى رؤية ذاته رأى في ذاته جميع ما أعطاه العالم كله أعلاه وأسفله مما هو له وهو أمانة عندهم، فشكر الله على ذلك وعلم أن كل ما في الكون مسخر له ولأمثاله ولكن لا يعلمون. فإذا حصل في هذا المقام رأى أن الذين أوتوا العلم على درجات يزيدون بها على غيرهم من أمثالهم، ويرى أن أمثاله بمثابته ولا علم لهم بذلك فيفرح بذاته ويحزن لهم حيث هم في مقام واحد معه ولا يشعرون بذلك وأنه ما فضل عليهم إلا بالعلم به وبهم وبما هو الأمر عليه، ولما ارتقى هذه الدرجات ارتقاء كشف وتحقيق ومعاينة يقينية طلب من أين له هذه الدرجات التي ارتقى فيها واختص دون أكثر أمثاله بها، فتجلى له الحق عند ذلك في اسمه رفيع الدرجات وأنه الملقي من هذه الدرجات الروح على من يشاء من عباده، فعلم أنه ممن شاء من عباده فقابل الدرجات بالدرجات، فإذا هي عينها لا غيرها، ورأى تلك الدرجات في العالم كله وأنه فيها فأخذ يظهر للعالم بها والعالم لا يشعر فيخاطب كل إنسان من حيث هو من درجته التي له فيقول هذا معي وعلى هذا مذهبي واعتقادي، فلا ينكره أحد من العالم ولا ينكر هو أحداً من العالم مع لزوم الأدب الإلهي، ولا يلزم الأدب إلا صاحب المقام ومقام أن لا مَقام مُقام.

وأما صاحب الحال فقد يظهر عليه من هذا لنقصه ونزوله عن صاحب المقام ما يؤدّي الناظر فيه إلى معرفته به، فالكامل ينصبغ بكل صورة في العالم ويتستر بما يقدر عليه، فإن كان ثم من رآه في صورة قد اختلفت عليه لأجل اختلاف الخلق اعتقد فيه عدم التقييد الذي هو عليه هذا الناظر فقال بكفره وزندقته وما علم من أين أتى عليه، فينبغي لصاحب هذا المقام أن لا يظهر لشخصين في صورة واحدة أبداً، كما لا يتجلى الحق لشخصين في صورة واحدة أبداً، فإن الدرجات هي الدرجات، فإن كفره وزندقه من لم ير اختلاف الصور عليه فذلك جهل منه وحسد فيكون ما ينسبه إليه على صورة ما ينسبه إلى الله جل وعلا من الصاحبة والولد والشريك وما نزه الحق نفسه عنه، فهذا لا يؤثر في صاحب هذا المقام بل هو على كماله، وذلك الواقع فيه من المفترين فإنه ما حكم عليه إلا بما شاهده منه ويقول بلسانه عنه ما يعلم خلافه في نفسه ظلماً وعلواً كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] وكذلك تكون عاقبة هذا.

فدرجات الحق ما هو العالم عليه، وصاحب هذا المقام قد تميز فيها حين ميزها فهو الإله الظاهر والباطن والأوّل في الوجود والآخر في الشهود والله غني عن العالمين فلا يدخله تنكير والإله يدخله التنكير فيقال إله، فاجعل بالك لما نبهتك عليه لتعلم الفرقان بين قولك الله وبين قولك إله، فكثرت الآلهة في العالم لقبولها التنكير والله واحد معروف لا يجهل أقرت بذلك عبدة الآلهة فقالت: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وما قالت إلى إله كبير هو أكبر منها، ولهذا أنكروا ما جاء به ﷺ في القرآن والسنة من أنه إله واحد من إطلاق الإله عليه، وما أنكروا الله ولو أنكروه ما كانوا مشركين فبمن يشركون إذا أنكروه فما أشركوا إلا بإله لا بالله فافهم؛ فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [صٓ: ٥] وما قالوا أجعل الآلهة الله فإن الله ليس هو عند المشركين بالجعل، وعصم الله هذا اللفظ أن يطلق على أحد وما عصم إطلاق إله، ولقد رأيت بعض أهل الكفر في كتاب سماه «المدينة الفاضلة» رأيته بيد شخص بمرشانة الزيتون ولم أكن رأيته قبل ذلك فأخذته من يده وفتحته لأرى ما فيه فأوّل شيء وقعت عيني عليه قوله: «وأنا أريد في هذا الفصل أن ننظر كيف نضع إلهاً في العالم» ولم يقل «الله» فتعجبت من ذلك ورميت بالكتاب إلى صاحبه وإلى هذا الوقت ما وقفت على ذلك الكتاب. فمن كان ذا بصيرة وتنبه فليتفطن لما ذكرناه فإنه من أنفع الأدوية لهذه العلة المهلكة، فاسم الإله من الدرجات المذكورة فلا بد منه إذ لا بد من الدرجات. ومن هذا الباب قول السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] في العجل ولم يقل هذا الله الذي يدعوكم إليه موسى، وقول فرعون: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقل إلى الله الذي يدعو إليه موسى عليه السلام، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] فما أحسن هذا التحري لتعلم أن فرعون كان عنده علم بالله لكن الرياسة وحبها غلب عليه في دنياه فإنه قال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم﴾ ولم يقل ما علمت للعالم لما علم أن قومه يعتقدون فيه أنه إله لهم، فأخبر بما هو عليه الأمر وصدق في إخباره بذلك، فإنه علم أنه ليس في علمهم أن لهم إلهاً غير فرعون.

ولما كان في نفس الأمر أن ثم درجات منسوبة إلى الله بالرفعة بكونه رفيع الدرجات كثر على وجه الاختلاف صور التجلي؛ لهذا نطق السامري بقوله: ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] فإن التجلي الإلهي لا يكون إلا للإله وللرب لا يكون لله أبداً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الحديد: ٢٤] ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] وهو سبحانه لا يتجلى لشخص في صورة واحدة مرتين ولا لشخصين في صورة واحدة فلهذا قال: ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] فإن تجليه للأنبياء مختلف الصور إحدى الحكم بأنه الإله في أيّ صورة تجلى، ألا تراه في القيامة إذا تجلى ينكر ويعرف باختلاف الصور. فإن قلت: فقد رجع إلى الصورة حين أنكر حتى يعرف؟ فقلنا: لو علمت قوله هل بينكم وبينه علامة فتلك العلامة هي الدليل لهم حيثما رأوها عليه علموا أنه ربهم فسميت صورة تلك العلامة، إذ كل معلوم ينطلق عليه اسم الصورة فبالعلامة عرفوه لا أنه كرر عليهم

الصورة وإنما كانت تلك الصورة هي العلامة، فدرجات الحق ليست لها نهاية لأن التجلي فيها وليس له نهاية فإن بقاء العالم ليس له نهاية، فالدرجات ليست لها نهاية في الطرفين أعني الأزل والأبد اللذين ظهرا بالحال وهو العالم، فلو زال العالم لم يتميز أزل من أبد، كما هو الأمر عليه في نفسه، فما ثم بدء في حق الحق ونفي البدء في حقه درجة من درجاته التي ارتفع بها عن مناسبة العالم، ودرجات العالم التي هي عين درجاته لا يتناهى أبدها، وإن كان نزول العالم في درجة منها فتلك الدرجة هي بدء للعالم لا أن الدرجات لها ابتداء بل ظهور العالم فيها له ابتداء.

واعلم أن الحق من حيثما تميز عن الخلق كان برزخاً بين الدرجات وبين الدركات فإنه وصف نفسه بأن له يدين وما بين اليدين برزح، فما كان على اليمين هو درجات الجنة لأهلها، وما كان على اليد الأخرى دركات النار لأهلها، فنسبة السفل إليه نسبه العلوّ لأنه مع العباد أينما كانوا فهو معهم في درجاتهم وهو معهم في دركاتهم كما يليق بجلاله.

واعلم أنه من الدرجات درجة المغفرة وهما درجتان: الواحدة ستر المذنبين عن أن تصيبهم عقوبة ذنوبه، والدرجة الأخرى سترهم عن أن تصيبهم الذنوب، وهذا الستر هو ستر العصمة، فقال في الستر الواحد من المغفرة: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] وقال في الستر الآخر من المغفرة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [غافر: ٩] وما ثم للمغفرة ستر آخر، فالستر الحائل بين المذنب والعذاب ستر كرم وعفو وصفح وتجاوز، والستر الحائل بين العبد والذنب ستر عناية إلهية واختصاص وعصمة يوجب ذلك خوفاً أو رجاء أو حياء كما جاء في صهيب: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، فسبب عصمته من وجود المعصية خوفه، ولو لم يكن الخوف لمنعه الحياء من الله تعالى أن يجري عليه لسان ما يسمى ذنباً في حق من كان، ولو لم يكن ذنباً في حقه لكونه ما أقيم إلا فيما أبيح له، وهذه غاية العناية والعصمة من التصرّف في المباح، وأعظم المعاصي ما يميت القلوب ولا تموت إلا بعدم العلم بالله وهو المسمى بالجهل، لأن القلب هو البيت الذي اصطفاه الله من هذه النشأة الإنسانية لنفسه، فغصبه فيه هذا الغاصب وحال بينه وبين مالكه، فكان أظلم الناس لنفسه لأنه حرمها الخير الذي يعود عليها من صاحب هذا البيت لو تركه له فهذا حرمان الجهل، غير أن هنا نكتة ينبغي التنبيه عليها وذلك أن صاحب القلب الذي يرى أنه وسع القلب ربه دون سائر نشأته ينزل عن درجة من يرى أن الحق عين نشأته من غير تخصيص إذ كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه، فما اختص منه بشيء دون شيء، فصاحب القلب مراقب قلبه، وصاحب الحالة الأخرى يحكم بربه على كل شيء استتر فيه ربه عن ذلك الشيء وهو مشهود لصاحب هذه الصفة في ذلك الستر فيعامله بما يوحى إليه به، فإن أوحى إليه بالكشف عنه اعتناء من الحق بهذا المستور عنه كشفه له وأعرب له عن نفسه عرفه ما هو الحق منه، وإن أوحى إليه بإبقاء الستر عليه أبقاه ولم يظهر له شيئاً مما هو في نفسه عليه هذا المستور فيحكم صاحب هذه الصفة على صاحب القلب، ولا يحكم عليه صاحب القلب لشغله بحراسة قلبه الذي هو بيت ربه لئلا يدخل فيه

غير ربه فإنه الحفيظ البوّاب، فإذا فهمت هذا فانظر أي الرجلين تكون، ولهذا أهل المراقبة لا يزالون في الحجاب عن التصرّف في الكون وهم أهل الحدود في الله، فإذا ارتفعوا عن مراقبة قلوبهم فهو أعظم الحجب، وإذا تعدوا في مراقبة قلوبهم مراقبة العالم بأسره اتسع عليهم المجال، ولكن ما لهم حكم صاحب ذلك الوصف الذي ذكرنا فإنهم مراقبون إياه لكونه مراقباً إياهم لأنه على كل شيء رقيب، فقابلوا الحفظ بالحفظ مقابلة الأمثال بالموازنة والمطابقة، فكما راقبهم بعينه راقبه هذ المراقب بعينه أيضاً، ومن كان حقاً كله في نفسه وفي العالم خرج عن صفة المراقبة فإنها مقام سلوك ومحجة، فإذا سلكت فيه به ومنه إليه لم يكن ثم من يراقب، إذ لا خوف في ذلك الطريق من مانع يمنع السالك فيه فهو سلوك لا مراقبة فيه.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم: علم إسبال الستور وعلى من تسبل، فقد يسبل الستر على جهة التعظيم كالحجاب والستر الذي وراءه الملك أو المخدرة، ويسبل الستر أيضاً دون من لا يرتضي للكشف لما وراء الستر، وقد تسبل الأستار رحمة بمن تسبل دونهم كالحجب الإلهية بين العالم وبين الله إبقاء عليهم لئلا تحرقهم السبحات الوجهية، فيتضمن علم لماذا تسدل وعلى من تسدل؟ وفيه علم صور تركيب الكلام الإلهي مع أحديته من أين قبل التركيب وما هو إلا واحد العين، ليفرق الإنسان العالم بين حقيقة الكلام وبين ما يتكلم به من له صفة الكلام، فيعلم أن التركيب فيما يتكلم به لا في الكلام، وعلم هذا النوع من المعلومات علم عزيز لا يختص به إلا العلماء بالله الذين سمعوا كلام الله في أعيان الممكنات، وفيه علم القابل والمقبول منه والقبول الذي هو نعت القابل وهل يتنوّع القبول لتنوّعها القابل أو لا أثر للقابل فيه؟ وفيه علم الحدود الإلهيّة لماذا ترجع هل إليها في ذاتها أو إلى الله أو إلى الممكنات التي هي العالم؟ وفيه علم صفات المنازعين الذين يعلمون الحق فيسترونه مثل الفقهاء الذين يلتزمون مذهباً لا يعتقدون صحته فيناظرون عليه مع علمهم ببطلانه، والخصم الذي يكون في مقابلته يأتي بالحق على بطلانه ويعلم هذا الآخر أن الحق بيد صاحبه فيردّه ويظهر الباطل في صورة الحق على علم منه، فهل يستوي هو ومن يظن في الباطل أنه حق فيذب عنه لكونه عنده أنه حق؟ وما حكم هؤلاء عند الله يوم القيامة؟ وهل لهم مستند إلهي أم لا؟ وفيه علم الفرق بين الإنكار والجحد والكذب وهل هذا كله أمر عدمي أو وجودي؟ فإن كان وجودياً ففي أي مرتبة هو من مراتب الوجود؟ هل يعمها كلها أو هو في بعضها؟ وكذلك إن كان عدمياً في أي مرتبة هو من مراتب العدم؟ هل هو في مرتبة العدم الذي لا يقبل الوجود؟ وهل ثم للعدم مرتبة لا يقبل الوجود بنسبة ما أو ما ثم عدم إلا ويقبل نسبة إلى مرتبة وجودية؟ أو هو في مرتبة العدم الذي يقبل المنعوت به الوجود وهو العدم الممكن. وفيه علم همّ الأضعف بالأقوى بالسوء هل هو عن قوّة حقيقية فما هو أضعف أو هل هو عن قوّة متوهمة؟ فهو في نفس الأمر أضعف ولا يعلم فما الذي يحجبه عن ضعفه، وفيه علم من جهل قدر الأمور وما تستحقه ما السبب الذي جعله يجهل ذلك حتى ظهر منه ما لا ينبغي فيما لا ينبغي، وفيه علم مراتب الملائكة فيما يذكرون العالم به عند الله إذ لهم القرب الإلهي وهم الوسائط بين الله

وبني خلقه وهم في الوسط في شهادة التوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] وفيه علم المفاضلة في كل شيء بين الله وبين خلقه، وفيه علم ما ينتجه الاعتراف بالحق عند الله، وفيه علم الحكم بالاختيار هل يقدح في العدل أم لا وفيه علم الفرق بين من علم الشيء عن جهل وبين من علمه عن نسيان وما صفة أهل التذكر من صفة غيرهم؟ وفيه علم الإخلاص ممن أوفى حق من، وفيه علم ما يكره وما يحب وهل عين ما يكرهه زيد هو عين ما يحبه عمرو أم لا؟ وفيه علم ما ينفرد به الحق دون الخلق هل يعلم ذلك أم لا؟ وهل يمكن الوصول إليه بعناية إلهية من تعريف أم لا، وما المانع إن امتنع ذلك؟ وفيه علم منزلة الإمام العادل ومرتبته، وفيه علم أحوال المحجوبين عن الله بالظلمة دون النور، وعلم المحجوبين عن الله بالنور دون الظلمة، وعلم المحجوبين عن الله بالنور والظلمة معاً، وهل هذه الحجب رحمة بالمحجوبين أو حجب بعد؟ وفيه علم ما يتوجه على الأعضاء من التكاليف، وفيه علم الاعتبار والتفكر، وفيه علم تأييد أهل العناية الإلهية بماذا يؤيدهم وفي أي موطن يؤيدهم وما السبب الموجب لتسليط أعدائهم عليهم وتمكنهم منهم؟ ولماذا استند المعتدي عليهم هل يستند لأمر وجودي إلهي أو لأمر وجودي نفسي؟ وفيه علم ما أنت إذا رأيته قلت فيه إنه حق، ثم تقول فيه إنه باطل، ثم تقول فيه إنه باطل حق، ثم تقول فيه إنه لا باطل ولا حق. ثم تقول فيه لا أدري ما هو، فعوده إلى الجهل به هل هو عين العلم بذلك الأمر أو يمكن الوصول إلى العلم به؟ ولكن هذا ما وصل فنطق بنعته لا بنعت ما تكلم فيه، وفيه علم الإنصاف من غير تعصب وما حضرته وتسكين الغضب من الغاضب بلطف من المسكن لا بقهر فإن القهر لا يسكن الغضب وإنما يخفي حكمه لسلطان القهر عليه، وفيه علم إحاطة الملائكة بالعالم يوم يصفون وهم اليوم على تلك الصورة، وعلم الفرق بين حكمهم فينا اليوم وبين حكمهم في ذلك اليوم والصفة واحدة من الإحاطة ولماذا ينادي هناك بعضهم بعضاً؟ وهنا ليس كذلك إلا في مواطن مخصوصة لأن القيامة على صورة الدنيا سواء، غير أن الحاكم هنالك هو الواحد بارتفاع الوسائط وهنا هو الحاكم الواحد بعينه لكن بالوسائط ليفرق بين الدارين كما فرق بالجنة والنار بين القبضتين، وفيه علم من تحكم على الله من أين تحكم وما الذي أجرأه على ذلك هل صفة حق أو صفة جهل؟ وفيه علم العناية الإلهية بالجبارين المتكبرين، وفيه علم ما عصم الله من الأسماء الإلهية لماذا عصمته وما لم يعصمه من الأسماء الإلهية كاسمه الأحد ولا يتجلى في هذا الاسم ولا يصح التجلي فيه ولا في الاسم الله وما عدا هذين الاسمين من الأسماء المعلومات لنا فإن التجلي يقع فيها. وفيه علم الحركة في عين السكون، وفيه علم الاشتراك بين المؤمن والعالم في أي حضرة يكون ذلك وبماذا يتميزون؟ وهل ينال المؤمن درجة العالم؟ وما يقبله من جهة الخبر الصادق هل يلحق بذلك درجة العلماء أم لا؟ وهل الدليل على تصديق الرسل في ادعائهم أنهم رسل ينسحب في الدلالة على ما جاؤوا به من الأخبار والأحكام؟ أو يفتقرون إلى دليل آخر أو يكونون علماء مع كونهم مقلدين؟ وفيه علم الدور في كون الداعي يكون مدعواً لمن دعاه بحكم التعارض،

وفيه علم حكم طلب النجاة في العالم كله بالطبع ولكن تجهل ومن هو الصنف الذي يعلمها من العالم وما هي النجاة؟ وفيه علم علامة كل داع وما يدعو إليه من الأسماء الإلهية، وفيه علم الوقت الذي يلقي الإنسان فيه ما في يده ولا يعتمد عليه ويسلم إلى الله جميع أموره، وفيه علم الجين وإعادة السهام على راميها وقد عاينت هذا النبال بمدينة تلمسان من عالم بصنعة الرمي وإنشاء القسيّ والنبال فرأيته يرمي بالسهم فإذا انتهى السهم إلى مرماه عاد إلى الرامي وحده فكان ذلك لي عبرة في كون الأعمال ترجع على عامليها. وفيه علم ما يتنزل منزلة الزمان وليس بزمان، وفيه علم التنازع بعد حكم الحاكم وما سببه إذ لا أثر له في ردّ الحكم، وفيه علم مراتب الشهود من الحاكم وترك الحاكم حكمه بما يعلم ويحكم بقول الشهود وما سبب وضع ذلك في العالم ولكن ليس ذلك عندنا إلا في الأموال لا في النفوس ولا في إقامة الحدود، وفيه علم ما لا يجوز تأخيره لمسيس الحاجة إليه، وما فائدة البيان الذي وضع لحصول العلم ويترك الحكم به؟ وفي أي النوازل يكون ذلك؟ ومن هو على الصواب في هذه المسألة؟ هل من يقول أنه يحكم بعلمه أو المخالف؟ وعندي في هذه المسألة لو كنت عالماً بأمر ما وشهد الشهود بخلاف علمي ولا يجوز لي أن أحكم بعلمي إذا كنت ممن يقول بذلك استنبت في الحكم من لا علم له بالأمر وتركت الحكم فيه وهذا هو الوجه الصحيح عندي والذي أعمل به وإن كان في النفس منه شيء وهذا عندي في الحكم في الأموال، وأمّا الحكم في الأبدان فلا أحكم إلا بعلمي إذا علمت البراءة، فإن لم تكن البراءة وعلمت صدق المفتري حكمت بالشهود وتركت علمي وعلم سبب هذا الذي ذهبت إليه يتضمنه هذا المنزل. وفيه علم ما يفضل به العالم على الإنسان وهو أن له عليه ولادة، وفيه علم مسمى الساعة، وفيه علم هل يصح التكبر من العالم على الله أم لا؟ وفيه علم ما تطلبه الأشياء من الأمور طلباً ذاتياً هل يصح فيه خرق العادة فيكون بالجعل أم لا؟ وإن انخرقت فيه العادة فما محل خرق العادة هل في الطالب فيتبعه ما كانت تقتضيه ذاته أم لا؟ وفيه علم حضرة تقرير النعم على المنعم عليه ما يكون من ذلك على جهة التعليم أو على جحده لذلك، وفيه علم أصل حياة العالم الحسية والمعنوية هل ترجع إلى أصل واحد أم لا؟ وهل في الطبيعة حياة حتى تعطي الحياة الحسية أم لا؟ وفيه علم النشأة الإنسانية الدنياوية وأحوالها في مدة بقائها في هذه الدار وما يؤول إليه أمرها من حيث جسميتها بعد الموت، وفيه علم الموت والحياة هل ذلك نسبة أو عين موجودة تظهر في مواطن مختلفة؟ وحكم المميت هل يميت بموت فيكون سبباً أو يميت فقط؟ وكذلك الحياة فيكون عين الميت عين الموت بحكم المميت، وفيه علم القضاء وفضله عن القدر، وفيه علم كون الآية التي يأتي بها الرسول ليست بشرط ولا يجب عليه الإتيان بها، وفيه علم مراعاة الله عباده مع سوء أدبهم مع الله، وفيه علم عموم نفع الإيمان في الآخرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرّ الإخلاص في الدين وما هو الدين ولماذا سمي الشرع ديناً وقول النبيّ ﷺ: «الخَيْرُ عَادَةٌ»

[البسيط]

لِكلِّ شَخْصٍ من القُرآن سُورَتُهُ ... وسُورَتي من كتاب الله تَنْزِيلُ

أتى بها المَلأُ العُلْوِيُّ يَقْدُمُهُ ... عند التَّنَزُّل ميكالٌ وجبريلُ

أتَى بها تنثني لِيناً مَعَاطِفُها ... وفي جوانبها هَدْيٌ وتضليلُ

إذا نَظَرْتَ ترى في آيها عَجَباً ... نارٌ ونُورٌ وتَنْزِيةٌ وتَمْثيلُ

بِكْرُ النَّواظر في أجْفانها دَعَجٌ ... لم يَفْتَرِعْ طَرْفَها بكُحْلِهِ المِيلُ

تجلت لنا هذه السورة بمدينة حلب، وقيل لي لما رأيتها هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جانّ، فرأيت لها ومنها ميلاً عظيماً إلى جانبي، وقد مثلت لي في شبه هذا المنزل الذي كنت دخلته قبل ذلك، ثم قيل لي: هي خالصة لك من دون المؤمنين، فلما قيل لي ذلك فهمت الإشارة وعلمت أنها ذاتي وعين صورتي لا غيري، فإنه ما لموجود شيء مخلص له ليس لغيره قديمه وحديثه إلا ذاته خاصة فقلت: ها أنا ذا، فعلمت عند ذلك معنى التخليص، وعلمت ما تلي علي فيما أنزل علي من القرآن عند التلاوة، وذلك أنه لما نزل الإلهام بتلاوة سورة الإخلاص رزقت عين الفهم في تسميتها بهذا الاسم دون غيرها من السور، فإنها كلها نسب الله وصفته، وهي عين مجموع العالم، ففهمت الإشارة بها في أن العالم مع كونه هو الحق المبين من حيث مجموعه لا من حيث جزء جزء منه، فتخلص النسب لله من حيث ذاته، فهذا المجموع هو في الحق عين واحدة وهو في العالم عين الحق المبين، قالت طائفة من الأمّة اليهودية: انسب لنا ربك، فنسبه لمجموع العالم بما نزل عليه من الله تعالى في ذلك فقيل له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فنعته بالأحدية ولكل جزء من العالم أحدية تخصه لا يشارك فيها بها يتميز ويتعين عن كل ما سواه مع ماله من صفات الاشتراك، ثم قيل له: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] وهو الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ والأسباب الموضوعة كلها في العالم يلجأ إليها ولهذا سميت أسباباً لتواصل مسبباتها إلى الصمد الأوّل الذي إليه تلجأ الأسباب ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وهو العقيم الذي لا يولد له، وبهذه الصفة نعت الريح بالعقيم لأنه من الرياح ما هي لواقح ومنها ما هي عقيم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] آدم عليه السلام فإن الولادة معلومة عند السائلين فخوطبوا بما هو معلوم عندهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] أراد بالكفو هنا الصاحبة لأجل مقال من قال: إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والكفاءة المثل، والمرأة لا تماثل الرجل أبداً فإن الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فليست له بكفؤ فإن المنفعل ما هو كفؤ لفاعله، والعالم منفعل عن الله فما هو كفؤ لله وحوّاء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفؤ من هذا الوجه.

ولما قال إنه ﴿لِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلاً عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلاً عن المرأة كما كانت حوّاء عن آدم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ جبريل أو الملك ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٧] وقال لها: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٩] فوهبها عيسى عليه السلام، فكان انفعال عيسى عن الملك الممثل في صورة الرجل، ولذلك خرج على صورة أبيه ذكراً بشراً روحاً، فجمع بين الصورتين اللتين كان عليهما أبوه الذي هو الملك فإنه روح من حيث عينه بشر من حيث تمثله في صورة البشر، فسمى هذه السورة سورة الإخلاص، أي خلص الحق للعالم من التنزيه الذي يبرهن عليه العقل، وخلصه من العالم بمجموع هذه الصفات في عين واحدة وهي أعني هذه الصفات مفرقة في العالم لا يجمعها عين واحد، فإن آدم عليه السلام أكمل صورة ظهرت في العالم ومع هذا نقصه لم يلد فإنه أحد صمد لم يولد ولم تكن لو حوّاء كفواً، فخلصت هذه السورة الحق من التشبيه كما خلصته من التنزيه، فإذا فهمت ما أشرنا إليه فاعلم أنّ سر الإخلاص هو سر القدر الذي أخفى الله علمه عن العالم لا بل عن أكثر العالم فميز الأشياء بحدودها، فهذا معنى سر القدر فإنه التوقيف عينه وبه تميزت الأشياء وبه تميز الخالق من المخلوق والمحدث من القديم، فتميز المحدث بنعت ثابت يعلم ويشهد، وما تميز القديم من المحدث بنعت ثبوتي يعلم بل تميز بسلب ما تميز به المحدث عنه لا غير، فهو المعلوم سبحانه المجهول، فلا يعلم إلا هو ولا يجهل إلا هو، فسبحان من كان العالم به عين الجهل به، وكان الجهل به عين العلم به وأعظم من هذا التمييز لا يكون ولا أوضح منه لمن عقل واستبصر.

وأمّا الإخلاص في الدين فهو الجزاء الوفاق فما ثم إلا جزاء وفاق لا ينقص ولا يزيد، فإن الله جعله جزاء وفاقاً إنباء عن حقيقة لأن المجازي لا يمكن أن يقبل ما لا يعطيه استعداده، وباستعداده قبل ما ظهر عليه من الدين الذي يطلب الجزاء فيه بعينه أعني الاستعداد قبل الجزاء فكان الجزاء وفاقاً، والجزاء ما هو إلا للعمل ولا يأخذه العامل إلا من عمله ولهذا قيل: «**إنَّ في الجنة ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ**» وهو الصحيح، فإنه يصدر من العاملين عمل من غير قصد ما رأته عينه ولا سمعته أذنه ولا خطر على قلبه إلا عندما ظهر منه رأته عينه عند ذلك وخطر له كما يرى ما في الجنة مما لم يره في الدنيا ولا سمع به ولا خطر على قلبه، فذلك هو الجزاء الوفاق لهذا النوع من العمل، وهذا العمل هو من قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فأظهره في منزل لا يعلمه من جهة فكره ولا رأته عينه ولا سمعته أذنه أنه يقام فيه، فيكون جزاؤه ما ذكره في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فخلص الجزاء لهذا العمل بصفة الوفاق وهذا من سر القدر.

ولما كان الدين هو عمل الخير والدين العادة ذكر عليه السلام أن الخير عادة، وهذا الذكر بشارة من عالم بالأمور وهو الرسول ﷺ بأن النفس خيرة بالذات، وما تقبل الشر إلا لحاجة من القرين بما يلج عليها به فلم يجعل الشر من ذاتها فقال ﷺ: «**الخَيرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ**

لَجَاجَةٌ» ولما ألح القرين على النفس ولج بالشر الذي هو عين مخالفة أمر الله ونهيه وضاقت منافسها من هذا الإلحاح واللجاج أوحى الله إليها بل كلمها من الوجه الخاص الذي لا يعرفه الملك بأن تقبل منه ما ألح عليها به من الشر، فرأى الحق فيها استيحاشاً وخوفاً من المكر الإلهيّ، فأشهدها حضرة التبديل وأشهدها مآل المكلفين إلى الرحمة وتلا عليها: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] وتلا عليها في المسرفين: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فأزال وحشتها وقبلت من القرين الشر الذي جاء به إليها فسر بما وقع منها من القبول لجهله بعموم الرحمة وعموم العفو والمغفرة، وأن الله ما جعل العفو إلا لهذا الصنف الذي يتلقى من الشيطان القرين ما جاء به من الشر، وما علم أن الله قد جعل النفس في قبولها شر القرين باللجاج والإلحاح منزلة المكره والمكره غير مؤاخذ، فسمى الشر لجاجة بشارة إلهية لا يشعر بها كل أحد وجعل الخير عادة فإن النفس بالذات خيرة لأن أباها الروح القدسي الطاهر فطبعها الخير لا غيره، وأمّها هذه الصورة المسوّاة من هذه الأخلاط، فأوّل قبول ظهر فيها قبول السواء والعدل وهو قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] وقبول العدل عين الخير وقبلت بالأصالة هذه النشأة مجاورة الأضداد وهي الأخلاط، ومن عادة الضدّ المنافرة عن ضدّه، ولم يوجد هنا تنافر فدل على خيرية الأصل ثم قبولها بعد التعديل والتسوية لنفخ الروح القدسي، فكان أوّل قبول قبلته على ما زاد على نشأتها نفخ هذا الروح الخير الطاهر المطهر، فلهذا كان الخير لها عادة بالطبع الذي طبعت عليه، ولهذا ترجع في المآل إلى أصلها، فإن الأصل منها ما ذكرناه من قبول الخير فتلحقها الرحمة في المآل كما كان وجودها عين الرحمة فختم الأمر بما به بدأ والخاتمة عين السابقة.

ومما يؤيد ما ذكرناه أن أوّل نشأة إنسانية التي كانت أصل النشآت الإنسانية كانت في غاية التقديس، وأوج الشرف بكونها مخلوقة على الصورة الإلهية فلم يظهر عنها إلا المناسب، فكما كان المناسب لها مع وجود المخالفة التي تعطيها حقائق الأسماء الإلهية المقابلة أن لا يتطرّق إليها لمخالفة بعضها بعضاً لسان ذم، كذلك ما ظهر من المخالفة في هذه النشأة الإنسانية لا يتطرّق إليها في المآل تسرمد عذاب فإن الأصل يحميها من ذلك وهو الصورة فكانت مجبورة في مخالفتها فلا بد من المخالفة لأنه لا بد من تقابل الأسماء في الذي خلقت على صورته، فالنافع ما هو الضار، ولا المعطي هو المانع، ولا بد من ظهور هذه الحقائق في هذه النشأة حتى يصح كمال الصورة، فالطائع يقابل العاصي، والمشرك يقابل الموحد، والمعطل يقابل المثبت، والموافق يقابل المخالف من إمداد الأسماء الإلهية وهو قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ [الإسراء: ١٠] يعني الطائع والعاصي، وأهل الخير والشر ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] أي ممنوعاً لأنه يعطي لذاته، والمحال القوابل تقبل باستعدادها واستعدادها أثر الأسماء الإلهية فيها، ومن الأسماء الإلهية الموافق والمخالف، مثل الموافق: الرحيم والغفور وأشباهه، ومثل المخالف: المعز والمذل، فلا بد أن يكون استعداد هذا المحل في حكم اسم من هذه الأسماء فيكون قبوله للحكم الإلهيّ

بحسب ذلك، فإما مخالف وإما موافق، ومن كان هذا حاله كيف يتعلق به ذم ذاتي والأعراض لا ثبات لها، فالخير في الإنسان ذاتي وهو الذي يبقى لها حكمه، والشر عرضي فيزول ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾ [صٓ: ٨٨] وهذا مثل قوله: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ [الزمر: ٥٣] فأضافهم إلى نفسه، كما أضاف إلى نفسه نفوسهم في خلقها فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [صٓ: ٧٢] و﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] والإسراف كرم عام خارج عن الحد والمقدار، وكذا قال في الإنفاق: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧] أي لم يوسعوا ما يخرج عن الحاجة، ولم يقتروا لم ينقصوا مما تمس إليه الحاجة ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] فإنها وسعت كل شيء وأنتم من الأشياء وقد عرفتكم كيف أنشأتكم ومن أي شيء أنشأتكم، من روح مطهرة وطبيعة موافقة قابلة طائعة غير عاصية ولا مخالفة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فما أبقى منها شيئاً، فبأي شيء يسرمد عليهم العذاب ولا يكون إلا جزاء وفاقاً وقد غفر وما غفر له فلا حكم له، فإن الذي غفر له ﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] والغفور الرحيم لذاته فلا يبرح من حين له يغفر مغفوراً له لا يعود إليه حكم الذنب لأن الحافظ هوالغفور الرحيم، فلو أزاله وغفره غير هذا الاسم وأمثاله أمكن أن لا يثبت لعدم الحافظ له فتنبه لما أعلمناك به فإنه من لباب المعرفة.

واعلم أن الكُمَّلَ من رجال الله الخلفاء في العالم الذين عبدوا على المشاهدة لا على الغيب هم الذين تكون لهم الرؤية الإلهية جزاء لا زيادة، ومن نزل عن هذا الكمال هو الذي تكون له زيادة على الجزاء في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وهو قول رسول الله ﷺ: «**إِذَا وَزَنْتَ فَأَرْجِحْ**» لما قضى رسول الله ﷺ ما كان عليه فلما وزنه قال للذي بيده الميزان: «**أَرْجِحْ**» ليزيد له على ما يستحق لما رأى أن الحق قد ذكر الزيادة على المعاوضة، وقال في هذا المقام: «**أَحْسَنُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**» فهذا هو الإخلاص في الدين الذي هو الجزاء، وهنا يظهر معنى قوله ﷺ: «**وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» لأنه لما نطق ﷺ بالاستعاذة به بضمير الخطاب من غير تعيين اسم لم يجد له مقابلاً لأنه ما عين اسماً فلم يجد من يستعيذ منه فرأ نفسه على صورته فقال منك فاستعاذ بالله من نفسه لأن النفس الذي هو المثل وردت في القرآن مثل قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] أي أمثالكم، وقال ﷺ: «**لاَ أُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَداً**» وقال: «**كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ**» أي أمثالكم فيتوجه قوله: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» أن الكافين واحدة، ويتوجه أن الكاف في منك تعود على المثل وهو نفس المستفيذ فإنه خليفة محصل للصورة على أتم الوجوه، فاستعاذ بالله من نفسه لما يعلمه من المكر الخفي الإلهي، فإنه ما أظهر الصورة المثلية في هذه النشأة على التشريف فقط بل هي شرف وابتلاء، فمن ظهر بحكم الصورة على الكمال فقد حاز الشرف بكلتي يديه، فإن الصورة الإلهية لا يلحقها ذم بكل وجه، ومن نقص عن هذا الكمال كان في حقه مكراً إلهياً من حيث لا يشعر، كما أن الخلافة في العالم ابتلاء لا تشريف ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّها فِي الآخِرَة مَنْدَمَةٌ**» لما يتعين على

صاحبها من الحقوق التي يطالب بها يوم القيامة حتى يتمنى أنه لم يل أمراً من أمور العالم وقد جعلنا رعاة فقال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» فلكل شخص حكم من الصورة الإلهية، فمن جمعت له الصورة بكمالها لم يسأل فإن الله ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ومن لا ينطق عن الهوى لا يسأل عما يقول سؤال مناقشة وحساب، ولكن قد يسأل سؤال استفهام لإظهار علم يستفيده السامعون كسؤال الحق رسله، وهم لا ينطقون عن الهوى يوم يجمعهم فيقول: ماذا أجبتم؟ فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] فيعلم أهل الموقف أصحاب الكشف أن الرسل هم أتم العالم كشفاً، ومع هذا فما أطلعهم الله على إجابة القلوب من أممهم ولا إجابة من وصلت إليهم دعوتهم ولم يكونوا حاضرين ولا من كان حاضراً وأجابه بلسانه هل أجابه بقلبه كما أجابه بلسانه؟ فإن قلت: فقد سمع إجابة من أجابه بلسانه وما أجابه به، قلنا: لقرائن الأحوال حكم لا يعرفه إلا من شاهدها. وقد عرفنا من عين جواب الرسل عليهم السلام أنهم فهموا عن الله عند هذا السؤال أنه أراد إجابة القلوب فإنهم قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فلو فهموا من سؤاله تعالى إجابة الألسنة لفصلوا بين من سمعوا إجابته بإقراره بلسانه وبين من لم يسمعوا ذلك منه، فلما ذكروا في الجواب الغيوب علمنا أن السؤال كان عن جواب القلوب، واستفدنا من هذا أن الذي يكشف له ما يلزم أن يعم كشفه كل شيء لكن عنده استعداد الكشف لا غير، فما جلى له الحق من أسرار العالم في مرآه قلبه إن كان معنى، أو في مرآة بصره، إن كان صورة كشفه ورآه لا غير.

فإن قلت: فمن كان الحق بصره قد سمعتك تقول فيمن هذا حاله أنه يدرك كل مبصر في الكون ولا يغيب عن بصره شيء لأنه ناظر بحق. قلنا: صدقت ولكن فرق ما بين المقام والحال والأحوال لا بقاء لها وهذا حال فعند حصوله صح له هذا الكشف في ذلك الزمان، ولما رفع عنه رجع ينظر بعين خلق بإمداد حق لا بحق، فيكون حكمه حكم خواص الخلق له الكشف الجزئي لا الكلي إذ لا يكشف إلا المعتاد الذي للعموم، فإذا كشف كل مبصر في العالم كشفه على ما هو عليه في وقته، فلما رفع عنه لم يعرف ما آل إليه أمر تلك المبصرات في زمان رفع هذا الكشف هل بقوا على ما كانوا عليه أو هل انتقلوا عن ذلك وطلب الله منهم العلم بذلك لقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ والجواب بالظنون لا يليق، ثم تمموا فقالوا ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فقيدوه بالغيوب فإنه في يوم تبلى فيه السرائر والسرائر غيوب العالم بعضهم عن بعض، فعلمنا الحق بهذه الآية التأدب مع أصحاب الكشف وأن نعلم مراتب الكشف لئلا ننزل صاحب الكشف فوق منزلته ونطلب منه ما لا يستحقه حاله فنتعبه ولا نعذره ونصفه بالجهل في ذلك ولا علم لنا بأنا جهلنا فتكون جهالتان.

وكما أن للملائكة مقامات معلومة كذلك للبشر مقامات معلومة منها يكون المزيد لهم لا يتعدّونها وإن زادوا علماً فمن ذلك المقام وهو المقام الذي يكون فيه عند آخر نفس يكون منه ويفارق الروح تركيب هيكله المسمى موتاً، فمن ذلك المقام يكون له المزيد، ولهذا يقع

التفاضل بين الناس في الدار الآخرة ويزيد الله الذين أوتوا العلم وهم مؤمنون على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم درجات وبالمقامات فضل الله كل صنف بعضه على بعض.

وفي هذا المنزل من العلوم علم العرش هل العرش الذي استوى عليه الاسم الرحمن هو العرش الذي يأتي عليه الله الحكم العدل يوم القيامة للفصل والقضاء الذي تحمله الثمانية أو هو عرش آخر؟ وهل إن كان عرشاً آخر غير الذي استوى عليه فما معنى قول الرسول ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] يعني يوم الآخرة قال: «**وهُوَ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ**» وما هؤلاء الثمانية المنكَّرة؟ هل كلهم أملاك أو ليسوا بأملاك؟ أو بعضهم أملاك وبعضهم غير أملاك؟ وهل العرش سريراً وهو ملك معين من الملك ما هو الملك كله لأنه فيه أتى للفصل والقضاء بين عباده وعباده من الملك فلا بد أن يكون ملكاً معيناً؟ وهل هذا العرش الذي يأتي عليه يوم القيامة هو ظلل الغمام التي يأتي فيها الله يوم القيامة أم لا؟ والملائكة هي التي تأتي في ظلل من الغمام ويكون إتيان الله مطلقاً من هذا التقييد. وفيه علم نهاية سطح العرش هل له فوقية أم لا؟ وما معنى له حول؟ وما معنى الاستواء عليه إذا لم يتصف بأن له فوقاً فإنه نهاية الجسم فلا خلاء ولا ملاء بعده؟ وهذا كله إذا كان العرش سريراً أو ملكاً خاصاً من العالم، فإن كان العرش عبارة عن العالم كله لا عالم الأجسام كان له حكم آخر ليس هذا حكمه هذا كله يتضمنه هذا المنزل ويحتاج إلى العلم به ليعلم الأمر على ما هو عليه، وفيه علم اختلاف الاستواء باختلاف الأدوات الداخلة وبعدم الأدوات، وفيه علم اختلاف الجماعات ولم لم يكن الكل جماعة واحدة؟ وبماذا تميزت جماعة من أخرى؟ وما الصفة التي عدمتها كل جماعة حتى تفرقت الجماعات ولم تفترق إلى آحاد. وفيه علم أول قوّة يكون لها الحكم عند البعث من قوى الحس وهل يتقدمها حكم قوة أخرى من قوى الحس قبل البعث أم لا؟ وفيه علم انتشار الروح الإلهي على الأجسام كلها، وفيه علم أحوال حكم الله يوم القيامة في الخلق وبأي اسم يتجلى في ذلك اليوم، وفيه علم القوة الإلهية والنشر والطيّ في أي أوان يكون وهل يتقدم بعث العالم أو يتأخر؟ فإن تأخر فأين يكون العالم عند ذلك؟ وهل تجتمع الملائكة والبشر في صعيد واحد في ذلك اليوم أم لا؟ وفيه علم منزلة من وصف الحق بأوصاف الخلق من الذم ومبلغه من العلم في ذلك، وفيه علم تأديب الصغير والكبير وهو قوله: إياك أعني فاسمعي يا جارة، وفيه علم الأدوات في ترتيب الخطاب وما تفيد كل أداة منها واشتراك الأدوات في الصورة واختلافها في الحكم كلفظة لا فصورتها واحدة وهي من جملة الأدوات وأحكامها مختلفة بحسب الحضرة التي تتجلى فيها فيكون حكمه النفي ويكون النهي ويكون العطف وهكذا سائر الأدوات وهذا من علم البيان الذي علمه الإنسان، وفيه علم الإيمان المذموم في الشرع وهل حكم الإيمان في نفسه حكم الشرع فيه أم لا؟ وهل يعدل به عن حقيقته فيظهر له تجل في غير حقيقته صورته فيسمى به الصورة التي انتقل إليها، وفيه علم مراتب الكذب ومحموده من مذمومه وأين يجب استعماله وأين يحرم استعماله؟ ومراتب المكذبين. وفيه علم مرتبة الخنثى وهو الذي تنسب إليه الذكورة

فيقبلها وتنسب إليه الأنوثة فيقبلها فهل هو ذكر أو أنثى أو لا ذكر ولا أنثى؟ فإن الله قال: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] فهل يتضمن هذا الخطاب الخنثى فإنه مخلوق ينسب إليه الأمران ليدخل تحت هذا الخطاب، أو هو خارج عن هذا الخطاب ويدخل تحت قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فإن الخنثى برزخ متوسط فإن اسم الحيوان ينطلق عليه ولا بد فإنه ليس من خصائص الإنسان، كما أن الذكورة والأنوثة ليست من خصائص النوع الإنساني، وفيه علم التهيؤ لانتظار الفجآت لأنه لا يدري بما يأتي وهذا مقام لم أر أحداً أتم مني فيه لله الحمد على ذلك، وفيه علم التعمل في اكتساب الأهم فالأهم وهو من الحزم وأين موطنه من موطن التراخي؟ وفيماذا يكون التراخي أولى من الحزم وما يحمد من الحزم مع كونه سوء الظن ويبتني على هذا أمور كثيرة فهو علم شريف، وفيه علم ما آل العالم المكلف من الإنس والجان والجان الذين هم الملائكة وهل يرتفع عنهم الخوف أم لا يزال يستصحبهم أبد الآبدين؟ وفيه علم التجلي في غير صورة العلم، وفيه علم حجاب النعم ومتى هو الإنسان أتم حضوراً مع الله هل في حال الشدة أو في حال الرخاء؟ ولأي حال هو الحمد العام والحمد الخاص؟ وفيه علم اختلاف المحامد لاختلاف الأحوال، وفيه علم الإنس بمن يقع الأنس هل بالمناسب أو بغير المناسب أو بهما؟ وفيه علم الاعتماد على الأسباب هل كله مذموم أو محمود أو منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود؟ وما هو سبب بوضع الحق وما هو سبب بوضع الخلق؟ وفيه علم مراتب العلم بالموت، وفيه علم نفي الوكالة من الخلق، وفيه علم الكفاية وبمن يكتفى وهل يصح الاكتفاء بمخلوق في أمر أم لا؟ وفيه علم ما هو الإحسان ومن هو المحسن وعلم الإساءة ومن هو المسيء. وفيه علم المثلين إذا تماثلا من جميع الوجوه المعنوية هل يصطحبان أم لا؟ فإن الفائدة قد ارتفعت ما بينهما وهذه مسألة لا يتنبه إليها إلا منور البصيرة من لا يزال مع الأنفاس يستفيد ومن ليست له هذه الحالة فليس بإنسان كامل الإنسانية لأنه ما أعطي النظر إلا ليستفيد، وفيه علم الفرق بين معاملة الله ومعاملة الخلق وهل تتساوى عند العامل المراقبة في المعاملتين أم لا؟ ولا سيما عند من يرى أن الله قد جعل للعالم حقوقاً بعضه على بعضه فيتعين على العامل مراقبة الخلق لأداء الحقوق التي أوجبها الله عليه لهم فهل ذلك من مراقبته فيكون ما راقب إلا الحق؟ أو هل ذلك من مراقبة الخلق فيرجع ذلك إلى استحقاق هذه الحقوق؟ وهل استحقها العالم على هذا الشخص لذاتهم أعني لذات المستحقين أو هل يستحقها بجعل الله فيعلم من هذا المنزل صورة الأمر على حقيقته من جمع أو تفصيل؟ وفيه علم تفاضل طبقات العذاب والنعيم، وفيه علم ضرب الأمثال ومن ينبغي أن يضرب له مثل ومن ينبغي أن لا يضرب له مثل لقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] وهو قد ضرب الأمثال فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كيف يضربها ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] فناط بهم الجهل بالمواطن فالعالم يقطع عمره في نظر ما ضرب الله له من الأمثال ولا يستنبط مثلاً من نفسه ولا سيما لله وما أظن يفي عمر الإنسان بتحصيل علم ما ضرب الله له من الأمثال، وفيه علم من يبين عن الله هل يسمّى هادياً أم لا؟ فإنه مهدي بلا شك، وفيه علم حال القرآن

في التالين عن الله العارفين بتنزله على قلوبهم وما يورثهم ذلك من القبض والبسط وأي الصفتين يتقدم حكمها في التالين بالحال أو في القبض أو البسط؟ وفيه علم فضل العقل في العقلاء وما لب العقل هل حكمه حكم العقل أم لا؟ فإن الله فرق الآيات فجعل آيات ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وآيات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] فقيدهم من العقال وهو التقييد، وفيه علم المقرب هل له حد عند الله في نفوذ عنايته أو تنفذ عنايته مطلقاً؟ وفيه علم شرف اتباع ما شرع الله اتباعه من مكارم الأخلاق، وفيه علم الربح والخسران لماذا يرجعان؟ وفيه علم الحذر العقلي والحذر المشروع هل هو الحذر العقلي الذي يعينه العقل أم لا تعيين في ذلك إلا للشرع؟ أو فيه ما جعل الله تعيينه للعقل فاكتفى به عن تعيينه في الشرع ومنه ما جعل الله تعيينه للشرع؟ وفيه علم ما يكره وما لا يكره، وفيه علم نشء الذرية لإنشاء الإنسان بما هو إنسان، وفيه علم التداخل في الأشياء إذا كانت أحوالاً وأعراضاً كتداخل الرائحة واللون والسكون والعلم والجهل في الذات الواحدة في الزمن الواحد، وفيه علم تعيين أنصبة الشركاء في الشيء وأنها إذا تعينت فليسوا بشركاء، ولا بد أن يكون النصيب في نفس الأمر معيناً وإن وقعت الإشاعة فلجهل الشركاء في ذلك فإنه لا بد أن يتعين إذا وقعت القسمة إما في عين الشيء أو في قيمته فإذا لا تصح الشركة أصلاً لأن الأمور معينة عند الله في هذا الشيء المسمى مشتركاً فيه وقد ثبت اسم الشركاء عرفاً وشرعاً فلماذا يرجع؟ ألا ترى إلى الذين اتخذوا مع الله شركاء في الألوهة هل لهم منها نصيب؟ فإذا علمت أنه ليس لهم نصيب في الألوهة فما هم شركاء وقد سموا شركاء فيعلم أنه لا تصح الشركة في العالم أصلاً للاتساع الإلهي، فلا يشترك اثنان فصاعداً في أمر قط، فالذي عند هذا مثل لما عند هذا ما هو عين ما عند هذا، وإن انطلق على ذلك اسم الاشتراك فنقول: ما وقع به الاشتراك غير ما وقع به الامتياز، وما ثم إلا الامتياز خاصة ما ثم اشتراك، إذ ليس هذا الذي عند هذا هو عين الآخر عند الآخر، فيعلم من هذا الكشف معنى إطلاق الشركة في العرف وأن الشرع تبع العرف في ذلك ليفهم عنه لأنه جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤوا عليه، ولهذا اختلف الناس في الرسول هل له وضع لغة في ذلك اللسان أو ليس له ذلك؟ وفيه علم اختلاف تنزل الشرائع من الله باختلاف الأحوال والأزمان والأماكن والأشخاص والنوازل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرّ صدق فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل وهو من الحضرات المحمدية

[الطويل]:

عَـجِـبْـتُ لـمـعـصـوم يـقـال لـه اتَّـبِـعْ ... ولا تَـبْـتَـدي واحـكـمْ بـمـا أنـزل الـلَّـهُ

وكيف يُرَى المعصومُ يحكم بالهوى ... مع الوحي والتحقيقُ ما ثَمَّ إلا هُـو

فكل هَوًى في عالم الخلق ساقطٌ إذا نظرتَ من عارف الوقت عَيْنَاهُ
ولكنه المرموزُ ولا يدركُ السَّنا وشاهدُ حال الوقت عن ذاك أعْمَاهُ
وما يعلمُ المعنى الذي قد قصدتُه وبيَّنْتُه إلا حليمٌ وأوّاهُ
ألا كلُّ كون حرفُ لفظ محقَّقٌ ونسبتُكم من ذلك الحرف معناهُ

اعلم أن هذا المنزل من منازل التوحيد والأنوار وأدخلنيه الله تعالى مرتين، وفي هذا المنزل صرت نوراً كما قال ﷺ في دعائه: «**وَاجْعَلْنِي نُوراً**» ومن هذا المنزل علمت الفرقان بين الأجسام والأجساد، فالأجسام هي هذه المعروفة في العموم لطيفها وشفافها وكثيفها ما يرى منها وما لا يرى، والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صور الأجسام، وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس وهي في نفسها ليست بالأجسام.

واعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، فهو الكامل الذي لا أكمل منه وهو محمد ﷺ، ومرتبة الكمل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضي الله عنهم، وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل هو من جملة الحيوان، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النموّ والإحساس.

واعلم أن العالم اليوم بفقد جمعية محمد ﷺ في ظهوره روحاً وجسماً وصورة ومعنى نائم لا ميت، وأن روحه الذي هو محمد ﷺ هو من العالم في صورة المحل الذي هو فيه روح الإنسان عند النوم إلى يوم البعث الذي هو مثل يقظة النائم هنا، وإنما قلنا في محمد ﷺ على التعيين إنه الروح الذي هو النفس الناطقة في العالم لما أعطاه الكشف، وقوله ﷺ: إنَّهُ سَيِّدُ النَّاسِ؛ والعالم من الناس فإنه الإنسان الكبير في الجرم والمقدم في التسوية والتعديل ليظهر عنه صورة نشأة محمد ﷺ كما سوى الله جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به إنساناً تاماً أعطاه بذلك خلقه وهو نفسه الناطقة، فقبل ظهور نشأته ﷺ كان العالم في حال التسوية والتعديل كالجنين في بطن أمه، وحركته بالروح الحيواني منه الذي صحت له به الحياة فأجل فكرك فيما ذكرته لك، فإذا كان في القيامة حيي العالم كله بظهور نشأته مكملة ﷺ موفر القوى، وكان أهل النار الذين هم أهلها في مرتبتهم في إنسانية العالم مرتبة ما ينمو من الإنسان فلا يتصف بالموت ولا بالحياة؛ وكذا ورد فيهم النص من رسول الله ﷺ أنهم «**لا يَمُوتون فيها ولا يَحْيَوْن**» وقال الله فيهم: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] والملائكة من العالم كله كالصور الظاهرة في خيال الإنسان وكذلك الجن، فليس العالم إنساناً كبيراً إلا بوجود الإنسان الكامل الذي هو نفسه الناطقة، كما أن نشأة الإنسان لا تكون إنساناً إلا بنفسها الناطقة، ولا تكون كاملة هذه النفس الناطقة من الإنسان إلا بالصورة الإلهية المنصوص عليها من الرسول ﷺ، فكذلك نفس العالم الذي هو محمد ﷺ

حاز درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في البقاء والتنوّع في الصور وبقاء العالم به، فقد بان لك حال العالم قبل ظهوره ﷺ أنه كان بمنزلة الجسد المسوى، وحال العالم بعد موته بمنزلة النائم، وحالة العالم ببعثه يوم القيامة بمنزلة الانتباه واليقظة بعد النوم.

واعلم أن الإنسان لما كان مثال الصورة الإلهية كالظل للشخص الذي لا يفارقه على كل حال غير أنه يظهر للحس تارة ويخفى تارة، فإذا خفي فهو معقول فيه، وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه، فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه كالظل إذا خفي في الشمس فلا يظهر فلم يزل الإنسان أزلاً وأبداً، ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه موصوفاً بأن له بصراً فلما مد الظل منه ظهر بصورته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ولو شاء لجعله ساكناً أي ثابتاً فيمن هو ظله فلا يمده فلا يظهر له عين في الوجود الحسي إلا لله وحده، فلم يزل مع الله ولا يزال مع الله فهو باق ببقاء الله، وما عدا الإنسان الكامل فهو باق بإبقاء الله.

ولما سوّى الله جسم العالم وهو الجسم الكل الصوري في جوهر الهباء المعقول قبل فيض الروح الإلهي الذي لم يزل منتشراً غير معين إذ لم يكن ثم من يعينه فحيي جسم العالم به، فكما تضمن جسم العالم أجسام شخصياته كذلك تضمن روحه أرواح شخصياته ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] ومن هنا قال من قال: إن الروح واحد العين في أشخاص نوع الإنسان، وإن روح زيد هو روح عمرو وسائر أشخاص هذا النوع، ولكن ما حقق صاحب هذا الأمر صورة هذا الأمر فيه فإنه كما لم تكن صورة جسم آدم جسم كل شخص من ذريته، وإن كان هو الأصل الذي منه ظهرنا وتولدنا كذلك الروح المدبرة لجسم العالم بأسره، كما أنك لو قدرت الأرض مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وانتشرت الشمس عليها أشرقت بنورها ولم يتميز النور بعضه عن بعضه ولا حكم عليه بالتجزي ولا بالقسمة ولا على الأرض، فلما ظهرت البلاد والديار وبدت ظلالات هذه الأشخاص القائمة انقسم النور الشمسي وتميز بعضه عن بعضه لما طرأ من هذه الصور في الأرض، فإذا اعتبرت هذا علمت أن النور الذي يخص هذ التنزل ليس النور الذي يخص المنزل الآخر ولا المنازل الأخر، وإذا اعتبرت التي ظهر منها هذا النور وهو عينها من حيث انفهاقه عنها قلت: الأرواح روح واحدة وإنما اختلفت بالمحال الشمس كالأنوار نور عين واحدة غير أن حكم الاختلاف في القوابل مختلف لاختلاف أمزجتها وصور أشكالها، ولما أعطيت هذا المنزل سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأقمت فيه شبه لي بالماء في النهر لا يتميز فيه صورة بل هو عين الماء لا غير، فإذا حصل ما حصل منه في الأواني تعين عند ذلك ماء الجب من ماء الجرة من ماء الكوز وظهر فيه شكل إنائه ولون إنائه فحكمت عليه الأواني بالتجزي والأشكال مع علمك أن عين ما لم يظهر فيه شكل إذا كان في النهر عين ما ظهر إذا لم يكن فيه غير أن الفرقان بين الصورتين في ضرب المثل أن ماء الأواني وأنوار المنازل إذا فقدت رجعت إلى النور الأصلي والنهر الأصلي، وكذلك هو في نفس الأمر لو لم تبق آنية ولا يبقى منزل لأنه لما أراد الله بقاء هذه الأنوار على ما قبلته من التمييز خلق لها أجساداً برزخية تميزت فيها هذه الأرواح عند

انتقالها عن هذه الأجسام الدنياوية في النوم وبعد الموت، وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية كما جعل لها في الدنيا ذلك غير أن المزاج مختلف فنقلها عن جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها ثم لا تزال كذلك أبد الآبدين، فلا ترجع إلى الحال الأوّل من الوحدة العينية أبداً. فانظر ما أعجب صنع الله الذي أتقن كل شيء، فالعالم اليوم كله نائم من ساعة مات رسول الله ﷺ يرى نفسه حيث هي صورة محمد ﷺ إلى أن يبعث، ونحن بحمد الله في الثلث الأخير من هذه الليلة التي العالم نائم فيها، ولما كان تجلي الحق في الثلث الأخير من الليل وكان تجليه يعطي الفوائد والعلوم والمعارف التامة على أكمل وجوهها لأنها عن تجل أقرب لأنه تجل في السماء الدنيا، فكان علم آخر هذه الأمة أتم من علم وسطها وأوّلها بعد موت رسول الله ﷺ، لأن النبيّ ﷺ لما بعثه الله بعثه والشرك قائم والكفر ظاهر، فلم يدع القرن الأوّل وهو قرن الصحابة إلا إلى الإيمان خاصة ما أظهر لهم مما كان يعلمه من العلم المكنون وأنزل عليه القرآن الكريم وجعله يترجم عنه بما يبلغه إفهام عموم ذلك القرن، فصوّر وشبه ونعت بنعوت المحدثات وأقام جميع ما قاله من صفة خالقه مقام صورة حسية مسوّاة معدّلة، ثم نفخ في هذه الصورة الخطابية روحاً لظهور كمال النشأة فكان الروح ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] وكل آية تسبيح في القرآن فهو روح صورة نشأة الخطاب فافهم فإنه سرّ عجيب فلاح من ذلك لخواص القرن الأوّل دون عامته، بل لبعض خواصه من خلف خطاب التنزيه أسرار عظيمة، ومع هذا لم يبلغوا فيها مبلغ المتأخرين من هذه الأمة لأنهم أخذوها من موّاد حروف القرآن والأخبار النبوية، فكانوا في ذلك بمنزلة أهل السمر الذين يتحدثون في أوّل الليل قبل نومهم، فلما وصل زمان ثلث هذه الليلة وهو الزمان الذي نحن فيه إلى أن يطلع الفجر فجر القيامة والبعث ويوم النشر والحشر تجلى الحق في ثلث هذه الليلة وهو زماننا، فأعطى من العلوم والأسرار والمعارف في القلوب بتجليه ما لا تعطيه حروف الأخبار، فإنه أعطاها في غير مواد بل المعاني مجرّدة فكانوا أتم في العلم وكان القرن الأوّل أتم في العمل.

وأما الإيمان فعلى التساوي، فإن هذه النشأة لما فطرت على الحسد وبعث فيها نبي من جنسها فما آمن به إلا قوي على دفع نفسه لما فيها من الحسد وحب التفوق والنفور من الحكم عليها، ولا سيما إذا كان الحاكم عليها من جنسها تقول: بماذا فضل علي حتى يتحكم فيّ بما يريده؟ فينسب إلى المؤمن من الصحابة من القوّة في الإيمان ما لا ينسب إلى من ليست له مشاهدة تقدم جنسه عليه، فكان اشتغالهم بدفع قوّة سلطان الحسد أن يحكم فيهم بالكفر يمنعهم من إدراك غوامض العلوم وأسرار الحق في عباده، ولم تحصل له رتبة الإيمان بغيب صورة الرسول وما جاء به لكونهم مشاهدين له ولصورة ما جاء، فلما جاء زماننا ووجدنا أوراقاً مكتوبة سواداً في بياض وأخباراً منقولة ووجدنا القبول عليها ابتداء لا نقدر على دفعه من نفوسنا إذا وفقنا الله علمنا أن قوّة نور الإيمان أعطى ذلك ولم نجد تردّداً ولا طلبنا آية ولا دليلاً على صحة ما وجدناه مكتوباً من القرآن ولا منقولاً من الأخبار، فعلمنا على القطع قوة

الإيمان الذي أعطانا الله عناية منه، وكنا في هذه الحالة مؤمنين بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم، كما لم يكن لنا قدم في الإيمان الذي غلب ما يعطيه سلطان الحسد عند المشاهدة، فقابلنا هذه القوّة بتلك القوّة فتساوتا وبقي الفضل في العلم حيث أخذناه من تجلي هذه الليلة المباركة التي فاز بها أهل ثلثها مما لا قدم للثلثين الماضيين من هذه الليلة فيها.

ثم إن تجليه سبحانه في ثلث الليل من هذه الليالي الجزئية التي يعطيها الجديدان في قوله: «**إنّ ربَّنا ينزلُ كلَّ ليلة في الثُلُثِ الأخير منها إلى السماء الدُّنيا فيقول: هل مِنْ تائب؟ هل مِنْ مستغفر؟ هل مِنْ سائل؟ حتى يَنْصَدِعَ الفجر**»، فقد شاركنا المتقدمين في هذا النزول وما يعطيه غير أنه تجل منقطع، وتجلى ثلث هذه الليلة التي نحن في الثلث الأخير منها وهي من زمان موت رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة لم يشاركنا في هذا الثلث أحد من المتقدمين، فإذا طلع فجرها وهو فجر القيامة لم ينقطع التجلي بل اتصل لنا تجليه فلم يزل بأعيننا فنحن بين تجل دنياويّ وأخراوي وعام وخاص غير منقطع ولا محجوب، وفي الليالي الزمانية يحجبه طلوع الفجر فحزنا ما حازوه في هذه الليالي، وفزنا بما حصل لنا من تجلي ثلث هذه الليلة المباركة التي لا نصيب لغير أهلها جبراً لقلوبهم لما فقدوه من مشاهدة الرسول ﷺ وكان خيراً لهم، فإنهم لا يعرفون كيف كانت تكون أحوالهم عند المشاهدة هل يغلبهم الحسد أو يغلبونه؟ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فاعرف يا ولي منزلتك من هذه الصورة الإنسانية التي محمد ﷺ روحها ونفسها الناطقة هل أنت من قواها أو من محال قواها وما أنت من قواها هل بصرها أم سمعها أم شمها أم لمسها أم طعمها؟ فإني والله قد علمت أي قوّة أنا من قوىٰ هذه الصورة لله الحمد على ذلك، ولا تظنّ يا وليّ أن اختصاصنا في المنزلة من هذه الصورة بمنزلة القوى الحسية من الإنسان بل من الحيوان أن ذلك نقص بنا على منزلة القوى الروحانية لا تظن ذلك بل هي أتم القوى لأن لها الاسم الوهاب، لأنها هي التي تهب للقوى الروحانية ما تتصرف فيه، وما يكون به حياتها العلمية من قوّة خيال وفكر وحفظ وتصور ووهم وعقل وكل ذلك من موادّ هذه القوى الحسية، ولهذا قال الله تعالى في الذي أحبه من عباده: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**» وذكر الصورة المحسوسة وما ذكر من القوى الروحانية شيئاً ولا أنزل نفسه منزلتها لأن منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس، والحق لا ينزل منزلة من يفتقر إلى غيره، والحواس مفتقرة إلى الله لا إلى غيره، فنزل لمن هو مفتقر إليه لم يشرك به أحداً فأعطاها الغنى فهي يؤخذ منها وعنها ولا تأخذ هي من سائر القوى إلا من الله، فاعرف شرف الحس وقدره وأنه عين الحق، ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلا بوجود الحس والمحسوس لأنها لا تكمل إلا بالحق، فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله لا نراه سبحانه كيف وصف نفسه بكونه سميعاً بصيراً متكلماً حياً عالماً قادراً مريداً، وهذه كلها صفات لها أثر في المحسوس، ويحس الإنسان من نفسه بقيام هذه القوى به، ولم يصف سبحانه نفسه بأنه عاقل ولا مفكر ولا متخيل، وما أبقى له من القوى الروحانية إلا ما للحس

مشاركة فيه وهو الحافظ والمصوّر فإن الحس له أثر في الحفظ والتصوير، فلولا الاشتراك ما وصف الحق بهما نفسه فهو الحافظ المصور؛ فهاتان صفتان روحانية وحسية، فتنبه لما نبهناك عليه لئلا ينكسر قلبك لما أنزلتك منزلة القوى الحسية لحساسة الحس عندك وشرف العقل، فأعلمتك أن الشرف كله في الحس وأنك جهلت أمرك وقدرك، فلو علمت نفسك علمت ربك كما أن ربك علمك وعلم العالم بعلمه بنفسه وأنت صورته، فلا بد أن تشاركه في هذا العلم فتعلمه من علمك بنفسك، وهذه نكتة ظهرت من رسول الله ﷺ حيث قال: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» إذ كان الأمر في علم الحق بالعالم علمه بنفسه وهذا نظير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] فذكر النشأتين: نشأة صورة العالم بالآفاق ونشأة روحه بقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو إنسان واحد ذو نشأتين حتى يتبين لهم للرائين أنه الحق أي أن الرائي فيما رآه الحق لا غيره، فانظر يا وليّ ما ألطف رسول الله ﷺ بأمّته وما أحسن ما علمهم وما طرّق لهم، فنعم المدرس والمطرق، جعلنا الله ممن مشى على مدرجته حتى التحق بدرجته آمين بعزته، فإن كنت ذا فطنة فقد أومأنا إليك بما هو الأمر عليه بل صرّحنا بذلك وتحملنا في ذلك ما ينسب إلينا من ينكر ما أشرنا به في هذه المسألة من العمي الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ووالله لولا هذا القول لحكمنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة، كما حكم الله عليهم بعدم السماع مع سماعهم في قوله تعالى ناهياً: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] مع كونهم سمعوا نفى عنهم السمع، وهكذا هو علم هؤلاء بظاهر الحياة بما تدركه حواسهم من الأمور المحسوسة لا غير، لأن الحق تعالى ليس سمعهم ولا بصرهم، فلنذكر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم إن شاء الله:

فمن ذلك علم عطش العالم الذي لا يقبل معه الري من العلم بالله، وفيه علم استناد هذا العلم الذي أعطاه هذا التعطش إلى حضرة الجمع الذي فيه عين الفرقة، وفيه علم ما يحصل بالذكر هل هو علم ما نسيه أو مثله لا عينه لشبهه في الصورة فإنه كان عالماً بأمر ثم نسيه لما تعطيه نشأته فلم تحفظ عليه صورة علمه بذلك المعلوم ثم ذكره بعد ذلك فهل ما شاهده في ذكره عين ما نسيه أو مثله؟ فإن الزمان قد اختلف عليه مع شبه الزمان بعضه ببعضه فأنت تعلم أن عين أمس ما هو عين اليوم ولا عين غد مع شبهه به في الصورة فمن أي قبيل هو علم الذكر؟فإن كان هو عينه فمن حفظه حتى ذكره، وأين خزانة حفظه هل هي في الناسي ولا ندري أو لها موضع آخر تحفظ فيه زمان نسيانه؟ فإذا تذكر كان عين تجلي ذلك العلم له فيكون الحق خزانته وهو الحافظ له والمجلي له حتى يذكره هذا الناسي، وإن لم يكن الأمر كذلك وإلا فليس بذاكر لما نسي بل هو متعلم علماً جديداً مماثلاً لعلمه الأوّل، وإنما وقع التجديد في التجلي الذي أعطاه ذكر ما نسي وهي مسألة عجيبة في علم كون العبد نسي ربه في أوقات ما لشغله بنفسه أو بشيء من العالم ثم يتذكره وهذا المنسي الذي لا يقبل التجديد بل هو عينه فمن هنا تعرف علم ذكر ما نسيته. وفيه علم البَدَاء وهل يستحيل هذا

الوصف على الله أم لا؟ ومن هنا أنكر من أنكر النسخ الإلهيّ في الأمور والشرائع وقال بإنكاره خلق كثير كما قال بتقريره لا على جهة البَدَاء خلق كثير، ونحن سلكنا في علم النسخ طريقاً بين طريقين فلم نقل بالبداء ولا نفينا النسخ وجعلناه انتهاء مدّة الحكم في علم الله إذ لم يرد حكم من الله ذكر أنه مؤبد أو جار إلى أجل معين ثم رفعه قبل وصول ذلك الأجل فلهذا سلكنا هذه الطريقة فيه، وفيه علم من ظهر في غير منزلته بصورة غيره حتى جعل نفسه مشقاً أو مثلاً لمن تلك صورته ليوقع اللبس ما حكم الله فيمن هذه صفته وما نعته الذي ينبغي أن يطلق عليه، وفيه علم الحكمة في الأمور التي تعطي التقديم والأمور التي تعطي التأخير بحكم الجزم أو بحكم الاختيار، وفيه علم منزلة المعتبرين في اعتبارهم ومن أين تطرق لهم هذا الزلل مع صحة الاعتبار في نفسه فإنه لا زلل فيه وإنما الزلل في المعتبرين وتميز طبقاتهم في ذلك وهو علم عزيز إذ ما كل معتبر يقيم الاعتبار في موضعه وهل المعتبر فيه بفتح الباء لما نصبه الحق هل نصبه لمجرد الاعتبار خاصة فلا يكون له قرار في نفسه إلا ما دام عبرة، فإذا ارتفعت عنه صفة الاعتبار من العالم ارتفع وجوده أو هو مقرر في نفسه لا يزول سواء اعتبره المعتبر أو لم يعتبره أو زال الاعتبار من العالم كما يزول في الآخرة عند الإقامة في الدارين، وفيه علم إنكار الجاهل على العالم من أين أنكر عليه هل من حضرة أو صفة أو وجودية في عينها أو عن تخيل لا وجود له من خارج في عينه بل في حضرة خيال المنكر، فإن إنكار العالم على الجاهل ما ينكره الجاهل عليه ما هي صورته صورة إنكار الجاهل على العالم وإن اجتمعا في النكران وهل على الحقيقة في العالم ما ينكر أم لا؟ وما هو الإنكار وعلى ما هو حقيقة؟ هل هو أمر وجودي أو نسبة؟ وفيه علم التنافس من أين ظهر في العالم ولماذا لا يظهر إلا في الجنس؟ وهل التشبه بالإله من هذا القبيل فإن كان فما الجنس الجامع بين الخلق والحق؟ هل الصورة التي نالها الإنسان الكامل المخلوق عليها أو ما ينافس هذا الإنسان الجزئي إلا الإنسان الذي لم يزل يحفظ صورة الحق في نفسه الذي هو ظل له فيحب هذا الإنسان الجزئي أن ينال رتبة ذلك الإنسان الذي هو ظل الصورة الإلهية أو ليس صورة الحق إلا عين هذا الإنسان الذي عبرنا عنه بالظل والحق روح تلك الصورة فيكون الحق ذا صورة وروح كما يتجلى في الآخرة فينكر ويعرف فإن الله ما ذكر ذلك التجلي سدى أعني في ذكر النبيّ ﷺ له في هذه الحياة الدنيا فما ذكره إلا لينبه القلوب على طلب علم ذلك من الله، وفيه علم خزائن الرحموت لا الرحمة، وفيه علم الرحمة المستندة إلى إعطاء الإنعام وإلى المقام الذي به رفعت حكم الغضب الإلهيّ من العالم وإلى المقام الذي يكون منه خلق ما يصلح بالعالم وأعني بذلك كله عالم التكليف، ومن هذا المقام تكلم القائلون بوجوب مراعاة الأصلح في حق الحق. وفيه علم الترقي في علم الأسباب هل ينتهي أو لا ينتهي؟ وهل الترقي سبب فيرتقي فيه وبه، وفيه علم الفتن والملاحم المعنوية ولمن تكون الغلبة فيها والظهور وإلى حيث ينتهي أمر هذه الفتن، وفيه علم تشبه العالم بالعالم وطبقاته فمن ذلك ما هو تشبه محمود كتشبه عالم التكليف منا بعالم التسبيح وهو كل شيء مسبح بحمد الله من العالم وكتشبه الإنسان بمن تقدّمه

في مكارم الأخلاق ومنه ما هو تشبه مذموم، وأما التشبه بالحق فذلك التشبه المطلوب عند أكثر أهل الله، وأما عندنا فلا يصح التشبه بالله، وما قال به من الحكماء إلا من لا معرفة له بالأمر على ما هو عليه في نفسه. وفيه علم الفرق بين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] وبين قوله تعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [صٓ: ١٥] فوحد وثنى، فما محل التثنية من محل الإفراد أو كيف هو الأمر؟ وفيه علم الخاتمة في الحال قبل كونها هل ذلك خاتمة في حق العالم بها أم لا؟ وهل العلم بذلك من البشرى التي قال الله فيها: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [يونس: ٦٤] أم لهذا صورة وللبشرى صورة أخرى؟ فإن النبيّ ﷺ قد بشر جماعة بالجنة وعاشوا بعد ذلك زماناً طويلاً بخلاف بشرى المحتضر، وفيه علم القوة الحادثة وتجزئها في المحدثات وهل ثم محدث أخذها كلها أم لا يتصور ذلك؟ وما قدرها من القوّة الإلهية هل هي جزء من كذا وكذا جزء منها أم لا؟ فإن القوّة الإلهية محلها الممكنات على الإطلاق والقوة الحادثة محلها بعض الممكنات، فإذا حضرت أجناس العالم الممكن وسميت ما للقوّة من الممكنات علمت على القطع مقدار ذلك من القوّة الإلهية. وفيه علم الفرق بين التسخير العام والتسخير الخاص وهل كون الحق ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمٰن: ٣١] هل هو من علم التسخير وبابه أو هو من حقيقة أخرى؟ فإن السيد بصورة الحال يقوم بما يحتاج إليه عبده فهو تسخير دقيق يعطي كمالاً في السيد، فإن العبد ليست منزلته أن يسخر سيده ومنزلة العبد أن يكون مسخراً تحت تسخير سيده، بالحالين تسخير بأمر سيده وتسخير بنفسه من ذاته لكونه عبداً وقد يسخر لغير سيده من أمثال سيده ومن أمثاله بطرق مختلفة، منها ما يكون تسخيره لذلك الغير عن أمر سيده، ومنها ما يكون بطريق المروءة مع المسخر له بفتح الخاء، ومنه ما يكون عادة لاستصحاب التسخير له من كونه عبداً فصار له ذلك ديدناً يحكم عليه فيتسخر لغير سيده بحكم العادة لا بالمروءة ولا بأمر السيد وفيه علم نظر العالم كله إلى هذا الإنسان هل ينظر إليه من كونه خليفة أو ينظر إليه من حيث ما عنده من الأمانات له ليؤديها إليه فهو مرسل من الحق بحكم الجبر لا بحكم الاختيار لأنه ما خلق بالأصالة إلا لتسبيح خالقه، وفيه علم ما تقع به العناية الإلهية للعبد وما يعطيه ذلك الاعتناء من المنزلة والعلم، وفيه علم الإجمال والتفصيل. وفيه علم دقيق وهو أن آدم عليه السلام أعطى لداود من عمره ستين سنة حين رأى صورته بين إخوته فأحبه فقبل ذلك داود فجحد آدم بعد ذلك ما أعطاه فانكسر قلب داود عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم فقال في آدم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرّفه به فلم يقل له وعلمتك الأسماء كلها، وقال في خلافة داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: ٢٦] فسماه فلما علم الله أن مثل هذا المقام والاعتناء يورثه النفاسة على أبيه آدم فإنه على كل حال بشر يكون منه ما يكون من البشر وما عرف قدر هذا إلا رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّما أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ**» يعني لنفسه ولحق غيره «**وَأَرْضَى كَمَا يَرْضَى البَشَرُ**» يعني لنفسه ولغيره، وكان هذا من التأديب الإلهيّ الذي أدّبه به ربه تعالى فيما أوحى به

إليه فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١] أي حكم البشرية فيّ حكمها فيكم، فلما أراد الله تأديب داود لما يعطيه الذكر الذي سماه الله به من النفاسة على أبيه ولا سيما وقد تقدم من أبيه في حقه ما تقدم من الجحد لما امتن به عليه لكون الإنسان إذا مسه الخير منوعاً غير أن آدم ما جحد ما جحده إلا لعلمه بمرتبته حيث جعله الله محلاً لعلم الأسماء الإلهية التي ما أثنت الملائكة على الله بها ولم تعط بعده إلا لمحمد ﷺ وهو العلم الذي كني عنه بأنه جوامع الكلم، فعلم آدم أن داود في تلك المدّة التي أعطاه من عمره لا يمكن أن يعبد الله فيها إلا على قدر كماله وهو أنقص من آدم في المرتبة لا شك لسجود الملائكة وما علمهم من الأسماء فطلب آدم أن يكون له العمر الذي جاد به على ابنه داود عليه السلام ليقوم فيه بالعبادة لله على قدر علوّ مرتبته على ابنه داود وغيره مما لا يقوم بذلك داود، فإذا قام بتلك العبادة في ذلك الزمان المعين وهب لابنه داود أجر ما تعطيه تلك العبادة من مثل آدم، ولو ترك تلك المدّة لداود لم تحصل له رتبة هذا الجزاء وحصل لآدم عليه السلام من الله على ذلك رتبة جزاء من آثر على نفسه فإنه يجزى بجزاء مثل هذا لم يكن يحصل له لو لم يكن ترك تلك المدة لداود، فكما أحبه في القبضة حين أعطاه من عمره ما أعطاه كذلك من حبه رجع في ذلك ليعطيه جزاء ما يقع في تلك المدّة من آدم من العمل ولا علم لداود بذلك، فلما جبره الله بذكر اسمه في الخلافة قال له من أجل ما ذكرناه من تطرق النفاسة التي في طبع هذه النشأة وإليه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فحذره فشغله ذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله له باسمه، ولكن قد حصل له الفرح وأخذ حظه منه قبل أن يصل إليه: زمان ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا عن الله فأمره بمراقبة السبيل، ثم تأدب الله معه حيث قال له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ [ص: ٢٦] ولم يقل فإنك إن ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد، وهذا علم شريف، وفي هذا المنزل علم أصحاب الكشف أنه ليس من حقيقة الكشف أن يعلمه المكاشف في كل صورة بل ذلك على قدر ما يريده الحق فيستر عنه ما شاء ويطلعه على ما شاء، فليس من شأن المكاشف نفوذ بصره في كل صورة تتجلى له بل تقوم له تلك الصورة التي لا يدري ما هي مقام كثافة الصورة عن إدراك الحس البشري لما خطر في نفس تلك الصورة التي أدركها البصر، وفي وقت آخر يعطيه الكشف بما تكلم به ذلك الشخص في قلبه وهو الكلام على الخاطر عن علم معين له وكشف لا عن زجر ولا حدس ولا موافقة.

وفيه علم ما يبقى الرفق الإلهي بالعالم، وفيه علم حكمة وجود العالم، وفيه علم أسباب النزول، وفيه علم الوهب والكسب، وفيه علم ما هو الأمر الذي يقوم فيه العبد مقام سيده وفيه علم رعاية الأسباب التي أعطت الخير لصاحب النظر فيها، وفيه علم الأبدال أي علم الصور التي يدركها البدل على صورته حيث شاء على علم منه وأن منزلته منزلة عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] وعلم الصور التي يقيمها الحق بدلاً من صورة هذا الذي يقام عنه حيث شاء الحق على غير علم من

هذا الذي يقام عنه، ومنزلته فيها منزلة يحيى عليه السلام في قول الله ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] وأي المقامين أتم وأعلى، وكون يحيى لم يجعل له من قبل سميًّا، واختصاصه بذبح الموت يوم القيامة، وفيه علم ما السبب الذي يدعو الإنسان أن يطلب الانفراد بالأتم والأعلى والتفوق على غيره، وفيه علم رفع المقادير هل ترفع في نفس الأمر أو لا يصح رفعها، وإنما ترفع في حق من ترفع في حقه وهي مقدّرة عند الله من حيث لا يشعر العالم بذلك، وفيه علم أن كل شيء يعلمه الإنسان إنما هو تذكر لا ابتداء علم وأن كل علم عنده لكنه نسيه، وفيه علم صورة تسليط الجن على الإنس والإنس على الجن، وهل تسليط الجن على الإنس ظاهراً وباطناً أو هو في حق قوم ظاهراً خاصة والباطن معصوم أو كيف هو الأمر؟ وكذلك القول في تسليط الإنس على الجن إلا أن الإنس ليس لهم تسليط إلا على ظاهر الجن إلا من تروحن من الإنس وتلطف معناه بحيث يظهر في ألطف من صور الجن فيسري بذاته في باطن الجن سريان الجن في باطن الإنس فيجهله الجنيّ ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه وهو حكم هذا الإنسيّ المتروحن، وما رأيت أحداً نبّه على هذا النوع من العلم وأطلعني الله تعالى عليه فما أدري هل علمه من تقدم من جنسي وما ذكره أم لا؟ وفيه علم الدواء الذي يزيل به الإنسان ما أثر فيه الجن في تسلطه عليه، وفيه علم ما ينكشف له بعد ذهاب هذا الأثر منه، وفيه علم صدور الكثرة عن الواحد وهل صدر عن الواحد أحدية الكثرة أو الكثرة؟ وفيه علم الصادر عن المصدر أنه يؤذن أن يكون له حكم المصدر فإن ثبت هذا فيكون مآل العالم المكلف إلى الراحة فإن الحق ما صدر عنه العالم من يوم الأحد إلى يوم الجمعة ودخل يوم الأبد هو يوم السبت والسبت الراحة وهو السابع من الأيام الذي لا انقضاء له وما مس الخالق من لغوب في خلقه ما خلق، ولكن كان يوم السبت يوم الفراغ من طبقات العالم وبقي الخلق من الله فيما يحتاج إليه هذا العالم من الأحوال التي لا ينتهي أبدها ولا ينقضي أمدها، وفيه علم نشء الملائكة، وفيه علم نشء الإنسان ومرتبته وماله من الحضرة الإلهية وتفاضل أشخاص هذا النوع بماذا يكون التفاضل هل بالنشء أو بما يقبله من الأعراض؟ وفيه من العلوم غير هذا ولكن قصدنا إلى المهم فالمهم من ذلك لننبه القلوب عليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل العندية الإلهية والصف الأوّل عند الله تعالى

[السريع]:

كم بَيْنَ من يعلمُ ما كان لَهْ … وبين مَنْ زَادَ على علْمِهِ
هذا الذي في علمه يَرْتَقي … وذاك ما يبرحُ من حُكْمِهِ
فالحالُ للأوّل من كَيْفِه … والعلمُ للآخر من كَمِّهِ
وكَمُّهُ لا ينتهي حكمُه … فعلمُه يُرْبي على فَهْمِهِ

لولا وجودُ الحَرْفِ ما كان لي فَهْمٌ وقد يُدْرَكُ من وَهْمِهِ
فالعِلْمُ والفهمُ لعيني معاً وليس للحَقِّ سوى عِلْمِهِ

وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦] وقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال رسول الله ﷺ: «**كَمَا تَصِفُ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**». وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] فاختلفت إضافات هذه العندية باختلاف ما أضيفت إليه من اسم وضمير وكناية، وهي ظرف ثالث ما رأيت من أهل الله من تنبه له حتى يعرف ما هو، فإنه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص بل ما هو ظرف مكانة جملة واحدة على الإطلاق، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [النحل: ٩٦] فجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا فعجبت من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والإنسان، ثم إن الله جعل عنديته ظرفاً لخزائن الأشياء ومعلوم أنه يخلق الأشياء ويخرجها من العدم إلى الوجود، وهذه الإضافة تقضي بأنه يخرجها من الخزائن التي عنده فهو يخرجها من وجود لم ندركه إلى وجود ندركه فما خلصت الأشياء إلى العدم الصرف بل ظاهر الأمر أن عدمها من العدم الإضافي، فإن الأشياء في حال عدمها مشهودة له يميزها بأعيانها مفصلة بعضها عن بعض ما عنده فيها إجمال، فخزائنها أعني خزائن الأشياء التي هي أوعيتها المخزونة فيها إنما هي إمكانات الأشياء ليس غير ذلك لأن الأشياء لا وجود لها في أعيانها بل لها الثبوت، والذي استفادته من الحق الوجود العيني فتفصلت للناظرين ولأنفسها بوجود أعيانها ولم تزل مفصلة عند الله تفصيلاً ثبوتياً، ثم لما ظهرت في أعيانها وأنزلها الحق من عنده أنزلها في خزائنها فإن الإمكان ما فارقها حكمه، فلولا ما هي في خزائنها ما حكمت عليها الخزائن فلما كان الإمكان لا يفارقها طرفة عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح معها لأنه لا بدّ أن تتصف بأحد الممكنين من وجود وعدم فما زالت هي والخزائن عند الله إذ المرجح لا يفارق ترجيح أحد الممكنين على هذه الأشياء فما لها خروج من خزائن إمكانها، وإنما الحق سبحانه فتح أبواب هذه الخزائن حتى نظرنا إليها ونظرت إلينا ونحن فيها وخارجون عنها كما كان آدم خارجاً عن قبضة الحق وهو في قبضة الحق يرى نفسه في الموطنين، فمن رأى الأشياء ولم ير الخزائن ولا رأى الله الذي عنده هذه الخزائن فما رأى الأشياء قط فإن الأشياء لم تفارق خزائنها وخزائنها لم تفارق عندية الله، والضمائر والعندية الإلهية لم تفارق ذاته، فمن شهد واحداً من هذه الأمور فقد شهد المجموع: [مخلع البسيط]

عِنْديَّةُ الحَقِّ عينُ ذاته فيها لأشيائه خَزائِنْ
يُنَزِّلُ منها الذي يَراهُ فهي لما يَحْتَويه صائنْ
إنزالُه لم يُزِلْه عنها لأنه أعيُنُ الكوائنْ
عِنْديَّةٌ ظَرْفُها نزيهٌ ما هي عِنْديَّةُ الأماكِنْ

ودهـــرُهــا الله لا زمــانٌ — والـدهـرُ ظـرفٌ لـكـلّ سـاكِـنْ
يَـمْـلُـكُـهُ بـالـسـكـون فـيـه — مـسـكـنـه أشـرفُ الـمـسـاكـنْ
لـيـس لـهـا نَـقْـلَـةٌ بـلا هـو — فَـهْـيَ كـمَـلْـزُومـه تُـعَـايِـنْ
مـا سُـقْـتُـهُ مـن دقـيـق مـعـنـى — ومـا أنـا لـلـغـريـم ضـامـنْ

فما في الكون إن كنت عالماً أحدية إلا أحدية المجموع لأنه لم يزل إلهاً ولا يزال إلهاً، وما تجدّد عليه حكم لم يكن عليه ولا حدث اسم لم يكن تسمى به فإنه المسمى نفسه ولا قام به نعت لم يكن قبل ذلك منعوتاً به بل له الأمر من قبل ومن بعد، فهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا والإله الذي في العماء والرحمن الذي وصف نفسه بالاستواء والرب الذي ينزل كل ليلة في الثلث الباقي من الليل إلى السماء وهو معنا أينما كنا؛ ما يكون من نجوى عدد معين إلا وهو مشفع ذلك العدد أو موتره فهو رابع الثلاثة وسادس الخمسة وأكثر من ذلك وأدنى، فهل رأيت أو هل جاءك من الحق في وحيه إلا أحدية المجموع لأنه ما جاء إلا إله واحد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وأنت تعلم إن كنت من أهل الفهم عن الله أن هذه الأسماء وإن ترادفت على مسمى واحد من حيث ذاته فإنا نعلم أنها تدل على معان مختلفة ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فما ندعو إلا إلهاً واحداً له هذه الأسماء المختلفة الحقائق والمدلولات، ولم تزل هذه الأسماء أزلاً، وهذه هي الخزائن الإلهية التي فيها خزائن الإمكانات المخزونة فيها الأشياء، فقابل الجمع بالجمع، والكثرة بالكثرة، والعدد بالعدد، مع أحدية العين فذلك أحدية الجمع، وكل مصل يناجي ربه في خلوته معه، وأن الله واضع كنفه عليه فو المطلق المقيد العام في الخصوص الخاص في العموم.

واعلم أن الله جعل لنا موطنين في التصفيف لم يجعل ذلك لغيرنا من المخلوقين: صف في موطن الصلاة، وصف في موطن الجهاد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] وأمرنا بالتراص في الصف في الصلاة، وذكر أن الملائكة تتراص في الصف عند ربها وجعل صفوفنا كصفوف الملائكة وليس ذلك لغيرنا من الأمم ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو الإمام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] فالإمام صف وحده لأنه مجموع وأحديته أحدية المجموع ولذلك كان صفاً وحده، وتجلى الحق لأهل الصفوف في مجموع الأحدية لا في أحدية المجموع، لأن كل شخص من أشخاص الصفوف يناجي من الحق ما يعطيه حضوره وما يناسب قصده وما هو عليه من العلم بربه، ولهذا تجلى لهم في مجموع الأحدية فسبق لهم المجموع وأضافه إلى الأحدية حتى لا يشركوا مع الله أحداً في عبادتهم مع اختلاف مقاصدهم وعقائدهم وأحوالهم وأمزجتهم ومناسباتهم ولهذا تختلف سؤالاتهم وتكثر، فلو تجلى لهم في أحدية

المجموع لم يتمكن لهم النظر إلى المجموع مع وجود تقدم الأحدية، ولو كان ذلك لكانت مقاصدهم مقصداً واحداً وسؤالهم سؤالاً واحداً، وحالاتهم في الحضور حالاً واحدة، وعلمهم بالله علم واحد والواقع ليس كذلك، فدل على أن التجلي كان في مجموع الأحدية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فرجع المجموع إلى الواحد وأضيف إليه لئلا يتخيلوا أن المجموع وجود أعيان وهو وجود أحكام وأن الله ما شرع الإمام في الصلاة إلا ليقابل به الأحدية التي أضاف المجموع إليها ويقابل بالجماعة مجموع الأحدية، فالإمام يناجي الأحدية خاصة، ولهذا اعتقد من اعتقد عصمة الإمام في الصلاة حتى يسلم وهم أصحاب الإمام المعصوم لأن الواحد لا يسهو عن أحديته إلا المعلم بالفعل فإنه يقوم به السهو ليعلم كيف يكون حكم الساهي من الجماعة وليس إلا الأنبياء خاصة، وما عدا الرسل فهو متبع واحد من أهل الصف، فإذا تقدم هو وليس برسول فهو معصوم لأنه ليس بمعلم، هذا الذي جعل أصحاب الإمام المعصوم الذين هم الإمامية يقولون بعصمة الإمام، والواقع خلاف ذلك فإنه ما من إمام إلا ويسهو في صلاته وإن لم يسه عن صلاته والجماعة تناجي مجموع الأحدية كل شخص مأموم يناجي ما يقابله من مجموع الأحدية، فأي مصل صلى ولم يشاهد ما ذكرناه من إمام ومأموم فما صلى الصلاة المشروعة بالكمال وإن أتمها فما أكملها لأن تمام الصلاة إقامة نشأتها واستيفاء أركانها من فرائضها وسننها من قيام وتكبير وقراءة وركوع وخفض ورفع وهيئة وسلام، إذا أتى بهذا كله فقد أتمها، وإذا شاهد ما ذكرناه فقد أكملها لأن الغاية هي المرتبة، وما وضعت الصلاة إلا لغايتها وهو المعبر عنه في العموم بالحضور في الصلاة أي استصحاب النية في أجزائها من أوّل الدخول فيها والتلبس بها إلى الخروج منها. فانظر يا أخي هل صليت مثل هذه الصلاة إماماً كنت أو مأموماً؟ وهل فرقت بينك وبين إمامك في الشهود أو ميزته عنك بالتقدم المكاني وبتقدم المكانة في الحكم؟ فلا تكبر حتى يكبر، ولا تركع حتى يركع، ولا ترفع حتى يرفع، ولا تفعل شيئاً من أفعال الصلاة حتى يفعل فإن رتبتك الاتباع، فالإمام متقدم على المأموم مكاناً إن كان في جماعة ومكانة إن لم يكن معه إلا واحداً فهو إمام بالمكانة يقابل الأحدية ويقابل مجموع الأحدية بانضمام الآخر إليه حتى كأنه الصف، فالإمام إذا تقدم بالمكان والجماعة خلفه لم يشهد سوى الأحدية، وإن كان في الصف مع المأموم لوحدانية المأموم شهد الإمام مجموع الأحدية وأحدية المجموع أو شهد المأموم مجموع الأحدية لا غير فميزته عنه المكانة لاتباعه إياه واقتدائه به، فإن خالفه فإن ناصية المأموم بيد شيطان والشيطنة البعد والصلاة قرب، فهذا قرب في عين بعد وبعد في عين قرب، فلم يشهد هذا المأموم مجموع الأحدية لأنه ليس بمأموم لا مكاناً ولا مكانة، وإذا كان بهذه المثابة فإنّ الإمام في حال مخالفة المأموم له ما يشاهد إلا الأحدية لأنه ليس في صف لفقد المأموم لما زال عن مأموميته، فالإمام في هذه الحال كالمصلي وحده بالنظر إلى حال هذا المأموم وهو إمام بالنظر إلى من يصلي خلفه من الملائكة والملائكة لا تصف إلا خلفه والملائكة تصف عند ربها، وهي في

هذه الحال عند الإمام المصلي وبها وهي لم تزل عند ربها فالإمام خليفة فسجد له الملائكة والإمام يسجد لله فالله قبلة الإمام والإمام قبلة الملائكة، وما أم جبريل عليه السلام بالنبيّ ﷺ إلا ليعلمه الصلاة بالفعل فصلى به مكانة لا مكاناً، فإنه صلى به وحده ولم يتقدم عليه فعلمه عدد الصلوات في أوقاتها وهيئاتها على أتم الوجوه، ثم أمره إذا كان في جماعة أن يتقدمهم بالمكان ومن رأى أنه تقدم بالمكان جبريل أيضاً فلم يكن ذلك إلا حتى كشف الله الغطاء عن بصر النبيّ ﷺ فرأى الملائكة فرأى الجماعة فصف معهم خلف جبريل وأما على الستر فلا، ولهذا صلى النبيّ ﷺ بالرجل وحده وجعله على يمينه في صف واحد لأن ذلك الشخص لم يشاهد الملائكة فراعى الإمام حكم المأموم وما كنت بجانب الطور إذ نادى الله موسى، ولا بالجانب الغربي إذ قضى إلى موسى الأمر ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] كذلك ما كنت مع رسول الله ﷺ إذ أم به جبريل في الصلوات الخمس ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١] وليس حكم من شاهد الأمور حكم من لم يشاهدها إلا بالإعلام، فللعيان حال لا يمكن أن يعرفه إلا صاحب العيان، كما أن للعلم حالاً لا يعرفه إلا أولو العلم ليس لغيرهم فيه ذوق ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] : [الوافر]

ولَكِنْ لِلْعَيَانِ لَطِيفُ مَعْنى ... لِذا سَأَلَ المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

ما زال سجود الملائكة لبني آدم في كل صلاة كما سجدوا لأبيهم آدم، فما زالت الخلافة في بني آدم ما بقي فيهم مصل يقول لله الله فإن الأمر الإلهيّ والشأن إذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه إلى يوم القيامة، وقد وقع السجود لآدم من الملائكة وبقي سجودهم لذريته خلف كل من يصلي إلى يوم القيامة، كما نسي آدم فنسيت ذريته، كما جحد آدم فجحدت ذريته، قتل قابيل هابيل ظلماً فما زال القتل ظلماً في بني آدم إلى يوم القيامة، وعلى الأوّل كفل من ذلك، كما للأوّل في الخير نصيب عن كل من فعله، **«فَمَنْ سَنَّ سُنّةً حسنةً فله أجْرُها وأجْرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سُنّةً سيئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ من عمل بها إلى يوم القيامة»** وهم الذي يحملون ﴿أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] فكل مصل إمام للملائكة. والملائكة خلفه سجد له، إلا أن الفرق بين الأصل والفرع أعني آدم وذريته أن الملائكة تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة، وآدم سجدوا له سجود المتعلم للمعلم فاجتمعا في السجود واختلفا في السبب، وإنما المقصود الذي أردناه أن نبين أن السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع، وأن الإمامة ما ارتفعت من آدم إلى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الإمام كما قررناه فنحن عند الله في حال إمامتنا والملائكة في هذه الحال عندنا بالاقتداء فهي عند ربها لأن الإمام عنده فالملائكة عنده لأنها عند الإمام وكل صف إمام لمن خلفه بالغاً ما بلغ؛ وقولي: [مخلع البسيط]

فعِنْدِيَّةُ الربِّ معقولةٌ ... وعندية الهُو لا تُعْقَلُ

وعـنـديـة الله مـجـهـولـة ... وعـنـديـة الـخـلـق لا تُـجْـهَـلُ
ولـيـس هـمـا عـنـد ظـرفـيّـة ... ولـيـس لـهـا غَـيْـرَهـا مَـحْـمَـلُ

الضمير في «لها» يعود على الظرفية، وفي «هما» يعود على عندية الحق والخلق.

واعلم أن العندية نسبة ما هي أمر وجودي لأن النسب أمور عدمية ثابتة الحكم معدومة العين، وسيأتي الكلام إن شاء الله في أحوال الأقطاب فيمن كان هجيره ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] من هذا الكتاب، وإنما قلنا أن عندية الله مجهولة لأن الله بما هو الله لا يتعين فيه اسم من الأسماء الإلهية دون اسم فإنه عين مجموع الأسماء وما تخصصه إلا الأحوال، فإنه من قال: يا الله افعل لي كذا فحاله تخصص أيّ اسم أراد مما يتضمنه هذا الاسم الله من الأسماء، فلهذا يقال فيه إنه مقيد في إطلاق أي تقيده الأحوال بما تطلبه من الأسماء المندرجة فيه ومطلق من حيث انتفاء الأحوال فهو الاسم القابل لكل اسم، كما أن الهيولى الكل قابلة لكل صورة، وعندية الرب قريبة من هذا إلا أن الفرق بينهما أن الرب ما أتى قط إلا مضافاً، فمن كان عنده فهو عند من أضيف إليه ولا يضاف إلا إلى كون من الأكوان وعندية الخلق معلومة فعندية الرب معقولة، وأما عندية الهو فإن الهو ضمير غائب والغائب لا يحكم عليه ما كانت حالته الغيبة لأنه لا يدرى على أي حالة هو حتى يشهد فإذا شهد فليس هو لأن الغيبة زالت عنه، ألا ترى الساكت لا ينسب إليه أمر حتى يتكلم ولا مذهب؟ ولهذا لا يدخل في الإجماع بسكوته، وهذه مسألة خلاف والصحيح ما قلناه، كما أن ترك النكير ليس بحجة إلا في بقاء ذلك الأمر على الأصل المنطوق به في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وكلام بني آدم مما خلق في الأرض وجميع أفعالهم، فإذا رأينا أمراً قد قيل أو فعل بمحضر رسول الله ﷺ ولم ينكره فلا نقول أن حكمه الإباحة فإنه لم يحكم فيه بشيء إذ يحتمل أنه لم ينزل فيه شيء عليه وهو لا يحكم إلا بما أوحى الله فيه إليه فيبقى ذلك على الأصل وهو التصرّف الطبيعي الذي تطلبه هذه النشأة من غير تعيين حكم عليه بأحد الأحكام الخمسة وهو الأصل الأوّل أو نرده إلى الأصل الثاني وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وليس بنص في الإباحة وإنما هو ظاهر، لأن حكم المحظور خلق أي حكم به من أجلنا أي نزل حكمه من أجلنا ابتلاء من الله هل نمتنع منه أم لا؟ كما نزل الوجوب والندب والكراهة والإباحة، فالأصل أن لا حكم وهو الأصل الأوّل الذي يقتضيه النظر الصحيح.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم: علم حمد السواء وتفاصيله فإنه عم الطرفين والواسطة وأضافه إلى العالمين لم يخص عالماً من عالم فقال في الطرف الواحد في أوّل فاتحة الكتاب: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وجعل هذا التحميد بين الرحمة المركبة فإنه تقدمه الرحمن الرحيم وتأخر بعده الرحمن الرحيم فصار العالم بين رحمتين: فأوّله مرحوم ومآله إلى الرحمة، وجاء في وسط سورة يونس في صفة أهل الجنة أن آخر دعائهم: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وجاء في سورة والصافات ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٢] بعد قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٢] وهم المرحومون السالمون، فحمد الله رب العالمين عقيب نصره وظفره بخيبر فهو حمد نعمة، فظهر حمد النعمة في أوّل السورة وفي وسطها وفي آخرها فعم الطرفين والواسطة، فهل هذا الحمد في هذه المراتب على السواء من كونه حمد سواء أو هو مختلف المراتب لاختلاف الطرفين والوسط؟ وأي المراتب أعلى فيه؟ هل أحد الطرفين أو الوسط؟ ولمن هو الحمد الأوّل من العالمين والوسط والآخر؟ كل ذلك علم يعطيه الله العلماء بالله الذين يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله. وفيه علم المراتب الملكية والبشرية وهل مراتبهما على السواء أو أي المراتب أعلى؟ هل مراتب البشر أو مراتب الملائكة أو لكل صنف منهما مراتب تعلو على مراتب الآخر؟ وفيه علم جلب المنافع وهل المضار في طيها منافع أم لا وتعيين المنافع؟ وفيه علم الاتباع في الإلهيات هل يتبع التابع فيها الذكر أو الفكر؟ وفيه علم توحيد الإضافة لا توحيد الإطلاق وهل التوحيد توحيدان أم لا أعني توحيد الذات وتوحيد الإله في الألوهة؟ وبماذا يدرك كل واحد من هذا التوحيد؟ وفيه علم نسبة الله إلى الأشياء هل هي عين نسبة الأشياء إلى الله أو تختلف؟ وفيه علم هل للشيء الواحد وجوه متعددة أو ليس للشيء الواحد سوى وجه واحد وما يصدر عنه إذا كان بهذه المثابة؟ وفيه علم الفرق بين الرمي الإلهيّ والكونيّ، وفيه علم الديمومة، وفيه علم الاختلاس وما حكمه في المختلس بكسر اللام والمختلس بفتح اللام اسم فاعل واسم مفعول وأن الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، وفيه علم ما للعالم من الخلق، وفيه علم اجتماع خالقين على مخلوق واحد هل أعطى كل واحد منهما ما أعطى الآخر أم أحكامهما في خلقه مختلفة وفيما اختلفوا فيه من خلقه وفيما اجتمعوا؟ وفيه علم الرفق بالجاهل في الحال وإمهاله ليرجع عن جهله. وفيه علم النطق من الجاهل هل حكمه حكم نطق العالم في الإصابة؟ وإن لم يعلم الجاهل المقام الذي منه نطق أم لا وإصابته التي يراها العالم خطأ فساوى العالم الجاهل في جهل المقام الذي منه نطق الجاهل والفرق بين من يدري ذلك ممن لا يدريه من العلماء وما حكم العالم الذي يعلم ذلك؟ وفيه علم تأثير الواحد في الكثيرين من أين أثر مع أحديته، وفيه علم الفصل والوصل، وفيه علم جمع الصفة للمختلفين بأيّ حقيقة تجمعهم، وفيه علم الهداية إلى الضلال، وفيه علم المواقف والقول وهل للرضى مواقف كما للقهر أم لا؟ وكم مواقف القيامة؟ وهل تنحصر مواقف أهل الله كمواقف النفري أم لا تنحصر أو تنحصر من وجه ولا تنحصر من وجه؟ ولماذا كان الوقوف؟ وهل هو وقوف سكون أم لا يزال منتقلاً في وقوفه؟ وفيه علم الفرق بين أهل الإسلام وأهل الاستسلام، وفيه علم طلب العلم من الكون، وفيه علم ما يعطيه الاعتراف بالحق في أيّ موطن كان وهل هو نافع صاحبه بكل وجه أم لا؟ وما ينبغي أن يعترف به مما لا ينبغي أن يعترف به، وفيه علم العلم النافع، وفيه علم أدوات المعاني ما كان منها مركباً وغير مركب، وفيه علم ما ينعم الإنسان وما يعذبه وأنه ليس شيء من الله في أحد. وفيه علم الخطوط والحدود الإلهية وأنها موسومة لا تختلط

وهي أعلم بمحالها من محالها بها فإن محالها معلومة لها وليس هي معلومة المكان لمحالها، وفيه علم النعم التي ترفع الآلام والفرق بينها وبين النعم التي لا ترفع ألماً، وفيه علم الأنس بالمثل وهل يقع الأنس بالله لمن خلق على الصورة أو من حقيقة كونه على الصورة أنه لا يأنس بالله كما لا يأنس الله به وهل للعالم بجملته هذا الحكم أم لا؟ وهل الإنسان الذي هو كالظل للحق حكمه حكم الإنسان الكامل الخليفة الذي هو جزء من ذلك الإنسان المشبه بالظل أم لا؟ وفيه علم الالتذاذ بالنعم الواقعة بالأغيار هل هو من كمال الالتذاذ المطلوب أو هل هو نقص في المستلذ له؟ وفيه علم النفس في قوله: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وإن أفْتاك المُفْتُون**»، فإن هنا لطفاً إلهياً في الإعلام أجراه الله على لسان رسوله ﷺ إنباء أنه ما يلقى الله في القلب إلا ما هو حق فيه سعادة الإنسان فإن رجع في ذلك إلى نفسه فقد أفلح، وهذا معنى قول بعض العارفين بهذا المقام حيث قال: «ما رأيت أسهل عليّ من الورع كلما حاك له شيء في نفسي تركته». وفيه علم تعظيم ما يعظم من الأحوال في القرائن، وفيه علم ما ينبغي أن يثابر عليه، وفيه علم المفاضلة في الأحوال من غير نظر إلى أصحابها القائمة بهم، وفيه العلم بالماهيات، وفيه علم تشابه الصورتين واختلاف الحكم، وفيه علم حكمة إيجاد الأئمة في العالم المضلين منهم وغير المضلين، وفيه علم النداء عند البلاء ولماذا اختص به دون النعم، وفيه علم إجابة الداعين والسائلين هل يزيد المجيب على مطابقة ما وقع فيه السؤال أو لا يزيد؟ فإن زاد فهل هو إجابة سؤال حال؟ فإن النطق لم يكن ثم، وفيه علم ارتباط العالم العلوي بالسفلي ليفيد وارتباط السفلي بالعلوي ليستفيد، والمفيد هو الأعلى أبداً والمستفيد هو السفلي أبداً، ولا حكم للمساحة وعلوّ المكان وفيه علم تأثير المحجوب في المكشوف له من أي وجه أثر فيه مع علو مرتبته وأن الحق يعضده وما عقوبة ذلك المؤثر، وفيه علم الأسفار، وفيه علم من وصف بالحلم مع عدم القدرة والحليم لا يكون إلا قادراً على من يحلم عليه، وفيه علم أثر الخيال في الحس وأين يبلغ حكمه، وفيه علم حكم المراتب على أصحابها بما يكرهون، وفيه علم قيمة الأشياء ولها حضرة خاصة وأنه ما من شيء إلا وله قيمة إلا الإنسان الكامل فإن قيمته ربه، وفيه علم ما ينتجه الصدق ومراتب الصادقين وأن يسألوا عن صدقهم، وفيه علم حضرات البركات الإلهية، وفيه علم مراتب الظلم وما يحمد منه وما يذم، وفيه علم الاشتراك في الأمر هل حكم ذلك الأمر في كل واحد من الشركاء على السواء أم يختلف الحكم مع الاشتراك في الأمر لاختلاف أحوال الشركاء واستعداداتهم، وفيه علم صورة حضرة اجتماع الخصوم بين يدي الحاكم، وفيه علم إلحاق الإناث بالذكور. وفيه علم القرعة وأين يحكم بها؟ وقول النبيّ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما فِي النِّدَاءِ وَالصَفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِي العتمةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً**» وفيه علم الظلمات ولماذا ترجع حقيقة الظلمة هل لأمر وجودي أو عدمي؟ وفيه علم فضل التنزيه على غيره من المحامد، وفيه علم الشفقة على الجنين إذا خرج والرفق به ورحمته وقول النبيّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا**» وفيه علم

اليقين والشك وهل يتصف صاحب اليقين بالشك فيما هو على يقين فيه أم لا؟ وفيه علم انفراد الحق بعلم الحق، وفيه علم ما ينبغي أن ينسب إلى الله، وفيه علم من في طبعه أمر ما لا يزول عن حكم طبعه وإن عرض له عارض يزيله فليس بدائم الزوال والطبع أغلب، وفيه علم تغير الأحوال على الملائكة من أين حصل لهم ذلك؟ وفيه علم العناية وطبقات العالم فيه، وفيه علم الأناة والعجلة، وفيه علم عموم البشارة وخصوص الإنذار، إلى غير ذلك من العلوم التي يطول ذكرها فقصدنا إلى ذكر المهم منها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل سرين من أسرار قلب الجمع والوجود

[البسيط]

إنْ قِيلَ هل في وُجُودِ الكونِ أوْسَعُ مِنْ ... رَحْمَةِ الله فقُلْ قَلْبٌ إذا كانا

بَيْتُ الإلٰه لإيمان يقومُ به ... مع التَّوَرُّع والتَّقْوَى إذا زَانَا

يحيطُ بالحقّ علْماً عَيْنُ صُورته ... وهو العزيزُ الذي في عينه هانا

القَلْبُ مُلْكِيَ والسُّكْنَى لخالقه ... عُمْرَى ورُقْبَى وإيماناً وإحْسَانا

قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمٰنِ يَأْتِينِي مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ**»، فنفس الله عنه بالأنصار، فكانت الأنصار كلمات الله نصر الله بهم دينه وأظهره، وهذا المنزل هو منزل ذلك التنفس الرحماني، وهذا المنزل عنه ظهرت جميع المنازل الإلهية كلها في العالم الذي هو كل ما سوى الله تعالى علواً وسفلاً، روحاً وجسماً، معنى وحساً، ظاهراً وباطناً، فمنه ظهرت المقولات العشر وجاء في الخبر النبوي رائحة لما قلناه، وله وجوه إلى كل جنس ونوع وشخص من العالم لا تكون لجنس آخر ولا لنوع آخر ولا لشخص آخر، ولهذا المنزل صورة وروح وإمداد إلهي من حيث ما نسب الحق إلى نفسه من الصورة ولكن من باطن الصورة، وحكم هذا الإمداد في الظاهر والباطن من صورة هذا المنزل لكنه في الباطن أتم، ولهذا أخر الإسم الباطن عن الأوّل والآخر والظاهر لما عبر عن هذه النعوت الإلهية وذلك ن الأمر الإلهيّ في التالي أتم منه وأكمل منه في المتلوّ الذي هو قبله ففيه ما في الأوّل وزيادة، هكذا هي كلمات الوجود الإلهية، والآخر يتضمن ما في الأوّل والظاهر يتضمن ما في الآخر والأوّل والباطن يتضمن ما في الظاهر والآخر والأوّل، ولو جاء شيء بعد الباطن لتضمن الباطن وما قبله ولكن الحصر منع أن يكون سوى هذه الأربعة ولا خامس لها إلا هويته تعالى، وما ثم في العالم حكم إلا من هذه الأربعة، وعلى صورة هذه الأربعة ظهر عالم الأرواح وعالم الأجسام وما ثم عالم سوى هذين، فمن الإلهيات علم وإرادة وقدرة وقول عنها ظهر عالم الأرواح الخارج عن الطبيعة والطبيعة، ثم أظهر عن هذه الأربعة الإلهية الطبيعة على أربع، وعنها أظهر عالم الأجسام كثيفها ولطيفها، كما أظهر عن هذه الأربع الإلهية من عالم

التدوين والتسطير عقلاً ونفساً وطبيعة وهيولى قبل ظهور الأجسام وأظهر الأركان أربعة وهي: النار والهواء والماء والتراب، وأظهر النشأة الحيوانية على أربعة أخلاط وجعل لهذه الأخلاط أربع قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة، فأقام الوجود على التربيع وجعله لنفسه كالبيت القائم على أربعة أركان، فإنه الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فللباطن ركن الحجر الأسود فإنه يمين الله في الأرض المقبل على جهة البيعة لله فالعين تقع على الحجر والبصيرة تقع على اليمين، فاليمين باطن للحجر غير ظاهر للبصر، فيشرف ركن الحجر على سائر الأركان فضم حكم الباطن حكم الثلاثة النعوت التي قبل الباطن وهو المخصوص بهذا المنزل، ولب هذا المنزل هو الصورة الإلهية التي منها يكون الإمداد له لب تلك الصورة وهو روحها وهو لب اللب وهو خزانة الإمداد لهذا المنزل، ولهذا المنزل التحكم في العالم كله كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة توقد من شجرة هويته فهي لا شرقية ولا غربية لا تقبل الجهات عن هذه الزيتونة يكون الزيت وهو المادّة لظهور هذا النور، فهذه أربعة مشكاة وزجاجة ومصباح وزيت، والخامس الهوية وهو الزيتونة المنزهة عن الجهات، وكنى عنها بالشجرة من التشاجر وهو التضاد لما تحمله هذه الهوية من الأسماء المتقابلة كالمعز والمذل والضار والنافع فانظر ما أكمل العبارات الإلهية في الإخبار بما هو الأمر عليه، فمن دخل هذا المنزل وفاته شيء من العالم وحقائقه فما دخله وإنما خيل الشيطان له أو النفس أنه دخله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] إذ حضرة الخيال تنشىء كل صورة، وكثير من الناس يدخلون هذه الحضرة الخيالية ويشاهدون ما تجلى لهم من الصور فيزعمون أنهم شاهدوا الوجود الثابت العين على ما هو عليه ولم يكن سوى ما صوره الخيال، فمن بلي بمثل هذا فليتربص قليلاً، فإن كان ما يشاهده روحاً ثابت العين في الوجود أو محسوساً في العين فإنه يثبت ولا يتغير، وإن كان خيالاً فلا يثبت ويسرع إليه التغير في الحال ويرى صورة التغير فيه ويعلم أن الذي ظهر له بالتغير هو عين الأوّل، ويرى بعضهم نفسه في صورتين وأكثر ويعلم أنه هو، فبهذا يفرق بين الصور الثابتة في عينها حساً وروحاً وبين الصور الخيالية وهذا ميزانها لمن لا معرفة له فقد نبهتك ونصحتك، فلا تغفل عن هذا الميزان إن كنت من أهل الكشف.

وما جعل الله النوم في العالم الحيواني إلا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم، فيعلم أن ثم عالماً آخر يشبه العالم الحسي ونبهه بسرعة استحالة تلك الصور الخيالية للنائمين من العقلاء، على أن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس إلا في الكلام خاصة وفي الحركات، وما عدا هذين الصنفين فلا تدركه صورة الاستحالات والتغيرات فيها إلا بالبصيرة وهو الكشف أو بالفكر الصحيح في بعض هذه الصور لا في كلها، فإن الفكر يقصر عن ذلك، وأصل ذلك كله، أعني أصل التغير من صورة إلى مثلها أو خلافها في الخيال أو في الحس أو حيثما كان في العالم، فإنه كله لا يزال يتغير أبد الآبدين إلى غير نهاية لتغير الأصل الذي يمدّه وهو التحوّل الإلهي في الصورة الوارد في

الصحيح، فمن هناك ظهر في المعاني والصور: [مجزوء الوافر]

فَمِنْ مَعْنًى إلى مَعْنَى   ومِنْ صُوَرٍ إلى صُوَرِ

وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وهو ما يحدثه من التغييرات في الأكوان، فلا بد أن يظهر في كل صورة تغيرها بحكم لا يكون إلا لذلك المتغير، فإن فهمت فقد أبنت لك الأمر على ما هو عليه فإن في ذلك لذكرى أي في تغيير العالم ذكرى بتغير الأصل لمن كان له قلب فإن القلب له التقليب من حال إلى حال وبه سمي قلباً فمن فسر القلب بالعقل فلا معرفة له بالحقائق فإن العقل تقييد من العقال، فإن أراد بالعقل الذي هو التقييد ما نريده نحن أي ما هو مقيد بالتقليب فلا يبرح يتقلب فهو صحيح، كما نقول بالتمكين في التلوين فلا يزال يتلونّ وما كل أحد يشعر بذلك.

ولما علمنا أن من صفة الدهر التحوّل والقلب والله هو الدهر وثبت أنه يتحوّل في الصور وأنه كل يوم في شأن واليوم قدر النفس فذلك من اسمه الدهر لا من اسم آخر إن عقلت، فلو راقب الإنسان قلبه لرأى أنه لا يبقى على حالة واحدة فيعلم أن الأصل لو لم يكن بهذه المثابة لم يكن لهذا التقلب مستند فإنه بين أصبعين من أصابع خالقه وهو الرحمن، فتقليب الأصابع للقلب بغير حال الأصبعين لتغير ما يريد أن يقلب القلب فيه فمن عرف نفسه عرف ربه وفي حديث الأصابع بشارة إلهية حيث أضافهما إلى الرحمن فلا يقلبه إلا من رحمة إلى رحمة، وإن كان في أنواع التقليب بلاء ففي طيه رحمة غائبة عنه يعرفها الحق، فإن الأصبعين أصبعا الرحمن فافهم، فإنك إذا علمت ما ذكرناه علمت من هو قلب الوجود الذي يمد عالم صورته التي هو لها قلب وأجزاؤها كلها وأنه هو قلب الجمع، وهو ما جمعته هذه الصورة الوجودية من الحقائق الظاهرة والباطنة، فلما كان الله كل يوم هو في شأن كان تقليب العالم الذي هو صورة هذا القالب من حال إلى حال مع الأنفاس، فلا يثبت العالم قط على حال واحدة زماناً فرداً لأن الله خلاق على الدوام، ولو بقي العالم على حالة واحدة زمانين لاتصف بالغنى عن الله ولكن الناس ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: ١٥] فسبحان من أعطى أهل الكشف والوجود التنزه في تقليب الأحوال والمشاهدة لمن هو كل يوم في شأن والله هو الدهر، فلا فراغ لحكم هذا الدهر في العالم الأكبر والأصغر الذي هو الإنسان وهو أحد المعلومات الأربعة التي لها التأثير، فالمعلوم الأول لنا الإنسان والمعلوم الثاني العالم الأكبر الذي هو صورة ظاهر العالم الإنساني، والإنسان الذي هو قلب هذه الصورة ولا أريد به إلا الكامل صاحب المرتبة وهو المعلوم الثالث والمعلوم الرابع حقيقة الحقائق التي لها الحكم في القدم والحدوث، وما ثم معلوم خامس له أثر سوى ما ذكرناه.

ويتشعب من هذا المنزل شعب الإيمان وذلك بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله وما بينهما من الشعب، وهذا المنزل منزل الإيمان ومنه ظهر الإيمان في قلب المؤمن والخاص به الاسم المؤمن من الأسماء الإلهية. فمن هنا شرع المؤمن شعب الإيمان، وأبانها، ومن هذا المنزل أخذت أمة محمد أعمارها، فغاية عمر هذه

الأمة المحمدية سبعون سنة لا تزيد عليها شيئاً، فإن زاد فما هو محمدي وإنما هو وارث لمن شاء الله من الأنبياء من آدم إلى خالد بن سنان فيطول عمره طول من ورثه، ولهذا قال النبيّ ﷺ في أعمار أمّته **«إنّها ما بين السّتّين إلى السّبْعين»** فجعل السبعين الغاية لعمر أمته، فعلمنا أنه ما يريد بأمته إلا المحمديين الذين خصهم الله برتبة ما خص الله بها نبيه من الأحكام والمراتب على جميع الأنبياء إذ كنا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وكل حكم ورتبة كانت لنبيّ قبله، وإن كانت له ووقع له فيها الاشتراك فلم يخلص له وحده وليس له الشرف الكامل إلا بما خلص له دون غيره فأمته مثله، فمن كان عند انفصاله عن الدنيا أو في حاله على شرع مشترك من هذه الأمة نسبناه إلى من ظهر به أولاً قبل ظهور محمد ﷺ ليظهر الفرق بين الأمرين ولتعرف منزلة الشخصين، وإن كان ما أخذه إلا من تقرير محمد ﷺ فإنه من أمته، ولكن حكم الاشتراك يتميز عن حكم الاختصاص، ومات ﷺ وله ثلاث وستون سنة، والذي يزيد على السبعين سنة بالغاً ما بلغ وإن كان من أمته وممن حصل له الاختصاص المحمدي كله فإنه لا يقبض حين يقبض إلا في الشرع المشترك وما هو نقص به فإنه قد حصل حكم الاختصاص ولكن خروجه عن السبعين التي جعلها رسول الله ﷺ غالب غاية عمر أمته المقبوضين في الحكم الاختصاصي جعله أن يفرق بينه وبين غيره من الأمة، وهذا من العلوم التي لا تدرك بالرأي والقياس، وإنما ذلك من علوم الوهب الإلهي. وكذا ذكر أن كل واحد من الخلفاء الأربعة ما مات حتى بلغ ثلاثاً وستين سنة إثباتاً أنهم قبضوا في الاختصاص المحمديّ لا في حكم الشرع المشترك، فمن هذا المنزل تعين هؤلاء الأربعة من غيرهم، وتعينت العشرة أيضاً من هذا المنزل الذين هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرّاح، فهذا منزلهم الذي منه عينهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة في مجلس واحد بأسمائهم، فإن المشهود لهم بالجنة كثيرون لكن ليس في مجلس واحد، ومقيدون بصفة خاصة كالسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعين منهم عكاشة بن محصن ونبه بقوله: **«بغَيْر حساب»** أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تخيلوه، فبدا لهم خير من الله لم يكونوا يحتسبونه، وهم الذين **«لا يَسْتَرْقُون ولا يكتَوُون ولا يَتَطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون»** فقوله: **«لا يَسْتَرْقُون»** أي لا يستدعون الرقية لإزالة ألم يصيبهم ولا يرقون أحداً من ألم يصيبه وجاء بالاستفعال للمبالغة، وإنما رقى النبيّ ﷺ واستعمل الطب في نفسه في مرضه لأنه يتأسى به فيتأسى به الضعيف والقوي فإنه رحمة للعالم وهكذا جميع الرسل، فما حكمهم حكم أممهم فلا يقدح ذلك في مقامهم، فلهم المقام المجهول حيث يظهرون لأممهم بصورة القوّة والضعف، فلا يعرف أحد لماذا ينسبهم من المقامات. وقوله: **«ولا يتطَيَّرُون»** فإن الطائر هو الحظ فهم خارجون عن حظوظ نفوسهم مشتغلون بما كلفهم الله به من الأعمال وفاء لما تستحقه الربوبية عليهم لا يبتغون بذلك حظاً لنفوسهم من الأجر الذي وعد الله به على ما هم عليه من الأعمال فلم يبعثهم على العمل ما نيط به من الأجر ولكن ما ذكرناه من وفاء المقام فهذا

معنى لا يتطيرون أي لا يعملون على الحظوظ. وقوله: «**ولا يَكْتَوُون**» فإن الاكتواء لا يكون إلا بالنار وقد عصمهم الله أن تمسهم النار فيجدون في نفوسهم أنهم لا يكتوون وتلك عصمة إلهية من حيث لا يشعرون وقوله: «**وعلى رَبّهم يَتَوَكّلُون**» أي يتخذونه وكيلاً فيتكلون عليه اتكال الموكل على الوكيل وهي معرفة وسطى جاءتهم من القصد الثاني، فرأوا أن الله خلق الأشياء لهم وخلقهم له فاتخذوه وكيلاً فيما خلق لهم ليتفرغوا إلى ما خلقوا له.

وإنما قلنا مرتبة وسطى لأن فوقها المرتبة العالية وهو القصد الأوّل، فإن الله ما خلق شيئاً من العلم كله إلا له ليسبحه بحمده وننتفع نحن بحكم العناية والتبعية والقصد الثاني هو هذا لأنه لما سوّانا وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه قصد أن في الخلق في العالم الإنساني وغير الإنساني من يتوكل عليه في أمره كله لأنه مؤمن بأن لله تعالى في كل شيء وجهاً ولا يقول به إلا المؤمن، إذ كان غير المؤمن من الناس خاصة من يقول: إن الله ما وجد عنه بطريق العلية إلا واحد، ولا علم له بجزئيات العالم على التفصيل إلا بالعلم الكليّ الذي يندرج فيه جميع العلم بالجزئيات فلهذا جعل التوكل في المؤمنين قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فجعل التوكل علامة على وجود الإيمان في قلب العبد، ولم يتخذه وكيلاً إلا طائفة مخصوصة من المتوكلين المؤمنين الذي امتثلوا أمر الله في ذلك في قوله: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] فيتخيل من لا علم له بالوجود في الأشياء أنك صاحب المال فاتخذته وكيلاً سبحانه فيما هو ملك لك، وأن إضافة الأموال إليك بقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُم﴾ [البقرة: ١٨٨] إضافة ملك، وما علم أن تلك الإضافة إضافة استحقاق كسرج الدابة وباب الدار لا إضافة ملك. والذي نراه نحن والأكابر أن الله قال لنا: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧] فما هو لنا فوكلناه واتخذناه وكيلاً في الإنفاق الذي هو ملكاً لعلمنا بعلم الوكيل بالمصالح ومواضع الإنفاق التي لا يدخلها حكم الإسراف ولا التقتير، فتولى الله الإنفاق علينا بأن ألهمنا حيث ننفق ومتى ننفق، فإن النفقة على أيدينا تظهر فيدنا يد الوكيل في الإنفاق فنحن معصومون في الإنفاق لمعرفتنا بالوجوه، ولأن يدنا يد حق فإنها يد الوكيل وهذا لا يعلم إلا بالكشف الإلهيّ فهم بهذه المثابة في التوكل وما يشعرون بذلك لأنه قال: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨] فهم على غير بصيرة وأفعالهم أفعال أهل البصائر عناية إلهية ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] والفضل الزيادة.

واعلم أن العالم لما كان أصله أن يكون مربوطاً وجوده بالواجب الوجود لنفسه كان مربوطاً بعضه ببعض فيتسلسل الأمر فيه إذا شرع الإنسان ينظر في العلم به فيخرجه من شيء إلى شيء بحكم الارتباط الذي فيه ولا يكون هذا إلا في علم أهل الله خاصة، فلا يجري على قانون العلماء الذين هم علماء الرسوم والكون، فقانونهم ارتباط العالم بعضه ببعض فلهذا تراهم يخرجون من شيء إلى شيء وإن كان يراه عالم الرسوم غير مناسب وهذا هو علم الله ومعلوم أن المناسبة ثم ولكن في غاية الخفاء مثل قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فجاء بآية الصلاة وقبلها آيات النكاح والطلاق وبعدها آيات

الوفاة والوصية وغير ذلك مما لا مناسبة في الظاهر بينهما وبين الصلاة، وأن آية الصلاة لو زالت من هذا الموضع واتصلت الآية التي بعدها بالآيات التي قبلها لظهر التناسب لكل ذي عينين، فهكذا علم أولياء الله تعالى.

سئل الجنيد عن التوحيد، فأجاب السائل بأمر، فقال له: لم أفهمه أعد عليّ، فأجابه بأمر آخر فقال السائل: لم أفهمه، فأجابه بأمر آخر ثم قال له: هكذا هو الأمر فقال: أمله عليّ، فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه. يقول: إني لا أنطق عن هوى بل ذلك علم الله لا علمي فمن علم القرآن وتحقق به علم علم أهل الله وأنه لا يدخل تحت فصول منحصرة ولايجري على قانون منطقي ولا يحكم عليه ميزان فإنه ميزان كل ميزان، فلهذا المنزل من عالم الأجسام فلك الشمس من الأفلاك فسبعة فوقه منها ثلاث سموات وفلك المنزل والأطلس الذي هو فلك البروج والكرسي والعرش المحيط وهو نهاية عالم الأجسام، وتحته أيضاً سبعة: ثلاث سموات وكرات الأثير والهواء والماء والأرض، وبقطعها في الفلك تظهر فصول السنة وهي أربعة فصول لوجود التربيع الذي ذكرناه، فإن البروج التي هي التقديرات في الفلك الأطلس مربعة قد جعلها الله على أربع مراتب، نارية وترابية وهوائية ومائية لحكم الأربعة الإلهية والأربعة الطبيعية، ولكل فصل ثلاثة أحكام: حكمان للطرفين وحكم للوسط وبينهما أحكام في كل حركة ودقيقة وثانية وثالثة إلى ما لا يتناهى التقسيم فيها، وجعل نجم السماء الثانية من جهتنا ممتزجاً وهو الكاتب ولهذا أسكنه عيسى عليه السلام لأنه ممتزج من العالمين فإنه ظهر بين ملك وبشر وهما جبريل ومريم، فهو روح عن روح وبشر عن بشر، ولم يجعل ذلك في غيره من هذا النوع، كما لم يجعل شيئاً من الجواري الخنس على صورة الكاتب فهو السادس من هناك ليحصل له شرف رتبة قوله: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وهو الثاني من جهتنا لأن الثاني هو الباء وهو المبدع الأول بفتح الدال الظاهر عن الإنسان الذي هو ظل الصورة الإلهية الذي لم يزل، فذلك هو الأول لا أولية الحق لأن أولية الحق لا تقبل الثاني فإن الواحد ليس بعدد وأول العدد الاثنان فظهر في ألسنة الامتزاج بظهور الفصول.

واعلم أن الله لما أعلمنا أنه هو الدهر ذكر لنا سبحانه أن له أياماً من كونه دهراً وهي أيام الله فعين هذه الأيام أحكام أسمائه تعالى في العالم، فلكل اسم أيام وهي زمان حكم ذلك الاسم والكل أيام الله وتفاصيل الدهر بالحكم في العالم وهذه الأيام تتوالج ويدخل بعضها في بعض ويغشي بعضها بعضاً وهو ما يراه في العالم من اختلاف الأحكام في الزمان الواحد، فذلك لتوالجها وغشيانها وتقليبها وتكررها، ولهذه الإيام الإلهية ليل ونهار، فليلها غيب وهو ما غاب عنا منها وهو عين حكمها في الأرواح العلوية الكائنة فوق الطبيعة والأرواح المهيمة، ونهارها شهادة وهو عين حكمها في الأجسام الطبيعية إلى آخر جسم عنصري وهي ما تحت الطبيعة، وسدفة هذا اليوم عين حكم هذه الأيام في الأرواح المسخرة التي تحت الطبيعة وهم عمار السموات والأرض وما بينهما، وهم الصافون والتالون والمسبحون، وهم على مقامات

معلومة، فمنهم الزاجرات والمرسلات والمقسمات والمنقيات والنازعات والناشطات والمدبرات وغير ذلك مثل السائحين والعارجين والكاتبين والراقبين كل هؤلاء تحت حكم أيام الله من حيث سدف هذه الأيام، فعن غشيان نهار هذه الأيام ليلها وجدت الأرواح التي فوق الطبيعة، وعن غشيان ليل هذه الأيام نهارها وجدت الأجسام التي دون الطبيعة، وعن توالج ليلها بنهارها فليس بنهار خالص لحكم الليل ومشاركته، وليس بليل خالص لحكم النهار ومشاركته، وهذا الحال لهذه الأيام تسمى سدفاً وجد عن هذا التوالج الأرواح التي دون الطبيعة.

ولما قسم الله أيامه هذه الأقسام جعل ليلها ثلاثة أقسام ونهارها ثلاثة أقسام فهو سبحانه ينزل لعباده في الثلث الأخير من ليل أيامه وهو تجليه فيه للأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية، والثلث الوسط يتجلى فيه للأرواح المسخرة، والثلث الأول يتجلى فيه للأرواح المهيمنة، وقسم نهار هذه الأيام إلى ثلاثة أقسام يتجلى في كل قسم إلى عالم الأجسام من أجل ما هي مسبحة بحمد الله دائماً، ففي الثلث الأول يتجلى للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار، وفي الثلث الوسط يتجلى للأجسام الشفافة، وفي الثلث الأخير يتجلى للأجسام الكثيفة، ولولا هذا التجلي ما صحت لهم المعرفة بمن يسبحونه، فإن المسبح لا بد أن يكون له معرفة بمن يسبحه، والمعرفة بالله لا يصح أن تكون عن فكر ولا عن خبر وإنما تكون عن تجليه لكل مسبح، فمنهم العالم بذلك ومنهم من لا يعلم ذلك ولا يعلم أنه سبح عن معرفة تجل وذلك ليس إلا لبعض الثقلين، وما عدا هذين فهم عارفون بمن تجلى لهم مسبحون له على الشهود أجساماً عموماً وأرواحاً خصوصاً، فكل من ليس له قوة التوصل لما يشهده فعنده العلم بمن تجلى له، وكذلك من له قوة التوصيل غير أنه أمين لا يتكلم إلا عن أمر إلهي فذلك عنده العلم بمن تجلى له، ومن علم أن عنده قوة التوصيل وهو نمام ينم بما شهده وسمعه وليس بأمين ينتظر أمر صاحب الأمانة فإنه لا يعلمه الحق في تجليه أنه هو وهم المنكرون له إذا تجلى لهم في الدنيا والآخرة جعلنا الله من الأمناء العالمين بمن تجلى لهم.

فإن قلت: فالليل والنهار في اليوم ما يحدثه إلا طلوع الشمس وغروبها فما الشمس التي أظهرت الليل والنهار في أيام الله المسمى دهراً؟ قلنا: اسمه النور الذي ذكر أنه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فله الطلوع والغروب علينا من خلف حجاب الإنسان المثلي الذي ذكرنا أنه ظله المخلوق على صورته الأزلي الحكم الذي نفى عنه المثلية وأثبت عين وجوده في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] بكاف الصفة فيسمى ليله باطناً ونهاره ظاهراً، فهو الباطن من حيث ليله وهو الظاهر من حيث نوره، وذلك المثل الإنساني يميز طلوع هذا النور فيكون النهار وغروب هذا النور فيكون الليل، وهو حكم الظاهر والباطن في العالم. وقد قررنا أنه لكل اسم في العالم حكم قبل هذا، فالدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ولا نهار، فإذا أخذته الأسماء الإلهية عينت بأحكامها في هذا اليوم الأزلي الأبدي الذي هو عين لدهر الأيام الإلهية التي أمر المذكر أن يذكرنا بها لنعرفها من أيام

الزمان، وأنه إذا أخذ الاسم النور في وجود الظل المثليّ المنزه وفي طلوعه على من فيه من العالم سمي العالم الذي في هذا المثل ذلك الطلوع إلى وقت غروبه عنهم نهاراً ومن وقت غروبه عنهم سموه ليلاً، وذلك النور غير غائب عن ذلك الظل، كما أن الشمس غير غائبة عن الأرض في طلوعها وغروبها، وإنما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها، والظلام الحادث في الأرض إنما هو ظلال اتصالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل يسمونه ظلاماً، والذين يسمونه ظلاماً ممن ليس له هذا الكشف يجعل ذلك ظل الأرض لما هي عليه من الكثافة وهي في المثل الظلي الإلهي ظل أعيان عمرته لا غير فاعلم ذلك.

ثم جعل الله هذه الأيام المعلومة عندنا التي أحدثتها حركة الأطلس، والليل والنهار اللذين أحدثتهما حركة القلب أعني الشمس ليقدر بها أحكام الأيام الإلهية التي للأسماء فهي كالموازين لها يعرف بها مقادير تلك الأيام فقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فإذا ضربت ثلاثمائة يوم وستين يوماً في ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من العدد فهو أيام التقدير التي ليوم الرب فينقضي ثم ينشىء في الدهر يوماً آخر لاسم آخر غير اسم الرب، وكذلك يضرب ثلاثمائة يوم وستين يوماً في خمسين ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من الأيام فهو أيام التقدير التي ليوم ذي المعارج من الأسماء الإلهية، فإذا انقضى ذلك اليوم أنشأ في الدهر يوماً آخر لاسم آخر غير الذي لذي المعارج هكذا الأمر دائماً فلكل اسم إلهيّ يوم، وإنما ذكرنا هذين اليومين يوم الرب ويوم ذي المعارج لكونهما جاءا في كتاب الله، فلا يقدر المؤمنون بذلك على إنكارهما وما لم يرد إلا على ألستنا فلهم حكم الإنكار في ذلك، بل الأمر كما ذكرناه أنه ما من اسم إلهيّ مما يعلم ويجهل إلا وله يوم في الدهر وتلك أيام الله والكل على الحقيقة أيام الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. فإذا نزلنا من الأسماء الإلهية إلى يوم العقل الأوّل قسمه حكمه في النفس الكلية إلى ليل ونهار، فليل هذا اليوم عند النفس إعراض العقل عنها حين يقبل على ربه بالاستفادة، ونهاره عند هذه النفس حين يقبل عليها بالإفادة فهو يومها، وجعل الله من هذا الحكم في النفس قوّتين: قوّة علمية وهي ليلها في العالم الذي دونها، وقوّة عملية وهي النهار في العالم الذي دونها وهو المسمى غيباً وشهادة وحرفاً ومعنى ومعقولاً ومحسوساً، فهذا الحكم في النفس يوم لا نهار فيه ولا ليل وهو في العالم نهار وليل، وكذلك يوم الهيولى الكل ليلها جوهرها ونهارها صورتها وهي في نفسها يوم لا ليل فيه ولا نهار، وشمس كل ليل ونهاره هو المعنى المظهر لهذا الحكم الذي به ينسب إلى هذا اليوم ليل ونهار، فإذا نزلنا إلى فلك البروج تعين في حركته اليوم وعين ذلك الكرسي الذي تقطع فيه فتعيينه من فوق لأنه لم يكن ظهر في جوفه بعد ما تعين به حركته مستوفاة فهو يوم لا نهار له ولا ليل ولا مقدار أيام من جهة مقعره، وهو متماثل الأجزاء ما هو متماثل الأحكام.

ولما كان الكرسي هو الذي أظهر فيه تعيين الأحكام بتعيين المقادير المسماة بروجاً وجعل لكل مقدار فيها ملكاً معيناً تعينت المقادير بتلك الأحكام التي وليها ذلك الملك

المعين، فإذا دار دورة واحدة سميت من جهة الكرسي يوماً وكانت الكلمة في العرش واحدة مثل حكم اليوم، فلما وجد الكرسي تحت العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض انقسمت في الكرسيّ تلك الكلمة الواحدة التي هي يوم العرش، فكانت قسمتها بالقدمين اللتين تدلتا إلى هذ الكرسي وهما قدم الرب وقدم الجبار، فكانتا أعني هاتين القدمين ليوم العرش كالنهار والليل اللذين قسما اليوم ويوم العرش أحدية كلمته لأن أمر الله واحدة. ثم إن الله أوجد فلك الكواكب الثابتة التي ميزتها مقادير البروج ولكل كوكب منها قطع في فلك البروج، فإذا قطعه الكوكب كله كان يوماً واحداً من أيام ذلك الكوكب مدّة قطعه وهو يقطع درجة من ثلاثمائة وستين درجة في مائة سنة كما نعده من سنينا، ثم أوجد بين هذين الفلكين الجنة وما فيها ومن العالم ما لا يحصي عددهم إلا الله، ومن فلك البروج إلى آخر العالم الجسميّ ظهر حكم البروج الهوائية والنارية والمائية والترابية في الفضاء الذي بين كل فلك وفلك ولا يعلم ذلك إلا بالمشاهدة، والذين لا علم لهم بذلك يقولون إن الأفلاك تحت مقعر كل فلك منها سطح الذي تحته ولا علم لهم بأن بينهم فضاء فيه حكم الطبيعة كما هي في العناصر سواء غير أنها مختلفة الحكم بحسب القوابل، ثم أوجد الأركان الأربعة على حكم ما هي عليه البروج التي في الفلك الأطلس لكل ركن طرفان وواسطة للثلاثة الوجوه التي في البروج، فللأثير حكم الحمل والأسد والقوس، فالقوس والأسد للطرفين والحمل للوسط وللتراب الثور والسنبلة والجدي فالجدي والسنبلة للطرفين والثور للوسط وللهواء الجوزاء والميزان والدالي فالميزان والجوزاء للطرفين والدالي للوسط وللماء السرطان والعقرب والحوت فالحوت للوسط والعقرب والسرطان للطرفين، وإنما رتبناها هذا الترتيب لأن وجود الزمان والعالم الذي يحتوي عليه الفلك الأطلس كان بطالع الميزان، وقد انتهت الدورة بالحكم إليه من أوّل مبعث رسول الله ﷺ ونحن اليوم في سلطانه، ولهذا كان العلم والعدل في هذه الأمة والكشف أكثر وأتم مما كان في غيرها من الأمم، وكل ما مضى الأمر استحكم سلطانه وعظم الكشف حتى يظهر ذلك في العام والخاص، فتكلم الرجل عذبة سوطه ويكلم الرجل فخذه بما فعل أهله، وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ الله**»، ولما خلق الله الأركان خلق منها دخاناً فتق فيه سبع سموات ساكنة غير متحركة وأوحى في كل سماء أمرها بأن خلق لها أفلاكاً وجعلها محلاً لسباحات الجواري الكنس الخنس وخلق فيها عماراً يعمرونها من الملائكة وجعل لها أبواباً تغلق وتفتح لنزول الملائكة وعروجها وأسكنها أرواح من شاء من أنبيائه وعباده، وخلق في الفضاء الذي بين سطح السماء السابعة ومقعر فلك الكواكب سدرة المنتهى التي غشاها من نور الله ما غشى، وخلق على سطح هذه السماء البيت الضراح وقد تقدم ذكره وذكر الملائكة التي تدخله في كل يوم، ويخرج من أصل هذه السدرة أربعة أنهار تمشي إلى الجنة، فإذا انتهت إلى الجنة أخرج الله منها على دار الجلال نهرين: النيل والفرات اللذين عندنا في الأرض، فأما النيل فظهر من جبل القمر، وأما الفرات فظهر من أرزن الروم وأثر

فيهما مزاج الأرض فتغير طعمهما عما كان عليه في الجنة، فإذا كان في القيامة عادا إلى الجنة، وكذلك يعود سيحون وجيحون.

ولما فتق الله هذه السموات بعدما كانت رتقاً في الدخان ومعنى الدخان أنه أصل لها وهي اليوم سموات، كما أن آدم خلقه من تراب أي أصله وهو لحم ودم وعروق وأعصاب كما خلقنا من ماء مهين، وأحدث الله الليل والنهار بخلق الشمس وطلوعها وغروبها في الأرض، فأما السموات فنور ليس فيها ليل ولا نهار ومخرج الليل من كرة الأرض التي غرب عنها الشمس مخروط الشكل كشكل نور السراج كما تبصره يخرج من رأس الفتيلة فيشعل الهواء مخروط الشكل إلى أن ينتهي، أمد قوّة اشتعاله وينقطع ويبقى الهواء الذي فوقه محترقاً غير مشتعل قويّ الحرارة، ولما سبحت هذه الأنجم في أفلاكها جعل الله لكل كوكب يوماً من أيام حركة فلك البروج سمى تلك الأيام زماناً يعد به حركة الفلك، كما جعل حركة فلك البروج أياماً كل حركة يوم يعد به مدة الزمان المتوهم الذي يتوهم ولا يعلم ولا يدرك وهو الدهر الذي نهينا عن سبه وقال الناهي: إن الله هو الدهر فجعله اسماً من أسمائه فله الأسماء الحسنى جل وتعالى، فعين لكل يوم ليلاً ونهاراً وفرق بين كل ليلة ونهارها بحكم الكوكب الذي هو لليوم الذي ظهر فيه الليل أو النهار، فينظر لمن هي أوّل ساعة من النهار من الجواري فهو حاكم ذلك النهار ويطلب في الليالي فالليلة التي حكم في أوّل ساعة منها ذلك الكوكب الذي حكم في أوّل ساعة من النهار فتلك الليلة ليلة ذلك النهار وبالحساب تعرف ذلك، وفتق الأرض سبعاً جعل لكل أرض قبولاً لنظر كوكب من الجواري إليه وقد ذكرنا ذلك كله فيما تقدم، وجعل لكل كوكب قطعاً في فلك البروج فإذا انتهى قطعه فذلك يوم واحد له هو يومه الذي أحدثه قطعه، وجعل حركات هذه الأفلاك والأركان في الوسط لا من الوسط ولا إلى الوسط، وجعل حركة عمارها إلى الوسط ومن الوسط، وتحدث الأشياء عند هذه الحركات في عالم الخلق والأمر وفي الجناب الأقدس وهي آثار محسوسة ومعقولة يحكم بها دليل الشرع والعقل وهي آثار أحوال كنزول الحق إلى السماء الدنيا، وأعمال وأقوال كإجابة الحق من دعاه، وخلق الملائكة من أعمال بني آدم الظاهرة والباطنة، وغرس الجنة من أعمال أهلها من بني آدم، ويوم شرع محمد أن كمل ليلة ونهاره فهو من أيام الرب وإن لم يكمل وانقطع في أية ساعة انقطع فيها فذلك مقداره وهو من الاسم الخاذل والناصر، لأن الخاذل والناصر ليس ليومهما مقدار معلوم عندنا بل ميزانه عند الله لا يعلمه إلا هو، وحكمهما في كل إنسان بقدر عمر ذلك الإنسان، وقدرهما في هذه الأمة بقدر بقائها في الدار الدنيا وذلك بحسب نظرها إلى نبيها محمد ﷺ، فإن نظرت إليه كمل لها يوم الرب، وإن أعرضت فلها ما انقضى من مدّة يوم الرب، ويرجع الحكم لاسم آخر له عند الله يوم موقت لا يعلمه إلا هو، ويوم هذه الأمة متصل بيوم الآخرة ليس بينهما إلا ليل البرزخ خاصة، وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث، وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق للفصل والقضاء، وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم فتعمر الداران بأهلهما وذلك يوم السبت فيكون نهاره أبدياً لأهل الجنان ويكون

ليله أبدياً لأهل جهنم، فإذا انقضت مدّة الآلام في جهنم وهو يوم من خمسين ألف سنة في حق قوم وأقل من ذلك في حق قوم وشفعت التسعة عشر ملكاً في أهل جهنم للرحمة التي سبقت ارتفعت الآلام فراحتهم ارتفاع الآلام لا وجود النعيم فافهم، وهذا القدر هو نعيم أهل جهنم إن علمت.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم رحمة السيادة وأين ينادي بها وبماذا يستحقها وما حكمه كونه نداء ترخيم والترخيم التسهيل ولهذا يوصف به الحسان فيقال في المرأة الحسناء رخيمة الدلال أي سهلة، وفيه علم جميع الحكم لا جميع كل شيء فإن الحكم ليس لها عين إلا في الترتيب خاصة معنى وحساً، وفيه علم الرسالة على اختلاف أنواعها لاختلاف الرسل فإن الأنبياء رسل والملائكة رسل والبشر رسل وتختلف الرسالة باختلاف الأحوال، وكل ذلك شرائع موصلة إلى الله وإلى السعادة الدائمة لا اعوجاج فيها ولا ينبغي لأنها نزلت من عرش الرحمة مرتدية بالعزة فلا يؤثر فيها شيء يخرج أممها عن حكمها فما من أمة إلا والرحمة تلحقها كما لحقتها الشريعة التي خوطبت بها، وفيه علم حكمة وضع الشرائع في العالم ولماذا وضعت في الدار الدنيا ولم توضع في الآخرة لماذا؟ وتوقيت ما وضع منها في الدار الآخرة أوّلاً كالتحجير على آدم في قرب الشجرة وآخر كدعاء الحق عباده إلى السجود يوم القيامة، وبهذا الحكم الشرعي يوم القيامة يرجح ميزان أهل الأعراف فيثقل ميزانهم بهذه السجدة فينصرفون إلى الجنة بعدما كان منزلهم في سور الأعراف ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنة وفيه قوّة المؤمن فيعدل من قوى الكفار قوى كثيرين، ولهذا شرع لهم أن لا يفروا في قتال عدوّهم وشرع لبعضهم قوّة واحد لعشرة ثم خفف عنهم مع إبقاء القوّة عليهم، فشرع لهم لكل قوّة مؤمن قوّة رجلين من الكفار ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ يُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِهِ» فأعطي قوّة رجلين من أمته. وفيه علم رحمة وجود الغفلة والنسيان في العالم بل في هذه الأمة لما نص فيها وكذلك الخطأ، وفيه علم الفرق بين القول وقول الله والقول المضاف إلى الخلق والكلمة وهل لكل قول وكلمة حق واجب في الإمضاء أو ليس ذلك إلا لخصوص قول؟ فإن كان لخصوص قول دون كلمة فما السبب الموجب لهذا التخصيص والكل قول من حيث ما هو قول وكلمة من حيث ما هي كلمة، وإذا كان في نفس الأمر الحكم للقول وهو السابق فلماذا وقع الأخذ بالسؤال والتقرير مع العلم بأنه مجبور في اختياره وهي مسألة صعبة التصوّر كثيرة التفلت؟ ولولا وجود الآلام لهانت وما خطرت على بال، وفيه علم تقييد المعاني ووجود آثار أحكامها فيمن قامت به وإلى أين ينتهي حدّ التقييد منها في نشأة الإنسان، وفيه علم السبب الذي لأجله ترفع الوجوه والأبصار إلى الفوق يوم القيامة وفي الدنيا هل حكمهما وسببهما واحد أو مختلف؟ وهل الرفع عن جذب من خلف أم عن اختيار؟ وفيه علم كون الإنسان بين قضاء الله وقدره فلا يقدر يتعداهما، وهل عمّ القضاء والقدر جهات الإنسان كلها أو ليس لهما منه إلا جهتان: جهة الحادي والهادي وهما السائق والشهيد، وما الذي أعمى الناس اليوم عن شهود هذين وفي الآخرة يرونهما؟ ولم اختصا

بالخلف والأمام دون سائر الجهات؟ والشيطان له مسالك الأربع جهات فهل مكان الخلف والأمام لهما الاستشراف على اليمين والشمال بحكم اليدين اللذين لهما؟ ولو كان لهما اليمين والشمال لتعطلت اليد الواحدة من كل واحد منهما في حق من التزماه، فلا بد أن يكون لهما الخلف والأمام، وفيه علم نسبة العدم والوجود إلى الممكن وهو لا يعقل إلا بالمرجح، وليس عند المرجح إلا وجه واحد من هاتين النسبتين فيرتفع الإمكان فما الصحيح في ذلك هل بقاء الإمكان أو ارتفاعه؟ وفيه علم القوابل هل هي قوابل لكل شيء أو لأشياء مخصوصة؟ أو تتميز في القبول فيكون على صفة توجب لبعض القوابل ما تقبله مما لا تقبله، وهل لما تقبله من الأمور التي تأخذها القوابل طريق واحد أم تختلف الطرق؟ وفيه علم وصف الأجر بالعظمة والكرم لماذا يرجع وهو علم شريف؟ وفيه علم الموت وما معنى إحياء الموتى ومن يميتهم هل الله بلا سبب أو هل الملك وما هو ذلك الملك؟ هل هو بعض الأخلاط التي قام بها الجسد الحيواني؟ فإن الأخلاط من ملائكة الله، أو هو ملك من ملائكة السموات؟ وإن أضيف إلى السموات هل يضاف إلى واحدة منها بحكم أنه عن حركة ما أوحى الله فيها قوى هذا الخلط القاهر المسمى ملك الموت أو هو ملك غريب من سكان السماء السابعة، وكذلك المحيي مثل المميت غير أنه تختلف السماء فإن السماء السادسة معدن الحياة ولها تقوية من كل سماء كما للموت أيضاً، والكلام في المحيي كالكلام في المميت، أو يكون المميت هو الله من حيث إنه اسم إلهي من أسمائه، وكذلك المحيي فهو المميت المحيي ولا نقدر نرفع الأسباب التي وضعها الحق فتبطل حكمة الحق فنرفع الأسباب في الاعتقاد ونقرها في الوجود في أماكنها، وإسرافيل ينفخ في الصور وعزرائيل يقبض الأرواح، وهذا للاستعداد الذي في هذه الصور لقبول الاشتعال فتحيا ولقبول الانطفاء فتموت، وهذا الملك الموكل بنا لا بالموت هو الذي يقوي الملك الذي به وبأصحابه قامت نشأة جسد الحيوان فيميت لقوّة سلطانه على بقية أصحابه ولهذا تعرف الأطباء أن الإنسان يموت بالعلامات، فلو كان الملك غير ما ذكرناه ما انتهى إليه علم الأطباء فإن ذلك من خصائص علم الأنبياء ومن أعلمه الله من عباده، وهل المقتول له هذا الحكم الذي للعليل في الموت أم له حكم آخر؟ وهل للملك الموكل بنا لا بالموت هل له حكم الموت أو حكم قبض الأرواح والعروج بها؟ وهل هو ملك واحد أو ملائكة؟ فإن الله أضاف وفاة الأنفس إليه وإلى ملك الموت وإلى رسله فلا بد من علم هذه الإضافات وما المراد بها وهل تختلف مدارجها أو هي على مدرجة واحدة. وفيه علم ما يؤول إليه الجسم بعد الموت والروح وما يبعث في نفخة البعث منهما وهل يتغير النشء بالعرض أو بالصورة؟ وفيه علم آثار الأكوان وما الحضرة التي تمسك فيها إلى وقت الحشر فيوقف أصحابها عليها وهي آثار المكلفين وهي ما صدر عنهم من الأفعال زمان التكليف لا في غير زمانه مثل النائم والمغلوب على عقله والشخص الذي لم يبلغ الحلم، فلهذا قلنا زمان التكليف، ولم نقل دار التكليف، وفيه علم تتابع الرسل في الأمة الواحدة بخلاف هذه الأمة المحمدية فإنها ما اختلفت عليها الرسل بل إن ظهر فيها من كان رسولاً

التحق بها وقام بشرعها وجرت عليه أحكام شرع محمد ﷺ، وفيه علم النصائح وكون هذه النشأة الإنسانية جبلت على البخل والكرم لها بحكم العرض ما هو لها ذاتيّ، وإذا كانت بهذه المثابة فمن أين صح لها الأجر الكريم وليس بينها وبين الكرم نسبة ذاتية والكرم للأجر ذاتي والعظمة له ذاتية وللأجر العظيم قوم مخصوصون وللأجر الكريم قوم مخصوصون، وفيه علم اختلاف أسباب البواعث على العبادة في الثقلين وغيرهما، وفيه علم التسليم والتفويض إلى الله، وفيه علم التمني وفائدته وصفة القائم به. وفيه علم معرفة كون العالم ملكاً لله تعالى من حيث ما هو ملك ومن ينازعه حتى وصف نفسه أن له جنود السموات والأرض، وفيه علم ما يضاف إلى الله أنه منعوت بالوحدة وما سبب تكثر هذه الوجدة وما أثرها في العالم، وفيه علم الكشف لما كان غيباً، وفيه علم عدم القبول مع ظهور الدليل والعلم به أنه دليل وما سبب جهل من جهل أنه دليل؟ وهل لكل معلوم دليل أم هو لبعض المعلومات؟ وفيه علم عدم الرجعة إلى ما خرج منه، وفيه علم الحضرة التي يجتمع فيها عالم الدنيا من مكلف وغير مكلف وهل يبعث غير المكلف من حيوان ونبات وحجر لتقوم به المطالبة والحجة من الله على المكلفين أو يبعثون لأنفسهم لما لهم في ذلك من الخير المعلوم عند الله، ثم ما يؤول إليه أمرهم بعد البعث، وفيه علم ما اختزن الله لنا في عالم السماء والأرض من المنافع، وفيه علم الشكر الواجد من الشكر الذي يتبرع به الإنسان وأيهما أكمل أجراً، وفيه علم السبب والحكمة التي لأجلها خلق الله من كل شيء زوجين وهل من هذه الحكمة خلق آدم على صورته؟ وفيه علم الزمان الذي يفصل به اليوم، وفيه علم سكون من لا سكون له، وفيه علم مناهل المسافرين وهل يحصون عدداً أم لا؟ وفيه علم اختلاف الصفات على المسافرين باختلاف طرقهم ومناهلهم، وفيه علم السابق الذي يلحق والسابق الذي لا يلحق من المسافرين كالشخص مع ظله لا يلحق ظله أبداً ويلحقه ظله وغير ذلك من المسافرين، وهو علم شريف يتضمن جميع الأسفار الإلهية والكونية والعلوية والسفلية، وهو علم عزيز المنال بعيد المدرك لا يتفطن له كل أحد، وأما الإحاطة به فلا تعلم إلا بإعلام الله ولا يصبح الإعلام بها على التفصيل فإنها أسفار لا نهاية لها. وفيه علم الطرق التي يسلك فيها كل مسافر، وفيه علم الأسباب التي تحول بين بعض المسافرين وبين ما قصدوه في سفرهم والفرق بين السفر الاختياريّ والجبريّ، وفيه علم زمان الدنيا العام الذي يكون بعد انقضائه القيامة الكبرى، وفيه علم زمان عمر الحيوان والمولدات وقيامتهم الصغرى بانقضاء مدتهم والفرق بين هذين الحشرين فإن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ**» فحشرهم إلى البرزخ قيامة، وفيه علم صفات ترجي الرحمة التي تسأل الرحمة بلسانها، وفيه علم السبب الموجب الذي لأجله أعرض من أعرض عن النظر في الدلالات العقلية التي جاءت بها الرسل والتي لم تجيء بها من الآيات المعتادة، وهل تختلف دلالتها وما صورة دلالتها؟ وهل يختلف مدلولها باختلاف قصد الدال أو قصد الذي يحرّك الدال للنظر في الدليل كالرسول يجيء بالدلالة على صدقه في كونه رسولاً، وتلك الدلالة بعينها تكون دلالة على وجود الحق وعجز الخلق وفيه

علم التأسي بالله فيما ذمه الله هل يذم صاحبه من جهة لسان الحقيقة أو لا يذم إلا بلسان الشرع؟ وفيه علم ما يقبض عليه الإنسان هل يبقى عليه في البرزخ ويحشر عليه أم يتغير عليه الحال أو يقبض على ما يبدو له عند كشف الغطاء قبل القبض أو هل عين القبض هو عين الكشف للغطاء؟ وفيه علم ردّ السائل هل ردّه عن سؤاله جواب له عن سؤاله أم لا؟ وفيه علم السبب الموجب للإسراع لمن ناداه الحق هل هو إسراع جبر أو إسراع توقع جبر؟ وفيه علم ما سبب اختلاف كلام المبعوثين من أهل القبور؟ وفيه علم من يجيبهم في ذلك هل يجيبهم الحق أو الملائكة أو العالمون؟ وفيه علم ما يتجلى للذين يبعثون من قبورهم هل هو صورة واحدة أم صور متخلفة؟ وهل ذلك المتجلي اسم إلهيّ أم لا؟ وفيه علم ما السبب الذي أوجب أن يخالف ترتيب البروج وهي طبيعة ترتيب العناصر فإن ترتيب البروج كل برج بين منافر ومناسب بوجه كل واحد إذا أخذته تجده كما ذكرناه، وأما الأركان فترتيبها لمناسبة ليس فيها تنافر من جميع الوجوه، فالنارية الثلاثة كلها من مائية وترابية، والترابية كلها من نارية وهوائية، والهوائية كلها بين ترابية ومائية، والمائية كلها بين هوائية ونارية، والأركان ليست كذلك، وفيه علم الفرق بين «عندي» و«لديّ»، و«عندنا» و«لدنا» و«لدينا» و«لدني». وفيه علم الفصل بين الأشياء ليتميز بعضها عن بعض، وفيه علم ما يرى الرائي غير صورته وصفته كان الرائي من كان، وفيه علم الاشتغال ولم سمي شغلاً وعمن يشتغل؟ وهل ثم شغل يغني عن سواه بالكلية أم لا؟ وفيه علم الأنس بمثله لا بمثلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وفيه علم الهيئات والحالات التي تكتسبها النفوس في الدار الدنيا، وفيه علم الأعراس الإلهية، وفيه علم ما لكل اسم إلهيّ من الرحمة من الأسماء التي تعطي بظاهرها ذهاب الرحمة منها، وفيه علم الاستحقاق الذي يستحقه العالم من حيث ما هو عليه من الصفة فهو استحقاق الصفة لا استحقاق الموصوف، وفيه علم العهد الإلهيّ والكونيّ فيماذا وقع، وفيه علم حكم المتقدم كيف ظهر في المتأخر ومن أين ظهر؟ وفيه علم البعد الكونيّ من البعد الإلهيّ، وفيه علم النطق والصمت وتعيين الناطق والصامت وزمانه ومكانه، وفيه علم تبدل الصور العلية بالصور الدنية، وفيه علم سبب التثبط عن النهوض مع وجود الكشف، وفيه علم ما يعطيه الزمان في نشأة الإنسان وفي سائر المعادن والنبات والحيوان، وفيه علم الإبهام والإيضاح، وفيه علم اجتماع الكثير على إيجاد الواحد، وفيه علم تمليك ما ينشئه المنشىء لكونه أنشأه، وفيه علم الرياضة الإلهية والفرق بينها وبين الرياضة الكونية، وفيه علم حضرة المنعم ومآلها في الدنيا والآخرة في الحكم، وفيه علم سبب الاعتماد على من يعلم أنه ليس ممن يعتمد عليه، وفيه علم المبدأ والمعاد، وفيه علم التشبيه وعكس التشبيه وما هو الأصل الذي يقع به التشبيه، وفيه علم تأثير اجتماع الأضداد من العلم الإلهيّ ووجود النار في الماء والماء في النار، وفيه علم الصفة التي أظهرت العالم في عينه، وفيه علم الملكوت وأين حظه من الملك والجبروت. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والأربعون وثلاثمائة

في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها وخلق كل أمة من الحضرة المحمدية

[البسيط]

لا تَرُمْ شيئاً من الأكْوان إنَّ لها ... نَعْتاً من الحَقِّ والأكوانُ أعلامُ
مِنْ غيرة الحقُّ كان الحقُّ أعْيُنَها ... أتى بذلك قرآنٌ وإلْهَامُ
لولا افتقاري وذُلّي ما اجتمعت به ... ولا تحقَّقَ لي قُرْبٌ وإلْمَامُ
في حَقِّه كلُّ موجود سَعَى ومَشَى ... قَضَى به في كتاب الله إعلامُ
فكلّ شيءٍ من الأعيان سَبَّحَهُ ... لذاك أوْجَدَهُ والله عَلاَّمُ
وكُلّ كَوْنٍ من الأكوان مفتقرٌ ... في كل حال فلَذَّاتٌ وآلامُ
أين الغنى وكلامُ الله أبْطَلَهُ ... فما ترى غير فقر فيه إعْدامُ

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ [البقرة: ٢٦٨] لما أمركم به من الفحشاء وفضلاً لما وعدكم به من الفقر والله غنيّ حميد وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] وقال لأبي يزيد البسطامي: يا أبا يزيد تقرّب إليّ بما ليس لي: الذلة والافتقار.

واعلم أن لله أبواباً فتحها للخير وأبواباً أعدها لم يصل أوان وقت فتحها للخير أيضاً، وأبواباً فتحها للآلام المعبر عنها بالعذاب لما يؤول إليه أمر أصحابه فيستعذبه في آخر الحال ولذلك سماه عذاباً، وإنما يستعذبه في آخر الأمر لكونه ذكره بربه فإن الإنسان إذا أصابه الضر وانقطعت به الأسباب وهو أشد العذاب ذكر ربه فرجع إليه مضطراً لا مختاراً فيستعذب عند ذلك الأمر الذي ردّه إلى الله وذكره به وأخرجه عن حكم غفلته ونسيانه فسماه عذاباً فهو اسم مبشر لمن حل به بالرحمة أنها تدركه، فما ألطف توصيل الحق بشارته لعباده في حال الشدة والرخاء، ولولا ذلك ما حقت الكلمة في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩] فأتى بلفظة العذاب، ألا ترى إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥] والرحمن لا يعطي ألماً موجعاً إلا أن يكون في طيه رحمة يستعذبها من قام به ذلك الألم كشرب الدواء الذي يتضمن العافية استعماله ألا تراه كيف قال لأبيه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤] فلو علم أن في الرحمة ما يوجب النقمة لما عصاه فما عصى إلا الرحمن لأن كل اسم يعمل على شاكلته، فما أعلم الأنبياء بربهم وأشد الآلام عدم نيل الغرض، وقد روينا أن الله يقول للملك: «لا تقضي حاجة فلان في هذا الوقت فإني أحب أن أسمع صوته» وإن كان يتألم ذلك الشخص من فقد ما يسأل فيه ربه فهذا منع مؤلم عن رحمة إلهية.

ثم إن السور باطنه فيه الرحمة الخالصة وظاهره من قبله العذاب ولم يقل آلام العذاب

لعلمه بما يؤول إليه الأمر فأبان تعالى أن باطن هذا الموجود فيه الرحمة والظاهر منه لا يتصرف إلا بحكم الباطن فلا يكون أمر مؤلم في الظاهر إلا عن رحمة في الباطن، فإن الحكم للباطن في الظاهر هل تتصرّف الجوارح وهي الظاهرة إلا عن قصد الباطن المصرف لها والقصد باطن بلا شك، فما كان العذاب في ظاهر السور إلا عن قصد الرحمة به التي في باطن السور، فليس الألم بشيء سوى عدم اللذة ونيل الغرض، فما عند الله باب يفتح إلا أبواب الرحمة، غير أنه ثم رحمة ظاهرة لا ألم فيها وثم رحمة باطنة يكون فيها ألم في الوقت لا غير ثم يظهر حكمها في المآل، فالآلام عوارض واللذات ثوابت، فالعالم مرحوم بالذات متألم بما يعرض له ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] يضع الأمور مواضعها وينزلها منازلها، والإنسان يضرب ابنه أدباً ويؤلمه بذلك الضرب عقوبة لذنبه وهو يرحمه بباطنه، فإذا وفى الأمر حقه أظهر له ما في قلبه وباطنه من الرحمة به وشفقة الوالد على ولده، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ في قصة طويلة يقول فيها: «**وَإِنَّ الله أَشْفَقُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مِنْ هٰذِهِ عَلَى وَلَدِهَا**» وأشار إلى امرأة، وهذا كله من علوم الأذواق جعلنا الله والسامعين من أهل الرحمة الخالصة التي لا ألم لها بمنّه.

واعلم أن الله ما أظهر الممكنات في أعيانها موجودة إلا ليخرجها من شر العدم، إذ علم أن الوجود هو الخير المحض الذي لا شرّ فيه إلا بحكم العرض وهو من كونه ممكناً للعدم نظر إليه وهو الآن موصوف بالوجود فهو في الخير المحض، فالذي يناله من حيث هو ممكن من نظر العدم إليه في حال وجوده ذلك القدر يكون الشر الذي يجده العالم حيث وجده، فإذا نظر الممكن إلى وجوده وأبده سرّ لاستصحابه الوجود له، وإذا نظر إلى الحالة التي كان موصوفاً بها ولا وجود له تألم بمشاهدته لأن الحال له الحكم فيمن قام به، وحال هذا الممكن الآن مشاهدة العدم فيتعذب عذاباً وهمياً كان النبيّ ﷺ يقول في الضراء: «**الحَمْدُ لله عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**» ومن الأحوال الموجبة للحمد أحوال السرّاء التي حَمْدُها: «الحمد لله المنعم المتفضل»، فلولا أن الحمد على كل حال يتضمن حمد السرّاء فهو إعلام بأن في الضرّاء سرّاء لعموم حمدها، والحمد ثناء على المحمود، وصاحب الضرّاء لو لم يكن في طيّ تلك الضرّاء سراء لم يكن ذلك الحمد ثناء من الحامد في حال الضرّاء والحمد ثناء بلا شك في نفس الأمر، فما في العالم ضر لا يكون مشوباً برحمة، كما أن المؤمن لا تخلص له معصية غير مشوبة بطاعة أصلاً وهي طاعة الإيمان فهو في مخالفته طائع عاص كالمعذب المرحوم.

ثم لتعلم أن الممكنات مفتقرة بالذات، فلا يزال الفقر يصحبها دائماً لأن ذاتها دائمة فوضع لها الأسباب التي يحصل لها عندها ما افتقرت فيه فافتقرت إلى الأسباب فجعل الله عين الأسباب أسماء له، فأسماء الأسباب من أسمائه تعالى حتى لا يفتقر إلا إليه لأنه العلم الصحيح، فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي يقال في العرف والشرع أنها أسماء الله وبين أسماء الأسباب أنها أسماء الله فإنه قال: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] ونحن نرى الواقع الافتقار إلى الأسباب، فلا بد أن تكون أسماء الأسباب أسماء الله تعالى، فندعوه بها

دعاء الحال لا دعاء الألفاظ، فإذا مسنا الجوع سارعنا إلى الغذاء المزيل ألم الجوع فافتقرنا إليه وهو مستغن عنا ولا نفتقر إلا إلى الله فهذا اسم من أسمائه أعني صورة ذلك الغذاء النازل منزلة صورة لفظ الاسم الإلهيّ أو صورة رقمه، ولذلك أمر بشكر الأسباب لأنه أمر بشكره فهو الثناء عليه بها.

واعلم أن من رحمة الله بخلقه أن جعل على قدم كل نبيّ ولياً وارثاً له فما زاد فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف وليّ وأربعة وعشرون ألف ولي على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون، فإن زادوا قسم الله علم ذلك النبي على من ورثه، فإن العلوم المنزلة على قلوب الأنبياء لا ترتفع من الدنيا وليس لها إلا قلوب الرجال فتقسم عليهم بحسب عددهم، فلا بد من أن يكون في الأمة من الأولياء على عدد الأنبياء وأكثر من ذلك. روينا عن الخضر أنه قال: «ما من يوم حدثت فيه نفسي أنه ما بقي ولي لله في الأرض إلا قد رأيته واجتمعت به، فلا بد لي أن أجتمع في ذلك اليوم مع ولي لله لم أكن عرفته قبل ذلك»، ورويناه عنه أنه قال: «اجتمعت بشخص يوماً لم أعرفه فقال لي: يا خضر سلام عليك فقلت له: من أين عرفتني؟ فقال لي: إن الله عرفني بك»، فعلمت أن لله عباداً يعرفون الخضر ولا يعرفهم الخضر.

واعلم أن لله عباداً أخفياء أبرياء أصفياء أولياء بينهم وبين الناس حجب العوائد غامضين في الناس لا يظهر عليهم ما يميزهم عن الناس وبهم يحفظ الله العالم وينصر عباده، معروفون في السماء مجهولون في الأرض عند أبناء الجنس لهم المهناة في الدنيا والآخرة، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يشفعون انفردوا بالحق في سرائرهم، وما كنت عرفت أن الله قد جعل في الوجود ولياً له على كل قدم نبي، فإن الله تعالى لما جمع بيني وبين أنبيائه كلهم حتى ما بقي منهم نبي إلا رأيته في مجلس واحد لم أر معهم أحداً ممن هو على قدمهم، ثم بعد ذلك رأيت جميع المؤمنين وفيهم الذين هم على أقدام الأنبياء وغيرهم من الأولياء فلما لم يجمعهم مجلس واحد لذلك لم أعرفهم ثم عرفتهم بعد ذلك ونفعني الله برؤيتهم، وكان شيخنا أبو العباس العريبي على قدم عيسى عليه السلام وكنا نقول قبل هذا إن ثم أولياء على قلوب الأنبياء فقيل لنا: لا بل قل هم على أقدام الأنبياء لا تقل على قلوبهم، فعلمت ما أراد بذلك لما أطلعني الله على ذلك رأيتهم على آثارهم يقفون ورأيت لهم معراجين: المعراج الواحد يكونون فيه على قلوب الأنبياء ولكن من حيث هم الأنبياء أولياء النبوّة التي لا شرع فيها، والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الأنبياء أصحاب الشرائع لا على قلوبهم، إذ لو كانوا على قلوبهم لنالوا ما نالته الأنبياء من الأحكام المشروعة وليس ذلك لهم وإن وقع لهم التعريف الإلهي بذلك، ويأخذون الشرع من حيث أخذته الأنبياء ولكن من مشكاة أنوار الأنبياء يقترن معه حكم الأتباع، فما يخلص لهم ذلك من الله ولا من الروح القدسي، وما عدا هذا الفن من العلم فإنه مخلص للأولياء من الله سبحانه ومن الأرواح القدسية، وهذا كله لتتميز المراتب عند الله لنعرف ذلك فنعطي كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه، وهذا كله من رحمة الله التي أفاضها على خلقه.

ثم لتعلم أن الله جعل للملائكة ثلاث مراتب في القوة الإلهية، فمنهم من أعطاه قوّتين، ومنهم من أعطاه ثلاث قوى، ومنهم من أعطاه أربع قوى وهي الغاية فإن الوجود على التربيع قام من غير مزيد إلا أنه كل قوّة تضمن قوى لا يعلم عددها إلا الله وذلك من حيث أن الملائكة أجسام نورية فلهم هذه القوى من حيث أجسامهم فإنهم مركبون كالأجسام الطبيعية، فالملك صاحب القوّتين على تركيب النبات، وصاحب الثلاث على تركيب الحيوان، وصاحب الأربع على تركيب الإنسان وانتهت المولدات فانتهت قوى الملائكة والجسم يجمع الكل فله الإحاطة، فقبلت الملائكة الأجسام النورية من العماء الذي ظهر فيه الجسم النوري الكل وقبل الشكل والصور، وفيه تظهر الأرواح الملكية والعماء لهذا الجسم الكل، وما يحمله من الصور والأشكال الإلهية والروحانية بمنزلة الهيولى في الأجسام الطبيعية سواء والتفصيل في ذلك يطول. ومن هذا النور الذي فوق الطبيعة تنفخ الأرواح في الأجسام الطبيعية فما تحت الطبيعة إلى العناصر أنوار في ظلال وما تحت العناصر من الأجسام العنصرية أنوار في ظلمة، وما فوق الطبيعة من الأجسام النورية أنوار في أنوار، وإن شئت أنوار في أنفاس رحمانية، وإن شئت أنوار في عماء كيفما شئت عبر إذا عرفت الأمر على ما هو عليه.

واعلم أن كل روح مما هو تحت العقل الأوّل صاحب الكلمة فهو ملك وما فوقه فهو روح لا ملك، فأمّا الملائكة فهم ما بين مسخر ومدبر وكلهم رسل الله عن أمر الله حفظه وهم على مراتب ولهم معارج ونزول وصعود دنيا وآخرة، فمنهم المسخرون في الدعاء والاستغفار للمؤمنين وآخرون في الاستغفار لمن في الأرض، ومنهم المسخرون في مصالح العالم المتعلقة بالدنيا، ومنهم المسخرون في مصالح العالم المتعلقة بالآخرة، وهذا القدر من العمل الذي هم عليه هو عبادتهم وصلاتهم، وأما تسبيحهم فذكر الله في هذه الصلوات التي لهم كالقراءة والذكر لنا في صلاتنا ولا يزال الأمر كذلك إلى الوقت الذي يشاء الله أن تعم الرحمة جميع خلقه التي وسعت كل شيء، فإذا عمتهم الرحمة لم يبق لبعض الملائكة الذين كان لهم الاستغفار من عبادتهم إلا التسبيح خاصة، وبقيت الملائكة الذين لهم تعلق بأحوالنا في الجنان، وحيث كان من كان من الدارين فذلك منهم لا ينقطع وزال عن أولئك اسم الملائكة وبقوا أرواحاً لا شغل لهم إلا بالتسبيح والتمجيد لله تعالى كسائر الأرواح المهيمة، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] فهذا الصنف المذكور هنا هم الصابرون أهل البلاء من البشر.

وأما الملائكة التي تدخل على أصحاب النعيم الشاكرين فلم يجر لهم ذكر مع أنه لا بد من دخول الملائكة عليهم من كل باب لأن أبواب النعيم كثيرة كما هي أبواب البلاء، ومن رأى أن النعم التي أنعم الله بها على عباده في الدنيا ليست بخالصة من البلاء لما وجه عليهم فيها من التكليف بالشكر عليها وهو أعظم البلاء إذ كانت النعم أشدّ في الحجاب عن الله من الرزايا فدخل أهل النعيم على هذا في قول الملائكة ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] أي

حصلتم في دار نعيمها غير مشوب بتكليف ولا طلب حق، فلذلك لم يجر ذكر لأحوال الملائكة مع الشاكرين واقتصر على ما جاء به الحق من التعريف وهو الصحيح، فإن الدار الدنيا تعطي هذا وهو الذي يقتضيه الكشف الذي لا تلبيس فيه أن جميع من في الدار الدنيا من مبتلى ومنعم عليه له حال الصبر، فالصبر أعم من الشكر والبلاء أعم من النعم في هذه الدار، وإذا عمت الرحمة وارتفعت الآثار التي تناقض الرحمة ارتفعت نسب الأسماء التي عينتها الآثار لأنها راجعة إلى عين واحدة كما بين تعالى في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] والأسماء وضعية وضعتها حقائق الممكنات بما تطلبه، فعلى قدر ما تكون عليه من الاستعداد تطلب ما يناسب ذلك من الفيض الإلهيّ، فإذا أعطيته وضعت لكل عين من ذلك أسماء، فإذا لم يبق لها استعداد تقبل به الألم والعذاب لم يوجد للألم ولا للعذاب عين لعدم القابل فترتفع نسب الأسماء المختصة بهذه الأحكام لارتفاع القوابل، وما كان له من الأسماء حكمان في القابل فإنه يبقى كالغافر وهو الساتر، فلم يبق ذنب يطلب الغافر، وللغافر حكم الحجاب من كونه حجاباً مطلقاً فيبقى الغافر وإن زال المذنب فإن الغفر لا بد منه، ولولا ذلك لم يكن مزيد ولا خلق جديد والمزيد على الدوام فرفع الستور على الدوام وليس سوى الاسم الغفور بخلاف المنتقم فإن القابل ارتفع فزال هذا الوضع الخاص فاعلم ذلك.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم ثناء السماء والأرض والملائكة دون سائر الخلق وما يثنون به على ربهم فإنه لكل عالم ثناء خاص لا يكون لغيره قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] وجمع السموات والأرض جمع من يعقل، وفيه علم التشبيه والكنايات وما في العالم الروحانيّ من القوى، وفيه علم الرسائل المبثوثة في العالم وأنه كل من يمشي في العالم فإنه لا يمشي إلا رسولاً برسالة وهو علم شريف حتى الدودة في حركاتها هي في رسالة تسعى بها لمن عقل ذلك، وفيه علم آثار القدرة وتمييزها عن سائر النسب، وفيه علم الأنواء وما يحمد منها وقول أبي هريرة رضي الله عنه: مطرنا بنوء الفتح، وفيه علم الأبواب ومراتبها، وفيه علم أن المنع الإلهيّ عطاء، وفيه علم التحديد الإلهي، وفيه علم تنزيل الخطاب الإلهيّ على قدر التواطؤ، وفيه علم الإنباه الإلهيّ في طلب الشكر من عباده، وفيه علم ردّ الخلق إليه تعالى، وفيه علم المواعيد على الإطلاق، وفيه علم المميز بين الأعداء الظاهرين بصورة الولاء وبين الأولياء، وفيه علم مجازاة العدوّ بالعداوة والوليّ بالولاية فيما بين العالم وأنه من اتخذ العدوّ ولياً أو الوليّ عدوّاً فهو مخلط لا حقيقة عنده. وفيه علم كل داع إنما يدعو لنفسه وإن دعا إلى الله تعالى أو لغير نفسه فإنما يدعو من حيث نفسه فإنه يطلب بذلك الدعاء الأنس بالأشكال في المرتبة، وفيه علم ترتيب الثواب على الأعمال وفيه تمييز الأجور فإن منها العظيم والكريم والكبير وهي مراتب في الأجور لا بد أن يعرف أصحابها وأعمالها التي توجبها، وعلم الأجر المطلق الذي لا يتقيد هل هو مقيد في نفس الأمر أم لا؟ فإن الأجور أربعة، كما أن نشأة الإنسان على أربع، كما أن نشأة جسده على

أربع لكل واحد أجر يخصه على صفة مخصوصة فينسب كل أجر ما يناسبه، وفيه علم ما وراء الستور، وفيه علم القبيح الذي تحسنه المشاهدة وهو سرّ عجيب، وفيه علم العزل، وفيه علم الحث على اشتغال الإنسان بنفسه، وفيه علم الظهور من الخفاء، وفيه علم الحاملات العلوية والسفلية، وفيه علم تفاضل الصفات في الموصوفين بشديد وأشدّ وفيه علم الحضرة الجامعة للمنافع الإنسانية وهي حضرة النعم للراحل والقاطن والمتحرّك والساكن، وفيه علم التسخير والمسخرات وهل كل مسخر له أجل ينتهي إليه بتسخيره أم لا؟ أو بعضه له أجل وبعضه لا أجل له؟ وفيه علم «عند جهينة الخبر اليقين» وقولهم «على الخبير سقطت» ولم يقولوا على العليم سقطت ولم يقولوا عند جهينة العلم اليقين، وفيه علم ظهور الحق وسريانه في كل شيء وتقسيمات الحق في قوله: لكل حق حقيقة فأدخل عليه كل، وفيه علم انفراد كل مكلف بنفسه والفرق بينه وبين من لا ينفرد من المكلفين بنفسه أعني من الثقلين وفيما ينفرد وفيما لا ينفرد، وفيه علم القوابل وفيمن يؤثر الداعي، وفيه علم ما يكون لأصحاب القبور في قبورهم وما هي القبور، وفيه علم الأخذ من كل أحد وصفة المأخوذ والمأخوذ منه، وفيه علم الأعراض هل هي نسب عدمية أو أمور وجودية لها أعيان؟ وفيه علم ما يحصل لأهل العناية من العزة والحجاب، وفيه علم مراتب أتباع الأنبياء، وفيه علم المزيد، وفيه علم التمني، وفيه علم سريان الحكمة في مراتب الموجودات على ما هي عليه، وفيه علم السبق الإلهيّ للعالم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفي خمسين وثلاثمائة

في معرفة منزل تجلي الاستفهام ورفع الغطاء عن أعين المعاني وهو من الحضرة المحمدية من اسمه الرب

[المتقارب]

إذا صُعِقَ الرُّوحُ من وَحْيِهِ ... فكيف بهَيْكَل ظَلْمَائِهِ
لقد ثَبَّتَ الله أركانَهُ ... وأجْراه فَلَكاً على مائهِ
وما هو بَحْرٌ له ساحلٌ ... وأين التَّناهي لأسمائهِ
أبو الكَوْن لو كنتَ تَدْري به ... وتَشْهَدُه عَيْنُ أبنائهِ
فلا تفرحنّ بإتيانه ... ولا تَقْعُدَنّ بسيسائِهِ
فسبحان مذهب أعياننا ... إذا ما كَفَرْنا بنَعْمَائهِ
ويا عجباً إذْ كفرنا بها ... وأنّي من عين آلائهِ

اعلم أيدنا الله وإياك أن هذا المنزل منزل الحجب المانعة والآلات الدافعة، فمنها حجب عناية مثل قوله ﷺ: **«إنَّ لله سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ أَوْ سَبْعِينَ حِجَاباً»** ـ الشَّكُّ مني ـ **«مِنْ نُورٍ وظلمة لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سبحاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَهُ بَصَرهُ مِنْ خَلْقِهِ»** وهنا نكتة وإشارة أن البصر هنا بصر الخلق الذي الحق بصره وهو القابل لهذه الحجب وهو

الموصوف بأن الحق بصره وهو عين سبحات الوجه، فإن الله لا يزال يرى العالم ولم يزل وما أحرقت العالم رؤيته، ومنها حجب غير عناية مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فاعلم أن الحجب على أنواع: حجب كيانية بين الأكوان مثل قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ومنها حجب احتجبت بها الخلق عن الله مثل قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥] ومنها حجب احتجب بها الله عن خلقه مثل قوله ﷺ: «**إنَّ الله يَتَجَلَّى يَوْمَ القِيَامَةِ لِعِبَادِهِ لَيس بَينَهُ وَبَينَهُمْ إلاّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ**» وفي رواية: «**بَينَهُ وَبَينَ خَلْقِهِ ثَلاثَةُ حُجُبٍ**» أو كما قال. ومنها ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] كما كلم موسى عليه السلام من حجاب النار والشجرة وشاطىء الوادي الأيمن وجانب الطور الأيمن وفي البقعة المباركة، وكما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فكلم الله المستجير من خلف حجاب محمد ﷺ إذ كان هو عين الحجاب، لأن المستجير من المشركين منه سمع كلام الله فلا نشك أن الله كلمنا على لسان رسول الله ﷺ، وكما أيضاً كلمنا من وراء حجاب المصلي إذا قال: سمع الله لمن حمده، فألسنة العالم كلها أقوال الله وتقسيمها لله فيضيف إلى نفسه منها ما شاء ويترك منها ما شاء.

فأمّا الحجب الكيانية التي بين الأكوان فمنها جنن ووقايات، ومنها عزة وحمايات كاحتجاب الملوك وحجاب الغيرة على من يغار عليه كما قال في ذوات الخدور وهنّ المحتجبات ومن ذلك: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وأما الوقايات والجنن فمنها الحجب التي تقي الأجسام الحيوانية من البرد القويّ والحر الشديد فيدفع بذلك الألم عن نفسه، وكذلك الطوارق يدفع بها في الحرب المقاتل عن نفسه سهام الأعداء ورماحهم وسيوفهم فيتقي هذا وأمثاله بمجنه الحائل بينه وبين عدوه ويدفع بذلك عن نفسه الأذى من خودة وترس ودرع، وقد تكون حجب معنوية يدفع بها الأذى الشخص عمن يتكرم عليه مثل شخص يصدر منه في حق شخص آخر ما يكرهه ذلك الشخص لكونه لا يلائم طبعه ولا يوافق غرضه فيلحق به الذم لما جرى منه في حقه فيقوم شخص يجعل نفسه له وقاية حتى يتلقى هو في نفسه سهام ذلك الذم فيقرّر في نفس الذام أنه السبب الموجب لذلك وأن ذلك الأذى كان كله من جهته حتى يتحقق ذلك الذامّ هذا الأمر أنه كان من جهة هذا الشخص بأي وجه أمكنه التوصل إليه فيعلق الذم به ويكون حائلاً بينه وبين الشخص الذي كان منه الأذى لذلك الذم فوقى عرضه بنفسه، كما نلحق نحن من الأفعال ما قبح منها مما لا يوافق الأغراض ولا يلائم الطبع إلينا مع علمنا أن الكل من عند الله، ولكن لما تعلق به لسان الذم فدينا ما ينسب إلى الحق من ذلك بنفوسنا أدباً مع الله وما كان من خير وحسن رفعنا نفوسنا من الطريق وأضفنا ذلك إلى الله حتى يكون هو المحمود أدباً مع الله وحقيقة، فإنه لله بلا شك مع ما فيه من رائحة الاشتراك بالخير الإلهيّ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾

[النساء: ٧٩] وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] فأضاف العمل وقتاً إلينا ووقتاً إليه فلهذا قلنا فيه رائحة اشتراك، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فأضاف الكل إلينا وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] فله الإلهام فينا ولنا العمل بما ألهم، وقال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] فقد يكون عطاؤه الإلهام وقد يكون خلق العمل، فهذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد أصلاً لا من جهة الكشف ولا من جهة الخبر، فالأمر الصحيح في ذلك أنه مربوط بين حق وخلق غير مخلص لأحد الجانبين، فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق تعالى هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات فما ثم إلا وجود عين الحق لا غيره؛ والتغييرات الظاهرة في هذه العين أحكام أعيان الممكنات، فلولا العين ما ظهر الحكم ولولا الممكن ما ظهر التغيير، فلا بد في الأفعال من حق وخلق، وفي مذهب بعض العامة أن العبد محل ظهور أفعال الله وموضع جريانها، فلا يشهدها الحس إلا من الأكوان، ولا تشهدها بصيرتهم إلا من الله من وراء حجاب، هذا الذي ظهرت على يديه المريد لها المختار فيها فهو لها مكتسب باختياره، وهذا مذهب الأشاعرة، ومذهب بعض العامة أيضاً أن الفعل للعبد حقيقة، ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق والخلق لا يزول، فإن هؤلاء أيضاً يقولون: إن القدرة الحادثة في العبد التي يكون بها هذا الفعل من الفاعل أن الله خلق له القدرة عليها فما يخلص الفعل للعبد إلا بما خلق الله فيه من القدرة عليه فما زال الاشتراك وهذا مذهب أهل الاعتزال، فهؤلاء ثلاثة أصناف أصحابنا والأشاعرة والمعتزلة ما زال منهم وقوع الاشتراك، وهكذا أيضاً حكم مثبتي العلل لا يتخلص لهم إثبات المعلول لعلته التي هي معلولة لعلة أخرى فوقها إلى أن ينتهوا إلى الحق في ذلك الواجب الوجود لذاته الذي هو عندهم علة العلل، فلولا علة العلل ما كان معلول عن علة إذا كل علة دون علة العلل معلولة، فالاشتراك ما ارتفع على مذهب هؤلاء، وأما ما عدا هؤلاء الأصناف من الطبيعيين والدهريين فغاية ما يؤول إليه أمرهم أن الذي نقول نحن فيه إنه الإله تقول الدهرية فيه إنه الدهر والطبيعيون إنه الطبيعة، وهم لا يخلصون الفعل الظاهر منا دون أن يضيفوا ذلك إلى الطبيعة وأصحاب الدهر إلى الدهر، فما زال وجود الاشتراك في كل نحلة وملة، وما ثم عقل يدل على خلاف هذا، ولا خبر إلهي في شريعة تخلص الفعل من جميع الجهات إلى أحد الجانبين فلنقره كما أقره الله على علم الله فيه، وما ثم إلا كشف وشرع وعقل، وهذه الثلاثة ما خلصت شيئاً ولا يخلص أبداً دنيا ولا آخرة جزاء بما كنتم تعملون، فالأمر في نفسه والله أعلم ما هو إلا كما وقع ما يقع فيه تخليص لأنه في نفسه غير مخلص، إذ لو كان في نفسه مخلصاً لا بد إن كان يظهر عليه بعض هذه الطوائف ولا يتمكن لنا أن نقول الكل على خطأ فإن في الكل الشرائع الإلهية ونسبة الخطأ إليها محال، وما يخبر بالأشياء على ما هي عليه إلا الله وقد أخبر فما هو الأمر إلا كما أخبر لأن مرجوع الكل إليه، فما خلص فهو مخلص وما لم يخلص فما هو في نفسه مخلص فإن اللّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهوَ يَهْدِي

ٱلسَّبِيلَ، فاتفق الحق والعالم جميعه في هذه المسألة على الاشتراك، وهذا هو الشرك الخفيّ والجلي وموضع الحيرة فلا يرجح فما ثم إلا ما قلناه.

فإذ قد قرّرنا في هذه المسألة ما قرّرناه فلنقل أن الجود الإلهيّ والغيرة الإلهية اقتضيا أن يقولا ما نبينه إن شاء الله، وذلك أن المتكلمين في هذا الشأن على قسمين: الواحد أضاف الأفعال كلها إلى الأكوان فقال لسان الغيرة الإلهية ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] أي حادثاً. وأما القسم الثاني فأضاف الأفعال الحسنة كلها إلى الله وأضاف الأفعال القبيحة إلى الأكوان فقال لسان الجود الإلهيّ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا تكذيباً لهم بل ثناء جميلاً، وما ثم من قال: إن الأفعال كلها لله ولا للأكوان من غير رائحة اشتراك، فلهذا حصرناها في قسمين من أجل الطبيعية والدهرية.

وأمّا حجب العناية وهي حجب الإشفاق على الخلق من الإحراق فهي الحجب التي تمنع السبحات الوجهية أن تحرق ما أدركه البصر من الخلق، وسبب ذلك أن الله قد وضع الدعاوى في الخلق لأن أعيانهم لما اتصفت بالوجود بعد العدم وأن ذلك الوجود كان عن ترجيح المرجح الذي هو واجب الوجود فما أنكره أحد وإن كانت قد تغيرت العبارات عنه باسم طبيعة ودهر وعلة وغير ذلك فهو هو لا غيره فرأوا أن الوجود لها، وإن كان مستفاداً فإنه لهم حقيقة وأن أعيانهم هم الموجودون بهذا الوجود المستفاد، وهذه هي أعيان الحجب التي بين الله وبين خلقه، فلو كشفها عموماً كما كشفها خصوصاً لبعض عباده لأحرقت أنوار ذاته المعبر عنها بسبحات وجهه ما أدركه بصره من أعيان الموجودات أي أن بصره ما كان يدرك من الموجودات سوى وجود الحق ويذهب الكل الذي قررته الدعاوى فيتبين أنه الحق لا غيره، فعبر عن هذا الذهاب بالإحراق لما جعلها أنواراً والأنوار لها الإحراق لكنه تعالى أبقى حجب الدعاوى ليتميز أهل الله من غيرهم، فلم تزل الممكنات عند أهل الله من حيث أعيانهم موصوفين بالعدم ومن حيث أحكامهم لم يزالوا موصوفين بالوجود وهو الحق كما قال تعالى: «**كُنتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ**» في الخبر الصحيح، فأثبت العين للعبد وجعل نفسه عين صفته التي هي عين وجوده عين صفة العبد، فعين الممكن ثابتة غير موجودة والصفة موجودة ثابتة وهي عين واحدة، ولو تكثرت بنسبها فإنها كثيرة في النسب فهي سمع وبصر وغير هذين إلى جميع ما في العالم من القوى من ملك وبشر وجان ومعدن ونبات وحيوان ومكان وزمان ومحل ومعقول ومحسوس وما ثم إلا هذا.

ولما قرر الله دعاوى المدعين بإرسال الحجب بينهم وبين ما هو الأمر عليه وشغلهم بالحجب التي بينهم وبينه في الأفعال وضرب الكل بالكل انفرد بخاصته وجعلهم جلساء له عنده بالشهود وفي صورهم المحسوسة بالذكر فهو جليس الذاكرين وهم آخر الطوائف ليس بعدهم أحد له نعت يذكر، قال تعالى لما وصفهم ذكراناً وإناثاً: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فختم بجلسائه وما بعد جلسائه من يقبل صفة إلا صفة بعد عن هذه المجالسة؛ ألا ترى أبا يزيد رحمه الله حين جهل الأسماء الإلهية وما تستحقه من الحقائق كيف

صنع لما سمع القارىء يقرأ يوم الجمعة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وتأوّه وقال: «هذا عجب كيف يحشر إليه من هو جليسه؟» فإنه في تلك الحالة كان جليساً مع الأسماء من حيث ما هي دالة على الذات كل واحد منها لم يكن مع الاسم من حيث ما تطلبه حقيقته من عين دلالته على الذات فأنكر ما لم يعطه مشهده مع كونه كلام الحق وقد وقع منه الإنكار بل ما وقع منه إلا التعجب خاصة فهو يشبه الإنكار وليس بإنكار، حتى أنه لو كان هذ القول من غير الله لأمر القائل بالسكوت وزجره عن ذلك، وإنما الرجل أظهر التعجب من قول الله في حق المتقين الذين هم جلساء الله كيف يحشرون إليه؟ فكأنه إبراهيمي المشهد في طلب الكيفية في إحياء الموتى، فأراد أبو يزيد ما أراده إبراهيم في كيفية إحياء الموتى لاختلاف الوجوه في ذلك لا إنكاراً لإحياء الموتى، فدل هذا الكلام من أبي يزيد على حاله في ذلك الوقت، فهذا مثل قول إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥] والرحمة تناقض العذاب إلا على الوجه الذي قرّرناه في المنزل الذي قبل هذا المنزل وهو منزل فتح الأبواب، كذلك أبو يزيد لو علم أن المتقي ما هو جليس الرحمن وإنما هو جليس الجبار المريد العظيم المتكبر فيحشر المتقي إلى الرحمن ليكون جليسه فيزول عنه الاتقاء فإن الرحمن لا يتقى بل هو محل موضع الطمع والإدلال والأنس، لكنهم رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال، بخلاف العامة من أهل الله فإنهم يتكلمون بأحوال غيرهم والخاصة لا سبيل لهم إلى ذلك، وإن اتفق أن يتكلم أحد منهم في حال نبيّ أو وليّ هو فوقه فيبين أنه مترجم عن حال غيره حتى يعرف السامع عمن يقول، هذه حالهم رضي الله عنهم، ولا يقع منهم مثل هذا إلا في النادر لضرورة تدعو إليه، فإن لهم الكشف الخبريّ عن مقامات من هو فوقهم، وما لهم الكشف الذوقيّ إلا فيما هو مقامهم وحالهم، فلولا هذه الحجب التي أسدلها الله بين الأكوان وبينه ما تميزت المراتب واختلطت الحقائق، وهذا سبب وضع الحدود في الأشياء، وقد لَعَنَ الله من غَيَّرَ مَنَارَ الأرض.

وصل: ومن هذا الباب أن الله ما جمع لأحد بين مشاهدته وبين كلامه في حال مشاهدته فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون التجلي الإلهيّ في صورة مثالية فحينئذ يجمع بين المشاهدة والكلام وهذا غير منكور عندنا، وقد بلغنا عن الشيخ العارف شهاب الدين السهروردي ببغداد رضي الله عنه أنه قال بالجمع بين المشاهدة والكلام، ولكن ما نقل عنه أكثر من هذا، فإني سألت الناقل فلم يذكر لي نوع التجلي والظنّ بالشيخ جميل فلا بد أن يريد التجلي الصوري، ألا ترى السياريّ من رجال رسالة القشيريّ حيث قال: «ما التذ عاقل بمشاهدة قط» ثم فسر فقال: لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة، والخطاب في حال الفناء لا يصح لأن فائدة الخطاب أن يعقل ولذلك قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] وما زال البشر عن حكم البشرية كمسألة موسى والحجاب عين الصورة التي يناديه منها وما يزول البشر عن بشريته وإن فني عن شهودها فعين وجودها لا يزول والحدّ يصحبها. وإنما قلنا هذا لأني سمعت بعض الشيوخ يقول: هذا حظ البشر

فإذا زال عن بشريته كان حكمه حكماً آخر، فأبنت له رضي الله عنه أن الأمر ليس كما يظنه، فلما تحقق ما ذكرناه رجع عن ذلك وقال: ما كنت أظن إلا أن الأمر على ما قلته لم أجعل بالي من هذا فإنه تكلم في شرح الآية فغلط ما تكلم في ذلك عن ذوق الأمر ومن هنا يقع الغلط، ونحن نعلم أن الذي قاله الله حق كله وأنه لا يخالف الأذواق، فلا بد أن يكون كلام الذائق مطابقاً للإخبارات الإلهية حتى يقول من لا معرفة بمقام الرجال إن هذا المتكلم يتكلم بما لا يخالف ما جاء به قرآن أو سنة، إنما هو أخذه منهما وهو مفسر لهما وصاحب الذوق ما قال إلا ما ذاقه، فمن المحال أن يخالف شيئاً مما جاء عن الله، لكن الأجنبيّ الذي لا ذوق له يقول هذا عن الذائق، بل جماعة من أهل الطريق ممن لا ذوق لهم يتخيلون مثل هذا ويقولون: إن فلاناً يتكلم من حيثما ورد في الأخبار الإلهية ليس له مادّة غيرها وينكرون الذوق لأنهم ما عرفوه من نفوسهم مع كونهم يعتقدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة، وكذلك هو الأمر أصحاب الأذواق هم على طريق واحدة بلا شك، غير أن فيهم البصير والأعمى والأعشى، فلا يقول واحد منهم إلا ما أعطاه حاله لا ما أعطاه الطريق ولا ما هو الطريق عليه في نفسه ولا سيما السلوك المعنويّ فإن عمى القلوب أشد من عمى الأبصار، فإن عمى القلوب يحول بينك وبين الحق، وعمى البصر الذي لم ير قط صاحبه ليس يحول إلا بينك وبين الألوان خاصة ليس له إلا ذلك وهذا العمى من الحجب، وكذلك الصمم والقفل والكنّ والغشاوة دون العمى في الحكم، إلا أن تكون الغشاوة تعطي الظلمة فلا فرق بينها وبين العمى، فإن خرجت عن حد الظلمة إلى حد السدفة فقد يكون حال صاحبها أحسن من حال صاحب الظلمة ومن حال الأعمى، قال بعضهم لمحمد ﷺ: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: ٥] وهو الأكنّة ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥] أي اعمل في رفع ذلك، ويحتمل قولهم: ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ في رفع ذلك في حق من يحتمل صدقه عندهم فإنهم اعترفوا أن قلوبهم في أكنة مما يدعوهم إليه فما جحدوا قوله ولا ردّوه كما اعتقد غيرهم ممن لم يقل ذلك، فلا أدري ما آل إليه أمر هؤلاء فإنهم عندي في مقام الرجاء، فإنا نعلم قطعاً أن الرسول يعمل في رفع الغطاء عن أعينهم بلا شك حتى قال: «**لأزيدَنّ على السَّبْعين**»، ولذا قال في الآية: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦] ولم يقل وويل لكم، فهذا يدل بقرينة الحال أنهم عاملون في رفع الحجاب وإخراج قلوبهم من الأكنة، وإنما كثر الأكنة لاختلاف أسباب توقفهم في قبول ما أتاهم به، فمنهم من كنه الحسد وآخر الجهل وآخر شغل الوقت بما كان عنده أهمّ حتى يتفرغ منه والكل حجاب.

ومن أعجب الأشياء الواقعة في الوجود ما أقوله وذلك أن الملائكة إذا تكلم الله بالوحي كأنه سلسلة على صفوان تصعق الملائكة، ورسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي كسلسلة على صفوان يصعق وهو أشد الوحي عليه فينزل جبريل به على قلبه فيفنى عن عالم الحس ويرغو ويسجى إلى أن يسرّى عنه، وإنه لينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيتفصد جبينه عرقاً، وموسى عليه السلام كلمه الله تكليماً بارتفاع الوسائط وما صعق ولا زال

عن حسه وقال وقيل له وهذا المقام أعظم من مقام الوحي بوساطة الملك، فهذا الملك يصعق عند الكلام، وهذا أكرم البشر يصعق عند نزول الروح بالوحي، وهذا موسى لم يصعق ولا جرى عليه شيء مع ارتفاع الوسائط وصعق لذلك الجبل، فاعلم أن هذا كله من آثار الحجب، فإن الحكم لها حيث ظهرت فإن الله لما خلقها حجباً لم يكن إلا أن تحجب ولا بد، فلو لم تحجب لما كانت حجباً.

وخلق الله هذه الحجب على نوعين: معنوية ومادّية، وخلق المادية على نوعين: كثيفة ولطيفة وشفاقة، فالكثيفة لا يدرك البصر سواها، واللطيفة يدرك البصر ما فيها وما وراءها، والشفاقة يدرك البصر ما وراءها ويحصل له الالتباس إذا أدرك ما فيها كما قيل: [الكامل أحذّ مضمر]

رَقَّ الـزُّجـاجُ ورَقَّـتِ الـخَـمْـرُ ... فـتَـشَـاكَـلاَ فـتـشـابَـهَ الأَمْـرُ
فـكـأنَّـمـا خَـمْـرٌ ولا قَـدَحٌ ... وكـأنَّـمـا قَـدَحٌ ولا خَـمْـرُ

وأما المرائي والأجسام الصقيلة فلا يدرك موضع الصور منها ولا يدرك ما وراءها ويدرك الصور الغائبة عن عين المدرك بها لا فيها، فالصور المرئية حجاب بين البصر وبين الصقيل وهي صور لا يقال فيها لطيفة ولا كثيفة وتشهدها الأبصار كثيفة وتتغير أشكالها بتغير شكل الصقيل، وتتموّج بتموّجه، وتتحرّك بتحرك من هي صورته من خارج وتسكن بسكونه إلا أن يتحرّك الصقيل كتموّج الماء فيظهر في العين فيها حركة، ومن هي صورته ساكن فلها حركتان: حركة من حركة من هي صورته وحركة من حركة الصقيل، فما في الوجود إلا حجب مسدلة والإدراكات متعلقها الحجب، ولها الأثر في صاحب العين المدرك لها، وأعظم الحجب حجابان: حجاب معنويّ وهو الجهل وحجاب حسيّ وهو أنت على نفسك، فأما الحجاب الأعظم المعنويّ فقول رسول الله ﷺ لما أسري به في شجرة فيها وكرا طائر فقعد جبريل في الوكر الواحد وقعد رسول الله ﷺ في الآخر، فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف دراً وياقوتاً وكان ذلك نوعاً من تجلي الحق، قال عليه السلام: «**فأما جبريل فغُشِيَ عليه**» لعلمه بما تدلى إليه، وأمّا رسول الله ﷺ فبقي على حاله لكونه ما علم ما هو فلم يكن له سلطان عليه، فلما أخبره جبريل عندما أفاق أنه الحق قال ﷺ عند ذلك: «**فعلمتُ فَضْلَهُ**» يعني فضل جبريل «**عليّ في العلم**»، فالعلم أصعق جبريل وعدم العلم أبقى النبيّ ﷺ على حاله مع وجود الرؤية من الشخصين، فهذا أعظم الحجب المعنوية.

وأمّا كونك حجاباً عليك وهو أكثف الحجب الحسية فقول القائل: [الطويل]

بَـدَا لـك سـرٌّ طـال عَـنْـكَ اكْـتِـتَـامُـهُ ... ولاحَ صـبـاح كُـنْـتَ أنْـتَ ظَـلامُـهُ
فـأنْـتَ حـجـابُ الـقَـلْـب عـن سرِّ غَـيْـبِهِ ... ولـولاك لـم يُـطْـبَـعْ عـلـيـه خِـتَـامُـهُ
إذا غِـبْـتَ عـنـه حَـلَّ فـيـه وطُـنِّـبَـتْ ... على مَنْكِبِ الكشفِ المَصُون خِيَامُهُ
وجـاء حـديـثٌ لا يُـمَـلُّ سَـمَـاعُـهُ ... شـهـيٌّ إلـيـنـا نَـثْـرُهُ ونِـظَـامُـهُ

فما جعل حجاباً عليك سواك.

ثم نرجع إلى مسألتنا ونقول: أما موسى عليه السلام فكان قد استفرغه طلب النار لأهله وهو الذي أخرجه لما أمر به من السعي على العيال، والأنبياء أشدّ الناس مطالبة لأنفسهم للقيام بأوامر الحق، فلم يكن في نفسه سوى ما خرج إليه، فلما أبصر حاجته وهي النار التي لاحت له من الشجرة من ﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨٠] ناداه الحق من عين حاجته بما يناسب الوقت ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] ولم يقل لما أوحي ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] فثبته الخطاب الأوّل بالنداء لأنه خرج على أن يقتبس ناراً أو يجد على النار هدى وهو قوله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص: ٢٩] أي من يدله على حاجته، فكان منتظراً للنداء قد هيأ سمعه وبصره لرؤية النار وسمعه لمن يدله عليها، فلما جاءه النداء بأمر مناسب لم ينكره وثبت، فلما علم أن المنادي ربه وقد صح له الثبوت وجاءه النداء من خارج لا من نفسه ثبت ليوفي الأدب حقه في الاستماع، فإنه لكل نوع من التجلي حكم، وحكم نداء هذا التجلي التهيؤ لسماع ما يأتي به فلم يصعق ولاغاب عن شهوده، فإنه خطاب مقيد بجهة مسموع بإذن وخطاب تفصيلي، فالمثبت للإنسان على حسه وشهود محسوسه قلبه المدبر لجسده، ولم يكن لهذا الكلام الإلهيّ الموسويّ توجه على القلب، فليس للقلب هنا إلا ما يتلقاه من سمعه وبصره وقواه حسبما جرت به العادة، فلم يتعدّ الحال حكمه في موسى عليه السلام.

وأما أمر محمد ﷺ فهو نزول قلبيّ وخطاب إجماليّ كسلسلة على صفوان فاجعل بالك لهذا التشبيه؛ فاشتغل القلب بما نزل إليه ليتلقاه فغاب عن تدبير بدنه فسمى ذلك غشية وصعقاً، وكذلك الملائكة أخبر النبيّ ﷺ عن الملائكة في طريان هذا الحال أنه إذا كان الوحي المتكلم به كسلسلة على صفوان وكان نزوله على قلوب الملائكة فإنه قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] ثم لما أفاقوا أخبر عنهم بأنهم يقولون: ﴿مَاذَا﴾ وهنا وقف ثم يجيبهم فيقول: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وهنا وقف فيقولون: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ بالنصب أي قال الحق كذا علمناه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ عن هذا النزول في هذا النزول ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] عن هذا التشبيه في هذه النسبة. وعلى الوجه الآخر قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وهنا وقف فيقول بعضهم لبعض ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] من قول الله لا من قول الملائكة فعلى الوجه الأوّل لما أفاقوا وأزال الخطاب الإجمالي المشبه وزالت البديهة ﴿قَالُواْ مَاذَا﴾ فقال لهم: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وهو قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣] فما صعقوا عند هذا القول بل ثبتوا و﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] أي قال الحق؛ أي قال ربنا القول الحق؛ يعنون ما فهموه من الوحي، أو قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣] أو هما معاً وهو الصحيح فهذا الفرق بين حال موسى عليه السلام وبين حال محمد ﷺ وحال الملائكة عليهم السلام.

واعلم أن في هذا المنزل من العلوم علم ثناء الحق على نفسه بخلقه وهو المثني على نفسه بغناه عن خلقه، فأيّ الثناءين أتم وأحق؟ وما هو الحق من هذين الثناءين؟ وما هو الحقيقة منهما أو كلاهما حقيقتان لحقين أو هما حقان ولهما حقيقتان؟ وفيه علم الفرق بين

العلم والحكمة والخبرة، وفيه علم العلم بما في العالم بتقاسيم أحوالهم، وفي علم النيابة في الأجوبة عن الله ولا يكون ذلك إلا لرسول أو نبيّ أو وارث عن سماع لخطاب إلهيّ لا عن تجل ولا خطاب حال، وفيه علم علم الله، وفيه علم أين أودع الله علمه في خلقه من العوالم وهل أودعه في واحد أو فيما زاد على واحد؟ وفيه علم بماذا تتميز به القبضتان في عالم الشهادة وبماذا تتميز به في عالم الغيب، وفيه علم الدلالة على العلماء وأصحاب الأخبار الإلهية لنعرفهم فنتلقى منهم ما يأتون به عن الله فنساويهم في العلم بذلك رغبة في أن تلحق نفوسنا بنفوسهم في الصورة وإن اختلفت الطرق فلا أثر لاختلافها في صورة العلم، وهذا هو الذي يحرّض الأكابر من العلماء الأكابر على نشر العلم كما يحرّض المتعلمين على طلب العلم من أكابر العلماء الذي يعلمون أنهم أعلم بالله منهم، ومن هذا قال الرجل للتلميذ: «لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة» لفضله عليه في العلم بالله لما علم أن ظهور الحق لعباده على قدر علمهم به، فرؤيتنا الله بعلم العلماء به إذا استفدناه منهم أتم من رؤيتنا بعلمنا قبل أن نستفيده منهم.

وفيه علم إحاطة الاعتبار بالجهات وأن علم الاعتبار لا يخص حالاً من حال ولا جهة من جهة وأنه علم عام وهو علم يعطي الدلالة لمن رجع إلى الله بالعبودة، وفيه علم الأمر والنهي الإلهي بالمساعدة في العبادة وأعمال الخير، وفيه علم إرسال النعم الخارقة وما يحجب منها وماذا يحجب، وفيه علم قوى المسخرات في التسخير إلى أين تنتهي قواهم فيما سخروا فيه، وفيه علم الموت المجهول في الميت وبماذا يعرف؟ كما حكى القشيري في رسالته عن بعضهم أنه مات إنسان فنظر إليه الغاسل فتحير فلم يدر أهو ميت أم ليس بميت وهو ميت في نفس الأمر، ومثل هذا ظهر على صاحب لي كان يخدمني فمات عندي فشك فيه الغاسل عند غسله هل هو ميت أم لا؟

وفيه علم أثر العلم في العالم ومن ادّعى العلم ولم يؤثر فيه ما هو عالم وهي مسألة مشكلة يورث الإشكال فيها الحس فإنه ما رأينا أحداً يلقي نفسه في النار لعلمه أنها تحرقه إلا طائفتين: الواحدة من تتخذها قرباناً فتلقي نفسها فيها طلباً للإحراق قربة إليها أو من يعلم أنها لا تحرقه فعلمنا أن العلم له أثر في العالم.

وفيه علم آيات النعم وعلى ماذا تدل وما حقها على من يراها آية، وفيه علم العلم القوي الذي يذهب بما سواه من العلوم التي يجدها في القلب، وفيه علم الأدنى والأعلى وما السبب الموجب للطالب في طلبه الأدنى وتركه الأعلى مع علمه بمرتبة كل واحد منهما؟ وفيه علم أسباب الجزاء في الخير والشر، وفيه علم البعد والقرب الكياني والإلهي، وفيه علم ما في علم القرب والبعد من الآيات الدالة على الله، وفيه علم موافقة الظنّ العلم وبماذا يعلم صاحب الحق أنه علم لا ظن وقد كان يعتقد أن ذلك ظن، وفيه علم حال أهل الريب ومن يلحقون من الأصناف وما ينظر إليهم من الأسماء، وفيه علم الحوالة، وفيه علم أحوال الملأ

الأعلى واختلافها عليهم لاختلاف الواردات في مقامهم المعلوم. وفيه علم ما لا ينسب إلى الله أعني لا يوصف به هل هو أمر عدمي أو وجودي؟ وفيه علم أين يشك العالم وهو ليس بشاك، ولماذا يظهر بصورة الشاك، وفيه علم ما يسأل عنه وما لا يسأل عنه، وفيه علم فيماذا يجمع الله بين عباده ثم يفصل بينهم في عين هذا الجمع فهم فيه مفصلون، وفيه علم من ادعى أمراً طولب بالدليل على ما ادّعاه إذا ادّعى ما يريد أن يؤثر به في أحوال العالم، وفيه علم ما لا يقبل التقدم ولا التأخر من الأحوال، وفيه علم الحِجَاج، وفيه علم التقريب وإلى من يكون القرب هل إلى كون أو إلى الله؟ وهل يصح القرب إلى الله أم لا، وهو أقرب إلى كل إنسان من حبل الوريد كما قال تعالى؟ وفيه علم الأعراض، وفيه علم الفرق والتبرّي بين الأرواح، وفيه علم ما يقال عند رؤية الدلالات، وفيه علم الأجر المعاد وإلحاق الشيء بجنسه، وفيه علم من يدري ما يقول وما يقال له ومن لا يدري ما يقول وما يقال له من ذلك، وفيه علم ردّ الأمور كلها حيرتها وإنابتها إلى الله وخيرها وشرها وأن الشر ليس إلى الله، وفيه علم الإدراك الإلهي، وفيه علم ما لا يدرك مما يجوز أن يدرك، وفيه علم ما يمنع الاحتلام بالرؤية، وفيه علم الموانع، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات وهو من حضرة الغيرة المحمدية من الاسم الودود

[البسيط]

إنّ الـمُـكَـمَّـلَ لا تُـرسَـى مَـراسِـيـهِ ... فـلا مـقـام لـه فـي الـكَـوْن يَـحْـويـهِ
فـفُـلْـكُـهُ سـابـحٌ والـريـحُ تُـزْجِـيـهِ ... والله فـي كـل حـال فـيـه مـجـريـهِ
ومـا لَـهُ فَـلَـكٌ أعـلـى فـيـقـطـعـه ... فـاعـلـمْ إذا قـمـت فـيـه مـن تُـنـاجـيـهِ
الـكـلّ لـي ولـه عـلـى الـسّـواء فـمـن ... أدنـاه خـالـقـنـا لا بـدّ أدنـيـهِ
بـالله يـا أُخْـتَ مُـوسـى عَـجِّـلي وخُـذي ... جَـنَـاحَ طـيـري فـقُـصِّـيـهِ وقُـصِّـيـهِ

اعلم أيدنا الله وإياك أن هذا المنزل من أعظم المنازل له الاسم الأوّل والآخر والظاهر والباطن والخلق والأمر، يحوي على مقامات وأحوال لا يعرفها إلا القليل من الناس، عظم الله مقداره وأعلى مناره، له زمام التكوين، وعنه ظهر وجود العالم الحق والعالم الأعلى والأسفل ناظر إليه له الغيرة والصول والحجب، هو الغيب الذي يظهر منه ولا يظهر، يعطي عالم الشهادة ويخفي عالم الغيب في الغيب، سلطانه قويّ لا يرام، ومقامه عزيز لا يضام نعته النقص والكمال، وبصورته يظهر الليل والنهار، أوّل شيء أعطى الانقياد الإلهيّ الكوني:

[مجزوء الرمل]

فـانْـقـيـادٌ لانـقـيـادِ ... عـنـد رَبّ وعِـبَـادِ
بـيـن مَـنْـع وعـطـاءٍ ... مـن بَـخـيـل وجـوادِ

فصَلاحٌ لصلاح وفسادٌ لفَسَادِ
واتّفاق لاتفاقٍ وعنادٌ لعِنَادِ
وانْفِصَالٌ لانفصالٍ واسْتِنادٌ لاستنادِ
وبياضٌ لبياض وسوادٌ لسوادِ
وبقاءٌ لبقاء ونَفَادٌ لبفادِ
واقترابٌ لاقتراب وبعاد لبعادِ
وسرير لاسْتواء وسماء لمهَادِ
وحجابٌ لبغيضٍ وتَجَلٍّ لوِدَادِ
ومحلّ قد تَهيَّا كل وقت لازديادِ
من عُلوم بأمور علمُها عينُ الرَّشَادِ
وعذابٌ في نعيم لمُريد ومُرادِ
يقطعان اللَّيْلَ ذكراً بسُجود واجْتهادِ
يسألان الله أمناً يوم إسماع المنادي

ولما رجح الله وجود الممكنات على عدمها لطلبها الترجيح من ذاتها كان ذلك انقياداً من الحق لهذا الطلب الإمكانيّ وامتناناً فإنه تعالى الغنيّ عن العالمين، ولكن لما وصف نفسه بأنه يحب أن تعرفه الممكنات بأنه لا يعرف، ومن شأن المحب الانقياد للمحبوب فما انقاد في الحقيقة إلا لنفسه، والممكن حجاب على هذا الطلب الإلهيّ الذي طلبه حب العرفان به من نفسه وتبعه ما طلبه الممكن من ترجيح الوجود على عدمه، فلما أوجده عرفه أنه ربه فعرفه أنه ربه ما عرف منه غير ذلك، ولا يتمكن لغير الله أن يعرف الله من حيث ما يعرف الله نفسه، ثم طلبه بالانقياد إليه فيما يأمره به وينهاه عنه فقال الممكن هذا مقام صعب لا أقدر عليه كما أنك يا رب ما يبدّل القول لديك ولا يكون عنك إلا ما سبق به علمك، فمشيئتك واحدة والاختيار المنسوب إليّ منك، فالذي تقبله ذاتي من الانقياد إليك أن أكون لك حيث تريد لا حيث تأمر إلا إن وافق أمرك إرادتك فحينئذ أجمع بينهما وأكثر من هذا فما تعطي حقيقتي إذا نسبتها إليك أنت القائل: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] وهو أكرم المكلفين عليك، وهذا الحكم منك وعليك يعود، فما كان انقيادك إلا إليك، وأنا صورة مماثلة للمحجوبين الذين لا يعرفونك معرفتي فيقولون: قد أجاب الحق سؤالنا وانقاد إلينا فيما نريد منه، وأنت ما أجبت إلا نفسك وما تعلقت به إرادتك، فانقيادي أنا لنفسي، فإنه لا يتمكن أن أطلبك لك وإنما أطلبك لنفسي، فلنفسي كان انقيادي لما دعوتني، وجعلت حجاباً بيني وبين المحجوبين من خلقك الذين لا يعرفون فقالوا فلان أجاب أمر ربه حين دعاه وما علموا أن الانقياد مني إنما كان لإرادتك لا لأمرك، فإنه ما يبدّل الحكم لديّ فإني ما أقبل غير هذا قبول ذات وفيه سعادتي.

ثم إنك سبحانك نسبت لي ذلك وأثنيت عليّ به وأنت تعلم كيف كان الأمر فظهرت

بأمر تشهد الحقيقة بخلافه فقلت: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [التحريم: ٦]، والحقيقة من خلف هذا الثناء تنادي لا يعصون الله ما أراد منهم وقرن الأمر منه بإرادته، فذلك هو الأمر الذي لا يعصيه مخلوق وهو قوله: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [النحل: ٤٠] هذا هو الأمر الذي لا يمكن للممكن المأمور به مخالفته لا الأمر بالأفعال والتروك يعرف ذلك العارفون من عبادك ذوقاً وشهوداً، فإن أمرت الفعل المأمور به أن يتكوّن في هذا العبد المأمور بالفعل تكوّن فتقول: هذا عبد طائع امتثل أمري وما بيده من ذلك شيء فالصمت حكم وقليل فاعله، فمن تكلم بالله كانت الحجة له فإن الحجة البالغة لله، ومن تكلم بنفسه كان محجوباً، كما أن الحق إذا تكلم بعبده كان كلامه ظاهراً بحيث يقتضيه مقام عبده، فإذا ردّ الجواب عليه عبده به لا بنفسه وظهر حكمه على كلام ربه نادى الحق عليه وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً وإن قال الحق، ولكن ما كل حق يحمد ولا كل ما ليس بحق يذم، فالأدباء يعرفون المواطن التي يحمد فيها الحق فيأتون به فيها ويعرفون المواطن التي يحمد فيها ما ليس بحق فيأتون به فيها مغالطة جزاء وفاقاً إلهياً، فمن عرف الانقياد الإلهيّ والكونيّ كما قرّرناه كان من العارفين، ولكن فيه أسرار وآداب ينبغي للإنسان إذا تكلم في هذا المقام وأمثاله أن لا يغفل عن دقائقه فإن فيه مكراً خفياً لا يشعر به إلا أهل العناية، ومن أراد العصمة من ذلك فلينظر إلى ما شرع الله له وأتى على ألسنة رسله فيمشي معه حيث مشى ويقف عنده حيث وقف من غير مزيد، وإن تناقضت الأمور وتصادمت فذلك له لا لك وقل لا أدري هكذا جاء الأمر من عنده وارجع إليه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] فهذا قد أبنا عن المقام الأوّل.

وصل: وأما المقام الثاني الذي بيد اسمه المؤمن فإنه نتيجة عن الاسم المؤمن الكيانيّ وهو المظهر له إذا كان بمعنى المصدق لا بمعنى معطي الأمان، فإن كان بمعنى معطي الأمان فالاسم الإلهيّ المؤمن متقدم على المؤمن الكيانيّ فأعطاه الأمان في حال عدمه أنه لا يعدمه إذا أوجده ولا يحول بينه وبين معرفته بوجوده واستناده إليه فأعطاه الأمان في ذلك كله، فمن عرف ذلك لم يخف وكان من الآمنين: [الطويل]

فتَصْديقُ صِدْق الحَقّ مِنْ صِدْقِ كَوْنِهِ ... ولولاه لم يَصْدُقْ وإن كان صَادِقَا
فلا تَنْظُر الأشياءَ من حيث إنه ... هو الأصلُ فاسْبُرْها فإنّ الحقائقا
تُريك أموراً لم تكن عالماً بها ... فتُبْدي لكم فيها سَنًى وطرائقا
فتُبْصِرُها بالنُّور من خلف ستره ... ويمشي بها حقّاً مُبيناً وخالقا
فيدعوك من في الكون فَقْراً وحاجةً ... إذا كنتَ بالرحمن ربّاً ورازقا

صدق الممكن ربه فيما أخبره به من إعطاء الأمان من العدم إذا أوجده فصدقه الله في صدقه وأجرى له الصدق في خلقه، فالمصدق والصديق ما هو الصادق إلا بنسبتين مختلفتين، والخبر لا يكون أبداً إلا من الأول، والتصديق لا يكون أبداً إلا من الآخر، والأوّل والآخر اسمان لله، فإذا أقام الله عبده في الأوّلية أعطاه الأخبار فأخبر وأقام الله نفسه في الاسم الآخر فصدقه فيما أخبر به، وإذا أقام الله نفسه في الاسم الأول وأخبر أقام العبد في الاسم الآخر

فصدقه في خبره، فالصادق للأول أبداً والصديق للآخر أبداً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] المفلحون الباقون بهذا الحكم: [الطويل]

فلولا وُجودُ القَوْلِ ما صَدَقَ العَبْدُ ... ولولا وُجودُ الشَّفْعِ ما ظَهَرَ الفَرْدُ
فجيءُ معه من حيث ما جاء فإنه ... له الحكمُ في الأشياء والذمُّ والحَمْدُ
فإن كان عن وَفْقٍ كما قال بعضُهم ... وإن كان عن قَصْدٍ فقد حَكَمَ القَصْدُ
وما قال بالأوفاق إلا مُخَلِّطٌ ... جَهُولٌ بنَعْتِ الحقّ بالقَبْلِ والبَعْدِ

فالصدق متعلقه الخبر ومحله الصادق، وليس بصفة لأصحاب الأدلة ولا للعلماء الذين آمنوا بما أعطتهم الآيات والمعجزات من الدلالة على صدق دعواه فذلك علم والصدق نور يظهر على قلب العبد يصدق به هذا المخبر ويكشف بذلك النور أنه صدق ويرجع عنه برجوع المخبر، لأن النور يتبع المخبر حيث مشى، والصدق بالدليل ليس هذا حكمه إن رجع المخبر لم يرجع لرجوعه، فهذا هو الفارق بين الرجلين، وهذه المسألة من أشكل المسائل في الوجود، فإن الأحكام المشروعة أخبار إلهية يدخلها النسخ والتصديق يتبع الحكم فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه، ولا يتصف الحق بالبدا في ذلك وهو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون نسخ الأحكام. وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الأول وإنما أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالتين ولا تناقض، ولما كان من حقيقة الخبر الإمكان لحكم الصفتين الصدق والكذب من حيث ما هو خبر لا من حيث النظر إلى من أخبر به لذلك ميزنا بين القائل بصدق المخبر للدليل والقائل بصدقه للإيمان، فإن الإيمان كشف نوري لا يقبل الشبه، وصاحب الدليل لا يقدر على عصمة نفسه من الدخل عليه في دليله القادح فيرده هذا الدخل إلى محل النظر فلذلك عرّيناه عن الإيمان، فإن الإيمان لا يقبل الزوال فإنه نور إلهي رقيب قائم على كل نفس بما كسبت ما هو نور شمسي كوكبي يطلع ويغرب فيعقبه ظلام شك أو غيره، فمن عرف ما قلناه عرف مرتبة العلم من جهة الإيمان ومرتبة العلم الحاصل عن الدليل، فإن الأصل الذي هو الحق ما علم الأشياء بالدليل وإنما علمها بنفسه، والإنسان الكامل مخلوق على صورته فعلمه بالله إيمان نور وكشف ولذلك يصفه بما لا تقبله الأدلة ويتأوله المؤمن به من حيث الدليل فينقصه من الإيمان بقدر ما نفاه عنه دليله.

وصل: وفي هذا المنزل صمت العبد إذا كلمه الحق والحق يكلمه على الدوام، فالعبد صامت مُصْغٍ على الدوام على جملة أحواله من حركة وسكون وقيام وقعود، فإن العبد الممنوح السمع لكلام الحق لا يزال يسمع أمر الحق بالتكوين فيما يتكون فيه من الحالات والهيئات، ولا يخلو هذا العبد ولا العالم نفساً واحداً من وجود التكوين فيه، فلا يزال سامعاً، فلا يزال صامتاً، ولا يمكن أن يدخل معه في كلامه، فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه، والعبد على أصله صامت واقف بين يديه تعالى، فما تقع الأسماع إلا على تكوينات الحق فافهم فإن هذا من لباب المعرفة التي لا تحصل إلا لأهل الشهود: [الطويل]

فما ثَمَّ إلا الصَّمْتُ والحَقُّ ناطقٌ ... وما ثَمَّ إلا الله لا غير خالِقُ
فيُشْهِدُنا تَكْوِينَهُ في شُهُودنا ... تدلّ عليه في الوجود الحقائقُ
فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فَلْيَقُلْ ... خلافَ الذي قلناه والله صادقُ

وصل: التقييد صفة تضيفها العقول والكشف إلى الممكنات وتقصرها العقول عليها وتضيف الإطلاق إلى الحق وما علمت أن الإطلاق تقييد، فإن التقييد إنما أصله وسببه التمييز حتى لا تختلط الحقائق، فالإطلاق تقييد فإنه قد تميز عن المقيد وتقيد بالإطلاق ولا سيما وقد سمى نفسه حليماً لا يعجل فإمهاله العبد المستحق للأخذ إلى زمان الأخذ حبس عن إرسال الأخذ في زمان الاستحقاق ولذلك سمى نفسه بالصبور، فما ثم إطلاق لا يكون فيه تقييد لأن المقيد الذي هو الكون تميز عن إطلاقه بتقييده فقد قيده بالإطلاق وهو تجليه في كل صورة وقبوله كل حكم ممكن من حيث إنه عين الوجود فقد قيدته أحكام الممكنات: [الطويل]

فتقييدُه إطلاقُهُ من وَثاقنا ... فما ثَمّ إطلاقٌ يكون بلا قَيْدِ
فمَنْ عَرَفَ الأشياءَ قال بقولنا ... فعَوْدٌ على بَدْءٍ وبدء على عَوْدِ
فحَاذِرْ وُجُودَ المَكْر إنْ كنتَ مؤمناً ... فَمِن مَكْرِهِ مَكْري ومِنْ كَيْدِهِ كَيْدي
له قوّةُ المكر التي لا تَرَدُّها ... قُوَى عَبْدِهِ الموصوفِ بالعِلْم والأَيْدِ

وصل: الشدة نعت إلهي وكياني، قال موسى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١] وتلي بحضرة أبي يزيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] فقال: بطشي أشد وذلك لخلو بطش العبد من الرحمة الكونية وبطش الله ليس كذلك، فإن الرحمة الإلهية تصحبه وهو يعلمها، وكذا هي في بطش العبد إلا أن العبد لا يشهدها ولا يجد لها أثراً في نفسه وإن كان يرحم نفسه بذلك البطش ولكن لا يعلم والله عليم بكل شيء، فهو عليم بأن رحمته ﴿وَسِعَتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [غافر: ٧] فوسعت بطشه وبطش الكون ولكن ما كل باطش يعلم ذلك ولما كان للعبد بطش من حيث عينه وله بطش بربه وليس للرب في الحقيقة بطش بعبده فأضاف أبو يزيد بطش ربه إلى بطشه فقال: بطشي أشد لأن فيه بطش ربي وما في بطش ربي بعباده بطشي، فإذا وصف الحق نفسه بالشديد فهو ما يوجده من الأشياء بالأسباب الموضوعة في العالم فيعذب عباده بالنار، فللنار حكم في العذاب مضاف إلى ما يوجده الله من الألم القائم بالمعذب وهو في الحجاب عن الله، وليس للمعذب شهود إلا للأسباب، فبطشه بالعبد بمشاهدة الأسباب من كونه شديد لا من كونه معذباً فالشدة تطلب الغير ولا بد وهذا لا يقدر أحد على إنكاره، فإن المشاهدة لأسباب الآلام أعظم في العذاب ممن يجد الألم ولا يشهد سببه ولا سيما إن كان يعلم أنه قادر على إزالة السبب: [الوافر]

ليس للشِّدَّةِ حُكْمٌ مُسْتَقِلْ ... دون أن يَبْدُو لعَيْنٍ شَخْصُ ظِلْ
فإذا أبْصَرهُ يَبْهُرُهُ ... ذلك الظلُّ الذي عنه انْفَعَلْ
فهو لا يَبْرَحُ مِنْ شِدَّته ... فإذا غَيَّبَهُ عنه انْتَقَلْ

وصل: الخضوع عند تجلي الحق ومناجاته هو المحمود وما سوى هذا فهو مذموم، ويلحق الذم بمن ظهر عليه إلا من يرى الحق في الأشياء كلها من الوجه الإلهي الذي لها ولكن على ميزان محقق لا يتعداه، فإن الله قد وضع له ميزاناً عندنا في الأرض قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] فليصرفه بحسب وضع الحق، فهو وإن شهده في كل شيء فما يريد تعالى أن يعامله بمعاملة واحدة في كل شيء بل يحمده في المواضع التي تطلب منه المحامد ويقبل عليه ويعرض عنه في المواضع التي يطلب منه الإعراض عنه فيها فلا يتعدى الميزان الذي يطلبه منه، وهذا المشهد المكر فيه خفي ولا مزيل له إلا العلم بالميزان الإلهي المشروع، فمن عرفه ووقف عنده وتأدب بآداب الله التي أدب بها رسله فقد فاز وحاز درجة العلم بالله قال تعالى معلماً ومؤدباً لمن عظم صفة الله على غير ميزان: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣] يعني ذلك الجبار، وأن الله عند المنكسرة قلوبهم أصحاب العاهات غيباً وهو في الجبابرة المتكبرين ظاهر عيناً ولظهور حكم أقوى، وكان ﷺ حريصاً على الناس أن يؤمنوا بوحدانية الله وإزالة العمى الذي كانوا عليه، فلما جاء الأعمى في الظاهر البصير في الباطن فكان باطن الجبابرة ظاهر هذا الأعمى، فحصل في النفس البشرية ما حصل، والنبي ﷺ ليس له مشهود إلا صفة الحق حيث ظهرت من الأكوان، فإذا رآها أعمل الحيلة في سلبها عن الكون الذي أخذها على غير ميزانها وظهر بها في غير موطنها وهو ﷺ غيور فقيل له: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس: ٥، ٦] يقول: إنه لما شاهد صفة الحق وهي غناه عن العالم تصدى لها حرصاً منه أن يزكى من ظهر بها عنده فقيل له: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٧] ولك ما نويت وحكمه لو تزكى لما فاتك شيء سواء تزكى أو لم يتزك ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس] لكونه أعمى أي لا تتطير فنهاه عن الطيرة، فمن هنا كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة وهو الحظ من المكروه، والفأل الحسن الحظ والنصيب من الخير. وقيل له أيضاً: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ وانظر فيهم صفة الحق فإنها مطلوبك في الكون فإني أدعو عبادي بالغداة والعشي وفي كل وقت أريد وجههم أي ذاتهم أن يسمعوا دعائي فيرجعوا إليّ ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فإنهم ظاهرون بصفتي كما عرفتك ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهذه الزينة أيضاً في هؤلاء وهي في الحياة الدنيا فهنا أيضاً مطلوبك ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ فإنهم طلبوا منه ﷺ أن يجعل لهم مجلساً ينفردون به معه لا يحضره هؤلاء الأعبد ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي جعلنا قلبه في غلاف فحجبناه عن ذكرنا فإنه إن ذكرنا علم أن السيادة لنا وأنه عبد فيزول عنه هذا الكبرياء التي ظهر بها التي عظمتها أنت لكونها صفتي وطمعت في إزالتها عن ظاهرهم فإني أعلمتك أني قد طبعت على كل قلب متكبر جبار فلا يدخله كبر وإن ظهر به ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي غرضه الذي ظهر به ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي ما هو نصب عينيه له وهو مشهود له لا يصرف نظره عنه إلى ما يقول له الحق على لسان رسوله وما يريده منه ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ﴾ الله أن يؤمن ﴿فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ﴾ [الكهف: ٢٩] الله أن يكفر

﴿فَلْيَكْفُرْ﴾ فإنهم ما يشاؤون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] فكان رسول الله ﷺ إذا أقبل عليه هؤلاء قال ﷺ: **«مَرْحَباً بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِمْ رَبِّي»** ويمسك نفسه معهم في المجلس حتى يكونوا هم الذين ينصرفون، ولم تزل هذه أخلاقه ﷺ بعد ذلك إلى أن مات، فما لقيه أحد بعد ذلك فحدثه إلا قام معه حتى يكون هو الذي ينصرف، وكذلك إذا صافحه شخص لم يزل يده من يده حتى يكون الشخص هو الذي يزيلها، هكذا روينا من أخلاقه ﷺ: [الطويل]

لِرُؤْيَتِنا النَّعْتِ الإلهيّ ميزانُ ... إذا ظَهَرتْ فيه لذي العَيْنِ أكْوَانُ

يعامله الحَبْرُ اللبيبُ بما أتَى ... به عن رسول الله شَرْعٌ وقُرْآنُ

فذاك هو الإسلامُ فاعْمَلْ بحُكْمِهِ ... كما هو إيمانٌ كما هو إحسانُ

وصل: أداء الحقوق نعت إلهيّ طولب به الكون، قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠] فذلك حق ذلك الشيء الذي له عند الله من حيث ذاته فهو حق ذاتي، والحق العرضي الذي له عند الله هو قوله: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فهذا حق على الله أوجبه على نفسه لمن وفى بعهده، ومن لم يف فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة، فمن عباد الله من يدخل الجنة بالاستحقاق، ومنهم من يدخلها بالمشيئة لا بالاستحقاق، كما أنه ثمّ من يدخل النار بالاستحقاق وهم المجرمون خاصة وهم أهلها فلا يخرجون منها أبداً ولهذا يقال لهم يوم القيامة: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يسٓ: ٥٩] أي أهل الاستحقاق الذي يستحقون سكنى هذه الدار، وما عدا المجرمين فإنهم وإن دخلوا النار فلا بد وأن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين أو بمنة الله عليهم وهم الذين ما عملوا خيراً قط، وإن كان المجرمون قد عملوا خيراً، ولكن الاستحقاق يطلبهم بالإقامة فيها، فصورتهم صورة من يفعل ذلك بالخاصية، فمن أعطى الحق من نفسه فما ترك عليه حجه لأحد، ومن زاد على الحق فذلك امتياز له وثناء من الله خاص، وهذا نعت فيه بين أهل الله كلام فإنه في إعطاء الواجب عبد اضطرار، وفي الامتنان عبد اختيار، فمن الناس من رجح مقام عبودية الاختيار على عبودية الاضطرار فإن الاضطرار جبر فحكمه غير حكم المختار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وغير المكره إذا كفر أخذ بكفره، وأيّ شيء فعل جوزي بفعله بخلاف المجبور، وما بقي النظر إلا في معرفة من هو المجبور المكره وما صفته، فإن بعض العلماء لم يصح عنده الجبر والإكراه على الزنى فيؤاخذ به، فإن الآلة لا تقوم له إلا بسريان الشهوة وحكمها فيه، وعندنا أنه مجبور في مثل هذا مكره على أن يريد الوقاع ولا يظهر حكم إرادته إلا بالوقوع، ولا يكون الوقاع إلا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من المكره له على ذلك المتوعد له بالقتل إن لم يفعل، فصح الإكراه في مثل هذا بالباطن، بخلاف الكفر فإنه يقنع فيه بالظاهر وإن خالفه الباطن فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة فإنه مؤمن، ولولا أن الشهوة إرادة بالتذاذ لقلنا إنه غير مريد لما اشتهاه: [مخلع البسيط]

مَـنْ يَـشْـتَـهـي الأمـر قَـدْ نَـرَاهُ غَـيْـرَ مُـريـدٍ لـمـا اشْـتَـهَـاهُ
لـكـنـه اضْـطُـرَّ فـاشـتـهـاهُ فـي ظـاهـر الأمْـر إذْ رآهُ
فـقـل لـه يَـخْـتَـمي عـسـاهُ يَـنْـفَـعُـهُ الله إذْ حَـمَـاهُ
قـد قـلـتُ قـولاً إن كـان حـقّـاً عـسـاه يَـجْـري إلـى مَـدَاهُ

ومن ذلك: [المتقارب]

أداءُ الـحـقـوق مِـنَ الـوَاجِـبِ عـلـى شَـاهـدٍ أو عـلـى غَـائِـبِ
ومـا ثَـمَّ إلا حـقـوقٌ فـمَـنْ يـقـوم بـهـا قـام بـالـواجـبِ
ومـن لـم يَـقُـمْ بـأداءِ الـحُـقُـو قِ دَعَـتْـهُ الـشـريـعـةُ بـالـغـاصـبِ

وصل: الممكن إذا وجد لا بدّ من حافظ يحفظه عليه وجوده، وبذلك الحافظ بقاؤه في الوجود كان ذلك الحافظ ما كان من الأكوان، فالحفظ خلق لله فلذلك نسب الحفظ إليه لأن الأعيان القائمة بأنفسها قابلة للحفظ، بخلاف ما لا يقوم بنفسه من الممكنات فإنه لا يقبل الحفظ ويقبل الوجود ولا يقبل البقاء فليس له من الوجود غير زمان وجوده ثم ينعدم، ومتعلق الحفظ إنما هو الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده، فما زاد فالله حفيظ رقيب، والعين القائمة بنفسها محفوظة مراقبة وحافظ الكون حفيظ زمان وجوده والحق مراقب بفتح القاف للعبد غير محفوظ له فإنه لا يقبل أن يكون محفوظاً فإن الصمد الذي لا مثل له، ألا تراه قد قال لنبيه عليه السلام ما يقوله لمن عبد غير الله ينبههم أن كل ما سوى الله من معبود يطلب بذاته من يحفظ عليه بقاء وجوده فقال له يا محمد ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقد قرئ الثاني في الشاذ بفتح الياء، فكل موجود له بقاء في وجوده، فلا بدّ من حافظ كيانيّ يحفظ عليه وجوده، وذلك الحافظ خلق لله وهو غذاء هذا المحفوظ عليه الوجود فلا تزال عينه وإن تغيرت صورته ما دام الله يغذيه بما به بقاؤه من لطيف وكثيف ومما يدرك ومما لا يدرك، فالسعيد من الحافظين هو من يرى أنه مجعول للحفظ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] وليس هؤلاء من حفظة الوجود وإنما هؤلاء هم المراقبون أفعال العباد، وإنما الحفظة العامة في قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] فنكر فدخل تحت هذا اللفظ حفظة الوجود وحفظة الأفعال: [الطويل]

إذا قُـلْـتُ إنّ الله يـحـفـظُ خـلـقـه فـمـا هـو إلا خـلـقـه مـا بـه الـحـفْـظُ
فـهـذا هـو الـمـعـنـى الـذي قـد قَـصَـدْتُـهُ ودلَّ عـلـيـه مـن عـبـارتـنـا الـلَّـفْـظُ
فـلا تَـلْـفُـظَـنَّ مـا قُـلْـتُ فـيـه فـإنـه سَـيُـرْدِيـك إن حَـقَّـقْـتَـهُ ذلـك الـلَّـفْـظُ

وصل: القلم واللوح أوّل عالم التدين والتسطير وحقيقتهما ساريتان في جميع الموجودات علواً وسفلاً ومعنى وحساً، وبهما حفظ الله العلم على العالم، ولهذا ورد في الخبر عنه ﷺ: «**قَيِّدُوا العِلْمَ بالكِتَابَةِ**» ومن هنا كتب الله التوراة بيده، ومن هذه الحضرة اتخذ رسول الله ﷺ وجميع الرسل عليهم السلام كتاب الوحي وقال: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١، ١٢] وقال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾

[الكهف: ٤٩] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وقال: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٨] وقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٥] وقال: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢] والكتب الضم، ومنه سميت الكتيبة كتيبة لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض، وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام فظهرت النتائج في الأعيان، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوماً لم تكن عنده، ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد العلم لم يحصل على طائل وكان كلاماً غير مفيد: [الطويل]

إذا كان إنتاجٌ فلا بُدَّ مِنْ ضَمّ ... وما كلُّ موجود يكون عن الضَّمّ
فمن كان دون اللَّوْح والقَلَم الذي ... له الحُكْمُ فينا بالتَّعانق واللَّثْم
فلا بُدَّ من كَوْنٍ يكون بضَمِّه ... إلى لَوْحِهِ فالكونُ في رُتْبَةِ الكَمّ
وفي الكَيْفِ فانظرْ في الذي قد نَظَمْتُهُ ... وكُنْ منه في هذا الوجود على عِلْم

وصل: اعلم أن لله مجالس مع عباده وعددها على عدد ما فرض عليهم سبحانه مما كلفهم به ابتداء، فلما سوّاها دعاهم إليها ليجالسوه فيها، فمن تخلف عن مجالسته فيها فقد عصى دعوته، ولله مجالس تسمى مجالس الإيمان خيرهم في مجالسته فيها على وجه خاص، فيجالسهم فيها إذا دخلوها من حيث دعاهم إليها فيجدون خيراً كثيراً فإن دخلوها لا من حيث دعاهم إليها لم يجالسوه فيها ولا وجدوا فيها خيراً ولا شراً، وعدد هذه المجالس بعدد ما أباح لهم في الشرع أن يتصرّفوا فيه مما لا أجر فيه ولا وزر، فإذا فعلوا المباح من حيث أن الله تعالى أباحه لهم وهم مؤمنون بذلك حضر معهم بالإيمان، فهذا معنى قولي: «من حيث ما دعاهم إليها»، ولله مجالس في هذه المجالس التي أباح لهم الدخول فيها ليجالسوه إذا جاؤوا إليها من حيث ما دعاهم إلى الدخول فيها، فإذا لم يأتوا إلى هذه المجالس التي في مجالس الإباحة المعينة منها ولا جالسوا الحق فيها فقد عصوه، وكان حكمهم في ترك مجالسته فيها حكم مجالس الفرائض، وأعني بالفرائض كل ما أذكره من فعل وترك حتى يشمل الحظر والكراهة التي في مقابلة الندب، وعدد هذه المجالس بعدد ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر فأوجبه الله عليهم، وبعدد ما أمرهم به أولو الأمر منهم فأوجب الله عليهم طاعتهم في ذلك، فإن لم يدخلوا هذه المجالس فقد عصوا، وإنما جعلنا هذه المجالس معينة في مجالس الإباحة لأن النذر لا يكون إلا فيما أبيح له فعله، وخيره الحق فيه بين الفعل والترك، وكذلك ما أمرهم به أولو الأمر منهم ما لهم أمر فيهم إلا بما أبيح لهم فعله فيجالسهم الحق في هذه المجالس المعينة مجالسته لهم في مجالس الفرائض، ولله مجالس أعدّها سبحانه لعباده تسمى مجالس نوافل الخيرات بينها وبين مجالس الإباحة الترجيح فإن الإباحة ليس فيها ترجيح، وكما قلنا في كل ذلك من فعل وترك؛ وقرن تعالى محبته العالية السامية لأهل مجالس الفرائض، وقرن محبة أخرى دون هذه المحبة لأهل مجالس نوافل الخيرات، وعدد هذه المجالس بعدد النوافل، ولا تكون نافلة إلا ما كان له مثل في الفرائض كصدقة التطوّع نافلة لأن لها أصلاً في الفرائض وهو الزكاة، وكذلك الحج والصيام والصلاة

وكل فرض. ولله مجالس يجالس الحق فيها عباده تسمى مجالس السنن الكيانية وهو قوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**» وتسمى في العامّة بدعة حسنة لأنها مبتدعة لمن سنها ما كتبها الله علينا ولا أوجبها وعددها على عدد ما سنّ من ذلك وعدد من عمل بها، كل ذلك يكون مجالسة الحق فيها مع من سنها من حيث لا يشعر، إلا أن يكشف الله له في سره بمجالسته إياه بعدد كل عامل بها فيرى مجالسته غريبة وهو غير عامل لها في الوقت فيقال له: إن فلاناً وفلاناً عملا بالخير الذي سننته فجالسناه فيه فجالسناك فأحمد فعلك فيشكر الله على ذلك.

ولكل مجلس باب عليه يكون الدخول إلى هذه المجالس، وعلى كل باب بوّاب وهو الإيمان، ومن المجالس ما يكون عليها بوّابان الإيمان والنية، والأبواب ما هي غير الشروع في ذلك العمل الذي هو بمنزلة الدخول، فالحال الذي يكون عليه أوّل الشروع الذي هو الدخول ذلك هو الباب قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] والمصلي يناجي ربه والمناجاة ذكر وهو جليس من ذكره سبحانه، والدوام على مناجاته أن يكون العبد في جميع أحواله وتصرّفاته مع الله كما هو في صلاته يناجيه في كل نفس، وسبب ذلك كونه لا بد أن يكون على حال من الأحوال، ولا بد أن يكون للشارع وهو الله في ذلك الحال حكم أي حكم كان وهو سبحانه حاضر مع أحكامه حيث كانت، فالمراتب تناجيه في كل حال محظور وغير ومحظور، لأن الأفعال والتروك وهي أحوال العبد التي تعلقت بها أحكام الحق مقدّرة فلا بد من وقوعها وهو سبحانه خالقها فلا بد من حضوره فيها فيناجيه هذا العبد الذي قد عرف بحضور الحق معه في حاله فهذا هو الدوام على الصلاة، وقالت عائشة تخبر عن حال رسول الله ﷺ «أنه كان يذكر الله على كل أحيانه» تشير إلى ما قلناه فإنه قد كان يأتي البراز وهو ممنوع أن يذكر بلسانه ربه في تلك الحال، وقد كان من أحيانه يمازح العجوز والصغير ويكلم الأعراب ويكون في هذه الأحيان كلها ذاكراً، وهذا هو الذي يقال فيه ذكر القلب الخارج عن ذكر اللفظ وذكر الخيال، فمن ذكر الله بهذا الذكر فهو جليسه دائماً، وهو الذي أثنى عليه ربه وألحقه بالذين هم على صلاتهم دائمون ولما فسر الله الصلاة ما فسرها إلا بالذكر وهو التلاوة فقال: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: «**حمدَني عَبْدي**»، فقسم المناجاة بينه وبين عبده، فالمناجاة هي عين الصلاة والمناجاة فعل فاعلين فيقول ويقول؛ قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]: [البسيط]

إذا تَـلَـوْتَ كـتـابَ الله كُـنـتَ بـه	مـمَّـنْ يـجـالـسُـه ومَـنْ يُـنَـاجِـيـهِ
فما الصلاةُ سوى الذِّكْرِ الحكيم فمَنْ	تـلاه صَـلَّـى وفـيـه بـعـضُ مـا فِـيـهِ
مـن أجْـل فـاتـحـة الـقـرآن قـلـتُ لَـكـم	بـأنَّ فـيـه وذكـرى لـيـس يَـحْـويـهِ
فـالـحَـمْـدُ فَـرْضُ الـمُـصَلّي في قـراءته	ولـيـس كـلُّ مُـصَـلٍّ مـنـه يَـدْرِيـهِ

وصل: الرجوع الاختياريّ إلى الله يشكر عليه العبد قال عز وجل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فإذا علمت هذا فارجع إليه مختاراً ولا ترجع إليه مضطراً فإنه لا بد من رجوعك إليه، ولا بد أن تلقاه كارهاً كنت أو محباً فإنه يلقاك بصفتك لا يزيد عليها فانظر

لنفسك يا وليّ، قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**»، وأخبرنا في الكشف بالإخبار الإلهيّ المنفوث في الروع من الوجه الخاص فقيل لنا: من استحى من لقاء الله آنسه الله وأزال خجله، وذلك أن العبد ما يجعله يستحي إلا ما ظهر به من المخالفة أو التقصير عن حق الاستطاعة وما ثم غير هذين فأنس الحق في ذلك أن يقول له: يا عبدي إنما كان ذلك بقضائي وقدري فأنت موضع جريان حكمي، فيأنس العبد بهذا القول، فلو قال هذا القول العبد لله لأساء الأدب مع الله ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق، فهو من جانب الحق في غاية الحسن، ومن جانب الخلق في غاية القبح، قال ﷺ: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**» وقال: «**وَالحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ**» وأي خير أعظم من هذا الخير أن يقيم الحق حجة العبد أنساً له ومباسطة وإزالة خجل ورفع وجل، فسبحان اللطيف الخبير المنعم المتفضل.

ولما ورد عليّ هذا التعريف الإلهيّ لم يسعني وجود بل ضاق عني الوجود مما امتلأت من هذا الخطاب والتعريف الإلهي حيث جعلني محلاً لخطابه وأهلني لما أهل له أهل خصوصه، وقد علمنا أن لقاء الله لا يكون إلا بالموت وعلمنا معنى الموت فاستعجلنا في الحياة الدنيا فمتنا في عين حياتنا عن جميع تصرّفاتنا وحركاتنا وإراداتنا، فلما ظهر الموت علينا في حياتنا التي لا زوال لها عنا حيث كنا التي بها تسبح ذواتنا وجوارحنا وجميع أجزائنا لقينا الله فلقينا فكان لنا حكم من يلقاه محباً للقائه، فإذا جاء الموت المعلوم في العامة وانكشف عنا غطاء هذا الجسم لم يتغير علينا حال ولا زدنا يقيناً على ما كنا عليه فما ذقنا إلا الموتة الأولى وهي التي متناها في حياتنا الدنيا فوقانا ربنا عذاب الجحيم فضلاً من ربك ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ قال علي رضي الله عنه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» فمن رجع إلى الله هذا الرجوع سعد وما أحس بالرجوع المحتوم الاضطراريّ فإنه ما جاءه إلا وهو هناك عند الله، فغاية ما يكون الموت المعلوم في حقه أن نفسه التي هي عند الله يحال بينها وبين تدبير هذا الجسم الذي كانت تدبره فتبقى مع الحق على حالها وينقلب هذا الجسد إلى أصله وهو التراب الذي منه نشأت ذاته فكان داراً رحل عنها ساكنها فأنزله الملك في مقعد صدق عنده إلى يوم يبعثون ويكون حاله في بعثه كذلك لا يتغير عليه حال من كونه مع الحق لا من حيث ما يعطيه الحق مع الأنفاس، وهكذا في الحشر العام وفي الجنان التي هي مقره ومسكنه وفي النشأة التي ينزل فيها فيرى نشأة مخلوقة على غير مثال تعطيه هذه النشأة في ظهورها ما تعطيه نشأة الدنيا في باطنها وخيالها، فعلى ذلك الحكم يكون تصرف ظاهر النشأة الآخرة فينعم بجميع ملكه في النفس الواحد، ولا يفقده شيء من ملكه من أزواج وغيرهن دائماً ولا يفقدهم فهو فيهم بحيث يشتهي وهم فيه بحيث يشتهون، فإنها دار انفعال سريع لا بطء فيه كباطن هذه النشأة الدنياوية في الخواطر التي لها سواء، فالإنسان في الآخرة مقلوب النشأة فباطنه ثابت على صورة واحدة كظاهره هنا وظاهره سريع التحوّل في الصور كباطنه هنا، وقال تعالى: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ولما انقلبنا قلبنا فما زاد علينا شيء مما كنا عليه فافهم، وهذا الرجوع المذكور في هذا الوصل ما هو رجوع التوبة فإنه

لذلك الرجوع المسمى توبة حد خاص عند علماء الرسوم وعندنا، وهذا رجوع عام في كل الأحوال التي يكون عليها الإنسان، فهذا الفرق بين الرجوعين فإن التوبة رجعة بندم وعزم على أمر، وهذا ليس كذلك، فالتوبة في العموم معلومة، وهذا الرجوع في الخصوص معلوم لا يناله إلا أهل الله الذين هم هم: [البسيط]

إنّ الرُّجُوعَ هو المطلوبُ لله ... إليه عن كُلِّ كَوْنٍ فيه بالله

فلا تَقُولَنَّ للأشياء لست به ... فليس في الكَوْن إلا هو وإلا هي

فكُنْ مع الله في الأحوال أجْمَعِهَا ... ولا تكن عن شهود الله بالسَّاهي

فإن لله عَيْناً غَيْرَ نائمة ... بها يراك ولا يشهد سوى الله

من أعْجَب الأمْرِ أن الأمْرَ واحدةٌ ... فذي التقاسيم في أكواننا مَاهِي

وصل: العبودية ذلة مخصه خالصه ذاتية للعبد لا يكلف العبد القيام فيها فإنها عين ذاته، فإذا قام بحقها كان قيامه عبادة، ولا يقوم بها إلا من يسكن الأرض الإلهية الواسعة التي تسع الحدوث والقدم، فتلك أرض الله من سكن فيها تحقق بعبادة الله وأضافه الحق إليه، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] يعني فيها ولي مذ عبدت الله فيها من سنة تسعين وخمسمائة وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة، ولهذه الأرض البقاء ما هي الأرض التي تقبل التبديل، ولهذا جعلها مسكن عباده ومحل عبادته والعبد لا يزال عبداً أبداً فلا يزال في هذه الأرض أبداً وهي أرض معنوية معقولة غير محسوسة، وإن ظهرت في الحس فكظهور تجلي الحق في الصور، وتجلي المعاني في المحسوسات، ولا تظهر المعاني في الصور الحسية إلا لقصور بعض النفوس عن إدراك ما ليس بمادّة، فإذا كان متضلعاً من المعرفة بالله لم ير المعاني في موادّ ولا رأى الموادّ في غير نفسها فأدرك كل شيء في شيئيته كانت ما كانت، وهذا هو الإدراك الذي يعوّل عليه لأنه بريء من التلبيس، ولا يصح بوجه من الوجوه أن يشهد الإنسان محض عبوديته ولا يقام في عبادته المحضة التي لا يخالطها شيء من الربوبية التي تعطيه الصورة التي خالق عليها إلا عن تجل إلهي، فإذا لم يكن تجل فإن الإنسان يقام في الصورة التي خلق عليها فيكون عبداً رباً مالكاً مملوكاً مثل العامة سواء، غير أن الفارق بينه وبين العامة أنه للعامة اعتقاد ولعلماء الرسوم علم، ولهذه الطائفة شهود وهو العبد الممتزج الظاهر بالحقيقتين، وما يتخلص من هذا المزج إلا أهل العناية الذي يعمرون هذه الأرض الواسعة التي لا نهاية لها، وكل أرض سواها فمحدودة ليس لها هذا الحكم ولهذا أربابها كثيرون، فإن لكل عبد فيها ملكاً يملكه ويتصرّف فيه فلا يتعدى غيره عليه، وبنفس ما يملك منها كان مالكاً ورباً فيها، وهذه الأرض الواسعة هي المتصرفة في سكانها الحاكمة عليهم بذاتها وهي مجلى الربوبية ومنصة المالك الحق وفيها يرونه، فمن كان من أهلها حيل بينه وبين الصورة التي خلق عليها، فكان عبداً محضاً شاهداً يشاهد الحق في عين ذاته، فالشهود له دائم والحكم له لازم، وهؤلاء هم المسوّدون الوجه في الدنيا والآخرة. إذا علمت ذلك

فالرب رب والعبد عبد، فلا تغالط ولا تخالط: [المديد]

إنّ أرْضَ الله واسعةٌ ... فاعْبُدُوا فيها الذي هِيَ لَهْ
بَلِّغُوهُ في عِبادتِكم ... بالذي تَرْجونَه أمَلَهْ
فالذي له لكُمُ والذي ... لكَ مِن نَعْتٍ فما هو لَهْ
وإذا ما قال لست هنا ... أنه أقامكم مَثَلَهْ
ذلكم مَعْنَى الخلافة في ... أرضه فاسْلُكْ بها سُبُلَهْ
ولْتَقُمْ بعَيْنِ صُورَتِهِ ... في الذي أقامَكُمْ بَدَلَهْ
واعْمَلُوا في كل آونة ... بالذي أراكُمُ عَمَلَهْ

وصل: الانتقالات في الأحوال من أثر كونه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] والعالم كله على الصورة وليس هو غير الشؤون التي تظهر بها، ولا يشهد هذا الأمر كشفاً إلا أصحاب الأحوال، ولا يشهد هذا حالاً إلا أهل السياحات، ولا يشهده علماً إلا القائلون بتجدد الأعراض في كل زمان، فإن من عباد الله من لا يعرف بمكان إلا انتقل عنه إلى مكان غيرة منه على الله وعلى نفسه، فأما غيرته على الله فإنه لا يعرف إلا به فحاله هو الذي يظهره الحق لهم فيغار على الجناب الإلهيّ حيث لا يذكر الله إلا به، وينبغي في نفس الأمر أن لا يذكروا الله إلا بالله، فلما رأوا أن الأمر ظهر بالعكس وهو قوله عليه السلام حين قيل له: من أولياء الله؟ قال: «**الَّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله**» فغاروا من هذا وأرادوا احترام الجناب الإلهي حتى يذكروه ابتداء لا بسبب رؤيتهم، وأما غيرتهم على نفوسهم فإنهم ما تحققوا بالحق في تقلباتهم لمشاهدتهم شؤون الحق إلا حتى لا يعرفهم الخلق كما لا يعرفون الحق، فما داموا يجهلون في العالم طاب عيشهم وعلموا أن الله قد جعلهم أخفياء أبرياء مصانين في الكنف الأحمى من جملة ضنائنه، فمتى ما عرفوا انتقلوا إما بالحال وهو التصرف بحكم العادات التي هي مثل الآيات المعتادة فلا يعرفها إلا الذين يعقلون عن الله، وإما بالانتقال الحسي المكاني من مكان إلى مكان لتحققهم بالحق في نزوله من سماء إلى سماء، فمن أراد أن يتمتع بوجود هذا الصنف ومشاهدته ويستفيد منه من حيث لا يشعر فلا يظهر له أنه يعرفه ويظهر العزة عليه والاستغناء عنه ويصحبه صحبة عادة العامة ولا تبدو منه كلمة لا يرضاها الله فإنه لا يحتملها صاحب هذا الحال وينفر منه كما ينفر ممن يعلمه فلا يعامله إلا بواجب أو مندوب أو مباح خاصة، هكذا يقتضي حالهم: [مخلع البسيط]

مَنْ شَهِدَ الحَقَّ في شُؤونهْ ... أقامَهُ الحَقُّ في فُنُونِهْ
فهو عليمٌ بكلّ شيء ... أشْهَدَهُ ذلك من مبينهْ
فهو الإمامُ الذي سَنَاهُ ... يظهر في الكون من جُفُونِه
فكلّ شيء تَرَاهُ عَيْناً ... فإنما ذاك من عُيُونه
تَفَجَّرَتْ في القُلوب علماً ... عيناً وحَقّاً إلى يَقينِه
سبحان مَنْ لا يَرَاه غَيْري ... كما أراه على شُؤونه

وصل: الحالة البرزخية لا يقام فيها إلا من عظم حرمات الله وشعائر الله من عباده وهم أهل العظمة، وما لقيت أحداً من هذا الصنف إلا واحداً بالموصل من أهل حديثة الموصل كان له هذا المقام، ووقعت له واقعة مشكلة ولم يجد من يخلصه منها، فلما سمع بنا جاء به إلينا من كان يعتقد فيه وهو الفقيه نجم الدين محمد بن شائي الموصلي فعرض علينا واقعته فخلصناه منها فسرّ بذلك وثلج صدره واتخذناه صاحباً وكان من أهل هذا المقام، وما زلت أسعى في نقلته منه إلى ما هو أعلى مع بقائه على حاله، فإن النقلة في المقامات ما هي بأن تترك المقام وإنما هو بأن تحصل ما هو أعلى منه من غير مفارقة للمقام الذي تكون فيه، فهو انتقال إلى كذا لا من كذا بل مع كذا، فهكذا انتقال أهل الله، وهكذا الانتقال في المعاني لا يلزم من انتقل من علم إلى علم أن يجهل العلم الذي كان عليه، بل لا يزال معه إذا كان عالماً، وصاحب هذا الحال بين الله وبين نفسه فهو ناظر إلى نفسه ليرى ربه منها أو فيها، فإذا لم يبد له مطلوبه صرف النظر بالحال إلى ربه ليرى في رؤية نفسه، فإذا رآه الحق على ذلك جاءه الاسم الغيور فخاف عليه أن يناله فردّه إلى رؤية نفسه وأشهده في نفسه ربه وهو المقام الذي يأتي عقيب هذا إن شاء الله: [السريع]

مِنْ حَالَةِ البَرْزَخِ أنْ يَشْهَدَا ... ثلاثةٌ أعْلامُها تَشْهَدُ
بأنه حَصَّل أَعْيَانَها ... وأنّه بِعِلْمِها السَّيِّدُ
يحكُمُ في ذاك وذا بالذي ... أعْلَمَهُ بحاله المشهدُ
فهو الإمامُ المُرْتَضَى والذي ... له جِبَاهُ النُّهَى تَسْجُدُ
فهو الذي يُسْجَدُ مِنْ أجله ... وهو الذي يسجد والمسجدُ

وصل: من شهد نفسه شهود حقيقة رآها ظلاً أزلياً لمن هي على صورته فلم يقم مقامه لأن المنفعل لا يقوم مقام فاعله، فلا تسجد الظلال إلا لسجود من ظهرت عنه، فالظلال لا أثر لها بل هي المؤثر فيها، وكل منفعل ففاعله أعلى منه في الرتبة، فلا تشهد الأشياء إلا بمراتبها لا بأعيانها، فإنه لا فرق بين الملك والسوقة في الإنسانية، فما تميز العالم إلا بالمراتب، وما شرف بعضه على بعضه إلا بها، ومن علم أن الشرف للرتب لا لعينه لم يغالط نفسه في أنه أشرف من غيره، وإن كان يقول: إن هذه الرتبة أشرف من هذه الرتبة، وهذا مقام العقلاء العارفين، يقول رسول الله ﷺ كثيراً في هذا المقام في حق نفسه وتعليماً لنا: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠] فلم ير لنفسه فضلاً علينا، ثم ذكر المرتبة وهي قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] ولا خلاف بين العقلاء أنه من تعاظم في نفسه بشرف غيره أنه أخرق جاهل إذ لم يكن شرفه بنفسه والأمر ليس كذلك، فالعاقل الحاضر الشهيد لا يرى لنفسه شرفاً يفتخر به على أمثاله، ألا تراه ﷺ أنه قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا فَخر**» فنفى أن يقصد بذلك الفخر، ثم ذكر الرتبة التي لها الفخر الذي هو ﷺ مترجم عنها وناطق بلسانها فذكر رتبة الشفاعة والمقام المحمود، فالفخر للرتبة لا لنا، فما هلك امرؤ عرف قدره، ولنا بحمد الله في هذا المقام القدم الراسخة والمراتب نسب عدمية، فلا فخر بالذات إلا لله وحده، وإذا كان

الفخر فينا للرتب والرتب نسب عدمية فما فخرنا إلا بالعدم وناهيك ممن فخره بالعدم: [المتقارب]

فإنْ كُنتَ تَعقِلُ ما قُلتُهُ ... فأنتَ المرادُ وأنتَ الإمامْ

وإن كُنتَ تجهلُ ما قلتُه ... فأنت الجَهُولُ الذي لا يرامْ

فللعِلْم فينا حجابُ السَّنَا ... وللجَهْلِ فينا حجابُ الظلامْ

فقُلْ للَجهولِ بأحواله ... ستَعْلَمُ ذلك عند الحِمَامْ

إذا كَشَفَ الله عن عينه ... غطاءً فلاحتْ بُدُورُ التَّمَامْ

وصل: الأمر الإلهيّ نافذ في المأمور لا يتوقف لأمره مأموره، فإذا ورد الأمر الإلهيّ على لسان الكون ظهر في الأمثال فاعتزت النفوس أن تكون تتصرّف تحت أوامر أمثالها فردت أوامر الحق إما على جهالة بأنها أوامر الحق، وإما على علم بأنها أوامر الحق لكن أثرت فيها الواسطة لأن المحل يرد الحال فيه إلى صورته كالماء في الأوعية، إلا أن المأمور إذا كان على بينة من ربه أبصر المأمور به ليس في قدرته إيجاد عينه إلا أن يتعلق به الأمر الإلهيّ الذي له النفوذ فيهيىء محله لوجود المأمور به عند إيجاد الحق إياه، فإذا هيأ محله أوجده الحق فيقال في المحل: إنه عبد طائع لله فيما أمره به ولسان الحال والكشف يقول: ليس لك من الأمر شيء، وإذا لم يهيىء محله لوجود المأمور به لم يظهر للمأمور به عين فقيل: عبد عاص أمر ربه مخالف، ولسان الحال والكشف يقول له: ليس لك من الأمر شيء وسواء كان الواسطة يأمر أو يتكلم بلسان حق أو بغير لسان حق، فإن هذه مسألة قد فشت في العامة وهي مبنية على أصل فاسد فيقولون في المذكرين إذا لم يؤثروا في السامعين أنه لو خرج الكلام من القلب لوقع في القلب، وإذا كان من اللسان لم يعد الآذان، ويشيرون بذلك إلى المذكر لو كان صادقاً فيما يدعو به الناس إلى الله لأثر، ومعلوم أن الأنبياء والرسل عليهم السلام صادقون في أحوالهم بل هم أصدق الدعاة إلى الله، ثم إنهم يدعون على بصيرة إلى الله بصورة ما أوحى به إليهم فهم صادقون بكل وجه، ومع هذا يقول نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦، ٧] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٤٢] يعني دعاء الحق على لسان الرسول ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] استكباراً في الأرض، فلا تغالط نفسك وانظر فيما دعيت إليه، فإن كان حقاً ولو كان من شيطان فاقبله فإنك إنما تقبل الحق ولا تبال من جاء به، هذا مطلب الرجال الذين يعرفون الأشياء بالحق ما يعرفون الحق بالأشياء، وأصحاب هذا الوصف هم العارفون بالموازين الإلهية المعرفة التامة وهم قليلون في العالم إلى وقتي هذا ما رأيت منهم واحداً، وإن كنت رأيته فما رأيته في حال تصرّفه في هذا المقام وهم حكماء هذا الطريق ناطقون بالله عن الله ما أمرهم به الله: [المتقارب]

فلِلَّه من خَلْقِهِ طَائِفَهْ ... عليه قُلُوبٌ لها عَاكِفَهْ

وليست لهم في الذي قد دَعا ... مِنَ أحْوَالِهِمْ صفَةٌ صِارِفَهْ

إذا ما دَعَاها بأنفاسها ... يراها على بابه وَاقِفَهْ

تُبَادِرُ للأمْرِ مِنْ كَوْنِهَا ... بِمَنْ قد دعاها له عَارِفَهْ

وصل: إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله أنكره أهل الشهود خاصة وهم الذين لا يشهدون شيئاً ولا يرونه إلا رأوا الله قبله كما قال الصديق عن نفسه. وأما العلماء فهم في هذا المقام على حكم الحق فيه لا على ما يشهدونه، فينكرون النكرة ويعرفون المعرفة، إذ كان الوجود مبناه على المعرفة وهو الأصل، فلما جاءت الأمثال والأشباه ظهر التنكير فافتقرنا إلى البدل والنعت وعطف البيان، ولولا الأمثال وحصول التنكير ما احتجنا إلى شيء، وليست الحدود الذاتية للأشياء تقوى قوّة النعوت، فإن الحدود الذاتية مثلاً للإنسان بما هو إنسان لا تميز زيداً عن عمرو، فلا بد من زيادة يقع بها تعريف هذا التنكير لو قلت: جاءني إنسان لم يعرف من هو حتى تقول فلان فإن كان في حضرة التنكير نعته أو أبدلت منه أو عرّفته بعطف البيان حتى تقيمه في حضرة التعريف ليعرف المخبر به من أردت، وهذا مقام لم يتحقق به أحد مثل الملامية من أهل الله وهم سادات هذا الطريق، ومن الناس من ينكر على الحق لا على جهة الاعتراض عليه، وإنما يطلب بذلك أن يعلم ما هو الأمر عليه الذي جهله بالتعريف الإلهيّ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] على ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧] ومن هذا المقام قولي: [السريع]

قلتُ لمن يخلقُ ما يخلقُ ... ما لكَ لا تُبْقي الذي تخلقُ
فقال لي إن المَحَلَّ الذي ... أخلقُهُ في نفسه ضَيِّقُ
ما يقبلُ التكوينَ إلا كذا ... فاسْكُتْ فإنّ البَابَ لا يُغْلَقُ
ما العينُ إلا واحدٌ دائمٌ ... فلا تُبَالي أنه مُطْلَقُ
أجَدِّدُ التكوينَ في عينه ... والناسُ في لَبْسٍ فلا تنطقُ
خَلْفَ حِجَابِ المثل أبصارُهم ... لذلك الوَهْمُ لهم يَسْبقُ
فاسْتَنْشِقِ العَرْفَ من أعراضهم ... فإنها المِسْكُ الذي يعبقُ
فانْظُرْ إلى مُوجِدِ أعيانهم ... ما هو غير هكذا حَقَّقُوا
فكلُّ ما يُرَى منه بناؤه ... من صُورةٍ في ذاتنا تعلَّقُ
أرواحُهم غذاءُ أشباحهم ... ورُوحهم من ثمري تَغْلَقُ

وصل: الحدود الذاتية الإلهية التي يتميز بها الحق من الخلق لا يعلمها إلا أهل الرؤية لا أهل المشاهدة ولا غيرهم ولا تعلم بالخبر، لكن قد تعلم بعلم ضروري يعطيه الله من يشاء من عباده لا يلحق بالخبر الإلهي، وما ثم أمر لا يدرك من جهة الخبر الإلهيّ إلا هذا، وما عدا هذا فلا يعلم إلا بالخبر الإلهي أو العلم الضروري لا غير، فحدود الموجودات على اختلافها هي حدود الممكنات من حيث أحكامها في العين الوجودية، وحد العين الوجودية الذاتي ليس إلا عين كونها موجودة، فوجودها عين حقيقتها إذ ليس لمعلوم وجود أصلاً، وغاية العارفين أن يجعلوا حدود الكون بأسره هو الحد الذاتي لواجب الوجود، والعلماء بالله

فوق هذا الكشف والمشهد كما ذكرناه قبل، وهم رضي الله عنهم يحافظون على هذا المقام لسرعة تفلته من قلوبهم، فإنه من لم تستصحبه الرؤية دائماً مع الأنفاس فإنه لا يكون من هؤلاء الرجال، وهذا مقام من يقول: ما رأيت إلا الله، فإن قيل له: فمن الرائي؟ قال: هو، فإن قيل له: فمن القائل؟ قال: هو، فإن قيل له: فمن السائل؟ قال: هو، فإن قيل له فكيف الأمر؟ قال: نسب تظهر فيه منه له، فما ثم في ثم إلا هو وهو عين ثم، وهذا هو مشهد أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه بالحال: [الرمل]

إن لله حُدُوداً عُرِفَتْ ... بوُجودي وبها قد عُرِفَا

لو يراها أحَدٌ من خَلْقِه ... مثل ما شاهَدْتُها ما انْصَرَفَا

لا يرى ما قلتُه إلا الذي ... لم يزل بربه مُتَّصِفَا

أو عليماً عن دليلٍ قاطعٍ ... بوجودي أو حكيماً مُنْصِفَا

وممن عرف الحق من كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه، فمن قواه العلم بالأمور والحق تلك القوّة والعبد موصوف بها فهو موصوف بالحق والحق يعلم نفسه، فهذا العبد عالم به من حيث ما هو الحق عين صفته فما علمه إلا به، ومن له هذا المقام من العلم بالله فلا يجاريه أحد في علمه بالله، فهذا هو العالم بالحد الذاتي الذي لا ينقال.

وصل: رأيت بقونية في مشهد من المشاهد شخصاً إلهياً يقال له سقيط الرفرف ابن ساقط العرش، ورأيت بفاس شخصاً يوقد في الأتون ممن سقط وصحبته وانتفع بنا، فإن جماعة من أهل الله يعرضون عن الساقطين، وسبب ذلك أنهم ما بلغوا من معرفة الله بحيث أنهم يرونه عين كل شيء، فلما حصروه صار عندهم كل من سقط من ذلك المقام الإلهيّ الذي عينوه أعرضوا عنه لبعده عندهم من الله تعالى، والعلماء بالله لهم حالة الإعراض عن هؤلاء لأنهم في حال الثبوت وحال السقوط ما خرجوا عن المقام الإلهيّ وإن خرجوا عن المقام السعادي فلا أثر للسقوط عندهم فهم مقبلون على كل ساقط قبول رحمة أو قبول علم ومعرفة، لأنهم علموا أين حصل لما سقط أو من هو الذي سقط، وقد رفع الله المؤاخذة عنهم وعمن كانوا عنده، وهذا من أعظم العناية لمن عقل عن الله بهم وهم لا يشعرون ولا يشعر بهم إلا العلماء بالله قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وهي ما تسقط إلا من خشية الله كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] والهبوط سقوط بسرعة عن غير اختيار والجبر الأصل فهذا حكم الأصل قد ظهر في الساقطين: [المتقارب]

إذا سَقَطَ النَّجْمُ مِنْ أوْجِهِ ... وكان السُّقُوطُ على وَجْهِهِ

فما كان إلا لِيدري إذا ... تَدَلَّى إلى السّفل من كُنْهِهِ

فَيَعْرِفُ من نَفْسِهِ رَبَّهُ ... كما يُعْرَفُ الشِّبْهُ من شِبْهِهِ

وصل: وأما رجال الله الذي يحفظون نفوسهم من حكم سلطان الغفلة الحائلة بينهم وبين ما أمروا به من المراقبة فهم قسمان: قسم له الإطلاق في الحفظ كإطلاق حكم الشرع في أفعال المكلف، وقسم له التقييد في الحفظ ظاهراً لا باطناً، فأما أهل الإطلاق فمنهم من

يحافظ على ما عين الحق له منه أنه وسعه وهو القلب، ومنهم من يحافظ على ملازمة الحجاب الذي يعلم أن الحق وراءه فيكون له كالحاجب في العالم ينفذ أوامره وهذه حالة القطب، فليس له من الله إلا صفة الخطاب لا الشهود لأنه صاحب الديوان الإلهي فلا يكون إلا من وراء حجاب إلى أن يموت، فإذا مات لقي الله وهو مسؤول عن العالم والعالم مسؤول عنه، وهذا هو مقام الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وشركهم في هذا المقام من يحافظ على الصلوات في الجماعات إذا قدر عليها وعلى كثرة النوافل منها ليلاً ونهاراً ولما علموا أن الله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١] وهم من الأشياء وهم الذين ادعوا أنهم أهل الصورة المثلية لزمهم أن يقوموا في هذه الصفة فيصدق عليهم اسم الحفيظ على كل شيء فيحفظوا ما خصص الله به نفسه في ملكه من الحقوق التي له أن ينازعه فيها أحد من عالمهم وينوب عن العالم بأسره فيما فيه مصالحهم لما هو العالم عليه من الغفلة والجهل، فبالجهل لا يعرف مصالحه من غير مصالحه، وبالغفلة يغفل عن مصالحه وإن كان يعرفها إذا نبه لها، فيكون هذا العبد الحفيظ على كل شيء مستحقاً هذا الاسم ولما علم أن عليه من الله حافظاً يكتب ما يعمله من أفعاله حفظ ما يملي عليه حتى يقع لصحيفته ميز على سائر الصحف إذا رفعت إلى الله، هذا شأن القوم، وأما أنا فأقول: [الخفيف]

قل لمَنْ يحفظُ الأُمورَ عليه ... إنَّما يحفظُ الوُجُودَ الحَفِيظُ
ولهذا إذا الحفيظةُ جاءت ... وأتى للذي أتاهُ يغيظُ
قام فَرْداً فزاحَمَتْهُ أمورٌ ... فيُرَى لازدحامهنّ كَظِيظُ
قُلْتُ من زاحم الأمور فقالوا ... هو قَلْبٌ فَظٌ عليه غَلِيظُ

ولما رأيت ما ينبغي لله وما ينبغي للعبد، ورأيت ما حجب الله به عباده المنسوبين إليه من حيث إنه جعل لهم في قلوبهم أنهم يعتقدون أن لهم أسماء حقيقة وأن الحق تعالى قد زاحمهم فيها وحجبهم عن العلم بأن تلك الأسماء أسماؤه تعالى زاحموه بالتخلق بالأسماء الإلهية وقابلوا مزاحمة بمزاحمة وما تفطنوا لما لم يزاحمهم فيه من الذلة والافتقار الذي نبه لأبي يزيد عليها ولنا اعتناء من الله فهذه أسماؤهم لا ما ادعوها فزاحموه فيما تخيلوه من الأسماء أنها لهم وهم لا يشعرون، ولقد كنت مثلهم في ذلك قبل أن يمنّ الله عليّ بما منّ به علي من معرفته، فعلمني أن الأسماء أسماؤه وأنه لا بدّ من إطلاقها علينا فأطلقناها ضرورة لا اعتقاداً وأطلقتها أنا ومن خصه الله بهذا العلم على الله اعتقاداً وأطلقها غيرنا اضطراراً إيمانياً لكون الشرع ورد بها لا اعتقاداً فحفظنا عليه ما هو له حين لم يحفظه ومكر بعباده وفي ذلك قلت: [البسيط]

فلو يُضَاهيهِ خَلْقٌ مِنْ بَرِيَّتِهِ ... ضاهاه قلبي ولكن عِزُّهُ مَنَعَا
فقلتُ للقلب لا تحجب بصورته ... فما أجاب ولا أصْغَى ولا سَمِعَا
دعاه قلبي فلبَّاهُ بحاجته ... فعِزُّهُ قولُه لَبَّيْكَ حين دَعَا
لو أن قلبي يدري ما أقول له ... في مثل ما يبتغيه منه ما طَمِعَا

لكنه جاهلٌ بالأصل مُبْتَئِسٌ فعندما جاء ما أغناه قال دعا

فمن حفظ على نفسه ذله وافتقاره وحفظ على الله أسماءه كلها التي وصف بها نفسه والتي أعطى في الكشف أنها له فقد أنصف فاتصف بأنه على كل شيء حفيظ.

وصل: ولما فتح الله باب الرحمتين وبان الصبح بهما لذي عينين أوقف الحق من عباده من شاء بين يديه وخاطبه مخبراً بما له وعليه وقال له إن لم تتق الله جهلته وإن اتقيته كنت به أجهل، ولا بد لك من إحدى الخصلتين، فلهذا خلقت لك الغفلة حتى تتعرى عن حكم الضدين والنسيان لأنه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما فاشكر الله على الغفلة والنسيان، ثم قيل له: احذر من أهل الستور أن يستدرجوك إليها فإنهم أهل خداع ومكر أيكون الستر على من هو منك أقرب من حبل الوريد فما استتر عنك إلا بك فأنت عين ستره عليك فلو رأيت باطنك رأيته، وكذلك ذو الوجهين فإن له وجهاً معك ووجهاً معه فيحيرك فاحذره كما تحذر الحجاب فهم جعلوا أنفسهم حجاباً ما أنا اتخذتهم حجبة، فإذا رأيت من يدعوك إليّ فيك فأولئك حجتي فاصغ إليهم فإنهم نصحوك وصدقوك، ثم قيل له: لم يتسم الله بالحكيم إلا من أجلك وتسمى بالعليم من أجلك ومن أجله فقد خصك بأمر ليس له وهو لك، فأنت أعظم إحاطة في الصفات منه لأنه كل ما له لك فيه اشتراك، فما اختص بشيء دونك وهو كماله الذي ينبغي له، واختصصت أنت بأمر ليس له وهو كمالك الذي ينبغي لك ولا ينبغي له، فما ثم إلا كمال في كمال، ثم قيل له: اتبع الخبر ولا تتبع النظر المعرّى عن الخبر فإن الله ما تسمى بالخبير إلا لهذا، ثم قيل له: اعتمد عليه تعالى في وكالتك واحذر أن تكون له وكيلاً، ثم قيل له: أنت قلب العالم وهو قلبك فشرفك به وشرف العالم بك. ثم قيل له: لا تجهل من أنت له وهو لك مثل من أنت منه وما هو منك كما لا تجعل من هو منك من أنت منه واجر مع الحقائق على ما هي عليه في أنفسها، فإن لم تفعل وقلت خلاف هذا تكذبك مشاهدة الحقائق فتكون من الكاذبين، وهذا هو قول الزور لأنه قول مال بصاحبه عن الحق الذي هو الأمر عليه وزال عن العدل، ثم قيل له: ليكن مشهودك ما تقصده حتى تعرف ما تقصد فإن اجتهدت وأخطأت بعد الاجتهاد فلا بأس عليك وأنت غير مؤاخذ فإن الله ما كلف نفساً إلا ما أتاها فقد وفت بقسمها الذي أعطاها الله، فهو الذي ستر ما ستر لحكمه وكشف ما كشف لحكمه رحمة بعباده، ثم قيل له: الحق أولى بعباده المضافين إليه المميزين من غيرهم وهم الذين لم يزالوا عباده في حالة الاضطرار والاختبار من نفوسهم وما هو مع من لم يضف إليه بهذه المثابة فلكل عالم حظ معلوم من الله لا يتعدى قسمه، ثم قيل له: إذا بذلت معروفاً فلا تبذله إلا لمعروف وأنت تعرف من هو المعروف فإن للمعروف أهلاً لا يعلمهم إلا الله ومن أعلمه الله، ثم قيل له: قد علمت أن لله ميثاقين وأنك مطلوب بهما فإن العلماء ورثة الأنبياء فانظر لمن أنت وارث فإن ورثت الجميع تعين عليك العمل بميثاق الجميع، وإن كنت وارثاً لمعين فأنت لمن ورثته، ثم قيل له: اصدق ولا تأمن، ثم قيل له: إن ذكرت النعم كنت لها وكنت عبد نعمة، وإن ذكرت الله كنت له وكنت عبد الله، وإن ذكرت

الأمرين كنت عبد المنعم وعبد الله فأنت أنت حكيم الوقت، فإن لم تناد بعبد المنعم فاعلم أنك عبد المنعم خاصة، فاجعل بالك إذا نوديت من سرك بأي اسم تنادى من أسماء إضافة العبودية إليه فكن منه على حذر. ثم قيل له: إن لله قهراً خفياً في العالم لا يشعر به وهو ما جبرهم عليه في اختيارهم وقهراً جلياً وهو ما ليس لهم فيه اختيار يحكم عليهم، فرجال الله يراقبون القهر الخفي لأنه عليه يقع السؤال من الله والمطالبة، فإن شهدت الجبر في اختيارك كنت ممن شهد الجبر الجلي فيرفع عنك المطالبة ذلك الشهود، ولكن المشاهد له عزيز ما رأيت من أهل هذا اللسان والحال إلا قليلاً بل ما رأيت إلا واحداً بالشام ففرحت به، ثم قيل له: لك ست جهات أربعة منها للشيطان وواحدة لك وواحدة لله، فأنت فيما منها لله معصوم فمن ثم خذ التلقي واحذر من الباقي وهو الخمسة ولذا جاء الشرع بخمسة أحكام منها جهتك وجهات الشيطان منك، وأما جهته منك فلا حكم فيها للشرع وهي جهة معصومة لا يتنزل على القلب منها إلا العلوم الإلهية المحفوظة من الشوب، ثم قيل له: إذا كنت مؤمناً فكن عالماً حتى لا تزلزلك الشبه، وما علم لا يزلزل صاحبه الشبه إلا ما كان من الله، فكل علم عن غير الله تزاحمه الشبه والشكوك في أوقات، ثم قيل له: لا يقيدك مقام فإنك محمديّ فلا تكن وارثاً لغيره تحز المال كله، فمن ورثه من أمته زاد على سائر الأنبياء بصورة الظاهر فإنهم ما شهدوه حين أخذوا عنه رسالاتهم إلا باطناً، كما يتميز على سائر الأنبياء من أدرك شريعته الظاهرة كعيسى عليه السلام وإلياس فهذان قد كمل لهم المقام المحمدي. ثم قيل له: الاستئذان في الخير دليل على الفتور والرغبة، فإن استأذنت ربك في خير تعلم أنه خير فانظر فإن أجابك بالعمل به فحسن وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك، وإن لم تقع عندك منه إجابة فاعلم أن في إيمانك ثلمة فإنك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع والشارع الله فلأي شيء تستأذن بعد العلم فجدد إيمانك بين يديه وقل: لا إله إلا الله محمد رسول الله آمنت بما جاء من عندك، واشرع في العمل ولا تستأذن في شيء قط فإن الله عليك رقيب، فهو يلهمك ما فيه مصالحك، وميزان الشرع الذي شرع لك بيدك لا تضعه من يدك ساعة واحدة ولا نفساً واحداً بل لا يزال أهل الله مع الأنفاس في وزن ما هم عليه فهم الصيارفة النقاد. ثم قيل له: أنت على ملكك وعن ملكك زائل، وعن بلدك راحل، وعن الدنيا منتقل، فلا تفرط في الزاد فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك، ولا تشرب إلا ما ترفع معك في مزادتك فالطريق معطشة والبلاد مجدبة، ثم قيل له: لا تزد في العهود ويكفيك ما جبرت عليه، ولهذا كره رسول الله ﷺ النذر وأوجب الوفاء به لأنه من فضول الإنسان كما كان السؤال هو الذي أهلك الأمم قبل هذه الأمة من فضولهم فإن السؤال يوجب إنزال الأحكام، وكما جرى في هذه الأمة من إثبات القياس والرأي فإن رسول الله ﷺ كان يحب التقليل على أمته من التكليف وبالقياس كثر بلا شك، فشغلوا نفوسهم بما كرهه رسول الله ﷺ مع أن لهم في ذلك أجراً لأنهم أخطؤوا في الاجتهاد في إثبات القياس بلا شك فالله ينفعهم بما قصدوا وأما سائر الأمة فلا يلزمهم إلا ما جاء عن الله وعن رسوله، وما كان عن رأي أو قياس فهم فيه مخيرون إن

اتبعوه وقلدوا صاحبه فما قلدوا إلا ما قرر الشارع حكمه في ذلك الشخص وفي هذا نظر، فإنه ما أمرنا أن نسأل إلا أهل الذكر وهم أهل القرآن، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] يريد القرآن، ثم قيل له: لا تسلك من الطرق إلا ما تقع لك فيه المنفعة والربح فإنها تجارة وهكذا سماها الله فقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ثم ذكر الإيمان والجهاد وقال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] في حق من ابتاع الضلالة بما كان في يديه من الهدى. ثم قيل له: عليك بالالتجاء إلى من تعرف أنه لا يقاوم فإنه يحميك، ثم قيل له: عليك بآثار الأنبياء فإنها طرق المهتدين، ثم قيل له: إياك والحسد فإنه يخلق الحسنات وأوّل ما يعود وباله على صاحبه، ثم قيل له: لا يكون التيسير الإلهي من نعوت الحق إلا إذا ظهر الحق بصورة أهله فإن المنازع لله في إيجاد الممكن العدم الذاتي الذي للممكن فانظر ما يزيله والأمر الذاتي يحكم لنفسه فتعمل في الخروج من هذه الشبهة، ثم قيل له: خلق الله العالم أطواراً وكل طور يزهد في طوره ويذمه ويثني على ما سواه فما الذي دعا إلى ذلك وما الذي أفرح كل أحد بما عنده حتى منعه ذلك الفرح من الخروج عنه، ثم قيل له: الاقتداء شأن الرجال فاقتد بالله من كون الميزان في يده فإن فاتك هذا الاقتداء هلكت، ثم قيل له: الإيمان برزخ بين إسلام وإحصان وهو الاستسلام، فلهذا يكون الإسلام ولا إيمان، ويكون الإيمان ولا استسلام، فالزم الاستسلام تفز بالجميع، وما ثم برزخ لا يقوى قوّة الطرفين إلا الإيمان فكل برزخ فيه قوّة الطرفين هو الإيمان ثم قيل له: ألحق المتأخر بالمتقدم فتسعد ولا تعكس الأمر، ثم قيل له: لا تبديل لخلق الله وخلق الله كلماته ولا تبديل لكلمات الله وإنما التبديل لله من كونه متكلماً لا من كونه قائلاً، فإن ظهرت القولة بصورة الكلمة لم تبدل لكونها قولاً لا من حيث أنها كلمة من الكلام، ثم قيل له: الجزاء بالخير حتم وبالشر في المشيئة، ثم قيل له: الاستناد إلى القوي حمى لا ينتهك فيرجع طالب انتهاكه خاسراً، ثم قيل له: النزول من العلو بإنزال وبغير إنزال، فمن نزل من غير إنزال فهو محمود، ومن نزل بإنزال فقد يحمد، والخلافة أرفع الدرجات ولها العلو، فمن خلع نفسه منها حمد وإن كان فيها، ومن خلع منها فقد يحمد وهو بحسب ما يقع له. ثم قيل له: إن كنت وارثاً فلا ترث إلا الحق فقال: وكيف يورث الحق؟ فقال: إذا أشهدك الحق غناه عن العالمين فقد تركهم فهذه تركة إلهية لا يرثها إلا أنت، إن كنت صاحب هذا الشهود فتعرف من هذا الورث ما لم تكن تعرفه قبله من العالم، ثم قيل له: لا تخلط بين الأمور وأنزل كل شيء حيث أنزلته حقيقته فلا تقل ما ثم إلا الله ولو كان كذلك وهو كذلك، أليست المراتب المعقولة قد ميزت بين كونه كذا وكونه كذا والعين واحدة كما تقول؟ ولكن هو من كذا أمر ومن كذا أمر آخر، وأراك تحس بالألم وتهرب منه فما الذي دعاك إلى ما منه تهرب؟ وأراك تحس باللذة وأراك فاقداً ما كنت تطلب، فبهذا القدر أثبت عينك واعرف أينك، فعلى كل حال الكثرة موجودة والأغيار مشهودة، وعالم وجاهل، وأمر ومأمور، وحاكم ومحكوم ومحكوم عليه ومحكوم به ومحكوم فيه، ومريد ومراد، وتخيير وجبر، وفاصل ومفصول، وواصل وموصول، وقريب وأقرب،

ووعد ووعيد، فالفائدة في مخاطب ومخاطب وخطاب ومخاطب به الإنسان واحد بجملته، وأعضاؤه متميزة وقواه متعددة وهو هو لا غير، فأي شيء تألم منه سرى الألم في كله، وترى شخصاً يتألم وآخر يسر بألمه وآخر يحزن لذلك، فلو كان الأمر واحداً كما هو في الإنسان لسرى الألم في العالم بأسره إذا تألم منه واحد فليس الأمر كما تخيلته إذا كشف الغطاء علمت ما أقول، فانصح نفسك إن أردت أن تلحق بالعلماء بالله الذين أسعدهم الله، فالظاهر لله والباطن كالروح والجسد، فكما لا يفترقان كذلك لا يفترقان، فما الأمر إلا عبد ورب، فما هو إلا أنت وهو، فالطائع مهتد والعاصي حائر بين ما أريد منه وما أمر به.

واعلم أن الله لما أنكح العقل النفس لإظهار الأبناء لا لحصول لذة الابتناء أسكنها أرض الطبيعة فأثرت في مزاجها إذ كانت الأرض تقلب ما يزرع فيها إلى طبيعتها اجعل بالك إلى قوله تعالى: تسقى بماء واحد والأرض واحدة، وتختلف الطعوم والروائح والألوان، فإن قلنا في العسل إنه حلو لذيذ فترى بعض الأمزجة تتألم به ولا تلتذ وتجده مراً، وكذلك الروائح والألوان، فرأينا هذا الاختلاف يرجع إلى الإدراكات لا إلى الأشياء، فرأيناها نسباً لا حقيقة لها في أعيانها إلا من حيث جوهرها ثم قيل له: قف عند الإضافات والنسب تعثر على الأمر على ما هو عليه، ثم قيل له: إذا أيَّهَ الله بك فاعلم من أين نوديت وأين كنت ولماذا دعيت ومن دعاك وما دعاك؟ فكن بحسب ما ينتج لك ما ذكرته، ثم قيل له: السعادة في الإيمان لا في العلم والكمال في العلم فإن جمعت بينهما فأنت إذا أنت ما فوقك غاية، ثم قيل له: هذه حضرة الأخبار فاجعل بالك لكل خبر يأتيك فيها فإنك إن فقدتها لم تنل في غيرها ما تنال فيها.

وفيها من العلوم ما أذكره لك إن شاء الله، فمن ذلك: علم من أين صدر الأمر والنهي وجميع الأحكام والنواميس الوضعية والإلهية، وفيه علم التنبيه على حقائق الأشياء بالتصريح والتضمن والإيماء، وفيه علم خلق باطن الإنسان دون ظاهره وكم إنسان في الوجود فإذا علمت أنه ما في الوجود إلا ثلاثة أناسي: الإنسان الأول الكل الأقدم، والإنسان العالم، والإنسان الآدمي، فانظر ما هو الأتم من هؤلاء الثلاثة، وفيه علم ما لا يعلم إلا بالإيمان، وفيه علم الموازنة، وفيه علم ما يؤثره القصد في الأمور مما لا يقصد، وفيه علم الالتحام، وفيه علم الدواوين الإلهية والكتاب والعمال والمتصرفين، وفيه علم الشروط والشهادات والقضايا المبثوثة في العالم، وفيه علم محاسبة الديوان العمال، وفيه علم الحركة والسكون، وفيه علم الإطلاق الذي لا تقييد فيه فإذا علمه من علمه تقيد فيه وفيه علم الميل والاعتدال وبأيهما يقع التكوين، وفيه علم الخواص في الإنسان وهي الطبيعة المجهولة، وفيه علم الإهمال والإمهال ومن يتولى ذلك من الأسماء وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وفيه علم المحاربة الإلهية، وفيه علم المنع الإلهي وهو يناقض الجود المطلق هل اقتضاه من اقتضائه لذاته أو لأمر آخر؟ وفيه علم عصمة الرسل، وفيه علم تنوع العالم من أين قبله وما صدر فيما يعطيه الدليل العقلي إلا ممن لا يقبل التنوع، وفيه علم الأنبياء والأولياء والعقلاء والفروق بين هؤلاء، وفيه علم حكمة التقديم والتأخير الزماني والوجودي والمكاني

والرتب، وفيه علم القبول والرد، وفيه علم ما يجده الحيوان من الخوف هل هو أمر طبيعي أم إلهي؟ ووصف الملائكة بالخوف ولما خافت الملائكة ربها من فوقها فإنه لا يخاف تعالى إلا لما يكون منه مما فوق الملائكة من الأسباب المخيفة وأي الملائكة هم الموصوفون بالخوف؟ هل كلهم أو جنس منهم؟ وفيه علم تدبير الروح الواحدة نفوساً كثيرة ومن هنا تعرف النشأة الآخرة، وفيه علم تعظيم العقوبة على المقرب صاحب الرتبة العليا ولماذا لم تحمه رتبته عن العقوبة؟ والفرق بين العقوبة والعذاب والألم والآلام، وفيه علم ما جبلت عليه النفوس من النزاع والمخالفات، وفيه علم طهارة النفوس هل طهارتها ذاتية أو مكتسبة؟ وفيه علم فضل الشهادتين وما يحمد من الشرك وما يذم، وفيه علم مرتبة المؤمن من غيره مع الاشتراك في الإنسانية ولوازمها وحدودها والذي وقع به التمييز موجود في كل إنسان لأنه محقق في نفس الأمر فنسبته إلى كل إنسان نسبة واحدة فلماذا خصص به المؤمن من غيره؟ وفيه علم مراعاة الأكوان من الأكابر دون الحق هل ذلك من الرحمة بهم أو هو من خور الطبع؟ وفيه علم مرتبة الواجبات الإلهية، وفيه علم الشروط والشهادة والقضايا المبثوثة في العالم، وفيه علم الانتساب إلى الله ومن ينبغي أن ينسب إلى الله وبماذا يقع النسب إلى الله الزائد على العبودة، وفيه علم غريب وهو نزول الحق إلى العالم في صفاتهم أو عروج العالم إلى الله بصفاته فإن الأمر فيه في غاية الغموض فإن أكثر العلماء بالله يقولون إن الحق نزل إلى نعوت عباده والحقائق تأبى ذلك والكشف، وفيه علم الأنوار النبوية المقتبسة من السبحات الإلهية لا الوجهية، وفيه علم النقض بعد الإبرام فلماذا أبرم؟ وفيه علم الاختصاص وأهله في المحسوس والمعقول، وفيه علم قرب النفوس وبعدها من الحضرة الإلهية، وفيه علم التحجير على الأكابر من العلماء بالله وشهودهم لا يقضى به، وفيه علم الآداب الإلهية، وماذا حجب الله عن عباده من المعارف وهل المعارف هي العلوم أو تختلف حقائقها كما اختلفت أسماؤها؟ وفيه علم النفوس والأرواح هل هما شيء واحد يفترقان؟ وفيه علم السبب الذي لأجله ظهر السلام في كل ملة وفي الملائكة قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ [الرعد: ٢٤] وفيه علم الاسم الإلهي الصبور هل للاسم الحليم فيه حكم أم لا؟ وفيه علم أسباب رفع الأذى من بعض العالم وهل يرتفع من العالم حتى لا يبقى له حكم أم لا؟ وفيه علم فضل ما سوى الإنسان على الإنسان هل هو عام من جميع الوجوه أو يفضل عليه في شيء ويفضل هو على غيره في شيء؟ وما العلة في ذلك؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلّسمِيّة مصوّرة مدبرة من الحضرة المحمدية

[البسيط]:

يا قُرَّةَ العَيْنِ إنّ القَلْبَ يَهْوَاك ... لَوْلاك ما كنتُ في قَتْلاك لولاك

ما لي سوى عَيْنِ مالي قد عَلِمْت به ... فإن رضيت بذاك القدر أغناك

إن الـوُجُـودَ لـه فَـقْـرٌ ومَـسْـكَـنَـةٌ إلـى الـكَـمَـال فـبَـيْـتُ الـفَـقْـر مَـأْواك
لا تـعـجـزنَّ لإدْراك الـكـمـال فـمـا في الكَوْنِ من يَعْرِفُ المَطْلُوبَ إلاَّك

اعلم أيدك الله أنه إنما سمي الطلسم بهذا الاسم لمقلوبه يعني أنه مسلط على كل من وكل به، فكل مسلط طلسم ما دام مسلطاً، فمن ذلك ما له تسليط على العقول وهو أشدها فإنه لا يتركها تقبل من الأخبار الإلهية والعلوم النبوية الكشفية إلا ما يدخل لها تحت تأويلها وميزانها وإن لم يكن بهذه المثابة فلا تقبله وهذا أصعب تسليط في العالم، فإن صاحبه المحجور عليه يفوته علم كثير بالله فطلسمه الفكر وسلطه الله عليه أن يفكر به ليعلم أنه لا يعلم أمر من الأمور إلا بالله، فعكس الأمر هذا المسلط فقال له لا تعلم الله يا عقل إلا بي والطلسم الآخر الخيال سلطه الله على المعاني يكسوها مواد يظهرها فيها لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه والطلسم الثالث طلسم العادات سلطه الله على النفوس الناطقة فهي مهما فقدت شيئاً منها جرت إليه تطلبه لما له عليها من السلطان وقوّة التأثير وما يتميز الرجال إلا في رفع هذه الطلسمات الثلاثة، فأما الطلسم الأول فرأيت جماعة من أهل الله قد استحكم فيهم سلطانه بحيث أنهم لا يلتذون بشيء من العلوم الإلهية التذاذهم بعلم يكون فيه رائحة فكر فيكونون به أعظم لذة من علمهم بما يعطيهم الإيمان المحض بنوره الذي هو أكشف الأنوار وأوضحها بياناً، وسبب ذلك ما نذكره وذلك أن نور الإيمان وهب إلهي ليس فيه من الكسب شيء ولا أثر للأدلة فيه البتة، فإنا قد رأينا من حصل العلم بالأدلة وبما دلت عليه بحيث لا يشك، ومع هذا لا أثر للإيمان فيه بوجه من الوجوه، فلما خرج عن كسب العبد فكأنه إذا فرح بما أعطاه نور الإيمان من العلم فرح بما ليس له، وأنه إذا أعمل الفكر في تحصيل علم بأمر ما وحصل له عن فكره ونظره فيه واجتهاده كان له تعمل واكتساب، فكانت لذته بما هو كسب له أعظم مما ليس له فيه كسب لأنه فيما اكتسبه خلاق، ولم يكن ذلك من هؤلاء إلا لجهلهم بأصولهم وبنفوسهم لأنهم لو علموا أنهم ما خرجوا من العدم إلى الوجود إلا بالمنة والوهب وهبة الله لهم فأوجدهم فلم يكن لهم تعمل في ذلك وهم في غاية من الالتذاذ بوجودهم، فكانوا على ما يعطي هذا الأصل أفرح بعلوم الوهب الذي يعطيهم نور الإيمان من الذي يعطيهم الفكر بنظره، ثم الحجاب الآخر في جهلهم بنفوسهم وبما فيهم أن العقل والفكر ما حصل لهم من الحق بتعمل ولا اكتساب بل بوهب إلهيّ وهم به فرحون، فهلا كان فرحهم بما وهبهم الحق من العلم بنور الإيمان أعظم من فرحهم بما نالوه من جهة الفكر؟ ثم إنهم من جهلهم وحجابهم أنهم يشهدون في أوقات في علم ما اتخذوه بالفكر شبهاً تدخل عليهم فيه فتزيله من أيديهم أو تحيرهم فيه فيغتمون لذلك الغم الشديد ويعملون فكرهم في أمر من أنواع الدلالات، إما أن يزيل عنهم تلك الشبهات حتى يعلموا أنها شبهات فيرجعوا إلى ما كانوا عليه بلا مزيد ويخسرون ما يعطيه المزيد الإلهي في كل نفس، وإما أن يعطيهم الفكر أن تلك الشبهة ليست بشبهة بل هي دليل أعطاهم العلم بضد ما كانوا عليه وأين الأمر الذي كانوا عليه فيفرحون به ويقولون هو علم لم يكن كذلك بل كان شبهة، فلو فتح الله عليهم لكانوا في هذا

الذي رجعوا إليه تحت إمكان أيضاً كما ظهر لهم في حكم الأول الذي رجعوا عنه، فلو لم يكن لصاحب الفكر في العلم الإلهي صارف يصرفه عنه إلا هذا لكان فيه كفاية، وكلامنا هذا إنما هو في حق المؤمنين من أهل الله، وأما من يرى أنه لا يأخذ إلا من الأرواح العلوية وأنها الممدة لهم وأنهم يستنزلونها لتفيدهم وأن جميع ما هم فيه إنما هو منهم كما يرون أن كل ما يحجبهم عن مثل هذا إنما هو نظرهم إلى شهواتهم واشتغالهم بالأمور الطبيعية من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك من مثل هذه الأمور فلا كلام لنا معهم فإنهم عبيد أكوان لا عبيد الله ليس لهم من الله رائحة إلا بعلم واحد أنه الأصل من غير تفصيل ولا استرسال واستصحاب وظهور في كل جزء جزء من العالم الأعلى مساحة ومعنى، والعالم الأسفل مساحة ومعنى، فهم عن هذا كله محجوبون وبه غير قائلين.

ولما كان الطلسم في أصل الوضع لا يضعه واضعه إلا لخفاء ما يمكن أن يشهد ويحصل أعملت الحيلة في رفع حكم ذلك الطلسم حتى يبدو ما كان يخفيه مما ينتفع به، فالإنسان من حيث قيوميته التي يعتقدها في نفسه هو طلسم على نفسه، وبتلك القيومية استخدم فكره وجميع قواه لأنه يعتقد أنه رب في ذاته وفي ملكه مالك، ثم رأى الحق قد كلفه واستعمله فزاد تحقيقاً في قيوميته، ولو لم يكن له قيام بما كلفه الحق ما كلفه فيقول باستعمالي لهذه القوى يكون لي الدليل على أني صدقت ربي وهو الصادق فيما كلفني به من استعمالها، ولم يتحقق هذا المسكين المواضع التي يستعملها فيها، ثم إنهم رأوا أن أشرف ما يكتسبونه بها العلم بذات الله وما ينبغي لها أن تكون عليه فتركوا استعمال قواهم فيما يمكن لهم أن يصلوا إليه، واستعملوها فيما لا يمكن الوصول إليه مع تبيين الحق لهم فيما شرع من قول الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي لا تستعملوا فيها الفكر، وقال رسول الله ﷺ: **«لاَ تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ»** فعصوا الله ورسوله مع أنهم من أهل الله بالمعصية المقدرة عليهم فلا بد من نفوذ حكمها فيهم، فالله يجعلنا ممن عصمه الله أن يستعمل قواه فيما ليس لها التصرف فيه إنه ولي كريم منعم محسان، فإذا أراد الله أن يوفقك لرفع حكم هذا الطلسم حتى تشهد ما حجبك عنه وفقك لإزالة قيوميتك بقيوميته واستعملك في فقرك وذلك وشهود أصلك، واستعمل فكرك في أنك لك موهوب وأنك صادر من عين منته عليك في وجودك وفي تقلبك في أطوار نشأتك المحسوسة والمعنوية وفي إسلامك وإيمانك إلى أن جعلك من أهله واصطنعك لنفسه وحجب غيرك ممن هو مثلك لا ليدلك عليه بل سابق عناية بك ومنة اختصاص، فإذا وفقك لمثل هذا النظر وفقك للنظر أيضاً في قواك وما بين لك من مصارفها فلم تتعد بها مصرفها الإلهي ووقفت عند حدوده وعرفت قدرك فعرفت قدره، وجعلت أمرك كله فيما تصرفت فيها وهباً إلهياً من عين منته ونظرت إليه بنور الإيمان الذي وهبك إياه فأشهدك الأمور كما هي عليه في نفسها وكشف لك عن الحق ورزقك اتباعه وكشف لك عن الباطل ورزقك الاجتناب عنه. ورأيت جماعة في هذا الكشف من أصحاب الأفكار العقلاء النظار قد أراهم الفكر الحق باطلاً فحققوه فاجتنبوا الحق واتبعوا الباطل ولا علم لهم بذلك إذ

الباطل في جبلة كل أحد اجتنابه، فإذا رأيتهم على ذلك رحمتهم فربما تدعوهم إليه وهم ﴿يَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣] فيجهلونك فيما تدعوهم إليه من الحق كما كان ﷺ يدعو أهل الشرك إلى التوحيد فيقول إذا دعاهم إلى ذلك ودعوه إلى ما هم عليه: **«مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بالله وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ»** فيا ولي لا تقل في جوابي أنهم أيضاً يقولون له مثل ما قال لهم، ليس الأمر كذلك فإنهم مشركون، فقد أثبتوا بكونهم مشركين عين ما دعاهم إليه هذا الرسول وهو ما أثبت الشريك وهم قالوا: إنما ندعوهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فأثبتوا له سبحانه وتعالى التعظيم والمنزلة العظمى التي ليست لشركائهم، فمن هناك لم يتمكن لهم أن يقولوا في الجواب مثل ما قال لهم فإنه قال لهم ما ليس لي به علم وهم علماء بما دعاهم الرسول إليه، فلما دعاهم دعاهم بحالهم ولسانهم من حيث ما أثبتوا عين ما دعاهم إليه وزادوا الشريك الذي لا علم لمحمد ﷺ به، فإذا قال صاحب الكشف لصاحب الفكر مثل هذا كان جواب صاحب الفكر له أشد في البعد عن الله من المشركين مع رسول الله ﷺ، وكان المشركون أسعد حالة من أصحاب الفكر، فإنهم أثبتوا على كل حال عين ما دعاهم إليه أنه له المنزلة العليا، وهؤلاء قالوا إن الله لا يعلم ما نحن عليه حيث قالوا إنه أعظم من أن يعلم الجزئيات بل علمه في الأشياء علم كلي وهو أن يعلم أن في العالم من يتحرّك ويسكن لا أنه يعلم أن زيد بن عمرو هو المتحرّك عند زوال الشمس هذا أعطاهم فكرهم، فمن هنا يعلم أن المشرك أسعد حالاً منهم، وأعطاهم فكرهم أنّ هذه النواميس الإلهية السائرة في العالم أمداد الأرواح العلوية للنفوس الفاضلة القابلة لمصالح العالم في الدنيا، فهي أوضاع روحانية على ألسنة قوم قد خلصوا نفوسهم من رق الشهوات وأسر الطبيعة وصفوا مرائي قلوبهم، فأقبلت عليهم الأرواح العلوية وجالسوا بأفكارهم الملأ الأعلى فأمدهم بما وضعوه في العالم من أسباب الخير فسموا أنبياء وحكماء ورسلاً وليس إلا هذا، وجعلوا ما وضعوه من الوعد والوعيد المغيب المسمى الدار الآخرة سياسات يسوسون بها النفوس الشوارد عن النظر فيما ينبغي لهم مما وجدوا له لا غير، ونعوذ بالله من هذا القول وهذا العلم، فهذا ما أعطاهم الفكر حيث استعملوه في غير موطنه وذهبوا به في غير مذهبه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

وأما الطلسم الثاني وهو الخيال فيجسد المعاني ويدخلها في قالب الصور الحسية، فهو طلسم أيضاً على أهل الأفهام القاصرة التي لا علم لها بالمعاني المجرّدة عن المواد، فلا تشهدها ولا يشهد هؤلاء إلا صوراً جسدية، فيحرم من حكم عليه طلسم الخيال إدراك الأمور على ما هي عليه في أنفسها من غير تخيل، فهؤلاء لا يقبلون شيئاً من المعاني مع علمهم بأنها ليست صوراً جسدية إلا حتى يصورها في خيالهم صوراً متجسدة متحيزة متميزة فيجمعون بين النقيضين، فأنتم تعلمون أنها ليست صوراً ولا يقبلونها إلا صوراً، فمن أراد رفع حكم هذا الطلسم فإن الطلسم لا يرتفع أبداً من هذه النشأة فإنه وضع إلهي، وكذلك جميع الطلسمات

الإلهية لا ترتفع أعيانها ولا ترفع أحكامها في الموضع الذي جعل الحق تعالى حكمها فيه، ولكن بعض الناس خرجوا بها عن طريقها، فذلك الحكم الذي أعطاه ذلك الخروج هو الذي يرتفع لا غيره فاعلم ذلك؛ فيرتفع حكم صاحب هذا الطلسم إذا أبصر الفكر قد دخل لخزانة هذا الخيال ثم انصرف خارجاً منه فيصحبه إلى العقل ليشاهد المعاني مجرّدة عن الصور كما هي في نفسها، فأوّل ما يشهد من ذلك حقيقة الفكر الذي صحبه إلى العقل فيراه مجرداً عن المواد التي كان الخيال يعطيه إياها فيشكر الله ويقول: هكذا كنت أعلمه قبل أن أشهده، وما كان الغرض إلا أن يوافق الشهود العلم، فإذا ارتفع إلى العقل شاهده أيضاً مجرّداً عن المواد في نفسه، فيحصل له أنس بعالم المعاني المجرد عن المواد، فإذا تحقق بهذه المشاهدة انتقل إلى مشاهدة الحق الذي هو أثره في التجرّد من المعاني، فإنه وإن تجرّدت المعاني المحدثة فما تجرّدت عن حدوثها وإمكانها فيشاهد فيها صاحب هذا المقام عدمها الأصلي الذي كان لها ويشاهد حدوثها ويشاهد إمكانها، كل ذلك في غير صورة مادية، فإذا ارتقى إلى الحق فأوّل ما يشاهد منه عين إمكانه فيقع له عند هذا تحير فيه فإنه علمه غير ممكن فيأخذ الحق بيده في ذلك بأن يعرفه أن الذي شاهده من الحق ابتداء عين الإمكان الذي يرجع إلى المشاهد، وهو الذي يقول فيه أنه يمكن أن يشهدني الحق نفسه ويمكن أن لا يشهدني، فهذا الإمكان هو الذي ظهر له من الحق في أوّل شهوده فإنه قد ترجح له بالشهود أحد الوجهين من الإمكان فيسكن عند ذلك وتزول عنه الحيرة، ثم يتجلى له الحق في غير مادة لأنه ليس عند ذلك في علم المواد، فيعلم من الله على قدر ما كان ذلك التجلي، ولا يقدر أحد على تعيين ما تجلى له من الحق إلا أنه تجلى في غير مادة لا غير، وسبب ذلك أن الله يتجلى لكل عبد من العالم في حقيقة ما هي عين ما تجلى بها لعبد آخر، ولا هي عين ما يتجلى له بها في مجلى آخر، فلذلك لا يتعين ما تجلى فيه ولا ينقال، فإذا رجع هذا العبد من هذا المقام إلى عالم نفسه عالم المواد صحبة تجلي الحق، فما من حضرة يدخلها من الحضرات لها حكم إلا ويرى الحق قد تحول بحكم تلك الحضرة، والعبد قد ضبط منه أولاً ما ضبط، فيعلم أنه قد تحول في أمر آخر فلا يجهله بعد ذلك أبداً ولا ينحجب عنه، فإن الله ما تجلى لأحد فانحجب عنه بعد ذلك فإنه غير ممكن أصلاً، فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة وقد كان قبل ذلك عرفها علماً وإيماناً رأى الحق في حضرة الخيال صورة جسدية فلم ينكره وأنكره العابر والأجانب، ثم نزل من عالم الخيال إلى عالم الحس والمحسوس فنزل الحق معه لنزوله فإنه لا يفارقه فيشاهده صورة كل ما شاهده من العالم لا يخص به صورة دون صورة من الأجسام والأعراض ويراه عين نفسه ويعلم أنه ما هو عين نفسه ولا عين العالم ولا يحار في ذلك لما حصل له من التحقيق بصحبة الحق في نزوله معه من المقام الذي يستحقه ولاعالم وراءه يتحوّل في كل حضرة بحسب حكمها، وهذا مشهد عزيز ما رأيت من يقول به من غير شهود إلا في عالم الأجسام والأجساد، وسبب ذلك عدم الصحبة مع الحق لما نزل من المقام الذي يستحقه، فكان القائلون به في عالم الأجسام

والأجساد مقلدين ويعرف ذلك من كونه لا يصحبهم ذلك وتتوالى الغفلات عليهم فإذا حضروا بنفوسهم حينئذ يقولون بذلك، وصاحب الذوق لا غفلة عنده عن ذلك جملة واحدة فإنه معلوم عنده، والغفلة إنما تكون عن شيء دون شيء لا تعم فكل ما يبقى من الأمور غير مشهود لصاحب الغفلة، فإن صاحب الذوق يشهد الحق فيه فما بقي له مشهود في حال غفلته، ومن ليس له هذا المقام ذوقاً يغفل عن الحق بالأشياء حتى يستحضره في أوقات ما فهذا هو الفارق بين أصحاب الذوق وبين غيرهم فلا تغالط نفسك، وما رأيت واحداً من أهل هذا المقام ذوقاً إلا أنه أخبرتني أهلي مريم بنت محمد بن عبدون أنها أبصرت واحداً وصفت لي حاله فعلمت أنه من أهل هذا الشهود إلا أنها ذكرت عنه أحوالاً تدل على عدم قوته فيه وضعفه مع تحققه بهذا الحال ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وأما الطلسم الثالث وهو طلسم العادات الحاكمة على النفوس الناطقة لما حصل لها من الألفة بها وتوقف المنافع والمصالح عليها دائماً لا يرتفع، فإذا أراد من أراد أن يرتفع عن حكم هذا الطلسم إذ علم أنه لا يرتفع فإن الأسباب المألوفة هي أوضاع إلهية لا يمكن رفعها ولا دفعها، يرجع هذا الشخص إلى النظر في وجهه الخاص به الذي لا أثر للسبب فيه وهو خفي جداً فيعمد إلى بابه فيفتحه ويكثر العكوف عليه ويحس بالأسباب تجذبه عنه ليأخذ منها ما بيدها من الأمانات له فلا يفعل ولا يقبل ما تأتيه به، فإذا جاءه خاطر أن ذلك سوء أدب مع الله فخُذ ما أعطاك وكن من الشاكرين. وأن هذه الأسباب لا يمكن رفعها فلا تبطل حكمة الله في حقك فتكون من الجاهلين، فلا يصغ إلى هذا العتب ولا إلى هذا العلم فإنه خاطر نفسي ما هو خاطر إلهي، وليثبت على اعتكافه بالباب الخاص، وليقل لذلك المعلم أن الله قد نهى أن تؤتى البيوت من ظهورها، فلو كنت من الله لأتيت البيوت من أبوابها وأنا بيت لا يزيده على هذا، فإذا أراده الحق لذلك المقام أدخل عليه ذلك السبب بما عنده من الأمانة له على باب ذلك الوجه الخاص الذي قد واجهه هذا العبد واعتكف عليه وذلك هو باب بيته، فإذا أعطاه ذلك السبب ما أعطاه قبله منه لأنه ما جاءه إلا من باب الوجه الذي يطلب الأمر منه وقد أتى البيت هذا السبب من بابه، وهذا هو المسمى خرق العوائد في العوائد، فإن العالم لا يشهدون صاحب هذا المقام إلا آخذاً من الأسباب، فلا يفرقون بينهم وبينه فهو وحده يعرف كيف أخذ، وليس هذا المقام إلا للملامية وهم أعلى الطوائف فإنهم في خرق العادة في عين العادة، وبينهم في المقام ما بين المحجوب والمشاهد ولكن لا يشعرون، وأصحاب خرق العوائد الظاهرة ما لهم هذا المقام ولاشموا منه رائحة أصلاً وهم الآخذون من الأسباب فإن الأسباب ما زالت عنهم ولا تزول ولكن خفيت، فإنه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب وجود عين ذلك المطلوب، فيعرف أو يقبض بيده في الهواء فيفتحه عن مقبوض عليه من ذهب أو غيره، فلم يكن إلا بسبب حركة من يده وقبض، فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد بالجملة لكن القبض معتاد وحركة اليد معتادة، وتحصيل هذا الذي حصل له من غير هذا الوجه معتاد، وتحصيله من هذا الوجه غير معتاد فقيل فيه أنه خرق عادة

فاعلم ذلك، فمن أراد رفع حكم طلسم العادات فليعمل نفسه فيما ذكرناه فلا تحكم عليه العوائد وهو في العوائد غير معروف عند العامة والخاصة.

ومن علوم هذا المنزل: علم الإشارات والخطاب، وفيه علم الدخل بالشبه على أصحاب الأدلة، وفيه علم الاسم الذي توجه على الخلق بالإيجاد والتقدير، وعلم ما بين الإيجاد والتقدير من المدة، وفيه علم ترتيب الموجودات في الإيجاد بمرور الأزمان وعلى من مرت هل على الموجد أو على الموجودات فيعلم من تقيد بها، وهل كان ذلك التقييد بها اختياراً أو شيئاً لا بد منه؟ وفيه علم ما إذا توجه الحق على إيجاد أمر ما هل في ذلك إعراض عن أمر آخر أم لا؟ وفيه علم لماذا يستند الفكر في حكمه وهل له سلطان إلهيّ يعضده حتى يتمسك بذلك أهل الأفكار أم لا وإن لم يشعروا بذلك أو ربما أحالوه بين لهم وهو في نفس الأمر صحيح، وفيه علم نزول الأمر الإلهيّ ورجوعه إلى ما منه نزل وكم مدّة ذلك من الزمان؟ وفيه علم ارتباط السبب بالمسبب اسم فاعل بكسر الباء وهل يصح فعل ذلك من الله من غير هذا السبب المعين أو من غير سبب أم لا؟ وفيه علم ارتباط العلم والرحمة والعزة مع ما بين الرحمة والعزة من التنافر، وفيه علم الأعلى في الأنزل وما ثم علم الأنزل في الأعلى، وفيه علم الأحسن في عالم الأمر والخلق وبما هو أحسن وما ثم قبيح ولا مفاضلة في الحسن، وفيه علم منزلة هذه النشأة الإنسانية على غيرها من النشآت والعناية بها مع كونها خلقت لشقاء ولسعادة وكان الأمر يقتضي أن لا شقاء لما ظهر من العناية بها، وفيه علم ما يتولد عن هذا الإنسان في العالم من الأمور، وفيه علم المساكن وما قدم منها وما أخر وما يتبدل منها وما لا يتبدل وما يلحقه التغيير وما لا يلحقه التغيير، وفيه علم ما يختلف فيه نشأة الإنسان في الدارين من حيث صورته الظاهرة وما لا يختلف من نشأته في صورة روحه أو لتلك النشأة الأخرى روح آخر يخلقه الله لها بحسب استعدادها وكيف هو الأمر في نفسه إذ قد وردت الإعادة فما حقيقتها وفيماذا تكون؟ وهو علم غريب، وفيه علم كون الحق لا يلقاه العبد إلا بالموت وهل هو لقاء خاص أو ما ثم لقاء إلا بالموت؟ وفيه علم الموت وبيد من هو، وفيه علم اختلاف العالم لماذا يرجع في صوره وتخيله، وفيه علم التحديد الإلهي في الآخرة مع كونها دار كشف للحقائق عند الناس أو حكمها حكم الدنيا في بعض الأمور، وفيه علم ما يردّك إلى مشاهدة حقيقتك وأن في ذلك سعادتك، وفيه علم حب الإنسان بالطبع في أن يكون قيوماً مع ذله وافتقاره وما الذي يدعوه إلى ذلك ثم اختلافهم في القيام فمنهم من يقوم عبداً، ومنهم من يقوم سيداً، والذي يقوم سيداً منهم من يقوم سيداً بالحجاب ومنهم من يقوم سيداً بكشف صحيح، وفيه علم ما لا يعلم إلا هناك وفيه علم أدنى الدنيّ وأدنى الدنوّ وما حقيقة هذا؟ وفيه علم اختلاف أسماء أهل الاستحقاق مع وجود الاستحقاق، وفيه علم الأولوية، وفيه علم الحكم الإلهي يوم القيامة بماذا يحكم ويفصل؟ وفيه علم الاستبصار، وعلم ما ينفع من الخطاب، وعلم الفتح الإلهي، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر الثالث والعشرون.

[السفر الرابع والعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار طِلَّسْمِيَّة حكمية تشير إلى معرفة منزل السبب وأداء حقه وهو من الحضرة المحمدية

[البسيط]

قُلْ للإمام أبي إنْ كُنْتَ تَأْنَسُ بي ... فإنّ أُنسي بربِّي لا بأشْكَالي

أُنسِي بربّي لا بالوالدين ولا ... بالأهل إنّ وُجُودَ المِثْلِ أمثالي

مني هربت ومني استوحشت خلقي ... فكيف أنسى بالماضي وبالحال

وكَيْفَ يُؤْنِسُني من لا يُنَاسِبُني ... ولا يُنَاسِبُهُ شَيْءٌ مِنَ أَحْوالي

والمثل ضدّ فكيف الأنس يا سكني ... والعقل يمنعه فالحالُ كالحالِ

لما جَهِلْتُ الذي لا شيء يُشْبِهُهُ ... سواي أخطرته جَهْلاً على بالي

ما لي أقول بأن الحق يطلبني ... ولست أعرفُه ما لي به ما لي

الأنْسُ يطلبنا بأن يَقُومَ بنا ... وليس يأنَسُ دُونُ الدُّونِ بالعالي

قد جِزْتُ فيه وإيحاشي يلازمُني ... ولست أطرُدُه إلا بآمالي

لا ذَاقَ أُنْساً حكيمٌ ما بَدَتْ مُثُلٌ ... لعينه من علوم أو من أَعْمَالِ

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله لما خلق النفس الناطقة المدبرة لهذا الهيكل المسمى إنساناً سلط عليه في هذا المزاج الخاص بهذه النشأة الدنيوية ثلاثة أشياء جعلها من لوازم نشأته: النفس النباتية، والنفس الشهوانية، والنفس الغضبية؛ فأما النفس النباتية والغضبية فيزولان في نشأة أهل السعادة في الجنان ولا يبقى في تلك النشأة إلا النفس الشهوانية فهي لازمة للنشأتين وبها تكون اللذة لأهل النعيم وأما النفس النباتية فهي التي تطلب الغذاء لتجبر به ما نقص منه فينمى به الجسم فلا ينفك يتغذى دائماً فإما من خارج يجلب إليها وهو المعبر عنه بالأكل، وإما من حيث شاء الله من غير تعيين ولها أربعة وزعة: الجاذب والماسك والهاضم والدافع، فأما الجاذب فحكمه أن ينقل الغذاء من مكان إلى مكان فينقله من الفم إلى المعدة، ومن المعدة إلى الكبد، ومن الكبد إلى القلب وإلى سائر العروق وأجزاء البدن، فإنه المقسم على أجزاء البدن ما يحتاج إليه مما يكون به قواها، ويساعده الدافع فإنه يدفع به عن مكانه إذا رآه قد استوفى حقه من ذلك المكان وما بقي له فيه شغل ودفع به حتى لا يزاحم غيره إذا ورد فهو يساعد الجاذب وأمّا الماسك فهو الذي يمسكه في كل مكان حتى يأخذ التدبير فيه حقه، فإذا رأى أنه وفى حقه ترك يده عنه فتولاه الدافع والجاذب وأما الهاضم فهو الذي يغير صورة الغذاء ويكسوه صورة أخرى حتى يكون على غير الصورة التي كان عليها فإنه كان على صورة حسنة وذا رائحة طيبة، فلما حصل بيده وغير صورة شكله وكساه صورة متغيرة الريح مبددة

النظم ولهذا سمي هاضماً من الاهتضام ولكن وجود الحكمة في هذا الاهتضام فإنه لولا الهضم ما وجد المقصود الذي قصده الغاذي بالغذاء، فظاهر الأمر فساد وباطنه صلاح، ولا يزال هذا الهاضم ينقله من صورة إلى صورة والماسك يمسك عليه بقاءه حتى يدبر فيه ما يعطيه علمه وما وكل به، فإذا استوفياه بحسب ذلك الموطن تركاه وأخذه الجاذب والدافع فإذا أنزلاه ونقلاه إلى المكان الآخر ردّاه إلى الماسك وإلى الهاضم فيفعلان فيه مثل ما فعلاه في المكان الذي قبله ويفتح فيه صوراً مختلفاً فيأخذه الجاذب والدافع فيسلكان بتلك الصورة طرقاً معينة لا يتعديانها ما دام يريد الله إبقاء هذه النشأة الطبيعية، ولولا هؤلاء الوزعة ما تمكنت النفس النباتية من مطلوبها، فإذا أراد الله هلاك هذه النشأة الطبيعية طلبت النفس النباتية مساعدة الشهوة لها حتى تنبعث النفس المدبرة لجلب ما تشتهي فلم تفعل وأضعفها الله باستيلاء سلطان الحرارة على محلها فضعفت كما يضعف السراج في نور الشمس فيبقى لا حكم له، فتبقى النفس النباتية بحقيقتها تقول لوزعتها: لا بد لي من شيء أتغذى به فتتغذى بأخلاط البدن وما بقي فيه من الفضول ووزعتها قد ضعفوا أيضاً مثلها، فلا تزال النشأة في نقص متزايد والدافع يقوى والجاذب يضعف وكذلك الماسك إلى أن يموت الإنسان، ولولا هذا التدبير بهذه الآلات لهذه النشأة ما سمعت أذن ولا نظر بصر ولا كان حكم لشيء من هذه القوى الحسية والمعنوية وأما النفس الشهوانية فسلطانها في هذا الهيكل طلب ما يحسن عندها ولا تعرف هل يضرها ذلك أو ينفعها؟ وهذا ليس إلا في نشأة الإنسان، وأما سائر الحيوان فلا يتناول الغذاء إلا بالإرادة لا بالشهوة ليدفع عن نفسه ألم الجوع والحاجة فلا يقصد إلا لما له فيه المنفعة، ويبقى حكم الشهوة في الحيوان في الاستكثار من الغذاء، فمنه يدخل عليه الخلل والإنسان يدخل عليه الخلل كذلك من الاستكثار مما ينفع القليل منه، ومن تناوله ما لا ينفعه أصلاً مما تطلبه الشهوة ويتضرر به المزاج فهذا الفارق بين الإنسان والحيوان في تناول الغذاء فالنفس الشهوانية للنفس النباتية كما قيل في ذلك: [الطويل]

إذا امْتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عَنْ عدوّ في ثياب صَدِيقِ

فلها الصداقة مع النفس النباتية لأنها المساعدة لها على الغذاء وتناوله وهي العدوّة حيث تدخل عليها من الأغذية ما يضرها ولا ينفعها، فمساعدتها للنفس النباتية إنما هو بالعرض لا بالذات، فهي العدوّ اللازم الذي لا يمكن مفارقته ولا يؤمن شرّه. وأما النفس الغضبية وهي السبعية فهي التي تطلب القهر لما رأت من تفوقها على سائر الحيوان بما أعطيت من القوى والتمكن من التصرُّف وأبصرت العالم مسخراً لنشأتها ولمدبرها، ورأت أن في الوجود عوارض تعرض اتفاقية أو لأسباب تظهر يمنعها ذلك كله من وصولها إلى أغراضها فتغضب لعدم حصول الغرض، فإن كان لها سلطان قويّ مساعد من همة فعالة أو آمرة من خارج لها بها إمضاء غضبها في المغضوب عليه أهلكته وأظهرت الانتقام منه، ولا تعرف ميزان الظلم والعدل في ذلك الانتقام والقهر لأن ذلك ما هو لها، وإنما ذلك للعقل وناموس الوقت، ولذا أخطأ الشاعر الذي قال: [الكامل]

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

فلو قال القهر بدلاً من الظلم لقال الصحيح فإن الظلم لا يأتي به إلا الشرعي فمنه يعرف فليس للنفس إلا القهر حمية جاهلية، فإن صادفت الحق كانت حمية دينية ولهذا يحمد الغضب لله وفي الله، ويذم الغضب لغير الله وفي غير الله، وهذا من تدبير الحكيم الحق الذي رتب الأمور مراتبها وأعطى كل شيء خلقه ليكون آية له لأولي الألباب ولسائر أهل الآيات من العالم إذ كانوا مختلفي المأخذ في ذلك، كما عددهم الله في كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وضم هذه الآيات كلها في كتاب الوجود الذي ما فيه سوى البيان والرحمة لا غير، فكل ما ظهر في العالم من جانب الحق أو من معاملة بعضه بعضاً يناقض الرحمة فأمر عرضي في الكتاب أبان عنه البيان حيث هو ذلك العارض ما هو في نفس هذا الكتاب، فالكتاب رحمة كله من حيث ذاته وبيان، فما جعله الله عذاباً فالله أكرم أن يعذب خلقه عذاباً لا ينتهي الأمر فيه إلى أجل ضمه وعينه بيان الكتاب ثم يرجع الحكم للرحمة، هذا ما لا بدّ منه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

ثم لتعلم أن الله أطلعني على حكم غريب يتعلق بالعالم الإنساني ولا أدري هل له تعلق بما عدا الإنسان من العالم أم لا؟ ما أطلعني الله على ذلك ولا ينبغي لي أن أقول عن الله ما لا أعلم الله يعصمني وإياكم من ذلك، وهذا الحكم يظهر في العالم الإنساني عند انقضاء كل ثلاثة آلاف عام من أعوام الدنيا وهو عند الله يوم واحد ولا أدري لأيّ اسم إلهي يرجع هذا اليوم لأني ما عرفت به، غير أن الحق تعالى قسمه لي ثلاثة أثلاث كل ثلث ألف سنة والألف سنة يوم واحد من أيام الرب، هذا الذي أخبرني به ربي وهذه المدة التي هي ثلاثة آلاف سنة حكمها في الإنسان حكم بدء وعود وحياة وموت كيف يشاء الله وحيث يشاء الله، غير أن الله لما رقم لي هذا الأمر في درجي كلمات وقفت عليها مشاهدة جعل كلمة بفضة وكلمة بذهب على هذه الصورة رقمها فعلمت أنها أحوال وأحكام تظهر في الإنسان في الجنة بمرور هذه المدة المعينة، وما أثر والله عندي خبر إلهيّ ورد عليّ ما أثر هذا من الجزع والخوف المقلق فما سكن روعي إلا كون الكلمات من ذهب وفضة الكلمة الذهبية إلى جانبها الكلمة الفضية، ولما فرغ هذا الإلقاء الإلهي والتعريف الربانيّ وسكن عني ما كنت أجده من ألم هذا التجلي في هذه الصورة، وسرّي عني، نظمت نظم إلهام لا نظم روية ما أذكره: [البسيط]

لنا حَبِيبٌ نَزِيهٌ لا أُسَمِّيهِ وهو الحبيب الذي حَارَ الوَرَى فِيهِ
إنْ قلتُ هذا فإن الحَدَّ يَحْصُرُهُ أو قُلْتُ هو فكلامٌ لستُ أدريهِ
كيف السبيلُ إلى غَيْبٍ وأعْيُنُنا في كلّ حين تراه مِنْ تَجَلِّيهِ
أو قلتُ عندي جاء الظرفُ يطلبُه والظرفُ حَقٌّ ولكن ليس يَحْوِيهِ
ما أن رأيتُ وجوداً لستُ أدريهِ إلا الذي أنا مَغْنًى مِنْ مَعَانيهِ
قد حرتُ فيه وحار الكون فيّ وكم أذناي قد سمعت من قَوْلةٍ فيهِ
هذا الذي وجلال الحقّ أمْرَضَهُ فهل له عِوَضٌ منه فيَشْفِيهِ

هو الشفاءُ هو الداءُ فأين أنا العينُ واحدةٌ وكلُّنا فيه

ضمير «أمرضه» يعود على الكون.

واعلم أن لنا من الله الإلهام لا الوحي، فإن سبيل الوحي قد انقطع بموت رسول الله ﷺ، وقد كان الوحي قبله ولم يجيء خبر إلهيّ أن بعده وحياً كما قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ولم يذكر وحياً بعده وإن لم يلزم هذا، وقد جاء الخبر النبوي الصادق في عيسى عليه السلام، وقد كان ممن أوحي إليه قبل رسول الله ﷺ أنه عليه السلام لا يؤمنا إلا منا أي بسنتنا فله الكشف إذا نزل والإلهام كما لهذه الأمة، ولا يتخيل في الإلهام أنه ليس بخبر إلهيّ ما هو الأمر كذلك بل هو خبر إلهيّ وإخبار من الله للعبد على يد ملك مغيب عن هذا الملهم وقد يلهم من الوجه الخاص، فالرسول والنبيّ يشهد الملك وتراه رؤية بصر عندما يوحى إليه، وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه رؤية بصر، فيلهمه الله به ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاصّ بارتفاع الوسائط وهو أَجَلُّ الإلقاء وأشرفه، وهو الذي يجتمع فيه الرسول والولي أيضاً، فأصابع الرحمن للوجه الخاص، ولمة الملك للوجه المشترك، والإلهام إلهيّ أكثره لا واسطة فيه، فمن عرفه عرف كيف يأخذه ومحله النفس، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فالفاعل هويته فهو الملهم لا غيره ﴿فُجُورَهَا﴾ ليعلمه لا ليعمل به ﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] ليعلمه ويعمل به فهو إلهام إعلام لا كما يظنه من لا علم له ولذلك قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠] والدسّ إلحاق خفي بازدحام، فألحق العمل بالفجور بالعمل بالتقوى، وما فرق في موضع التفريق، فجمع بينهما في العلم والعمل والأمر ليس كذلك، وسبب جهله بذلك أنه رمى ميزان الشرع من يده، فلو لم يضع الميزان من يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهيّ عن الفجور مبين له الأمران معاً. ولما أضاف الله الفجور لها والتقوى علمنا أنه لا بد من وقوعهما في الوجود من هذه النفس الملهمة، وكان الفجور لها ما انفجر لها عن تأويل تأوّلته، فما أقدمت على المخالفة انتهاكاً للحرمة الإلهية ولا يتمكن لها ذلك وكان هذا من رحمة الله بالأنفس، ولما كان الفجر فجرين فجر كاذب وفجر صادق وهو الفجر المستطيل الكاذب ألهمها تقواها أي تتقي في فجورها الفجر المستطيل لأنه يستطيل عليها بالأولية لتأخر المستطير الذي يطير حكمه عنها فألهمها في فجورها الفجر المستطيل، فتبين لها بهذا الانفجار ما هو المشكوك فيه من غير المشكوك وتقواها وما تتقي به ما يضرّها حكمه فيها، فلولا ما مكنها مما تتقي به وهو المعنى الذي ألهمها لتتنبه النفس على استعماله فتفرق ما بين الشبهة والدليل ما تمكنت من الفرق بينهما، فإن الله سبحانه كما لم يأمر بالفحشاء لم يلهم العبد العمل بالفحشاء كما يراه بعضهم، ولو ألهمه العمل بالفحشاء لما قامت الحجة لله على العبد بل هذه الآية مثل قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أي الطريقين بيناهما له فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي بينا له ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فيعمل في السبيل بمقتضاه إن كان نهياً انتهى وإن كان أمراً فعل ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] يقول: يستر على نفسه فيخادعون أنفسهم فإنه ما ضل أحد إلا على علم، فإن

بيان الحق ليس بعده بيان، ولا فائدة للبيان إلا حصول العلم، ثم يستره العالم به عن نفسه لغرض يقوم له فتقوم الحجة لله عليه فالإلهام إعلام إلهيّ، فمن زكى نفسه بالتقوى فاتقى من الفجور ما ينبغي أن يتقى منه وأخذ منه ما ينبغي أن يؤخذ منه، ومن دسّ نفسه في موضع قيل له لا تدخل منه فقد خاب، فمن أراد طريق العلم والسعادة فلا يضع ميزان الشرع من يده نفساً واحداً، فإن الله بيده الميزان لا يضعه يخفض القسط ويرفعه وهو ما هو الوجود عليه من الأحوال، فلو وضع الحق الميزان من يده لفني العالم دفعة واحدة عند هذا الوضع. وكذلك ينبغي للمكلف بل للإنسان أن لا يضع الميزان المشروع من يده ما دام مكلفاً، لأنه إن وضعه من يده نفساً واحداً فني الشرع كله كما فني العالم لو وضع الحق الميزان من يده، فإن كل حركة في المكلف ومن المكلف، وسكون لميزان الشرع فيه حكم فلا يصح وضعه مع بقاء الشرع، فهذا الميزان له من كونه مكلفاً. وأما الميزان الآخر الذي لا ينبغي أن يضعه الإنسان لا من كونه مكلفاً بل هو بيده دنيا وآخرة فذلك هو ميزان العلم الذي ميزان الشرع حكم من أحكامه، وهو مثل الميزان الذي بيد الحق، فبه يشهد وزن الحق، فنسبته إلى ميزان الحق نسبة شخص بيده ميزان، وشخص آخر بيده مرآة، فرأى في مرآته التي في يده صورة ذلك الميزان والوزان والوزن، فعلم صورة الأمر من شهوده في وجوده، وكان هذا الأمر من ورائه غيباً له لولا المرآة ما شهده فأضاف ما رآه في مرآته إليه لكون مرآته ليس غيره، فالغيب الذي يزن والوزن والميزان حضرة الحق والمرآة حضرة الإنسان، فالوزن لله تعالى، والشهود لمن كانت نفسه مرآه فهو السعيد الصادق، وإنما كشف الله هذا السرّ لمن كشفه ليرى في مرآته صورة الخلق الإلهيّ وكيف صدور الأشياء وظهورها في الوجود من عنده وهو قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، فيرى من أين صدر ذلك الشيء فيكون صاحب هذا الكشف خلاقاً وهو الذي أراده الحق منه بهذا الكشف بل يعلم أنه خلاق من هذا الكشف ولم يزل كذلك وهو لا يشعر، فأفاده هذا الكشف العلم بما هو الأمر عليه لا أنه بالكشف صار خلاقاً، فأمره الله عند ذلك أن يعطي كل شيء حقه من صورته كما أعطاه الله خلقه في صورته، فلا تتوجه عليه مطالبة لمخلوق، كما لا يتوجه على الحق تعالى مطالبة لمخلوق، هذا ما أعطاه ذلك الكشف من الفائدة، فإذا أقامه الحق تعالى في فعل من أفعاله المأمور بها أو المحجور عليه فيها نظر إلى ما لها من الحق قبله فوفى ذلك الفعل حقه، فإن كان من الأمور المأمور بفعلها أعطاها حقها في نشأتها حتى تقوم سوية الخلق معدّلة النشء فلم يتوجه لذلك الفعل حق على فاعله فللّه الخلق وللعبد الحق، فالحق أعطى كل شيء خلقه، والخلق أعطى كل شيء حقه، فدخل الحق في الخلق، ودخل الخلق في الحق في هذه المسألة، وإن كان من الأمور المنهي عنها فحقها على هذا العبد أنه لا يوجدها ولا يظهر لها عيناً أصلاً، فإن لم يفعل فما وفاها حقها وتوجهت عليه المطالبة لها فلم يعط كل شيء حقه فلم يقم في الحق مقام الحق في الخلق فكان محجوجاً، فهكذا ينبغي أن تعرف الأمور والأوامر الإلهية،

وصورة التروك في الجناب الإلهيّ هو الذي لم يوجد من أحد الممكنين لوجود الآخر المرجح وجوده، فهو من حيث إنه لم يوجد ترك له، وهذه مسألة نبهناك عليها لعلمنا أنك ما تجدها في غير هذا الكتاب لأنها عزيزة التصور قريبة المتناول لمن اعتنى الله به تعطي الأدب مع الله وحفظ الشريعة على عباد الله، وهي من الأسرار المخزونة عند الله التي لا تظهر إلا على العارفين بالله ولا ينبغي كتمها عن أحد من خلق الله، فإن كتمها العالم بها فقد غش عباد الله، و «**مَنْ غَشَّنَا فلَيْسَ مِنَّا**» أي ليس من سنتنا الغش.

ولما وقفنا على هذه المسألة في كتاب الرحمة الإلهية الذي هو سرح عيون قلوب العارفين شكرنا الله تعالى حيث رفع الغطاء وأجزل العطاء فله الحمد والمنة، وإذا قام العبد صورة ما ذكرناه من كونه خلاقاً تعين عليه من تمام الصورة الإلهية التي هو عليها أن يحفظ على ما أوجده صورته ليكون له البقاء أعني لذلك الموجود عنه فيدفعه لمن يحفظ البقاء عليه وهو الله فاتخذه وكيلاً في ذلك الأمر وأمثاله عن أمر ربه فلا ينسب إلى سوء الأدب في ذلك، فالعبد في كل نفس مشغول بخلق ما أمر بخلقه، والحق بتوكيل هذا العبد له قائم بحفظ ما خلقه بإذن ربه في الخلق والتوكيل، وهذا علم دقيق إلهيّ وهو رد الحفظ إلى الله بحكم الوكالة عن أمر الله وإيجاد الأشياء عن العبد بأمر الله، فلم يزل هذا العبد في كل حال تحت أمر الله، ومن لم يزل تحت أمر الله في جميع أحواله لم يزل عند الله في شهوده أبداً دائماً دنيا وآخرة، فإنه له النشء حيث كان في الأولى والآخرة عن أمر الله، قال تعالى في حق عيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِيۖ﴾ [المائدة: ١١٠] وكذلك أمر المكلف بالعمل فما عمل إلا بإذن الله، وموطن هذا العبد واستقراره إنما هو عند ربه من حيث هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧] وهو ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ [الأعلى: ١٧] التي هي ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧] ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤ ـ ٥] وهو عطاء. كن في ظاهر العين كما هو له في الباطن، فإن الإنسان له في باطنه قوّة «كُنْ» وما له منها في ظاهره إلا الانفعال، وفي الآخرة يكون حكم كن منه في الظاهر، وقد يعطى لبعض الناس في الدنيا وليس لها ذلك العموم، فمن رجال الله من أخذ بها، ومن رجال الله من تأدب مع الله فيها لعلمه أن هذا ليس بموطن لها، ولا سيما وقد رأى الأكابر الذين لا خلاف في تقدمهم عليه وعلينا قد قيل له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقيل: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] لأنه إذا أسلم فليس من أهل النار، فلما رآها رجال الله غير عامة الحكم في هذه الدار جعلوا حكم ما لا تعم إلى حكم ما تعمه فترك الكل إلى موطنه، وهذه حالة الأدباء العلماء بالله الحاضرين معه على الدوام، فالأديب خلاق في هذه الدار بالعمل لا بكن بل ببسم الله الرحمن الرحيم ليسلم في عمله من مشاركة الشيطان حيث أمره الله بالمشاركة في الأموال والأولاد، فهو ممتثل هذا الأمر الإلهيّ حريص عليه، ونحن مأمورون باتقائه في هذه المشاركة فطلبنا ما نتقيه به لكونه غيباً عنا لا نراه فأعطانا الله اسمه، فلما سمينا الله على أعمالنا عند الشروع فيها توحدنا بها وعصمنا من مشاركة الشيطان، فإن الاسم الإلهيّ هو الذي

يباشره ويحول بيننا وبينه، وأن بعض أهل الكشف ليشهدون هذه المدافعة التي بين الاسم الإلهيّ من العبد في حال الشروع وبين الشيطان، وإذا كان العبد بهذه الصفة كان على بينة من ربه وفاز ونجا من هذه المشاركة، وكان له البقاء في الحفظ والعصمة في جميع أعماله وأحواله.

وهذا المنزل يحوي على علوم: منها علم الفرق بين الدليل والآية وأن صاحب الآية هو الأولى بنسبة الحكمة إليه وبالاسم الحكيم من صاحب الدليل، فإن الآية لا تقبل الشبهة ولا تكون إلا لأهل الكشف والوجود وليس الدليل كذلك، وفيه علم الاختراع الدائم ولا يكون في الأمثال إلا فيما تتميز به بعضها عن بعض ذلك القدر هو حكم الاختراع فيها وما وقع فيه الاشتراك فليس بمخترع فافهم، وفيه علم الخواص، وفيه علم السبب الذي لأجله لا يرفع العالم بما علمه رأساً مع تحققه أن ذلك الوضع له يضرّه، وفيه علم الفرق بين قول الإنسان في الشي نعم بفتح العين وبين كسرها وأين يقول ذلك وأين يقول لا وبلى. وفيه علم تميز الجنات بعضها من بعض هل هو تميز حالات في جنة واحدة أو تميز مساحات؟ فإن كل اسم جاءنا للجنات تستحقه كل جنة إن كان التمييز بالمساحات، فكل جنة لا نشك أنها جنة مأوى وجنة عدن وجنة خلد وجنة نعيم وجنة فردوس وهي واحدة العين وهذه الأحكام لها، ولو تميزت بالمساحات فلا بد من حكم هذه الأسماء لها، وفيه علم الفرق بين الخلود والتأبيد والتسرمد وعدم الخروج، وفيه علم الفرق بين الوعد والوعيد بالمشيئة في أحدهما دون الآخر ولماذا قبل الوعيد المشيئة دون الوعد وكلاهما إخبار إلهيّ وأين وجود الحكمة في ذلك؟ وفيه علم السماء هل هي شبه الأكرة أو شبه الخيمة؟ أو هل هي أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة فتدور الأرض لدورانها؟ وهل السماء ساكنة أو متحرّكة؟ فإن الشهود يعطي جميع ما ذكرناه وما بقي إلا علم ما هو الأمر في نفسه من غير نظر إلى شهود هل هو كما يقضي به شهود كل شاهد أم ليس كذلك؟ وفيه علم وجود الزوجين وبماذا تكرم كل واحد من الزوجين على صاحبه؟ هل هو بما هو محتاج إليه كل واحد منهما أم قد يكون بما لا حاجة فيه فلا يفرق بين العنين وبين أهله؟ وفيه علم من يدعي الألوهة هل له خلق أم لا؟ فإن المدعي الألوهة لا خلق له ألبتة في حال دعواه فإذا فارق الدعوى كان حكمه حكم كل سائر الموجودات التي ليست لها هذه الدعوى، وفيه علم حكم من اتخذ إلهاً من غير دعوى منه بل هو في نفسه عبد غير راض بما نسب إليه وعاجز عن إزالة ما ادعّى فيه وأنه مظلوم حيث سلب عند هذا المدّعي ما يستحقه وهو كونه عبداً فظلمه فينتصر الله له لا لنفسه فاتخاذ الشريك من مظالم العباد. وفيه علم الحكمة ما هي، وفيه علم إلحاق ما ليس بنبيّ مشرع بالأنبياء في الرتبة العلمية بالله تعالى، وفيه علم الوصايا والآداب الإلهية النبوية الموحى بها والملهمة إليها، وفيه علم الأخذ بالأولى والمبادرة إليه، وفيه علم ما يدخل تحت القدرة الحادثة مما لا يدخل، وفيه علم ما لا بد منه، وفيه علم الفرق بين الصوت والحرف والكلام والأنغام، وفيه علم النعم الجلية والخفية والعامة

والمقصورة، وفيه علم نجاة استناد الناظر ولو كان شبهة، وفيه علم من ينبغي أن يلحق به المذام من العالم، وفيه علم الفرق بين من رجع إلى الله عن كشف وبين من رجع إليه عن غير كشف، وفيه علم المتقدم والعاقب وهو واحد، وفيه علم ما يبنغي أن لا يؤبه بالجهل به، وفيه علم ما لا يمكن الجهل به، وفيه علم الوقت الذي يتعين فيه الثناء الجميل وعلى ماذا يتعين والأحوال كلها تطلبه والأزمان، وفيه علم ما يقع به الاكتفاء من الثناء فلا يقبل المزيد، وفيه علم حكم الكثير حكم الواحد عند الواحد واستناد الكثير إلى الكثير واستناد الكثير إلى الواحد، وفيه علم التناكح للتناسل ولغير التناسل وما هو الأعلى منهما، وفيه علم ما يشترك فيه الحق والباطل وليس ذلك إلا في الخيال، وفيه علم ما هو علم وليس بعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة

في معرفة المنزل الأقصى السَّرَياني وهو من الحضرة المحمدية

[المديد]

مَعْدِنُ الآيات في العجمِ ... وجماعُ الخَيْر في الكَلِمِ

فطرةُ الرحمن تطلُبُني ... بصنوف الحكْم والحِكَمِ

فلتَكُنْ في رَأْسِ مَرْقَبَةٍ ... كشِهَابِ لاحَ في عَلَمِ

فهو المُزْجي سَحَائِبَهُ ... في غَمَام النُّور والظُّلَمِ

واتَّبِعْ ما أنْتَ طالبُه ... وارْتَفِعْ عن مَوْضِع التُّهَمِ

هذي وَصِيَّةٌ صَدَرَتْ ... من حَدِيدِ الطَّرْفِ غَيْرِ عَمِ

اعلم أيدك الله بروح منه أن التنزيه في العبد نظير التنزيه في الحق سواء، فمن نزه الحق عند أداء ما أوجب الله عليه من العبادات في العهد الذي أخذه عليه عقلاً وشرعاً أشرك الله نفسه مع عبده في هذا الحكم بما أوجبه على نفسه له بما كتبه على نفسه من الرحمة به والوفاء بعهده وبرأ عن أداء ما أوجب عليه بأن كشف له عن قيام الحق عنه فيما كلفه من العمل الذي كان أهل الحجاب ينسبونه إليه ويقولون: إن فلاناً من ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠] ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لهذه البراءة ﴿وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] فقالوا عند هذا الشهود بنور الإيمان لا فاعل إلا الله فقالوا قولاً سديداً، وبمثل هذا القول أمر الله عباده المؤمنين أن يقولوه، فإذا قالوه أصلح لهم أعمالهم وغفر لهم ذنوبهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] فالسعيد من حال الله بينه وبين ربوبيته وأقامه عبداً في جميع أحيانه يخاف ويرجو إيماناً ولا يخاف ولا يرجى عياناً: [الخفيف]

إنّما العَبْدُ من يخافُ ويَرْجُو ... ليس بالعَبْدِ من يُخَافُ ويُرْجَى

ولهذا من كل سُوءٍ يُوقَى ... ولهذا عن كل فِعْلٍ يُزْجَى

فتراه بكل وَجْهٍ سعيداً ... وإذا زَلَّ بالقضاء ينجى

يُحْشَرُ العَبْدُ في الوفود إليه ... وإذا لم يكن بعَبْدٍ فيُرْجَى

فإذا ما نَجَا الذي يَتَّقِيهِ ... فالذي قام في المعارف أنْجَى

كلُّ من تُدْرَكُ الحقائقُ منه ... ما لديه مما لها فمُنْجَى

اعلم أيدك الله أن العالم عند الله من علم علم الظاهر والباطن، ومن لم يجمع بينهما فليس بعالم خصوصي ولا مصطفى، وسبب ذلك أن حقيقة العلم تمنع صاحبها أن يقوم في أحواله بما يخالف علمه، فكل من ادعى علماً وعمل بخلافه في الحال الذي يجب عليه عقلاً وشرعاً العمل به فليس بعالم ولا ظاهر بصورة عالم، ولا تغالط نفسك فإن وبال ذلك ما يعود على أحد إلا عليك. فإن قلت: قد نجد من يعلم ولا يرزق التوفيق للعمل بعلمه فقد يكون العلم ولا عمل. قلنا: هذا غلط من القائل به لتعلم أن مسمى العلم ينطلق اسمه على ما هو علم وما ليس بعلم فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] فأعلمنا أنهم عملوا بما علموا، ولكن لا أريد بالعلم إلا ما حصل عن مشاهدة المعلوم، فإن حصل عن دليل فكري فليس بعلم حقيقي، وإن كان في نفس الأمر علماً كما قال النبيّ ﷺ حين ذكر سورة في القرآن ولم يسمها ليختبر أصحابه فوقع في نفس بعض أصحابه أنها ربما تكون الفاتحة فأخبر النبي ﷺ أنها الفاتحة ولم تقع للصاحب على جهة القطع فقال له رسول الله ﷺ حين أخبره بما وقع له: «**لِيَهْنِكَ العِلْمُ**» فهو علم في نفس الأمر لا عند هذا الصاحب الذي وقع له ذلك، فلما كان هذا كذلك ذهب من ذهب إلى القول بالعمل بخلاف العلم مع وجود العلم، والصحيح إذا اختبرته وبحثت عليه وجدت الحق فيما ذهبنا إليه ولهذا قال رسول الله ﷺ لمن فهم عنه: «**إنَّ الله إذَا أَرَادَ إمْضَاءَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ سَلَبَ ذَوِي العُقُولِ عُقُولَهُمْ حَتَّى إذا أَمْضَى فِيهِمْ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ رَدَّهَا عَلَيْهِمْ لِيَعْتَبِرُوا**» وليس سوى ذهاب العلم عنهم والاعتبار عمل أوجبه العلم فهذا عين ما ذهبنا إليه، قال تعالى في حق قوم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فعملوا بما علموا ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] فلم يعملوا لها فإنه أغفلهم عنها فنسوا آخرتهم فتركوا العمل لها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَ: ٣٧] قال تعالى آمراً: ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني بالعلم من غفل عنه أو نسيه ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وهم الذين علموا ما ثم بنور الإيمان كشفاً ثم أنهم غفلوا، فحيل بينهم وبين ما علموه من ذلك وكان المشهود لهم ما كانوا به عالمين وفي وقت نسيانهم، فإذا ذكروا تذكروا وقام لهم شهود ما قد كانوا علموه فنفعتهم الذكرى فعملوا بما علموا فشهد الله ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. فإذا رأيت من يدعي الإيمان ويذكر فلا يقع له نفع بما ذكر به علمت أنه في الحال ليس بعالم بما آمن به فليس بمؤمن أصلاً فإن شهادة الله حق وهو صادق، وقد أعلمنا أن المؤمن ينتفع بالذكرى، وشهدنا أن هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بدّ أن نزيل عنه الإيمان تصديقاً لله، ولا معنى للنفع إلا وجود العمل منه بما علم، وما نرى أحداً يتوقف بالعمل فيما يزعم أنه عالم به إلا وفي نفسه احتمال، ومن قام له في شيء احتمال فليس بعالم به ولا بمؤمن بمن أخبره بذلك

إيماناً يوجب له العلم، مع أنك لو سألته لقال لك: ما نشك في أن ما جاء به هذا الشخص حق يعني الرسول عليه السلام وأنا به مؤمن، فهذا قول ليس بصحيح إلا في وقت دعواه عند بعض الناس، ثم إذا خلى بفكره قام معه الاحتمال فكان ذلك الذي تخيل أنه علم أمر عرض له وبعضهم لا يزول عنه الاحتمال في وقت شهادته أن هذا حق صريح مع وجود الاحتمال، وسبب هذه الشهادة بذلك أن الأمر إذا كان يحتمل أن يكون صدقاً ويحتمل أن يكون كذباً فتجلى له في الوقت صدق ورده وتصديقه لذلك الذي هو به مؤمن أحد محتملات ذلك الخبر وهو كونه صدقاً، هذا هو المشهود له في ذلك الحال، فيقطع في ذلك الوقت بصدقه وبأنه لا يشك فيه، وما علم أن ذلك من تجلي أحد محتملاته فإذا غاب عنه ذلك الوارد قامت معه المحتملات على السواء فلم يترجح عنده ذلك إلا بطريق الظن لا بالعلم، فانظر يا أخي ما أخفى غوائل النفس وما أعظم حجاب الجهل مع كونه عدماً فكيف بنا لو كان وجوداً فللّه الحمد والمنة.

وإنما نبهناك على هذا لتعلم حظك من الإيمان ومنزلتك، فإن النبيّ ﷺ يقول في الحديث الصحيح عنه: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» أي مصدق بالعقاب عليه فإنه تعالى قد يغفر، وإنّ الإيمان إذا لم يعط الكشف الذي يعطيه العلم فليس بإيمان، فاعلم أن العلم يعطي العمل من خلف حجاب رقيق وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ في الزاني إذا زنى «**خَرَجَ عَنْهُ الإيمانُ حَتَّى صَارَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ**» ولنا فيه تأويل حسن وهو أن الزاني قد تعرّض لبلاء من الله ينزل عليه فيخرج الإيمان حتى يصير عليه كالظلة يمنع نزول ذلك البلاء عليه إن نزل، فلا تغفل يا وليّ عن هذا القدر الذي نبهتك عليه، ألا ترى الله تعالى ما نصب الآيات وكثرها إلا ليحصل بها العلم لعلمه أن العلم إذا حصل لزم العمل؟ ألا ترى إلى شارب الدواء وهو علم ما شربه وتجرّع مرارته إلا لعلمه أن ثم دواء مزيلاً لهذه العلة التي يشكو منها فيقول: عسى يكون ذلك الدواء عين هذا الذي شربته فيشربه بالإمكان والترجي فكيف به لو علم أنه عين الدواء بلا شك لسارع إليه؟ فهذا حاله مع الترجي والإمكان.

فإن قلت: فقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] في حق من اتخذ إلهه هواه. قلنا: إن الإله له القوة في المألوه، وإله هذا هو هواه، فحكم عليه وأضله عن سبيل الله وأما قوله: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ يعني من أنه أضله الله على علم لا أن الضال على علم، فإن الضال هو الحائر الذي لا يعرف في أي جهة هو مطلوبه، فمتعلق على علم أضله وهو العامل فيه وهو فعل الله تعالى، والذي على الله إنما هو البيان خاصة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥] أي ليحير قوماً بعد أن هداهم في أخذ الميثاق والفطرة التي ولدوا عليها ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ فإذا أبان لهم حيرهم، فمنهم من حيره بالواسطة فشك في النبوّة وحار فيها وما تحقق أن هذا نبي فتوقف في الأخذ عنه، ومنهم من حيره في أصل النبوّة هل لها وجود أم لا، ومنهم من حيره فيما جاء به هذا النبيّ مما تحيله الأدلة النظرية فأورثهم البيان الإلهيّ هذه الحيرة وذلك لعدم الإيمان، فلم يكن

لهم نور إيمان يكشف لهم عن حقيقة ما قاله الله وأبان عنه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ هنا من إيمانه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] في القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥] فيعمل بما علم أنه يكون كوّنه، وما علم أنه لا يكون لم يكوّنه، فكان عمله بعلمه قل أنزله بعلمه، والإنزال عمل أوجده العلم، فلما أبان الحق ما أبانه لعباده فمنهم من رزقه الله العلم فعمل به، ومنهم من حرمه الله العلم فضلّ وحار وشك وارتاب وتوقف. وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فإنهم مصدقون بكتابهم، وهذا النعت فيه وقد أبصروه، فيعلمون أنه عين هذا النعت ولا يعرفون الشخص الذي قام به هذا النعت لجواز أنه يقوم ذلك النعت بأشخاص كثيرين فدخلهم الاحتمال في الشخص لا في النعت. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أنه الحق فيكتمونه عن مقلديهم وعن النبيّ عليه السلام أنهم عرفوه أنه صاحب هذا النعت ولا يلزم من العالم بالحق الإقرار به في الظاهر وإنما يستلزمه التصديق به في الباطن فهو مصدق به وإن كذبه باللسان فقد عمل بما علم وهو التصديق وقوله تعالى في مثل هذا ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] أنها آيات فعلموا وعملوا بما علموا وهو التيقن الذي هو استقرار العلم في النفس، فلولا ما علموا ما تيقنوا، وما كل عمل يعطي عموم النجاة بل يعطي من النجاة قدراً مخصوصاً من عموم أو خصوص.

فإن قلت: فإن أهل النار قد علموا صدق الله في إنفاذ الوعيد وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فلا نشك أنهم في هذه الحال حصل لهم العلم والله يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] مع هذا العلم الذوقي الذي حصل لهم. قلنا: لما علم الله أن هذه الدار الدنيا جعلها الله على طبيعة مخصوصة وجعل نشأة الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة وحب العاجلة ويقبل ضدّ هذا على حسب ما يقام فيه فعلم سبحانه أن نشأة هؤلاء الذين عينهم أنهم لو ردّوا إلى الدنيا في نشأتهم التي كانوا عليها في الدنيا لعادوا إلى نسيان ما كانوا قد علموا وجعل على أعينهم غطاء على ما لو شهدوه لعلموا الأمر فعملوا له، فهذا معنى ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] لأن النشأة ليست إلا تلك، فلو بقي لهم هذا العلم لما عادوا، ألا ترى أن النبيّ ﷺ يقول في الصحيح عنه: «**إِنَّهُ يُؤْتَى فِي القِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُغْمَسُ فِي النَّارِ غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيماً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَالله**» ومعلوم أنه رأى نعيماً ولكن حجبه شاهد الحال عن ذلك النعيم فنسيه، وكذلك صاحب البؤس إذا غمس في الجنة غمسة يقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا والله ما رأيت بؤساً قط، فكذلك لو ردّوا لكانوا بحسب النشأة والحال التي يردون فيها. وأمّا عصاة المؤمنين فإنهم عالمون بإنفاذ الوعيد ولكن لا يعلمون فيمن فلو تعين لواحد منهم أنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما قدم على سببه الذي علم أنه يحصل له إنفاذ الوعيد به، وإذا جبر في اختياره فذلك لا يعلمه لأنه لا يجد ذلك من نفسه، فإن الأمر في ذلك مشترك، وقد تقدّم قبل هذا الكلام عليه في بعض المنازل، فمن شهد الجبر في اختياره علماً من طريق

الكشف والشهود أتى المخالفة بحكم التقدير لا بحكم الانتهاك فكان عاملاً بما علم فلم يضره ذلك العمل بل هو مغفور له. واعلم أن هذا القدر الذي ذكرناه في هذه المسألة هو من العلم الذي ورد فيه الخبر الذي لفظه: «**إنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ لا يَعْلَمَهُ إلاَّ العَالِمُونَ باللهِ فَإذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيْهِمْ إلاَّ أَهْلُ الغِرَّة باللهِ**» وهذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة عرفوه وتحققوه فجعله كهيئة المكنون ما جعله مكنوناً إذ لو كان مكنوناً لانفرد به تعالى، فلما لم يعلمه إلا العلماء بالله علمنا أن العلم بالله يورث العلم بما يعلمه الله فهو مستور عن العموم معلوم للخصوص، ومعنى العلم بالله أنه لا يعلم فقد علمنا أن ثم ما لا يعلم على التعيين وما عداه فيمكن العلم به، فأكنة هذا العلم قلوب العلماء بالله فإذا نطقوا به فيما بينهم إذ لا يصح النطق به إلا على هذا الحدّ، واتفق أن يكون في المجلس من ليس من أهله ولا من أهل الله فإن أهل الله هم أهل الذكر وهم العلماء بالله أنكره عليهم أهل الغرّة بالله فأضاف أهليتهم إلى الغرة وهم الذين يزعمون أنهم عرفوا الله فمن العلم الذي هو كهيئة المكنون وما هو بمكنون هذا العلم، فإن العلم المكنون يعلم شهوداً ولا ينقال، بخلاف علوم الفكر فإنها كلها تنقال، فإذا حصلت أيضاً لصاحب الكشف من غير فكر ولا روية فإنها تنقال من غير دليل فيقبلها منه العالم بالدليل، فهذا العلم هو الذي كهيئة المكنون لأن العالم به غير عالم بالدليل، فاعلم أن الديار داران: دار تسكنها الأرواح الناطقة وهو البدن الطبيعي المسوّى المعدل الذي خلقه الله بيديه ووجه عليه صفتيه، فلما أنشأه أسكنه داراً أخرى هي دار الدار، وقسم سبحانه دار الدار قسمين: قسماً سماه الدنيا وقسماً سماه الآخرة، ثم علم ما يصلح لسكنى كل دار من الساكنين الذين هم ديار النفوس الناطقة، فخلق للدار الدنيا لفنائها وذهاب عينها وتبدل صورتها ووضعها وشكلها وخفاء حياتها ساكناً هو هذه الدار التي أسكنها النفس الناطقة، فجعل هذه النشأة مثل دار سكناها خفية الحياة فانية ذاهبة العين متبدلة الصورة والوضع والشكل فاتصف ساكنها وهو النفس الناطقة بالجهل والحجاب والشك والظن والكفر والإيمان وذلك لكثافة هذه الدار التي هي نشأته البدنية، وحال بينه وبين شهود الله، وجعله في حجر أمه ترضعه وتقوم به، فما شهد من حين أسكن هذه النشأة سوى عين أمه حتى أنه جهل أباه بعض الساكنين، ولولا أن الله منّ عليه بالنوم وجعل له في ذلك أمراً يسمى الرؤيا في قوّة تسمى الخيال فإذا نام كأنه خرج عن هذه النشأة فنظر إليه أبوه وسرّ به وألقى إليه روحاً وآنسه وبادرت إليه الأرواح وتراءى له الحق من تنزيهه، وبدا له ذلك كله في أجساد ألف شهودها من جنس دار نشأته التي فارقها بالنوم، فيظن في النوم أنه في دار نشأته التي ألفها ويعرفها ويظن في كل ما يراه في تلك المواد أنها على حسب ما شهدها، فهذا القدر هو الذي له في هذه النشأة الدنيا من الأنس بأبيه وإخوانه من الأرواح ومن الأنس بربه، ومنهم من يتقوى في ذلك بحيث إنه يرى ذلك في يقظته، وأعطاه علماً سماه علم التعبير عبر به في مشاهدة تلك الصور إلى معانيها، فإذا أراد الله أن يخلي هذه الدار الدنيا من هذه النشأة التي هي دار النفس الناطقة أرحل عن هذه النشأة روحها المدبر لها وأسكنه صورة برزخية من

الصور التي كان يلبسها في حال النوم، فإذا كان يوم القيامة وأراد الله أن ينقله إلى الدار الأخرى دار الحيوان وهي دار ناطقة ظاهرة الحياة ثابتة العين غير زائلة أنشأ لهذه النفس الناطقة داراً من جنس هذه الدار الأخرى مجانسة لها في صفتها لأنها لا تقبل ساكناً لا يناسبها فخلق نشأة بدنية طبيعية للسعداء عنصرية للأشقياء فسوّاها فعدلها ثم أسكنها هذه النفس الناطقة فأزال عنها حجب العمى والجهل والشك والظن وجعلها صاحبة علم ونعيم دائم وأراها أباها ففرحت به وأراها خالقها ورازقها وعرف بينها وبين إخوتها وانتظم الشمل بالأحباب، وأشهدها كل شي كان في الدار الأولى غائباً، وأسكن هذه النشأة الدار الأخرى المسماة جنة منها، فإنه قسم الدار الأخرى إلى منزلين هذا هو المنزل الواحد والمنزل الآخر المسمى جهنم، جعل نشأة بدن أنفسها الناطقة عنصرية تقبل التغيير وأصحبها الجهل وسلب عنها العلم فأعطى جهل المؤمنين من أهل التقليد من كان من أهل هذه الدار دار الشقاء عالماً بدقائق الأمور فدخل بذلك الجهل النار إذ كان من أهلها وهي لا تقبل العلماء، وأعطى هذا العالم الذي كان في الدنيا عالماً بدقائق الأمور ولم يكن من أهل الجنة جهل المؤمن المقلد فإن الجنة ليست بدار جهل فيرى المؤمن الأبله المقلد ما كان عليه من الجهل على ذلك العالم فيستعيذ بالله من تلك الصفة ويرى قبحها ويشكر الله على نعمته التي أعطاه إياها بما كساه وخلع عليه من علم ذلك العالم الذي هو من أهل النار وينظر إليه ذلك العالم فيزيد حسرة إلى حسرته، ويعلم أن الدار أعطت هذه الحقائق لنفسها فيقول: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين لعلمهم إذ كانوا مؤمنين، وإن كانوا جاهلين أنهم إذا انتقلوا إلى دار السعادة خلعت عنهم ثياب الجهالة وخلع عليهم خلع العلم فلا يبالون بما كانوا عليه من الجهل في الدنيا لحسن العاقبة وما علموا أنهم لو ردوا إلى الدنيا في النشأة التي كانوا عليها لعادوا إلى حكمها فإن الفعل بالخاصية لا يتبدل، فما تكلموا بما تكلموا به من هذا التمني إلا بلسان النشأة التي هم فيها وتخيلوا أن ذلك العلم يبقى عليهم، وما جعل الله في هذه النشأة الدنيا النسيان للعلماء بالشيء فيما قد علموه ويعلمون أنهم قد كانوا علموا أمراً فيطلبون استحضاره فلا يجدونه بعد ما كانوا عالمين به إلا إعلاماً وتنبيهاً أنه على كل شيء قدير بأن يسلب عنهم العلم بما كانوا به عالمين إذا دخلوا النار يختص برحمته من يشاء وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ وأي ملك أعظم من العلم وهو ما أعطاه من العلم للمؤمن المقلد الجاهل السعيد في الدار الآخرة ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ وأي ملك أفضل من العلم فينزعه من العالم غير المؤمن الذي هو من أهل النار ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بذلك العلم ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] بانتزاع ذلك العلم منه: [البسيط]

لـمّـا عَـلِـمْـتُ بـأن الله كَـلَّـفَـنـي ... عـلـمـتُ أنّـيَ مـسـؤولٌ ومَـقْـصُـودُ
وأنّـنـي لا أزال الـدَّهْـرَ أعْـبُـدُهُ ... دنـيـا وآخـرةً وَالـحَـقّ مـعـبـودُ
ومـا تَـجَـلّـى لـشـيء مـن خَـلِـيـقَـتِـهِ ... إلا ويـشـهـدُ أن الـحَـقّ مَـشْـهُـودُ
مـن عَـيْـنِ صـورتـه لا مـن حـقـيـقـتـه ... فـالأمـرُ والـشـأنُ مـوجـودٌ ومـفـقـودُ

لأننا بعيون الوجه نُبْصِرُهُ وكلنا وَجْهُهُ والوجهُ محدودُ
هو الوجودُ ومَنْ في الكون صُورَتُهُ فليس ثَمَّ سوى الرَّحْمٰنِ موجودُ
الدارُ داران دارُ الدار يَعْمُرُها دار اللطيف فما في الكون تجريدُ

ولولا أن الحقائق تعطي أن المآل إلى الرحمة في الدار الأخرى فيرحمه معنى وحساً فثم من تكون الرحمة به عين العافية لا غير وارتفاع الآلام، وهذا مخصوص بأهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها لما حصل لهم فيها من العافية بزوال الآلام فاستعذبوا ذلك، فهم أصحاب عذاب لا أصحاب ألم ولا يحيون أي ما لهم نعيم كنعيم أهل الجنان الذي هو أمر زائد على كونهم عافاهم من دار الشقاء: [البسيط]

في القَلْبِ مِنْكَ لهيبٌ ليس يُطْفِيهِ إلا الذي بشُهُود الحِسِّ يُنْشِيهِ
إنّي أخافُ على الأشراف من شَرَفٍ فمن يمرُّ على قلبي فيُنْبيهِ
إذا أتَى صاحبُ العاهات يطلبُه فإنه بشهود الحال يُبْرِيهِ
وما يُعِيدُ على قلبي تَنَعُّمَهُ إلا الذي كان قبل اليَوْم يُبْدِيهِ

واعلم أنه من زعم اليوم أن العلم هو السعادة فإنه صادق بأن العلم هو السعادة وبه أقول، ولكن فاته ما أدركه أهل الكشف وهو أنه إذا أراد الله شقاوة العبد أزال عنه العلم فإنه لم يكن العلم له ذاتياً بل اكتسبه وما كان مكتسباً فجائز زواله ويكسوه حلة الجهل، فإن عين انتزاع العلم جهل ولا يبقي عليه من العلم إلا العلم بأنه قد انتزع عنه العلم، فلو لم يبق الله تعالى عليه هذا العلم بانتزاع العلم لما تعذب، فإن الجاهل الذي لا يعلم أنه جاهل فارح مسرور لكونه لا يدري ما فاته، فلو علم أنه قد فاته خير كثير ما فرح بحاله ولتألم من حينه فما تألم إلا بعلمه ما فاته أو مما كان عليه فسلبه، ولقد أصابني ألم في ذراعي فرجعت إلى الله بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدباً مع الله حتى لا أقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ويدعون في ذلك أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فجمعوا بين جهالتين، ولما تحققت ما حققني الله به في ذلك الوجع قلت: [مخلع البسيط]

شكوتُ منه ومِنْ ذراعي وذاك مِنّي لضِيقِ بَاعي
فقلتُ للنفس تَدَّعِيهِ فأين دعواكِ في اتّساعي
قالت أنا أشتكيك منه له فضُرِّيَ عينُ انتفاعي
لولا التَّشَكّي مما أقاسي خرجتُ عنه وعن طِبَاعي
وذاك جَهْلٌ يَدْرِيهِ قَلْبُ صَاحِبِ حَالٍ بالاتِّبَاعِ
لولا شُرُودي عنه بجَهْلي لما دعاني إليه داعِ
فقُلْتُ لَبَّيْكَ من دَعَاني فقال أبْغي عَيْنَ المَتَاعِ
قد نفق الشوق فاغْتَنِمْه فعَيْنُ وَصْلي عَيْنُ انقِطَاعي

فخف عني ما كنت أجده وغاب عني ما كنت أشهده: [الطويل]

فلولا وجودُ العَقْل ما كنتُ أَدْريهِ ولولا وجودُ اللّوح ما كنت أمْليهِ

ولولا شُهُودُ الكَوْنِ ما كنت أُوفيهِ ولولا حُصُولُ العِلْمِ ما كُنْتُ أُجْرِيهِ
فمن قال إنّ الخَلْقَ يَعْرِفُ كَوْنَهُ فما عنده عِلْمٌ بما حَقُّهُ فِيهِ
ويكفيه هذا القَدْرُ مِنْ جَهْلِهِ بما هو الأَمْرُ في عين الحقيقة يَكْفِيهِ

إذا انكشفت الحقائق فلا ريب ولا مين وبان صبحها لذي عينين كان الاطلاع وارتفع النزاع وحصل الاستماع، ولكن بينك وبين هذه الحال مفاوز مهلكة وبيداء معطشة وطرق دارسة وآثار طامسة، يحار فيها الخرّيت فلا يقطعها إلا من يحيي ويميت لا من يحيا ويموت، فكيف حال من يقاسي هذه الشدائد ويسلك هذه المضايق، ولكن على قدر آلام المشقات يكون النعيم بالرحات، وما ثم بيداء ولا مفازة سواك، فأنت حجابك عنك فزل أنت وقد سهل الأمر، فمن علم الخلق علم الحق، ومن جهل البعض من هذا الشأن جهل الكل، فإن البعض من الكل فيه عين الكل من حيث لا يدري، فلو علم البعض من جميع وجوهه علم الكل، فإن من وجوه كونه بعضاً علم الكل، وهذا المنزل من المنازل التي كثرت آياتها واتضحت دلالاتها، ولكن الأبصار في حكم أغطيتها والقلوب في أكنتها والعقول مشغولة بمحاربة الأهواء، فلا تتفرغ للنظر المطلوب منها.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم مقاومة الأعداء وتقابل الأهواء بالأهواء فإن العقول إن لم تدفع الهوى بالهوى لم تحصل على المقصود فإن النفوس ما اعتادت إلا الأخذ عن هواها فإذا كان العقل عالماً بالسياسة حاذقاً في إنشاء الصور أنشأ للنفس صورة مطلوبه في عين هواها فقبلته قبول عشق فظفر بها، وفيه علم خواص الأعداد والحروف، وفيه علم بسائط الأعداد وما حكمها فيما تركب منها وهل يبقى فيها مع التركيب خواصها التي لها من كونها بسائط أم لا؟ وفيه علم الظروف الزمانية وبيد من هي، وفيه علم الزمان المستقبل إذا كان حالاً ما حكمه؟ وفيه علم أحدية العلم وما ينسب إليه من الكثرة ليس لعينه وإنما ذلك لمتعلقاته، وفيه علم ما ينتجه النظر الفكري في الظروف المكانية، وفيه علم آجال الأكوان في الدنيا والآخرة مع كون الآخرة لا نهاية لها وعموم قوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] فلا بدّ لكل شيء من غاية والأشياء لا يتناهى وجودها فلا تنتهي غاياتها، فالله يجدد في كل حين أشياء، وكل شيء له غاية تلك الغاية هي أجله المسمى، فليس الأجل إلا لأحوال الأعيان، والأعيان غايتها عين لا غاية، وفيه علم الحقيقة والمجاز والاعتبار ومم يعبر وإلى ماذا يعبر وما فائدة ذلك؟ وفيه علم عمارة الدارين وهو الذي ذكرنا منه طرفاً في هذا الباب وما استوفيناه، وفيه علم اختلاف أحكام أحوال الساعة، وفيه علم اختلاف المكلفين في أحوالهم وأن الله يخاطب كل صنف من حيث ما هو ذلك الصنف عليه لا يزيده على ذلك، وفيه علم يقضي بأن الأمر بدء كله لا إعادة فيه، وفيه علم كون الحق ينزل في الخطاب إلى فهم المخاطب وكله حق وإن تناقض وظهر فيه تقابل فثم عين واحدة تجمعه كالسواد والبياض ضدان متقابلان يجمعهما اللون وكالألوان حقائق مختلفة يجمعهنّ العرض، وفيه علم التوحيد بعين التشبيه، وفيه علم التفضيل، وفيه علم حكم كلمات الله

حكم خلق الله، وفيه علم تكوين الأعمال الكونية وإقامتها صوراً، وفيه علم الجمع والوجود، وفيه علم ما تقتضيه النشأة الطبيعية من الأحكام، وفيه علم العلل والأسباب والجزاء، وفيه علم الفرق بين أسباب الدنيا وأسباب الآخرة وفضل أسباب الدنيا عليها، وفيه علم ما يعود على الإنسان من عمله وما يضيف إلى الله من ذلك يضيفه إلى نفسه، وفيه علم التكوين الإلهي من الأسباب الكونية وهي الآثار العلوية البرزخية لا غير، وفيه علم تغير الأحوال لتغير الحركات الفلكية، وفيه علم حال الحيوان من حين نشأته إلى حين موته، وفيه علم القياس الإلهي، وفيه علم تأثير الكون في الكون وعلم ما يتقى به ذلك التأثير، وفيه علم القيامة وأحوالها ومراتبها، وفيه علم أمر العالم بجملته، وفيه علم فضل أهل النواميس الإلهية على أهل النواميس العقلية الحكمية، فهذا ذكر أكثر ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل السبل المولدة وأرض العبادة
واتساعها وقوله تعالى: ﴿يا عبادي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾

[المديد]

مـــــا لأرضِ الله واســــــعـــــةٌ ... وسَـــمـــاء الله تَــــنْـــكِــحُـــهَـــا
مــجـــمـــعُ الأبـــواب مـــغـــلـــقـــةٌ ... ويَـــمـــيـــنُ الـــجُـــود تَـــفْـــتَـــحُـــهَـــا
وصُــــدُورِ ضــــاقَ مَــــسْــــكَــــنُــــهـــا ... وبِـــنُـــور الـــعِـــلْـــم يَـــشْـــرحُـــهـــا
مـــبـــهـــمـــاتُ الـــسّـــرّ مـــظـــلـــمـــةٌ ... وعـــلـــومُ الـــكَـــشْـــفِ تُـــوضِـــحُـــهـــا
كـــلّ مـــا أُعْـــطِـــيـــتَ مِـــنْ نِـــعَـــم ... حـــضـــرةُ الـــمِـــحْـــســـانِ تَـــمْـــنَـــحُـــهـــا
ثُـــمّ إن قـــام الـــفـــســـادُ بـــهـــاَ ... فـــعـــســـى الـــرّحـــمـــنُ يُـــصْـــلِـــحُـــهـــا
ثُـــــمّ إن شَـــــذَّتْ وإنْ عَـــــدَلَـــــتْ ... فـــلـــجـــامُ الـــهَـــدْي يَـــكْـــبَـــحُـــهـــا
كـــــلُّ دَعْـــــوَى غَـــــيْـــــرُ صـــــادقـــــةٍ ... فـــلـــســـانُ الـــعَـــجْـــزِ يَـــفْـــضَـــحُـــهـــا
زَنْـــــد ذي الـــبَـــلْـــوَى بـــكـــل أذًى ... مـــن بـــلاء الـــكَـــوْن يَـــقْـــدَحُـــهَـــا

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] ولم يقل منها ولا إليها فهي أرض الله سواء سكنها من يعبده أو من يستكبر عن عبادته، وقال عز من قائل: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] فأضافها إليه أشدّ إضافة من قوله: «إن أرض الله» وكذلك أضاف العباد إليه إضافة الأرض إضافة اختصاص، وكذلك أضافهم في الأمر بالعبادة إليه فقال: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] وقال في غير هذا الموطن: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧] فمن عرف قدر هذه الإضافة إلى المتكلم عرف قدر ما بين الإضافتين وإن كان المقصود بالعبادة واحداً فضيق في توسعه في إضافتهم إلى المتكلم، ووسع في إضافتهم إلى الاسم، وهنا أسرار لا يعلمها إلا من يعلم الأمر على ما هو

عليه في نفسه وهو قوله عليه السلام لما فتح مكة: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْح**» مع أن مكة أشرف البقاع وأنها بيت الله الذي يحج إليه من مشارق الأرض ومغاربها، ولكن أمر وعظم الأجر لمن يهاجر منها من أجل ساكنيها، فلما فتحها الله وأسكنها المؤمنين من عباده قال: «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْح**» فمن فتح الله عليه رآه في كل شيء أو عين كل شيء فلم يهاجر لأنه غير فاقد، فإن هاجرَ فعن أمره فيهاجر به منه إليه عن أمره مثل خروجه إلى أداء الصلاة في مسجد الجماعة، ومثل خروجه إلى مكة يريد الحج، وكخروجه أيضاً إلى الجهاد وإلى الزيارة، وزيارة أخ في الله تعالى، أو في السعي على العيال، فهذا كله ليس بهجرة على الحقيقة وإنما هي سياحة عن أمر إلهيّ على شهود، فإن لم يكن على شهود ولا كأنه شهود فما هو مطلوبنا في هذا الموضع، فإن أدنى مرتبة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.

ولما خلق الله الإنسان الكامل بالصورتين الموجود بالنشأتين الذي جمع الله له بين الاسمين الأوّل والآخر وأعطاه الحكمين في الظاهر والباطن ليكون بكل شيء عليماً خلقه من تراب الأرض أنزل موجود خلق ليس وراءها وراء كما أنه ليس وراء الله مرمى، فجعل مسكنه في أشرف الأماكن وهو النقطة التي يستقر عليها عمد الخيمة، وجعل العرش المحيط مكان الاستواء الرحماني كما يليق بجلاله إعلاماً بالارتباط الإلهي الذي بين العرش والأرض وما بينهما من مراتب العالم المتحيز العام للمساحات من الأفلاك والأركان، فجميع العالم في جوف العرش إلا الأرض فإنها مقر السرير، فلما أراد الله أن يخلقنا لعبادته قرب الطريق علينا فخلقنا من تراب في تراب وهو الأرض التي جعلها الله ذلولاً والعبادة الذلة، فنحن الأذلاء بالأصل لا نشبه من خلق نوراً من النور وأمر بالعبادة فبعدت عليهم الشقة لبعد الأصل مما دعاهم إليهم من عبادته، فلولا أن الله أشهدهم بأن خلقهم في مقاماتهم ابتداء لم ينزلوا منها فلم يكن لهم في عبادتهم ارتقاء كما لنا ما أطاقوا الوفاء بالعبادة فإنّ النور له العزة ماله الذلة، فمن عناية الله بنا لما كان المطلوب من خلقنا عبادته أن قرب علينا الطريق بأن خلقنا من الأرض التي أمرنا أن نعبده فيها، ولما عبد منا من عبد غير الله غار الله أن يعبد في أرضه غيره فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي حكم فما عبد من عبد غير الله إلا لهذا الحكم فلم يعبد إلا الله وإن أخطؤوا في النسبة إذ كان لله في كل شيء وجه خاص به ثبت ذلك الشيء فما خرج أحد عن عبادة الله.

ولما أراد الله أن يميز بين من عبده على الاختصاص وبين من عبده في الأشياء أمر بالهجرة من الأماكن الأرضية التي يعبد الله فيها في الأعيان ليميز الله الخبيث من الطيب، فالخبيث هو الذي عبد الله في الأغيار، والطيب هو الذي عبد الله لا في الأغيار، وجعل تعالى هذه الأرض محلاً للخلافة فهي دار ملكه وموضع نائبه الظاهر بأحكام أسمائه، فمنها خلقنا وفيها أسكننا أحياء وأمواتاً ومنها يخرجنا بالبعث في النشأة الأخرى حتى لا تفارقنا العبادة حيث كنا دنيا وآخرة، وإن كانت الآخرة ليست بدار تكليف ولكنها دار عبادة، فمن لم يزل منا مشاهداً لما خلق له في الدنيا والآخرة، فذلك هو العبد الكامل المقصود من العالم

النائب عن العالم كله الذي لو غفل العالم كله أعلاه وأسفله زمناً فرداً عن ذكر الله وذكره هذا العبد قام في ذلك الذكر عن العالم كله وحفظ به على العالم وجوده، ولو غفل العبد الإنساني عن الذكر لم يقم العالم مقامه في ذلك وخرب منه من زال عنه الإنسان الذاكر، قال النبي ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَفِي الأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: الله الله**» ولما خلق الله هذه النشأة الإنسانية وشرّفها بما شرفّها به من الجمعية ركب فيها الدعوى وذلك ليكمل بها صورتها فإن الدعوى صفة إلهية قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] فادّعى أنه لا إله إلا هو وهي دعوى صادقة، فمن ادّعى دعوى صادقة لم تتوجه عليه حجة وكان له السلطان على كل من ردّ عليه دعواه لأن له الشدّة والغلبة والقهر لأنه صادق والصدق الشدّة فلا يقاوم.

ولما كانت الدعوى خبراً والخبر نسبة الصدق إليه ونسبة الكذب على السواء بما هو خبر يقبل هذا وهذا علمنا عند ذلك أنه لا بد من الاختبار، فادعى المؤمن الإيمان وهو التصديق بوجود الله وأحديته وأنه لا إله إلا هو وأن كل شيء هالك إلا وجهه، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، فلما ادعى بلسانه أن هذا مما انطوى عليه جنانه وربط عليه قلبه احتمل أن يكون صادقاً فيما ادعاه أنه صفة له، ويحتمل أن يكون كاذباً في أن ذلك صفة له فاختبره الله لإقامة الحجة له أو عليه بما كلفه من عبادته على الاختصاص لا العبادة السارية بسريان الألوهة ونصب له وبين عينيه الأسباب وأوقف ما تمس حاجة هذا المدعي على هذه الأسباب فلم يقض له بشيء إلا منها وعلى يديها، فإن رزقه الله نوراً يكشف به ويخترق سدف هذه الأسباب فيرى الحق تعالى من ورائها مسبباً اسم فاعل أو يراه فيها خالقاً وموجداً لحوائجه التي اضطره إليها، فذلك المؤمن الذي هو على نور من ربه وبينه من أمره الصادق في دعواه الموفي حق المقام الذي ادّعاه بالعناية الإلهية التي أعطاه ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] فقال بعد إقراره بربوبية خالقه لما أشهده على نفسه في أخذ الميثاق حين قال له ولأمثاله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فلما أوجده في هذه الدنيا أوجده على تلك الفطرة فقال بألوهية الأسباب التي رزقه الله منها وجعلها حجباً بينه وبين الله، ولم يكن له نور يهتدي به في ظلمات البر والبحر وليس إلا النجوم وهي هنا نجوم العلم الإلهي، فأضاف الألوهة إلى غير مستحقها فكذب في دعواه لكثرة الأسباب وإقراره في شركه بأن ذلك قربة منه إلى الله خالق الأسباب وجعلها آلهة فلم يصدق قوله لا إله إلا هو، ولهذا قال من قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [صٓ: ٥] وليس العجب إلا ممن كثر الآلهة والذي لم يقل بنسبة الألوهة للأسباب لكنه لم ير إلا الأسباب وما حصل له من الكشف ما يخرجه عنها مع توحيد الألوهة، كان ذلك شركاً خفياً لا يشعر به صاحبه أنه شرك يحجبه عن الأمر العالي الذي طلب به، فلم يوجد صاحب هذه الدعوى في توحيد الله وتوحيده في أفعاله مع الاضطراب عند فقد السبب وسكونه عند وجوده صادقاً فنقصه على قدر ما فاته من ذلك هذا ولم يجعل للأسباب آلهة.

فإن قلت: فالمشرك الذي ادعى أنه مشرك فهو صادق في دعواه أنه مشرك فلماذا لم

ينفعه صدقه؟ قلنا: هو كاذب في دعواه في نسبة الألوهة إلى من ليس بالإله هذه دعواه التي كفر بها فهو صادق في أنه مشرك وليس بصادق في أن الشركة في الألوهة صحيحة لأنه بحث عن ذلك بأدلة العقلية والشرعية فلم يوجد لما ادّعاه عين في الصدق فاختبر الله العباد بما شرع لهم بإرسال الرسل واختبر الله المؤمنين بالأسباب، فكل صنف اختبره بحسب دعواه، فمن صدق أورثه ذلك الصدق ما تعطيه دعواه ولهذا يسأل الصادقين عن صدقهم فيما صدقوا فيه، هل صدقوا فيما أمروا به وأبيح لهم؟ أو هل صدقوا في إتيان ما حرم عليهم إتيانه مع كونهم صادقين فيقال لهم فيم صدقتم؟ فإن النمامين صادقون والمغتابين صادقون وقد ذمهم الله وتوعد على ذلك مع كونه صدقاً فلهذا يسأل الصادقين عن صدقهم فيما صدقوا، فهذا من اختبار الله إياهم، وأصل هذا كله ما ركب فيهم من الدعاوى، مما اختبرهم الله به في الخطاب أن جعل ما ابتلاهم به ليعلم الله الصادق في دعواه من الكاذب، فأنزل نفسه في هذا الاختبار منزلة من يستفيد بذلك علماً وهو سبحانه العالم بما يكون منهم في ذلك قبل كونه، فمن المنزهة في زعمهم من يقول إن الله لا يستفيد من ذلك علماً فإنه لا يعلم الأمر من حيث ما هو واقع من فلان على التعيين، فردّ كلام الله وتأوّله إذ خاف من وقوع الأذى به لذلك، ومن الظاهرية من التزم أنه يعلم بذلك الاختبار وقوفاً عند هذا اللفظ، ومن الناس من صرف ذلك إلى تعلق العلم به عند الوقوع، فالعلم قديم والتعلق حادث، ومن المؤمنين من سلم علم ذلك إلى الله وآمن به من غير تأويل معين وهذا هو أسلم ما يعتقد، وهذا كله ابتلاء من الله لعباده الذين ادعوا الإيمان به بألسنتهم فإنه قال حتى نعلم كما قاله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] فميز بينهما فيجازي المجاهد بجزاء معين، ويجازي الصابر عليه بجزاء معين، وقال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣] لما ذكر الفتنة وهي الاختبار. فإذا نظر الإنسان إلى نشأته البدنية قامت معه الأرض التي خلق منها وجعل منها غذاؤه وما به صلاح نشأته لم يرزقه الله في العادة من غيرها، ومن خرق الله فيه العادة بأن لم يرزقه منها رزقه من أمر طبيعي خفي، وهو السبب الذي أبقى عليه حياته به فوفر عليه حرارته ورطوبته التي هي مادة حياته بأمر لطيف لا يعلمه إلا الله، ومن أطلعه عليه لأن الله لما وضع الأسباب لم يرفعها في حق أحد، وإنما أعطى الله بعض عباده من النور ما اهتدى به في المشي في ظلمات الأسباب غير ذلك ما فعل به فعاينوا من ذلك على قدر أنوارهم فحجب الأسباب مسدلة لا ترفع أبداً فلا تطمع، وإن نقلك الحق من سبب فإنما ينقلك بسبب آخر فلا يفقدك السبب جملة واحدة فإنه حبل الله الذي أمرك بالاعتصام به وهو الشرع المنزل وهو أقوى الأسباب وأصدقها، وبيده النور الذي يهتدى به في ظلمات بر هذه الأسباب وبحرها، فمن عمل كذا وهو السبب فجزاؤه كذا فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ولكن سل الله تعالى رشة من ذلك النور على ذاتك، وأظهر الأمور اللطيفة أن جعل بدنك ذا مسام، وأحاط بك الهواء الذي هو مادة الحياة الطبيعية فإنه حار رطب بالذات، وجعل فيك قوّة جاذبة فقد تجذب في وقت

فقدك الأسباب المعتادة الهواء من مسامك فتغذي به بدنك وأنت لا تشعر، وقد علمنا أن من الحشرات من يكون غذاؤه من مسام بدنه مما يجذبه من الرطوبات على ميزان خاص يكون له به البقاء من غير إفراط ولا تفريط.

ثم لتعلم أيها الأخ الولي أن أرض بدنك هي الأرض الحقيقية الواسعة التي أمرك الحق أن تعبده فيها وذلك لأنه ما أمرك أن تعبده في أرضه إلا ما دام روحك يسكن أرض بدنك، فإذا فارقها أسقط عنك هذا التكليف مع وجود بدنك في الأرض مدفوناً فيها فتعلم أن الأرض ليست سوى بدنك، وجعلها واسعة لما وسعته من القوى والمعاني التي لا توجد إلا في هذه الأرض البدنية الإنسانية. وأمّا قوله: فتهاجروا فيها فإنها محل للهوى ومحل للعقل فتهاجروا من أرض الهوى منها إلى أرض العقل منها، وأنت في هذا كله فيها ما خرجت عنها، فإن استعملك الهوى أرداك وهلكت، وإن استعملك العقل الذي بيده سراج الشرع نجوت وأنجاك الله به، فإن العقل السليم المبرأ من صفات النقص والشبه هو الذي فتح الله عين بصيرته لإدراك الأمور على ما هي عليه فعاملها بطريق الاستحقاق فأعطى كل ذي حق حقه، ومن لم يعبد الله في أرض بدنه الواسعة فما عبد الله في أرضه التي خلق منها فإن الله يقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧، ٨] وهو الماء الذي نبع من هذه الأرض البدنية واستقر في رحم المرأة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ [السجدة: ٩] فبعد تسوية أرض البدن وقبوله الاشتعال بما فيه من الرطوبة والحرارة نفخ الله فيه فاشتعل فكان ذلك الاشتعال روحاً له فما خرج إلا منه فمنه خلق، وجعل العقل في هذه النشأة نظير القمر في الأرض نوراً يستضاء به ولكن ما له ذلك النفوذ بالحجب المانعة من البيوت والجدران والأكنة. وجعل الشرع لهذا العقل في هذه الأرض البدنية سراجاً فأضاءت زوايا هذه الأرض بنور السراج فأعطى من العلم بها مما فيها ما لم يعطه نور العقل الذي هو بمنزلة القمر، ثم يعيدنا فيها يعني في النشأة الأخرى أيضاً كما خلقنا فيها ويخرجنا إخراجاً لمشاهدته كما أنشأنا منها وأخرجنا لعبادته، فخلق أرواحنا من أرض أبداننا في الدنيا لعبادته، وأسكننا أرض أبداننا في الآخرة لمشاهدته إن كنا سعداء، كما آمنا به في النشأة الأولى لما اعتنى الله بنا، والحال مثل الحال سواء في تقسيم الخلق في ذلك، وكذلك يكونون غداً، والموت بين النشأتين حالة برزخية تعمر الأرواح فيها أجساداً برزخية خيالية مثل ما أعمرتها في النوم وهي أجساد عن هذه الأجسام الترابية، فإن الخيال قوّة من قواها، فما برحت أرواحها منها أو مما كان منها فاعلم ذلك فأرض الله التي هي ركن موجودة وأنت فيها مدفون، وما أمرت بعبادة ربك، وما دمت في أرض بدنك الواسعة مع وجود عقلك وسراج شرعك فأنت مأمور بعبادة ربك، فهذه الأرض البدنية لك على الحقيقة أرض الله الواسعة التي أمرك أن تعبده فيها إلى حين موتك، ومن مات فقد قامت قيامته وهي القيامة الجزئية وهو قوله: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] فإذا فهمت القيامة الجزئية بموت هذا الشخص المعين علمت القيامة العامة لكل ميت كان عليها، فإن مدّة البرزخ هي للنشأة الآخرة بمنزلة حمل المرأة الجنين في بطنها ينشئه الله نشأ بعد نشء فتختلف عليه

أطوار النشء إلى أن يولد يوم القيامة، فلهذا قيل في الميت إنه إذا مات فقد قامت قيامته أي ابتدأ فيه ظهور نشأة الأخرى في البرزخ إلى يوم البعث من البرزخ، كما يبعث من البطن إلى الأرض بالولادة، فتدبير نشأة بدنه في الأرض زمان كونه في البرزخ ليسويه ويعدله على غير مثال سبق مما ينبغي للدار الآخرة فيعبده فيها أعني في أرض نشأته الأخراوية عبادة ذاتية لا عبادة تكليف، فإن الكشف يمنعه أن يكون عبداً لغير من يستحق أن يكون له عبداً كما ينال هذا المقام رجال الله هنا. ولما خلق الله أرض بدنك جعل فيها كعبة وهو قلبك وجعل هذا البيت القلبي أشرف البيوت في المؤمن فأخبر أن السموات وفيها البيت المعمور والأرض وفيها الكعبة ما وسعته وضاقت عنه ووسعه هذا القلب من هذه النشأة الإنسانية المؤمنة، والمراد هنا بالسعة العلم بالله سبحانه، فهذا يدلك على أنها الأرض الواسعة وأنها أرض عبادتك فتعبده كأنك تراه من حيث بصرك لأن قلبك محجوب أن يدركه بصرك فإنه في الباطن منك فتعبد الله كأنك تراه في ذاتك كما يليق بجلاله وعين بصيرتك تشهده فإنه ظاهر لها ظهور علم، فتراه بعين بصيرتك وكأنك تراه من حيث بصرك، فتجمع في عبادتك بين الصورتين: بين ما يستحقه تعالى من العبادة في الخيال وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال فتعبده مطلقاً ومقيداً وليس ذلك لغير هذه النشأة، فلهذا جعل هذه النشأة المؤمنة حرمه المحرم وبيته المعظم المكرم، وقد أشرت إلى هذا المعنى بقولي: [مجزوء الرجز]

مــن كــان حَــقّــاً كُــلُّــهُ	قــد زَاَل عَــنْــهُ كــلّــهُ
فــالــحَــقُّ شــخــصٌ قــائــمٌ	وأنــتَ مــنــه ظــلُّــهُ
أو أنْــتَ فــيــه ظــلُّــهُ	فــالأمــرُ حَــقٌّ كُــلُّــهُ
حــرامُــه مُــحْــتَــرمٌ	فــالــحــلُّ لا يــحــلُّــهُ
عــن كُــلِّ مــا لا يــنــبــغــي	فــإنــه يُــجِــلُّــهُ

فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله على الغيب إلا الإنسان الكامل المؤمن فإنه يعبده على المشاهدة، ولا يكمل العبد إلا بالإيمان فله النور الساطع، بل هو النور الساطع الذي يزيل كل ظلمة، فإذا عبده على الشهادة رآه جميع قواه فما قام بعبادته غيره، ولا ينبغي أن يقوم بها سواه، فما ثم من حصل له هذا المقام إلا المؤمن الإنساني فإنه ما كان مؤمناً إلا بربه فإنه سبحانه المؤمن. واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة وما لك قدم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به الدرجة العليا، وهو أن تعلم أن الله ما خلق الخلق على مزاج واحد بل جعله متفاوت المزاج، وهذا مشهود بالبديهة والضرورة لما بين الناس من التفاوت في النظر العقلي والإيمان، وقد حصل لك من طريق الحق أن الإنسان مرآة أخيه، فيرى منه ما لا يراه الشخص من نفسه إلا بوساطة مثله، فإن الإنسان محجوب بهواه متعشق به، فإذا رأى تلك الصفة من غيره وهي صفته أبصر عيب نفسه في غيره فعلم قبحها إن كانت قبيحة أو حسنها إن كانت ذات حسن.

واعلم أن المرائي مختلفة الأشكال وأنها تصير المرئي عند الرائي بحسب شكلها من

طول وعرض واستواء وعوج واستدارة ونقص وزيادة وتعدد وكل شيء يعطيه شكل تلك المرآة، وقد علمت أن الرسل أعدل الناس مزاجاً لقبولهم رسالات ربهم، وكل شخص منهم قبل من الرسالة قدر ما أعطاه الله في مزاجه من التركيب، فما من نبيّ إلا بعث خاصة إلى قوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور، وأن محمداً ﷺ ما بعثه الله إلا برسالة عامة إلى جميع الناس كافة، ولا قبل هو مثل هذه الرسالة إلا لكونه على مزاج عام يحوي على مزاج كل نبيّ ورسول، فهو أعدل الأمزجة وأكملها وأقوم النشآت، فإذا علمت هذا وأردت أن ترى الحق على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية فاعلم أنك ليس لك ولا أنت على مثل هذا المزاج الذي لمحمد ﷺ، وأن الحق مهما تجلى لك في مرآة قلبك فإنما تظهره لك مرآتك على قدر مزاجها وصورة شكلها، وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد ﷺ في العلم بربه في نشأته، فالزم الإيمان والاتباع واجعله إمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك، فإذا فعلت هذا علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لمحمد ﷺ في مرآته، وقد أعلمتك أن المرآة لها أثر في ناظر الرائي في المرئي، فيكون ظهور الحق في مرآة محمد ﷺ أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما هي مرآته عليه، فإذا أدركته في مرآة محمد ﷺ فقد أدركت منه كمالاً لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك، ألا ترى في باب الإيمان وما جاء في الرسالة من الأمور التي نسب الحق لنفسه بلسان الشرع مما تحيله العقول، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا من ذلك من حيث نظرنا العقلي شيئاً ألبتة بل نرده ابتداء ونجهل القائل؟ فكما أعطاه بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق، كذلك قصرت أمزجتنا ومرائي عقولنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلى في مرآة محمد ﷺ أن تدركه في مرآتها، وكما آمنت به في الرسالة غيباً شهدته في هذا التجلي النبوي عيناً: [مجزوء الوافر]

فلَوْلاهُ ولَوْلانا	لما كانَ الذي كانا
ولا جاءت رسالاتٌ	من الرحمن مَوْلانا
بأخْبارِ وأحكام	وسُمّي ذاك تِبْيَانَا
وتوراةً وإنْجيلاً	وفُرْقَاناً وقُرْآنا
وسمّاهُ أولو الألبا	ب بالأفكار بُرْهانَا
وثَلّث ذاك إسلاماً	وإيماناً وإحْسَانا
فسُبْحان الذي أسْرَى	به ليَرَاهُ مخْسَانَا
وخصّ بصورة الرحمـ	ـن من سمّاه إنسانا
وجاءت رُسْلُهُ تَتْرَى	زَرَافاتٍ ووِحْدَانا
وأعطانا وحابانا	هنا ما شاء كِتْمَانا
وجَنّات وأنْهاراً	ورَوْحاً ثُمّ رَيْحَانا
وكَشْفاً ثُمّ إشْهاداً	وإسْراراً وإعْلانا

فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة، فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نبيك ﷺ، واحذر أن تشهده في مرآتك أو تشهد النبي وما تجلى في مرآته من الحق في مرآتك فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية، فالزم الاقتداء والاتباع ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك، فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى والشهود الكامل في المكانة الزلفى، وقد أبلغت لك في النصيحة كما أمرت، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم مرتبة الحسبان والظنون وعلم التقرير الإلهي، وفيه علم الأسرار الخفية عن أكثر الناس، وفيه علم الأفراد، وفيه علم الملاحم، وفيه علم المسابقة وأين حلبة المسابقة التي بين الله وبين عباده وهو علم شريف فيه من الرحمة الإلهية ما لا يصفه واصف، وفيه علم الردّ على من يقول بإنفاذ الوعيد وشمول الرحمة للجميع وذلك أن الإنسان إذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء وأنه جار في شأو الانتقام بما وقع منه وأن الله يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورحيم ورؤوف، فالعبد يسابق بالمعاصي والسيئات الحق تعالى إلى الانتقام والحق أسبق فيسبق إلى الانتقام قبل وصول العبد بالسيئات إليه فيجوزه بالغفار وأخواته من الأسماء فإذا وصل العبد إلى آخر الشأو في هذه الحلبة وجد الانتقام قد جازه الغفار وحال بينه وبين العصاة وهم كانوا يحكمون على أنهم يصلون إليه قبل هذا وهو قوله تعالى في العنكبوت: [الآية: ٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ أي يسبقون بسيئاتهم مغفرتي وشمول رحمتي ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بل السبق لله بالرحمة لهم هذا غاية الكرم، وهذا لا يكون إلا في الطائفة التي تقول بإنفاذ الوعيد فيمن يموت على غير توبة، فإذا مات العاصي تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله أن تلقاه فيه، وفيه علم قول النبيّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**» ولم يقل لم يلقه فما كره الله إلا لقاءه الذي كره وهو أن يلقاه آخذاً له على جريمته ومنتقماً فكره الله أن يلقاه بما كره هذا المسيء فلقيه تعالى بالمغفرة والرضوان لأنه علم أنه ما كره لقاء الله مع كونه مؤمناً بلقائه إلا لما هو عليه من المخالفة فكره الله لقاءه بما تستحقه المخالفة من العقوبة فلقيه بالعفو والمغفرة، وفيه علم ما تستحقه الذات لنفسها لا من حيث اتصافها بأنها إله. وفيه علم أن رد الأمور كلها وإن كانت لله فإن الله بعد وقوفه عليها يردها بما شاء على عباده، وفيه علم إرسال الستور بين النفوس المؤمنة وبين المخالفات ومن خالف منهم أرسلت الستور بينه وبين العقوبات، وفيه علم معاملة الله عباده بما يوافق أغراضهم، وفيه علم منزلة الأسباب الموضوعة في العالم التي لها الآثار فيه، وفيه علم ما تدعوه إليه الأسباب وما ينبغي أن يجيب منها وما ينبغي أن لا يجيب، وفيه علم إلحاق الأباعد بالأداني والأسافل بالأعالي في التحام ذلك، وفيه علم جهل من يساوي بين الحق والخلق ومن جهل مراتب العالم عند الله، وفيه علم التفسير والتمييز، وفيه علم ما يعود على العامل من عمله وما لا يعود، وفيه علم أعمار الأشياء وهو بقاء الشيء إلى زمان فساد صورته التي بزوالها يزول عنه الاسم الذي كان يستحقه جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً، وفيه علم الأخذ الإلهي بالأسباب الكونية وأن كل مأخوذ به جند من جنود الله، وفيه علم كون العالم

آيات بعضه لبعض، وفيه علم النصائح من المؤمنين وغير المؤمنين، وفيه علم بيان العلم بالأدلة، وفيه علم ما تمس الحاجة إليه في كل وقت، وفيه علم الاعتبار، وفيه علم الإرادة والمشيئة، وفيه علم من ينبغي أن يعتمد عليه في الأمور ومن لا يعتمد عليه فيها، وفيه علم من أراد بأخيه المؤمن سوءاً عاد عليه وهو سار في كل جنس من الأمم، وفيه علم من استعجل صفة ما يكون في يوم القيامة هنا وما حكمه عند الله، وفيه علم الهجرة والمهاجر، وفيه علم الوهب من غير الوهب، وفيه علم ما أدّى الجاهل مع علمه أن يقول: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وأمثال هذا مثل قوله: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فانظر في هذا الخبر الإلهي فإنه مبالغة منهم في التكذيب إذ لو احتمل عندهم صدق الرسول ما قالوا مثل هذا القول فإن النفوس قد جبلت على جلب المنافع لها ودفع المضارّ عنها. وفيه علم الرفق بالأمم والدعاء عليهم من أنبيائهم، وفيه علم العلم بالدار الآخرة والزمان الآخر ولماذا يرجع وما ثم شمس تطلع ولا دليل يقبل، وفيه علم تنوّع الأسباب وفيه علم مراتب من اتخذ من الآلهة دون الله، وفيه علم فضل العلماء والحكماء الإلهيين، وفيه علم ما ينبغي للمؤمن أن يثابر عليه، وفيه علم الصنعة والصانع، وفيه علم التنازع في الحديث ومراتب المتنازعين، وفيه علم المجمل من المحكم من المفصل من المتشابه، وفيه علم تعلق الإيمان بما ليس بحق مثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] وفيه علم الداعي الذي يوجب استعجال طلب الشقاء، وفيه علم مواطن الإيمان والزلف، وفيه علم مراتب الصبر والتوكل، وفيه علم من عرف الحق واجتنبه وما يحمد من ذلك وما يذم كالحق المأمور باجتنابه كالغيبة، وفيه علم البسط المحمود والمذموم، وفيه علم من علم أمراً فقيل له ما تعلمه، وفيه علم الحياة السارية في الموجودات وبطونها في الدنيا وظهورها في الآخرة وبأي بصر كشفها في الدنيا من كشفها، وفيه علم الاضطرار وكيف يذهب بذهابه، وفيه علم الطرق إلى الله وإن اختلفت فكلها حق وما يحمد منها ويذم وما يوصل إلى السعادة منها وما يحيد بسالكه عن سعادته مع كونه يصل إلى الله، وفيه علم المعية الإلهية ومراتب الموجودات فيها، فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العموم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار مكتتمة والسر العربي في الأدب الإلهي والوحي النفسي والطبيعي وهو من الحضرة المحمدية

[البسيط]

بَذَلْتُ نَفْسي لنَفْسي كَيْ أَفُوزَ بِمَنْ ... قد كان عِنْدي ولم أشْعُرْ بمَوْضِعِهِ

حتى رأيتُ له شكلاً يُماثلني ... فغِبْتُ فيه بأمرٍ من مُشَرِّعِهِ

هل للنعيم به أو للتَّخَلُّقِ بالأ ... سماء فانْظُرْ إلى أحوال مُبْدِعِهِ

فإنْ يُخَاطِبْكَ الرّحمنُ من كُتُبِ بِسرِّ حكمته فاخْضُرْ عَسَى تَعِهِ

اعلم أيدك الله أن الله تعالى لما عمر الخلاء بالعالم كله امتلأ به وخلق فيه الحركة ليستحيل بعضه لبعض، وتختلف فيه الصور بالاستحالات لطبيعة الخلاء الذي ملأه عن العالم ذلك الذي استحال إليه فلا يزال يستحيل دائماً وذلك هو الخلق الجديد الذي أكثر الناس منه في لبس وشك، ومن علم هذا من أهل الله الذين أشهدهم الله ذلك عيناً في سرائرهم علم استحالة الدنيا إلى الآخرة واستحالة الآخرة بعضها إلى بعض، كما استحال منها ما استحال إلى الدنيا، كما ورد في الخبر في النيل والفرات وسيحان وجيحان أنها من أنهار الجنة استحالت فظهرت في الدنيا بخلاف الصورة التي كانت عليها في الآخرة، ومن ذلك قوله: «**بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**» فاستحالت تربة في الدنيا في مساحة مقدرة معلومة، وكذلك وادي محسر هو واد في النار استحال إلى الدنيا وآدم وحوّاء وإبليس من عالم الآخرة استحالوا إلى الدنيا ثم يستحيلون إلى الآخرة فتتغير عليهم الصور بحسب ما تعطيه طبيعة المكان المتوهم الذي تنقلهم إليه الحركة فتؤثر فيهم روحاً كان أو جسماً متحيزاً كان أو غير متحيز والله محرّكه على الدوام، ولولا نحن ما تميزت آخرة من دنيا فإن الله ما اعتبر من العالم في هذه الإضافة إلا هذا النوع الإنساني والجان، فجعل الظهور للإنس من اسمه الظاهر، وجعل البطون للجان من اسمه الباطن، وما عداهما فمسخر لهما كما هو في نفسه مسخر بعضه لبعضه من أجل الدرجات التي أنزلهم فيها، فأعطتهم الدرجات صور ما استحالوا إليه لما نقلتهم الحركة الإلهية إليها، ولما لم تظهر لأعياننا إلا هنا سميت هذه الدار دار الدنيا والأولى وسميت الحياة الدنيا، فإذا استحلنا إلى البرزخ واستحلنا من البرزخ إلى الصور التي يكون فيها النشر والبعث سميت تلك الآخرة، ولا يزال الأمر في الآخرة في خلق جديد منها فيها أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار إلى ما لا يتناهى، فلا نشاهد في الآخرة إلا خلقاً جديداً في عين واحدة، فالعالم متناه لا متناه.

ولما كان الأمر هكذا لذلك يرى الإنسان نفسه إذا هو نام في الجنة أو في القيامة أو في غير مكانه وبلده مما يعرفه أو يجهله في غير صورته وفي غير حاله فقد استحال في نفسه بحركته التي نقلته من اليقظة إلى النوم إلى صور يعهدها في أوقات ولا يعهدها في أوقات، وإلى أحوال محمودة حسنة يسرّ بها وأحوال مذمومة قبيحة يتألم لها، ثم تسرع إليه الاستحالة فيرجع إلى اليقظة إما باستيفاء المعنى الذي استحال إليه في النوم فلم يبق فيه ما يعطيه في تلك الاستحالة الخاصة وهو الذي ينتبه من غير سبب وهو الانتباه الطبيعي لما أخذت النفس للعين حقها من النوم الذي فيه راحتها، فإن انتقل من النوم إلى اليقظة بسبب إما من جهة الحس وإما من أمر مفزع أو حركة ما مزعجة ظهرت منه في حال نومه فاستيقظ، فإن وافق ذلك الأمر استيفاء العين حقها من النوم الطبيعيّ كان وإن لم يوافق وبقي من حق العين بقية لولا ذلك السبب لاستوفاها فإنه يستوفيها في نوم آخر، ولذلك بعض النائمين يطول نومهم في وقت وسبب طوله ما ذكرناه، وأما قصر نومه فلأحد أمرين وهو ما ذكرناه إما لسبب يوقظه وإما

لاستيفاء العين حقها في تلك النومة الخاصة من أجل المزاج الذي يكون عليه، فإنه لا يستوي مزاج المتعوب ومزاج المستريح، فالمتعوب يطلب من الراحة ما يزيل به ذلك التعب فيستغرقه النوم ويطول لأنه يحب استيفاء الراحة فلا يوقظه قبل الاستيفاء إلا أحد ثلاثة أشياء أو كلها أو بعضها على حسب ما يقع، إما بأمر مزعج يراه في نومه أو يوقظه أحد من المتيقظين قصداً أو صيحة عظيمة أو حركة أو ما كان من هذه الأسباب في عالم الحس مقصوداً لانتباهه أو غير مقصود بل يقع بالاتفاق. والأمر الثالث أن تكون النفس متعلقة الخاطر بقضاء شغل ما تحب أن تفعله فتنام على ذلك الخاطر وهو متعلق بذلك الأمر فيزعجه فينتبه قبل استيفاء حقه من النوم.

وليس المقصود مما ذكرناه إلا تعريفك بأن العالم لا يخلو في كل نفس من الاستحالة، ولولا أن عين الجوهر من الذي يقبل هذه الاستحالة في نفسه واحد ثابت لا يستحيل من حيث جوهره ما علم حين يستحيل إلى أمر ما ما كان عليه من الحال قبل تلك الاستحالة، غير أن الاستحالات قد يخفى بعضها ويدق، وبعضها يكون ظاهراً تحس به النفس كاستحالة خواطرها وحركاتها الظاهرة وأحوالها وتدق وتخفى كاستحالتها في علومها وقواها وألوان المتلونات بتجديد أمثالها، فهي لا تدرك ذلك الأمر إلا من كان من أهل الكشف فإنه يدرك ذلك وأزال عنه الكشف ذلك اللبس الذي أعمى غيره عن إدراك هذا الأمر فإن قلت: فهذه الصورة التي يستحيل إليها جواهر العالم ما هي؟ قلنا: الممكنات ليس غيرها هي في شيئية ثبوتها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] فإذا ظهر عن قوله: ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] لبس شيئية الوجود وهو قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] أي قدرتك أي ما كانت لك شيئية الوجود وهي على الحقيقة شيئية الظهور ظهور لعينه، وإن كان في شيئية ثبوته ظاهراً متميزاً عن غيره بحقيقته ولكن لربه لا لنفسه، فما ظهر لنفسه إلا بعد تعلق الأمر الإلهي من قوله ﴿كُن﴾ بظهوره، فاكتسب ظهوره لنفسه فعرف نفسه وشاهد عينه فاستحال من شيئية ثبوته إلى شيئية وجوده، وإن شئت قلت: استحال في نفسه من كونه لم يكن ظاهراً لنفسه إلى حالة ظهر بها لنفسه بتقدير العزيز العليم، فالعالم كله طالع غارب وفلك دائر ونجم سابح ظاهر بين طلوع وغروب عن وحي إلهيّ وهو ما يتوجه عليه من أمر بظهور وخفاء ووحي نفسي، وهو ما يطلبه منه الحق وما يطلب من الحق تعالى، فيوحي إلى الحق كما أوحى الحق إليه، فيعمل الحق بما أوحى إليه عبده وقتاً وقد لا يعمل وقتاً، كما أن العبد إذا أوحى الحق إليه فأمره بشي يعمله أو يتركه فيطيعه وقتاً ويعصيه وقتاً فظهر الحق للمكلف بصورته في العطاء والإباية، فما رأى العبد في الحق إلا صورته فلا يلومن إلا نفسه إذا دعا الحق في أمر فلم يجبه. ألا ترى إلى الملائكة لما لم يعصوا الله تعالى فيما دعاهم إليه من فعل كما أخبر عنهم ما دعوه في شيء إلا أجابهم لأنهم ليسوا على صورة منع مما دعاهم الحق إليه والعالم لا يشهد من الحق إلا صورة ما هو عليه، ولذلك قال ﷺ فيمن يقول آمين بعد قراءة الفاتحة: «**مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ**» لأن تأمين الملائكة مقبول عند الله مجاب،

فوافق زمان الإجابة للملائكة فحصلت له الإجابة بحكم التبعية إلا أن يكون وقته وقت إجابة له جزاء لما امتثل من أمر الحق في وقت ما، والأصل في العالم قبول الأمر الإلهي في التكوين والعصيان أمر عارض عرض له نسبي، وفي الحقيقة ما عصى الله أحد ولا أطاعه بل الأمر كله لله وهو قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فأفعال العباد خلق لله والعبد محل لذلك الخلق، فالعالم كله محصور في ثلاثة أسرار: جوهره وصوره والاستحالة وما ثم أمر رابع. فإن قلت: فمن أين ظهر حكم الاستحالة في العالم من الحقائق الإلهية؟ قلنا: إن الحق وصف نفسه بأنه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] والشؤون مختلفة، ووصف نفسه بالفرح بتوبة عبده ولم يفرح بها قبل كونها، وكذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ الله لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**» وذكر عنه العارفون به وهم الرسل عليهم السلام أن الله تعالى يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله كما يليق بجلاله فقد نعتوه بأنه كان على حالة قبل هذا الغضب لم يكن فيها منعوتاً بهذا الغضب، وقد ورد في الصحيح تحوله في الصور يوم القيامة إذا تجلى لعباده والتحول هو عين الاستحالة ليس غيرها في الظهور، ولولا ذلك ما صح للعالم ابتداء في الخلق، وكان العالم مساوقاً لله في الوجود وهذا ليس بصحيح في نفس الأمر، فكما قبل تعالى الظهور لعباده في صور مختلفة كذلك أيضاً لم يخلق ثم خلق فكان موصوفاً في الأزل بأنه عالم قادر أي متمكن من إيجاد الممكن، لكن له أن يظهر في صورة إيجاده وأن لا يظهر فظهر في إيجاد صورة الممكن لما شاء، ولا فرق بين الممكنات في النسبة إليه سبحانه ونحن نعلم أن زيداً ما أوجده الله مثلاً إلا أمس أو الآن فقد تأخر وجوده مع كون الحق قادراً، فكذلك يلزم الحكم في أول موجود من العالم أن يكون الله يتصف بالقدرة على إيجاد الشيء وإن لم يوجده كما أنك قادر على الحركة في وقت سكونك وإن لم تتحرك ولا يلزم من هذا محال، فإنه لا فرق بين الممكن الموجود الآن المتأخر عن غيره وبين الممكن الأول، فإن الحق غير موصوف بإيجاد زيد في وقت عدم زيد فالصورة، واحدة إن فهمت، غير أن إطلاق لفظ الاستحالة لا يطلق على الله وإن كان قد أطلق على نفسه التحول فنقف عنده مع معقولية ما ذكرناه فما ثم إلا الله والتوجه وقبول الممكنات لما أراد الله بذلك التوجه فهذه ثلاثة لا بد منها ومن ظهور حكمها فالغروب لا يكون إلا عن طلوع من طالع ثم غرب، والظهور لا يكون إلا من بطون لا عن بطون وأعني بقولي لا عن بطون أنه لم يكن ظاهراً ثم بطن ثم ظهر عن ذلك البطون بل لم يزل باطناً ثم أظهره الله فظهر لنفسه.

وصل: لما كان الوصف النفسي للموصوف لا يتمكن رفعه إلا ويرتفع معه الموصوف لأنه عين الموصوف ليس غيره وكان تقدم العدم للممكنات نعتاً نفسياً لأن الممكن يستحيل عليه الوجود أزلاً فلم يبق إلا أن يكون أزليّ العدم، فتقدم العدم له نعت نفسي والممكنات متميزة الحقائق والصور في ذاتها لأن الحقائق تعطي ذلك، فلما أراد الله أن يلبسها حالة الوجود وما ثم إلا الله وهو عين الوجود وهو الموجود ظهر تعالى للمكنات باستعدادت الممكنات وحقائقها فرأت نفسها بنفسها في وجود موجدها وهي على حالها من العدم، فإن

لها الإدراكات في حال عدمها كما أنها مدركة للمدرك لها في حال عدمها، ولذا جاء في الشرع أن الله يأمر الممكن بالتكوين فيتكون، فلولا أن له حقيقة السمع وأنه مدرك أمر الحق إذا توجه عليه لم يتكون ولا وصفه الله بالتكون ولا وصف نفسه بالقول لذلك الشيء المنعوت بالعدم، فكذلك للممكن جميع القوى التي يدرك بها المدركات التي تخص هذه الإدراكات، فلما أمرها بالتكوين لم تجد وجوداً تتصف به، إذ لم يكن ثم إلا وجود الحق فظهرت صوراً في وجود الحق، فلذلك تداخلت الصفات الإلهية والكونية، فوصف الخلق بصفات الحق ووصفت الحق بصفات الخلق، فمن قال: ما رأيت إلا الله صدق، ومن قال: ما رأيت إلا العالم صدق، ومن قال: ما رأيت شيئاً صدق لسرعة الاستحالة وعدم الثبات فيقول: ما رأيت شيئاً، ومن قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فهو ما قلنا أن للممكن إدراكاً في حال عدمه فإذا جاءه الأمر الإلهي بالتكوين لم يجد إلا وجود الحق فظهر فيه لنفسه فرأى الحق قبل رؤية نفسه، فلما لبسه وجود الحق رأى نفسه عند ذلك فقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله أي قبل أن يتكون فيه، فيقبل الحق صورة ذلك الشيء، فمن لم يعلم الأمر هكذا وإلا فما علم الحق ولا الخلق ولا هذه النسب فـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ بالصورة للاستحالات ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والضمير في وجهه يعود على الشيء، فالشيء هالك من حيث صورته غير هالك من حيث وجهه وحقيقته، وليس إلا وجود الحق الذي ظهر به لنفسه له الحكم أي لذلك الشيء الحكم في الوجه، فتختلف عليه الأحكام باختلاف الصور ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] في ذلك الحكم أي إلى ذلك الشيء يرجع الحكم الذي حكم به على الوجه. فالحكم والتحكيم للإحالة لأنها المقصود لا محالة، فما ثم إلا هلاك وإيجاد في عين واحدة لا تبديل إلا لله لا تبديل لخلق الله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] بل التبديل له كما له الأمر من قبل ومن بعد يقضي بذلك كونه أخبر عن نفسه أنه الأول والآخر من عين واحدة فليس إلا صور ظاهر هنا وفي البرزخ والآخرة وهو الذي جاء به قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] توهموا ذاك وما حققوا لذلك قالوا: ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] فلو رأوها لرأوا أنها ليست سوى أعيانها الظاهرة، فما أحالوها ولا عرجوا عنها لكونهم ما نظرت أعينهم إلا إليها، فكيف ينكرون ما رأوه أو يجحدون عن نفوسهم ما تيقنوه؟ ومن لم يكن له هذا الإدراك فقد حرم العلم والمعرفة التي أعطاها الشهود والكشف.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم المعجزات، وعلم الطمس، وعلم التتالي وتتابع الموجودات في الخلق، وفيه علم اليقين، وفيه علم ما يحصل بالخبر، وفيه ما علم ما يحمد ويذم، وفيه علم الغضب ولا يقع إلا ممن لم يعط الأمور حقها في حدودها، وفيه علم الرحمة بالضعفاء والخلق كلهم ضعفاء بالأصالة فالرحمة تشملهم، وفيه علم ورث الكون للأسماء الإلهية، وفيه علم التمكين، وفيه علم الأشهاد، وفيه علم البيان لتمييز ما يحذر وما لا يحذر، وفيه علم إلحاق الإناث بالذكور وهو إلحاق المنفعل بالفاعل من حيث ما ينفعل عنه منفعل آخر حتى ينتهي الأمر إلا منفعل آخر لا ينفعل عنه منفعل، كما ينتهي الأمر من

الطرف الآخر إلى فاعل لا يكون منفعلاً عن فاعل وهو الحق تعالى، وفيه علم اختلاف الوجوه في العين الواحدة، وفيه علم الآثار وما تعطي العالم بها من العلوم، ومن هنا أخذ السامري القبضة من أثر جبريل فلولا علمه بما تعطيه الآثار ما فعل، ومن هذا الباب الذين يقصون الأثر في طلب الشيء، ومن هذا الباب تعرف أقدام السعداء من أقدام الأشقياء إذا رأى صاحب هذا العلم وطأتهم في الأرض وإن لم ير أشخاصهم فإذا رأى أثر أرجلهم حكم عليهم بما يظهر له، وفيه علم التعريض وقولهم في المثل السائر: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب، وفيه علم التورية ولذلك كان ﷺ إذا أراد غزو جهة ورى بغيرها، وفيه علم ما تعطيه الأسباب من الحكم في العالم، وفيه علم حكم الأحوال على الرجال الأقوياء بل حكم الأحوال على كل شيء، ومن هذا الباب رضي الله عن المطيع وغضبه على من يشاء من العصاة، وفيه علم من أين نصر الشخص من يشبهه في الصفة إذا تعدى عليه آخر وهو ضدّ لمماثله بالجسد الذي ركبه الله عليه ويظهر ذلك في الحيوان كثيراً، وفيه علم الأسباب التي تورث الالتجاء إلى الله عز وجل وهي أسباب القهر، وفيه علم سفر الخواطر وسفر الأجسام وما ينتج كل سفر منها، وفيه علم من أين يترك الإنسان طلب ما هو محتاج إليه بالطبع مثل قول بعضهم في أن الفقير من ليست له إلى الله حاجة وهذا وإن كان لفظه في غاية القبح فهو من جهة المعنى في غاية الحسن لأنه أرفع درجات التسليم، وصاحب هذا المقام هو الذي اتخذ الله وكيلاً لعلمه بأنه تعالى أعلم بما يصلح لهذا العبد فلا يعين له العبد حاجة لجهله بالمصالح، فالفقير ليست له إلى الله حاجة معينة بل ردّ أمره كله إلى الله. وفيه علم ما ينتج من له هذا المقام وكان حاله، وفيه علم من عرف مقدار النساء ومنزلتهن في الوجود ولهذا حببهن الله لمحمد ﷺ فإنه من أسرار الاختصاص، ولما علم الله موسى عليه السلام قدر هذا استأجر نفسه في مهر امرأة عشر سنين وأعني بالنساء الأنوثة السارية في العالم وكانت في النساء أظهر فلهذا حببت لمن حببت إليه، فإن النظر العقلي لا يعطي ذلك لبعده عن الشهوة الطبيعية، وما علم هذا العقل أنه ما تنزه عن الشهوة لطبيعية الحيوانية في زعمه إلا بالشهوة الطبيعية، فما زهد في شيء إلا بما زهد فيه فما خرج عن حكمه وهذا أجهل الجاهلين، ولو لم يكن من شرف النساء إلا هيئة السجود لهن عند النكاح والسجود أشرف حالات للعبد في الصلاة، ولولا خوفي أن أثير الشهوة في نفوس السامعين فيؤديّ ذلك إلى أمور يكون فيها حجاب الخلق عما دعاهم الحق إليه لجهلهم بما كنت أذكره في ذلك ولكن له مواطن يستعمل فيها لأظهرت من ذلك ما لا يظهر على فضله فضل شيء ولذلك قرن معه حب الطيب والصلاة ومن أسماء الله تعالى الطيب، ولو نظرت فيما أنتج الله من الكلام الإلهيّ لموسى عليه السلام حين خرج ساعياً لأهله لما كانوا يحتاجون إليه من النار، فبسعيه على عياله واستفراغه ناداه الحق وكلمه في عين حاجته وهي النار فقال له: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]. وفيه علم وجود الحق في عين الخلاف يوجد في عين الاتفاق لمن عقل، وفيه علم افتقار الأعلى إلى الأدنى وحاجته إليه وهذا العلم من أصعب العلوم لدقة ميزانه فإنه ما كل أحد يقدر

يزن بهذا الميزان ولا سيما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] فمن أي شيء تحفظ في قوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ونحن نعلم أنه لا يطعم ولا يطلب الرزق من عباده بل هو الرزاق ذو القوّة لما كانت القوّة فينا للغذاء فقال: ﴿أَن يُطْعِمُونِ﴾ فتكون قوّتي مما طعمت بل لي القوّة من غير غذاء ولا طعام، وفيه علم الإمامة في العالم وأنه لا يجتمع أمر العالم إلا بها ولا تكون المصالح إلا بها، وفيه علم تعليم العلم، وفيه علم الغيب الإضافيّ وما ثم غيب مطلق، وفيه علم من طلب شيئاً فلما أعطيه ردّه ولم يقبله، فما السبب الذي حمل الطالب على طلبه؟ وما السبب الذي جعله يردّه ولا يقبله؟ فينبني على هذا علم السبب المؤدّي إلى الطلب على الإطلاق من غير تخصيص طالب من طالب، وفيه علم ما يتبع الشخص إلا من له الحكم فيه، وما يحكم فيه إلا من له التعشق به وهذا اتباع الاختيار لا اتباع الجبر، فإن اتباع الجبر قد لا يكون له حكم ما ذكرناه، وإن كان العاشق مجبوراً للعشق القائم به ولكن الفرق ظاهر بين الحركتين، وفيه علم التوصيل وما ينتج، وفيه علم الأصناف الذين يضاعف لهم العطاء في الآخرة، وفيه علم ما ينبغي أن يطلب له العالم، وفيه علم ما يحذر من الاتباع وما لا يحذر وما يذم من الحذر وما لا يذم، وفيه علم السبب الموجب لهلاك ما يهلك من العالم، وفيه علم المفاضلة في العالم بالمراتب، وفيه علم الأنساب والأحساب وما يقع به الشرف في الانتساب وما لا يقع ونهى النبيّ ﷺ عن الطعن في الأنساب، وفيه علم الأهوال الشاغلة، وفيه علم الجبر ومن هو المجبور، وفيه علم التنزيه، وفيه علم عواقب الثناء وأوائله، وفيه علم الأحكام ولمن تنسب ومن يحكم بها، وفيه علم التقدير الذي لم يقع ولو وقع ما ينتج وهل ترك وقوعه من باب الرحمة بالعالم أم لا؟ وفيه علم إقامة الحجج، وفيه علم الابتلاء وما فائدته، وفيه علم صنعة الكيمياء، وفيه علم الاعتبار، وفيه علم التمني وما يفيد منه وينفع المتمني وما لا يفيد ولا ينفع، وفيه علم أهلية كل موجود لما أهل له، وفيه علم من جازى بأفضل مما عمل له، ومن أجاب بأكثر مما سئل عنه، وفيه علم ما نهي عنه المؤمن هل هو بقاء على الأصل لأنه ترك ولماذا تأخر عن الأمر وكلاهما حكم الله. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل البهائم من الحضرة الإلهية وقهرهم تحت سرين موسويين

[البسيط]:

هَيْهَاتَ ما تُسْدَلُ الأستارُ والكِلَلُ ... إلا لأمْرٍ عظيمٍ كُلُّه جَلَلُ

لو أنّ ما سَتَرتْ يَبْدُو لأعْيُننا ... لَمَا بَدَتْ نِحَلٌ فينا ولا مِلَلُ

ولا بدا عَرَضٌ في طَيِّهِ مَرَضٌ ... ولا دواءٌ ولا طِبٌّ ولا عِلَلُ

ولا جديدٌ تكون النفسُ تَلبَسُهُ ... ولا التّوسُّط منه لا ولا الثَّمَلُ

إنّ السُّتُورَ تُرَى في العين صُورتُها وليس يُدركها في ذلكم مَلَلُ
وأعْيُنُ الكَوْن خَلْفَ السّتْر ناظرةٌ والحُجْبُ تُبْصر ما لا تُبْصرُ المُقَلُ

اعلم أيدك الله أيها الطالب أن معرفة الأمور على ما هي عليه في أنفسها أنك لا تعلم ذلك إلا إذا أوقفك الله عليك من نفسك وأشهدك ذلك من ذاتك، فيحصل لك ما طلبته ذوقاً عندما تقف عليه كشفاً، ولا سبيل إلى حصول ذلك إلا بعناية أزلية تعطيك استعداداً تاماً لقبوله برياضات نفسية ومجاهدات بدنية، وتخلق بأسماء إلهية، وتحقق بأرواح طاهرة ملكية، وتطهير بطهارة شرعية مشروعة لا معقولة وعدم تعلق بأكوان، وتفريغ محل عن جميع الأغيار لأن الحق ما اصطفى لنفسه منك إلا قلبك حين نوّره بالإيمان فوسع جلال الحق فعاين من هذه صفته الممكنات بعين الحق فكانت له مشهودة وإن لم تكن موجودة فما هي له مفقودة، وقد كشف لبصيرته بل لبصره وبصيرته نور الإيمان حين انبسط على أعيان الممكنات، أنها في حال عدمها مرئية رائية مسموعة سامعة برؤية ثبوتية وسمع ثبوتي لا وجود له، فعين الحق ما شاء من تلك الأعيان فوجه عليه دون غيره من أمثاله قوله المعبر عنه باللسان العربيّ المترجم بكن فأسمعه أمره فبادر المأمور فتكون عن كلمته لا بل كان عين كلمته، ولم تزل الممكنات في حال عدمها الأزلي لها تعرف الواجب الوجود لذاته وتسبحه وتمجده بتسبيح أزلي وتمجيد قديم ذاتي ولا عين لها موجودة ولا حكم لها مفقود، فإذا كان حال الممكنات كلها على ما ذكرناه من هذه الصفات التي لا جهل معها فكيف تكون في حال وجودها وظهورها لنفسها جماداً لا ينطق؟ أو نباتاً بتعظيم خالقه لا يتحقق؟ أو حيواناً بحاله لا يصدق؟ أو إنساناً بربه لا يتعلق؟ هذا محال، فلا بدّ أن يكون كل ما في الوجود من ممكن موجود يسبح الله بحمده بلسان لا يفقه ولحن ما إليه كل أحد يتنبه فيسمعه أهل الكشف شهادة ويقبله المؤمن إيماناً وعبادة فقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] فجاء باسم الحجاب والستر وهو قوله: ﴿غَفُورًا﴾ وجاء بالاسم الذي يقتضي تأخير المؤاخذة إلى الآجل وعدم حكمها في العاجل وهو الحليم لما علم أن في عباده من حرم الكشف والإيمان وهم العقلاء عبيد الأفكار والواقفون مع الاعتبار، فجازوا من الظاهر إلى الباطن مفارقين الظاهر فعبروا عنه إذ لم يكونوا أهل كشف ولا إيمان لما حجب الله أعينهم عن مشاهدة ما هي عليه الموجودات في أنفسها ولا رزقوا إيماناً في قلوبهم يكون له نور يسعى بين أيديهم. وأما المؤمنون الصادقون أولو العزم من الأولياء فعبروا بالظاهر معهم لا من الظاهر إلى الباطن وبالحرف عينه إلى المعنى ما عبروا عنه فرأوا الأمور بالعينين وشهدوا بنور إيمانهم النجدين، فلم يتمكن لهم إنكار ما شهدوه ولا جحدوا ما تيقنوه، فأسمعهم الله نطق الموجودات لا بل نطق الممكنات قبل وجودها فإنها حية ناطقة دراكة بحياة ثبوتية ونطق ثبوتي وإدراك ثبوتي، إذ كانت في أنفسها أشياء ثبوتية، فلما قبلت شيئية الوجود قبلتها بجميع نعوتها وصفاتها وليس نعتها سوى عينها، فهي في حال شيئية وجودها حية بحياة وجودية، ناطقة بنطق وجودي، دراكة بإدراك وجودي، إلا أن الله

سبحانه أخذ بأبصار بعض عباده عن إدراك هذه الحياة السارية والنطق والإدراك الساري في جميع الموجوات، كما أخذ الله ببصائر أهل العقول والأفكار عن إدراك ما ذكرناه في جميع الموجودات وفي جميع الممكنات، وأهل الكشف والإيمان على علم مما هو الأمر عليه في هذه الأعيان في حال عدمها ووجودها، فمن ظهرت حياته سمي حياً، ومن بطنت حياته فلم تظهر لكل عين سمي نباتاً وجماداً، فانقسم عند المحجوبين الأمر وعند أهل الكشف والإيمان: لم ينقسم، فأما صاحب الكشف والشهود أهل الاختصاص فقد أعطاهم الشهود: وما أعطى المحجوبين شهودهم فيقول أهل الشهود: سمعنا ورأينا، ويقول المحجوبون: ما سمعنا ولا رأينا، ويقول أهل الإيمان: آمنا وصدقنا، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] و«شيء» نكرة، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] فذكر الجماد والنبات والحيوان الذين وقع فيهم الخلاف بين المحجوبين من أهل العقول والأفكار وبين أهل الشهود والإيمان وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٤٩] وقال: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] وقال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨، ١٩] وقال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] وقال عن الهدهد إنه قال لسليمان: إني ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٢ ـ ٢٤] فانظر فيما أعطى الله هذا الهدهد من العلم بالله فيما ذكره. وقال تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] ثم أخبر أن طائفة من العباد لا توقن بذلك وتخرجه بالتأويل عن ظاهره فقال: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] أي لا يستقر الإيمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك إيماناً، وطائفة منهم تتأوّل ذلك على غير وجهه الذي قصد له وقال ﷺ: «**يَشْهَدُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَى صَوْتِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ**». وقال في أحد: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ**» وقال: «**إنِّي لأعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ**» ثم إنه قد صح أن الحصى سبح في كفه، وصح حنين الجذع إليه الذي كان يستند إليه إذا خطب الناس قبل أن يعمل له المنبر فلما صنع له المنبر تركه فحن إليه فنزل من منبره وأتاه فلمسه بيده حتى سكن. وصح أن كتف الشاة المسموم كلمه. وقال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا فَعَلَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ**» وثبت عنه في قتل اليهود في آخر الزمان: «**إذَا اسْتَتَرَ اليَهُودُ خَلْفَ الشَّجَرِ يَقُولُ الشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ هٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي اقْتُلْهُ إلاَّ شَجَرَةَ الغَرْقَدِ فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ لاَ تُنَبِّهُ عَلَى مَنْ يَسْتَتِرُ بِهَا مِنَ اليَهُودِ**». وهنا سرّ إلهيّ عجيب يعلم أن من الأشجار من راعى حق من استجار به اعتماداً من تلك الشجرة على رحمة الله ووفاء لحق الجوار وهو من الصفات المحمودة في كل طائفة وفي كل ملة. وقال رسول الله ﷺ لابنة عمه أم هانىء: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِىءٍ**» وكان مشركاً واليهود

أهل كتاب على كل حال فهم أولى بأن يوفى لهم بحق الجوار، وكان هذا من الله في حق هذه الشجرة التي استجار بها اليهود فسترتهم ليتحقق عندنا قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] فجاء بلفظة «من» وهي نكرة فدخل تحتها كل شيء لأن كل شيء حيّ ناطق فيدخل تحت قوله من لأن بعض النحاة يعتقدون أن لفظة «من» لا تقع إلا على من يعقل؛ وكل شيء يسبح بحمد الله، ولا يسبح إلا من يعقل من يسبحه ويثني عليه بما يستحقه، فمن تقع على كل شيء إذ كل شيء يعقل عن الله ما يسبحه به، فالله تعالى يرزقنا الإيمان إذا لم نكن من أهل العيان والكشف والشهود لهذه الأمور التي أعمى الله عنها أهل العقول الذين تعبدتهم أفكارهم، وغير المؤمنين الذين طمس الله على قلوبهم.

فمن علم أن كل شيء ناطق ناظر إلى ربه لزمه الحياء من كل شيء حتى من نفسه وجوارحه فإن الله يقول: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] يعني بالشهادة عليكم ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] فيا ولي لا تكن الجلود أعلم بالأمر منك مع دعواك أنك من أهل العقل والاستبصار، فهذه الجلود قد علمت نطق كل شيء وأن الله منطقه بما شاء، ثم قال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] أي هذا لا يمكن الاستتار منه لأنكم ما تعملون الذي تأتونه من المنكرات إلا بالجوارح فإنها عين الآلة تصرّفونها في طاعة الله أو معصيته، فلا يتمكن لكم الاستتار عما لا يمكنك العمل إلا به ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] خطاب لمن يعتقد أن الله لا يعلم الجزئيات خاصة، ثم قال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] والخسران ضدّ الربح وهو نقص من رأس المال لما كان الأمر تجارة اتصف بالربح والخسران يقول تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ عقيب قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] فلما باعوا الهدى بالضلالة خسروا. وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ثم ذكر ما هي التجارة فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١١] وإنما عدل في هذه الأمور إلى التجارة دون غيرها، فإن القرآن نزل على قرشيّ بلغة قريش بالحجاز وكانوا تجاراً دون غيرهم من الأعراب، فلما كان الغالب عليهم التجارة كسى الله ذات الشرع والإيمان لفظ التجارة ليكون أقرب إلى أفهامهم ومناسبة أحوالهم.

وبعد أن أبنت لك عن الأمور على ما هي عليه إن كنت ذا نظر أو إيمان فإني ما أخبرتك إلا بممكن ما أخبرتك بمحال، فلنقل بعد هذا البيان الشافي والإيضاح الكافي لأهل طريق الله خاصة وخاصته من عباده من مكاشف ومؤمن أن البهائم ما اختصت بهذا الاسم المشتق من الإبهام والمبهم إلا لكون الأمر أبهم علينا، فإنا قد بينا لك ما هي عليه من المعرفة بالله وبالموجودات، وإنما سميت بذلك لما انبهم علينا من أمرها، فإبهام أمرها إنما هو من حيث جهلنا ذلك أو حيرتنا فيه، فلم نعرف صورة الأمر كما يعرفه أهل الكشف فهي

عند غير أهل الكشف والإيمان بهائم لما انبهم عليهم من أمرها لما يرون من بعض الحيوان من الأعمال الصادرة عنها التي لا تصدر إلا عن فكر وروية صحيحة ونظر دقيق يصدر منهم ذلك بالفطرة لا عن فكر ولا روية، فأبهم الله على بعض الناس أمرهم، ولا يقدرون على إنكار ما يرونه مما يصدر عنهم من الصنائع المحكمة، فذلك جعلهم يتأوّلون ما جاء في الكتاب والسنة من نطقهم ونسبة القول إليهم ليت شعري ما يفعلون فيما يرونه مشاهدة في الذي يصدر عنهم من الأفعال المحكمة كالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب الذي جعل الله أرزاقهم فيه، وما يدخره بعض الحيوان من أقواتهم على ميزان معلوم وقدر مخصوص وعلمهم بالأزمان واحتياطهم على نفسهم في أقواتهم، فيأكلون نصف ما يدخرونه خوف الجدب، فلا يجدون ما يتقوتون به كالنمل، فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر، فأين عدم العقل الذي ينسب إليهم، وإن كان ذلك علماً ضرورياً فقد أشبهونا فيما لا ندركه إلا بالضرورة، فلا فرق بيننا وبينهم لو رفع الله عن أعيننا غطاء العمى كما رفعه الله عن أبصار أهل الشهود وبصائر أهل الإيمان وفي عشق الأشجار بعضها بعضاً التي لها اللقاح فإن ذلك فيها أظهر آيات لأهل النظر إذا أنصفوا.

واعلم أن العاقل كان من كان من أي أصناف العالم إن شئت إذا أراد أن يوصل إليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بدّ فإن الغرض من ذلك إذا كان إنما هو إعلامك بالأمر الذي في نفس ذلك المعلم إياك، فوقتاً بالعبارة اللفظية المنطوق بها في اللسان المسماة في العرف قولاً وكلاماً، ووقتاً بالإشارة بيد أو برأس أو بما كان، ووقتاً بكتاب ورقوم، ووقتاً بما يحدث من ذلك المريد إفهامك بما يريد الحق أن يفهمك فيوجد فيك أثراً تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كله أيضاً كلاماً كما قال تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] فأخبر أنها تكلمنا، وذلك أنها إذا خرجت من أجياد وهي دابة أهلب كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها يقال لها الجساسة فتنفخ فتسم بنفخها وجوه الناس شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً براً وبحراً، فيرتقم في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله من إيمان وكفر، فيقول من سمته مؤمناً لمن سمته كافراً يا كافر أعطني كذا وكذا وما يريد أن يقول له، فلا يغضب لذلك الاسم لأنه يعلم أنه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه إزالتها، فيقول الكافر للمؤمن: نعم أو لا في قضاء ما طلب منه بحسب ما يقع فكلامها المنسوب إليها ما هو في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفختها، وإن كان لها كلام مع من يشاهدها أو يجالسها من أي أهل لسان كان فهي تكلمه بلسانه من عرب أو عجم على اختلاف اصطلاحاتهم يعلم ذلك كله، وقد ورد حديثها في الخبر الصحيح الذي ذكره مسلم في حديث الدجال حين دلت تميماً الداري عليه وقالت له إنه إلى حديثك بالأشواق وهي الآن في جزيرة في البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال.

واعلم أنه ما من صورة في العالم الأسفل إلا ومثلها في العالم العلوي، فصور العالم العلوي تحفظ على أمثالها في العالم السفلي الوجود ويؤثر فيها ما تجده من العلم بالأمور التي

لا تقدر على إنكارها من نفسها لتحققها بما تجده، فهذا أثر الصور العلويات الفلكيات في الصور السفليات العنصريات، وتؤثر الصور العنصريات السفليات في الصور العلويات الفلكيات الحسن والقبح والتحرّك بالوهب لما تحتاج إليه بما هي عليه من الاستعدادات، فلا تقدر الصور العلويات أن تحفظ نفسها عن هذا التأثير لأن لهذا خلقت، وبين العالمين رقائق ممتدّة من كل صورة إلى مثلها متصلة غير منقطعة على تلك الرقائق يكون العروج والنزول فهي معارج ومدارج، وقد يعبر عنها بالمناسبات، وبين تلك الصور العلويات الفلكيات وبين الطبيعة رقائق ممتدّة عليها ينزل من الطبيعة إلى هذه الصور ما به قوام وجودها، فإذا انصبغت بذلك أفاضت على الصور السفليات العنصريات ما به قوام وجودها، ولكن من حيث ما هي أجسام وأجساد لا غير ليحفظ عليها صورها، وبين هذه الصور العلويات الفلكيات وبين النفس الكلية التي عبر عنها الشارع ﷺ عن الله باللوح المحفوظ لما حفظ الله عليه ما كتب فيه فلم ينله محو بعد ذلك ولا تبديل، فكل شيء فيه وهو المسمى في القرآن بكل شيء تسمية إلهية، ومنه كتب الله كتبه وصحفه المنزلة على رسله وأنبيائه مثل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وهو اللوح المحفوظ، ففصلت الكتب المنزلة مجملة وأبانت عن موعظته، فبين هذه الصور وبين هذه النفس رقائق ممتدة من حيث أرواحها المدبرة لصور أجسادها تنزل عليها العلوم والمعارف بما شاء الله إمّا من العلم به أو العلم بما شاء من المعلومات الموجودات والمعقولات، فإذا حصلت أرواح هذه الصور العلويات الفلكيات ما شاء الله من العلوم التي هي لها بمنزلة الغذاء لصورها الجسمية فبه قوام وجودها ونعيمها ولذتها، فإذا انصبغت بتلك الأنوار وتحققت بها أفاضت على نفوس الصور السفليات العنصريات من تلك العلوم بحسب ما قبله استعدادها فيتفاضلون في العلم لتفاضل الاستعداد ثم يعلم بعضهم بعضاً، وليس التعليم إلا رفع الحجب التي حجبها استعدادهم عن قبول ذلك الفيض، فكنى عن ذلك الرفع بالتعليم، فلم يكن التعليم، إلا من ذلك الفيض من تلك الصور العلويات الفلكيات كما يرفع المانع الذي يمنع الماء عن جريته، فإذا رفعته جرى الماء في ذلك الموضع الذي كان المانع يمنع من جريته عليه، ففاتح هذا السد لم يجر الماء، كذلك المعلم من هذه الصور السفليات لغيرها من أمثالها إنما رفع عنها حجاب الجهل والشك فانكشف لذلك الفيض الروحاني فقبلت من العلوم ما لم يكن عندها فتخيلت أن المعلم لها من رفع غطاء جهلها وليس الأمر كذلك فافهم.

وبين هذه الصورة العلويات الفلكيات وبين الصور السفليات العنصريات رقائق ممتدة للأسماء الإلهية والحقائق الربانية وهي الوجوه الخاصة التي لكل ممكن الذي صدر منه عن كلمة ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] بالتوجه الإراديّ الإلهي الذي لا يعلمه المسبب عنه من غيره، وإن كان له وجه خاص من نفسه يعلم ذلك أو يجهله، ومن ذلك الوجه يفتقر كل شيء إلى الله لا إلى سببه الكوني، وهو السبب الإلهيّ الأقرب من السبب الكوني، فإن السبب الكوني

منفصل عنه، وهذا السبب لا يتصف بالانفصال عنه ولا بالاتصال المجاور وإن كان أقرب في حق الإنسان من حبل الوريد فقربه أقرب من ذلك، فيعطي الله تعالى لكل صورة علوية وسفلية من العلوم الاختصاصية التي لا يعلم بها إلا ذلك المعطى له خاصة ما شاء الله، وهذه هي علوم الأذواق التي لا تقال ولا تحكى ولا يعرفها إلا من ذاقها، وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من لم يذقها، وبينهم في ذلك تفاضل لا يعرف ولا يمكن أن يعرف عين ما فضله به، فلما كان في العلم هذا الاختصاص كان ثم جنات اختصاص.

واعلم أنه ليس في المنازل ولا في المقامات منزل عم جميع العالم والإنسان إلا هذا المنزل فله عموم الرحمة في العالم لأن العالم من حيث حقيقته قام على أربعة أركان في صورته الجسمية والروحانية، فهو من حيث طبيعته مربع، ومن حيث روحه مربع، فمن حيث جسده ذو أربع طبائع عن أركان أربعة، ومن حيث روحه عن أم وأب ونفخ وتوجه فجاءته الرحمة من أربعة وجوه لكل وجه رحمة تخصه، فالرحمة التي تبقي عليه رطوبته حتى لا تؤثر فيها يبوسته غير الرحمة التي تحفظ عليه يبوسته لئلا تفنيها رطوبته، والرحمة التي تحفظ عليه برودته لئلا تفنيها حرارته غير الرحمة التي تحفظ عليه حرارته لئلا تفنيها برودته فتمانعت فبقيت لهذا التمانع والتكافؤ صورة الجسم ما دام هذا التكافؤ والممانعة، ومن هذا المنزل انبعثت هذه الرحمات الأربع، فمن وقف عليها من نفسه علم مآله، ومن لم يقف عليها من نفسه جهل حاله، وإنما حجب الله من حجب عن شهودها حتى لا يتكلموا كما ورد في حديث معاذ وحديث عمر وكشفها الله للأمناء حيث علم منهم أنهم لا يؤدّون الأمانة إلا لأهلها، فإن الله قد خلق للعلم أهلاً بمثل هذا، وجعل وصول العلم إليهم بمثل هذا على نوعين: إما منه إليهم، وإما من معلم قد علم أمانة غيره وهو أمين مثل ما علم من أمانته فألقى ذلك العلم إليه إذ كان من أهله وهو مأمور من الله تعالى بأداء الأمانة، فإذا وقفت على هذه الرحمات من نفسك حالت بينك وبين كل ما يؤدّي إلى بعدك عن الله تعالى وعن سعادتك واتصفت بالانقياد إلى الله في كل حال بما دعاك إليه هذا أثرها فيك إذا شاهدتها فتورثك الأدب الإلهي، ولا يكون هذا الآتي بهذا العلم إليك إلا عالماً بك وبما تكون به حياتك، وهو من الأرواح السيارة والملائكة أولي الأجنحة على طبقاتها في الأجنحة فأعلاهم أقلهم أجنحة، وأقلهم أجنحة من له جناحان، فإنه ما ثم من له جناح واحد لا مساعد له إمّا من جناح أو غيره. وقد رأينا حيواناً على فرد رجل وقد خرج من صدره شبه درة المحتسب يحرّكه تحريك الجناح ويعدو بتلك الحركة ويحرك رجله الواحدة بحيث أن السابق من الخيل لا يلحقه ما بين القل وجيجل ببلاد المغرب فلهذا لمنا من لا مساعد له، فمن الملائكة من له جناحان إلى ستمائة جناح إلى ما فوق ذلك، فهذا علم لا يأتي لمن أتى إليه إلا على يدي ملك كريم مطيع لا يعصي الله ما أمره، له جناحان ينزل بهما إلى قلب هذا العبد، فإن أجنحة الملائكة للنزول لا للصعود، وأجنحة الأجسام العنصرية للصعود لا للنزول، لأن الملائكة تجري بطبعها الذي عليه صورة أجسامها إلى أفلاكها التي عنها كان وجودها، فإن نزلت إلى الأرض نزلت طائرة بتلك

الأجنحة، وهي إذا رجعت إلى أفلاكها ترجع بطبعها بحركة طبيعية، وإن حركت أجنحتها حتى أنها لو لم تحرك أجنحتها لصعدت إلى مقرّها ومقامها بذاتها وأجسام الطير العنصري يحرك جناحه للصعود، ولو ترك تحريك جناحه أو بسطه لنزل إلى الأرض بطبعه فما يبسط جناحه في النزول إلا للوزن في النزول لأنه إن لم يزن نزوله وبقي مع طبعه تأذى في نزوله لقوّة حكم الطبع، فحركة جناحه في النزول حركة حفظ فاعلم ذلك.

واعلم أن البهائم تعلم من الإنسان ومن أمر الدار الآخرة ومن الحقائق التي الوجود عليها ما يجهله بعض الناس ولا يعلمه، كما حكي عن بعضهم أنه رأى رجلاً راكباً على حمار وهو يضرب رأس الحمار بقضيب فنهاه الرائي عن ضربه رأس الحمار فقال له الحمار: دعه فإنه على رأسه يضرب فجعله عين الحمار وعلم الحمار أنه مجازى بمثل ما فعل معه وقوله دعه لما علم الحمار ما له في ذلك من الخير عند الله أو لعلمه أيضاً بأنه ما وفى له بحق ما خلق له من التسخير فعلم أنه مستحق بالضرب، فنبه بذلك السامع له أن الشخص إذا لم يجيء بحق ما تعين عليه لصاحبه استحق الضرب أدباً وجزاء لما كان منه، وهذه كلها وجوه محققة لصورة هذا الفعل والقول من هذا الحمار إلى غير ذلك من الوجوه التي يطلبها هذا الفعل. وقال رسول الله ﷺ في ناقته لما هاجر إلى المدينة وبركت الناقة بفناء أبي أيوب الأنصاري فأراد من حضر من أصحابه ﷺ أن يقيمها والنبيّ ﷺ راكب عليها فقال: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»؟ وقال: «**حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ**» يعني عن مكة، وحديث الفيل مشهور الصحة، فجميع ما سوى الثقلين وبعض الناس والجان على بينة من ربهم في أمرهم من حيوان ونبات وجماد وملك وروح.

ويتضمن هذا المنزل من العلوم: علم الأعداد وعلم الحروف وهو علم الأولياء، كذا قال محمد بن علي الترمذي الحكيم، وعلم المجمل، وعلم الرحمات المختصة بالإنسان، وعلم التبيان، وعلم البشائر، وعلم مراتب الإيمان، وعلم إقامة نشأة الأعمال من المكلفين وغير المكلفين، وعلم التلقي الروحاني المظهر من الملقي الذي هو الحق لا الملك، وعلم أداء حقوق الغير، وعلم ما يكون من الله لمن مشى في حق أخيه، وعلم تولي الحق ذلك بنفسه، وعلم ما هي الحضرة الإلهية عليه من الأمان الذي لا يعلمه إلا العالمون بالله ذوقاً، وعلم تقلب الأحوال فتتقلب لتقلبهم المواهب الإلهية، وعلم الآيات والدلالات وعلى ماذا تدل واختلافها مع أحدية المدلول، وعلم ما يحجب القلب عن العلم بالشيء مع وجود البيان في ذلك، وعلم العناية الإلهية بوهب العلم، وعلم ما يحصل من العلم بطريق الورث، وعلم مراتب الحيوان وفيماذا يتفاضلون وما يكونون فيه على السواء وهل الإنسان يلحق بالحيوان أو هو نوع خاص؟ وبماذا يختص عن الحيوان وقد علمنا أن كل حيوان فهو ناطق، وعلم آداب الملوك وكيف ينبغي أن يكون الملك في ملكه ولنا في هذا الفن كتاب سميناه التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، وعلم النصائح لدفع الضرر والتوقي، وعلم التوحيد الذي يختص بالبهائم، وعلم جواز الكذب على كل ناطق مع العلم بأنه صادق ما عدا الثقلين فإنهما

قد يكذبان في كثير مما يخبرون به، وعلم اتخاذ الملوك الجواسيس وما ينبغي للجاسوس أن يظهر به من الصفات في حال تجسسه وما يحمد من ذلك وإن كان كذباً، وعلم مشورة الأعلى للأدنى مع علمه بأنه يصل إلى العلم بما يريد العلم به من غير مشورة وكون الحق تعالى أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه في الأمر الذي يعن له إذا لم يوح إليه فيه شيء، وعلم قول النبيّ ﷺ: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**» وما للعطاء في النفوس من الأثر القادح في الإيمان هل هو محمود أو مذموم؟ فإن الإحسان محبوب لذاته فهل المحسن مثل ذلك أم ينفصل عن الإحسان؟ فإنها مسألة خطرة عظيمة في إحسان من أمرك الله أن تعاديه فتقبل إحسانه من غير أن يؤثر فيك مودّة له إيثاراً لجناب الله وامتثالاً لأمره، وهذا هو خروج عن الطبع وهو صعب مشكل يمكن أن لا يتصوّر وقوعه، وإن لم يظهر له حكم في الظاهر فإن الباطن لا يمكن له دفع ذلك، وعلم الموازنة بين المحسنين فيما أحسنا فيه لشخص بعينه هل يقع للنفس ترجيح من حيث ما أحسنا به لا من حيث الإحسان؟ فإن وقع فيه تفاضل هان الأمر فيه على المؤمن العالم المشاهد إحسان الله العالم المسخر. وعلم الخواص والظهور به في موطن القربة إلى الله تعالى بذلك، وعلم شكر المنعم، وعلم ما تستحقه الربوبية مما لا يقع فيه اشتراك، وعلم الالتباس للابتلاء، وعلم النظر إلى المخطوبة وما أبيح للناظر أن ينظر منها شرعاً فإنه أمر بذلك، وعلم صورة تعلم العلم، وعلم الاعتراف بين يدي المعلم بالجهل، وعلم الحيل والمكر والكيد وما يذم من ذلك وما يحمد، وعلم الثناء المطلق والمقيد وهل من ثناء مطلق أو لا يصح ذلك بالحال؟ وإن أطلقه اللفظ وعلم حصر ما يتقيد به الثناء من كل مثني ومثنى عليه، وفيه علم التخيير من العالم بالحق، وفيه علم منزلة الأرض وما زينت به، وفيه علم سبب إجابة الله دعاء الكافر والمشرك ومتى يوحد المشرك ربه، وفيه علم اندراج النور في الظلمة، وفيه علم الخلق والرزق، وفيه علم القيامة، وفيه علم إنكار الممكن، وفيه علم كشف الغيب في حضرة الغيب، وفيه علم من ينادي ولا يجاب، وفيه علم هل يعم الحشر كل ميت أو لا يحشر إلا بعض الموتى؟ وفيه علم الناقور الذي هو الصور وما هو، وفيه علم أي جزاء هو أفضل من عمله أو كل جزاء أفضل من عمله وهو علم شريف، وفيه علم عبادة الرب من حيث ما هو مضاف إلى كونٍ ما، وفيه ما تعطي الرؤية من علم ما كان يعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار والقرار والأبدار وصحيح الأخبار

[البسيط]:

إنَّ الـمَقَـادِيـر أوزانٌ مُـنَـظَّـمَـةٌ   تـأتـي بـهـا ظُـلَـلٌ مِـنْ فـوقـهـا ظُـلَـلُ
مـن الـغَـمَـام ومـنْ غـيـر الـغـمـام يُـرَى   عـنـد الـتَّـنَـزُّل فـي إعـجـازهـا كَـلَـلُ
تـحـوي عـلـى كـلّ مَـعْـنًـى لـيـس يُـظْـهِـرُهُ   إلا الـخَـطَـابـةُ والأشـعـارُ والـمَـثَـلُ

فمنه ما هو محمودٌ فمُرتَفِعٌ ... ومنه ما هو مَذْمُوم فمُنْسَفلُ
ومَنْ ينازعُني فيما أفُوهُ به ... فالناسُ كُلُّهُم أعداءُ ما جَهِلُوا

اعلم أسعدنا الله وإياك بسعادة الأبد أن النفس الناطقة سعيدة في الدنيا والآخرة لاحظ لها في الشقاء لأنها ليست من عالم الشقاء، إلا أن الله أركبها هذا المركب البدني المعبر عنه بالنفس الحيوانية فهي لها كالدابة وهي كالراكب عليها، وليس للنفس الناطقة في هذا المركب الحيواني إلا المشي بها على الطريق المستقيم الذي عينه لها الحق، فإن أجابت النفس الحيوانية لذلك فهي المركب الذلول المرفاض، وإن أبت فهي الدابة الجموح كلما أراد الراكب أن يردّها إلى الطريق حرنت عليه وجمحت وأخذت يميناً وشمالاً لقوّة رأسها وسوء تركيب مزاجها، فالنفس الحيوانية ما تقصد المخالفة ولا تأتي المعصية انتهاكاً لحرمة الشريعة، وإنما تجري بحسب طبعها لأنها غير عالمة بالشرع، أو اتفق أنها على مزاج لا يوافق راكبها على ما يريد منها، والنفس الناطقة لا يتمكن لها المخالفة لأنها من عالم العصمة والأرواح الطاهرة، فإذا وقع العقاب يوم القيامة فإنما يقع على النفس الحيوانية، كما يضرب الراكب دابته إذا جمحت وخرجت عن الطريق الذي يريد صاحبها أن يمشي بها عليه، ألا ترى الحدود في الزنى والسرقة والمحاربة والافتراء إنما محلها النفس الحيوانية البدنية وهي التي تحس بألم القتل وقطع اليد وضرب الظهر؟ فقامت الحدود على الجسم وقام الألم بالنفس الحساسة الحيوانية التي يجتمع فيها جميع الحيوان المحس للآلام، فلا فرق بين محل العذاب من الإنسان وبين جميع الحيوان في الدنيا والآخرة والنفس الناطقة على شرفها مع عالمها في سعادتها الدائمة. ألا ترى إلى النبيّ ﷺ قد قام لجنازة يهوديّ فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال ﷺ: «**أَلَيسَتْ نَفْساً**» فما علل بغير ذاتها فقام إجلالاً لها وتعظيماً لشرفها ومكانتها، وكيف لا يكون لها الشرف وهي منفوخة من روح الله، فهي من العالم الأشرف الملكي الروحاني عالم الطهارة فلا فرق بين النفس الناطقة مع هذه النفس البدنية الحيوانية وبين الراكب على الدابة في الصورة فإما جموح وإما ذلول، فقد بان لك أن النفس الناطقة ما عصت وإنما النفس الحيوانية ما ساعدتها على ما طلبت منها، وأن النفس الحيوانية ما خوطبت بالتكليف فتتصف بطاعة أو معصية فاتفق أن كانت جموحاً اقتضاه طبعها لمزاج خاص فاعلم ذلك وأن الله يعم برحمته الجميع، فإن رحمة الله سبقت غضبه لما تجاريا إلى الإنسان.

واعلم أن الله تعالى لم يزل ناظراً إلى أعيان الأشياء الممكنة في حال عدمها، وأن الجود الإلهي لا يزال يمتن عليها بالإيجاد على ما سبق العلم به من تقدم بعضها على بعض في الوجود بالإيجاد، ولما كان ما به بقاء عين الجوهر الكل لا يتمكن إلا بقيام بعض الممكنات به مما لا يقوم بنفسه منها لم يزل الحفظ الإلهيّ يحفظ عليها بقاءها به وهي في ذاتها لا تقبل البقاء إلا زمان وجودها، فلا يزال الجود الإلهيّ يوجد لهذا الجوهر الكل الذي فتح الله فيه صور العالم ما به بقاؤه من الممكنات الشرطية، فلا يزال الله خالقاً على الدوام حافظاً له على

الدوام، وكذلك سبحانه وتعالى لولا أنه أسرى بسر الحياة في الموجودات ما كانت ناطقة، ولولا سريان العلم فيها ما كانت ناطقة بالثناء على الله موجدها ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] فأتى بلفظ النكرة وما خص شيئاً ثابتاً من شيء موجود، لأنها قبلت شيئية الوجود على الحال التي كانت عليها في شيئية الثبوت، وقد أعلمنا الله أنه خاطبها في حال عدمها، وأنها امتثلت أمره عند توجه الخطاب، فبادرت إلى امتثال ما أمرها به، فلولا أنها منعوتة في حال عدمها بالنعوت التي لها في حال وجودها ما وصفها الحق بما وصفها به من ذلك وهو الصادق المخبر بحقائق الأشياء على ما هي عليه، فما ظهرت أعيان الموجودات إلا بالحال التي كانت عليها في حال العدم، فما استفادت إلا الوجود من حيث أعيانها ومن حيث ما به بقاؤها، فكل ما هي عليه الأعيان القائمة بأنفسها ذاتي لها، وإن تغيرت عليها الأعراض بالأمثال والأضداد إلا أن حكمها في حال عدمها ليس حكمها في حال وجودها من حيث أمر ما، وذلك لأن حكمها في حال عدمها ذاتي لها ليس للحق فيها حكم، ولو كان لم يكن لها العدم صفة ذاتية، فلا تزال الممكنات في حال عدمها ناظرة إلى الحق بما هي عليه من الأحوال لا يتبدل عليها حال حتى تتصف بالوجود، فتتغير عليها الأحوال للعدم الذي يسرع إلى ما به بقاء العين، وليست كذلك في حال العدم فإنه لا يتغير عليها شيء في حال العدم، بل الأمر الذي هي عليه في نفسها ثابت إذ لو زال لم تزل إلا إلى الوجود ولا يزول إلى الوجود إلا إذا اتصف العين القائم به هذا الممكن الخاص بالوجود، فالأمر بين وجود وعدم في أعيان ثابتة على أحوال خاصة، فإذا حققت هذا الذي أبرزناه إليك علمت الخلق والخالق، وما ينبغي للخلق أن تكون عليه من الحكم، وما ينبغي للخالق أن يوصف به فإنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فلا يشبهه شيء ثابت ولا شيء موجود، وما وقفت على ما وقفت عليه من هذا العلم الذي أداني شهوده وحكمه إلى البقاء معه وإلى أن الزهد في الأشياء لا يقع إلا من الجهل القائم بهذا الزاهد وهو عدم العلم، ومن الغطاء الحجابيّ الذي على عينه وهو عدم الكشف والشهود لما ذكرناه؛ فإذا علم أو شاهد أن العالم كله ناطق بتسبيح خالقه والثناء عليه وهو في حال الشهودة كيف يتمكن له الزهد فيمن هذه صفته وعينه وذاته وصفاته من جملة العالم وقد أشهده الله وأراه آياته في الآفاق وهي ما خرج عنه وفي نفسه وهي ما هو عليه، فلو خرج عن غيره ما خرج عن نفسه، فمن خرج عن العالم وعن نفسه فقد خرج عن الحق، ومن خرج عن الحق، فقد خرج عن الإمكان والتحق بالمحال، ومن حقيقته الإمكان لا يلحق بالمحال، إذن فدعواه بأنه خرج عن كل ما سوى الله جهل محض، وإنما ذلك انتقال أحوال لا يشعر بها لجهله فيخيل له جهله أن العالم بمعزل عن الله، والله بمعزل عن العالم فيطلب الفرار إليه فهذا فرار وهميّ، وسبب ذلك عدم الذوق للأشياء وكونه سمع في التلاوة ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠] وهو صحيح إلا أن هذا الفارّ بهذه المثابة لم يجعل باله إلى ما ذكر الله في الآية التي أتبعها هذه الآية وهي قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ [الذاريات: ٥١] فلو عرف هذا التتميم عرف قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى

ٱللَّهِ﴾ أنه الفرار من الجهل إلى العلم، وأن الأمر واحد أحدي، وأن الذي كان يتوهمه أمراً وجودياً من نسبة الألوهة لهذا الذي اتخذه إلهاً محال عدميّ لا ممكن ولا واجب، فهذا معنى الفرار المأمور به فإليه من حيث نسبة الألوهة إليه يكون الفرار فافهم. وأما الفرار الثاني المتلو فقوله عن موسى عليه السلام: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] لما علم أن الله وضع الأسباب وجعل لها أثراً في العالم بما يوافق الأغراض وبما لا يوافقها وبما يلائم الطبع وبما لا يلائمه، وخلق الحيوان على مزاج يقبل به الألم واللذة بخلاف النبات والجماد فإنهما وإن اتصفا بالحياة عند أهل الكشف فإنهما على مزاج لا يقبل اللذة والألم، ووقع من موسى عليه السلام ما وقع من قتل القبطي ففرّ إلى النجاة التي يمكن أن تحصل له بالفرار فرأى، أن الفرار من الأسباب الإلهية الموضوعة في بعض المواطن لوجود النجاة فهو فرار طبيعيّ لأنه ذكر أن الخوف من السبب جعله يفرّ لكنه معرّى عن التعريف بما ذكرناه من الوضع الإلهي فلم يوف النظر العقلي حقه، فإن هذا كان قبل نبوّته ومعرفته بما يريده الحق به، فلما فرّ خوفاً من فرعون تلقاه الحق بالنجاة وجمع بينه وبين رسول من رسله وهو شعيب عليهما السلام ثم أعطاه النبوّة والحكم الذي خاطب الله به القبط وبني إسرائيل أن يكونوا عليه وأرسله بذلك إلى من خاف منه، فكان ذلك الإرسال كالعقوبة لما لحقه من الخوف من السبب الموضوع ولم يوف السبب الموضوع حقه أعني النظر العقلي، فكان ينبهه في الفرار أنه خوف من الله، إذ لا قدرة مؤثرة للممكن في إيصال خير أو شرّ إلى ممكن آخر، وأن ذلك كله بيد الله فجاءه بالرسالة والحكم من عند الله وأمنه بما أعطاه الله من العلم بما يؤول إليه أمره مع فرعون وآله وأراه إذ كلمه ما أراه من قلب العصا حية، وإنما قلنا عقوبة كان ذلك الإرسال إلى فرعون وأن الخوف معه باق منه لقوله تعالى له ولأخيه حين قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] فقال الله: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ ما نسي مما كان قد علم من امتناننا عليه ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] يقول: أو يخاف مما يعرفه من أخذنا وبطشنا الشديد بمن قال مثل مقالته ممن تقدمه وحصل عنده العلم به، وهذا مثل قوله تعالى لنبينا ﷺ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهذا جدال في الله لين مأمور به وتعطف والترجي من الله إذا ورد واقع بلا شك، ولهذا قال العلماء: إن كلمة عسى من الله واجبة وقد ترجى من فرعون التذكر والخشية فلا بد أن يتذكر فرعون ذلك في نفسه وأن يخشى، ولكن لم يظهر من ذلك شيئاً على ظاهره وإن كان قد حكم التذكر والخشية على باطنه ولذلك لم يبطش بموسى ولا بأخيه في المجلس فإنه صاحب السلطان والقهر في ذلك الوقت فما منعه إلا ما قام به من التذكر والخشية من الحق، ومانع آخر فلم يكن هناك إذ لو كان هناك مانع آخر ظاهر يلجأ إليه موسى عليه السلام ما قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] لعدم التكافؤ في القوّة الظاهرة، فأيده بما أوصاهما به من القول باللين، فكانت هذه المخاطبة من جنود الله

قابل بها جنود باطن فرعون فهزمهم بإذن الله، فتذكر وخشي لما انهزم جيشه الذي كان يتقوى به فذل في نفسه فشغلته تلك الذلة والمعرفة عن أن يحكم بقوّة ظاهره فلم يبطش بهما في ذلك المجلس فهذه فائدة العلم، فإن العلم إذا لم يثمر لصاحبه ما تعطيه حقيقته فما ثم علم أصلاً ولا ذلك عالم، وقد تقدم الكلام في مثل هذا فيما مضى من المنازل، فالناس يأخذون بهذا الفرار الموسوي ولا يعرفون حقيقة ما أخذوا به ولا نظروا في ذلك هذا النظر الذي ذكرناه.

وإذا علمت هذا فاعلم أيضاً أن الله ما خلق الإنسان عالماً بكل شيء بل أمر نبيه ﷺ أن يطلب منه تعالى مزيد علم إذ قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فهو في كل حال يستفيد من العلم ما به سعادته وكماله، فالذي فطر عليه العالم والإنسان من العلم العلم بوجود الله والعلم بفقر المحدث إليه، فإذا كان هذا فلا بد لكل من هذه صفته أن يفرّ إلى الله لمشاهدة فقره، وما يعطيه حكم الفقر من الألم للنفس ليغنيه من انقطع إليه، فربما يزيل عنه ألم الفقر بما به تقع اللذة له وهو الغني بالله، وهو مطلب لا يصح حصوله أصلاً لأنه لو استغنى أحد بالله لاستغنى عن الله والاستغناء عن الله محال فالاستغناء بالله محال؛ لكن الله يعطيه أمراً ما من الأمور التي يحدثها الله فيه عند هذا الطلب يغنيه به ويزيل عنه ما يجده من اللذة ألم ذلك الفقر المعين، لا يزيل عنه ألم الفقر الكلي الذي لا يمكن زواله عن الممكن، لأن الفقر له وصف ذاتي لا في حال عدم ولا في حال وجود، ولهذا لم يجعل في نفس الممكن إلا ما إذا أعطاه ذلك وجد عنده لذة مزيلة ألم الطلب، ثم يحدث له طلب آخر لأمر آخر أو لبقاء ذلك الحاصل له على الدوام دنيا وآخرة، فلا بد لمن هذه حاله من تخل وفرار عن الأمور الشاغلة له عن هذا الأمر حتى يكشف الله عن بصيرته وبصره فيشاهد الأمر على ما هو عليه، فيعلم عند ذلك كيف يطلب وممن يطلب ومن يطلب وأمثال هذا، ويعلم معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦] أي المثنى عليه بالغنى وتدبر قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لأنه يستحيل عليه أن يعبد نفسه، ولما قلناه أتى بالحميد لأن صفة الغنى لا شيء أعلى منها وهي صفة ذاتية للحق تعالى، فافهم الإشارة فالعبارة هنا حرام.

وإذا تقرر هذا علمت كون رسول الله ﷺ كان يخلو بغار حراء ليتحنث فيه ويفر من مشاهدة الناس لما كان يجده في نفسه من الحرج والضيق في مشاهدتهم، فلو نظر إلى وجه الحق فيهم ما فر منهم ولا كان يخلو بنفسه، وما زال على هذه الحال حتى فجئه الحق فرجع إلى الخلق ولم يزل فيهم فإنه لم يزل في غار حراء مع نفسه فما زال إلا من بعض الناس لا من كل الناس فافهم، فلا بد لكل طالب ربه أن يخلو بنفسه مع ربه في سره لأن الله ما جعل للإنسان ظاهراً وباطناً إلا ليخلو مع الله في باطنه ويشاهده في ظاهره في أسبابه بعد أن ينظر إليه في باطنه حتى يميزه في عين الأسباب وإلا فلا يعرفه أبداً فما يرجع من يرجع إلى الخلوة مع الله في باطنه إلا لأجل هذا، فباطن الإنسان بيت خلوته لو عقل عن الله.

فلما علمت في أوّل الأمر أن الشأن على ما ذكرته تجرّدت عن هيكلي هذا تجرداً علمياً

حالياً لجهلي بمكانة الحق من هذا الهيكل وعدم علمي بأن لله وجهاً خاصاً في كل شيء، فلما صرت عن هذا الهيكل أجنبياً نظرت إليه كأنه سبحة سوداء مظلم الأقطار لم أر فيه من النور شيئاً فسألت عن هذه الظلمة من أين لحقت؟ فقيل لي: هذه ظلمة الطبيعة فإن الظلمات ثلاث تراكم بعضها على بعض حتى إذا أخرج أحد يده لم يكد يراها فأحرى أن لا يراها، فنفى مقاربة الرؤية فكيف الرؤية؟ فالظلمة حجاب إلهي يحجب عن وجود الحق فقلت: ما هذه الظلمات الثلاث؟ فقيل لي: الظلمة الأولى المشهودة لك ظلمة الطبيعة فهي الطبقة الأولى التي تلي بصرك، ثم إن هذه الطبيعة ما وجدت إلا في المرتبة الثالثة ففوقها ظلمة السبب الحادث الممكن التي وجدت عنها فهي وجود محدث عن محدث وهي النفس فهي الظلمة الثانية فاشتد ظلام الطبيعة وتضاعف بظلمة النفس فأشهدت النفس فرأيت ظلمة فوق ظلمة، ثم قيل لي: فوق هذه الظلمة الثانية ظلمة ثالثة وهي السبب الذي وجدت عنه هذه النفس وهو العقل الأوّل فكشف لي عنه فرأيت ظلاماً متراكماً بعضه فوق بعض فقلت: أفلهذا سبب آخر وجد عنه؟ فقيل لي: لا بل هذا أوجده الحق لا عند سبب، فقلت: فما باله مظلماً؟ فقيل لي: هذه الظلمة له ذاتية وهي ظلمة إمكانه يستمدها من ظلمة الغيب الذي لا يقع عليه شهود كما يقع على المغيب فيه إذا ظهر منه وفارقه وصار شهادة، فعن هذه الظلمات الثلاث كان الإنسان من حيث هو جسم حيواني في بطن أمه في ظلمات ثلاث: ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن، فإذا ولدت اندرجت ظلمته فيه فكان ظاهره نوراً وباطنه ظلمة، فلا يتمكن له المشي في ظلمة باطنه إلا بسراج العلم إن لم يكن له هذا السراج فإنه لا يهتدي فيها، فلما رأيت هيكلي وظلمته علمت أنه لو لم يكن له نور بوجه ما ما صَحَّ نظري إليه ولا إدراكي إياه، فسألت عن النور الذي أعده لتعلق رؤيتي به فقيل لي: نور الوجود به رأيته فنظرت إليّ من حيث أني رائي لتلك الظلمة فرأيت ظلها ينبسط علي وما رأيت نوري يزيلها فتعجبت فقيل لي: لا يزول عنك ظلام إمكانك فإنه نعت ذاتي لك فإنك لست بواجب الوجود لذاتك، فقلت: فمن لي بنور لا ظلمة فيه؟ قيل لي: لا تجده أبداً، فقلت: إذاً فلا أشاهد موجدي أبداً فإنه النور المحض والوجود الخالص، فقيل لي: لا تشاهده أبداً إلا منك ولهذا لا تراه أبداً في صورة واحدة فلا تحيط به علماً فلا يتجلى ولا يشهد كما يشهد نفسه فإنه غنيّ عن العالمين، فما يستدل عليه إلا به، فلا يعرف إلا من طريق الكشف والشهود على حدّ ما ذكرناه، وأمّا بالأدلة النظرية فلا يعلم إلا حكمه لا عينه، فلهذا يحكم العقل بدليله على ما يستلزمه هذا الموجود الواجب الوجود مما يفتقر الممكن إليه فيه، فهذا القدر يدل عليه ويعطيه الشهود رتبة فوق هذا تذاق ولا تقال ولا تحكى.

فلما أشهدني الله ذاتي وأشهدني هيكلي، أشهدني بعد هذا نسبة العالم كله إليّ وتوجهه علي في إيجاد عيني، فرأيت تقدمه علي وآثاره فيّ، وعلمت انفعالي عنه وأنه لولاه ما كان لي وجود عيني، فذللت في نفسي حيث أنا تحت قهر ممكن مثلي، وعلمت عند ذلك أني من القليل الذين يعلمون أن خلق السموات وهي الأسباب العلوية لوجودي والأرض وهي

الأسباب السفلية لوجودي أكبر من خلق الناس قدراً لأن لها نسبة الفاعلية وللناس نسبة الانفعال، فأدركني انكسار يكاد أن يؤيسني عن مشاهدة الحق من حيث ما تشهده هذه الأسباب التي لها عليّ في القدر شفوف الفاعلات، فلما حصل عندي ذلك الانكسار قيل لي هذه الأسباب وإن كان لها هذا القدر عليك في المرتبة فيما ظهر فاعلم أنك العين المقصودة، فما وجدت هذه الأسباب إلا بسببك لتظهر أنت فما كانت مطلوبة لأنفسها، فإن الله لما أحب أن يعرف لم يمكن أن يعرفه إلا من هو على صورته، وما أوجد الله على صورته أحداً إلا الإنسان الكامل لا الإنسان الحيوان، فإذا حصل حصلت المعرفة المطلوبة فأوجد ما أوجد من الأسباب لظهور عين الإنسان الكامل فاعلم ذلك، فجبر هذا التعريف الإلهي انكساري وعلمت أني من الكمل وأني لست بإنسان حيوان فقط فشكرت الله على هذه المنة، فلما أشهدني نسبة العالم إليّ ونسبتي إلى العالم وميزت بين المرتبتين وعلمت أن العالم كله لولا أنا ما وجد، وأنه بوجودي صح المقصود من العلم الحادث بالله والوجود الحادث الذي هو على صورة الوجود القديم، وعلمت أن العلم بالله المحدث الذي هو على صورة العلم بالله القديم لا يتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه على الصورة وليس غير الإنسان الكامل ولهذا سمي كاملاً، وأنه روح العالم والعالم المسخر له علوه وسفله، وأن الإنسان الحيواني من جملة العالم المسخر له وأنه يشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة لا في الباطن من حيث الرتبة، كما يشبه القرد الإنسان في جميع أعضائه الظاهرة، فتأمل درجة الإنسان الحيوان من درجة الإنسان الكامل واعلم من أي الأناسي أنت، فإنك على استعداد قبول الكمال لو عقلت، ولهذا تعين التنبيه والإعلام من العالم، فلو لم تكن على استعداد يقبل الكمال لم يصح التنبيه ولكان التعريف بذلك عبثاً وباطلاً، فلا تلومن إلا نفسك في عدم القبول لما دعيت إليه فإن الداعي ما دعا إلا على بصيرة ليلحقك بذاته في البصيرة.

فإذا علمت هذا وأشهدك الحق نسبة العالم إليك بقي عليك أن تعلم نسبة الحق إليك ونسبتك إليه، فأوقفني الحق على نسبة الأسماء الإلهية إليّ لتحصل لي الصورة المقصودة فتنطلق عليّ جميع الأسماء الإلهية التي تنطلق عليه تعالى لا يفوتني منها اسم بوجه من الوجوه، فاعلم أن الاسم لما كان يدل على المسمى بحكم المطابقة فلا يفهم منه غير مسماه كان عينه في صورة أخرى تسمى اسماً فالاسم اسم له ولمسماه، وأراد الله سبحانه أن يعرف كما قررناه بالمعرفة الحادثة لتكمل مراتب المعرفة ويكمل الوجود بوجود المحدث، ولا يمكن أن يعرف الشيء إلا نفسه أو مثله، فلا بد أن يكون الموجود الحادث الذي يوجده الله للعلم به على صورة موجده حتى يكون كالمثل له، فإن الإنسان الكامل حقيقة واحدة، ولو كان بالشخص ما كان مما زاد على الواحد فهو عين واحدة وقال فيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فجعله مثلاً ونفى أن يماثل فلما نصبه في الوجود مثلاً تجارت إليه الأسماء الإلهية بحكم المطابقة من حيث ما هي الأسماء ذات صور وحروف لفظية ورقمية، كما أن الإنسان ذو صورة جسمية، فكانت هذه الأسماء الإلهية على هذا الإنسان الكامل أشد مطابقة منها على

المسمى الله، ولما كان المثل عن مثله متميزاً بأمر ما لا يتمكن أن يكون ذلك الأمر إلا له ولا يكون لمثله كان الأمر في الأسماء التي يتميز المثل عن مثله به ولا يشاركه فيه من جانب الحق الاسم الله فعين ما اختص به المثل عن مثله وكان للمثل الآخر الاسم الإنسان الكامل الخليفة مما اختص به هذا المثل الكوني، وأسماء الحق الباقية مركبة من روح وصورة، فمن حيث صورتها تدل بحكم المطابقة على الإنسان، ومن حيث روحها ومعناها تدل بحكم المطابقة على الله، ولنا حالة وله حالة، والأسماء تتبع تلك الأحوال، فلنا التجريد عن الصور متى شئنا، فالذي لنا من ذاتنا الصور ولكن من حقيقة ذاتنا أيضاً التجرد عنها متى شئنا فتتبعنا الأسماء في حال تجريدنا من حيث أرواحها المجردة عن صورها وله التباس بالصور وهو بالذات غير صورة وبالذات أيضاً يقبل التجلي لنا في الصور فتتبعه الأسماء عينها من حيث صورها إذا لبس الصورة متى شاء، فالأمر بيننا وبينه على السواء مع الفرقان الموجود المحقق بأنه الخالق ونحن المخلوقون وهو الله وأنا الإنسان الخليفة فيشركنا في الخلافة لتحقق الصورة، فإنه أمرنا أن نتخذه وكيلاً والوكالة خلافة فالمختص به الذي يتميز به عني الاسم الله صورة ومعنى، فإذا تجلى في الصورة انطلق عليه بحكم المطابقة صورة الاسم الله، وإذا بقي على ما هو عليه من غير تقييد بصورة انطلق عليه روح الاسم الله. وكذلك الإنسان هذا الاسم هو الذي يميزه عنه وله حالة البقاء على ما هي ذاته عليه من الصورة وله التجريد، ولو لم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعني العلم الحادث في قوله: «كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليه فعرفوني» فجعل نفسه كنزاً والكنز لا يكون إلا مكتنزاً في شيء، فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الإنسان الكامل في شيئيته وثبوته هناك كان الحق مكنوزاً، فلما كسا الحق الإنسان ثوب شيئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الإنسان الكامل بوجوده وعلم أنه كان مكنوزاً فيه في شيئية ثبوته وهو لا يشعر به، فهذا قد أعلمتك بنسبة الأسماء إليه قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ولفظة «كل» تقتضي الإحاطة والعموم، وقال رسول الله ﷺ في دعائه ربه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ**» فهذه إضافة حقيقية وهي إضافة الشيء إلى نفسه لما ذكر لفظين مختلفين صحت الإضافة كحق اليقين، وعلم اليقين والعين واحدة وهي لفظة النفس وكاف الخطاب، وإنما قلنا هذا من أجل أصحاب اللسان حيث قالوا من طريق الأدلة إن الشيء لا يضاف إلى نفسه وهو قول صحيح، غير أن الإضافة هنا وقعت في الصورة والصورة صورتان، فجاز أن تضاف الصورة الواحدة إلى الأخرى وهي النفس وكاف الخطاب وكحق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين. والوجه الآخر أن تكون النفس نفس الإنسان الكامل القابلة لجميع الأسماء الإلهية والكونية، فإن الأسماء الكونية أيضاً تدل بحكم المطابقة عليه إلا ما يختص به منها المحدث كالغنى لله والفقر للإنسان بل للعالم كله، فتكون النفس هنا مضافة إلى كاف الخطاب وهو الحق وتكون إضافة ملك وتشريف واستحقاق، فإضافة الملك كمثل مال زيد، وإضافة تشريف كمثل عبد الملك وخديمه، وإضافة الاستحقاق كسرج الدابة وباب

البيت، وهذه كلها سائغة في قوله نفسك إذا عني بها الإنسان مثل قول عيسى عليه السلام: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] يعني بهذه النفس هنا نفس عيسى أضافها إلى الحق كما هي في نفس الأمر وهو أتم في ا لثناء على الله والتبري مما نسب إليه وقرر عليه واستفهم عنه من قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦] فقال له: أنت ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنه ما يكون فيها إلا ما تجعله أنت فكيف يستفهم من له الخلق والأمر ولم يقل له ما قلت أني إله لعلمه بأنه خليفة وإنسان كامل وأن الأسماء الإلهية له فقال له: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧] ما زدت على ذلك شيئاً، وإذا قال القائل: ما أمر به أن يقوله لم يلزم أن يقول كل ما هو عليه فإنه ما أمر أن يقوله وقد خرج عن العهدة بما بلغ، وقال محمد ﷺ: «**أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ**» فذكر أنه تعالى استأثر بشيء في علم غيبه مما لا يعلمه إلا هو، وليس إلا ما يمكن أن يكون للإنسان الكامل، لكن الله تعالى استأثر به في علم غيبه ما لا يعلمه إلا هو، فعلم من الإنسان مما هو عليه ما لا يعلمه الإنسان الكامل من نفسه فهو غيب الحق لأنه المثل، فاجتمع قول ﷺ وقول عيسى عليه السلام في أمر واحد وهو قوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] وقول محمد ﷺ: «**أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ**» فالإنسان الكامل محل الأسماء كلها التي في قوته قبولها، وما ليس في قوته قبولها فلا يتمكن له قبولها، فليس ذلك من الأسماء التي يقال فيها إنه نقص عنها كالأسماء التي يختص بها الإنسان، ولا يجوز أن تطلق على الله ولا يقال إن الله قد نقصه هذا الاسم أن يطلق عليه، فمعنى الأسماء كلها كل اسم في حقيقة هذا المسمى أن يقبله فاعلم ذلك. فمن علم نسبة الأسماء الإلهية إلى الإنسان كيف هي ونسبة الأسماء الكونية إلى الله كيف هي علم مرتبة الإنسان وتميزه عن العالم كله وشرفه بما هو عليه من الجمعية كالمتفنن صاحب الذوق في كل علم، وقد يكون صاحب علم ما أكمل منه في ذلك العلم مع المشاركة فهو أفضل منه في وجه خاص وهذا أفضل منه بالجمعية، كما نقول بالمفاضلة في النقص فنقول في البليد إنه حمار ومعلوم قطعاً أن الحمار أفضل من الإنسان في البلادة فإنه أبلد منه، وكذلك الملك مع الإنسان الملك أفضل منه في الطاعة، وقد شهد الله له بذلك وذلك لتعريه عن لباس البشرية فلا يعصي الله ما أمره لأنه ما هو على حقائق متضادة تجذبه في أوقات وتغفله وتنسبه عما دعا إليه كما يوجد ذلك في النشأة العنصرية، والإنسان نشأة عنصرية تطلبه حقائق متجاذبة بالفعل صاحب غفلة ونسيان يؤمر وينهى فيتصوّر منه المخالفة والموافقة، فالملك أشد موافقة لله من الإنسان لما تعطيه نشأته ونشأة الإنسان، قال تعالى في الملك: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [التحريم: ٦] وقال في الخليفة الذي علمهم الأسماء: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] فوصفه بالمعصية، فالملك أفضل في الموافقة لأمر الله، والخليفة الإنسان أعلم بالأسماء الإلهية لأن الخليفة إن لم يظهر بما يستحقه من استخلفه حتى يطاع ويعصى وإلا فليس بخليفة فهو أتم في الجمعية وأفضل، والملك أفضل في وجه خاص أو وجهين لكن ما له فضل الجمع،

والصورة لا تكون إلا بالمجموع وإلا فليست بصورة مثلية ولا يقدح في الصورة وكمالها ما تمتاز به الصورة على مثلها فإنه لا بد من ذلك ولولا ذلك لم تكن الصورة مثلاً بل هي عينها ومعلوم أن الأمر ليس كذلك. وهذا المنزل يتسع الكلام فيه يكاد إلى غير نهاية، فلنقتصر على ما ذكرناه ولنذكر بعض ما يتضمنه من العلوم كما تقدم:

فمن ذلك علم الرسوم الطامسة ومراتبها وحصرها في الحقائق التي انحصرت فيها، وفيه علم من ردّ أمره فكاد أن يقتل نفسه وهو دليل على الضيق والحرج وهل هذا من كمال الإنسان أم لا؟ فإن الله وصف نفسه بالغضب والانتقام فهذا الإنسان لما لم يتمكن له من قوّته أن يجد على من يرسل غضبه بالانتقام منه أراد أن يرسله على نفسه فيقتل نفسه فهو ناقص كامل فأعطاه الله الصبر على حمل الأذى فقاوم به ما يجده الطبع من الغيظ على من يرد كلمته وأمره ويريد مقامته، وفيه علم التسكين ووجود الفرح بالمستند إليه إذا تنزل له في الخطاب على سبيل الرفق به لما يجده وهو أن يخاطبه بما يعرفه به في نفسه في الأمر الذي غاظه فيريه من هو أكبر منه قد أغيظ فيجد لذلك عزاً في نفسه ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] وفيه علم كل من جنى فعلى نفسه يجني فإن الأعمال لا تضاف إلا إلى عاملها وإن أضيفت إلى غير عاملها فقد غصبتها حقها، وفيه علم الاستبصار، وفيه علم الأمزجة فيعلم منه ما يضر زيداً ينفع عمراً وما هو دواء لخالد هو داء لحسن، وفيه علم نداء الحق واختلافه مع أحدية النداء، وفيه علم آداب جواب المنادي، وفيه علم الاستنزال باللطف، وفيه علم الجبر، وفيه علم التقرير الكوني ونزول الأعلى إلى مخاطبة الأدنى باللطف مع قهره بالصورة فما المانع له من ذلك هل هو قهر خفي من حيث لا يشعر به أو هو عن رحمة هو عليها مجعولة أو جبلية؟ وفيه علم تنبيه العالم على اكتساب معالي الأمور بإظهار أسبابها لمن لا يعرفها، وفيه علم أسباب الحيرة عن جواب السائلين إذا كان السؤال مما لا يتصوّر عليه الجواب المطابق الذي يطلبه السائل في سؤاله وهل كل سؤال يقتضي جواباً أم لا؟ والسؤال عين الجواب من حيث أحدية الكلام والواحد لا يقع فيه التفصيل ولا الانقسام والسؤال ما هو عين الجواب والكلام إحدى العين فأين محل الانقسام؟ وفيه علم الجدل مع العلم من المجادل أنه مبطل وأن خصمه على الحق فلماذا يبقى على جدله وقد بان له الحق في نفسه؟ فهل له وجه ما إلى الحق أو هو باطل من جميع الوجوه؟ وإذا كان باطلاً من جميع الوجوه فالباطل عدم والعدم لا يقاوم الوجود فإن اللاشيء لا يكون أقوى من الشيء، وفيه علم ما تنتجه المساعدة، وفيه علم الزجر والتخويف والرضا بالقضاء والمقضي معاً للقوّة التي تكون في الراضي وما ينبغي أن يرضى به من المقضي وما لا ينبغي أن يرضى به من ذلك، وفيه علم ما يؤثره الاستناد إلى الكثرة من القوة في نفس المستند وإن خاب فقد يرزق الواحد من القوة ما يزيد على قوّة الكثير فلا يقاومه الكثير، وفيه علم تأثير الكون في الكون هل يفتقر إلى أمر إلهي أو إلى العلم أو منه ما يكون عن علم ومنه ما يكون عن أمر إلهي ومراتب الخلق في ذلك، وفيه علم سرد الأخبار وما فائدتها الزائدة على تأنيس النفوس

بها فإن النفوس تستحلي الأحاديث بطبعها، وفيه علم تفاضل العالم في العلم، وفيه علم ما ينبغي أن يضاف إلى الحق من الأمور وما لا ينبغي وإن كان له، وفيه علم عزة النفس أن يلحق بها المذامّ مع كونها متصفة بها فما الذي يحجبها حتى تتصف بالمذام ولا تحب أن توصف بها، وفيه علم مفاضلة النفوس بعضها بعضاً على الإطلاق، وفيه علم سبب دوام النعم وعدم دوام نقيضه بها، وفيه علم المدد ولماذا يرجع انتهاؤها فيما يوصف منها بالانتهاء هل هو للفعل الموجود فيها أو هل هو لأمر آخر؟ وفيه علم تقاسيم الزمان إلى أزمنة وهو عين واحدة، وفيه علم طلب الأعمال الجزاء وإن تنزه العاملون عنها، وفيه علم من أعلى منزلة هل المتنزه عن طلب الأعواض أو طالب الأعواض، وفيه علم بدء الرسالة في العالم ما سببه وهل في العالم من خرج عن التكليف أم لا؟ وفيه علم ما يتميز به العالي من الأسفل هل بنفسه أو بأمر نسبيّ والأشرف منهما، وفيه علم اختلاف الآيات لاختلاف الأعصار والأحوال وأين ذلك من العلم الإلهي؟ وفيه علم دخول الواسع في الضيق من غير أن يتسع الضيق أو يضيق الواسع، وفيه علم الفرق بين الإناث والذكور في كل صنف صنف، وفيه علم من يصح عليه اسم الأخوة ممن لا يصح ومراتب الأخوة، وفيه علم الموازنات الإلهية والموضوعة، وفيه علم السبب الذي يقوم بالإنسان حتى يعمى قلبه عن طريق الحق مع علمه بالإمكان وهو من أعجب الأشياء مثل قول من قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] مع علمهم بأن ذلك ممكن ولم يوفقهم الله أن يقولوا تب علينا أو أسعدنا، وفيه علم مراتب الوحي الإلهيّ في الإنسان، وفيه علم الدلالة التي لا يمكن ردّها، وفيه علم الفرقان بين النظم والمنظوم والنثر والمنثور وهو علم المقيد والمطلق وفيه علم التقلب من حال إلى حال ومن منزل إلى منزل، وفيه علم تنزل الأرواح النارية من أين تنزل وعلى من تنزل وأين محلها وما ينبغي أن ينسب إليها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل: «إياك أعني فاسمعي يا جارة»

وهو منزل تفريق الأمر وصورة الكتم في الكشف من الحضرة المحمدية

[البسيط]:

انْظُرْ إلى نَقْص ظِلِّ الشَّخْص فيه إذا	ما الشَّمْسُ تَعْلُو فتُفْني ظِلَّهُ فِيهِ
ذاك الدليلُ على تحريكه أبداً	بَدْءاً وفَيْئاً وهذا القَدْرُ يَكْفِيهِ
لو كان يَسْكُنُ وَقْتاً ما بدا أَثَرٌ	في الكَوْن من «كُنْ» وذاكَ الحكمُ مِنْ فِيهِ
فالكونُ مِنْ نَفَسِ الرّحْمن ليس له	أصلٌ سواه فحكمُ القول يُبْدِيهِ
خلاف ما يقتضيه العقلُ فارْمِ به	فإن حكمة شرع الله تَقْضيهِ
ما إن رَأيْتَ له عَيْناً ولا أثَراً	ولو يكونُ لكان العقلُ يُخْفيهِ

اعلم أيدك الله بروح منه أن الأشياء لما خلقها الله على حكم ما اقتضاه الوجود الأصل

الذي هو عليه وله وجد كل ما سوى الله تعالى فما خلق شيئاً إلا وخلق له ضدّاً ومثلاً وخلافاً، فجعل الموافقة في الخلاف والمنافرة في الضدّ والمناسبة في المثل، فأشد الأشياء مواصلة ومحبة واتحاداً الخلاف مع مخالفه، ولهذا يكون الخلاف بحسب من يخالفه ولا يتميز عن صاحبه إلا بحكمه فيتحد الخلافان بالمحل ويتميزان بالحكم فيه، وأما المثل مع مثله فإن المناسبة تجمع بينهما في المودّة فيحب كل مثل مثله بما فيه من مناسبة المثلية وإن لم يجتمعا فيشبه المثل الخلاف في المحبة وإن كان بينهما فرقان بالحقائق فيهما، ويشبه الضد في أنهما لا يجتمعان أبداً فهما كغائب أحب غائباً وهام فيه عشقاً وحكمت الموانع بأن لا يجتمعا، وأما الضد مع ضده فالمنافرة بينهما ذاتية وليس بينهما المودّة التي بين الخلافين، فكل واحد من الضدين يريد ذهاب عين ضده من الوجود، بخلاف الخلافين فالمودة التي بينهما تمنع كل واحد منهما أن يريد ذهاب عين خلافه من الوجود لكن يريد ويشتهي أن لو يمكن الاتحاد به حتى لا تقع المشاهدة إلا على واحد بعينه ويغيب فيه الآخر إيثاراً من كل خلاف على نفسه لخلافه لكنهما لا يجتمعان أبداً لذاتهما، مثال المثلين: بياضان، ومثال الضدين: بياض وسواد، ومثال الخلافين: لون ورائحة أو طعم في محل واحد، والمراد من هذا الذي ذكرناه تعريفك بنسبة العبد من الله ما له من هذه النسب، فاعلم أن الإنسان الكامل جمع بذاته هذه الأمور كلها وليس ذلك لغيره فهو مع الحق مثل ضد خلاف، كما أن ما ذكرناه له هذا الحكم أيضاً على كل واحد من هؤلاء الثلاثة، فإن البياض يخالف البياض بالمحل فإن المحل يميزه فيقال: هذا البياض ما هو هذا البياض، ويضاد مثله فإنهما لا يجمعهما محل واحد وهو مثل له لأن الحد والحقيقة تشملهما من جميع الوجوه، فكل واحد مما ذكرناه يقبل ما يقبله الآخر من المثلية والضدية والخلافية، والذي يحتاج إليه في هذا الباب معرفة الإنسان مع قرينه من الإنس إن عم أو مع غيره من العالم من حيث نسبة ما إن خص، ومعرفة الإنسان مع الحق ليعلم صورته منه على ماذا يكون فإنه قد اعتنى به غاية العناية ما لم يعتن بمخلوق بكونه جعله خليفة وأعطاه الكمال بعلم الأسماء وخلقه على الصورة الإلهية، وأكمل من الصورة الإلهية ما يمكن أن يكون في الوجود، فالإنسان الكامل مثل من حيث الصورة الإلهية ضد من حيث إنه لا يصح أن يكون في حال كونه عبداً رباً لمن هو له عبد خلاف من حيث إن الحق سمعه وبصره وقواه فأثبته وأثبت نفسه في عين واحدة، فمن عرف نفسه عرف ربه معرفة مثل وضد وخلاف فهو الوليّ العدوّ، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ يخاطب المؤمنين ﴿أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] لكونهم أمثالاً لكم لما بين المثلين من الضدية، فقال للمؤمن: عامل العدوّ بضدية المثل لا بمودة المثل لأن حقيقتكما واحدة فافهم فإن العدوّ يريد إخراجك من الوجود كما قدمنا في معرفة الضد ولذلك قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] فما عاملكم العدوّ وإن كان مثلكم إلا بضدية المثل لا بمودّته، وهذا عين ما ذكرناه من أن الضد يريد ذهاب عين ضده من الوجود، فأمرنا إذا أرادوا ذلك بنا أن نقاتلهم فنذهب أعيانهم من الموضع الذي يكونون فيه فننقلهم إلى

البرزخ بالقتل. فانظر ما أعجب القرآن وما أعطي ﷺ من العلم بالأمور. وإن لم تسر هذه الضدية في ذات المثل فليس بمؤمن ولا هو عند الله بمكان ولكن يحتاج إلى ميزان وكشف صحيح حتى يعرف العدوّ الذاتي الذي ينبغي أن يعامله بمثل هذه المعاملة من العدوّ العرضي الذي تعرض له هذه العداوة تزول عنه لزوال ذلك العارض الذي أوجبها كما قال تعالى يخبر عن بعض العباد بما يقول يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني شيطان الإنس لا شيطان الجن ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] فإنه قال: ما أضلني عن الذكر إلا فلان وسمى إنساناً مثله حيث أصغى إليه وقلده في مقالته وحال بينه وبين اتباع ما أمره الله باتباعه وهو ما جاء به رسول الله ﷺ، وسبب ذلك ما جاءهم به عن الله من التحجير الجديد وإن كانوا في تحجير إذ لا بد منه لمصالح العالم ولكنهم كانوا قد ألفوه ونشؤوا عليه ولم يعرفوا غيره، فهم ما أنكروا التحجير وإنما أنكروا هذا التحجير الخاص، ومفارقة المألوف بالطبع عسير ولهذا لا يألف بالطبع الألم وإن تمادى به فإنه يسرّ بزواله له لعدم ألفة الطبع به، فلو ألفه لتألم بزواله، ولما لم يتمكن أن يكون كل إنسان له مرتبة الكمال المطلوبة في الإنسانية وإن كان يفضل بعضهم بعضاً فأدناهم منزلة من هو إنسان حيواني وأعلاهم من هو ظل الله وهو الإنسان الكامل نائب الحق يكون الحق لسانه وجميع قواه وما بين هذين المقامين مراتب، ففي زمان الرسل يكون الكامل رسولاً، وفي زمان انقطاع الرسالة يكون الكامل وارثاً، ولا ظهور للوارث مع وجود الرسول إذ الوارث لا يكون وارثاً إلا بعد موت من يرثه، فلم يتمكن للصاحب مع وجود الرسول أن تكون له هذه المرتبة، فالأمر ينزل من الله على الدوام لا ينقطع فلا يقبله إلا الرسل خاصة على الكمال، فإذا فقدوا حينئذ وجد ذلك الاستعداد في غير الرسل فقبلوا ذلك التنزل الإلهيّ في قلوبهم فسموا ورثة لم ينطلق عليهم اسم رسل مع كونهم يخبرون عن الله بالتنزل الإلهي فإن كان في ذلك التنزل الإلهي حكم أخذه هذا المنزل عليه وحكم به وهو المعبر عنه بلسان علماء الرسوم بالمجتهد الذي يستنبط الحكم عندهم وهو العالم بقول الله لعلمه الذين يستنبطونه منهم، فهذا حظ الناس اليوم من التشريع بعد رسول الله ﷺ ونحن نقول به ولكن لا نقول بأن الاجتهاد هو ما ذكره علماء الرسوم بل الاجتهاد عندنا بذل الوسع في تحصيل الاستعداد الباطن الذي به يقبل هذا التنزل الخاص الذي لا يقبله في زمان النبوّة والرسالة إلا نبيّ أو رسول، إلا أنه لا سبيل إلى مخالفة حكم ثابت قد تقرّر من الرسول ﷺ في نفس الأمر، فإن لم يكن ذلك في نفس الأمر فلا يلقى إلى هذا المجتهد الذي ذكرناه إلا ما هو الحكم عليه في نفس الأمر، حتى أنه لو كان الرسول ﷺ حياً لحكم به مع أنه قرّر حكم المجتهد، وإن أخطأ فما أخطأ المجتهد إلا في الاستعداد كما ذكرناه، فلو أصاب في الاستعداد ما أخطأ مجتهد أبداً بل لا يكون مجتهداً في الحكم وإنما هو ناقل ما قبله من الحق النازل عليه في تجليه، وهذا عزيز في الأمة ما يوجد إلا في أفراد، وعلامتهم أنهم ما يختلفون في الحكم أصلاً لوحدانية الرسالة في هذا الزمان، فإذا اختلفوا فما

هم الذين ذكرناهم فيكون صاحب الحق إذا كانت الأحكام منحصرة القسمة واحداً منهم فإن بقي قسم لم يقع به حكم ربما كان الحق فيه، ومع هذا تعبد كل واحد بما أعطاه دليله، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر فوقع الاجتهاد في الاجتهاد، وإذا تقرّر أن التنزل الإلهيّ لم ينقطع وأنه على ضروب وكلها علم سواء كان تنزل حكم شرعي أو غير ذلك بحسب المواطن، ألا ترى موطن الآخرة في الجنة التنزل فيه دائم ولكن ليس فيه حكم تحجير جملة واحدة بخلاف تنزله في الدنيا؟ فهذا أغنى بحكم المواطن والكل تعريف إلهيّ.

ولما كان في الإنسان الكامل المثل والضد والخلاف كما هو في الأسماء الإلهية المثل كالرحمن الرحيم والخلاف كالرحمن الصبور والضد كالضارّ النافع قال النبيّ ﷺ يرفع هممنا إلى الرتب العالية: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً لَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله**» والله يقول: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وقال ﷺ لربه: «**أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**» فإذا علمت أن الله لا يستحيل عليه خلة عباده فاجهد أن تكون أنت ذلك الخليل بأن تنظر إلى ما يؤدي إلى تحصيل هذه الخلة الشريفة، فإنك لا تجد لها سبباً إلا الموافقة، ولا علم لنا بموافقتنا الحق إلا موافقتنا شرعه، فما حرّم حرّمناه، وما أحل حللناه، وما أباحه أبحناه، وما كرهه كرهناه، وما ندب إليه ندبنا إليه، وما أوجبه أوجبناه، فإذا عمك هذا في نفسك وكانت هذه صفتك وقمت فيها مقام حق صحت لك الخلة لا بل المحبة التي هي أعظم وأخص من الخلة لأن الخليل يصحبك لك والمحب يصحبك لنفسه فشتان ما بين الخلة والمحبة، وقد دللتك على تحصيل هذين المقامين فالخليل يعتضد بخليله والحبيب يبطن في محبه فيقيه بنفسه، فالحق مجنّ المحبوب والخليل مجنّ خليله، ألا ترى إلى ما أجرى الله في نفوس العالم حيث يجعلون الخبز والملح سبباً موجباً لأن يكون كل واحد من الشخصين اللذين بينهما الممالحة فداء لصاحبه يقيه من كل مكروه ويحفظ عليه حفظه على نفسه، وكذلك هو الأمر عليه في عينه، ولما شهدناه مع الحق مشاهدة عين ووقعت الممالحة ورأيت أثرها بحمد الله برهاناً قاطعاً قلت في ذلك: [السريع]

لآكُلَنَّ الخُبْزَ والمِلْحَا	حتى أرى البرهانَ والفَتْحَا
وأنظُرَ الأمْرَ الذي قد بدا	يَثْبُتُ في اللّوح فلا يُمْحَى
وأطْلُبَ الحَرْبَ من أجْل العِدا	لا أطلبُ السّلْمَ ولا الصُّلْحَا
فلو أتاني الأمرُ من عنده	أمْرٌ يريني الكَشْفَ والشَّرْحَا
ألْزَمْتُ نفسي طلباً للعُلَى	أن تُؤْثِرَ المعروفَ والنُّصْحَا
وقلتُ للباني ألا فابْنِ لي	من عَمَلِ الأرواح لي صَرْحَا
عسى أرى بَلْقِيسَ إذ شَمَّرَتْ	عن ساقها إذْ أبْصَرَتْ صَرْحَا
تَخَيَّلَتْ بأنه لُجَّةٌ	فأضْرَبَتْ عن عَرْشها صَفْحَا
ما عَرَفَتْ إذ أبْصَرَتْ نَفْسَهَا	ستراً ولا كشفاً ولا لَمْحَا

فأعطاه الخبز والملح أن لا يتخذ عدوّاً لله محبوباً ولا محباً ولما علم الله ما هو عليه

الإنسان في جبلته من حبه المحسن لإحسانه ومن استجلابه الودّ من أشكاله بالتودّد إليهم علم أنه تعالى إذا قال لهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى﴾ أنهم لما ذكرناه لا يقومون في هذا النهي في جانب الحق مقام ما يستحقه الحق فزاد في الخطاب فقال: ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ وذلك ليبغضهم إلينا لعلمه بأنا نحب أنفسنا ونؤثر أهواءنا عليه تعالى، فليس في القرآن ذم في حقنا من الله أعظم من هذا، فإنه لو علم منا إيثاره على أهوائنا لاكتفى بقوله: ﴿عَدُوِّى﴾ ثم تمم على نسق واحد فقال: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ يعني في موطنه فإن مفارقة الأوطان من أشق ما يجري على الإنسان، فلما علم الله أنكم لا يقوم عندكم إخراج الرسول مع بقائكم في أوطانكم ذلك مقام ما يستحقه الرسول منكم قال: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] فشرككم في الإخراج مع الرسول كما شرككم في العداوة مع الله لتكونوا أحرص على أن لا تلقوا إليهم بالمودّة وأن تتخذوهم أعداء، والمؤمنون هنا كل ما سوى الرسول، فإن الرسول إذا تبين له أن شخصاً ما عدو لله تبرأ منه، قال تعالى في حق إبراهيم وأبيه آزر بعدما وعظه وأظهر الشفقة عليه لكونه كان عنده في حد الإمكان أن يرجع إلى الله وتوحيده من شركه فلما بين الله له في وحيه وكشف له عن أمر أبيه وتبين إبراهيم أن أباه آزر عدوّ لله تبرّأ منه مع كونه أباه فأثنى الله عليه فقال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] وقد كان إبراهيم في حق أبيه أوّاهاً حليماً لا الآن، وقد ورد في الخبر: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَجِدُ أَبَاهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فِي صُورَةِ ذِيخ فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ فَيَرْمِي بِهِ فِي النَّارِ**» فانظر ما أثر عند الخليل إيثاره لجناب الحق من عداوة أبيه في الله تعالى، فالله يجعلنا ممن آثر الحق على هواه وأن يجعل ذلك مناه، فما أعظمها عندي من حسرة حيث لم نكن بهذه المثابة عند الله حتى نكتفي بذكر عداوتهم لله وإخراج الرسول. فهنا ينبغي أن تسكب العبرات، فالسعيد من وجد ذلك من نفسه فلم يدخل تحت هذا الخطاب، وعلى قدر ما ينقصك من هذا الحال ينقصك من المعرفة بالله، ومن الوقت الذي فتح الله علي في هذا الطريق ما لقيت أحداً على هذا القدم فعرفته به وإن كان عليه في نفس الأمر ولكن ما عرفني الله به وربما عرضت له به فلم أجد عنده إلا النقيض، لكني أعلم أن في الأرض عباداً لهم هذا المقام، فالحمد لله الذي فتح علي به ونرجو إن شاء الله البقاء عليه، فإن أكثر أبواب المعرفة بالله تحول بين هذا المقام وبين المؤمنين والعلماء فهو مقام غامض صعب التصور تقدح فيه معارف إلهية كثيرة، ومتى لم يحصل لأحد هذا المقام ذوقاً فاعلم أنه بينه وبين من هو عدو لله مناسبة، ولتلك المناسبة لم يتبرّأ منه إذا تبين له لأنه قبل التبيين يعذر، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٠] فليس بأصحاب الجحيم إلا أعداء الله تعالى الذين هم أهل الجحيم: [البسيط]

فكُنْ مع الحَقّ لا تَبْغي به بَدَلاَ ... وأَفْرِدِ الحَقَّ لا تَضْرِبْ له مَثَلاَ

والله ولي الإعانة والتوفيق.

واعلم أن هذا المنزل يحوي على علم الزيادة من الخير، وفيه علم ما يتميز به الحق من الباطل والحدود التي تفصل بين الأشياء وتميز بعضها عن بعض، وفيه علم عبيد الكنايات لا عبيد الأسماء وما بينهما من المراتب في الرفعة والشرف ومن أشد وصلة في العبودية هل عبد الكناية أو عبد الاسم؟ وفيه علم ما يتعلق بالعلم كله من العلوم، وفيه علم ما يختص به الحق من الصفات دون خلقه، وفيه علم التنزيه لماذا يرجع هل لوجود أو لعدم؟ وفيه علم الموازين، وفيه علم ما أوجب اتخاذ الشريك في العالم وكل مولود فإنما يولد على الفطرة فمن أين كفر الأول وأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يشرّكانه أو يمجسانه؟ وهل العقل ينزل هنا من حيث فكره منزلة الأبوين في كون هذا الشخص قد أخرجه نظره من فطرته إلى إثبات الشريك؟ وفيه علم ما يملكه الإنسان بذاته مما لا يملكه وتصرفه فيما لا يملكه لماذا تصرف فيه؟ وفيه علم ما يؤول إليه قائل الزور والشاهد به وكون الحاكم غير معصوم باتباع هواه ولماذا أبقاه الله حاكماً في ظاهر الأمر وإن كان معزولاً في باطن الأمر فيما حكم فيه بهواه وقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: ١١٢]. وفيه علم العلامات التي يعرف بها الصادق من الكاذب وهي من العلامات التي لا تُقال بل يجدها الإنسان من نفسه إذا كان من أهل المراقبة لأحواله فلا يفوته علم ذلك ومن لم تكن المراقبة حاله فإنه لا يعرف تلك العلامات أصلاً والمؤمنون أحق بمعرفتها من أصحاب النظر، وفيه علم ما يختص به الشيوخ في هذا الطريق يعرف به حال المريدين متى يستحقون أن يكونوا مريدين وأن يقبل عليهم الشيخ قبول إفادة، وليس للشيخ في هذا الطريق أن ينبه المريد على صورة ما يكون بحصول معناها في نفسه حصول الفتح له ونيل السعادة لئلا يظهر بالصورة في ذلك والباطن معرّى عن المعنى الموجب لتلك الصورة، فإن قلت: فهذا لا ينبغي للشيخ أن يستره عن المريد. قلنا: بل ينبغي أن يستره عن المريد وواجب عليه ذلك لعلمه أن المعنى الموجب لظهور تلك الصورة إذا قام بالمريد أوجب له ظهور تلك الصورة فيعلم الشيخ عند ذلك أن الله قد أهل ذلك المريد لأن يكون من أهل الحق، وإذا أعلمه الشيخ بذلك المعنى الموجب لإظهار هذه الصورة والنفس مجبولة على الخيانة وعدم الصدق ظهر بالصورة مع عدم المعنى فيقع الغلط كما يظهر المنافق بصورة المؤمن في العمل الظاهر والباطن معرى عن الموجب لذلك العمل، وفيه علم الضيق في النار ما سببه مع ما فيه من السعة، وفيه علم ما يقرن مع المؤمن في الجنة وما يقرن مع المشرك في النار والفرق بين الوجود والتوحيد فإن المشرك مؤمن بالوجود غير موحد والعذاب أوجبه في النار عدم التوحيد لا إثبات الوجود فمن هنا تعرف قرين المشرك من قرين المؤمن، وفيه علم دخول جميع الممكنات في الوجود من حيث أجناسها وأنواعها لا من حيث أشخاصها وآحادها لا بل أشخاص بعضها لا كلها، وهنا نظر دقيق يعطيه الكشف هل الخلق الجديد في الصور كلها في الوجود لحاملها التي بعض الناس في لبس منها أو لا؟ فمن رأى التجديد قال: لا تتناهى أشخاص كل نوع أبداً، ومن رأى أن لا تجديد قال في الآخرة إنه قد تناهت أشخاص هذا النوع الإنساني فلا يوجد إنسان بعد ذلك وهي مسألة دقيقة

لا يتمكن لنا الكلام فيها جملة واحدة فإنها من جملة الأسرار التي لا تذاع إلا لأهلها فإنها من العلوم التي لا تُقال إلا لأهل الروائح ومن لا شم له لا يقبل الإخبار عن حقيقتها. وفيه علم ما يعطى مما لا يعطى، وفيه علم ما هي السعادة في أن يجهل فإن العلم يعطى في العالم إذا علم أمراً ما فقد اكتفى به وصار يطلب علماً آخر إذ الحاصل لا يبتغى، فإذا قال: علمت كذا فمن المحال أن تتشوق النفس إليه بعد حصوله فذلك لا يعلم أحد الله أبداً، لأنه يؤدّي إلى الاستغناء عنه من حيث علمه به فإن قلت: بل علمه به جعله لا يستغني عنه. قلنا لك: ما هذا هو العلم به بل العلم الذي ذكرته هو العلم بكونه لا يستغنى عنه والعلم به الذي أردناه أمر آخر فأنت عالم بالحكم لا به، فلا تعارض بين ما اعترضت به علينا وبين ما قلنا فافهم. وفيه علم ابتلاء العالم بعضه ببعض هل هو من باب الرحمة بالعالم أو من باب الشقاء، وفيه علم الموانع التي منعت من قبول ما جاء من عند الله مع تشوق النفوس إلى رؤية الغريب إذا ورد والقبول عليه فإن رحمة الشريعة لا يدركها إلا العلماء خاصة ولهذا لا يردها عالم حيث يراها ولهذا أمرنا بالإيمان بها وإن كانت قد نسخت وارتفع حكمها وصار العمل بها حراماً علينا، وفيه علم نفع العلم، وفيه علم ما تراه شيئاً وليس بشيء وهو شيء لأنك رأيته شيئاً مثاله السراب تراه ماء والآل الذي هو شخص الإنسان في السراب يعظم فلا يشك في عظمه فإذا جئته لم تجده كما رأيته ولا تشك فيما رأيته وغيرك في ذلك الحين ممن هو على المسافة التي رأيته أنت فيها عظيماً يراه عظيماً وأنت تراه ليس بعظيم حين جئته وهو علم إلهي شريف. وفيه علم المفاضلة بين الضدين كالمفاضلة بين السواد والبياض وذلك لكون اللون جمعهما فوقعت المفاضلة، فلا بد في كل مفاضلة في الوجود من جامع يجمع بينهما أي يجتمع فيه جميع من في الوجود، ولهذا فرت الباطنية من الباري إذا قيل لها إنه موجود إلى ليس بمعدوم وما علمت أنها وقعت في عين ما فرت منه فإنه أيضاً كما ينطلق على الموجود الحادث لفظة موجود ينطلق عليه اسم ليس بمعدوم فقد وقعت الشركة في أنه ليس بمعدوم، وكذا جميع ما يسأل عنه الباطني، ولهذا كانوا أجهل الناس بالحقائق، وفيه علم الغمام وهو من الغم وكون الحق يأتي فيه يوم القيامة أو الملائكة أو الحق والملائكة فما يعطي من الغم، وفيه علم متى ينفرد الحق بالملك أو لم يزل منفرداً به ولكن جهل في موطن وعرف في موطن وهو هو ليس غيره فإنه تعالى ملك بالحقيقة والمخلوق ملك بالجعل قال تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] ومن هنا تعلم من هو ملك الملك، وفيه علم الظلم الذي أتت به الشرائع وما أثره، وعلم الظلم الذي يعطيه العقل وما أثره، وعلم الظلم المحمود والمذموم وفيه علم الفرق بين شياطين الإنس وبين شياطين الجن وما ينبغي أن يصحب ومن لا ينبغي أن يصحب مطلقاً من هذا النوع الإنساني. وفيه علم التجاء الدعاة إلى الله إذا لم تسمع دعوتهم سواء كان رسولاً أو وارثاً، وفيه علم كون الحق جعل لكل شيء ضداً، وفيه علم اختصاص أحد الضدين بالحب الإلهي والآخر بالبغض الإلهي والصدور من عين واحدة أو هو من يدين مختلفتين في الحكم وفيه علم حدوث الأحكام بحدوث النوازل وأن الشرع ما انقطع ولا

ينقطع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن انقطعت النبوة فالشرع ما انقطع ما دام في العالم مجتهد، وفيه علم المضاهاة الإلهية للأكوان فهل ذلك لعلو قدر الأكوان أو لأمر آخر مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وفيه علم من يمشي على بطنه من الأناسي وفي أي صورة يحشر من هذا مشيه، وفيه علم من حبس نفسه مع الأدنى مع معرفته بالأعلى، والأعلى يدعوه إليه والأدنى لا يدعوه إليه، فمن يدعوه إلى الأدنى حتى يحبس نفسه عليه، وفيه علم ما يتعدّى الإنسان أيّ إنسان كان في علمه بغيره علمه بنفسه، وفيه علم شهود الكيفيات ومن هو الموصوف عندنا بالكيفية، وفيه علم إلحاق الإنسان الكامل بربه والغيرة الإلهية على المقام إذا ظهر الإنسان بالفعل بصورة ربه وإن حكم الشيء بالفعل يعطي خلاف ما يعطيه بالقوّة فإعطاؤه بالفعل أقوى، وفيه علم الظهور والخفاء والراحة، وفيه علم الأنفاس الظاهرة في العالم بالرحمة وما سبب ذلك وعموم دخول الخلق في هذه الأنفاس، وفيه علم ما يريد الحق ظهوره.ويريد الإنسان المخالف ستره وهو الذي يرىٰ المصلحة في غير الواقع في الوجود، ويحتاج صاحب هذا المقام إلى بصر حديد من أجل الموازين الشرعية، فإن الجهل بما يراه الحق من المصالح أكثر من العلم بالمصالح الظاهرة في الكون أنها ليست مصالح في النظر العقلي عند العقلاء وهو علم دقيق إذا عمل به الإنسان عن كشف وتحقيق لم يخطىء أبداً، وإذا عمل به من ليست له هذه الصفة أخطأ وهو الذي يقول العامة فيه: خطأ السعيد صواب، وصواب من ليس بسعيد خطأ، ورأيت هذا في حطلحة بملطية وشافهني بذلك. وفيه علم الامتزاج الذي لا يمكن فيه فصل وهو كل ضدين بينهما واسطة، كالفاتر بين الحارّ والبارد لا يقدر أحد على فصل الحرارة من البرودة في هذا الفاتر، وفيه علم الفرق بين من هو لله وبين من هو على الله، وفيه علم الطريق إلى الله بالنية وإن لم تكن مشروعة فهي نافعة بكل وجه فإنه ما قصد إلا الله، وعموم التجلي الإلهيّ معلوم فللعبد المشيئة في ذلك، وفيه علم ما يختص بالاسم الرحمن دون غيره من الأسماء الإلهية وما ينبغي أن يعامل به الاسم الرحمن دون غيره من الأسماء الإلهية، وفيه علم المسمى شيئاً ما هو، وفيه علم التناوب وأن المتناوبين لا يجتمعان وما يحدث في عالم الإنسان منهما، وفيه علم التؤدة والسكون وأين يحمدان، وفيه علم صفات السعداء من غيرهم عقلاً وشرعاً، وفيه علم ما يقبل التبديل من الصفات مما لا يقبل وممن لا يقبله، وفيه علم المحفوظين والمعصومين من العلماء العارفين بالله تعالى، وفيه علم ما تنتج الذكرى من المؤمن، وفيه علم من طلب الإمامة فأعين عليها، وفيه علم عناية الدعاة إلى الله وشرف منزلتهم عند الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفي ستين وثلاثمائة

في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة

[البسيط]:

نُورُ القَبُول على التَّحْقيق إيمانُ ... ونُورُ فكْرِكَ آياتٌ وبُرْهَانُ

فنُورُ فكرك لا يَنْفَكُّ ذا شُبَهٍ ... وفيه وقتاً زياداتٌ ونقصانُ

ونُورُ إيمانك الأعلى له عَلَمٌ ... في رَأْسِ مَرْقَبَة ما فيه بُهْتَانُ

ولي عليه إذا ما العَقْلُ ناظره ... على مسالكه حُكْمٌ وسلطانُ

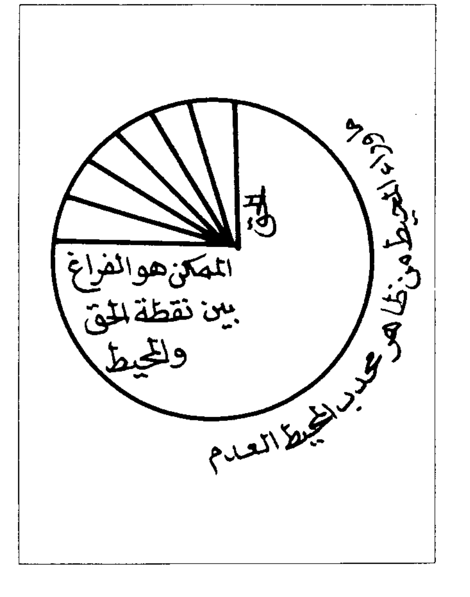
هو الضَّرُوريُّ لا فِكْرٌ ولا نَظرٌ ... ولا يُقَيِّدُهُ رِبْحٌ وخُسْرَانُ

اعلم علمك الله ما يقيك وجعلك ممن ينقيك أن النور يدرك ويدرك به، والظلمة تدرك ولا يدرك بها، وقد يعظم النور بحيث أن يدرك ولا يدرك به، ويلطف بحيث أن لا يدرك ويدرك به، ولا يكون إدراك إلا بنور في المدرك لا بد من ذلك عقلاً وحساً، سئل ﷺ: هَلْ رَأَيْت رَبَّكَ؟ فقالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ» فنبه بهذا القول على غاية القرب فإنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] يقول الله ذلك في المحتضر فالحق هو النور المحض والمحال هو الظلمة المحضة، فالظلمة لا تنقلب نوراً أبداً والنور لا ينقلب ظلمة أبداً، والخلق بين النور والظلمة برزخ لا يتصف بالظلمة لذاته ولا بالنور لذاته وهو البرزخ والوسط الذي له من طرفيه حكم، ولهذا جعل للإنسان عينين وهداه النجدين لكونه بين طريقتين، فبالعين الواحدة من الطريق الواحدة يقبل النور وينظر إليه بقدر استعداده، وبالعين الأخرى من الطريق الأخرى ينظر إلى الظلمة ويقبل عليها وهو في نفسه لا نور ولا ظلمة، فلا هو موجود ولا هو معدوم، وهو المانع القوي الذي يمنع النور المحض أن ينفر الظلمة ويمنع الظلمة المحضة أن تذهب بالنور المحض، فيتلقى الطرفين بذاته فيكتسب بهذا التلقي من النور ما يوصف به من الوجود، ويكتسب بهذا التلقي من الظلمة ما توصف به من العدم، فهو محفوظ من الطرفين ووقاية للطرفين، فلا يقدر قدر الخلق إلا الله، فهذا أصل الأنوار والظلمات الظاهرة في العالم وهو ما انصبغ به الممكن من الطرفين، ولولا ما هو بهذه المثابة من الحفظ لعين الطرفين ما وصف الحق نفسه بما أوجبه على نفسه بقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] لما هو عليه الممكن من الوقاية وراعى المحال أيضاً له ذلك فأفاض عليه من حقيقته فحفظ عليه عدمه وحفظ الحق عليه وجوده، فاتصف الممكن بالوجود والعدم معاً في الإثبات أي هو قابل لكل واحد منهما، كما اتصف أيضاً لهذا بأنه لا موجود ولا معدوم في النفي، فجمع بينهما في وصفه بين النفي والإثبات، فلو كان موجوداً لا يتصف بالعدم لكان حقاً، ولو كان معدوماً لا يتصف بالوجود لكان محالاً، فهو الحافظ المحفوظ والواقي الموقى فهذا الحد له لازم ثابت لا يخرج عنه، ولهذا أيضاً اتصف بالحيرة بين العدم

والوجود لعدم تخلصه إلى أحد الطرفين لأنه لذاته كان له هذا الحكم: [الطويل]

فـإنْ قُـلْـتَ حَـقٌّ كـان قـولـك صـادقـاً   وإنْ قُـلْـتَ فـيـه بـاطـلٌ لَـسْـتَ تَـكْـذِبُ

فإذا علمت هذا فلنقل ما تجاوز فيه الناس من مسمى النور والظلمة المعروفين العرف ظاهراً كالأنوار المنسوبة إلى البروق والكواكب والسرج وأمثال ذلك، والظلم المشهودة المعلومة المدركة ظاهراً للحس، وأنوار الباطن المعنوية كنور العقل ونور الإيمان ونور العلم، وظلمة الباطن كظلمة الجهل والشرك وعدم العقل، والذي ليس بظلمة ولا نور كالشك والظن والحيرة والنظر، فهذا أيضاً ليس بظلمة ولا نور، فهذه مجازات حقائق الواجب والمحال والممكن في عرف الممكنات، فقد جمع الممكن بنفسه حقيقته وحقيقة طرفيه، وأبين ما يكون ذلك في الممكن ما فيه من المعاني والمحسوسات والخيالات، وهذا المجموع لا يوجد حكمه إلا في الممكن لا في الطرفين أصلاً، فالعلم بالممكن هو بحر العلم الواسع العظيم الأمواج الذي تغرق فيه السفن وهو بحر لا ساحل له إلا طرفيه، ولا يتخيل في طرفيه ما تتخيله العقول القاصرة عن إدراك هذا العلم كاليمين والشمال لما بينهما ليس هذا الأمر كذلك، بل إن كان ولا بد من التخيل فلتتخيل ما هو الأقرب بالنسبة لما ذكرناه أن الشأن في نفسه كالنقطة من المحيط وما بينهما فالنقطة الحق والفراغ الخارج عن المحيط العدم أو قل الظلمة وما بين النقطة والفراغ الخارج عن المحيط الممكن كما رسمناه مثالاً في الهامش:



وإنما أعطينا النقطة لأنها أصل وجود محيط الدائرة وبالنقطة ظهرت كذلك ما ظهر الممكن إلا بالحق والمحيط من الدائرة إذا فرضت خطوطاً من النقطة إلى المحيط لا تنتهي إلا إلى نقطة، فالمحيط كله بهذه المثابة من النقطة وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ٢٠] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤] فكانت كل نقطة من المحيط انتهاء الخط، والنقطة الخارج منها الخط إلى المحيط ابتداء الخط فهو الأوّل والآخر، فهو أوّل لكل ممكن كالنقطة أول لكل خط وما خرج عن وجود الحق وما ظهر من الحق فذلك العدم الذي لا يقبل الوجود، والخطوط الخارجة والممكنات فمن الله ابتداؤها وإلى الله انتهاؤها وإليه يرجع الأمر كله، فإن الخط إنما ينتهي إلى نقطة، فأولية الخط وآخريته هما من الخط ما هما من الخط كيف شئت، قلت: وهذا هو الذي ينبغي أن يقال فيه لا هي هو ولا هي غيره كالصفات عند الأشاعرة، فمن عرف نفسه هكذا عرف ربه، ولهذا أحالك الشارع في العلم بالله على العلم

بك وهو قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٥٣] وهي الدلالات في الآفاق وفي أنفسهم فما ترك شيئاً من العالم، فإن كل ما خرج من العالم عنك فهو عين الآفاق وهي نواحيك حتى يتبين لهم أنه الحق لا غيره إذ لا غير، ولهذا كان الخط مركباً من نقط لا تعقل إلا هكذا، والسطح مركب من خطوط فهو مركب من نقط، والجسم مركب من سطوح فهو مركب من خطوط وهي مركبة من نقط، فغاية التركيب الجسم، والجسم ثمان نقط، وليس المعلوم من الحق إلا الذات والسبع الصفات فلا هي هو ولا هي غيره، فما الجسم غير النقط ولا النقط غير الجسم ولا هي عينه، وإنما قلنا ثمان نقط أقل الأجسام لأن اسم الخط يقوم من نقطتين فصاعداً، وأصل السطح يقوم من خطين فصاعداً، فقد قام السطح من أربع نقط، وأصل الجسم يقوم من سطحين فصاعداً فقد قام الجسم من ثمان نقط، فحدث للجسم اسم الطول من الخط واسم العرض من السطح واسم العمق من تركيب السطحين، فقام الجسم على التثليث كما قامت نشأة الأدلة على التثليث، كما أن أصل الوجود الذي هو الحق ما ظهر بالإيجاد إلا بثلاث حقائق: هويته وتوجهه وقوله، فظهر العالم بصورة موجده حساً ومعنى، فنور على نور وظلمة فوق ظلمة لأنه في مقابلة كل نور ظلمة كما أنه في مقابلة كل وجود عدم، فإن كان الوجود واجباً قابله العدم الواجب، وإن كان الوجود ممكناً قابله العدم الممكن، فالمقابل على صورة مقابله كالظل مع الشخص.

واعلم ما نبهك الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] فالنور المجعول في الممكن ما هو إلا وجود الحق، فكما وصف نفسه بأنه أوجب عليها ما أوجب من الرحمة والنصر في مثل قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] كذلك وصف نفسه بالجعل في الممكن، إذ لولا النور ما وجد له عين ولا اتصف بالوجود، فمن اتصف بالوجود فقد اتصف بالحق، فما في الوجود إلا الله، فالوجود وإن كان عيناً واحدة فما كثره إلا أعيان الممكنات فهو الواحد الكثير، فينقسم بحكم التبعية لأعيان الممكنات كما نحن في الوجود بحكم التبعية فلولاه ما وجدنا ولولانا ما تكثر بما نسب إلى نفسه من النسب الكثيرة والأسماء المختلفة المعاني، فالأمر الكل متوقف علينا وعليه فبه نحن وهو بنا، وهذا كله من كونه إلهاً خاصة، فإن الرب يطلب المربوب طلباً ذاتياً وجوداً وتقديراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] لأنه لا دليل عليه سوى نفسه لأنه وصف نفسه بالغني، فإن غير الوجود الحادث ما تعرفه معرفة الحدوث، ولا يتصف الممكن بالوجود حتى يكون الحق عين وجوده، فإذا علمه من كونه موجوداً فما علمه إلا هو فهو غني عن العالمين، والعالم ليس بغنيّ عنه جملة واحدة لأنه ممكن والممكن فقير إلى المرجح فالحجب الظلمانية والنورية التي احتجب بها الحق عن العالم إنما هي ما اتصف به الممكن في حقيقته من النور والظلمة لكونه وسطاً وهو لا ينظر إلا لنفسه فلا ينظر إلا في الحجاب، فلو ارتفعت الحجب عن الممكن ارتفع الإمكان وارتفع الواجب والمحال لارتفاعه، فالحجب لا تزال مسدلة ولا يمكن إلا هكذا، انظر إلى قوله في

ارتفاع الحجب ما ذكر من إحراق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه وقد وصف نفسه بأن الخلق يراه ولا تحترق فدل على أن الحجب لم ترفع مع الرؤية فالرؤية حجابية ولا بد، والضمير في بصره يعود على ما، وما هنا عين خلقه، فكأنه يقول في تقدير الكلام ما أدركه بصر خلقه فإنه لا شك أنه تعالى يدركنا اليوم ببصره تعالى وسبحات وجهه موجودة، والحجب إن كانت عينه فلا ترتفع، وإن كانت خلقاً فإن السبحات تحرقها فإنها مدركة لبصره من غير حجاب، ولو احترقت الحجب احترقنا فلم نكن ونحن كائنون بلا شك فالحجب مسدلة، فلو فهم الناس معنى هذا الخبر لعلموا نفوسهم، ولو علموا نفوسهم لعلموا الحق، ولوعلموا الحق لاكتفوا به فلم ينظروا إلا فيه لا في ملكوت السموات والأرض فإنهم إذا انكشف لهم الأمر علموا أنه عين ملكوت السموات والأرض كما علمه الترمذي الحكيم فأطلق عليه عند هذا الكشف الإلهيّ اسم ملك الملك: [السريع]

فـــالأمْـــرُ دَوْرِيٌّ ولا يُـــعْـــلَـــمُ والـشـأنُ مـحـكـومٌ ولا يَـحْـكُـمُ
فـــلـــيـــس إلا الله لا غـــيـــره ولـيـس إلا كـونُـه الـمُـحْـكَـمُ
فـهـو الـذي يُـعْـلَـمُ وقـتـاً كـمـا يُـجْـهَـلُ فـي وقـت ولا يُـعْـلَـمُ

وصل: واعلم أيدك الله أن الأمر يعطي أنه لولا النور ما أدرك شيء لا معلوم ولا محسوس ولا متخيل أصلاً، وتختلف على النور الأسماء الموضوعة للقوى، فهي عند العامة أسماء للقوى وعند العارفين أسماء للنور المدرك به، فإذا أدركت المسموعات سميت ذلك النور سمعاً، وإذا أدركت المبصرات سميت ذلك النور بصراً، وإذا أدركت الملموسات سميت ذلك المدرك به لمساً، وهكذا المتخيلات فهو القوّة اللامسة ليس غيره، والشامة والذائقة والمتخيلة والحافظة والعاقلة والمفكرة والمصوّرة وكل ما يقع به إدراك فليس إلا النور، وأما المدركات فلولا أنها في نفسها على استعداد به تقبل إدراك المدرك لها ما أدركت فلها ظهور إلى المدرك وحينئذ يتعلق بها الإدراك والظهور نور، فلا بد أن يكون لكل مدرك نسبة إلى النور بها يستعدّ إلى أن يدرك، فكل معلوم له نسبة إلى الحق والحق هو النور، فكل معلوم له نسبة إلى النور فبالنور أدركت المحال، ولولا ظهور المحال وقبوله بما هو عليه في نفسه لأدرك المدرك ما أدركته، ولهذا ينسحب على كل قسم من أقسام العقل كما ينسحب عليها أيضاً أعني على الأقسام الوجوب فنقول: محال على الواجب الوجود بالذات أن يقبل العدم، ومحال على الممكن أن يقبل الوجود الذاتي، ومحال على المحال أن يقبل الإمكان، وكذلك تقول في الوجوب واجب للممكن أن يكون نسبة العدم إليه والوجود نسبة واحدة، وواجب للمحال أن لا يوصف بالإمكان ولا نقل مثل هذا في الإمكان لا تقل ممكن للمحال أن يكون على كذا أو على كذا، وممكن للواجب أن يكون على كذا أو على كذا، فيدخل الممكن تحت حكم الواجب أو المحال، ولا يدخل الواجب ولا المحال تحت حكم الممكن، ولهذا لا يجوز أن يقال في الواجب أنه يمكن أن يفعل به كذا ولا يفعل، وإنما الذي يقال ويصح أن يقال في الممكن أنه يمكن أن يفعل به كذا أو لا يفعل، وهذه مسألة أغفلها كثير من الناس،

فقد علمت أنه ما ثم معلوم من محال أو غيره إلا وله نسبة إلى النور، ولولا ذلك النور الذي له إليه نسبة ما صح أن يكون معلوماً فلا معلوم إلا الله، وعلى الحقيقة فلا يدري أحد ما يقول ولا كيف تنسب الأمور مع كونه يعقلها والعبارات تقصر عن الإحاطة بها على وجهها، فإن الله عليم بكل شيء من حيث ما لذلك الشيء من النور الذي به يكون معلوماً والعدم والمحال معلومان: [الطويل]

فلا شَيْءَ غَيْرُ الشّيء إذْ ليس غَيْرُهُ ... فمن كونه نوراً يُحِيطُ به العِلْمُ

فإذا حققت ما أشرنا إليه وقفت على حقائق المعلومات كيف هي في أنفسها في اتصافها بوجود أو عدم أو لا وجود ولا عدم أو نفي أو إثبات: [الطويل]

فهذا هو العلْمُ الغريبُ فإنْ تَكُنْ ... مِنَ اَصْحابه أنت الغريبُ ولا تَدْري

فما ثَمَّ من يدري بغُرْبته وذا ... أَتَمُّ وجوداً في مطالعة الأمْرِ

فسبحان من أحيا الفُؤادَ بنوره ... ونَوَّرَهُ بالفِكْرِ وقتاً وبالذِّكْرِ

وأما النور الذي لا يدرك وهو قوله ﷺ: «**نورٌ أنّى أراهُ**» فإن ذلك لاندراج نور الإدراك فيه فلم يدركه لأنه ليس هو عنه بأجنبي، فهو كالجزء عاد إلى كله، إذ لا يصح اسم الكل عليه ما لم يحو على أجزائه فاندرج الجزء في الكل وليس الكل غير أجزائه، فالكل يدرك أجزاءه جزءاً جزءاً والجزء لا يدرك الكل، ولهذا يعلم الحق الجزئيات ولا تعلمه الجزئيات، وإذا علم الجزء الكل فما يعلم منه إلا عين جزئيته فإنه علم كل في نفسه لنفسه وقد لا يعلم أنه جزء لكل، ولهذا تتفاضل الناس في العلم، فالعالم بالشيء من لم يبق له في ذلك المعلوم وجه إلا علمه منه، وإلا فقد علم منه ما علم وأما النور الذي يدرك ويدرك به غيره فهو نور مكافئ لنور الإدراك فيصحبه ولا يندرج فيه فيدركه ويدرك به ما كشفه له، وما انكشف له ما انكشف إلا بالنورين: نور الإدراك ونور المدرك، ولولا وجود نور الإدراك لما ظهرت الأشياء فلا يظهر شيء بنور المدرك من غير نور الإدراك، وقد يظهر بعض الأشياء لنور الإدراك ولكن بنور المدرك وإن لم يدركه به، كما قلنا في نسبة كل معلوم إلى النور الذي لولاه ما علم فالبصر يدرك به كما قلنا في نسبة كل معلوم إلى النور الذي لولاها ما علم، فالبصر يدرك الظلمة نفسها ولا يدرك بها غيرها إذا كان الإدراك بالبصر خاصة.

وصل: وأما الظلم المعنوية كظلمة الجهل فإنها مدركة للعالم ما لم تقم بالجاهل، فإذا قامت به لم يدركها إذ لو أدركها كان عالماً، وما عدا ظلمة الجهل من الظلم فإنها تدرك كلها ثم لتعلم أنه إن كان الجهل نفي العلم عن المحل بأمر ما فكل ما سوى الله جاهل أي ظلمة الجهل له لازمة لأنه ليس له علم بإحاطة المعلومات، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة من العلم فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وإن كانت ظلمة الجهل عبارة عن اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به أيّ شيء كان فأهل الله قد أخرجهم من هذه الظلمة فإنهم لا يعتقدون أمراً يكون في نفسه على خلاف ما يعتقدونه، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ولم يذكر حقائق المسميات فعلم بعضاً ولم يعلم بعضاً، فالمسميات هو

قوله هؤلاء وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] وأراد بالأسماء هنا الأسماء الإلهية التي استند إليها المشار إليهم بهؤلاء في إيجادهم وأحكامهم توبيخاً للملائكة وتقريراً يقول: هل سبحتموني بهذه الأسماء أو قدستموني بها حيث قالوا: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: ٣٠] فزكوا نفوسهم وجرحوا خليفة الله في أرضه ولم يكن ينبغي لهم ذلك، ولكن لتعلم أن أحداً من العالم ما قدر الله حق قدره إذ لا أعلم من الملائكة بالله وما ينبغي لجلاله من التعظيم ومع هذا قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فهذه الأداة هنا لا ينبغي أن تكون إلا من الأعلى في حق الأدنى مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦] بل أشد من هذا قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]: [الكامل]

لـمّـا رَأَوْا جـهـةَ الـشّـمـال ولـم يَـرَوْا مـنـه يَـمِـيـنَ الـقَـبْـضَـة الـبَـيْـضَـاءِ

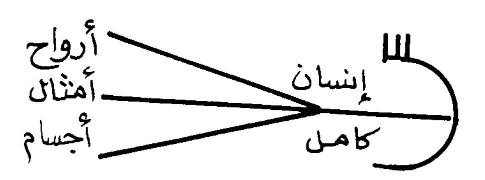
فإن قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] قد يكون تقريراً للحجة على من عبد عيسى عليه السلام وأمه وقالوا إنهما إلهان إلهان، فإذا قال عيسى عليه السلام في الجواب: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِى بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦] والمدعي يسمع ذلك وقد علم بقرينة الحال والموطن ذلك المدعى أن عيسى ليس من أهل الكذب وأن إنكاره لما ادعوه صحيح علمنا عند ذلك أنه تعالى أراد توبيخهم وتقريرهم، فالاستفهام لعيسى عليه السلام والتقرير والتوبيخ لمن عبده، فإن الاستفهام لا يصح من الله جملة واحدة ويصح منه تعالى التقرير لإقامة الحجة والتوبيخ، فإن الاستفهام على الحقيقة لا يكون إلا ممن لا يعلم ما استفهم عنه، وأما ظلمة البعد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفي مثل قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] وأمثاله فهذا من حكم الأسماء الإلهية إذ كان لكل وقت اسم إلهيّ له الحكم في عين ما من أعيان العالم، فإن كان من الأسماء التي أحكامها تناقض حكم ما أمر به المكلف أو نهى عنه فإن الاسم الإلهي الذي يعطيهم موافقة ما أمر الله به هذا المخالف أو نهى عنه بعيد عنه فيناديه ليرجع إليه ويصغي إلى ندائه ليكون له الحكم فيه، سواء كان الدعاء من قريب أو بعيد لكنه بالضرورة لعدم الموافقة فيما أمر الله به بعيد، ألا ترى الإشارة تكون مع القرب من المشير والمشار إليه إذا كان معهما ثالث لا يريد المخبر أو المخبر أو هما أن يعلم الثالث الحاضر ما يريد المخبر أن يلقيه إلى صاحبه فيشير إليه من حيث لا يعلم الثالث والإشارة عند القوم نداء على رأس البعد، ويقولون أيضاً: أبعدكم من الله أكثركم إشارة إليه، والعلة في ذلك أنها تدل على الجهل بالله تعالى، فلا فرق بينه في تلك الحالة وبين من لا يبلغه الصوت وتبلغه الإشارة، فهذه كلها ظلمة قد حجبت الثالث عن علم ما بين الاثنين، فهذه ظلمة الدعاء والإشارة فاجعل بالك فإن الله قد نبه أقواماً من عباده وأيه بهم على أمور بكلام لا يفهمه إلا المرادون به وهو الرمز قال تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ [آل عمران: ٤١]. أما ظلمة التسوية بين الأمرين فإنما سميت ظلمة لأن التسوية بين الأمرين محال، لأن التسوية المحققة المثلية من جميع الوجوه لا من بعض الوجوه ولا

من أكثرها محال بين الأمرين قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] لأنهم ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦] فكأن الله حكى لنبيه ﷺ وعرّفه بأن حالهم ما ذكروه عن نفوسهم، فهذه ظلمة قد تكون ظلمة جهل وقد تكون ظلمة جحد لهوى قام بهم وهو من أشد الظلم، ولكن هذه كلها سدف سحرية بالنظر والإضافة إلى ظلمة الجهل الذي هو نفي العلم من المحل بالكلية وهو قوله فيها: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فنفى العلم والطرق الموصلة إليه العلم بذلك، فهذه أشدّ ظلمة في العالم إلي، فإن اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به قد علم الشيء وما علم حقيقته أي علم في الجملة أن اسمه كذا ثم اعتقد فيه ما ليس هو عليه فقد اعتقد أمراً ما فظلمته دون ظلمة نفي العلم من المحل كما قال تعالى في أمثالهم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] وهذه شائعة في الشقيّ والسعيد، ففي السعيد فيمن مات على غير توبة وهو يقول بإنفاذ الوعيد فيغفر له فكان الحكم للمشيئة فسبقت بسعادتهم فتبين لهم عند ذلك أنهم اعتقدوا في ذلك الأمر خلاف ما هو ذلك الأمر عليه، فإن الذي هو عليه إنما هو الاختيار، والذي عقدوا عليه كان عدم الاختيار، فمثل هذا يسمى ظلمة الشبهة: [الرمل]

يا بني الزَّوْرَاء ما لي ولَكُمْ	إنني آلٌ لمن لا يهتضمْ
فإذا قلتُ ألا قولوا بَلَى	وإذا ما قلتُ هَلْ قولوا نَعَمْ
إنّما الأمْرُ الذي جئتُ به	أمْرُ مَوْجُودٍ له نَعْتُ القِدَمْ
واحدٌ في عَيْنه ليس لنا	في الذي يظهرُ فِيهِ من قَدَمْ
والذي أحْضَرَهُ يُحْضِرُني	بين أمرين وجودٌ وعَدَمْ
فلنا الأنوار منه إنْ بَدَا	وله منّا غَيَابَاتُ الظُّلَمْ
هي حُجُب الله أن نُدْرِكَهُ	وبها قامت دلالاتُ التُّهَمْ
ثُمّ فيها من علامات الهُدى	لتَجَلِّيهِ علومٌ وحِكَمْ
فَطَر العَالَمَ قد قَسَّمَها	ما هو الحقُّ عليه فحَكَمْ
فكما نحنُ به فَهْوَ بنا	استحالاتٌ كنار في عَلَمْ
كلّما قُلْتُ بَدَتْ صورتُه	حوّل الصورةَ في كَيْفٍ وكَمْ
فتحوّلتُ أنا فانْبَهَمتْ	حالةُ الأمْرِ علينا فانْبَهَمْ
ليت شِعْري هل هو الأمرُ كما	قد بدا أو غَيْرُه قل يا حَكَمْ
قال والله أنا مِثْلُكم	حائرٌ ما لي في العِلْم قَدَمْ

اعلم أيدك الله أن الإنسان لما أبرزه الله من ظلمة الغيب الذي كان فيه وهو المفتاح الأوّل من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، فانفرد سبحانه بعلمها ونفى العلم عن كل ما سواه بها، فأثبتك في هذه الآية وأعلمك أنك لست هو إذ لو كنت هو كما تزعم لعلمت مفاتيح الغيب بذاتك وما لا تعلمه إلا بموقف فلست عين الموقف والممكنات كلها وأعني بكلها ميزها عن المحال والواجب لا أن أعيانها يحصرها الكل ذلك محال هي في ظلمة

الغيب، فلا يعرف لها حالة وجود، ولكل ممكن منها مفتاح ذلك المفتاح لا يعلمه إلا الله فلا موجد إلا الله هو خالق كل شيء أي موجده، فأوّل مفتاح فتح به مفتاح غيب الإنسان الكامل الذي هو ظل الله في كل ما سوى الله فأظهره من النفس الرحماني الخارج من قلب القرآن سورة يس وهو نداء مرخم أراد يا سيد فرخم كما قال: «**يا أبا هر**» أراد يا أبا هريرة فأثبت له السيادة بهذا الاسم وجعله مرخماً للتسليم الذي تطلبه الرحمة والقطع مما بقي منه في الغيب الذي لا يمكن خروجه، فصورته في الغيب صورة الظل في الشخص الذي امتد عنه الظل، ألا ترى الشخص إذا امتد له ظل في الأرض أليس له ظل في ذات الشخص الذي يقابله ذلك الظل الممتد؟ فذلك الظل القائم بذات الشخص المقابل للظل الممتد ذلك هو الأمر الذي بقي من الإنسان الذي هو ظل الله الممدود في الغيب لا يمكن خروجه أبداً وهو باطن الظل الممتد، والظل الممدود هو الظاهر، فظاهر الإنسان ما امتد من الإنسان فظهر وباطنه ما لم يفارق الغيب، فلا يعلم باطن الإنسان أبداً، ونسبة ظاهره إلى باطنه متصلة به لا تفارقه طرفة عين ولا يصح مفارقته فهو في الظاهر غيب وفي الغيب ظاهر، له حكم ما ظهر عنه في الحركة والسكون، فإن تحرّك تحرّك بحق، وإن سكن سكن بحق، وهو على صورة موجده، وما سواه من الممكنات ليس له هذا الكمال فلا غيب أكمل من غيب الإنسان، فلما أبرزه الله للوجود أبرزه على الاستقامة وأعطاه الرحمة ففتح بها مغالق الأمور علواً وسفلاً فأمد الأمثال بذاته وأمدّ غير الأمثال بمثله، فبمثله ظهرت الأجسام، وبمثله الآخر ظهرت الأرواح، فهي له كاليمين والشمال لنقص الأجسام عن الأرواح كنقص الشمال عن اليمين، والمطلق اليدين هو المثل ومثاله في الهامش:



وما أوجد العالم على ما ذكرناه إلا عن حركة إلهية وهي حركة المفتاح عند الفتح، والممكنات وإن كانت لا تتناهى فهي من وجه محصورة في عشرة أشياء وهي المقولات العشرة، وقد ذكرناها من قبل: في هذا الكتاب، فلنبين هنا مراتبها فيما يختص بهذا الباب مما لم نذكره قبل:

فاعلم أن الله تعالى في حضرة الغيب الذي له من الأسماء الإلهية الباطن فلا نعلم أبداً له تعالى حكماً يظهر في الإنسان دون غيره من المخلوقات لما هو عليه من الجمعية وما اختص به من عموم النفس الرحماني، وذلك الحكم في غيب الحق له الثبوت دائماً ما دام يتصل الباطن بالظاهر للإمداد الذي من الخالق للمخلوق، إذ لو انقطع عنه لفني، ولذلك جعل أهل

اللسان الوصل في الكلام هو الأصل، والوقف عارض يطرأ في الكلام لضيق النفس الذي تبرزه القوة الدافعة، فلو تمادى هلك، فإذا خافت على المتنفس الهلاك جذبت القوّة الجاذبة الهواء من خارج إلى داخل، فكان بين انتهاء الدافعة وابتداء الجاذبة وقف المتكلم للراحة، فلهذا قلنا فيه أنه عارض، وهو في النفس الإلهي من حيث ما هو نفس الرحمن ما يبتلي الله به عبده من الضيق والحرج ثم ينفس عنه بالسعة فيقابل الشيء بضده، ولا بد بين النقيضين إذا تعاورا على المحل من بهت يقوم بالمحل ذلك البهت هو المسمى وقفاً في عالم الكلام، وهذا من جوامع الكلم الذي هو جمع كلمة، فما بين الكلمة والكلمة يكون بهتاً لكون النفس في الكلمتين عيناً واحدة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤] إذا وقفت، فـ «عليماً» هو الذي في الغيب الإلهيّ، و«حكيماً» هو حكمه في الإنسان بما أمده الله به، فإن وصله بكلام بعده قبضه الله إليه قبضاً يسيراً فعاد إلى غيبه فلم يظهر في الإنسان حكمه، وهذا من أسرار الحق التي غاية العبارة عنها ما ذكرناه. فالإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية لم يعطه الله هذا الكمال إلا ليكون بدلاً من الحق ولهذا سماه خليفة وما بعده من أمثاله خلفاء له، فالأوّل وحده هو خليفة الحق وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام فهم خلفاء هذا الخليفة وبدل منه في كل أمر يصح أن يكون له، ولهذا صحت له المقولات العشرة التي لا تقبل الزيادة على هذا العدد فهذه هي النيابة الأولى.

وأما النيابة الثانية فهي أن ينوب الإنسان بذاته عن نصف الصورة من حيث روحانيتها لأن الله إذا تجلى في صورة البشر كما ورد فإنه يظهر بصورتها حساً ومعنى، فالنيابة هنا الخاصة هي النيابة عن روح تلك الصورة المتجلي فيها، ولا يكون ذلك إلا في حضرة الأفعال الإلهية التي تظهر في العالم على يد الإنسان من حيث ما هو مريد لفعل ما يريد أن يفعله في الحال أو المستأنف، إذ لا يكون الفعل ماضياً إلا بعد ظهوره في الحال، فينوب الإنسان عن الله تعالى في أفعال الحال كلها الظاهرة على يده وليس لغير الإنسان هذه النيابة، فإن الملك والحيوان والمعدن والنبات ليس لهؤلاء إرادة تتعلق بأمر من الأمور إنما هم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه والإنسان له الشغل به وعنه، والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان، فالحق هنا دائرة من حيث جمع الصورة بين المعنى الروحاني والظاهر للبصر، فهذا الإنسان في هذه النيابة إنما هو نائب عما يتعلق من الأفعال بروحانية تلك الصورة، وعالم الأرواح أخف من عالم الأجسام، ولخفته يسرع بالتحوّل في الصور من غير فساد العين، وعالم الأجسام ليس كذلك.

واعلم أن النيابة الثالثة في تحقيق الأمر الذي قام بالممكن حتى أخرجه من العدم إلى الوجود، فإن ذلك نيابة عن المعنى الذي أوجب للحق أن يوجد هذا الممكن المعين ولم يكن أوجده قبل ذلك سواء كان روح مثلاً أو جسماً. فاعلم أن الأفعال الصادرة عن المريد لها من الأمثال نيابة في الظاهر عن الله في صدور الممكنات عنه، ولا يكون نائباً عنه تعالى حتى يكون من استخلفه واستنابه سمعه وبصره ويده وجميع قواه، ومتى لم يكن بهذه الصفة فما هو

نائب ولا خليفة، فإن الممكنات في حال عدمها بين يدي الحق ينظر إليها، ويميز بعضها عن بعض بما هي عليه من الحقائق في شيئية ثبوتها ينظر إليها بعين أسمائه الحسنى، كالعليم والحفيظ الذي يحفظ عليها بنور وجوده شيئية ثبوتها لئلا يسلبها المحال تلك الشيئية، ولهذا بسط الرحمة عليها التي فتح بها الوجود، فإن ترتيب إيجاد الممكنات يقضي بتقدم بعضها على بعض وهذا ما لا يقدر على إنكاره فإنه الواقع، فالدخول في شيئية الوجود إنما وقع مرتباً بخلاف ما هي عليه في شيئية الثبوت فإنها كلها غير مرتبة لأن ثبوتها منعوت بالأزل لها والأزل لا ترتيب فيه ولا تقدم ولا تأخر. ولما كان في الأسماء الإلهية عام وأعم وخاص وأخص صح في الأسماء الإلهية التقدم والتأخر والترتيب، فبهذا قبلت شيئيات الوجود الترتيب، فما من وقت يمر عليك هنا لا يظهر فيه ممكن معين ثم يظهر في الوقت الثاني إلا وبقاؤه في شيئية ثبوته مرجح في الوقت الذي لم تقم به شيئية وجوده، إذ لو لم يكن مرجحاً لوجد في الوقت الذي قلنا أنه مرّ عليه فلم يوجد فيه فصار بقاء كل ممكن مرجحاً في حال عدمه، وإن كان العدم له أزلاً كما أن قبوله لشيئية وجوده مرجح، وهذا من أعجب دقائق المسائل إن فكرت فيه فتوقف حكم الإرادة على حكم العلم، ولهذا قال ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] فجاء بظرف الزمان المستقبل في تعليق الإرادة والإرادة واحدة العين، فانتقل حكمها من ترجيح بقاء الممكن في شيئية ثبوته إلى حكمها بترجيح ظهوره في شيئية وجوده، فهذه حركة إلهية قدسية منزهة أعطتها حقيقة الإمكان التي هي حقيقة الممكن، فلما خلق الله المخلوق الممكن المنعوت بالإرادة والقدرة على ظهور الأفعال منه بحكم النيابة عن الله في ظاهر الأمر لا في باطنه، فهو سبحانه في الباطن مظهر الممكن في شيئية وجوده من خلف حجاب الظاهر المريد القادر الذي هو المخلوق الذي له هذه الصفة فهو يد الله المريد بإرادة الله فيفعل بالهمة كقوله: ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] ويفعل بالمباشرة كخلقه آدم بيديه وجميع ما أضافه إلى خلق يده سبحانه فيقال في الحق مع هذه النسبة من غير مباشرة وهي في العبد مباشرة، فإن وقعت من غير مريد لها فما هو مطلوبنا ولا تكلمنا فيه وإنما ذلك له سبحانه أظهره في هذا المحل الخاص كحركة المرتعش وكل ما صدر عن غير إرادة فما هو نائب صاحب هذه الصفة، فالنائب يطلعه الله في قلبه على ما يريد الحق إيجاد عينه من الممكنات، وهو على ضربين في اطلاعه: فتارة يكون عن نظر وفكر فينوب بنظره وفكره عن الله المدبر المفصل من حيث أنه يدبر الأمر يفصل الآيات، وتارة يخطر له بديهياً ما يلقيه الله في باطنه كما يعطي العلم الإلهي الإرادة الإلهية التعلق بإيجاد أمر ما من غير حكم الاسم المدبر المفصل، فيظهر هذا الممكن على يد هذا المخلوق الذي هو مريد له وهو النائب بالوجهين التدبير والبديهة، فقد حصل لهذا النائب اطلاع على حضرة أعيان الممكنات في شيئية ثبوتها في النائب في حضرة خياله، وذلك أن الله أخرج هذا الممكن من شيئية ثبوته إلى شيئية وجوده في حضرة خيال ليقع الفرق بين الله وبين النائب في ظهور هذه العين المطلوب وجودها في عالم الحس، فتتصف هذه العين بأنها محسوسة إن كانت صورة وإن لم تكن صورة يدركها البصر وتكون معنى فيلبسها

صورة العبارات عنها أو صورة ما يدل عليها من إيماء أو إشارة، فتلك صورتها التي يمكن أن تظهر لعين الرائي فيها أو السامع أو ما كان. فالنائب على الحقيقة إنما أخرج بالإرادة ما أخرج من وجود خيالي متوهم أو معقول إلى وجود حسي مقيد بصورة عينية أو لفظية أو ما كان، وتعلق بهذا الوجود البصر من الرائي إن كان في صورة عين، وإن كان في صورة لفظ وأشباهه فيدركه بسمع فيضاف مثل هذا الوجود والإيجاد إلى النائب، ولكن لا بدّ من شرط الإرادة والاختيار في ذلك، فإن تعرى عنهما فليس من بنائب ولو ظهر ذلك منه وعليه بل ذلك لله تعالى. وأما وجود ما لا ينقال فليس للنائب فيه دخول ألبتة، فإن ذلك من خصائص الحق فتفهم ما بيناه لك فإنه من لباب المعرفة.

وأما النيابة الرابعة فهي نيابته فيما نصبه الحق له مما لو لم يكن عنه لكان ذلك عن الله تعالى، فالعلم أن الله تعالى لما أراد أن يعرف فلا بدّ أن ينصب دليلاً على معرفته، ولا بدّ أن يكون الدليل مساوياً له تعالى في العلم به من حيث هو أمر موجود، وأن يكون عالماً بنفسه من حيث ما هو موصوف بصفة تسمى العلم وعالم بنفسه بما هو يرى نفسه، وتسمى مكاشفة أو مشاهدة وهذا من كونه ذا بصر، فإن الله وصف نفسه بأن له بصراً كما وصف نفسه بأن له علماً قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وفي الخبر الإلهي ما قاله لموسى وهارون: «**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**» وورد في حديث الحجب وهو صحيح «**ما أدْرَكَهُ بَصَرُهُ من خَلْقه**» فلما نصب الدلالة عليه نصبها في الآفاق، فدلت آيات الآفاق على وجوده خاصة، فما نابت الآفاق في الدلالة عليه بما جعل فيها من الآيات منابه لو ظهر للعالم بذاته، فخلق الإنسان الكامل على صورته ونصبه دليلاً على نفسه لمن أراد أن يعرفه بطريق المشاهدة لا بطريق الفكر الذي هو طريق الرؤية في آيات الآفاق وهو قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ ثم لم يكتف بالتعريف حتى أحال على الإنسان الكامل حتى قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهنا قال: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت: ٥٣] إشارة إلى ما خلق عليه الإنسان الكامل الذي نصبه دليلاً أقرب على العلم من طريق الكشف والشهود فقال أهل الشهود كفانا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] فذكر الكيف والظل لا يخرج إلا على صورة من مدّه منه فخلقه رحمة فمد الظل رحمة واقية، فلا مخلوق أعظم رحمة من الإنسان الكامل، ولا أحد من المخلوقين أشد بطشاً وانتقاماً من الإنسان الحيواني، فالإنسان الكامل وإن بطش وكان ذا بطش شديد فالإنسان الحيواني أشد بطشاً منه ولذلك قال أبو يزيد: بطشي أشد منه من حيث نفسه الحيوانية لأنه يبطش بما لم يخلق فلا رحمة له فيه، والحق يبطش بمن خلق فالرحمة مندرجة في بطشه حيث كان، فإن الحدود التي نصبها في الدنيا وحيث كانت إنما هي للتطهير، وكذلك الآلام والأمراض وكل ما يؤدي إلى ذلك كل ذلك للتطهير ورفع الدرجات وتكفير السيئات. فلما خلق الإنسان الكامل وخلفاءه من الأناسي على أكمل صورة وما ثم كمال إلا صورته تعالى فأخبر أن آدم خلقه على صورته ليشهد فيعرف من طريق الشهود فأبطن في صورته الظاهرة أسماءه سبحانه التي خلع عليه حقائقها ووصفه بجميع ما وصف به نفسه

ونفى عنه المثلية فلا يماثل وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] من العالم أي ليس مثل مثله شيء من العالم، ولم يكن مثلاً إلا بالصورة، فاعترضت الملائكة لنشأة آدم من الطبيعة لما تحمله الصورة من الأضداد ولا سيما وقد جعل وجود آدم من العناصر فهو إلهي طبيعي عنصري، فلم تشاهد الأسماء الإلهية التي هي أحكام هذه الصورة وهي كون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، فلو شهدت ذلك ما اعترضت فأدّبها الله بما ذكر ثم نظر العقل بآيات الآفاق وغاص بفكره في تلك الآيات الآفاقية بمشاهدة التنزيه دون التشبيه الذي أعطته المماثلة بالصورة، فلما أسمعه الحق الخطاب أعني أسمع العقل المركب في الإنسان الحيواني لا في الإنسان الكامل، فإن الإنسان الكامل بنفسه عرفه والإنسان الحيواني عرفه بعقله بعدما استعمل آلة فكره، فلا الملك عرف الإنسان الكامل لأنه ما شاهده من جميع وجوهه، ولا الإنسان الحيواني عرفه بعقله من جميع وجوهه، فكلما قام له شهود في نفسه من حيث لم يشعر أنه شهود أثر الحق ردّه ونزه الحق عنه، فإذا ورد عليه خبر إلهي يعطي ما أعطاه الخيال الفاسد عنده تأوّل ذلك الخبر على طريق يفضي به إلى التنزيه خاصة فحده من حيث لم يشعر وما أطلقه فجهل الكل الإنسان الكامل فجهلوا الحق فما عرف الحق إلا الإنسان الكامل، ولهذا وصفته الأنبياء بما شهدوه وأنزل عليهم بصفات المخلوقين لوجود الكمال الذي هو عليه الحق، وما وصل إلى هذه المعرفة بالله لا ملك ولا عقل إنسان حيواني فإن الله حجب الجميع عنه، وما ظهر إلا للإنسان الكامل الذي هو ظله الممدود وعرشه المحدود وبيته المقصود الموصوف بكمال الوجود فلا أكمل منه لأنه لا أكمل من الحق تعالى، فعلمه الإنسان الكامل من حيث عقله وشهوده، فجمع بين العلم البصري الكشفي وبين العلم العقلي الفكري. فمن رأى أو من علم الإنسان الكامل الذي هو نائب الحق فقد علم من استنابه واستخلفه فإنه بصورته ظهر، وأمرنا بالطاعة لأولي الأمر كما أمرنا بالطاعة لله ولرسوله وأن لا نخرج يداً من طاعة فنموت ميتة جاهلية والجهل أشد ما على الإنسان، فلو لم ينصب سبحانه وتعالى الإنسان الكامل لتتحقق المعرفة بالله من حيث ما هو إله في الوجود الحادث معرفة كمال وهي المعرفة التي طلبت منا لظهر بنفسه وذاته إلى خلقه حتى يعرفه على المشاهدة والكشف فلا ينكر، وما أنكره من أنكره في الآخرة أو حيث وقع الإنكار إلا لما تقدمهم النظر العقلي وقيدوا الحق، فلما لم يروا ما قيدوه به من الصفات عند ذلك أنكروه، ألا تراهم إذا تجلى لهم بالعلامة التي قيدوه بها عند ذلك يقرّون له بالربوبية، فلو تجلى لهم ابتداء قبل هذا التقييد لما أنكره أحد من خلقه فإنه بتجليه ابتداء يكون دليلاً على نفسه، فلهذا قلنا في الإنسان الكامل إنه نائب عن الحق في الظهور للخلق لحصول المعرفة به على الكمال الذي تطلبه الصورة الإلهية، والله من حيث ذاته غنيّ عن العالمين، والإنسان الكامل بوجوده وكمال صورته غنيّ عن الدلالة عليه لأن وجوده عين دلالته على نفسه فالكشف أتم المعارف، وإن لم يتكرر التجلي فإن المتجلي واحد معلوم، فإن الإنسان يعلم نفسه أنه يتقلب في أحواله وخواطره وأفعاله وأسراره كلها في صور مختلفة، ومع هذا التقليب والتحول يعلم عينه ونفسه وأن هويته

هي هي ما زالت مع ما هو عليه من التقليب، فهكذا هي صورة التجلي وإن كثرت ولم تتكرر، فإن العلم بالمتجلي في هذه الصور واحد العين غير مجهول فلا تحجبه التكيفات عنه، فهذه هي النيابة الرابعة قد وفيناها حقها، ولا يعرف ما ذكرناه إلا من كان زنيماً ذا مال، فإنه بصورته دخل في الألوهة وليس بإله فكان زنيماً والمال يوجب الغنى فله صفة الغنى بما هو عليه من الصورة فاعلم ذلك.

وأمّا النيابة الخامسة فهي نيابة الإنسان عن رفيع الدرجات في العالم لا غير، وصورة رفعه أن الإنسان الكامل من حيث إنه ليس أحد معه في درجته لأنه ما حاز الصورة الإلهية غيره، فدرجته رفيعة عن النيل فلا يعرفه إلا الله ولا يعرف الله إلا الإنسان الكامل فهو مجلاه، ولما ارتفعت درجته بالإحاطة وحصول الكل لم يتمكن للجزء أن يعرفه إذ لا معرفة للجزء بالكل لأن الشيء لا يعرف إلا نفسه ولا يعرف شيئاً إلا من نفسه وما للجزء صفة الكل، فاستحال أن يعرف أحد الإنسان الكامل لأنه ليست له درجة الكل، فالكل يعرف الكل مثله ويعرف ما يحوي كليته عليه من الأجزاء لأنها كالأعضاء والقوى لصورته والشيء لا يجهل نفسه، فظهر كل الإنسان في درجة لا يبلغ إليها، فناب بما ذكرناه مما ظهر فيه مناب ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] فكأن الإنسان ثنى موجده فكانت أحديته قبلت الثاني على صورة أحديتها، فإذا ضربت أحدية الإنسان الكامل في أحدية الحق لم يخرج لك إلا أحدية واحدة، فلك أن تنظر عند ذلك أية أحدية خرجت وأية أحدية ذهبت، هل أحدية النائب أو أحدية من استنابه؟ فاعمل بحسب ما ظهر لك من ذلك تسعد، فما من حكم للنائب مما له أثر في الكون أو تنزيه عن المثل إلا وذلك الحكم لمن استنابه، فلا تبال أية أحدية ظهرت ولا أية أحدية بطنت، فما أمره إلا واحدة كما ذكر عن نفسه: [مجزوء الرجز]

ما الأمْرُ إلا هكذا ... ما الأمْرُ إلا ما ذَكَرْ
فالقَوْلُ قَوْلٌ فاصلٌ ... له احْتِكَامٌ في البَشَرْ
والشأنُ شأنٌ واحدٌ ... في عَيْنِه لِمَنْ نَظَرْ
أنت الرفيعُ المُجْتَبَى ... عند مليكٍ مُقْتَدِرْ
إنْ كُنْتَ من صُورته ... على شهود فاعْتَبِرْ
ما قُلْتُهُ فإنه ... يدخل في حُكْم الفِكَرْ
إنْ كُنْتَ ذا عَقْلٍ سلـ ... ـيم آمناً مِنَ الغِيَرْ
تَجِدْهُ حَقّاً واضحاً ... في سُوَرٍ بلا صُوَرْ
فالعينُ قد تشهدُهُ ... في صُوَرٍ وفي سُوَرْ
والحَقُّ ما بينهما ... في عرشه على سُرُرْ
يقابلُ المثل كما ... يقابل الصُّورُ الصُّوَرْ
فقُلْ لمن يعرفُه ... بأنه على خَطَرْ
وقل لمن يجهلُه ... بأنه على غَرَرْ

وأما النيابة السادسة فإن الله وصف نفسه بأن له كلمات فكثر، فلا بدّ من الفصل بين آحاد هذه الكثرة، ثم الكلمة الواحدة أيضاً منه كثرها في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [النحل: ٤٠] فأتى بثلاثة أحرف: اثنان ظاهران وهما الكاف والنون وواحد باطن خفيّ لأمر عارض وهو سكونه وسكون النون فزال عينه من الظاهر لالتقاء الساكنين، فناب الإنسان الكامل في هذه المرتبة مناب الحق في الفصل بين الكلمة المتقدمة والتي تليها، فنطق سبحانه في هذه النشأة الإنسانية، وكل من ظهر بصورتها بالحروف في مخارج النفس من هذه الصورة ووجود الحرف في كل مخرج تكوينه إذا لم يكن مكوّناً هناك، وإلا فمن يكوّنه فلا بد للمكون أن يكون بين كل كلمتين أو حرفين لإيجاد الكلمة الثانية أو الحرف الثاني وتعلق الأوّل به لا بدّ من ذلك في الكلمات الإلهية التي هي أعيان الموجودات كما قال في عيسى عليه السلام أنه ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] وقال فيها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢] وما هو إلا عيسى وجعله كلمات لها لأنه كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة، فكل جزء منه ظاهراً كان أو باطناً فهو كلمة فلهذا قال فيه ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ لأن عيسى روح الله من حيث جملته ومن حيث أحدية كثرته هو قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] فلما نطق الإنسان بالحروف وهي أحزاء كل كلمة مقصودة للمتكلم الذي هو الإنسان المريد إيجاد تلك الكلمات ليفهم عنه بها ما في نفسه، كما فهم عن الله بما ظهر من الموجودات ما في نفس الحق من إرادة وجود أعيان ما ظهر فلا بد في الكلام من تقديم وتأخير وترتيب كما ذلك في الموجودات وهي أعيان الكلمات الإلهية تقديم وتأخير وترتيب يظهر ذلك الدهر والدهر هو الله بالنص الصريح وهو قوله عليه السلام: «**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ**» وفيه ظهر الترتيب والتقديم والتأخير في وجود العالم، وسواء كان الكلام متلفظاً به أو قائماً بالنفس، فإن كان في النفس فلا بد من وجود الحروف فيه في وجود الخيال، وإن لم يكن ذلك وإلا فليس بكلام وهو قول العربي: [الكامل]

إنَّ الكَلامَ لَفي الفُؤاد وإنّما ... جُعِلَ اللّسانُ على الفُؤاد دَليلا

أراد على ما في الفؤاد، فإن لم يكن المترجم يضع في ترجمته الترجمة على ما في الفؤاد بحكم المطابقة وإلا فليس بدليل، وقد وجدت الكثرة في الترجمة والتقدم والتأخر، فلا بد أن يكون الترتيب في الكلام الذي في الفؤاد على هذه الصورة وليس إلا الخيال خاصة، وقال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فأضاف الكلام إلى الله تعالى وجعله مسموعاً للعربيّ المخاطب بحاسة سمعه فما أدركه إلا متقطعاً متقدماً متأخراً، ومن لم ينسب ذلك الكلام المسمى قرآناً إلى الله فقد جحد ما أنزله الله وجهل الحقائق، فلا بد للنائب إذا تكلم أن يضاف إليه الكلام على ما قلناه، وأن يكون هذا النائب يفصل بذاته بين كل حرفين وكلمتين لتوجد الثانية وتتعلق بها الأولى حتى ينتظم به ما يريد إظهاره للمصلحة التي يعلمها، فدل بكلامه على ما في نفسه، وما كل من سمع بسمعه عقل جميع ما أراده المتكلم أو بعضه إلا من نوّر الله بصيرته، ولهذا قد يكون حظ السامع من كلام المتكلم ترتيب حروفه من غير

أن يعقل ما أراده المتكلم بما تكلم به، ويظهر ذلك في السامع إذا كان المتكلم يكلمه بغير لحنه ولغته، فإنه لا يفهم منه سوى ما يتعلق به سمعه من ترتيب حروفه فهو التعلق العامّ من كل سامع، ولكن لا يعلم ما أريدت له هذه الكلمات، كذلك العالم كله لا يعرف من الموجودات التي هي كلمات الله إلا وجود أعيانها خاصة، ولا يعلم ما أريدت له هذه الموجودات إلا أهل الفهم عن الله والفهم أمر زائد على كونه مسموعاً، فكما ينوب العبد الكامل الناطق عن الله في إيجاد ما يتكلم به بالفصل بين كلماته إذ لولا وجوده هناك لم يصح وجود عين الكلمة والحرف، كذلك ينوب أيضاً في الفهم في ذلك مناب الحق في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فوصف نفسه بأنه يبلو ليعلم في المستأنف، وهذه كلها نيابة أحدية لا نيابة غير الأحدية من حيث أن لها القيومية على أعيان الموجودات بما هي الموجودات عليه من الكسب، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] أي قيدها كسبها، فلولا الحق ما تميزت الموجودات بعضها عن بعض ولكان الأمر عيناً واحداً كما هو من وجه آخر. مثال ذلك: أن الإنسان من حيث حده الشامل لآحاده واحد العين، فإن الآحاد كلها عين واحدة من حيث إنسانيتها، مع علمنا بأن زيداً ما هو عين عمرو ولا عين غيره من أشخاص الأناسي، فعين تمييز الحق لها وجودها، وعين تمييز بعضها عن بعض فلأنفسها، ولذلك لم تزد كلمة الحضرة في كل كائن عنها على كلمة ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] شيئاً آخر بل انسحب على كل كائن عين ﴿كُن﴾ لا غير، فلو وقفنا مع ﴿كُن﴾ لم تر إلا عيناً واحدة، وإنما وقفنا مع أثر هذه الكلمة وهي المكوّنات، فكثرت وتعددت وتميزت بأشخاصها، فلما اجتمعت في عين حدها علمنا أن هذه الحقيقة وجدت كلمة الحق فيها وهي كلمة ﴿كُن﴾ وكن أمر وجوديّ لا يعلم منه إلا الإيجاد والوجود، ولهذا لا يقال للموجود: كن عدماً، ولا يقال له: كن معدوماً لاستحالة ذلك، فالعدم نفسيّ لبعض الموجودات ولبعضها تابع لعدم شرطه المصحح لوجوده، وبهذه الحقيقة كان الله خلاقاً دائماً وحافظاً دائماً، ولو كان على ما يذكره مخالفو أهل الحق القائلون ببقاء الأعراض لم يصح أن يكون الحق خلاقاً دائماً ولا حافظاً على بعض الموجودات وجودها، وإذا لم يزل خالقاً دائماً فلا يزال مع كل مخلوق ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] و«كنتم» أمر وجودي بلا شك فلا شيء أدق من نيابة الفصل بين الكلمات لمن يعرف ما ذكرناه.

وأما النيابة السابعة فهي النيابة في الأفعال الظاهرة والباطنة في وجود الإنسان وهو ما يحدثه في نفسه من الأفعال والكوائن لا ما يحدثه في غيره، وآيته من كتاب الله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] والعلم صفة له قديمة، وهذا العلم الخاص الظاهر عن الابتلاء هو ما يريده بالنيابة فيه هنا فقال تعالى عن نفسه أنه **«يُجِيبُ الدَّاعِيَ إِذَا دَعَاهُ» وَ«أَنَّ بِيَدِهِ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ»** فوصف نفسه بأنه قاهر لكل شيء في هذه الآية، فإذا ادّعينا نحن الصبر على ما يكلفنا به وحمل المشقة في ذلك طاعة لله فدعوناه ثم نظرنا أثر ذلك في قلوبنا فوجدنا أنه إذا عم الدعاء ذاتنا كلها بحيث أنه لا يبقى فينا جزء له التفاتة إلى الغير حصلت الإجابة بلا

شك على الفور من غير تأخير، فعلمنا بهذا الاختبار صدق توجهنا لأنا قد علمنا صدقه فيما أخبر به عن نفسه، ولولا مراعاة الأدب الإلهيّ لكان قولنا بلوناه بما دعوناه به حتى نعلم قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِّ﴾ [البقرة: ١٨٦] فإنها كلمة دعوى حتى تكون النيابة صحيحة في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] ثم طردنا ذلك في حق كل مدع دعوى من صادق وكاذب فنبنا عنه سبحانه في الاختيار والابتلاء، فإن كان صاحب دعوى صادقة كالرسل ومن صدق في دعواه فإنه يقيم الدلالة على صدقه بما بلوناه من طلب الدلالة كانت الدلالة ما كانت، كما بلونا به الكاذب لما ادّعى ما ليس له فلم يقم بوجود ما بلوناه به فقال له النائب: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ وهو أمر إمكاني ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقامت الحجة عليه، فالابتلاء أصله الدعوى، فمن لا دعوى له لا ابتلاء يتوجه عليه، ولهذا ما كلفنا الله حتى قال لنا: ألست بربكم؟ فقلنا بلى، فأقررنا بربوبيته علينا، وإقرارنا بربوبيته علينا عين إقرارنا بعبوديتنا له، والعبودية بذاتها تطلب طاعة السيد، فلما ادّعينا ذلك حينئذ كلفنا ليبتلي صدقنا فيما ادعيناه.

فإن قلت: فما علمنا بهذا الإشهاد الميثاقي الذي ورد به الخبر فإن ذلك حظ الإيمان لا حظ العقل وليس هو بأمر ضروري فكيف يدخل في هذا الابتلاء العاقل الذي ليس بمؤمن؟ قلنا: إن العاقل أوجب على نفسه بعقله تعظيم خالقه والموجب الله لأنه الذي وهبه ذلك العقل فقام العقل له مقام الرسول لنا فنظر العاقل بعقله في وجوده لماذا يستند هل هو في نفسه لم يزل كذلك أو هو الذي أوجد نفسه فاستحال عنده الأمران؟ وقد تقدّم الكلام في هذا الكتاب في هذا المعنى، فلما استحال ذلك عنده استند إلى موجد ما هو عينه فنظر فيما ينبغي لذلك الذي استند إليه فنزهه عن كل نعت يفضي اتصافه به إلى حدوثه، وسبب ذلك قوّة النفس حتى لا يتعبدها مثلها أعني ممكناً محدثاً مثلها فإنه قد علم حدوثه فرأى أنه ينبغي بالدليل أن يكون واحداً لا كثيرين، ورأى أنه منفي المثلية وأنه على مرتبة توجب له التعظيم والحمد والثناء، فأوجب عليه العقل الذي هو بمنزلة الرسول عندنا تعظيم جنابه بما يستحقه مما أعطته الأدلة العقلية فأخذ في تمجيده وتعظيمه وتكبيره وتنزيهه، وعلم ما تستحقه السيادة فعاملها به فناب عن الحق فيما أوجده في نفسه بنظره من المعرفة به والعبادة لموجده لأنه علم بنظره ذلته وافتقاره في ظهور عينه إلى مظهر بعيد عن الصفات الموجبة حدوثه، فدخل في هذه النيابة كل عاقل موحد بدليله وإن لم يكن مؤمناً وهو قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ»** ولم يقل يقول ولا يؤمن وإنما ذكر العلم خاصة فقال: **«وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّةَ»** فكل موحد لله ففي الجنة يدخله الله خاصة لا غيره، ويشفع المؤمنون والأنبياء في أهل الكبائر من أهل الإيمان لأن الأنبياء بعثت بالخير وهو متعلق بالإيمان، والموحدون الذين لم يؤمنوا لكونهم ما بعث إليهم رسول أو كانوا في فترة فهم الذين يحشر كل واحد منهم أمة وحده، فإن بعث في أمة هو فيهم رسول فلم يؤمن به مع علمه بأحدية خالقه دخل النار فما يخرج منها إلا بإخراج خالقه، لأن الخلود في النار لا يكون بالنص لأهل التوحيد بأي وجه

حصل لهم ولم يوجد، فلا يبقى في النار إلا مشرك أو معطل لا عن شبهة ولا عن نظر مستوف في النظر قوته فلم يبق في النار إلا المقلدة الذين كان في قوّتهم واستعدادهم أن ينظروا فما نظروا. وهذه مسألة عظيمة الفائدة صحيحة الأصل وآيتها من القرآن: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] يعني في زعمه أنه برهان وإن لم يكن برهاناً في نفس الأمر فهو قد وفى وسعه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧] وهو أمر يتفاضل فيه الناس فقال: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧] هل وفى ما آتاه الله من النظر في ذلك أم لا؟ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وليس الكافر إلا من علم ثم ستر، وإن لم يعلم فما هو كافر. ثم أمر نبيه أن يقول ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. هذه الفرق التي وفت النظر استطاعتها التي آتيتها فلم تصل إلا إلى التعطيل أو الشرك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨] فإنهم ما تعدوا ما آتاهم الله فشفع هنا فيهم رسول الله ﷺ من حيث لا يشعرون، فإذا نالتهم السعادة بالخروج من النار وقد غفر لهم الله بسؤال الرسول فيهم إذ قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ حين أمره الله بذلك، وما أمره بهذا الدعاء إلا ليجيبه فأجابه في ذلك فعرفوا قدر رسول الله ﷺ عند ذلك إذا دخلوا الجنة فينتمون إليه فيها لأنه السيد الأكبر، وهذا الدعاء يعم كل من هو بهذه المثابة من وقت آدم إلى نفخة الصعق، لأن ما خصص في دعوته إلا من هذه صفته، ومن ينبغي أن يرحم ويغفر له، وينبغي لكل نائب منا أن يحضر في نفسه هذه الفرق، وكل من له عذر من الأمم في تخلفه عن الحق الذي هو في نفس الأمر أن يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فإن الله تعالى يضرب له بسهم في هذه الشفاعة، فلا تغفل يا وليّ عن حظك منها، ولا تكن ممن غلب اليبس عليه فحجر رحمة الله أن تصيب إلا المؤمن، ولم يفرّق بين من يأخذها وتتناوله بطريق الوجوب ممن تتناوله من عين المنة، فهذه شفاعة من الرسول والنوّاب لهؤلاء في الدنيا يقوم بها الحق في الآخرة لهم من حيث لا يعلمون حتى يدخلوا الجنة فإذا دخلوها رأينا فيهم العلامة التي تعطينا قبول الشفاعة الدنيوية، فينبغي لكل تال إذا تلا القرآن أن يتدبره ويأخذ كل أمر أمر الله به نبيه ﷺ أن يبلغه أو يقوله أو يعلمه فليقله في تلاوته ولا يكون حاكياً بل يكون صاحب نية وقصد وابتهال في ذلك، وأنه مأمور به من الحق إن أراد أن يكون من هذا الحزب النبويّ، فإن الله أخفى النبوّة في خلقه وأظهرها في بعض خلقه، فالنبوّة الظاهرة هي التي انقطع ظهورها، وأما الباطنة فلا تزال في الدنيا والآخرة لأن الوحي الإلهي والإنزال الرباني لا ينقطع إذ كان به حفظ العالم، فجميع العالم لهم نصيب من هذا الإنزال والوحي، فمنه ما ذكره مثل قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] وقالت نملة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ [النمل: ١٨] وقال الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] وقد قال النبيّ ﷺ في المجتهدين ما قال وما فرض لهم الإصابة في كل ما اجتهدوا فيه، وإنما فرض لهم الأجر في ذلك أصابوا أم أخطؤوا، وفضل بين المصيب والمخطىء في الأجر، وهذه نيابة عجيبة رفيعة المقدار لا يعلمها كل أحد.

وأما النيابة الثامنة التي شفعت وترية الحق من حيث أنه تعالى مجلى لها وهي مجلى له فهو ينظر نفسه فيها نظر كمال وهي تنظر نفسها فيه نظر كمال، وذلك راجع إلى ما هو عليه الحق تعالى من الأسماء الإلهية، فلا تظهر هذه الصورة إلا في مرآة الإنسان الكامل الذي هو ظله الرحمانيّ، فنصب له عرشاً استوى عليه على التقابل من عرشه المنسوب إليه بحكم الاستواء عليه، ومثاله ما وصف الحق به أهل الجنة: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ [الطور: ٢٠] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤] أي يقابل بعضهم بعضاً، والاتكاء الاعتماد بصفة الجبروت، فاتكاء الحق عليه فيما ظهر من الحق وبطن من الإنسان الكامل فإنه يعلو على متكئه، والإنسان الكامل يتكىء أيضاً على ربه، فيما يظهر به الإنسان من النيابة حين يبطن الحق فيها فتنسب المشاهدة وما يشهد إلى الشاهد لا إلى أمر آخر، كما ينسب في حضرة الأفعال الفعل بالعوائد إلى المخلوق والحق مبطون فيه، وينسب الفعل بخرق العادة إلى الله لا إلى المخلوق لأنه خارج عن قدرة المخلوق فيظهر الحق وإن كان لا يظهر إلا في الخلق، وإنما ثنى الخلق وجود الحق لأن كل حقيقة تعقل للحق لا تعقل مجرّدة عن الخلق فهي تطلب الخلق بذاتها، فلا بد من معقولية حق وخلق، لأن تلك الحقيقة الإلهية من المحال أن يكون لها تعلق أثري في ذات الحق، ومن المحال أن تبقى معطلة الحكم لأن الحكم لها ذاتيّ، فلا بد من معقولية الخلق سواء اتصف بالوجود أو بالعدم، فإن ثبوت عينه في العدم به يكون التهيؤ لقبول الآثار وثبوته في العدم، كالبزرة لشجرة الوجود فهو في العدم بزرة وفي الوجود شجرة: [الوافر]

ثُبُوتُ العَيْنِ في الإمكانِ بِزْرٌ ... ولولا البِزْرُ لم يَكُ ثَمَّ نَبْتُ
ظُهُوري عن ثُبُوتي دون أَمْرِ ... إلهيّ محالٌ حين كُنْتُ

وإذ والأمر على ما ذكرناه فما في العلم إلا الشفع وهو تثنية الجمع لأن الحقائق الإلهية كثيرة والمحققات على قدرها أيضاً، فثنت المحققات الحقائق في العلم وإن لم تتصف بالوجود العيني: [الطويل]

فلولا ثُبُوتُ العَيْنِ ما كان مَشْهُودَا ... ولا قال كُنْ كَوْناً ولا كان مَقْصُودَا
فما زال حُكْمُ العين لله عابداً ... وما زال كونُ الحَقّ للعين مَعْبُودَا
فلمّا كساه الحَقُّ حُلَّة كَوْنِهِ ... وقد كان قبل الكون في الكون مَفْقُودَا
تَكَوَّنَتِ الأحكامُ فيه بكونه ... فما زال سَجّاداً فَقِيداً ومَوْجُودَا

ولما ظهر حكم تثنية الأمر المعلوم في نفسه لم يصح إلا بالمثلية لا غيرها لأنه لو لم يكن مثلاً ما عمه بذاته ولا قابله، وليس إلا الإنسان الكامل أو مجموع العالم بالإنسان، فالإنسان لا بد منه فلنقتصر عليه، وحكم الثبوت بين الله والإنسان الكامل خلاف حكم الوجود، فبحكم الوجود يكون الإنسان هو الذي ثنى وجود الحق وليس لحكم الثبوت هذا المقام، فإن الحق والخلق معاً في الثبوت وليس معاً في الوجود، فلما كان الأمر في الثبوت على السواء أعطيناه صورة الاعتدال وعدم الميل إلى أحد الجانبين، وهذه هي المنزلة الرفيعة المنار العامة الآثار، فإذا ظهر الحق في الصور لم تقم المثلية الاعتدالية، فكان المثل بحسب

الصورة المتجلي فيها، فإن كانت صورة روحية ينسب إليها ما هي عليه الأرواح من الحكم، وإن كانت صورة جسمية ينسب إليها ما هي عليه صورة الأجسام الظاهرة من الحكم وهو اتصافه بالأوصاف الطبيعية من تغير الأحوال في الغضب والرضى والفرح والنزول والهرولة، فإذا أثبت لك الحق عن نفسه أمراً ما فانظر فيما أثبته لأي صورة هو فاحكم عليه بحكم ما هو به لتلك الصورة وما ثم إلا مثل أو غير مثل، فهذا حكم هذه النيابة الثامنة قد استوفيناه.

وأما النيابة التاسعة فهي الظهور في البرزخ المعقول الذي بين المثلين، وهو الفصل الذي يكون بين الحق والإنسان الكامل، فإن هذا الفصل أوجب تميز الحق من الخلق فينظر بمن هو أليق وموضعه في ضرب المثال الظل الذي في الشخص الممتد عنه الظل الممدود، فالظل القائم به بين الشخص والظل الممدود المنفصل عنه ذلك هو البرزخ وهو بالشخص القائم ألصق فهو به أحق، فبالحق كان ميز الخلق عنه لا بالخلق يميز الحق عنه، لأن الخلق متلبس بنعوت الحق وليس الحق متلبساً بالخلق، ولذلك كان ظهور الخلق بالحق، ولم يكن ظهور الحق بالخلق لكون الحق لم يزل ظاهراً لنفسه، فلم يتصف بالافتقار في ظهوره إلى شيء كما اتصف الخلق بالافتقار في ظهوره لعينه في عينه إلى الحق، ونريد بالخلق هنا الإنسان الذي له المثلية لا غيره، فإن هذا الفصل وقع بين المثلين فللفصل حكم المثلين بلا شك لأنه يقابل كل مثل بذاته، ولولاه لما تميز المثل عن مثله، ومثليتك له قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] بإعطاء كمال الإنسانية وهو الصورة لبعضهم، وهم الذين رفعهم الله، والمرفوع عليهم هم الأناسي الحيوانيون، ومثليته لك أن جعل نفسه لك وكيلاً فيما هو حق لك فيتصرف فيه عنك بحكم الوكالة المطلقة المفوضة الدورية، فإن وكالة الحق لا بد أن تكون دورية اعتناء من الله بعبده لأنه خلقه صاحب غفلات ونسيان، والغفلة والنسيان أحوال تطرأ على هذه النشأة الإنسانية، والأحوال لها الحكم مطلقاً في كل من اتصف بالوجود لا أحاشي موجوداً من موجود، فإذا غفل الإنسان في حركة ما من حركاته فتصرف فيها بنفسه فذلك التصرف النفسي عزل الحق عن الوكالة، فإذا كانت الوكالة دورية كان كل ما انعزل الحق عن هذه الوكالة بالتصرف النفسي ولي الأمر فلم يتصرف إلا الله، فإن الله أمرك أن تتخذه وكيلاً في سورة المزمل، فهذه فائدة الوكالة الدورية وهي عن أمره تعالى عبده وجعلها في التوحيد فقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] إشارة إلى التصرف في الجهات وما ذكر منها إلا المشرق وهو الظاهر والمغرب وهو الباطن وبالعين الواحدة التي هي الشمس إذا طلعت أحدثت اسم المشرق وإذا غربت أحدثت اسم المغرب، وللإنسان ظاهر وباطن لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً في ظاهرك وباطنك فإنه رب المشرق والمغرب، فانظر ما أعجب القرآن. وهذه النيابات كلها التي ذكرناها ونذكرها نيابات توحيد لا غير ذلك، فإن ظهرت أنت لم يكن الظاهر إلا هو، وإن لم تظهر فهو هو إذ الواحد لا ينقسم في نفسه إلا بالحكم والنسب وهو تعالى ذو أسماء

كثيرة فهو ذو نسب وأحكام، فأحديته بنا أحدية الكثرة والعين واحدة ولهذا ينسب الظهور لنا في وقت وينسب إليه في وقت، ويضاف إليه في حكم ويضاف إلينا في حكم، فقد تبين لك أن عين ما قام فيه الإنسان عين ما قام فيه الحق بين ظاهر وباطن، فإذا ظهر من ظهر بطن الآخر وكانت النيابة للظاهر عن الذي بطن وكانت النيابة للذي بطن فيما بطن فيه عن الذي ظهر، فلا يزال حكم الخلافة والوكالة وهي خلافة ونيابة دائماً أبداً دنيا وآخرة، فإن الحق كل يوم من أيام الأنفاس هو في شأن ما وكلته فيه فإنه لك يتصرف ولك يصرف فيما استخلفك فيه فأنت تتصرف عن أمر وكيلك فأنت خليفة خليفتك كما أنه ملك الملك بالوكالة، فهذا عين ما هو الوجود عليه، وما بيننا وبين الناس فرق في ذلك في نفس الأمر إلا أني أعرف وهم لا يعرفون ذلك لأجل الأغطية التي على عين بصيرتهم والأكنة والأقفال التي على قلوبهم وفيها.

وأما النيابة العاشرة فهي نيابة توحيد الموتى فإنه بالموت تنكشف الأغطية ويتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الكشف في ذلك الوقت في العموم لا يعطي سعادة إلا لمن كان من العامة عالماً بذلك، فإذا كشف الغطاء فرأى ما علم عيناً فهو سعيد، وأما أصحاب الشهود هنا فهو لهم عين، وعند كشف الغطاء تكون تلك العين لهم حقاً فينتقل أهل الكشف من العين إلى الحق وينتقل العالم من العلم إلى العين، وما سوى هذين الشخصين فينتقلون من العمى إلى الإبصار فيشهدون الأمر بكشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم، فلا بد من مزيد لكل طائفة عند الموت ورفع الغطاء ولهذا قال من قال من الصحابة: لو كشف الغطاء فأثبت لك أن ثم غطاء ثم قال: ما ازددت يقيناً يعني فيما علم إذا عاينه فلا يزيد يقيناً في العلم لكن يعطيه كشف الغطاء أمراً لم يكن عنده فيصح قوله: ما ازددت يقيناً في علمه إن كان ذا علم وفي عينه إن كان ذا عين لا أنه لا يزيد بكشف الغطاء أمراً لم يكن له، إذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثاً مُعَرًّى عن الفائدة: [الوافر]

ولكنْ للعيان لَطِيفُ مَعْنًى   لِذَا سأل المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

فما كان الغطاء إلا ووراءه أمر وجودي لا عدمي فهذه النيابة عن الحق للعبد في البرزخ فيقوم حاكماً بصورة حق ونيابة في عالم الخيال، فيكون له عليه سلطان في هذه الدار الدنيا، فيجسد ما شاء من المعاني للناظر، وقد نال من هذه السلطنة حظاً قريباً أهل السحر الذين قال الله فيهم: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى موسى ﴿مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وليست بساعية في نفس الأمر وهي ساعية في نظر موسى ونظر الحاضرين إلا السحرة فإنهم يرونها حبالاً، والغريب لو ورد لرآها كما يراها الساحر، بخلاف من له النيابة على عالم الخيال وفي حضرته كموسى فإنه لا يرى ما يجسده من المعاني جسداً كما جسدوه ويراه هو معنى إنما ذلك للساحر لعدم قوته، وما بين الساحر وبين صاحب هذه النيابة كموسى إلا كون الحق جعله نائباً عنه واتخذه موسى وكيلاً فأبقى موسى عصاه عن أمر حق وهو أمر موكله فقال له: ألق عصاك فرآها حية فخاف وأخبر عن السحرة أنهم ألقوا حبالهم وعصيهم لا عن أمر إلهيّ بل عن حكم أسماء

كانت عندهم لها في عيون الناظرين خاصية النظر إلى ما يريد الساحر إظهاره، فله بتلك الأسماء قلب النظر لا قلب المنظور فيه، وبالأمر الإلهي قلب المنظور فيه فيتبعه النظر، فالنظر ما انقلب في حق النائب والفعل في النظر، وفي المنظور فيه لم يكن إلا بعد الإلقاء، فلما خرج عن ملك من ألقاه تولى الله قلب المنظور في حق النائب وقلب النظر في حق من ليس بنائب، وله علم هذه الأسماء التي هي سيميا أي علامات على ما ظهر في أعين الناظرين، فالعموم عند كشف الغطاء بالموت وانتقالهم إلى البرزخ يكونون هنالك مثل ما هم في الدنيا في أجسامهم سواء إلا أنهم انتقلوا من حضرة إلى حضرة أو من حكم إلى حكم، والعارفون نواب الحق لهم هذا الحكم في الحياة الدنيا، وإنما كانت النيابة هنا نيابة توحيد لأنه لا يظهر الحكم إلا بعد الإلقاء وهو أن يخرج الأمر من ملك الملقي فيتولاه الله بحكم الوكالة في حق النائب، وبحكم الحقيقة في حق الساحر للغيرة الإلهية، فلا يكون حكم في الأشياء إلا لله، وبقي لصاحب هذه النيابة في هذه الحضرة التصرف دائماً كما ذكرناه المسمى في العامة كرامات وآيات وخرق عوائد، وهي عند المحققين ليست بخرق عوائد بل هي إيجاد كوائن لأنه ما ثم في نفس الأمر عوائد لأنه ما ثم تكرار فما ثم ما يعود وهو قوله في أصحاب العوائد: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: ١٥] يقول: إنهم لا يعرفون أنهم في كل لحظة في خلق جديد فما يرونه في اللحظة الأولى ما هو عين ما يرونه في اللحظة الثانية وهم في لبس من ذلك فلا إعادة فلا خرق، هكذا يدركه المحققون من أهل الله وليس الأمر إلا كما ذكرناه، فإنه بهذا يكون الافتقار للخلق دائماً أبداً، ويكون الحق خالقاً حافظاً على هذا الوجود وجوده دائماً بما يوجده من خلق جديد لبقائه: [البسيط]

فانْظُرْ فَدَيْتُك فيما قد أَتَيْتُ به ... فالعلمُ يُدْرِكُ ما لا يدركُ البَصَرُ
فرِجالُ العِلْم أَوْلَى بالعِبَر ... ورجالُ العين أوْلَى بالنَّظَرْ
فالذي يُوصف بالعقل له ... قوّةٌ تخرجه عن البَصَرْ
والذي يُوصف بالكشف له ... صورةٌ تَسْمُو على كلّ الصُّوَرْ
فتَرَاه دائماً في حاله ... ظاهراً مِنْ غِيَرٍ إلى غِيَرْ

فيتصرف النائب في هذه الأغيار الخيالية كما يريد ويشاء ولكن عن أمر وكيله لجهل الموكل بالمصالح التي يعرفها الوكيل في التصريف، فإن غلط وتصرّف عن غفلة بغير أمر الوكيل فإن الله يحفظ عليه وقته لكون الوكالة كما قلنا دورية، ولكن مع هذا الحفظ الذي ذكرناه لا تكون الصورة الواقعة عن تصريف الغفلة تبلغ من الدرجة مبلغ الصورة التي تكون عن تصريف الوكيل الذي صرف فيه هذا النائب لتتميز المراتب ويعلم الرفيع والأرفع. واعلم أن هذه المرتبة التي هي هذه النيابة الخاصة لا تكون إلا بالموت والموت على قسمين: موت اضطراري وهو المشهور في العموم والعرف وهو الأجل المسمى الذي قيل فيه: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] والموت الآخر موت اختياري وهو موت في حياة دنيوية وهو الأجل المقضي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] ولما كان هذا

الأجل المقضي معلوم الوقت عند الله مسمى عنده كان حكمه في نفسه حكم الأجل المسمى وهو قوله عز وجل: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] يعني في حاله ولا يموت الإنسان في حياته إلا إذا صحت له هذه النيابة فهو ميت لا ميت، كالمقتول في سبيل الله نقله الله إلى البرزخ لا عن موت فالشهيد مقتول لا ميت. ولما كان هذا المعتنى به قد قتل نفسه في الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس رزقه الله حكم الشهادة فولاه النيابة في البرزخ في حياته الدنيا، فموته معنوي وقتله مخالفة نفسه.

وقد جئنا على ما ذكرناه أولاً من ذكرنا هذه النيابات العشرة التي هي أمهات، وأما ما تتضمنه كل نيابة من فعل كل ما لا يصلح إلا بنيابة فكثير لا يحصى ولله الحمد والمنة على ما أعطى.

ومما يتعلق بهذا الباب نور توحيد الذات؛ واعلم أنه لما كان في قوة الواحد أحدية كل موجود ومعلوم ومعدود ظهر جميع ما ظهر من العالم من مجموع ومفرد وفي العالم من تقسيم عقلي في المعلومات بأحدية تخصه، وأعطتها ذلك أحدية الذات الواهبة لوجود ما وجد، والواهبة علم ما علم من المعلومات، فالأحدية ظاهرة في الآحاد خفية في المجموع، فأحدية الذات في الآحاد والبسائط، وأحدية المجموع في المركبات وهي المعبر عنها في الإلهيات بلسان الشرع بالأسماء، وفي العقول السليمة بالنسب، وفي العقول القاصرة النظر بالصفات، وأبين ما يظهر فيه حكم الواحد في العدد لأنه بالواحد يظهر العدد وينشأ على الترتيب الطبيعي من الاثنين إلى ما لا يتناهى وبزوال الواحد منه يزول، فالمعلول لولا علته ما ظهرت له عين، والعالم لولا الله ما وجد في عينه، وأعطى سبحانه اسم الذات لنفسه واسم النفس لما يحمل اسم النفس من التذكير والتأنيث كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] الآية فأنث فقال: بلى قد جاءتك آياتي بكاف مكسورة خطاب المؤنث آياتي فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فإن النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لأجل التناسل الواقع بين الذكر والأنثى، ولذلك جاء في الإيجاد الإلهيّ بالقول وهو مذكر والإرادة وهي مؤنثة، فأوجد العالم عن قول وإرادة فظهر عن اسم مذكر ومؤنث فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ و«شيء» أنكر النكرات، والقول مذكر ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ والإرادة مؤنثة ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فظهر التكوين في الإرادة عن القول والعين واحدة بلا شك. فبنور توحيد الذات ظهرت جميع المحدثات علواً وسفلاً وحساً ومعنى ومركباً ومفرداً فسرت الأحدية في كل شيء فما ثم إلا واحد وما ظهر أمر إلا به ومنه وفيه، ففيه من حيث ما للنفس من التأنيث، وبه من حيث ما للنفس من التذكير والتأنيث، ومنه من حيث ما للنفس من التذكير فعين واحدة فاعلة منفعلة والانفعال ما ظهر في الأعيان من الموجودات والمعلومات المعقولة وإن لم يوجد لها أعيان، ثم جعل التوليد في الحيوانات بل في ما يقبل الولادة على ثلاثة أضرب: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ مراعاة لمحل التكوين ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٥٠] مراعاة للملقي ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ

﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ مراعاة للمجموع فإن زوّجهم إناثاً أو ذكراناً أو ذكراً وأنثى فلوجود الجمع المؤذن بما في الأصل من جمع النسب ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٥٠] لمن لا يقبل الولادة كأسماء التنزيه، فما في الوجود أحدية إلا أحدية الكثرة وليست إلا الذات والألوهة لهذه وصف نفسي لأنه لذاته هو ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] فافهم فلهذا قلنا أحدية المجموع أو أحدية الكثرة. فإن قلت: فإن الله غني عن العالمين فقلنا: هذا لا يقدح في أحدية الكثرة فإن كونه ذاتاً ما هو كونه غنياً فمعقول الذات خلاف معقول نعتها بالغنى، فأنت في هذا الاعتراض مثبت لما تريد نفيه فقويت قولي، وأعظم من هذه النسبة إلى الإله فما ثم. وأزيدك أمراً آخر في هذه المسألة وهو أن الله وإن كان في ذاته غنياً عن العالمين فمعلوم أنه منعوت بالكرم والجود والرحمة فلا بد من مرحوم ومتكرّم عليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فأجاب الداعي سبحانه جوداً وكرماً، ولا شك أن السؤال بالأحوال أتم من السؤال بالقول، والإجابة أسرع للسائل بالحال لأنه سائل بذاته، والجود على المضطر المحتاج أعظم في نفس الأمر من الجود على غير المضطر، والممكن في حال عدمه أشد افتقاراً إلى الله منه في حال وجوده، ولهذا لا تصحب الممكن دعوى في حال عدمه كما تصحبه في حال وجوده، فإفاضة الوجود عليه في حال عدمه أعظم في الجود والكرم، فهو تعالى وإن كان غنياً عن العالمين فذلك تنزيه عن أن يقوم به فقر أو يدل عليه دليل غير نفسه، فأوجد العالم من وجوده وكرمه وهذا لا يشك فيه عاقل ولا مؤمن، وأن الجود له نعت نفسي فإنه جواد كريم لنفسه فلا بد من وجود العالم وما حكم العلم بكونه يستحيل عدم كونه، فلا بد من نسب أو صفات على مذهب الصفاتيين أو أسماء على مذهب آخرين، فلا بدّ من الكثرة في العين الواحدة، فلا بدّ من أحدية الكثرة على كل وجه من كل قائل بنسبة أو صفة أو اسم، فليست أنوار الذات بشيء سوى الموجودات وهي سبحات الوجه لأنها عين الدلالة عليه سبحانه لنا ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» فجعل نفس العارف إذا عرفها العارف دليلاً على معرفة الله، والنور دليل على نفسه وعلى ما يظهره للعين، فبنور الموجودات ظهرت الموجودات، وظهر موجدها لها فما علمته إلا منها فهو المطلوب لها، والطلب يؤذن بالافتقار في حق المحدثات وهو المطلوب فهو الغني، فمن كونه مطلوباً لها صَحَّ افتقارها إليه وصح غناه عنها، فقبوله عليها قبول جود وكرم، فالسبحات الوجهية انتشرت على أعيان الممكنات وانعكست فأدرك نفسه، وأنوار الشيء لا تحرقه، والممكن في حال عدمه لا يقبل الحرق، فلو اتصف بالوجود احترق وجوده لرجوع الوجود إلى من له الوجود فبقيت الممكنات على حقيقة شيئية ثبوتها، وظهر بالسبحات الوجهية كثرة الممكنات في مرآة الحق أدركها الحق في ذاته بنوره على ما تستحقه الممكنات من الحقائق التي هي عليها فذلك ظهور العالم وبقاؤه، فالحكمة في النظر وفي كيفية ما يدركه البصر وماذا يدرك ومن يدرك والله الموفق: [الطويل]

ففي الحَقِّ عَيْنُ الخَلْق إنْ كُنْتَ ذا عَيْنِ ... وفي الخَلْقِ عَيْنُ الحَقِّ إن كُنتَ ذا عَقْلِ

فإن كُنتَ ذا عينٍ وعقلٍ معاً فما ... ترى غير شيء واحدٍ فيه بالفِعْل
فإنّ خيالَ الكون أوْسَعُ حضرَةً ... من العقل والإحساس بالبَذْل والفَضْلِ
له حَضرَةُ الأشكال في الشكل فاعْتَبِرْ ... تراه يردُّ الكُلَّ في قبضة الشَّكْلِ
فإن قُلْتَ كُلٌّ فَهْوَ جزءٌ مُعَيَّنٌ ... وإنْ قُلْتَ جزءٌ قام للكُلِّ بالكُلِّ
فما ثَمَّ مثل غَيْرُه متحقّقٌ ... بموجده فهو الممثّلُ للمِثْلِ
فعلمي به أحْلَى إذا ما طَعِمْتُهُ ... وأشهى إلى أذواقنا من جَنَى النَّحْلِ

وهنا يظهر لك توحيد الإلحاق، فإن الرائي لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره فلحق المرئي بالرائي حيث أدركه في ذاته وهو واحد في الوجود لأن الممكنات المرئية منعوتة في هذه الحالة بالعدم فلا وجود لها مع ظهورها للرائي كما ذكرناه، فسمي هذا الظهور توحيد إلحاق أي ألحق الممكن بالواجب في الوجوب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب والأسماء، فله الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، وللخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه، فالخيال موجد لله عز وجل في حضرة الوجود الخيالي، والحق موجد للخيال في حضرة الانفعال الممثل: [البسيط]

فالكُلُّ يدخلُ تحت الحَصْر أجْمَعُهُ ... وليس ثَمَّ سوى من ليس يَمْتَنِعُ
فاعْجَبْ لمُنْفَعِلٍ في ذاتِ فاعله ... يَكُنْ بها فاعلاً والكلّ قد جُمِعُوا
على وُجُودِ الذي قلناه من عَجَبٍ ... وكلُّهم بالذي جئنا به قَطَعُوا

وإذا ثبت إلحاق الخيال في قوّة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل، فإنه ما ثم على الصورة الحقية مثله، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة، فتوحيد الإلحاق توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة إلا أن له هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة، وهذا يسمى توحيد الوصلة والاتصال والوصل كيف شئت قل، فلم يفرق في هذا التوحيد بين المثلين إلا بكونهما مثلين لا غير فهما كما قال القائل: [الكامل أحذ مضمر]

رَقَّ الزُّجاجُ ورَقَّتِ الخَمْرُ ... فتَشَاكَلاَ فتَشَابَهَ الأمْرُ
فكأنّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

فمن شدة الاتصال يقول هو هو ظهر في موطنين معقولين لولا الموطنان ما عرفت ما حكمت به من التمييز بين المثلين، فما خرج شيء من الموجودات عن التشبيه ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فأتى بكاف الصفة ما هي الكاف زائدة كما ذهب إليه بعض الناس ممن لا معرفة له بالحقائق حذراً من التشبيه، فنفى أن يماثل المثل غير من هو مثله، فنفي المثل عن مثل المماثل نفي المثل عن المماثل، فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض: [السريع]

مِثْل انْدَراجِ المِثْل في المِثْل ... في صُورة العَيْن وفي الشَّكْلِ

وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ فِي ذاتِهِ مِثْلَ انْدِرَاجِ الظِّلِّ فِي الظِّلِّ

فهنا قد ذكرنا شيئاً يسيراً مما يحوي عليه هذا المنزل. وفيه من العلوم سوى ما ذكرناه علم منزلة علم الله من الله وأين هي من منزلة غيره من الصفات المنسوبة إليه ولم يزاحمها في الموجودات، وفيه علم الفرض المنزل وأين هو من علم الفرض المستنبط من المنزل، وفيه علم الأدلة والبراهين العقلية التي تحكم على موجدها بما تستحقه وتصديقه إياها سبحانه فيما حكمت به عليه فإن الله ما نصب بعض الآيات إلا لأولي الألباب وهم الذين يعقلون معانيها بما ركب فيهم سبحانه من القوّة العقلية وجعل نفس العقل للعقل آية وأعطاه القوّة الذاكرة المذكرة التي تذكره ما كان تجلى له من الحق حتى عرفه شهوداً ورؤية، ثم أرسل حجب الطبيعة عليه ثم دعاه إلى معرفته بالدلالات والآيات وذكره أن نفسه أوَّل دلالة عليه فلينظر فيها. وفيه علم الحدود التي توجب للناظر العاقل الوقوف عندها فللظاهر حد وللباطن حد وللمطلع حد وللحد حد، فمن وقف عند حد نفسه فأحرى أن يقف عند حد غيره، فهذا الحد قد عم كل ما ذكرناه وما هو الوجود عليه، ولولا الحدود ما تميزت المعلومات ولا كانت معلومات، ولذلك لعن الله على لسان رسوله من غيّر منار الأرض يعني الحدود ولما اجتمع المثلان لأنفسهما ولم يتوقفا على تعيين موجدهما توجهت عليهما الأسماء الإلهية الحسنى بمائة درجة جنانية تحجبها مائة دركة جهنمية على مرائي من أهل الكشف فسعدا بهذا الاجتماع الذي أوجب لهما توجه العالم الأخراوي برمته.

وفيه علم اجتماع المثلين في الحكم النفسي وإلا فليسا بمثلين، وفيه علم ما يشرك به الشيء من ليس مثله فهو مثله من ذلك الوجه الذي أشركه فيه خاصة وينفصل عنه بأمور أخر له فيها أمثال فمائم معلوم ما له مثل جملة واحدة فما ثم إلا أمثال وأشباه، ولذلك ضرب الأمثال ونهى عن ضربنا الأمثال له وعلل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] فمن علمه الحق ضرب الأمثال ضربها على علم فلا يضرب الأمثال إلا العلماء بالله الذين تولى الله تعليمهم وليس إلا الأنبياء والأولياء، وهو مقام وراء طور العقل يريد أنه لا يستقل العقل بإدراكه من حيث ما هو مفكر، فإن الذي عند العقل من العلم بالله من حيث فكره علم التنزيه وضرب الأمثال تشبيه، وموضع التشبيه من ضرب المثل دقيق لا يعرفه إلا من عرف المشبه والمشبه به، والمشبه به غير معروف، فالأمر الذي يتحقق منه ضرب المثل له مجهول فالنظر فيه من حيث الفكر حرام على كل مؤمن وهو في نفس الأمر ممنوع الوصول إليه عند كل ذي عقل سليم. وفيه علم التربيع من حيث الشهود، وفيه علم السبب الذي لأجله طلب من المدعي الدلالة على ما ادّعاه، وذلك لأنه يريد التحكم بما ادّعاه، والتحكم صفة إلهية والمدعى فيه معنى الغيب والشهادة فالشهادة ثابتة بعينها ولو لم يدعها لا غنى عينها فيه عند المشاهد عن الدعوى والغيب يحتاج معه إلى إقامة البينة على ما ادعى ويعترض هنا أمر عظيم وهو المعترف بأمر يوجب الحد، واعترافه على نفسه دعوى ولا يطالب ببرهان بل تمضي فيه الحدود فقد خرج هذا المدعي بدعواه عن ميزان ما تطلبه الدعوى بحقيقتها، وأما التحكم من

المعترف بما ادعاه وإن كان كاذباً على نفسه في دعواه فإنه قد تحكم فيك أن تقيم عليه الحد الذي يتضمنه ما اعترف به، وهنا دقائق تغيب عن أفهام أكثر العارفين فإن المعترف قد يكذب في اعترافه ليدفع بذلك في زعمه ألماً يعظم عنده على الألم الذي يحصل له من الاعتراف إذا أقيمت عليه حدوده وذلك لجهله بما يؤول إليه أمره عند الله في ذلك، ولجهله بما لنفسه عليه من الحق والله يقول: إنا لا نصلح منك شيئاً أفسدته من نفسك، فالحقوق وإن عظمت فحق الله أحق ويليه حق نفسك، وما خرج عن هذين الحقين فهين الخطب. وفيه علم من اتخذ الله دليلاً في أيّ موطن يتخذه وما دعواه التي توجب له ذلك، وفيه علم الآداب الإلهية ومعرفة المواطن التي ينبغي أن يستعمل فيها، وأكثر ما يظهر ذلك في باب الإيمان بالله، وفيه علم المؤاخاة بين الفضل الإلهيّ والرحمة وهل بين الآلام والرحمة، مؤاخاة أم لا من باب دفع ألم كبير بألم دونه، وفيه علم الأمر الذي يكرهه الطبع ويحمده الحق وما يغلب من ذلك ومن يجني ثمرة ذلك الكره ومرارة تلك الفظاعة ذوقاً، وفيه علم تصريف الحكمة الإلهية في النوع الإنساني خاصة دون سائر المخلوقات، وفيه علم ما ينبغي أن يكون عليه العاقل إذا رأى في الوجود ما يقضي له العقل بالوقوف عنده والعدول عما في الأخذ به من مذام الأخلاق، وفيه علم ما لا يعلمه الإنسان في زعمه وهو في نفس الأمر على خلاف ذلك كيف يعلمه الله هل يعلمه كما هو عليه في نفسه أو كما هو في علم هذا العالم في زعمه وهي مسألة صعبة في الشرع، وأمّا في العقل فهي هينة الخطب، وفيه علم ما يعظ به العالم من هو دونه وتربية الشيخ للتلميذ الإلهيّ. وفيه علم ما ينفي أن يكون في المعلوم ضدان من جميع الوجوه جملة واحدة من غير أن يكون بينهما مثلية بوجه ما، وفيه علم ما تنتجه مؤاخاة الصفات المثلية الإلهية في الكون، وفيه علم الرمي المحسوس والمعنويّ وما يقع فيه الاشتراك وما لا يقع فيه اشتراك من ذلك، وفيه علم نسبة الكلام إلى كل صنف صنف من المخلوقات كلها، وفيه علم ألفة النسب وهل يقع بين المتناسبين افتراق معنويّ أم لا؟ وفيه علم التصرّف في الخلاء وهل يصح تصرّف في الملأ أم لا؟ وهل في العالم خلاء أو هو كله ملأ؟ وحكمه وجود الأجسام مختلفة فيما يقبل الخرق منها بسهولة وما لا يقبل الخرق إلا بمشقة وما شف منها وما لم يشف وما لطف منها وما كثف وقوّة الألطف على الأكثف حتى يزيله ويخرقه وفيه علم حكمة التحيز في العالم دنيا وآخرة، وفيه علم هل للبصر أثر في المبصر أم لا؟ وفيه علم ما يحفظ به الخرق بين الشيئين حتى لا يلتئما، وفيه علم الفاعل والمنفعل خاصة لا الانفعال، وفيه علم الاستعدادات التي يقبل صاحبها التعليم ممن لا يقبله، وإذا رأى الشيخ ذلك هل يبقي على تعليمه وتربيته أم يقصر في ذلك أو يتركه رأساً؟ فمن الناس من يرى أنه يتركه أو يقصر في أمره حتى يتركه التلميذ من نفسه، ومنهم من يقول إن الشيخ يبذل المجهود في تعليم من يعلم منه أنه لا يقبل وما عليه إلا ذلك فيوفى حق ما يجب عليه ولا يلزمه إلا ذلك، فإنه ليس بمضيع زماناً في ذلك، وهذا هو الحق عند الأكابر ومعاملة الحق بما تستحقه الربوبية، وقد جاء في الشرع المطهر «**لَأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِين**» وأمّا التبرّي منه بعد البيان فلا يناقض التعليم

والإرشاد وإن لم يقبل فإنه وإن تبرأ منه في قلبه وفي الدعاء له فلا يتبرأ مما بعث به فله أن يقول ويعلم ما يلزمه إلا هذا، ورأينا جماعة من أهل الله على خلاف هذا وهو غلط عظيم. وفيه علم نيابة هاء الهوية عن هاء التنبيه وكم مرتبة لها في العلم الإلهيّ، وفيه علم ما يذهب الفقر من النكاح وبه كان يقول أبو العباس السبتي صاحب الصدقة بمراكش رأيته وعاشرته فرأيته وجاءه إنسان يشكو الفقر فقال: تزوّج فتزوّج فشكى إليه الفقر، فقال: تزوّج أخرى فتزوّج اثنين فشكى إليه الفقر، فقال له: ثلث فثلث فشكى إليه الفقر، فقال له: ربع فربع فقال الشيخ: قد كمل فاستغنى ووسع الله في رزقه، ولم يكن في نسائه اللاتي أخذهنّ من عندها شيء من الدنيا فأغناه الله. وفيه علم الاسترقاق الكوني والتخلص منه وما لمن يسعى في تخليص الإنسان من رق الأمثال له وهل يوازن فك العاني حرية العبد أم لا؟ وفيه علم مقامات رجال الله، وفيه علم ما يجتمع فيه خلق الله، وفيه علم الآثار العلوية، وفيه علم الكون والفساد، وفيه علم الحيوان، وفيه علم الاستجلاب والاستنزال، وفيه علم ما يحتاج إليه النواب، وفيه علم أحكام المكلفين وبماذا يتعلق التكليف، وفيه علم رفع الحرج من العالم في حق هذا العالم به مع وجود الحرج في العالم، وفيه علم إلحاق الأجنبي بالرحم، وفيه علم من لم ير غير نفسه في شهوده ما حكمه في ذلك في معاملته نفسه، وفيه علم الاختيار والجبر، وفيه علم ما يعطيك العلم بكل شيء وهو العلم الإلهيّ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انتهى الجزء الخامس من الفتوحات المكية، ويليه الجزء السادس أوله:
الباب الأحد والستون وثلاثمائة في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير



فهرس محتويات
الجزء الخامس
من
الفتوحات المكية



فهرس المحتويات

